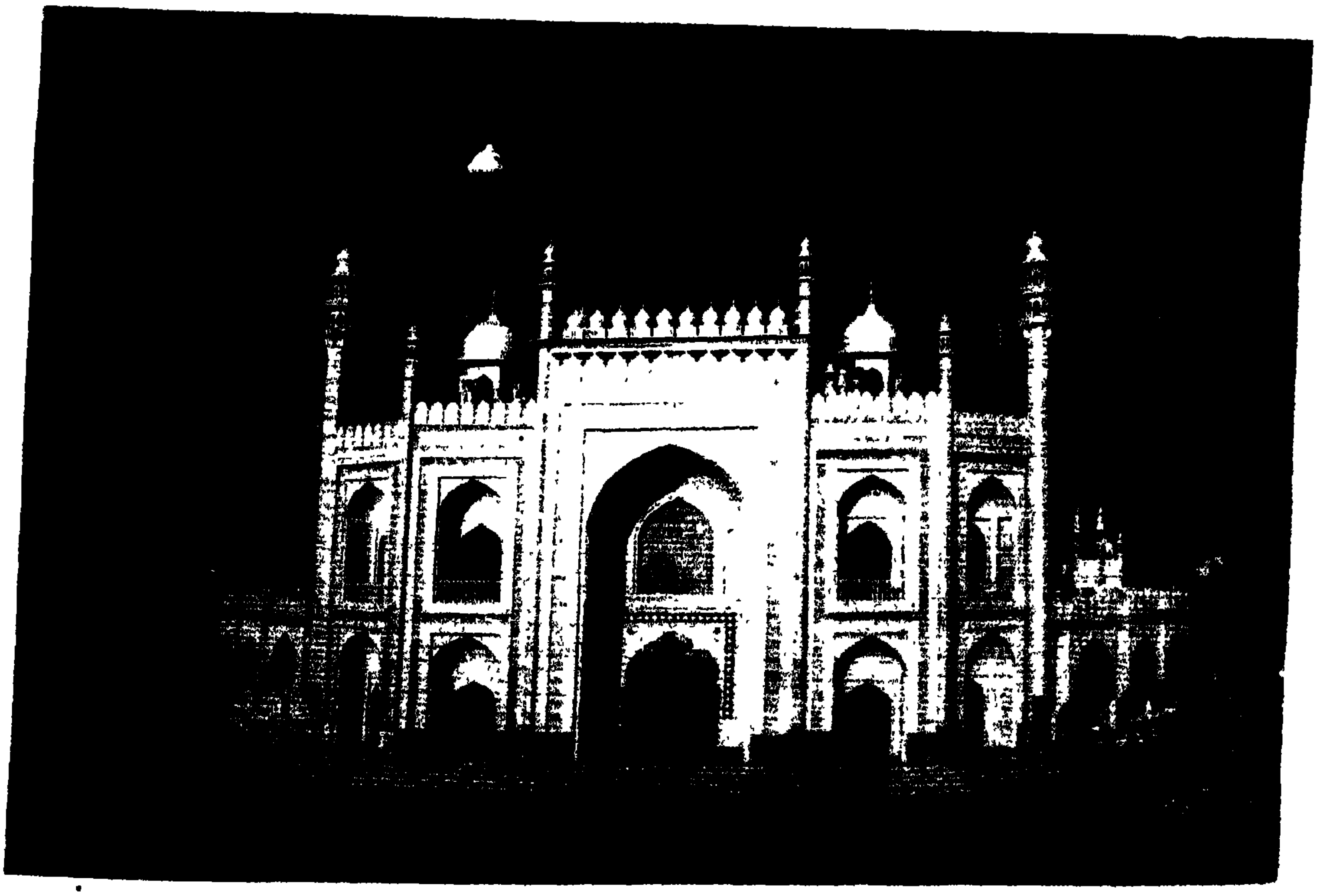
الداعي

مجلة عربية إسلامية شهرية

محرم ١٤٢١هـ





المســاجــد ودورها الثقافي

إعداد : الدكتور أحمد عبد الرحيم السايح / القاهرة

كلمة (المسجد) من أكثر الكلمات شيوعاً واستعمالا في حياة المسلمين. والكلمة بأصالتها ومادتها مأخوذة من الفعل (سجد) وللفعل (سجد) في اللغة العربية، معان متعددة، جاءت بها اللغة العربية... ثم تطورت كلمة (مسجد) في الإسلام، حتى أخذت معنى إسلامياً جديداً .

فمادة الفعل (سجـد) تـدل على الإنحنــاء ، والتطامن إلى الأرض .. ويقال : سجد الرجل، إذا طأطأ رأسه وانحنى..

وكان كسرى يسجد للطالع ، وهو السهم الذي يجاوز الهدف من أعلاه، وكانوا يعدونه كالمقرطس، والمعنى أنه كان يسلم لراميه، ويستسلم.. ويقال: كان يخفض رأسه إذا شخص سهمه.. وارتفع عن الرمية، ليتقوم السهم فيصيب الدارة .

وهــذا هـو المعنى الحسي للمــادة في أول استعمالها.. ثم انتقلت اللفظة إلى المعنى المعنوي، فأصبحت تدل على الخضوع والتذلل. فكل من ذل وخضع لما أمر به فقد سجد ..

ثم أخذ (السجود) معنى شرعياً جديداً، وهو مخصوص في الشريعة الإسلامية بالركن المعروف من الصلاة الذي لايتم إلا بوضع الجبهة، والأنف ، واليدين، والركبتين، والرجلين، على الأرض .

والمسجد موضع السجود. سواء أكان سجوداً بوضع الجبهة على الأرض، أو سجوداً لغوياً، بمعنى التذلل، والتطامن، والتقديس، وخضوع العبادة على أي صورة كانت تلك العبادة والتقديس..

والمسجد شرعاً : كل موضع يمكن أن يعبد الله، ويسجد له فيه .

والمسجد موضع الصلاة سمي بذلك لما في الصلاة من سجود، أو لأن الصلاة خضوع وتذلل.

قال الحسن: المراد بالمسجد كل موضع يسجد فيه من الأرض، سواء أعد لذلك أم لا إذ الأرض كلها مسجد لهذه الأمة.. لأن من كانوا قبل الإسلام كانوا لا يصلون إلا في موضع يتيقنون طهارته، أما المسلمون فقد خصصوا بجواز الصلاة في جميع الأرض إلا في موضع تيقنوا نجاسته.

ولما كان السجود أشرف أفعال الصلاة. لقرب العبد من ربه : اشتق اسم المكان منه . فقيل : مسجد .. ولم يقولوا : مركع .. ثم إن العرف خصص المسجد بالمكان المهيأ للصلوات الخمس.

ثم أصبحت كلمة (الجامع) نعتاً للمسجد.. وإنما نعت بذلك .. لأنه علامة الاجتماع.

وما كانوا في الصدر الأول يفردون كلمة (الجامع) وإنما كانوا تارة يقتصرون على كلمة (المسجد) وطوراً

كلمـــة المحـــرر

في العالم كله محاولات دائبة مضنية من تلاميذ الشيطان وأعداء الرحمن لتهميش المسلمين، وتضييعهم وتذليلهم، وتطويقهم وتركيعهم ؛ لأن الأعداء يعلمون أنّ المسلمين وحدهم حجرُ عَثْرَةٍ في طريق تحقيق شهواتهم وأهوائهم، و خروجهم على جميع معاني التوازن والاعتدال، الذي هو قوام المجتمع الإنسانيّ الصالح، الذي يمكن أن يعيش فيه بنو آدم، متمتعين بكل ما يصبون إليه من راحة وطمأنينة، ومتزينين بكل ما يجب أن يتزيّنوا به من الآداب الإنسانية ، حتى يبقوا محتفظين بالخصائص التي أرادها الله تعالى مُمَيِّزَةً لهم عن غيرهم من البهائم والحيوانات التي فَضَّلَهُمْ عليها تفضيلاً.

إنّ المسلمين الصادقين وحدهم يُمَثِّلُونَ الإنسان الذي يرتضيه رب العالمين استواءًا واستقامةً، وتوازناً واتّساقاً، وبعداً عن كل نوع من التطرّف في الفكر والعمل، والسلوك والأداء.

وإذا كان اللّه عزّ وجلّ ركّب ــ لحكمة يعلمها ــ طبائعَ ذوي المعائب والنقائص أن يودّوا ــ ويعملوا جهدهم ــ أن يصبح العالم كلّه ذا عيب وذا نقيصةٍ، ولا يودّون أبداً أن يكونوا هم مُعافَيْنَ من النقائص، مُنَزَّهِيْنَ من المعائب كغيرهم؛ فإنّهم يودّون ويسْعَوْنَ أن يتحوّل المسلمون كلهم مُشَاطِرِيْنَ لهم في تلك المعائب والسوءات التي هم غارقون فيها إلى الآذان.

لو رُحْتَ تُحَلِّلُ نفسيّةَ الأعداء في كل مكان، وجدتَهم يحسدون على المسلمين تَمَيُّزَهُمْ بذاك الجمال الفاتن الخلاّب والبهاء السّاحر الخلاّب، وهو الاتّزان الفكريّ والعملي والسلوكي الذي شَقُوْا هم بالحرمان منه.

أجل ، يحسدون على المسلمين نعمةَ الابتعاد عن المحرمات، نعمة الاجتناب من المنهيات، نعمة التسامي عن الأهواء والشهوات، نعمة اتّقاء الحوم حولَ الحمى حتى لا يقعوا فيه، نعمة التقيد بالأخلاق النبيلة التي تنحت إنساناً سويًّا مرضيًّا لدى الله، نعمة الإلتزام بالقيم التي تفرّق بين الإنسان كمخلوق أشرف وأسنى وبين البهائم التي هي في غنى عن أيّة مسؤوليّة، نعمة الطهر والعفاف، نعمة الحجاب والحشمة الحياء، نعمة التفادي من النظر إلى المرأة الأجنبية، نعمة الابتعاد الكامل عن الاختلاط بها فضلاً عن الاختلاء بها ومصادقتها وإقامة علاقات محرمة معها، وفضلاً عن تحويلها سلعة رخيصة ، من سلع الجنس والتجارة ، والدعارة والشطارة.

أيها الأشقياء : أصحاب المعائب ! لماذا لا تغبطون على المسلمين هذه المحاسن كلها بدل أن تحسدوهم عليها ، لماذا لا تتمنون أن تكونوا مُعَافَيْنَ أصِحَّاءَ سُعَدَاءَ بدل أن تحاولوا أن تحولوهم مثلكم مرضى مُبْتَلَيْنَ أشقياءَ ؟!.

[التحرير]

أذلك جزاء تضحيات المسلمين في سبيل تحرير البلاد ؟

لم تشهد الهند بعد الاستقلال نظيراً للاحتجاجات والمسيرات الصارخة المكثفة المتصلة التي قام بها الشعب المسلم الهندي خلال الشهور الأخيرة – ولا يزال يقوم – ضدّ "مشروع قانون المبنى الديني" الذي وافقت عليه حكومة حزب " ب ج ب " الهندوسيّ الأصوليّ بولاية " أترابراديش " والّذي يكاد يصبح قانوناً ساري المفعول إذا وقّع عليه الرئيس الهنديّ الذي صلاحياتُه محدودةٌ جدًّا – بموجب الدستور – فيما يتعلّق باتخاذ قرارات سياسيّة .

أبدى المسلمون الهنود أفراداً وجماعات، عبر الحفلات والمسيرات، وعبر الكتابات في الصحف والمجلّات ، وعبر الخطابات في النوادي والاجتماعات العلنيّة ، من الاحتجاج ما دوّت به أرجاء البلاد، وطفحت به وسائل الإعلام، ولا سيّما الصحف اليوميّة بشتّى لغاتها، ولاسيّما الصّحف الأرديّة .

وكان احتجاجهم العديم النظير هذا، نابعاً من شعورهم بفداحة الخطر الذي يتضمّنه مشروع القانون المشار إليه ؛ حيث يقضي بأن الشعب – أيّا كان دينه – لا يُسْمَحُ له بإنشاء مكان للعبادة أو إحداث بناء لها، أو تناول بناء موجود من قبل بإصلاح أو ترميم، أو إنشاء مَرَافِقَ له ؛ ولا يُسْمَحُ له باستخدام مكان ما في أيّ من أجزاء الولاية للعبادة ؛ ولا يُسْمَحُ له بتوظيف مكان أو إنشاء بناء للتعليم الديني ولا بإجراء إصلاح أو ترميم في مبنى موجود من قبل لهذا الغرض، إلاّ بإذن خطّي من مدير المديريّة أو المسؤول الحكومي الرفيع المستوى. وهناك تفصيلات طويلة يتضمنها المشروع لو وُضِعَتْ كُلُّها موضعَ التنفيذ عاد الشعب محروماً من كل من الصلاحيات التي أعطاه إيّاها الدستور الهنديّ.

ورغم أن المشروع عامٌّ يشمل الشعب الهندي بمختلف دياناته وطبقاته و قطاعاته، إلاّ أن المسلمين يخافون حقًّا أن المشروع فيما إذا كسب صفةَ قانون مستقل إنّما يتوجّه بأضراره السلبية كلّها إليهم وحدهم دون الأغلبية الهندوسيّة . ذلك أن مُنَفِّذي القوانين جُلّهم عادوا يصدرون أخيراً عن عصبيّة عمياء وحقد أسود ضد المسلمين ؛ فالمشروع – عندما

يصبح قانوناً — لن يمنع الهندوس عن إنشاء معبد في أيّ مكان ، وإنّما يأخذ على أيدي المسلمين ويحول دونهم ودون إنشاء أو استخدام بناء أو مكان للعبادة أو التعليم الديني .

وقد صدقت مخاوفهم ؛ حيث أصبح المسؤولون الحكوميّون يمنعونهم في أمكنة شتى عن إنشاء مساجد قبل أن يأخذ المشروع صفة القانون.

ومن العجيب أنّ الحكومة الإقليميّة إنّما وافقت على المشروع بحجّة أنّ هناك إرهاباً مُعَضّدًا من قبل مصلحة " آى ايس آي " للاستخبارات الباكستانية يصول ويجول في المنطقة الواسعة الملاصقة للحدود الهنديّة الباكستانية والحدود الهندية النيباليّة مُمثلاً في المدارس الإسلاميّة ؛ فهذا المشروع – القانون – سيكافح هذا الإرهاب !!.

ولكنّ وزير الداخليّة الهنديّ ايل كي أدواني المعروف بتوجهاته العنيفة ضدّ كلّ ما هو إسلاميّ وينتمي إلى المسلمين، قد صرّح – والمتوقع أن هذا التصريح جاء منه على مضض تنصّل منه بعدما أرغمته الحقائق والاطّلاعات المبنيّة على التنقيب الدقيق من قبل الاستخبارات الهنديّة – إلا أن الحكومة الهنديّة لم تقف بعد على دليل ما يؤكّد أن المدارس الإسلاميّة متورطة في الإرهاب أو أنها تحركه بشكل من الأشكال ... [illegible] هذا المسلسل الطويل من الاحتجاجات التي استغرقت كثيراً من طاقات المسلمين وإمكانياتهم الماديّة و المعنويّة وبعثرت كثيراً من أموالهم وأوقاتهم الثمينة ، قد صرّح – كما أفادت بذلك الصحف الهنديّة مؤخراً – رئيس الوزراء الهنديّ في حكومة حزب " ب ج ب " أتال بيهاري فاجبائي في ردّ له على خطاب عالم هنديّ كبير وَجّهه إليه ليحيطه فيه علماً بمواقف المسلمين التي جرحها مشروع القانون المذكور ، صرّح بأنه تجري الآن دراسة مضامين المشروع ، ولن ندعه يدوس روح العلمانيّة أو يمسّها بسلبيّة.

وقد قال المعلقون الصحفيون في ضوء تصريح رئيس الوزراء : إنّ هناك أملاً في إلغاء المشروع أو تناوله بتعديل يجرده من صلاحيات الإضرار الشاملة .

☆ ☆ ☆

من المعلوم أنّ المدراس الإسلاميّة الأهليّة التي تنتشر شبكتها في أرجاء شبه القارة الهندية عموماً، وأنحاء البلاد الهنديّة خصوصاً، هي وحدها مصدر الحياة الدينية لمسلمي هذه الديار؛ فلولاها لم يكن لهم أثر ولاعين. فاتهامها بالإرهابية ، وبالتالي فرضُ الحظر عليها، وتمهيد السبيل لإيقاف نشاطها ، وتلمّسُ الأعذار المعقولة دون قيامها بقوة القانون، إنّما الغرض من ذلك هو تجفيف المنابع الدينية التي منها يستقي المسلمون الحياة والروح، والدم الطازج والإحساس والتفكير، والتي هي وحدها صمّام

بلغة كيانهم الديني وشخصيتهم الإسلامية و هويتهم الثقافية وميزتهم الحضارية . إنّ تفريغ المسلمين من نشاطاتهم المدرسيّة وحرمانهم من حريّة التعليم الديني، إنّما يعني سلبهم الحريّة في العمل بالدين وتعليمه وتعلّمه والعمل على نشره . وقد ضمن الدستور الهنديّ هذه الحريّة ووعد بالحفاظ عليها وحذّر من المساس بها.

ولكنّ هناك محاولات مدروسة من قبل الزعماء الهندوس المتطرفين المنتمين إلى أسرة "آر، إيس، إيس" ذات التوجّهات الخطيرة الرهيبة ضد المسلمين، الموْمنة بتحويل الهند دولة أصوليّة هندوسيّة ضيّقة الأفق، لاتسمح بغير الهندوسيّة من نوع خاصّ ، بالبقاء في الهند، تُبذَل باستمرار وبشكل مكثف ، وفي كل مجال من مجالات العمل لإزعاج المسلمين بشتى الطرق.

ولم يكن هدم المسجد البابريّ نهاية المطاف في مؤامراتهم الطويلة المتصلة لإزعاج المسلمين في العمل بدينهم وسلبهم حريّتهم وتحويلهم مواطنين في الدرجة الثانية بل في الدرجة الدنيا، وإنّما هناك مساعي بُذِلَتْ وتُبْذَلُ منذ اليوم الأول لسلب الأرديّة حقّها من البقاء باعتبارها لغةً المسلمين، ولمحاربتهم في الوظائف الحكوميّة ، ولتقليل أعدادهم في المدارس والجامعات الرسمية ، وللحدّ من أعدادهم في الوزارات وفي المجالس الإقليمية، ولتحويلهم علّة طريدة بتحمّل الاضطرابات الطائفيّة الرامية إلى نهب ثرواتهم ومحلاتهم التجارية ، وإلى انتهاك حرماتهم ، وكسر عظام شبابهم ، والزّج بهم إلى السجون ، وتوريطهم في المحاكمات الطويلة المريضة المعقّدة.

وها هي ذِهْ حلقة سوداء من مؤامراتهم ضدّ المسلمين، وهي اتّهامُ المدارس الإسلاميّة بتبنّي الإرهاب والأصوليّة وتنفيذ مخططات المنظمة الباكستانية المخصصة لإثارة الإرهاب والقلاقل في البلاد المعادية .

إنّ الكل يعلم أن العلماء المسلمين هم الذي قادوا حركة تحرير البلاد من نير الاستعمار، وهم الذين واجهوا الاستعمار الإنجليزي بصدورهم، فعَدَدٌ منهم غير معلوم قتلهم الاستعمار، أو صلبهم وأعدمهم شنقاً، أو فرض عليهم سجناً مؤبّدًا، أو نفاهم إلى " مالطة " أو شرّدهم للأبد ، أو تناولهم من صنوف العذاب بما تقشعرّ جلود من يحاول أن يصوّره بلسانه أو قلمه ..

وبنضالهم الطويل وكفاحهم النبيل نالت الهند الاستقلال، وولّى الاستعمار بدون رجعة، وذاق المواطنون طعم الحريّة ، وعاد الكل يخدم البلاد بما لديه من المواهب والمؤهلات.

والمدارسُ الإسلاميّة التي أسسها هؤلاء العلماء ، كانت نقطة انطلاق لنضال الحريّة، وعلى رأسها الجامعة الإسلاميّة الأم دارالعلوم/ ديوبند ، التي كان لمؤسسيها ولأبنائها صفحات بيضاء غرة معروفة من دور في قيادة حركة التحرير، وتقديم كل نوع من التضحيات عن

في تطهير البلاد من أقدام الاستعمار البغيضة.

وتشهد التاريخ أن المدارس الإسلاميّة أمدّ البلاد بمواطنين صالحين وقادة مطلوبين، تعلّموا البناء ولم يعرفوا أيّ صورة من الهدم، وتمنّوا منعة البلاد وشعبها ولم يعرفوا الانطوائية، وقدّموا للبلاد كل تضحية احتاجت إليها، ولم يسجّل عليهم موقف سلبيّ ضد البلاد وأهلها.

وذلك على العكس من المدارس والجامعات الحكوميّة التي في أغلب الأحوال لم تخرّج إلاّ المثقّفين الذين ظلّ همّهم في الحياة هو التكسّب والاهتمام بالأغراض الذاتيّة، والحرص على المصالح الشخصيّة، والإحجام عن تقديم تضحية احتاجت إليها البلاد، والدوران في فلك الذات و الذاتيّة. وذلك لسوء التربية التي تلقوها خلال التعليم، و فساد البيئة التي تربّوا فيها ثقافيًّا.

وإنّنا لا نودّ أن نتّهم الحكومة دورَ التعليم [illegible] كان نوعُها — بالإرهابيّة والأصوليّة ، فإنّ [illegible] بدّ لها من ذلك ، فإنّ لها كفاية ومقنعاً في [illegible] وجامعاتها الرسميّة .

[illegible] المدارس الإسلاميّة فإنّها — حتى [illegible] [illegible] [illegible]

كل ذي كبد رطبة أجراً، فما بالك بالإنسان الذي هو أشرف المخلوقات بإعلان ربّنا ذي العزة والجلال :

" وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيْ آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيْرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيْلاً " (الإسراء/٧٠)

إنّها أمدّت البلاد بعلماء راسخين، ومربّين صالحين، ودعاة إلى خير الدارين، وخطباء مفوّهين، وكتّاباً ومؤلّفين بارعين ، وشعراء نوابغ في المجتمع الهندي، وأدباء موهوبين أصبحت إبداعاتهم ثروات لا تُحصى ولا تمّحي على مرّ الزمان، وصحفيين عملوا على ترسيخ محبّة المواطنة في قلوب الشعب ، وعلى غرس حبّ البلاد قبل حبّ المصالح الشخصيّة، وزعماء متجرّدين من جميع الأهواء التي يتّسم بها زعماء اليوم من الأنانيّة والنرجسيّة والتفاني في محبّة النفس ، والتغنّي بالمصالح الذاتيّة، ومواطنين حماس الشعب لتحقيقها دونما تأخير.

ولكن ذلك كلّه لا يعني [illegible] [illegible] [illegible]

فرعيّة لا تمسّ المسلمين في صميم الدين، ولا ترمي إلى تجفيف منابع الدين رأساً؛ ولكنّ استهداف المدارس الإسلاميّة يرمي مباشرةً إلى تجفيف هذه المنابع، وقطع صلتهم عن القنوات التي تضخّ إليهم دم الحياة، وعن المصادر التي تنفخ فيهم روح الدين، وتهبهم الوعي الإسلاميّ، والحماس الديني، والشعور بالهويّة، والإحساس بكونهم كياناً مستقلاً قوامُه غيرُ قوام الأقوام الآخرين.

إنّ اليوم الذي تنجح فيه حكومة حزب "ب ج ب" الحاليّة في ولاية " يوبي " في وضع القانون المشار إليه موضع التنفيذ، يكون من أسود الأيام وأشدها ظلاماً في تأريخ المسلمين في الهند، ولا سيما في هذه الولاية؛ لأنه يسلبهم مرة واحدة جميعَ الحرّيات فيما يتصل بمساجدهم ومدارسهم وممارسة العبادات حتى في الأمكنة العامة من المواقف والمحطات والقطارات والشوارع والحدائق.

وربّما تناست الحكومة عن أنّ المسلمين قد يحتملون كلّ شيء ولن يحتملوا المساس بالدين ماداموا يحتفظون بالشعور بكونهم مسلمين إنّما عزّوا بالله واتباع رسول ﷺ ، وأن كل تضحية في سبيل الدين تهون مقابل رضا الله عزّ وجلّ والثواب الذي ادّخره لديه لعباده المخلصين.

لم يسبق المسلمون غيرهم إلى مكافحة الاستعمار القائم على صدر الهند لكي يأتي يومٌ تفرض فيه حكومةٌ في الهند قوانين تسلبهم الحريّةَ في العمل بمقتضيات الدين والعقيدة، وتقول لهم: انصهروا في بوتقة تيار وطنيّ هندوسيّ ، وتنازلوا عن الإصرار على جميع جوانب الإسلام، لأنّ ذلك تصلّب بغيض وأصوليّة يمقتها العالم الإنساني المتحضّر كلّه؛ لأنّها لاتساير ركب التقدم والرقي الذي يقوده "المعتدلون" من بني آدم الذين لايصرّون على دين، ولايتقيدون بعقيدة، ولا يلتزمون بحياء، ولا يعنون آداباً دينية من نوع خاصّ !!.

إنّنا نحن المسلمين إنّما حاربنا الاستعمار لأنّه كان يحارب الدين قبل أن يحارب المواطنين، ويحول دون الإسلام قبل أن يحول دون المسلمين ؛ فكل من يحاربنا اليوم في ديننا، ويحاول أن ينزعنا من مهد عقيدتنا، ويفرض الحظر على مساجدنا ومدارسنا بقوة القانون، فلن نحتمل ذلك كما لم نحتمله من الاستعمار، ولن نصبر عليه كما لم نصبر بالأمس على الموقف الذي وقفه منّا الإنجليز الذين حاولوا أيضاً تجفيف منابع الدين الإسلامي في هذه الديار. إننا لن ندع غيرنا – إن شاء الله – يحصد ما زرعناه، ويستمتع بما حققناه بكدّ يميننا وعرق جبيننا، وأن يجزي تضحياتنا بمثل هذا الحرمان المرّ وبمثل هذا الحصاد الخبيث، فهل يعي الراكبون رؤوسهم هذه الحقيقة ؟!.

نور عالم خليل الأميني

البعثة المحمدية

بقلم : د. المفصل فلواتي

سوف نتناول هذه عبر محاور ثلاثة :

١- إضاءات وأحداث

٢- تعقيبات وتوصيحات و مستفادات

٣- سمات المرحلة

١- إضاءات من النصوص

نزول الوحي بعد الرؤيا الصادقة تنبيناً للرسول:

قال الله عز وجلّ :

أ- في بيان أن الوحي الذي نزل على محمد رسول الله ﷺ هو تماما كالوحي الذي نزل على الأنبياء من قبله: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ﴾ (سورة النساء)

ب- في تعيين الشهر الذي نزل فيه القرآن ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ (سورة البقرة).

ج- في تعيين الزمان ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ﴾ (سورة الدخان).

د- في تعيين اسم الليلة ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾.

هـ- في تحديد يوم الليلة بالضبط ﴿ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾ (سورة الأنفال) وذلك ملتقى رسول ﷺ الله والمشركين ببدر، وكان يوم الجمعة صبيحة سبع عشرة من رمضان.

و- في موضوع الوحي الأولى : ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ (سورة العلق).

ز- في كيفيــة الوحي الأولى: روى الإمام البخاري عن السيدة عائشة تصف كيفية بدء الوحي وتقول :

" أول ما بدئ به رسول الله ﷺ الرؤيا الصالحة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب إليه الخلاء وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزوّد لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزوّد لمثلها حتى جاءه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال له : إقرأ فقال: ماأنا بقارئ قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال : إقرأ فقلت: ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ من الجهد، ثم أرسلني فقال : إقرأ فقلت ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثالثة ثمّ أرسلني فقال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ

عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها فقال: زملوني زملوني، فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة وأخبرها الخبر: لقد خشيت على نفسي فقالت خديجة: كلا والله لا يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق. فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى، وكان ابن عم خديجة، وكان امرأ قد تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الإنجيل في العبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخا كبيرا قد عمي، فقالت له خديجة: يا ابن عم اسمع من ابن أخيك، فقال له ورقة: يا ابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى، فقال له ورقة : هذا الناموس – أي جبريل أو الوحي – الذي نزل على موسى، يا ليتني فيها جذعا – شابا قويا – ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك. فقال رسول الله ﷺ : أو مخرجي هم؟ قال: نعم . لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزرا. فلم يلبث ورقة أن توفي وفتر الوحي.

ح – وذكر ابن إسحاق بسنده نفس الكيفية الواردة في الحديث، إلا أنه ذكر أن جبريل عليه السلام، جاء رسول الله ﷺ في حالة النوم، قال: *"حتى إذ كانت الليلة التي أكرمه الله فيها برسالته، ورحم العباد بها، جاءه جبريل عليه السلام بأمر الله تعالى. قال رسول الله ﷺ : "فجاءني جبريل وأنا نائم، بنمط من ديباج فيه كتاب، فقال: إقرأ... إقرأ باسم ربك ... فقرأتها ثم انتهى، فانصرف عني، وهببت من نومي، فكأنما كتبت في قلبي كتاباً..."*.

– خديجة رضي الله عنها تثبت رسول الله ﷺ.

أخبر رسول الله ﷺ خديجة رضي الله عنها باللقاء الأول مع الوحي. فقالت له: "أبشر يابن عم واثبت، فوالذي نفس خديجة بيده إني لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة" وذكر ابن إسحاق بسنده أن خديجة رضي الله عنها قالت لرسول الله ﷺ : أي ابن عم أتستطيع أن تخبرني بصاحبك هذا الذي يأتيك إذا جاءك؟ قال: نعم، فجاءه جبريل عليه السلام فقال رسول الله ﷺ : ياخديجة هذا جبريل قد جاءني، قالت: قم يا ابن عم فاجلس على فخذي اليسرى، فجلس عليها، قالت : هل تراه؟ قال: نعم، قال: فتحول، فاجلس في حجري، فجلس، قالت: هل تراه؟ قال: نعم، فتحسرت وألقت خمارها ورسول الله ﷺ في حجرها، ثم قالت له: هل تراه؟ قال: لا، قالت: يا ابن عم، أثبت وأبشر، فوالله إنه لملك وما هذا بشيطان" .

– عودة الوحي بعد فتوره للتأنيس والتكليف:

اختلف الرواة في الزمن الذي فتر فيه الوحي، فقيل ثلاث سنوات، وقيل أقل من ذلك، والراجح أن المدة كانت ستة أشهر، حسب رواية البيهقي، أو لا تتعدى أربعين يوما حسب الرواية المنقولة عن ابن عباس – انظر شرح المواهب اللدنية –، *وأيا كانت مدة الفتور، فقد كانت قاسية على نفس رسول الله ﷺ، خصوصاً وأن الحاسدين والشامتين بدأوا يطلقون* ألسنتهم مستهزئين به وبالنبوة التي شاع أنه اختير لها. فقال ابن اسحاق: " ثم فتر الوحي عن رسول الله ﷺ حتى شق ذلك عليه فأحزنه، فجاءه بسورة الضحى

يقسم له ربه - وهو الذي أكرمه بما أكرمه به - ما ودعه وما قلاه، فقال تعالى: ﴿والضُحَى والليلِ إذَا سَجى مَا وَدَّعَكَ ربُّكَ وَمَا قَلَى﴾ يقول : ما صرمك فتركك، وما أبغضك منذ أحبك".

وهذه العودة في سورة الضحى هي للتأنيس والتطمين وتبيان نعمة الله عز وجل على عبده المصطفى قبل الاختيار للنبوة، وإعطاء الوعد الصادق بأن الله تعالى سوف يوالي عليه النعم والعطاءات المرضية له. أما الوحي المحمل للرسالة فهو الذي ذكره البخاري من رواية جابر بن عبد الله الأنصاري قال: قال رسول الله ﷺ - وهو يحدث عن فترة الوحي - "بينما أنا واقف، فرفعت رأسي إلى السماء، فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسيه بين السماء والأرض، قال رسول الله: فجُئثتُ - ذعرت وفزعت - منــه فــرقاً - خــوفاً - فرجعت، فقلت: زملوني، زملونــي، دثروني، فأنــزل الله تعالى: ياأيُّها المُدَّثِّرُ قُمْ فأنذرْ، وربّك فكبِّرْ، وَثيابك فطهِّرْ، والرُّجْز فاهجُرْ، ولا تمْنُنْ تسْتكْثرْ، ولربِّك فاصْبِرْ﴾ ثم تتابع الوحي" فكان الوحي الأول ﴿ إقْرأْ باسْم ربِّك﴾ وحي تنبيء، أما الوحي الثاني ﴿يا أيُّها المُدَّثِّرْ﴾ فكان وحي إرسال وتكليف بالدعوة لله تعالى تبشيراً وإنذارا.

- ابتداء فرض الصلاة مع تعليم الوضوء:

وافترضت الصلاة على الرسول ﷺ فصلى، أما كيفية أدائها فذكر ابن إسحاق بسنده عن عائشة رضي الله عنها قالت: "افترضت الصلاة على رسول الله ﷺ أول ما افترضت عليه ركعتين ركعتين، كل صلاة، ثم إن الله عز وجل أتمها في الحضر أربعاً، وأقرها في السفر على فرضها الأول ركعتين.

وذكر أن الصلاة حين افترضت على رسول الله ﷺ أتاه جبريل وهو بأعلى مكة، فهمز له بعقبه في ناحية الوادي، فانفجرت منه عين، فتوضأ جبريل عليه السلام، ورسول الله ينظر إليه ليريه كيف الطهور للصلاة، ثم توضأ رسول الله ﷺ ، كما رأى جبريل توضأ، ثم قام به جبريل فصلى به. وصلى رسول الله ثم انصرف جبريل عليه السلام.

فجاء رسول الله ﷺ خديجة فتوضأ لها ليريها كيف الطهور للصلاة، كما أراه جبريل فتوضأت، كما توضأ لها رسول الله عليه الصلاة والسلام، ثم صلى بها كما صلى به جبريل فصلت بصلاته".

- رؤية الرسولﷺ وهو يؤدي الصلاة عملياً:

روى الإمام أحمد عن إسماعيل بن إياس بن عفيف الكندي عن أبيه عن جده قال: كنت امرءًا تاجراً فقدمت الحج، فأتيت العباس ابن عبد المطلب لأبتاع منه بعض التجارة، وكان امرءاً تاجراً، فوالله إني لعنده بمنى إذ خرج رجل من خباء قريب منه، فنظر إلى الشمس فلما رآها مالت قام يصلي، قال: ثم خرجت من ذلك الخباء امرأة، فقامت خلفه تصلي، ثم خرج غلام حين راهق الحلم من ذلك الخباء، فقام معه يصلي قال:فقلت للعباس : من هذا يا عباس؟ قال: هذا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ابن أخي، قال: فقلت للعباس: من هذا يا عباس؟ قال: هذا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ابن أخي، قال: فقلت من هذه المرأة؟ قال: هذه امرأته خديجة ابنة خويلد، قال فقلت فما هذا الذي يصنع؟ قال: يصلي، وهو يزعم أنه نبي، ولم يتبعه على أمره إلا امرأته وابن عمه هذا الفتى، وهو يزعم أنه يفتح عليه كنوز كسرى وقيصر قال: فكان عفيف - وهو ابن عم

الأشعث بن قيس – يقول: وأسلم بعد ذلك وحسن إسلامه – لو كان الله رزقني الإسلام يومئذ فأكون ثالثا مع علي بن أبي طالب" نقلا عن الأساس في السنة، السيرة ٢١٨/١.

قال ابن إسحاق: وذكر بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ كان إذا حضرت الصلاة خرج إلى شعاب مكة، وخرج معه علي ابن أبي طالب مستخفيا من أبيه أبي طالب ومن جميع أعمامه وسائر قومه، فيصليان الصلوات فيها، فإذا أمسيا رجعا فمكثا ذلك ما شاء الله أن يمكثا، ثم إن أبا طالب عثر عليهما يوما وهما يصليان، فقال لرسول الله ﷺ : يا ابن أخي ما هذا الدين الذي أراك تدين به؟ قال: أي عم هذا دين الله، ودين ملائكته، ودين رسله، ودين أبينا إبراهيم، بعثني الله به رسولاً إلى العباد، وأنت أي عم أحق من بذلت له النصيحة، ودعوته إلى الهدى، وأحق من أجابني إليه، وأعانني عليه ، وأو كما قال، فقال أبو طالب: أي ابن أخي، إني لا استطيع أن أفارق دين آباءي وما كانوا عليه، ولكن والله لا يُخْلَصُ لك بشيء تكرهه ما بقيت.

وذكروا أنه قال لعلي: أي بني، ما هذا الدين الذي أنت عليه؟ فقال: يا أبت آمنت بالله، وبرسول الله، وصدقته بما جاء به، وصليت معه لله واتبعته فزعموا أنه قال له: أما إنه لم يدعك إلا إلى خير فالزمه.

- الدعوة السرية أو الدعوة الخاصة:

تسمى هذه الفترة بفترة الدعوة السرية بين كُتّاب السيرة، نظراً لإخفاء الدعوة للدين الجديد، ولتكتم المستجيبين للدعوة والتدين بمبادئها وعقيدتها. كما تعتبر دعوة خاصة نظرا لعرضها على خاصة الناس من الأقربين وأهل الثقة، وعدم عرضها على العموم، ولم نجد نصا في القرآن الكريم يلزم الرسول ﷺ بسلوك هذا المنهج، ولكن مما لا شك فيه أن الله تعالى ألهم رسوله لاتباع هذا الأسلوب ضماناً لنجاح دعوته، وحرصا على سلامتها من التعثر في أول الطريق.

ومدة هذه المرحلة هي المسافة بين نزول قوله تعالى: ﴿يَا أيها المدثر..﴾ وقوله : ﴿فاصدع بما تؤمر...﴾ وهي مسافة زمنية يكاد كتّاب السيرة يتفقون على أنها ثلاث سنوات يقول ابن إسحاق: "ثم إن الله عز وجل أمر رسوله أن يصدع بما جاءه منه، وأن ينادي الناس بأمره، وأن يدعو إليه، وكان بين ما أخفى رسول الله ﷺ أمره واستتر به إلى أن أمره الله تعالى بإظهار دينه ثلاث سنين – فيما بلغني – من مبعثه " السيرة لابن هشام.

"وكان أصحاب رسول الله ﷺ في هذه المرحلة، إذا صلوا ذهبوا في الشعاب، فاستخفوا بصلاتهم من قومهم، فبينا سعد ابن أبي وقاص في نفر من أصحاب رسول الله في شعب من شعاب مكة، إذ ظهر عليهم نفر من المشركين، وهم يصلون فنادوهم، وعابوا عليهم ما يصنعون، حتى قاتلوهم، فضرب سعد ابن أبي وقاص يومئذ رجلا من المشركين بلحي بعير – العظم الذي تنبت عليه لحية الإنسان – فشجه، فكان أول دم أريق في الإسلام " ابن هشام.

- المسلمون الأولون :

إسلام خديجة بنت خويلد التي بشرها الله بالجنة:

قال ابن إسحاق : "وآمنت به خديجة بنت خويلد، وصدقت بما جاءه من عند الله، وآزرته على أمره – ساندته – وكانت أول من آمن بالله ورسوله،

يصفونها فيقولون: (المسجد الجامع) وآونة يضيفونها إلى الصفة فيقولون: (مسجد الجامع) ثم تجوز الناس بعد .. واقتصروا على الصفة فقالوا: (المسجد الكبير) والذي تصلى فيه الجمعة. وإن كان صغيراً قالوا: (الجامع) لأنه يجمع الناس لوقت معلوم.

وأول مسجد بني في الإسلام هو مسجد قباء . الذي يقال له: مسجد التقوى.

لقوله تعالى في سورة التوبة : ﴿ لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه ﴾ .

والمساجد في الأرض بيوت الله، جعلت لتكون مكان عبادة، يعبد فيها سبحانه وتعالى وحده، ولا يعبد فيها غيره.. قال تعالى في سورة الجن: ﴿ وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً ﴾.

والمساجد أشرف البقاع عند المسلمين، وأقربها إلى نفوسهم، وأروحها على قلوبهم، يهرعون إليهاخمس مرات في اليوم، يؤدون الشعائر، ويقيمون الصلوات.. قال تعالى في سورة النور : ﴿ في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب﴾ .

ولما كانت نظرة الإسلام إلى الحياة نظرة عامة وشاملة، من حيث اعتبارها محراباً واسعاً، يعبد الله في كل أرجائـــه.. كانت بيوت الله مصـــدراً طبيعياً لكل مناشط الحياة الصحيحة البناءة، حتى تخرج إلى الدنيا مشرقة مضيئة مباركة، مبتغى بها وجه الله.

ومن فضل المسجد أنه كان يتخذ مركزاً للثقافة الإسلاميـــة في أوسع معانيها، واختلاف ضـــروبها . وذلك أمر طبيعي. لأن السبيل إلى الثقافة قد بدأ بكلمة (إقرأ) وكلمة (إقرأ) تعني الإسلام وما فيه من تكامل، وشمول، وحيوية، وحركة، وحضارة وعلم، ومعرفة.

ولا يخفى. أن الباعث الأكبر على نشر العلم كان دينياً. ولهذا كان طبيعياً أن تكون أماكن العبادة مدارسه، وبيوت الله معاهده. وأن يقوم العلماء والأئمة بمهمة التعليم في حلقات، ومجالس.

وقد بوب البخاري في صحيحه : (باب الحلق والجلوس في المسجد) .

فإذا كان المسجد أفضل مكان للصلاة والإعتكاف. فهو أيضاً أفضل مكان لمدارسة القرآن، وتعلم أحكام الله، وسنة النبي الصادق الأمين. لأن الوافد على المسجد مقبل على الله بقلبه، وجميع جوارحه

عن أبي هريرة رضى الله عنه. أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه فيما بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده) .

والأمر في كلمة (إقرأ) يفيد القصد، والاستمرار. قصد ما يقرأ، والاستمرار فيه والقصدية، والاستمرارية التي وجدت في كلمة إقرأ، والتي كانت أول كلمة يسمعها الرسول صلى الله عليه وسلم من وحي السماء، لم تتوفر في كلمة (إعلم أو تعلم) لأن العلم يعني الوقوف عن المعلوم، بخلاف اقرأ فهي دلالة على العلم والمعرفة وما يدفع إليهما، وما يدور حولهما.

وجاء الإسلام وفي قريش سبعة عشر رجلاً كلهم يكتب.. غير أن هذا لم يكن عاماً حتى ظهور القرآن. لذلك كان الرسول صلى الله عليه وسلم يشجع التعليم بعمله وقوله.. وقد كان يطلق سراح الأسرى المتعلمين من الكفار، إذ علموا بعض السلمين القراءة والكتابة، حرصا من الرسول صلى الله عليه وسلم على ذيوع

وصدق بما جاء منه، فخفف الله بذلك عن نبيه، لا يسمع شيئا مما يكرهه من رد عليه، وتكذيب له، فيحزنه، ذلك إلا فرج الله عنه بها، وتصدقه وتهون عليه أمر الناس رحمها الله تعالى".

وبهذا السبق استحقت رضي الله عنها أن تكون أول مبشرة بالجنة، قال رسول الله ﷺ : "أمرت أن أبشر خديجة ببيت من قصب لا صخب فيه ولا نصب" وقال ابن هشام: "وحدثني من أثق به أن جبريل عليه السلام أتى رسو الله ﷺ فقال: أقرئ خديجة السلام من ربها، فقال رسول الله ﷺ يا خديجة هذا جبريل يقرئك السلام من ربك، فقالت خديجة: على الله السلام، ومنه السلام وعلى جبريل السلام" سيرة ابن هشام .

إسلام باقي السابقين :

ثم أسلم علي بن أبي طالب، وهو ابن عشر سنوات، واسلم زيد ابن حارثة الذي كان الرسول ﷺ قد تبناه قبل البعثة، وأسلم أبو بكر الذي تحرك بالدعوة بعد أن أظهر إسلامه، حيث أسلم على يده: عثمان بن عفان، والزبير بن العوام، وعبد الرحمان بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وطلحة بن عبيد الله، فجاء بهم إلى رسول الله ﷺ فأسلموا وصلوا، وكان رسول الله ﷺ يقول: "ما دعوت أحدا إلى الإسلام إلا كانت فيه عنده كبوة - تعثر - ونظر وتردد، إلا ما كان من أبي بكر، فإنه ما عكم - تأخر وتريث وتلبث - عنه حين ذكرته له، وما تردد فيه .

يقول ابن إسحاق : "فكان هؤلاء النفر الثمانية الذين سبقوا الناس بالإسلام، فصلوا وصدقوا رسول الله ﷺ بما جاءه من الله".

ثم أسلم أبو عبيدة بن الجراح وأبو سلمة، والأرقم، وأبناء مظعون (عثمان بن مظعون وأخواه: قدامة وعبد الله)، وعبيدة ابن الحارث بن المطلب، وسعيد بن زيد بن عمرو وامرأته فاطمة بنت الخطاب، أخت عمر بن الخطاب، وأسماء بنت أبي بكر، وعائشة بنت أبي بكر، وهي يومئذ صغيرة، وخباب بن الأرت، وعمير بن أبي وقاص أخو سعد، وعبد الله بن مسعود حليف بني زهرة ومسعود بن القاري، وسليط بن عمرو، وأخوه حاطب ابن عمرو، وعياش بن أبي ربيعة، وامرأته أسماء بنت سلامة، وخنيس بن حذافة بن عدي، وعامر بن ربيعة، حليف آل الخطاب، وعبد الله بن جحش، وأخوه أبو أحمد بن جحش، وجعفر بن أبي طالب، وامرأته أسماء بنت عميس، وحاطب بن الحارث، وامرأته فاطمة بنت المجلل، وأخوه حطاب بن الحارث، وامرأته فكيهة بنت يسار، ومعمر بن الحارث - أخو حاطب وحطاب، والسائب بن عثمان بن مظعون، والمطلب بن أزهر، وامرأته رملة بنت أبي عوف، والنحام، واسمه: نُعَيْمُ بن عبد الله بن أسيد، وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر الصديق، وخالد بن سعيد بن العاص، وامرأته أميمة بنت خلف، وحاطب بن عمرو، وأبو حذيفة، واسمه: مهشم بن عتبة بن ربيعة، وواقد بن عبد الله، كما أسلم خالد، وعامر، وعاقل، وإياس بنو البكير بن عبد الليل. وأسلم عمار بن ياسر حليف بني مخزوم، وأسلم صهيب بن سنان الذي كان يطلق عليه "الرومي لأنه كان أسيراً في أرض الروم" فاشتري منهم، وجاء في الحديث عن النبي ﷺ "صهيب سابق الروم".

[يتبع]

☆ ☆ ☆

الموت : ذلك الهادم للذات ، والمفرق للجماعات

بقلم · معالي الشيخ عبد العزيز بن عبد الله السالم
الرياض / المملكة العربية السعودية

نحن في دنيانا هذه تملأ أنفسنا آمال كبيرة وطموحات واسعة . لكن الدنيا مع اتساعها فإنها لا تستوعب كل أحلامنا ولا جميع طموحاتنا. ذلك أن الوقت يمضي بأسرع مما نتصور ويجري أكثر مما نقدر ، ونركض وراءه وهو لا يستوعبنا فتظل أحلامنا أطيافاً تتراءى لنا من بعيد ولا تتحقق من قريب لأنها بعيدة المنال صعبة التحقيق، والزمن الذي يؤطّرها محدود بعمر تنحسر عنه الطموحات وتتلاشى حوله الآمال لأنه عمر قصير مهما بدا طويلاً في النظرة القاصرة، والأعمار في ذاتها تحسب بالإنجاز لا بالأعوام فكثيرون طالت أعمارهم وامتدت آجالهم فما أضافوا إلى الإنسانية جديداً مفيداً ولا حققوا لأمتهم أعمالاً طيبة تذكرهم بها، وفي الجانب الآخر كانت هناك إضاءات لعدد قليل من العباقرة وأرباب المواهب حققوا أمجاداً لأممهم ومنجزات باهرة لمنفعة البشرية، وبتلك الأمجاد والمنجزات سجلوا أسماءهم في صفحات التاريخ كأعلام لهم مكانتهم وتاريخهم، وذلك لأنهم قد عملوا جاهدين على توظيف كل طاقاتهم وعبقرياتهم في سبيل الإنجازات المرموقة والخدمات الإنسانية المهمة.

* * *

وحينما نتأمل واقعنا نجد أننا في وضع يحتاج إلى مراجعة ، فإنها تمر بنا الساعات وتمضي السنوات وتنطوي الأعمار ونحن عنها غافلون. شغلتنا دنيانا ولم تتسع أعمارنا لحاجاتنا ولم تستوعب أوقاتُنا أعمالنا، فتظل الأيام راكدة في حياتنا باهتة في أنظارنا، ولا نُراجع أنفسنا إلاّ عندما يحين وقت رحيل أحدنا. حينئذ تستيقظ ذاكرتنا التي ران عليها الإهمال وعلاها الصدأ وبهتت بعدم الاستعمال، فأصبحت أمامنا الأيام قاتمة مقلقة حينما نُصدم بنبأ وفاة قريب حبيب أو صديق وفيّ.. عند ذلك تتحول الساعات المضيئة بالضحكات ومظاهر السرور إلى جو مكفهر يطفح بالعبوس والأسى تترجمه المشاعر العميقة ويرتسم على الوجه الذاهلة لمداهمة المصيبة، ومهما حاول المرء استحضار صورة تقريبية للرحلة التي تؤدي به إلى المصير الموعود، ومهما حاول كذلك استعادة ذكرياته الماضية وما فرّط في حياته من فرص سانحة تسعده في آخرته، فإنه يبقى مشدوداً إلى الدنيا بأسباب تافهة وخيوط واهية، وحينما يصاب بفقد مَنْ هو قريب إلى قلبه وموضع حبه تعتصر قلبه موجات من الأحزان لا يستطيع السيطرة عليها ولا التحكم فيها، وسيّد البشر صلى الله عليه وسلم عند وفاة ابنه ابراهيم الذي كان شديد الحب له كان أثبت الخلق عند موت ابنه الحبيب فقد جاء في صحيح البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال :

" دخلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي سيف القين(١) وكان ظئراً (٢) لإبراهيم عليه

السلام فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ابراهيم فقبّله وشمّه، ثم دخلنا عليه بعد ذلك وابراهيم يجود بنفسه فجعلتْ عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم تذرفان، فقال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: وأنت يا رسول الله ؟ فقال يا ابن عوف : إنها رحمة، ثم أتبعها بأخرى، فقال صلى الله عليه وسلم. إنّ العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول إلا ما يرضى ربُّنا، وإنا لفراقك يا إبراهيم لمحزونون" .. وكذلك تكون حال المؤمن عندما يستشعر غصة الفراق حين غياب من يحب ويتملّكه الحزن الشديد لكنه لا يلبث أن يعود إلى إيمانه العميق يستلهم ربه العظيم ويقتدي برسوله الأمين صلى الله عليه وسلم في حزنه على ابنه إبراهيم، فيعبر عن حزنه بالبكاء الهادئ ولا يقول إلاّ ما يرضى عنه الرب تبارك وتعالى، فيطلب منه سبحانه الثبات على الإيمان والعون على تحمل المصيبة، فأقدار الله عز وجل متحققة بمشيئته سواء أجزعنا أم صبرنا مالنا من محيص، ومنْ رضي فله الرضا ومن الله الأجر المدّخر، ومنْ سخط فله السخط ولا يضرّ إلاّ نفسه، والله تعالى قد بشر الصابرين في كتابه العزيز برضاه ورحمته سبحانه وهو وعد كريم من رب عظيم فقد قال جل جلاله: ﴿الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنّا لله وإنا إليه راجعون ۞ أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون ﴾(٣)

* * *

والموت يزور المخلوق مرة في العمر فيصطحبه معه صحبة لا عودة منها لأهله وداره وصحبه ومجتمعه، فإذا فارقت الروح الجسد وانتهى الأجل المحدّد للبقاء في هذه الدنيا كان الرحيل المحتوم الذي لا بد من حصوله ولا مفر منه : ﴿قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت ﴾ (٤).. والدنيا عندما يتأملها الإنسان يجدها في واقعها أشبه برحلة يقطعها في وقت قصير في مساره نحو رحلته الأبدية التي تقوده إلى النهاية الحتمية، وهي حقيقة لا نجهلها ولكننا نتجاهلها حتى يداهمنا هادم اللذات ومفرّق الجماعات، وساعتها يندم المرء على ما فرّط في طاعة الله حيث أطلق لغرائزه العنان وظل يسوّف ويماطل في أداء العبادات، وعندما يحين الأجل وتقترب ساعة الرحيل يكون منه الندم الشديد الذي لا يفيد، وهو حينما يعاني سكرات الموت في احتضاره يشاهد الملائكة في حضرته يراهم وحده ولا يراهم الجالسون حوله من أهله وأصدقائه وذلك مصداقاً لقول الله تبارك وتعالى: ﴿ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون﴾(٥) والرسول المصطفى صلى الله عليه وسلم قال : لقّنوا موتاكم لا إله إلا الله، وذلك لكي يكون آخر ما يقوله في الدنيا كلمة التوحيد التي هي أساس الدين وعماده، وفي حديث رواه عثمان رضي الله عنه قال : "كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه الصلاة والسلام فقال: استغفروا لأخيكم وسلوا له الثبات إنه الآن يُسأل.. وإذا كان الجسد يبلى في التراب ويفنى فإن الروح باقية لا تبلى ولا تفنى، وإنما تنعّم أو تعذّب بحسب ما كان عليه صاحبها من صلاح أو عكس ذلك حتى تعود إليه يوم ينفخ في الصور ويحشر الناس إلى ربهم في صعيد واحد كل يرى ما أمامه بقدر عمله، فالمحسنون يسعى نورهم بين أيديهم ويأخذون كتبهم بأيمانهم، والمفسدون في الأرض يعانون الضيق والفزع والحسرة ويأخذ كل منهم كتابه بشماله، وفي هذا الموقف العصيب يتحدد الحساب وتنصب الموازين العادلة: ﴿فأما إن كان من المقربين ۞ فروح و ريحان وجنّة نعيم ۞ وأما إن كان من أصحاب اليمين ۞ فسلام لك من أصحاب اليمين ۞ وأما إن كان من المكذّبين الضالين ۞ فنزل من حميم ۞ وتصلية جحيم﴾(٦).. وفي الحديث أن رسول الله صلى الله

عليه وسلم قال: "مَنْ أحبّ لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه" فقالوا كلنا نكره الموت يا رسول الله فقال: "ليس ذاك بذاك. إنّ المؤمن إذا فُرج له عما هو قادم عليه أحبّ لقاء الله وأحب الله لقاءه".. وبهذا القول السديد فسر عليه الصلاة والسلام موقف العبد من الموت وأن المؤمن يرجو ما عند الله تعالى فلا يجزع عندما ينتهي أجله وهو يستقبل مصيره الذي لابد أن ينتهي إليه مهما امتد به العمر. أما من أساء فلم يؤمن بربه فإنه يكره لقاءه لأنه يدرك سوء مصيره.. ومعلوم أن الإسلام دين السماحة واليسر والعمل والإنتاج لا كهانة فيه ولا رهبانية فقد دعا إلى العمل في الدنيا والعمل للآخرة معاً، وجمع بين المادة والروح فطلب من العبد أن يُحسن كما أحسن الله إله وأن لا ينسى نصيبه من الدنيا، فلا انقطاع للدنيا دون الاستعداد للآخرة ولا عُزلة وانقطاع عن الدنيا كما يفعل بعض غلاة المتصوفة وأتباعهم من الذين يأكلون من كدح غيرهم ويعيشون حياتهم على نفقات سواهم. هؤلاء العاطلون عن العمل الذين اكتفوا بالقعود على موائد الآخرين وارتضوا التواكل والكسل.

والدّين يوجب العمل ويشجع عليه والرسول القدوة وجّه أفراد أمته صلى الله عليه وسلم عندما قال: "لو قامت القيامة وفي يد أحدكم فسيلة (صغيرة النخل) فليغرسها" وهذا توجيه نبوي كريم للمسلمين بأداء العمل من الفرد حتى لو كان في نهاية عمره فإنه يزرغ لغيره ليكمل دوره سواه من العاملين، ولا يتعارض أداء العمل الدنيوي مع أداء الواجب الأخروي، والمؤمن يعرف كيف يوازن بين مطالب حياته العاجلة ومتطلبات حياته الآجلة، وعلى هذا المنوال كان حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال: "للموت نُذُر قبله. لقد أعذر الله تعالى إلى عبد أحياه حتى بلغ ستين أو سبعين سنة. لقد أعذر الله إليه. لقد أعذر الله إليه" رواه البخاري ومسلم، والذي يبلغ مثل هذا العمر ما بين الستين والسبعين عليه أن يهيئ نفسه للرحيل فكيف بمن تجاوز هذه المرحلة من العمر ولا يزال يتمادى في جمع المال للورثة. مع غياب رؤيته للحد الفاصل بين دنياه التي أفنى عمره من أجلها وأخلص لها وتفانى فيها، وأُخراه التي نسيها زمناً كان عليه أن يُعدّ فيه نفسه لمواجهة مصيره الذي من المحتم أن ينتهي إليه والذي لا يستطيع حين بلوغه إضافة جديد إليه حين يفارق الحياة.

ولعل من أتفه ما قرأت عن الموت هذا البيت الذي يقول صاحبه :

والموت نقّاد على كفّه
دراهم يختار منها الجياد

مضمون هذا القول في ظاهره كأن الموت يختار المتميزين الأخيار ويتجاهل السيئين الأشرار، وملك الموت لا يقبض روح أحد إلا بأمر الله عز وجل الذي حدد لكل مخلوق أجله، فقبْض الروح مرهون بأجل مسمى لا بسلوك الفرد. لذلك يموت الطيب والسيئ. لكنّ الشعور هو الذي يختلف عند فقد الأخيار عنه في فقد الأشرار. لأن الأخيار يتركون وراءهم سمعة طيبة وفراغاً لا يسده سوى أخيار مثلهم. في حين أن الأشرار يرتاح الناس لموتهم، والشعور هنا يتحدد في النظرة إلى سلوك الميت لا إلى دور الموت.

نخشى الموت ونرهبه ونفزع من مجرد ورود إسمه وتداول ذكره بيننا، وذلك بحكم ما ركّب في طبيعتنا من حب الدنيا وطول الأمل، ولو تساءلنا: لماذا هذا الموقف من حدث حتمي الوقوع مرتقب الحدوث لما وجدنا أجابة شافية؟ لأننا لانملك ردّه ولا الوقوف أمامه ولا التحكم في مساره بأي صورة من الصور أو على أي وجه من الوجوه، فالذي يملك تدبيره وتقديره هو الواحد القهار الذي خلق الموت والحياة

ليبلو البشر أيهم أحسن عملاً، وماذا يفيد الفرار من الموت إذا كان قدراً مقدوراً لا محيد عنه ولا مفر منه: ﴿قل إنّ الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم﴾ (٧) .. والفرار منه يتمثل في ممارسات كثيرة يحاول فيها الفرد الإبقاء على نفسه أملاً في عمر مديد كما يحاول أن يتحاشى الموت ويتفاداه في صور كثيرة من تصرفاته، فيستخدم كل الوسائل التي يظن أنها تنجيه من غائلة الموت أو تؤجله عنه، ويظن أن تفاديه سوف يحميه من المصير المحتوم، وما علم أنه إذا انتهى الأجل فمن المحال إطالته لحظة واحدة: ﴿إنّ أجل الله إذا جاء لا يُؤخر لو كنتم تعلمون﴾.

فالذي يخشى السفر بالطائرة أو ركوب البحر خوفاً على نفسه سوف يلقى حتفه بوسيلة أخرى ليست مما قد يتوهم حصولها أو يفكر فيها، وقد تكون الوسيلة التي قضى الله تبارك وتعالى عليه بأن تكون وفاته بسببها أو من خلالها لم تكن تخطر بباله على الإطلاق. ومن الطرائف التي تُروى في هذا الصدد ولعلها تروى ربما للعبرة: أنه في عهد نبي الله سليمان عليه الصلاة والسلام الذي سخر الله له كل شيء حتى الريح تجري رخاءً بأمره، والحكاية المروية هنا تقول: ان عزرائيل عليه السلام جاء إلى النبي سليمان في مجلسه ووجد عنده رجلاً أمر بقبض روحه في الصين وعجب من وجوده في مجلس سليمان وسرعان ما افتقده فسأل نبي الله سليمان عليه السلام عن الرجل فقال له: إنه خشية الموت طلب أن تحمله الريح إلى الصين وأنه أمرها أن تحمله إلى هناك فقال عزرائيل: إنما أمرت أن أقبض روحه في الصين، ثم لحق به ليقبض روحه في ذلك المكان الذي يظن أنه سيجد فيه ملاذاً عن الموت أو مهرباً منه.

• • •

والعجيب أن هذه الدنيا التي يتمسك بها الإنسان ويتفانى فيها ويتشبث بها بكل ما يملك من قوة وما يستطيع من جهد: عندما جاء إليها في مستهل حياته وليداً استهل قدومه إليها صارخاً مستوحشاً منها كأنما يشكو متاعبها التي سوف يلقاها فيها قبل معرفته بها وانغماسه في تياراتها، ولكنه ما إن يمكث فيها جزءاً من عمره ويندمج في مجتمعاتها حتى يحبها ويتهالك في حبها ويجند كل قواه الذهنية والمادية للتمهيد للبقاء بها أطول مدة ممكنة. حتى لو بلغ من العمر عتياً وأصابته الأمراض وأقعدته الأسقام وعاش عيشة نكدة وناله الكرب والإحباط الشديد وعانى الفقر وشظف العيش وكانت حياته لوناً من الشقاء المتصل والهوان المقيت، فإنه مع كل ذلك يظل وفياً لدنياه متمسكا بقائه فيها ولو أن ما عند الله له خير وأبقى، ولكنها غريزة حب الارتباط بالأرض وأثر تركيبته الدنيوية، وكان من نتائج ذلك تكريس ارتباطه بالتراب الذي خُلق منه وسيعود إليه، وهو في نظرته هذه كأنما انتقاله من الدنيا وضعٌ قابل للتأجيل أو أمر يمكن طرحه للنقاش، ولعل السبب المباشر في التخوف من الانتقال من الدار الفانية إلى الدار الباقية يرجع في ذاته إلى أن الفرد الذي لم يُحسن في دنياه ولم يتعامل مع الله تبارك وتعالى في عبادته فيؤديها كما يجب أن تؤدّى وكما يرضى الله سبحانه أن تُؤدّى. لذلك يتخوّف من المصير الذي سينتهي إليه ويوجس خيفة مما هو مقدم عليه، لأن العمل الصالح يؤنس المسلم في رحلته الأخيرة من هذه الدنيا ويأمل في رحمة الله التي وسعت كل شيء، ولكن الفرد الذي لم يمهد السبيل لنفسه ولم يهتم بتقديم ما يضيء طريقه إلى أخراه يصاب بالفزع من الموت والقلق من حتميّة المصير، ويظل مشفقاً من مواجهة النهاية التي سوف ينتهي إليها وهو يجهلها، ولا يركن إلى ما قدّم من عمل لأنه صرف كل جهوده واستهلك جميع أوقاته لدنياه ولم يخصص منها ما يمكن أن يضيفه لآخرته، فهو في وجل شديد واشفاق كبير لأنه كرّس حياته

لحاضره ونسي الاهتمام بمستقبله الذي إليه مآله ومنتهاه .

* * *

والاندفاع في التيارات الدنيوية وتجنيد كل اهتماماتنا من أجلها وفي سبيلها مما يفقدنا التفكير الجدي في مصيرنا الذي سوف ننتهي إليه في دار الخلود، فحياتنا وقتية والانتقال واقع مؤكد عاجلاً أو آجلاً لكنه أمر محتم الوقوع، وسوف نحاسب بعد الرحيل من هذه الدنيا على ما أجترحناه فيها ولا يبقى لنا إلاّ ما قدمناه لآخرتنا، والإنسان يعاني المتاعب منذ مستهل حياته في دنياه فلا يجمع إلى متاعبه هنا متاعب أخرى هناك.. والشاعر ابن الرومي يصوّر شقاء الفرد في الدنيا منذ ولادته فيرسم لنا هذه الصورة الواقعية من الطفولة حتى الشيخوخة على هذا النحو:

لما تؤذن الدنيـا بـه من صروفهـا
يكــون بكاء الطفــل ساعة يولد
وإلاّ فمـا يبكيــه منهـا وانهـا
لأفسح ممـا كان فيــه وأرغــد
إذا أبصـر الدنيـا استهل كانـه
بما سوف يلقى من أذاهـا يُهـدد
وللنفس أحـوال تظـل كأنهـا
تشاهــد فيها كلّ غيب سيشهــد
محار (٨) الفتى شيخوخة أو منيّة
ومرجوع وهَّاج المصابيح رمدد(٩)

يجسد الشاعر في هذه الأبيات من قصيدة طويلة ــ صورة الإنسان مولودًا صغيراً وكأنما كان يختزن في احساسه الطفولي منذ تكوينه هذا الشعور فتكون صرخته باكيا وهو يهبط إلى دنيا المتاعب والمصائب، وكأنه يعبّر ببكائه الذي استهل به وفادته إلى هذا العالم: شكواه مما سوف يواجهه في مستقبل أيامه.. وطبيعة الحياة تفرض في مراحلها المتعددة تحولات متنوعة في مراحل متتابعة يبدأ الإنسان فيها طفلاً ضعيفاً محتاجاً إلى الرعاية والمساندة ثم يكون شاباً مستكمل القوة يفيض بالحيوية والنشاط، وبعد رحلة زمنية قصيرة يعود إلى شيخوخة يستعيد فيها ضعفه الذي يكاد يحاكي فيه مرحلته الطفولية وهذه المرحلة تمثل البوابة التي يودّع من خلالها الحياة... وقد تنبه الشاعر ابن الرومي إلى هذه الحقيقة فرسمها على النحو السالف الذي جسد فيه أثر كل مرحلة زمنية في الفرد ووضع هذا التشبيه الرائع للفارق بين تألق الشباب وخفوت الشيخوخة فوصفهابالمصابيح التي تتوهج وبعدما تستوفي عمرها تخفت هذه المصابيح المضيئة ثم تنطفئ، وهكذا يتقدم العمر بالفتى وتحل الشيخوخة محل الفتوّة ويكون الوهن بعد الحيوية، وكــذلك حيــاة المــرء تصاب بالذبــول والضعف والتلاشي وبهذا يكون انطفاء حياة الإنسان.

* * *

وإذا كانت الشمس تشرق ثم تغيب فإن حياة الفرد كذلك تشرق وتغيب، ولاشك أن اشراقة الحياة تستقبل بالبهجة والاغتباط ممثلة في استقبال الوليد في حين أن غيابها يقابل بالحزن والوجوم في حالة فقد عزيز، ولعل الحزن يكون أوقع في النفس من السرور لأن للمصيبة تأثيراً أكبر من تأثير الابتهاج لما يحدثه أثرها من صدمة للمشاعر، وفي هذا الصدد يؤكد أبو العلاء المعري في نظرته إلى هذا الواقع: مواجع الحزن وكآبة المصيبة وأنها تتفوق في عنفها على مظاهر الفرح حيث يقول :

إنّ حــزنــاً في ساعــة المـوت
أضعاف سرور في ساعة الميلاد

فإذا كان للبهجة متسع في ساحة الأحاسيس فإنها تتسع بنسبة أكبر للحزن وإذا كانت مصادر السرور تتمثل في منصب مرموق أو نجاح في عمل أو تفوق في علم أو أي مصدر للابتهاج فأن مصادر الحزن متعددة بحسب البواعث الكامنة في أسبابه

ودواعيه، فقد يكون مردّه الاخفاق في دراسة أو الفشل في عمل أو الخسارة في تجارة أو زوال منصب أو فراق قريب حبيب في رحلة لا يُرجى منها عودة، فإن الحزن يتضاعف ويتعمق في النفس وتشتد الحسرة بقدر عظم المصيبة وأهمية مكانة الفقيد في نفس المصاب وقربه من قلبه، لا سيما إذا كانت روابط التلاحم والتواصل متينة بين الراحل ومحبيه من ذوي قرباه، وتتجسّد الفاجعة وتتحول إلى مأساة بفقد من يحس الإنسان أنه جزء منه، فإذا كان يشعر بلوعة الفراق في الرحلة الدنيوية فكيف يكون وقع الفراق في الرحلة الأبدية؟ ذلك أنه فراق لا عودة فيه ولا رجوع منه، ففراق الموت أشد أنواع الفراق لأنه يؤدي إلى نهاية بعيدة ونتيجة محتومة، وهي رحلة لا انفكاك منها لكل حي ولا رجعة منها لأي راحل، ومن جرى توديعه فسيكون الوداع الأخير، فلا أمل في لقاء في الدنيا بعد الفراق ولا رجاء في عودة بعد مواراته التراب.

والظاهرة التي تلفت الانتباه هنا نراها في مظاهر الحزن المكثّفة بين المسلمين وهي ليست كذلك بين أرباب الديانات الأخرى، وما هو تعليل ذلك مع أن المسلمين كما هو المؤمل يرجون من الله ما لا يرجوه الآخرون؟ لعل مرجع عدم الحزن الشديد عند الغربيين خاصة لأنهم كرسوا جهودهم للحياة المادية فعملوا على صنع جميع وسائل الراحة وجعلوا من دنياهم جنتهم التي تتوافر فيها كل أسباب الرفاهية والمغريات، ولهذا نسوا أنفسهم في خضم تيارات الحياة المادية اللاهية وعكفوا على الملذات الحسية يعبّون منها في نهم مبالغ فيه، فإذا مات منهم ميت لم يجدوا في حياتهم اللاهية وقتاً يضيعونه في الحزن عليه وإنما يمضون في لهوهم واغتنام ساعات العمر على حد تعبيرهم، فهم يعيشون لدنياهم ولا يفكرون في آخرتهم، وقد يشاركهم في هذه النظرة المادية الصرفية الملاحدة من المنتمين إلى الإسلام بالهوية ومن على شاكلتهم ممن حصروا اهتماماتهم في متع الدنيا ووضعوا كل امكاناتهم في خدمتها وأداروا ظهورهم للدين فأنكروا منه ما يعتبر معلوماً بالصرورة.. وكان المظنون أن يسود الفزع والقلق والخوف من الموت هؤلاء الذين لا يضعون للآخرة أهمية في واقعهم فهم يركضون في جميع دروب الحياة مطلقين لغرائزهم العنان وهم عن الآخرة غافلون، وسينالهم وعيد الله تبارك وتعالى : ﴿ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون﴾(١٠)

واللافت للنظراشتداد حزن المسلمين على من يموت وخوفهم من الموت، ولعل سبب الحزن الشديد على الميت يعود إلى متانة الروابط الأسرية وتلاحم أفراد الأسرة الواحدة، لذلك يجيء التعبير في هذا الموقف بعواطف صادقة قد يشتد فيها الحزن بصورة لا تتفق مع الإيمان بقضاء الله وقدره مع أن الفقيد بصلاحه قد يكون ممن أعدّ الله له سعادة أخروية بدل شقاء الدنيا، والمسلم كما يخشى عذاب الله فإنه يرجو رحمته والله قريب من المحسنين.

الهوامش:

(١) القين . الحداد ويطلق على كل صانع.

(٢) الظئر . المرأة التي ترضع وأطلق على زوج المرضعة

(٣) الآيتان . (١٥٦ و ١٥٧) من سورة البقرة.

(٤) الآية (١٦) من سورة الأحزاب.

(٥) الآية (٨٥) من سورة الواقعة .

(٦) الآيات (٨٨ و ٨٩ و ٩٠ و ٩١ و ٩٢ و ٩٣ و ٩٤) من سورة الواقعة

(٧) الآية ٨ من سورة الجمعة

(٨) الحار : الرجوع بمعنى مآل الفتى شيخوخة أو منية.

(٩) رمدد : بكسر الدال المتناهي في الاحتراق ومنه الرماد.

(١٠) الآية ٣ من سورة الحجر.

☆ ☆ ☆

الإسلام و العقلانية

[الحلقة ٤٨]

بقلـــم : الشيخ الجليل المربي الكبير العلاّمة أشرف علي التهانوي
المعروف بـ " حكيم الأمة " المتوفى ١٣٦٢هـ / ١٩٤٣م
تعريب : أبو أسامة نور

التوحيد من القضايا الدقيقة

وإذا كان الجزء الأول من الجملة المذكورة ، قد ثبت خطؤه ، فإنّ الجزء الثاني كونه فاسداً مبنيًّا على الفاسد ثبت بشكل أوضح وأجلى . بل إنّنا نقول : إن التوحيد من القضايا الدقيقة جدًّا ، لا يمكن تلقّيه بشكل مطلوب إلاّ عن طريق الوحي وتعليم النبيّ ﷺ . وذلك لأنّ القضايا الجليّة تقع فيها أيضًا أفهام البشر في أخطاء فاحشة، فكيف بالقضايا الدقيقة أمثال التوحيد وغيره.

أمّا كون التوحيد قضيّة عقليّة ، فمعنى ذلك أن مجرد التوحيد في درجةِ غايةِ الإجمال عقليّةٌ ، كما أن وجود الباري تعالى عقليّ ؛ حيث إنّ أي واحد لا يسلّم أنّ عملاً ما سيتحقق بدون فاعلٍ ، كذلك إنّ عاقلاً لن يسلّم إنّ إلهين اثنين يقومان بإدارة العالم بالتنسيق ؛ لأن الكلّ سيتأكّد أن نظام العالم عندئذ سيفسد كليًّا .

وذلك ما عرضه القرآن الكريم كبرهان التمانع ، فقال:

" لَوْ كَانَ فِيْهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللهُ لَفَسَدَتَا " (الأنبياء/٢٢)

فالتوحيد في درجة الإجمال عقليٌّ ، وما لم يبلغ أحداً تفاصيلُه وشرحه ، وبيان ذاته تعالى وصفاته عن طريق الوحي والنبوة، يكفيه هذا التوحيد المجمل .

أما فيما بعد علوم الوحي المتضمنة للشرح وبيان الحقائق وذكر التفاصيل ، فلا يكفيه الإجمال ولا تجوز لأحد معارضة ما جاء عن طريق الرحي ، وإنّما يجب على الكل أن يتأمّل فيه ويحاول إدراكه ، وإذا أخلص في ذلك فإنّه سيدركه جيّداً ، وستتضح أخطاؤه عليه . ثم من يقول : إنّه يجوز له أن يصرّ على أخطائه بعد ظهورها له .

كيف يجوز التسامح مع الفسقة الفجرة ؟

فالتّساهُلُ الذي يُمارَسُ اليوم مع الفسقة والمتحررين من الدين ، وما يُعْتَقَدُ في نجاتهم ثقةً بأنّهم كانوا قائلين بالتوحيد ، فيُسْتَغْفَرُ لهم ، كيف يجوز ذلك كلّه ، على حين إنّ علوم الوحي منتشرة معلومة مُتَدَاوَلَةٌ اليوم في العالم كله ، والكتبُ في ذلك مطبوعة مُوَزَّعَةٌ ، والمعلّمون الشارحون متوفّرون ومستعدّون لأداء دورهم ؛ كيف يجوز أن ينجوا بالتوحيد المجمل أو التوحيد الخاطئ . إنّ أحداً لن يُسْتَثْنَى بعد بعثة النبي ونزول الوحي من أن لا يفهم التوحيد بتفاصيله.

ولا يصحّ أن يقال : إن المطلوب وهو التوحيد

إذا تحقّق ؛ لا يضرّ الجحــود بغير المطلــوب وهــو النبوة. وكذلك يكون القراء قد أدركوا أن التوحيد عقليّ إلى أي حدّ ؛ فصدورُ كلمة " أنّ مجرد التوحيد كافية " عن فم مسلم ، مبعثُ عجب لا عجب بعده ؛ لأن المسلم عندما يؤمن بالله ، يؤمن بكونه صادقاً ، وكلامُه تعالى يتضمّن إثبات النبوة ، ففيه مئات من الآيات تتحدث عنها ، قد تلونا عدداً منها فيما سبق، كما أن هناك من الآيات ما ينصّ على كون محمد ـــ ﷺ ـــ رسول الله :

" مُحمَّدٌ رَّسُوْلُ اللهِ وَالَّذِيْنَ آمَنُوْا مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحماءُ بيْنهُمْ " (الفتح / ٢٩)

" مَا كانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحدٍ مِنْ رِّجَالِكُمْ و لكِنْ رَّسُوْلَ اللهِ وَ خاتَمَ النَّبِيِّيْنَ " (الأحزاب / ٤٠)

إذا كان المسلم يؤمن بصدق كتاب الله ، لزمه أن يؤمن بنبوّة محمد ﷺ، وإلاّ لزم تكذيبه . وجملــة القــول أنّ تكذيب الرسول هو تكذيب الله .

التنبيه الرابع فيما يتعلق بالقرآن الكريم
وهــو أحــد أصــول الشريعــة الأربعــة

من الحيل الكثيرة التي تُستَخدَمُ للاجتناب من العمل بأحكام الدين ، تلك الحيلة التي يتورّط فيها إخواننا المُثقفون كثـيراً ، وهي أنّهم يطلبون دليل كلّ شيء من أمور الشريعة من القرآن الكريم ، وقد عُلِمَ أنّ كثيراً من الأمور غير منصوصة في القرآن ؛ فيظنون أنّها ليست مـن الـدين ، ويعتقـدون أنهم أحـرار في شأنها ، غير مسؤولين عـن التقيّد بها ، مستـدلّين أن الكتاب الديني المُعَوَّلُ عليـه في الإسلام إنّما هو القرآن، ولما أراد الله أن ينشر الإسلام أودعه القرآن وأنزله على نبيه ، فهو أساس الإسلام الذي ينبني عليه وعماده الذي يقوم عليه ، فإذا أُثبِتَتْ أحكامه بكتابٍ غيره ، لزم كونه ناقصاً وهو كتاب ربّ العالمين . وذلك أمر لا يقرّه العقل ، وهو ضدّ ما ادّعاه القرآن بدوره إذ قال :

" الْيَوْمُ اَكْمَلْتُ لكُمْ دِيْنَكُمْ و اَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِيْ وَ رَضِيْتُ لكُمُ الإِسْلامَ دِيْنًا " (المائدة /٣)

وقد آمن المسلمون كلهم بهذه الآية كما آمنوا بالقرآن كله ، فلماذا يعتمد علماء الإسلام على كتب أخرى غير القرآن فيما يتعلق بأحكام الدين ؛ ولماذا يفرضون هذه الأحكام المستقاة من غير القرآن على المسلمين وهي غير موجودة في القرآن ؟ .

إنّ هذا الخطاب قد يُعجبُ الشارع الإسلامي الأميّ ، وهو ملجم في ظاهره ، ولكنه لا يثبت أمام العقل والدليل

وعلى هؤلاء أن يلاحظوا دائماً أنّ الإسلام قد كمل حقًا ، كما قال تعالى : " اَلْيَوْمَ اَكْمَلْتُ لَكُمْ دِيْنَكُمْ وَ اَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِيْ وَ رَضِيْتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيْنًا " الآية المتلوة آنفًا . وهو لازال كاملاً وسيظل كاملاً . ولذلك فالعلوم الإسلاميّة بلغت من الكمال أن علماء الإسلام لم يَدَعُوا أصلاً أو فرعاً ، أو كليًا أو جزئيًا إلاّ وتناولوه بالنقاش والشرح والتحليل والبيان . ومن هذه العلوم علم أصول الأحكام التي تبحث طريقة ثبوت الأحكام الدينية . وقد أشبعوه بحثاً وتنقيباً . ويوجد لكل أصل من أصول الشريعة الأربعة : كتاب الله ، وسنة رسوله ﷺ ، وإجماع الأمة ، والقياس أبواب في الكتب

المخصصة ، بل كتب كثيرة مفردة ، تبحث حقيقة كل أصل من هذه الأصول ، وتتناول بالبيان كل سؤال وجواب ، ونقاش وأيضاح ، ودلائل الموافقين ومستدلّات المعارضين ، ومن الشبهات ما لا يخطر على قلوب أبناء العصر ، فضلاً عن أن يفهموه.

وهذه الكتب كلها متوفرة في كل مكان يمكن تناولها ، أو فهمها عن طريق عالم من علماء الإسلام . وهنا سيعلمون أن هناك بحرًا موّاجًا لا ساحل له من المعلومات والتفصيلات والتحليلات فيما يتعلق بكل أصل من أصول الدين ، يحار لديها الألباب .

أصول الشريعة أربعة :

خلاصة القول أن علماء الإسلام أثبتوا أن أصول الشريعة أربعة ، يجوز ثبوت حكم شرعي بأحد منها أو بأكثر منه ؛ فهناك أحكام ثبتت بالأصول الأربعة جميعها ، وأحكام لم تثبت إلاّ بأحد منها .

وهذه الطريقة لإثبات الأحكام حقّ عقلاً ونقلاً. وما يزعمه الإخوان خطأ أيُّ خطأ ، وما يطلقونه من التصريحات باطل . وسنثبت خطأه وبطلانه فيما يأتي.

قد أسلفنا أن أصول الشريعة أربعة : كتاب الله، وسنة رسول الله ﷺ وإجماع الأمّة ، والقياس . وإخواننا أبناء العصر لا ينكرون كون كتاب الله حجة شرعيّة ، ولكن ينكر بعضهم حجيّة الأصول الثلاثة غيره ؛ ولكنهم بذلك يمارسون خطأين فيما يتّصل بالقرآن الكريم .

الخطأ الأول أنهم يحصرون الأحكام في القرآن، كما أشرنا إلى تصريحاتهم . والخطأ الثاني أنهم يحاولون أن يوفّقوا بين البحوث العلميّة والقرآن الكريم ، وأن يثبتوا به قضايا العلم . وهذا الصنيع جميل في ظاهره ، ولكنه قائم على غير أساس ، وخاطئ وضارّ ، كما سيأتي إن شاء الله .

ملخص الخطأ الأول الذي يُمَارَسُ في شأن القرآن

وملخص الخطأ الأوّل أن الأحكام الشرعيّة ،إذا كانت منحصرة في القرآن ، فإنّ الدلائل الثلاثة الأخرى لاغية ، أي ينبغي أن لا يجوز بها إثبات حكم شرعيّ ، وما يُثْبَتُ بها من الأحكام ينبغي أن يكون غير قابل للتسليم .

وكون هذه الفكرة خاطئة ثابتٌ بالنصوص التي تصرّح بأن الدلائل ـــ الأصول ـــ الثلاثة أيضاً ليست لاغية . وإنّما هي كذلك فاعلة في ثبوت الأحكام الشرعيّة .

والنصوص قسمان : آيات القرآن والأحاديث . وقد جاء في الحديث أن رسول الله ﷺ قال :

" تركتُ فيكم أمرين لن تضلّوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله وسنة رسوله ﷺ "(١)

فدلّ هذا الحديث بشكل واضح كل الوضوح أنّ الحديث أيضاً قابل للاستدلال ، وليس لاغياً كما يقول أبناء العصر .

وجاء في حديث آخر :

" ألا هل عسى رجل يبلغه الحديث عنّي وهو متّكئ على أريكته ، فيقول : بيننا وبينكم كتاب الله؛ فما وجدنا فيه حلالاً استحللناه ، وما وجدنا فيه حراماً حرّمناه . وإنّ ما حرّم رسول الله كما حرّم الله "

ولأبي داؤود : " ألا وإنّي أُوْتِيْتُ الكتـاب

(١) جمع الفوائد ، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة .

التعليم ونشره بين المسلمين .. وبدا واضحاً بعد أن وضعت الحرب أوزارها في معركة بدر الكبرى حيث كان في الأسرى من يكتب، ولم يكن في الأنصار من يكتب، فكان منهم من لامال له، فيقبل منه أن يعلم عشرة من الغلمان الكتابة، ويخلي سبيله.

ومن هذا ندرك أن علاقة القرآن بالقراءة ليست علاقة اشتقاق فقط . بل هي علاقة تاريخية، لأن تطور القراءة والتعليم والتربية، راجع إلى القرآن، فهناك تسلسل وارتباط، لايستهان بهما..

عن عقبة بن عامر رضى الله عنه قال: خرج علينا رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ونحن في الصفة فقال. (أيكم يحب أن يغدو كل يوم إلى بطحان أو إلى العقيق فيأتي بناقتين كوماوين، في غير إثم، ولاقطيعة رحم)؟.. فقلنا : يارسول اللّه . كلنا نحب ذلك.. قال: (أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد فيتعلم أوفيقرأ آيتين من كتاب اللّه عز وجل خير له من ناقتين، وثلاث، وأربع خير له من أربع ومن أعدادهن من الأبل).

وعن أبي هريرة رضى اللّه عنه أنه مر بسوق المدينة فوقف عليها، فقال: يا أهل السوق ما أعجزكم؟ قالوا: وما ذاك يا أبا هريرة؟ قال: ذاك ميراث رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم. يقسم وأنتم ههنا، ألا تذهبون فتأخذون نصيبكم منه؟ .. قالو: وأين هو؟ قال: في المسجد.. فخرجوا سراعا.. ووقف أبو هريرة لهم حتى رجعوا.. فقال لهم: مالكم؟ فقالوا: يا أبا هريرة قد أتينا المسجد، فدخلنا فيه، فلم نر فيه شيئاً يقسم. فقال لهم أبو هريرة: وما رأيتم في المسجد أحداً؟ قالوا بلى . رأينا قوماً يصلون، وقوماً يقرأون القرآن، وقوماً يذكرون الحلال والحرام.. فقال لهم أبوهريرة، ويحكم فذاك ميراث محمد صلى اللّه عليه وسلم.

فلم تكن المساجد للعبادة وحدها، ولكن كانت تؤدي فيها أعمال مختلفة، فهي مكان للعبادة تقام فيه الصلاة، وتخطب الخطب، وكانت محكمة للتقاضي، ومعهداً للدراسة، بل أكبر معهد.

والتاريخ الإسلامي في مختلف العصور شاهد على أن المساجد أساس الثقافة الإسلامية الصحيحة، التي تستمد كل خصائصها ومقوماتها، من القرآن الكريم، وعلى القرآن تعتمد في صمودها، أمام تحديات كل عصر..

الثقافة الإسلامية التي تنطلق من المساجد تمتد على مساحة الدنيا والآخرة، وهذا الامتداد الزماني، والمكاني الموغل في العمق. جعل الثقافة الإسلامية تختلف عن ثقافات بعضها يتوغل في ماديات الحياة، ثم يضفى عليها مسحة من العبادة والفلسفة، وبعضها الآخر يسلك طريق الحياة الروحية التجريدية.

أما الثقافة الإسلامية، فقد جمعت بين الروح والمادة، ولهذا لاءمت حياة الناس وصارت أكثر إلتصاقاً بالحياة في مفهومها الحقيقي، وصورتها الواقعية، وأصبحت أيضا على اتصال دائم بالبناء الحضاري في كل الشئون.

ولما كان الإسلام دين قيم وضوابط سلوكية، مادية ومعنوية.. كانت الثقافة الإسلامية موجهة ومربية تتصل بحياة الأفراد وحياة الجماعات.. ومن وراء كل ذلك تمتاز الثقافة الإسلامية بأن كل مقوماتها الجوهرية تنبع من وحي الإسلام، ورسالة الإسلام تمدها بالقوة والعطاء، وتوجهها إلى الموازنة بين مطالب الروح، ومطالب البدن.. فهي إذن تختلف عن غيرها من الثقافات، حيث تأخذ في الاعتبار تهذيب الجنس البشري كله والعمل والوصول به إلى الرقي والفلاح.

والثقافة الإسلامية ثقافة حية، تقوم على شمول العقيدة الإسلامية ، في ظواهرها الفردية والجماعية..

ومثلـه معـه " (٢)

وهـذا الحـديث أكثر صراحـة في تخطئة أفكار أبناء العصر

وجاء في حديث ·

" من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً ، فعليكم بسنتي وسنّة الخلفاء الراشدين المهديين " (٣)

إنّ هذا الحديث دلّ على كون آثار الصحابة أيضاً قابلة للاستدلال إلى جانب أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلّم .

واحترازاً من الإطالة نكتفي بهذا القدر من الأحاديث التي سقناها والتي نصّت على كون الأحاديث حجة شرعيّة وأصلاً من أصول الدين.

أمّا الآيات القرآنية فهي :

١ــ " وما آتاكُمُ الرَّسُوْلُ فخُذُوْهُ وما نهاكُمْ عنْهُ فَانْتهُوْا " (الحشر /٧)

٢ــ " ومنْ يُطِعِ الرَّسُوْلَ فَقَدْ أَطَاعَ الله " (النساء /٨٠)

٣ــ " وما أرسلْنَا منْ رَسُوْلٍ إلاّ لِيُطاعَ بإذْنِ الله " (النساء / ٦٤)

٤ــ " فلا و رَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُوْنَ حَتّى يُحَكِّمُوْكَ فِيْما شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوْا في أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَ يُسَلِّمُوْا تَسْلِيْمًا " (النساء / ٦٥)

وهناك طائفة من الآيات تنصّ على هذا المعنى ، وإنما اكتفينا ههنا بأربع آيات فقط أكّدت كون أحاديث الرسول ﷺ حجة شرعيّة وقابلة لإثبات الأحكام . ■■

[يتبع]

(٢) المصدر نفسه (٣) المصدر نفسه

حقيقة الإخاء في الله تعالى

الإخاء في الله ، ليس مجرد كلمة تقال، أو زخرف من القول يخلو من المضمون، وإنما هو إخاء يتقدم على إخاء الدم والعرق، والنسب، والبطن . وحسبنا أن نذكر يوم بدر – في تاريخ الجهاد بين الحق والباطل – فنرى كيف انقض المسلم على أخيه من المشركين وعلى ابن عمه لا يبالي وشائج العرق والدم ، ولا يقيم وزنًا لأي اعتبار سوى أنه يجاهد الباطل أينما كان، ويعلي راية الحق على جماجم أعدائه أيًا كانوا ومهما كانت قرابتهم و أنسابهم بالنسبة إليه .

أخي الحبيب .. فما أجلّ وما أحلى الإخاء في الله وما أعظمه، لو أن البشرية عقلت معنى الإخاء في الله، وأدركت كنهه، واستتبعت هذا التعقل سلوكاً مترجماً لمعنى الإخاء . إذن .. لزالت الأحقاد وانمحت الأطماع ، واختفت الحروب.. وحل محلها الخير والحق والسلام .

حول السلوك التربوي

(٢/٢)

بقلم : الدكتور أحمد عبد الرحيم السايح
الأستاذ بجامعة الأزهر

ويقول ابن المنير : (كل عمل لاتظهر له فائدة عا جلة بل المقصود به طلب الثواب فالنية مشترطة فيه وكل عمل ظهرت فائدته ناجزة، وتعاطته الطبيعة قبل الشريعة لملاءمة بينهما فلا تشترط النية فيه إلا لمن قصد بفعله معنى آخر يترتب عليه الثواب).

وبإنعام النظر في دور النية والقصد في تقويم الفعل،وتحديد نتيجته نستطيع أن نكتشف مفهوم الإسلام، ونظرته العامة حول هذاالموضوع الخطير الأثر في حياة البشرية . والمفاهيم الأساسية حول هذا الموضوع تتركزفي النقاط التالية:

- ان النية هي صورة الذات التي تتجسد في الفعل خيراً أو شراً، وإن الفعل لايعبر بوضعه المنظور عن حقيقة الذات الإنسانية ، بل النية هي اللسان الناطق والمعبر عن طبيعة الذات واتجاه غايتها.
- إن الأعمال تقوم على أساس النيات ولاقيمة لعمل بلانية.
- إن الجزاء، وقبول العمل مرتبط بالنية . لقوله صلى ا لله عليه وسلم في الحديث السابق الذكر (ولكل امرئ مانوى) وهكذا يهتم الإسلام ببناء صرح العمل الإنساني على أساس النوايا، والمقاصد الخيرة.

ويأتي تأكيد الإسلام واهتمامه بالقصد والنية منبثقاً من إيمانه بوجود حقيقتين متعايشتين في عالم الإنسان ، وهما :

-أولاً : الذات الإنسانية، ووضعها الداخلي.
-ثانياً : العمل الصادر عنها ونسيجه الخارجي الذي يشكل محيط الحياة ، والسلوك ، ويستوعب العلاقات والروابط الظاهرة بين الناس .

ويأتي اهتمام الإسلام وتركيزه على بناء الذات الإنسانية من داخلها قائماً على إيمانه بأن أنماط السلوك إنما هي تعبير عن محتوى الإنسان الداخلي ، فإن لم تشكل الذات الداخلية ، وتبنى بناء خيراً وسليماً. لايمكن أن يكون البناء الخارجي إلا هيكلاً خاوياً، وشباكاً من النفاق . والوباء التي تتربص بالإنسان للإيقاع به . لذلك جاء قوله تعالى معبراً عن هذه الحقيقة ومحذراً منها :(يا أيها الذين آمنوا لاتبطلوا صدقاتكم بالمن والذى كالذي ينفق ماله رئاءالناس ولايؤمن با لله واليوم الآخر)(سورة البقرة آية ٢٦٤).

أما سر الموقف الإسلامي هذا وعدم إقراره بتمثيل الفعل للفرد الفاعل . إلا إذاقام على قصد ونية فلأن الفعل ماهو إلا نتاج موقف إنساني داخلي، ولم يأت وجوده كفعل متجسد إلا بعد أن اكتمل وتحددت غايته في داخل الإنسان . كنتاج لعوامل ذاتية أساسية هي:

١-المعرفة بالفعل ، وتصور أبعاده، وغاياته.
٢-وجود الميل والرغبة النفسية لهذا الفعل وحصوله

قناعة بتطابق الفعل مع غاية النفس ومراميها المطلوبة.

٣- اتخاذ القرارالإرادي الحاسم بإحداث الفعل، وتحريك مختلف القوى الجسدية ، والفكرية والنفسية للشروع بالفعل .

فانطلاقاً من هذه الحقيقة بنى الإسلام موقفه المؤمن بأن روح القصد هو روح الفعل وحقيقته . ويربط الإسلام باهتمام بالغ.. العلاقة بين هذا الوعاء والشكل المنظورللفعل. بين القصد والغاية. ليتأكد من تطابقه مع العناصر الذاتية التي يصنع منها الفعل بحيث يأتي الفعل صياغة حية ، وتعبيراً أميناً . عن الدوافع والمقاصد.

فإن مارس الإنسان أفعاله ومواقفه على هذا الأساس النزيه المخلص، كان الفعل بمثابة حقيقة الذات الإنسانية وكان فاعله يستحق المجازاة عليه لأنه يمثل موقفه وإرادته.

وبهذه التوعية يريد الإسلام أن يجعل سلوك الفرد المسلم قائماً على أساس الاختيار اليقظ الواعي . بعيداً عن العادة الآلية . التي تجعل من السلوك الإنساني سكوتاً رتيباً لايعبر عن وعي الإنسان وارتباطه بخالقه .

وكم هو سهل هدم الموقف الإنساني والإنسحاب من الفعل مهما يكن خيراً وضخما عندما يبنى هذا الفعل على أساس من الآلية والاعتياد بعيداً عن الوعي، والقناعة ، والاتجاه الذاتي اليقظ .. لذلك حرص الإسلام على تثبيت قواعد الفعل في أعمال الذات الإنسانية .

إن تحديد أشكال السلوك التي ينبغي أن تسلك، وتعيين الدافع الذي ينبغي أن يدفع إليها لئن كانت المشكلة الأساسية التي زلت فيها عقول البشر، وأتى فيها الوحي بالحل الأمثل ، إلا أن هناك مشكلة أخرى متعلقة بها، ولاتقل عنها أهمية، وهي المتمثلة في السؤال التالي : كيف يصبح الدافع مؤدياً فعلاً إلى السلوك العملي؟

ومن البين أن هذه المشكلة تزداد أهمية بازدياد أهمية الصلة بين الدافع والسلوك حتى تبلغ الذروة في التصور الإسلامي بإعتبار أن تلك الصلة صلة عضوية بين العقيدة والسلوك.

لقدبنى كثير من الفلاسفة والمفكرين نماذج نظرية من السلوك الإنساني الفردي والجماعي .. كالجمهورية التي صورها أفلاطون، والمدينة الفاضلة التي بناها الفارابي ، وربما كانت بعض البناءات حاملة لعناصر من الحق، إلاأن أصحابها لم يوفقوا في كثير من الأحيان في توفير العنصر النفسي الذي يجعل الناس يعيشونها واقعاً ، لا على المستوى الفكري فقط . ولقد طرح (كانت) هذه المشكلة بشكل جدي ، حيث وضع السؤال التالي : إذا كان الواجب معنى عقلياً صرفاً فكيف يمكن أن يكون دافعاً نفسياً إلى العمل ثم انتهى في الإجابة إلى أن عاطفة الاحترام هي الواسطة التي تجعل الواجب دافعاً إلى العمل.

ولكن بيانه هذا يبقى مغرقاً في التجريد ولايطرح عملاً مفيداً أما الإسلام فإنه لم يكتف برسم المنهج السلوكي وبيان الدافع الذي ينبغي أن يؤدي إليه ، ولكنه عمل على تهيئة النفوس وإعدادها إعداداً عملياً لتتحول المبادئ النظرية إلى واقع عملي، وبالتالي ليرتبط الدافع بالسلوك ذلك الارتباط المبتغى.

ومن الأساليب التربوية المتبعة في ذلك :

أولاً : التركيز على تقوية التصديق بالمفاهيم المتعلقة

بالعقيدة والعمل لتعميق تلك المفاهيم حتى تبلغ مرحلة السيطرة على النفس، فتفيض الجوارح عند ئذ بالسلوك فيما يشبه التلقائية ، وتحصل هذه الدرجة من التصديق برؤية ما في مبادئ العقيدة من عناصر الحق والصدق . بعد النظر ، والتأمل ، والتدبر . وقد كرس القرآن الكريم شطراً كبيراً من آياته لتوجيه الإنسان نحو الشواهد التي تبصر بصحة العقيدة ، وهي الشواهد التي تحفل بها النفس الإنسانية والأفاق الكونية.

إن الفكرة متى كانت تحمل الحق ومتى ظهرذلك الحق ناصعاً للنفس ، واقتنعت اقتناعاً ذاتيا، كانت دافعة إلى ما تقتضيه من العمل ، ولذلك فإن التعاليم الإسلامية أطنبت في تبصير النفوس بالحق في العقيدة ، ودعتها إلى الإقتناع ذاتيا، فكان ذلك أسلوباً تربوياً عملياً لجعل العقيدة دافعة إلى السلوك المستقيم .

ثانياً : تربية المسلم على الشعور المستديم بالحضور الإلهي في كل ما يأتيه من الأعمال وذلك بالإحساس الداخلي . بأن كل إبقاء لفعل أو انتهاء عن فعل . إنما هو تحقيق لمعنى الطاعة المطلقة لله تعالى . وقد جاء التعبير عن هذا المعنى في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما سئل عن الإحسان فقال: (أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك).

فمن بلغ إلى حقيقة الإحسان لم يقدر أن يلتفت إلى أحد سوى الله تعالى ، لأنه مشاهد له بقلبه ومحال أن يراه ويشهد معه سواه.

ويرى كثير من الباحثين : أن هذا المعنى قد تمثل في مبدأ النية .. ذلك المبدأ الإسلامي الذي تقاس به الأعمال . والنية هي دالة التلازم بين الدافع أو الباعث – أي العقيدة – وبين العمل السلوكي.

وجعل الإسلام هذه النية شرطاً في قبول الأعمال جميعاً إنما هو أسلوب تربوي عملي حي. يجعل المسلم دائب الربط بين عقيدته وبين عمله فيتكون له ذلك خلق من إجراء الأفعال الظاهرة وفق الصورة العقدية ، بل إن العمل الذي تتحقق فيه النية ربما أصبح هو نفسه عاملاً – بكثرة التكرار – على تقوية الإيمان وتعميقه .

كما يفيد قوله تعالى : (ولو أنهم فعلوا مايوعظون به لكان خيراً لهم وأشد تثبيتاً) سورة النساء آية ٦٦. لكان خيراً لهم في مصالحهم ، وأشد تثبيتاً لهم في إيمانهم ، فإن الإمتثال إيماناً واحتساباً يتضمن الذكرى ، وتصور احترام أمر الله، والشعور بسلطانه ، وإمرار هذه الذكرى على القلب عند كل عمل مشروع يقوي الإيمان ويثبته ، وكلما عمل المرء بالشريعة عملاً صحيحاً . انفتح له باب المعرفة فيها . بل ذلك مطرد في كل علم .

ثالثاً : الحث على العلم والدعوة إليه دعوة جعلت تحصيله فرضاً عينيا في بعض وكفائيا في بعض آخر . ثم ربط هذا العلم بمفهوم خاص . هو التصور الذهني للحقائق الذي يقترن بالسلوك العملي ، ولذلك فإن العلم الذي هو مجرد التصور ليس هو العلم المطلوب إسلامياً ولقد عبر الشاطبي عن ذلك المعنى بقوله : (كل مسأله لاينبنى عليها عمل فالخوض فيها خوض فيما لم يدل على استحسانه دليل شرعي).

وإن هذا الربط بين الصورة والعمل في مفهوم العلم مع الترقي في طلبه إلى درجة الوجوب هو تمرين تربوي من شأنه أن يجعل الإنسان ينزل من افكاره مايجري عملاً على جوارحه . وإذاكان أول

علم دعي الإنسان إلى تحصيله هو العلم بالعقيدة ، أصبحت هذه التربية عاملة على أن تصبح العقيدة دافعة إلى تحقيق السلوك بمقتضى الشريعة .

لقدجاء الإسلام ليكون منهج حياة ، والحياة عمل وسلوك ، ولذلك اعتبر السلوك هو الثمرة التي يسعى إليها .

والإنسانيــة في أشـدالحـاجـــة إلى السلوك الإسلامي، في حضـرهـا ومستقبلها ، تنشد الإسلام فتجد فيه مبتغاها من الإوامر والنواهي ، والآداب ، والفضائل..

والإسلام جـاء إلى الإنسان ليؤكـد لـه المعنى الإنسانيـة ، ويوضـح لـه معالم الطريق ، ويوقظ فيه الأحاسيس والمشاعر.

والمجتمعات الإنسانية تعاني من تراكم الوثنيات، وعفن الإننخراط في سلك الذين ضلوا... لذاكانت الحاجة إلى الإسلام ضرورية ومهمة.

ضرورية للإنسانية كلها . لأنه لا أمن ، ولا طمأنينـة ، ولا استقـــرار ، إلا في ظـل الإســلام.. وضرورية للمجتمعات الإسلامية خاصة . لأن الإسلام ليس شكلاً من الأشكال ، ولادعوة يدعيها هذا أو ذاك ، أومظاهرة من المظاهرات . يقودها ذاك أو هذا وإنما سلوك عملي تربوي ، يدفع إلى العمل الجـاد ، الـذي يميز المجتمعات الإسلاميـــة بالعطاء ، والبناء المثمر ، الذي يفيد الإنسانية .

إن الأمة الإسلامية وهي تخطولي وعي ، جدير بمجتمعاتها أن تتسابق في الاعتماد على النفس، والاعتداد بالشخصية الإسلامية..

ولا يخفى أن الوعي بقضايا الإسلام والمسلمين، بات ضـرورياً في وقت تتكالب فيـــه أمم الأرض مسعـورة علـــى مجتمعـــات المسلميــــن ، وكل ماهو إسلامي .

والوعي بقضايا الأمة يقتضي أن نعمل بكل ما نملك من إمكانات علميــة وماديــة على توحيـد صفوف المجتمعات الإسلامية ونترك التعصب المذهبي الأعمى ، الذي يعمل على تقطيع أمتنا لتكون مسخاً شائهاً تابعاً ذليلاً..

المصادروالمراجع

١- الدكتور أحمد السايح
السلوك عندالحكيم الترمذي ومصادره من السنة النبوية ط القاهرة

٢- الدكتور محمد علاب
المعرفة عند مفكري المسلمين ط القاهرة

٣ - الدكتور منصور رجب
تأملات في فلسفة الأخلاق ط الأنجلو المصرية.

٤ - الدهلوي
مجلة المجمع العلمي الهندي مجلد رقم ٣ط الهند.

٥- الدكتور عبدالمجيد النجار
العقل والسلوك في البنية الإسلامية ط تونس

٦- د.يوسف كرم
تاريخ الفلسفة الحديثة . دار المعارف

٧- عادل العوا
المذاهب الأخلاقية . ط بيروت .

٨- عباس محمود العقاد
العقائد وفلسفته الإسلامية ط دارالكتاب اللبناني.

٩- الدكتور أحمد السايح
العقائد وفلسفته الإسلامية ط دار اللواء الرياض.

١٠- ابن خلدون
المقدمة ط كتاب الشعب.

١١- لجنة من العلماء
مفاهيم قرآنية ط الباكستان .

١٢- الشيخ زروق الفاسي
شرح صحيح البخاري ط القاهرة.

١٣- أبو حامد الغزالي
إحياء علوم الدين ط الشعب .

١٤- الدكتور محمد عبدالله دارز دستور الأخلاق في القرآن الكريم .

١٥- الشاطبي
الموافقات ط القاهرة

العلامة الشيخ " محمود حسن الديوبندي " المعروف بـ " شيخ الهند "

حياته ومآثره

بقلم : الشيخ السيد أصغر حسين ميان الديوبندي
أستاذ بالجامعة سابقاً المتوفى ١٣٦٤هـ
تعريب : الأستاذ عبد الرشيد القاسمي

الجنازة تُصلّى عليه مرة أخرى

ازدحم الجماهير من المسلمين الذين تلقوا نبأ حادث وفاته على المحطات التي تتخلل فيما بين مدينة "دهلي" و "ديوبند" وكان منهم من يزور جثمانه ويرجع إلى منزله حزنا متألما، على حين كان هناك رجال منهم يركبون القطار قاصدين "ديوبند" . وصُلِّيَتْ عليه الجنازة مرة أخرى بمحطة مدينة "ميروت" ومحطة معسكرها. وكان جثمانه وُضِعَ في القطار مستقبلا القبلة . فيدخل الإمام ومعه عشرة رجال أو عشرون رجلا القطار ، بينما كان الجمع كله يصلّي خارج القطار في المحطة .

بناته يتخلفن في محطة غازي آباد

وكان في "ديوبند" رجالٌ يعزمون على التوجه إلى "دهلي" منذ عدة أيام، ولكنه توجه من "ديوبند" يوم الثلاثاء ـ يوم وفاة سماحته ـ في الساعة الحادية عشرة نهاراً إلى "دهلي" بالقطار كلٌّ من العلامة "أنور شاه الكشميري " والقائمون على شؤون الجامعة الإسلامية، دارالعلوم ديوبند ، بجانب أحد أختان فضيلته وبناته كلّهن . ولما وصل القطار في الرابعة إلى محطة مدينة " غازي آباد " وجدوا أن القطار القادم من "دهلي" ـ الذي وصل المحطة نفس الساعة ـ يكتظّ بمسلمي "دهلي" وخدّام و تلامذة فضيلته . فقضوا منه العجب في بداية الأمر، ثم قالوا في أنفسهم: لعل فضيلته يرجع إلى وطنه، ويصحبه تلامذته وخدمه في سفره. وما أن لبثوا يفكرون في ذلك لحظة حتى نزل من القطار رجالٌ أخبروا بهذا الحادث الأليم . فامتلأوا حيرة وقلقا وكادوا أن يفقدوا عقلهم و وعيهم هلعا، وتلت ألسنتهم جميعا قوله تعالى: "إنا لله و إنا إليه راجعون " وبما أن موعد مغادرة القطار قد أزف فنزلوا من قطارهم مسرعين و ركبوا القطار المتوجه إلى ديوبند وأعينهم تفيض دماءً لا دموعاً. غير أن بنات فضيلته وأولياؤهن لم يتمكنوا من الركوب، فبقوا في محطة "غازي آباد" تلفّهم الحيرة والأسف.

العزن يلف ديوبند كلها

وما إن وردت البرقية التي كان قد رفعها " الطبيب الأنصاري" في الساعة التاسعة نهارا إلى "ديوبند" في الساعة التاسعة والنصف حتى قامت قيامة

على "ديوبند" بأسرها. وانتشر النبأ المؤلم في سويعات في "أنحائها" وكل من بلغه النعي بقي لحظة ساكتا صامتا حيران. فمنهم من أغمي عليه لشدة الألم، وآخر فقد رشده . وتوافد على منزل فضيلته رجال كثيرون ونساء. ولم يكن بـ "ديوبند" وقتئذ من بين كبار علماء الجامعة ما عدا الشيخ المفتي "عزيز الرحمن" وجاء حفر القبرِ لتورية جثمان شيخ الهند في المقبرة الجامعية المعروفة بـ "المقبرة القاسمية" بالقرب ضريح شيخه الإمام "محمد قاسم النانوتوي" متحاوراً لقبر والـده الأديب البـارع الشيخ "ذوالفقار علي الديوبندي" وأخذت هذه المقبرة التأريخية التي تحتضن الأجساد الطاهرة للعباقرة العمالقة من العلماء والصلحاء، ومئات من طلبة العلم الغرباء، والمدرسين الشهيرين بالجامعة تنتظر ضيفا محترما للغاية، كما استعدت الأرواح الطيبة الصالحة لاستقباله. وكان كل بيت في المدينة ولا سيما بيوت علماء الدين رَجال الله الصالحين يبكي فضيلته ، وكان أبناؤها كلهم يذرفون الدموع السخينة عليه، حتى ساد الحزن والأسى النساء والأطفال. كما كانت بها أسر كثيرة لم يدعها الألم والأسى أن تطبخ لأعضائها العشاء في ذلك الليل، بجانب مئات من الناس الذين لم تذق ألسنتهم طعاما ما منذ أن فوجئوا بنبأ وفاته إلى أن وُرِّي جثمانه.

وازدحم عقيب صلاة المغرب على منزل فضيلته مدينةُ "ديوبند" على بكرة أبيها رجالا ونساء، وشيوخا وأطفالا وشبانا ومسنين من المسلمين وبعض من الهندوس بكل معاني الحزن والأسى يشاهدون بأم أعينهم هذا المنظر المزيج بالأسف والاعتبار ، ويستقبلون التابوت الذي يحمل جثة عالم عبقري ورجل صالح وزعيم مخلص لهم. وذلك انطلاقا من مشاعرهم الودية المخلصة دونما أي ترغيب في ذلك أو دعوة إليه .

وكان فضيلته قد وصل إلى "ديوبند" راجعا من "مالطة" نهاراً. ومع أن قدومه الهند كان ذاع قبل أيام، غير أنه لم يكن بالمدينة ازدحام مثلما كان يوم وفاته وبمناسبة دفنه. وكان الحشد قد بلغ لحد يفوق كل تقدير وكل إحصاء.

ديوبند كلها عويل وبكاء

ووصل القطار إلى "ديوبند" في موعده الساعة السابعة والنصف تماما. ولن يسع القلم أن يكتب ولا اللسان أن يعرب عما حدث بعد ذلك. وما أن شاهد الجماهير التابوت من بعيد في داخل العربة المفتوح بابها حتى عيل صبرهم وارتفع الضجيج والعويل. وكانوا يبكون ألما. فمن رجل يصيح إلى آخر يتأوه. وهتافات التكبير التي كانت تزيد الحضور مسرة وحماسة تبدو اليوم أنها تبعث على الأسى. فيا أسفاه ! إن الرجل الذي كان يصافح الناس والسرور ينبعث من عينه والبشر يتلألأ على وجهه في محطة " ديوبند " قبل أربعة أشهر منذ اليوم لدى رجوعه من " مالطة " يبقى اليوم وقد وُضِعَ جثمانه في تابوت، لاحراك به ولاحياة .

واستطاع بعض أقارب وخدم فضيلته أن يخرجوا

بالتابوت إلى خارج المحطة بمشقة بالغة لأجل الجماهير المحتشدة بها. وسادهم جميعا مرة أخرى نشوة قلق وألم. وكان ازدحام الناس يجعل الأخذ بالترتيبات أمرا صعبا جدًّا، كما لم يكن مسّ الجنازة باليد أمرا ميسوراً، ولذلك فإن الذي سعد بأن مسّ بيده الجنازة كان لا يرضى بأن يبتعد. وكان هناك رجال يغتنمون فرصة مس التابوت بأيديهم فحسب، بينما كان الضعفاء من الرجال يعدّون سعادةً لهم أن يشيعوا جثمانه .

منظر لم تشهده ديوبند من ذي قبل

وجاوز التابوت المحطة مروراً بالطريق المحفوفة بالحقول، ودخل سوق المدينة. وكان الجمع كله ينمّ عن مجد إسلامي وعظمة دينية، بينما يبدو التابوت نموذجا لتابوت السكينة. وكان المسلمون والهندوس واقفين فوق حوانيتهم والسقوف بجانبي الشارع بكل احترام يتحسرون ويلهفون وفاة فضيلته ، وكانت الدموع تسيل من عيونهم. وبما أن الزحام كان كثيرا، فلم يتمّ قطع الطريق من المحطة إلى منزل فضيلته إلاّ في ساعات. ووصل التابوت إلى بوّابة حجرة الاستقبال لمنزله. وعندئذ لم يتملك الجمع أن يصبر على البكاء وعلت أصوات العويل وتمشت الرعدة في أجسام الناس.

ومما يؤسفنا بالغا أن المنزل الذي كان شيخ الهند يعيش فيه ، والذي ودّع الناس وقد ركب المحفة منه يسلّي الجماهير يبقى نفس المنزل صامتا لا ينبس ببنت شفة يستريح في التابوت وقد كُفِنَ في قطعة من الثياب. فوا حسرتاه و وا ويلاه !

سيتم دفنه عقيب صلاة الفجر

فأُنزِلَ التابوت من الأكتاف ووُضِعَ في غرفة من بيته الفسيح. وبعد برهة عندما هدأ عويل الجماهير في شيء وسيطروا على عواطفهم تحدثوا عن دفن جثمانه. وكان القبر قد أُعِدَّ من قبلُ. فكان رجالٌ يرون أن يتم دفنه من فوره دونما تأجيل وعلى عجل اتباعا للسنة في ذلك. بينما كان هناك رجال آخرون يرون أن التأخير في دفنه يسبب كثيرا من المسلمين أن يسعدوا بالحضور في الصلاة عليه ودفنه. وبما أن بنات فضيلته ومعهن أزواجهن قد تخلفوا عن القطار في محطة "غازي آباد" وكان الكل يشعر بما ألَمّ من حزن وألم فأجمعوا على شيء من التأخير في الدفن، وأُعْلِنَ أنه سيتم الصلاةُ عليه ودفنه عقيب صلاة الفجر .

وكان المنزل مغتصّا بالجماهير، فإنه لم يكن هناك رجلٌ يرضى بأن يغادره. وبعد جهد جهيد تمكن أقارب فضيلته من إرضاء الناس بالارتحال ، واعتذروا إليهم أن نسوة أسرته يرغبن في أن يزرن فضيلته، فتفرقوا جميعا. وبعد أن انتهوا من صلاة العشاء اشتعل رجال بالتسبيح والتهليل وتلاوة القرآن، على حين لجأ الكثير إلى الفراش تسرية عن أنفسهم ما أصابهم من عناء وتعب يوماً وليلةً .

يتوافد المسلمون على ديوبند

والمئات من الضيوف الذين صحبوا التابوت من " دهلي " لأن يسعدوا بالصلاة عليه اضطُرّوا لأن يبقوا بديوبند حتى يطلع الفجر، وعاشوا الليلة في

الأروقة الطلابية للجامعة الإسلامية دارالعلوم ديوبند وفي أمكنة أخرى متألمين قلقين. كما قدم " ديوبند " عدد كبير من المسلمين لأداء الصلاة على فضيلته بالقطارات التي تقدم من " سهارنفور " كما وصلت بناته إلى "ديوبند " بقطار في الليل.

وقد سبق أن أُخْرِجَ جثمانه من التابوت ووُضِعَ على السرير، وسهر الخاصة من أقارب وتلامذة وخدم فضيلته يردّدون لا إله إلاّ الله ويتلون القرآن الكريم حول السرير. وأخيرا انتهت الليلة هذه، وأخذ الناس يتوافدون على "ديوبند" من كل جانب أفواجا عقيب صلاة الفجر. وسعد الجماهير بزيارة وجهه الكريم في منزله. وحُمِلَتْ جثته . و بذلك فقد ودّع فضيلته منزله للأبد .

المدينة تكتظّ بالجماهير

وكانت الأزقة والسكك المتخللة فيما بين منزل فضيلته والجامعة تموج بالناس. ووصلت الجنازة إلى الجامعة بصعوبة بالغة ووُضِعَت في رحابها. وكان الحشد محتشدا وكان كل رجل يحنّ بالغا إلى رؤية وجهه. وكان تلامذة وأقارب فضيلته لا يخطر ببالهم تدبير يجعل تحقيق رغبة الجماهير ميسوراً، ولم يكونوا يرضون بأن ينهوا الناس عن ذلك ويحرموهم هذه السعادة فيرجعوا آسفين متحسرين. وبعد برهة حالفتهم فكرة طيبة ووضعوا الجنازة في الفصل الغربي المجاور لبناية " نودره " (بناية ذات أبواب تسعة) وكان الفصل قديما مكتباً ومكتبةً للجامعة، وأُزِيحَ الكفنُ من وجهه. فكان الناس يدخلون الفصل مروراً بـ " نودره" ويتمتعون برؤية وجهه ويخرجون من البوابة الجديدة إلى قاعة الحديث .

الجماهير يصلون عليه الجنازة

وإن كان قد تم اتخاذ كافة الترتيبات اللازمة، ولكن دخول الجماهير الفصل و زيارة وجه فضيلته، و خروجهم منه كان قد استغرق وقتا طويلا، فاضطرّ تلامذته لأن يسرعوا في الصلاة عليه ويحرموا على كره منهم عددا كبيرا من الجماهير زيارة وجهه. وحُمِلَ جثمانه من الفصل و وُضِعَ في الغرفة التي تتوسط بناية " نودره" والتي ظلّ فضيلته يدرس فيها دواوين الحديث طول حياته. وكانت "نودره" وفناء الجامعة الخارجي يمتلئ كل منهما بالجماهير. فاصطفوا على شيء من مشقة ، وتقدم أقرب أولياء فضيلته وأخوه الأصغر الشيخ الطبيب "محمد حسن" الذي لم يصل عليه بعد لأن يصلّي بالناس الجنازة بقلب متألم وعين باكية. وكان الجمع كله يلفّه صمت مطرب وتبدوا مهابة ونورانية. ولكم أن تعبروا عن ذلك بعواطف التأسف أو بأمر واقعي.

وانتهت الصلاة عليه واستودعت فضيلته نهائيا الدارَ التي سما بها الله سبحانه وتعالى إلى "دارالعلوم" و"قاعة الحديث" والتي عاش يدرس بها عبر أربعين سنة كتب الحديث وينشر علوم الكتاب والسنة. إنا لله و إنا إليه راجعون. كل شيء هالك إلا وجهه. له الحكم وإليه تُرْجَعُوْنَ .

وحُمِلَتْ الجنازة على أكتاف العلماء والصالحين والزهّاد والعبّاد ، وجاوزت في لمحة بالبصر بوّابة

الجامعة، وخلت المدرسة، وسادها في كل أربعة جوانب اليأس، وأخذ الأسف والأسى ينزل.

وليس من رجل ولو كان مسنّا جدّا شهد ازدحاماً مع جنازة رجلٍ مثل هذا الحشد الحاشد من الناس. فكان الطريق فيما بين بوابة الجامعة والمقبرة مختصّا بالناس. وكان كل منهم يشتاق لأن يسعد بحمل الجنازة على كتفه ، ولكن ازدحام الجماهير المدهش قد جعل ذلك أمر صعبا للغاية فلم يكن لأحد أن يمس بيديه السرير أو الرداء الذي فوقه.

يحضر التلميذ إلى أستاذه

إن المقبرة ليست ببعيدة عن المدرسة، فوصلت الجنازة إليها في غضون ثوانٍ، وحضر هذا التلميذ البار إلى أستاذه البارع وشيخه الإمام بعد أن طال الفراق عنه مدة اثنين وأربعين عاما، وذلك نافضا يديه عن ملذات الدنيا وآخذا حظّه من الاستراحة في القبر. وكان القبر قد أُعِدّ من ذي قبل، فأحضرت الجنازة إليه. ودخل القبر كل من الشيخ الطبيب "محمد حسن" وأختان فضيلته وبعض من أخص تلامذته. وكان الوقت ضحى والساعة قد بلغت التاسعة صباحاً إذْ أُدْخِل جثمان هذا العالم الرباني القبر، وتمثل للناس منظر " منها خلقناكم وفيها نعيدكم الآية ".

ومع ما كان الناس كلهم يملكون على أحاسيسهم ومشاعرهم غير أن عويل البكاء قد ارتفع على كره منهم وأنشد رجلٌ متألم للغاية في صوته الحزين شعرا أرديا مفاده :

- يا أصدقائي ! ماذا تظنون إذ تورونه في التراب إنه لخزانة العلوم وليس خزانة للمال. وهكذا فقد غربت شمس القيادة والإرشاد الديني والتربية الإسلامية بعد أن أشرقت الدنيا بأنوارها عبر سبعين عاماً. إنا لله وإنا إليه راجعون .

ما كان قيس هلكه هلك واحد

وكان الجميع والقفين والبكاء يسودهم، وبدت الدنيا مظلمة في أعينهم . وأخيرا رُفِعَ قبره قدر شِبر و نصف غير مرصوف وفق العادة. وبعد أن أهال الناس التراب عليه ودعوا الله لفضيلته رجعوا يبكون ويألمون ويتأسفون .

ويؤسفنا جميعا أنه قد ارتحل اليوم عنا بخاري عصره؛ وأبو حنيفة دهره، وانتقل إلى رحمة ربه شيخ المسلمين كلهم، وتُوُفِّي أمير قافلة العلماء والطلاب، واستأثرت رحمة الله بزعيم للمسلمين كان يحظى بمحبوبية وشعبية وثقة لديهم. وخلت الدنيا من شيخ للحديث بارع. فليس موت فضيلته موتا عاديا، وإنما هو نموذج لوفاة سلفنا الصالح والصالحين من عباد الله. ولن نغالي إذا نقول: إن أرض الهند قد تعرضت لهزّة معنوية بوفاته .

فما كان شيخ حتفه حتف واحد
لا تحسبوه مات شخص واحد
ولكنه بنيان قوم تهدما
فممات كل العالمين مماته

☆ ☆ ☆

☆ ☆

وشمول العقيدة في الإسلام، ميزة خاصة للثقافة، أوحت إلى المثقف المسلم بالاستراحة.. من خصام العقائد والمذاهب الفكرية البشرية.

وقـد واجهت الثقافـة الإسلاميـة في الماضي تحديات خطيرة وصمدت لها، واستطاعت التحديات في حملات الزندقة والإلحاد والتشكيك في العقيدة والغزو الفكري اليوناني، والذى أعجب الكثير من المسلمين.

ولا زالت الثقافـة الإسلاميـة تواجـه تحـديات خطيرة، وغزوا فكرياً شرسا.. فالحضارة الغربية بشتى مؤسساتها، تعمل على خلق أدوات الضرب لأي بادرة ثقافية إسلامية، وعلى بذر الشك في كل اتجاه..

وقـد كان الخطر على الثقافـة من الغزو الفكري أولاً في طبيعـة الثقافـة الغربيـة، واختلافها في معظم مبادئها عن الثقافة الإسلامية.. وكمن الخطر ثانياً في تبنـي الحضـارة الغربيـة، للمـؤسسات التعليميـة والثقافية، والبرامج التليفزيونية، والقنوات الفضائية. التي تبث ثقافتها، وتعمل في الوقف نفسه على إظهار الإسلام بما هـو ليس على الحقيقـة، وطمس معالمـه الصحيحة، وتشويه مبادئه المثالية.

والباحث بصدق يلاحظ أن عوامل الوعي في الأمـة الإسلاميـة استمـدت ثقافتها من المسجـد، وانطلقت تعمل في المسجـد.. فكان المسجد أعظم جهاز إعلامي يتسلح به المثقفـون المسلمون.. وقد نهلوا الحقائق من خطبة الجمعة، والدروس، ومجالس العلم، وحلقات التعليم، وتوجيهات الصلاة.. فكانوا قوة شدت انتباه الباحثين من رجال الحضارة الغربية، فراحوا يرصدون تحركات المسلمين في المسجد، ومن المسجد، وإلى المسجد.

وحين تهاوي الإعلام في بعض المجتمعات الإسلامية، ليسير في ركاب توجيه العلمانية، وتوجيه الاشتراكية.. لم ينقذ شعوب هذه المجتمعات إلا المسجد وثقافته الإسلامية الأصيلة.

وكم تهاوت شعوب ، وتساقطت في هاوية الضلال، والانحراف، والفساد، بسبب الإعلام الخداع، والموجه من قبل الشرق والغرب.

وكم عاني الإنسان من أولئك المخرفين صناع الكلمة الضالة المنحرفة التي تقود البشرية إلى الضلال. لقد كان للكلمة الهدامة دورها التخريبي في حياة الإنسان.. إلى أن الإنسانية لم تشهد في مرحلة من مراحل حياتها وضعاً كان فيه للكلمة خبراء ومتفلسفون كعصرنا الحاضر.

والمسجد في كثير من الأرجاء يعاني نقصاً في العلماء الأكفاء. وتلك أمور تصرف المتعلمين عن الإقبال على المعاهد والكليات المتخصصة لتأهيل واعداد العلماء الذين يؤدون مهمة نشر الثقافة الإسلامية بالمساجد.. من هنا لا يتمكن المسجد من أداء رسالته الثقافية في مجتمعات أحوج ما تكون إلى الثقافة والوعي.

والمسجد في الإسلام يريد أن يجعل من الكلمة مصدراً للخير والعطاء والإصلاح. تملأ دنيا الإنسان، وتترسخ في أعماق الحياة.. ليتذوق الناس طعمها، وتستريح النفوس إلى سماعها، وتبني الحياة بوحي من هداها..

إن الإعلام الإسلامي الذي تؤديه خطبة الجمعة، والـدروس، لـه القـدرة على الإشباع العاطفي البناء، والمساهمة الفعالـة. في تنمية الإحساس الجمالي بالحيـاة ، كما أن لـه القـدرة على البنـاء السلوكي والاجتماعي القويم..

وعـودة المسلمين إلى الثقافـة التي فتـح لها الأبواب القـرآن الكـريم، ضرورة تقتضيها الحياة الصحيحة، ولا حياة للمسلمين بدون ثقافة الإسلام..

صديق صباي

[الحلقة ٣]

بقلم الشيخ / محمد يعقوب النانوتوي رحمه الله
المتوفى ١٣٠٢هـ - ١٨٨٤م
تعريب. الأستاذ محمد عارف جميل القاسمي المبارك فوري

هذه ترجمة عربيّة لما كتب الشيخ محمد يعقوب النانوتوي عن صديق صباه، وزميل دراسته، ومجاوره في الوطن، ومشاركه في السكن في دهلي أيّام التحصيل، ومعايشه في الآمال والأحلام: الإمام محمد قاسم النانوتوي رحمه الله تعالى مؤسس جامعة ديوبند، وتُعدُّ هذه الترجمة اليعقوبيّة للإمام حقًّا أصلاً أ ميلاً للتراجم التي كُتِبتْ فيما بعد. ولذلك صحّ عزمنا على نقلها إلى العربيّة منذ زمان، فوكلنا بذلك إلى الأخ الفاضل الأستاذ محمد عارف جميل القاسمي المباركفوري وهو أحد الخريجين المُؤَهَّلِيْنَ من جامعة ديوبند، أُتِيْحَ له أن يتعلّم في الجامعة الإسلاميّة بالمدينة المنورة بجدّ واجتهاد مماأكسبه قدرة موثوقاً بها على الترجمة من العربية وإليها بأسلوب دقيق أمين.

فإلى القراء هذه الترجمة العربيّة تعميماً للفائدة، وتعريفاً بهذا العالم الربّاني العبقريّ الذكيّ الذي شيّد منارة العلم والثقافة الإسلامية في هذه الديار [التحرير]

توارد المعاني والأفكار :

وتتوارد إليه المعاني والأفكار وتواتيه ليختار منها مايشاء ويرجى ما يشاء. وكان يقول : وقد تصيبني حيرة فيما أختار منها وما أدع، وكثيراً ما كان يخرج على موضوعه حين يسهب في الخطبات، حيث تواتيه الأفكار. ويطاوعه اللسان. والله أعلم بما وراء ذلك. لقد كان يتمتع "بالكشف" ثم لم يتفوه بكلمة تنم عنها، والإنسان يفعل فيه مجالسةُ من يحظى "بنسبة صالحة" ــ ولو ضئيلة ــ فعلها، أما "حضرة المولوي" فرزقه الله قوة على الضبط، والإمساك. فلم يُبدِ من ذلك شيئا فما كان أضبطه وأملك لنفسه !!.

بدأ "حضرة المولوي" ذات مرة، تدريس كتاب "المثنوي" للعلامة الرومي (١) فلا يتجاوز أبياتاً إثنين وأربعة، حيث يشبعها بحثا وشرحاً، ويأتي بعجائب وغرائب من المعاني والحكم. وبلغ دروسه هذه بعض من كان يصطبغ بشيء من "الباطن" فاعتبره نابعاً من تضلعه من العلم وعلو كعبه فيه، وأحب أن يفيده شيئا من العلوم الباطنة فطلب منه أن يخلو به يوماً، فرد عليه "حضرة المولوي" قائلا : قد شغلني العمل في المطبعة وتعليم الطلاب عما سواهما. فلا أستطيع تلبية دعوتك. ومن الممكن أن تدخل علي إذا شئت. فأتاه يوماً، وقال له: انظر إلي، وقد أغمض هو عينيه

مراقباً، بينما كان "حضرة المولوي" يدرس تلاميذه، فأوقف الدرس، وتوجه إليه، بعينين مفتوحتين حيناً، ومغمضتين بعض الإغماض حيناً، وأما ذلك القادم فيكاد يخر على وجهه حينا، ويستوى قاعداً حيناً، وهكذا دواليك، ثم قام ورجع مقنعا رأسه، ومبالغاً في الاعتذار إليه.

ولا أشك أن تواضع "حضرة المولوي" مما أخفى على الناس فضله ومكانته. والذي ظهر لهم إنما كان — فيما أرى — بأمر من الله تعالى، ويكن يتوخى "حضرة المولوي" ذلك .

عود على بدء :

خرجت عما كنت بصدده، بأعود وأقول: وعدت من "بناريس" إلى الوطن، ولم يسنح لي زيارة "نانوته" وخلّفت أهلي في "ديوبند" و سُددت رحلي إلى "روركي" وتوليت بعض الخدمات هناك. وطال غيبتي عن الوطن، بينما كان "حضرة المولوي" في بيته، فأرسلت إليه من يبلغ عني رغبتي في لقائه. وأنه لا يمنعني من زيارتك إلا شغلي الشاغل. فاستعد لزيارتي، وقطع مسافة منزلتين راجلاً على قدميه، وشرفني بقدومه الميمون. ولم تتطلع نفسه إلى ركوب المراكب ما دام قويا جلداً.

مغامراته أيام الغدر (٢) :

اندلعت في الهند في تلك الأيام — الثورة المعادية للحكم الإنجليزي في البلاد. وسميت "بأيام الغدر ونقض العهد"، فعدت إلى الوطن، وقدم " حضرة المولوي" بصحبة جماعة منهم حاجب الدار (؟) بعد رمضان، إلى "سهارن فور" ليستقبلني بها، والسفر في تلك الأيام — غير مزود بالعدة والعتاد — أصبح من الصعوبة بمكان. فاستصحبوني إلى الوطن، إذ حدثت حوادث عدة قام بإذكاء نارها أهل الشغب والفتنة. فأبلي فيها "حضرة المولوي" بلاء حسناً .

إصابته للهدف بالبندقية :

وحينئذٍ طالما كان جماعة من إخواننا وأترابنا يتعلمون الرماية وتصويب البندقية . فرجع "حضرة المولوي" ذات مرة — من المسجد، ووجدنا نتعلم الرمي، ونستهدف ورقة من أوراق "النيم" محاطة بخط مدور، ونحن نصوب من مكان قريب منه، واتخذنا بنادق من طين. فقال "حضرة المولوي":

أروني كيف تصوبون البندقية. فاطلق البعض البندقية إطلاقة، ووصف له على وجهه. فما نشب "حضرة المولوي" أن تناول البندقية وصوبها، وركّز على الهدف. فأصابه. بينما طال عجز سائر زملائه الرماة المرسلين عن إصابته. ولم يكن إصابة "حضرة المولوي" لهذا الهدف المحدد صدفةً، وإنما تأتى ذلك عن تفطنه للتصويب، وأخذه نفسه بحالته من الوقفة تلاشت معه وجوه الخطأ. وطالما رأيت الرماة يأخذون أنفسَهم بوقفة تبدو أبدانهم خطوطا مستقيمة من الرأس إلى أخمص القدمين .

صموده وثباته في تلك الأيام :

خلاصة القول أنا وجدنا كل أحد — في تلك الأيام — فُزَعةً مزَلزَلاً زلزالاً شديداً، قد استنفد صبرَهم هذه الفتنة العمياء بينما ألفينا "حضرة المولوي" غير خائف ولا وجل . وانتشرت الشائعات والأكاذيب، والغث والسمين من الأخبار مما يجعل

الولدان شيباً، و"حضرة المولوي" مكب على أعماله اليومية، لم يدخلها تقديم أو تاخير.

وقوفه مسلطا سيفه ضد حملة البنادق :

واضطر الناس ــ غير مرة ــ إلى مواجهة العدو أهل الفتنة ، فكان حضرة المولوي أصبر وأصمدها ، وأسبق إليها، يسلط سيفه ، ويبارز حملة النادق . وبينما كان الفريقان يتبادلان الرصاصات، جلس "حضرة المولوي" محتضنا رأسه بيده. فظن من رأه أنه أصابه رصاصة ، فخف إليه و استفسره. فقال : أصيب راسي رصاصته، فحل عمامته عن رأسه، فلم يَرَ أثراً من شجة، وإصابة رصاصته. فقضى عجبه مما رأى؛ إذ كان "حضرة المولوي" مضرجاً بدمائه

إصابته بالبندقية :

واجهه بعض الأعداء عليه بالبندقية ، مما أدى إلى إحراق شطر من شاربه ولحيته، وإصابة عينه بجروح طفيفة. طلبوا الرصاص فلم يعلموا مصيره. وقد تم هذا الهجوم عليه عن مكان أقرب يضمن لجرجه وشجه بأنابيب البندقية ولو لم ينفذ منها رصاص. بيد أن الله تعالى وقاه شر ذلك. ولم يُصبه كبير شجة تعرضه لخطر.

والله يكلأه :

اطلع بعض أعدائه على ما أصيب به من الشجة في هذه المعارك، فأبلغوا السلطات أنه ممن شارك في الثورة المعادية للإنجليز ، شهدتها "تهانه بهون" رغم أنه كان بمعزل عن مثل ذلك. ولو تطلعت نفسه إلى تولي المناصب وجمع الأحوال، لوجد نفسه في وضع مغاير تماماً، ولانقادت له النيابة لبعض المديريات أو الرياسة العامة لها. ومن هنا احتاج إلى الاختفاء عن الأنظار، حتى لا يلحقه مكروه. كما كان الشيخ الحاج ــ أي الحاج إمداد الله ــ لمثل هذا السبب أخفى نفسه عن السلطات الإنجليزية .

وفي زمن الاختفاء هذا قضى بعض الأيام في "ديوبند" ، وخرج الرجال من البيت الذي اختفى فيه "حضرة المولوي" فوق بيت الحريم، وخلا بنفسه فيه، فاغتنم الفرصة. وقرب السلّم النازل به إلى بيت الحريم، فأمر النساء التستر حتى يتيسّر له الفرار من البيت، فما ملك منعه من الخروج فأسرع الخطا وخرج، وأرسلت النسوة بذلك إلى بعض أهل البيت المتواجدين في السوق، فهموا للعودة. ليتداركوا الأمر قبل أن يتسع الخرق على الراقع. غير أن رجال الشرطة سبقتهم إلى الدار يتسنمون أخبار الفارّين، فدخلوها ففتشوها، وخرجوا خائبين لم ينالوا أحداً. ولم يكونوا ــ فيما يبدوا ــ يبحثون عن "حضرة المولوي" عينه، إلا أن الدار أصبحت توحي بالخطر يفاجئها حينا لأخر. فلم يدخلها "حضرة المولوي" وألزم نفسه بالمسجد. يقضي فيه ليله ونهاره ، ولم يتعرضوا له فيما بعد، وهكذا نجاه الله من الاعتقال غير مرة .

وتقلبت عليه الأوضاع وتنوعت وتطرفت في تلك الآونة. يطول ذكرها. يقضي أياما هنا وهنا، يتردد بين "ديوبند" و "امليا" وما إلى ذلك، يمسي في مكان، ويصبح في أخر، وطوّف في "بوريه" و "كمهتله" و "لادوه" و"بنجلاسه" عَبر نهر "يمُنا" المعروف.

رحلة "حضرة المولوي" والشيخ الحاج إلى بلاد العرب:

وأخيرا سافر الشيخ الحاج ـــ يعني الحاج إمداد الله ـــ إلى بلاد العرب، فَبَدَا لكاتب هذه السطور أن يقوم هو بدوره بالحج إلى الحجاز. وفي جانب أخر عقد "حضرة المولوي" عزمه على الحج، وبما أن اختفاءه لم يكن عن رغبة منه ـــ فقد كان أعدّ نفسه بما يأتيه من العناء ـــ وإنما كان نزولا عند إرادة أصحابه وأقاربه؛ أذن له أبواه بهذه الرحلة، إذ كانوا يرون فيها الخلاص من هذه النكبة، والخوف من الاعتقال. وكنت ـــ آنذاك ـــ معوزاً أحمل معي قليلاً من الزاد، إلا أن الله تعالى بفضل هذه الرفقة الصالحة هوّن علي معاناة السفر وإن كان "حضرة المولوي" هو الأخر معوزاً، غير أن تكلانه على الله تعالى واستناده الكلي إليه كفاه. فقطعنا الطريق بسلام آمنين. ولم نلْق ما يعاني منه الكثير، ركبنا السفينة، ومررنا بـ "بنجاب" حتى وافينا "السند".

ثم ركبنا سفينة شراعية من "كراتشي" أقلعت في جمادى الثانية عام ١٢٧٧هـ. ودخلنا مكة ، وشهر ذي القعدة يؤذن بالرحيل. فألقينا عصا الترحال، وقضينا مناسكنا، ثم زرنا المدينة المنورة. ثم قفلنا فركبنا سفينة في نفس الشهر، وبلغنا "بومباي" وشهر ربيع الأول على وشك الانتهاء . ووصلنا إلى الوطن في جمادى الثانية.

استظهاره للقرآن الكريم :

أقلتنا سفينة شراعية من "كراتشي" عندما توجهنا إلى مكة. واستهل هلال رمضان. فأخذ "حضرة المولوي" يستظهر القرآ الكريم، ويقرأه في قيام الليل في السفينة، والناس وراءه يستمعون، وساده حالة عجيبة مادام على متن السفينة. دخلنا مكة بعد العيد. فاشترى "حضرة المولوي" حلوى "مسقط" (؟) ووزعها بين أصحابه فرحاً بختمه القرآن الكريم في قيام الليل. ولم يكن عُرِف ـــ بعد ـــ كمستظهر للقرآن الكريم . وظل يقرأه بصوت خافت ويجمعه ويحفظه، خلافاً لما تقرر لدى حفظة القرآن الكريم من أن الجهر بالقراءة مدعاة لتمكنه من القلب .

وكان يذكر ـــ فيما بعد ـــ أنه حفظ القرآن الكريم وجمعه بما قرأه خلال شهر رمضان عامين متوالين. وكان من ديدنه ألا يزيد في الاستظهار ـــ خلال مجلس واحد ـــ على ربع جزء، أو يزيد قليلاً.

هذا ، وإذا رأيته يقرأ في قيام الليل، والناس وراءه قيام، رأيته قارئا مرساً، متمكنا من حفظه، لا يتلعثم ولا يتردد في قراءته بل يتدفق كالسيل.

ثم أصبح يكثر من قراءته. ويطيل قيامه بالليل. ولا أنسى أنه قرأ سبعة وعشرين جزءاً في ركعة واحدة، فإذا أحسّ بأحد يأتم به، ركع، ونهاه عن ذلك. وقام الليل كله يصلي لنفسه.

عودته من مكة :

زار "حضرة المولوي" الحرمين الشريفين، وعاد إلى البلاد خلال مدة تناهز سنة . وذلك عن طريق "بومباي" و "ناسك" ثم ركب قطاراً سار به إلى الوطن.

وفي غيبة عن البلاد أصدر السلطات الإنجليزية ـــ بعدما أمعنت النظر ـــ وقدرت الأمور ـــ قراراً يقضي بالعفو العام إلا أناسا بأعيانهم، ممن تأكدت

الشبهات حولهم، وقويت لدى الحكومة ؛ فإنهم ظلوا مطالبين حيث ما وُجدوا. وقضى "حضرة المولوي" بعض الأيام في بيته، لا يفارقه.

وأيام الغدر هذه جرت على كافة المطابع في "دلهي" ويلات ، ودمرتها وتركتها أثرا بعد عين . أما مطبعة الشيخ أحمد علي فلم تكن كبيرة واسعة النطاق، فلم يجد "حضرة المولوي" بدًّا من البقاء في وطنه، يعيش أياماً في ديوبند، وأحرى في وطنه. وقرأت عليه ـــ آنذاك ـــ شيئاً من صحيح البخاري.

وأنشأ الكاتب / ممتاز علي مطبعة في "ميرته" فاستقدم "حضرة المولوي" إليه انطلاقاً من العلاقة الوطيدة والودالصميم الذي يربطهما، فلبّى دعوته ورضي بالعمل في مطبعته كمصحح للنصوص. وعمله هذا يكاد يكون إسميا، وقد توخى الكاتب هذا، من وراء استقدام "حضرة المولوي" إليه أن يتخذه صاحباً يشاركه في عمله، ويساعده عليه، لاغير. [يتبع]

☆ ☆ ☆

الهوامش:

(١) هو جلال الدين محمد بن محمد بن الحسين بن أحمد البلخي الرومي (٦٠٤ــ٦٧٢هـ = ١٢٠٧ــ١٢٧٣م) عالم بالفقه، والخلاف فيه ، وأنواع العلوم، متصوف، له "المثنوي" المعروف ، المنظوم بالفارسية وقد ترجم إلى غير لغة، وشرح وطبع بها، كتب مقدمتها باللغة العربية وتخللتها أبيات عربية من نظمه. (الأعلام للزركلي ٧/٣٠)

(٦) أيام الغدر . يراد بها عام ١٨٥٧م إذ اندلعت في الهند ثورة عارمة، وقام الهنود بحركة عنيفة كاسحة، ضد الانجليز، فقتلوهم تقتيلا حيث وجدوهم، ودمروا مصالحهم، وخربوا كل ما وصلت إليه أيديهم. فكانت ثورة جامحة ، وهاج الرأى العام ضد الاستعمار هيجانا عظيماً سماها الإنجليز بـ"أيام الغدر" وهي ثورة ضدهم.

موقف خالد

جاء رجل من الاعراب إلى النبي صلى الله عليه وسلم فآمن به واتبعه ، فقال : أهاجر معك، فأوصى به بعض أصحابه ، فلما كانت غزوة خيبر غنم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً فقسمه، وقسم للاعرابي، فأعطى أصحابه ماقسم له، وكان يرعى ظهرهم، فلما جاء دفعوه إليه، فقال: ماهذا؟ قالوا: قسم قسمه لك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخذه فجاء به إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ماهذا يارسول الله؟ قال: قسم قسمته لك.. قال: ماعلى هذا اتبعتك، ولكن اتبعتك على أن أرْمَي هاهنا ، وأشار إلى حلقه بسهم. فأموت فأدخل الجنة، فقال: إن تصدق الله يصدقك، ثم نهضوا إلى قتال العدو، فأُتي به إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وهو مقتول فقال: أهو هو؟ قالوا: نعم . قال صدق الله فصدقه.

المشيب وصوره

(٣/٤)

بقلم : معالي الدكتور عبد العزيز عبد الله الخويطر
المملكة العربية السعودية

ومن الأمور التي تجعل المعمر ثقيلاً على أهله ما ذكره زهير بن مرخة عن حاله ، فلضعفه لا يأمل إلا في النوم يريح جسمه به ، ويطالب أهله أن يبقوا فلا يرحلوا ، لأن الرحيل يتعبه ، ويطالبهم بأن يهيئوا له زاداً ، وفراشاً وطيئاً ، فلم يعد جسمه يتحمل عناء النوم على الفراش غير الوثير ، ولم يعد يقبل الجوع والسغب ؛ يقول عن هذا :

كَبُرْتُ وَأَمْسَتْ عِظَامِي رَمَادَا
وَمَا تَأْمَلُ العَيْنُ إلاَّ رُقَادَا
أَقُولُ لأَهْلِي لاَ تَظْعَنُوا
وهَاتُوا فِرَاشاً وَطِيْئاً وَزَادَا"[١]

ويصرح كعب بن رادة[٢] النخعي بأن أهله الأدنون قد ملوه ، وأبغضوا رؤيته ، لثقله عليهم ، وعدم فائدته لهم ، وهم أهل كدح وتعب ، من لا يشاركهم كدهم ، وسعيهم للرزق ، أعاقهم عنهما ، وحرمهم ثمرة كدهم وتعبهم ، يقول :

"لَقَدْ مَلَّنِي الأَدْنَى وَأَبْغَضَ رُؤْيَتِي
وَأَنْبَأَنِي ألاَّ يَحِلَّ كَلاَمِي"[٣]

ويطول عمر أوس بن ربيعة بن كعب حتى مله أهله ، وسئم هو عمره ، ومرور الأيام والليالي به؛ يعدها آتية ، ويعدها ذاهبة ، فيقول :

"لَقَدْ [٤] عُمِّرْتُ حَتَّى مَلَّ أَهْلِي
ثَوَائِيَ عِنْدَهُم[٥] وَسَئِمْتُ عُمْرِي
وَحُقَّ لِمَنْ أَتَتْ مِئَتَانِ عَامًا[٦]
عَلَيْهِ وَأَرْبَعٌ مِنْ بَعْدِ عَشْرِ
يَمَلُّ مِنَ الثَّوَاءِ وَ صُبْحُ يَوْمٍ
يُغَادُ بِهِ وَلَيْلٌ بعدُ يَسْرِي"[٧]

ويكرر مثل هذا المعنى حارثة بن عبيد الكلبي، ويتمنى أن عمره انتهى، ولكنه يرد على نفسه بأن التمنّى لا يفيده، ويشكو ضعفه وَمَرَضه، ولزومه بيته، حتى تأذى منه أقاربه، لطول مكثه ، واستثقلوا حياته، يقول حارثة :

"أَلاَ لَيْتَنِي أَنْضَيْتُ عُمْرِي
وَهَلْ يُجْدِي عَلَيَّ اليَوْمَ لَيْتِي؟!
حَنَتْنِي حَانِيَاتُ الدَّهْرِ حَتَّى
بَقِيْتُ رَذِيَّةً فِي قَعْرِ بَيْتِيْ
تَأَذَّى بِيَ الأَقَارِبُ إِذْ رَأَوْنِي
بَقِيْتُ وَأَيْنَ مِنِّي اليَوْمَ مَوْتِي!"[٨]

ويجمع أبو العريان، الهيثم بن الأسود النخعي، علامات الكبر، الدالة عليه، في أبيات دارت على ألسن الناس، لأنها شملت كثيراً مما جاء مفرقاً في الأشعار المختلفة، عن صفات الشيخ الهرم، وما يتعرض له من مشاق، وما يخسره من مكاسب، بعد أن فارقه الشباب :

يقول أبو العريان : [٩]

فَاسْمَعْ أُنَبِّئْكَ بآيَاتِ الكِبَرْ
تَقَارُبُ الخَطْوِ وَضَعْفٌ بالبَصَرْ

وَكَثْرَةُ النِّسْيَانِ مَا بِيْ مُدَّكَرْ
وَقِلَّةُ النَّوْمِ إِذَا اللَّيْلُ اعْتَكَرْ
أَوَّلُهُ نَوْمٌ وَثُلْثَاهُ سَهَرْ
وَسَعْلَةٌ تَعْتَادُنِيْ مَعَ السَّحَرْ
وَسُرْعَةُ الطَّرْفِ وَتَحْمِيْجُ النَّظَرْ
وَتَرْكِيَ الحَسْنَاءَ فِيْ قُبْلِ الطُّهُرْ
وَحَذاراً أَزْدَادُهُ إِلَى حَذَرْ
وَالنَّاسُ يَبْلَوْنَ كَمَا تَبْلَى الشَّجَرْ"(١٠)

ويخاطب يحيى بن الحكم الغزال امرأة عن الشيب، وما يأتي به للمرء، وفيه ما يكمل الصورة السابقة التي رسمها أبو العريان، أو المستوغر، في بعض الروايات، فيقول يحيى :

تَسْأَلُنِيْ عَنْ حَالِيْ أُمُّ عُمَر
وَهِيَ تَرَى مَاحَلَّ بِيْ مِنَ الغِيَرْ
وَمَا الَّذِيْ تَسْأَلُ عَنْهُ مِنْ خَبَرْ
وَقَدْ كَفَاهَا الكَشْفَ عَنْ ذَاكَ النَّظَرْ
وَمَا يَكُونُ حَالَتِي مَعَ الكِبَرْ
ارْبَدَّ مِنِي الوَجْهُ وَابْيَضَّ الشَّعَرْ
وَصَارَ رَأْسِيْ شُهْرَةً مِنَ الشُّهَرْ
وَيَبِسَتْ نَضْرَةُ وَجْهِيْ وَاقْشَعَرّ
وَنَقَصَ السَّمْعُ بِنُقْصَانِ البَصَرْ
وَصِرْتُ لاَ أَنْهَضُ إِلاَّ بَعْدَ شَرّ
لَوْ ضَامَنِيْ مَنْ ضَامَنِي لَمْ أَنْتَصِرْ
فَانْظُرْ إِلَيَّ وَاعْتَبِرْ ثُمَّ اعْتَبِرْ
فَإِنَّ لِلْحُلُوْمِ فِيَّ مُعْتَبَرْ"(١١)

ويلفت الجَرَنْفِش بن عبده الطائي نظر محدثته إلى ضعفه وعماه، وما وصلت إليه حاله ، مما يجعله لا يرجى للملمة ، ولا ينفع لنازلة ، وأن من حقه ، وقد وصل إلى حاله من عمى ، وقعود بالمنزل، أن يستريح، فيقول لها :

إِمَّا تَرَيْنِي لاَ أُعِيْنَ عَلَى النَّدَى
وَلاَ أَنْصُرُ المَوْلَى كَمَا كُنْتُ أَفْعَلُ
وَأَصْبَحْتُ أَعْمَى قَاعِداً مُتَوَكِّلاً
عَلَى اللهِ إِنَّ المُؤْمِنَ المُتَوَكِّلُ
فَحَقُّ امْرِيءٍ قَدْ سَارَ حَتَّى تَخرَمتْ
هُنَيْدَةُ حَقًّا أنْ يُنِيْخَ بِمَنْزِلِ" (كذا)(١٢)

وسنان بن وهب بن تيم يدلي بدلوه في هذا المقام، ويصف حاله من الضعف بأبيات منها :

لَقَدْ عُمِّرْتُ حَتَّى صِرْتُ كَلاًّ
مُقِيمًا لاَ أَحُلُّ وَلاَ أَسِيْرُ
تَأَذَّى بِيْ الأَقَارِبُ بَعْدَ أُنْسٍ
كَأَنِّي فِيْهِمُ فَرْخٌ شَجِيْرُ"(١٣)

(والشجير : الغريب من الناس والإبل) .

ومحصن بن عتبان الزبيدي يقول عن بقائه في بيته بعد أن طال به العمر، واستبد به الضعف :

الاَ يَا اسْمَ أَعْيَانِي الرُّكُوْبُ
وَأَعْيَتْنِي المَكَاسِبُ وَالذُّهُوبُ
وَصِرْتُ رَزِيَّةً فِيْ البَيْتِ كَلاًّ
تَأَذَّى بِي الأَبَاعِدُ وَالقَرِيْبُ"(١٤)

وتأتي صور مركبة يرسمها مسافع بن عبد العزى عن حاله مع من حوله، وما يجري بينه وبينهم، وما يظنون فيه ، وفي طول مكثه ، فيقول :

"إِذَا مَرَّ نَعْشٌ قِيْلَ : نَعْشُ مُسَافِعٍ
الاَ لاَ يُوَدِّي لَوْ بَنَى لِيْ لأَحِدُ
يَظُنُّون أَنِّي بَعْدُ أَوَّلُ مَيِّتٍ
فَأَبْقَى وَيَمْضِيْ وَاحِدٌ ثُمَّ وَاحِدُ
فَقَالُوا لَهُ لَمَّا رَأَوْا طُوْلَ عُمْرِهِ
تَأَتَّ لِدَارِ الخُلْدِ إِنَّكَ خَالِدُ

عِضَابٌ عَلَيَّ أَنْ بَقِيتُ وَإِنَّنِي
بِوُدِّي الَّذِي يَهْوُوْنَ لَوْ أَنَا وَاجِدُ"[١٥]

وزهير بن خباب يرى أن الموت خير للفتى قبل أن يضعف، ويقوده الولدان عندما يخيم الظلام، لضعف بصره، ووهن في قوته، وهو بهذا يتفق مع دعوة العامة التي يقولون فيها : " اللهم من حيلي لقبيري "، أي : أمتني ولِيّ قوة ؛ وزهير هذا قوله، وهو يرسله حكمة :

"فَالْمَوْتُ خَيْرٌ لِلْفَتَى
فَلْيَهْلِكَنْ وَبِهِ بَقِيَّةْ
مِنْ أَنْ يُرَى تَهْدِيهِ وِلْـ
ـدَانُ الْمُقَامَةِ بِالْعَشِيَّةْ"[١٦]

ويقول من أبيات أخرى :

"وَلَلْمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ حَدَاجٍ مُوَطَّإٍ
مَعَ الظَّعْنِ لا يَأْتِي الْمَحَلَّ لِحِينِ"[١٧]

(الحداج : محفة النساء).

وهبل بن عبد الله الكلبي يفضل الموت على طول العمر مع الضعف، واستبداد مظاهر الكبر بالمرء، المزرية له ، فيقول :

وَلَلْمَوْتُ خَيْرٌ لامْرِيءٍ مِنْ حَيَاتِهِ
يَدِبُّ دَبِيباً فِيَّ الْمَحَلَّةِ كَالْقِرْدِ"[١٨]

ومثله عمرو بن الحميس يفضل الموت على الخرف والهذيان ، وهما مما يعانيه الشيخ الفاني ، ويقول :

"فَإِنْ أَمُتْ فَالْمَوْتُ خَيْرٌ لِيْ[١٩]
مِنْ قَبْلِ أَنْ أَهْذِي وَلاَ أَدْرِي"[٢٠]

ويفقد جعفر بن قرط العامري لداته، ويشعر بالوحدة في هذه الحياة، فمن حوله ليسو من معاصري شبابه ، فيخاطب المرأة بقوله :

"لَمْ يَبْقَ يَا خَذْلَةُ مِنْ لِدَاتِي
أَبُو بَنِيْنٍ لاَ وَلاَ بَنَاتِ
مِنْ مَسْقَطِ الشَّمْسِ إِلَى الفُرَاتِ
إِلاّ يُعَدُّ الْيَوْمَ فِي الأَمْوَاتِ"
هَلْ مُشْتَرٍ أَبِيْعُهُ حَيَاتِي[٢١]

وثعلبة بن كعب بن زيد المح إلى أنه يتمنى الموت إلا أن الموت أخلف رجاءه في هذا، وأبقاه حبيساً في بيته ، يقول ثعلبة :

"فَأَصْبَحْتُ الغَدَاةَ رَهِيْنَ بَيْتِي
وَأَخْلَفَنِي مِنَ الْمَوْتِ الرَّجَاءُ"[٢٢]

وكعب بن رادة [٢٣] النخعي تمنى أن يكون قد مات، ورمس في لحده ، بعد أن ضعف ، فيقول :

فَيَا لَيْتَنِي قَدْ سِخْتُ فِي الأَرْضِ قَامَةً
وَلَيْتَ طَعَامِي كَانَ فِيْهِ حِمَامِي[٢٤]

ويبرر المنذر بن حرملة تمنيه الموت، أو تفضيله إياه، تبريراً يجعل الموت مرحباً به، فيقول مرحباً بالموت:

"إِذَا جُعِلَ الْمَرْءُ الَّذِيْ كَانَ حَازِماً
يُحَلُّ بِهِ حَلُّ الحِوَارِ وَيُحْمَلُ
فَلَيْسَ لَهُ فِيْ العَيْشِ خَيْرٌ يُرِيْدُهُ
لآتِيْهِ، وسَوْفَ - واللهِ - أَفْعَلُ"[٢٥]

والمستوغر بن كعب يمل الحياة بعد أن عمر على ما يقال مئات السنين ، ولم يعد في الحياة له أي رغبة، لأنه ليس فيها ما يجذبه ، وقد أضناه مر السنين، ورتابة الزمن ، فيقول في هذا :

"وَلَقَدْ سَئِمْتُ مِنَ الحَيَاةِ وَطُوْلِهَا
وعَمَرْتُ مِنْ عَدَدِ السِّنِيْنِ مِئِيْنَا
هَلْ مَا بَقِيْ إِلاَّ كَمَا قَدْ فَاتَنَا
يوْمٌ يَمُرُّ وَلَيْلَةٌ تَحْدُوْنَا"[٢٦]

وأكثم يؤكد أن رتاذبة مرور السنين تجعل المرء يمل الحياة :

"وَإِنَّ امْرَءاً قَدْ عَاشَ تِسْعِيْنَ حَجَّةً
إِلَى مِئَةٍ لَمْ يَسْأَمِ العَيْشَ جَاهِلُ"(٢٧)

وزهير بن جناب يلمح بتفضيل الموت بعد أن تنهك المرء السنون ، فيقول :

لَقَدْ عُمِّرْتُ حَتَّى ما أُبَالِيْ
أَحتْفِيْ فِي صَبَاحِيْ أَوْ مَسَائِي
وَحُقَّ لِمَنْ أَتَتْ مِئَتَانِ عَاماً(٢٨)
عَلَيْهِ أَنْ يَمَلَّ مِنَ الثَّوَاءِ(٢٩)

ويقول أيضاً .

"لَيْتَ شِعْرِيْ، وَالدَّهْرُ ذُو حَدَثَانِ
أَيُّ حِيْنٍ مَنِيَّتِيْ تَلْقَانِي
أَسُبَاتٌ عَلَى الفِرَاشِ خُفَاتٌ
أَمْ بِكَفَّيْ مُفَجِّعٍ حَرَّانِ"(٣٠)

ويجيء المشيب ، وتأتي معه العصا ، ولا ينساها المعمر، وهي صديق وفيّ له ، وتصبح من لوازمه ، لا تفارقه حتى يفارق الحياة ، يقول عن العصا مرادس ابن صبيح :

"أَدِبُّ عَلَى العَصَا لَمْ يَبْقَ إِلاَّ
لِسَانٌ صَارِمٌ عَضْبٌ خُتَاتٌ"(٣١)

والمقارنة بين وسائل القوة ، والاستفادة منها أيام الشباب، ووسائل الضعف، وحلولها محلها، وقت المشيب ، مادة دسمة للأسى والحزن على ما فات، وتأتي هذه المقارنة مؤثرة تأثيراً بالغاً، لأنها تقطر ألماً، خاصة ما فيها من حدة التفاوت بين طرفي الأمر، مما يؤكد حالة الحاصر التي عليها الشيخ، وهو يتصور ماضيه المبهج ، ويقارنه بحاضره المعتم، وممن لمس هذا الجانب ، وكانت إحدى وسائل المقارنة عنده العصا، عوف بن سبيع بن عميرة ، حين يقول من أبيات ساقها:

"وَبُدِّلَ، مِنْ طِرْفٍ حَوَاءٍ حَشِيَّةٌ
وَمِنْ قَوْسِهِ وَالرُّمْحِ وَالصَّارِمِ، العَصَا"(٣٢)

ولبيد بن ربيعة بن مالك . وقد عمر، يذكر العصا، واعتماده عليها ، ويرسم صوراً تكمل منظر الشيخ ؛ فيها إتقان وإبداع ، حيث يقول :

☆ ☆ ☆

حواشي :

(١) كتاب المعمرين ٨٨، المعمرون والوصايا ٨٠
(٢) في " المعمرون والوصايا" رداة
(٣) كتاب المعمرين ١٠٠، المعمرون والوصايا ٩٣
(٤) في " المعمرون " حلقت
(٥) في "المعمرون" فيهم
(٦) في "المعمرون" مئتين عام
(٧) كتاب المعمرين ١٠١، المعمرون والوصايا ٩٤
(٨) كتاب المعمرين ١٠٢، المعمرون والوصايا ٩٤
(٩) يقال إن قائله المستوغر بن ربيعة
(١٠) البيان والتبيين . ٣٩٩/١، بهجة المجالس ٢٢٧/٣، الحيوان ٤٩/٥، عيون الأخبار ٣٢١/٢ و ٣٤٤، العقد الفريد ٥٥٣/٣
(١١) بهجة المجالس ٢٢٨/٣
(١٢) كتاب المعمرين ١٠٨، المعمرون والوصايا ٩٩ ، وقد تكون ويزل!
(١٣) كتاب المعمرين ١٠٩، المعمرون والوصايا ١٠٠
(١٤) كتاب المعمرين ٣٥، المعمرون والوصايا ٩٦
(١٥) كتاب المعمرين ٤٠، المعمرون والوصايا ٣١
(١٦) كتاب المعمرين ٤٢، المعمرون والوصايا ٣٣
(١٧) كتاب المعمرين ٤٣، المعمرون والوصايا ٣٤
(١٨) كتاب المعمرين ٤٦، المعمرون والوصايا : ٣٧ .
(١٩) في "المعمرون" . الموت لي حوزة
(٢٠) كتاب المعمرين ٤٧، المعمرون والوصايا ٣٩
(٢١) كتاب المعمرين ٦٣، المعمرون والوصايا ٥٥
(٢٢) كتاب المعمرين ٩٨، المعمرون والوصايا ٩١ .
(٢٣) في "المعمرون" رداة
(٢٤) كتاب المعمرين ١٠١، المعمرون والوصايا . ٩٣
(٢٥) كتاب المعمرين ١١٧
(٢٦) كتاب المعمرين ١٨، المعمرون والوصايا ١٢
(٢٧) كتاب المعمرين ٢١
(٢٨) في "المعمرون" عام
(٢٩) كتاب المعمرين ٤٢، المعمرون والوصايا ٣٤
(٣٠) كتاب المعمرين ٤٣، المعمرون والوصايا ٣٥
(٣١) كتاب المعمرين ٥٣، المعمرون والوصايا ٤٤
(٣٢) كتاب المعمرين ٧٩، المعمرون والوصايا ٧١

محللون إسرائيليون :
الحركات الإسلامية مرشحة لاكتساح الشارع العربي

السبيل – " انظروا إلى نتائج جامعة بيرزيت وانظروا إلى باقي الجامعات الفلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة، ولنسأل أنفسنا لماذا يحقق أنصار حماس هذه النتائج الباهرة" هذا ما قاله الجنرال داني روتشيلد الذي شغل في السابق منسق شؤون الضفة الغربية وقطاع غزة في وزارة الدفاع الإسرائيلية أثناء الانتفاضة. وفي معرض يوم دراسي عقد أواخر الأسبوع الماضي في جامعة حيفا شدد روتشيلد على أن كل الدلائل على أن الحركات الإسلامية على الرغم مما يسميه " الضغط المنسق " الذي تتعرض له إلا أنها مرشحة لاكتساح الشارع العربي والفلسطيني

المستشرق رؤفين باروخ الذي أعد الكثير من الدراسات عن مستقبل التسوية بين إسرائيل والدول العربية أظهر تشاؤما إزاء فرص نجاح مشاريع التسوية بين الطرفين قائلا أن المشكلة تكمن في أن الحد الأدنى الذي يمكن أن تتنازل عنه "إسرائيل " من مكتسباتها من الحرب لا يمكن أن يستجيب للحد الأدنى من الحقوق التي يرى الشارع العربي وجوب أن ترجع للعرب.. ويختار باروخ الأردن ليضرب به مثلا عن هذه الحالة حيث يقول باروخ إن الحكومات الأردنية المتعاقبة عملت منذ التوقيع على اتفاقية "وادي عربة" وقبل ذلك على توثيق علاقاتها مع "إسرائيل" لكن الأغلبية الساحقة من الأردنيين وقواه السياسية والمثقفين لم يروا الأمور بهذه الصورة على الإطلاق، ويؤكد باروخ على أنه وعلى الرغم من أن الحكومة الأردنية قد عملت على تحجيم الحركة الإسلامية عبر تطبيق قانون الصوت الواحد لكي يتسنى لها مواصلة مخططات التصالح مع إسرائيل في ظل تقليص هامش المناورة للقوى المعارضة للتطبيع مع إسرائيل، إلا أن ذلك لم ينجح على حد تقويم باروخ الذي يشير إلى النجاحات الكبيرة التي تحققها الحركة الإسلامية على جميع الصعد وعلى الأخص فيما يتعلق بانتخابات الأطر النقابية التي يقول باروخ أنها محرجة للحكومة الأردنية ولأنصار التسوية داخل إسرائيل.

كما فعلت مصر والأردن
إسرائيل تطلب تعديل مناهج التعليم السورية

الوطن ـ حثت الحكومة الإسرائيلية سوريا على ضرورة تعديل مناهج التعليم في مدارسها وجامعاتها بما يخدم عملية السلام بين الجانبين، فقد دعت إسرائيل سوريا إلى إعادة كتابة كتب التاريخ السورية كما فعلت مصر والأردن بعد توقيعهما اتفاقيات صلح كامب ديفيد ووادي عربة مع إسرائيل.

ويقول الإسرائيليون أن الفصل الـ ١٣ من كتاب مدرسي للصفوف الابتدائية في سوريا يعلم التلاميذ بأن الصهيونية كعقيدة يقوم عليها الكيان الإسرائيلي هي "حركة نازية تهدف إلى استعمار الوطن العربي من النيل إلى الفرات". كما تقول نصوص كتب التربية الوطنية في سوريا إن "الكيان الإسرائيلي سرطان خبيث زرع في قلب الوطن العربي ويسعى إلى التوسع عن طريق التوسع العنصري" . وتكرس الكثير من الكتب المدرسية السورية فصولا للاعتداءات الإسرائيلية على العرب وتشجع الجهاد ضد إسرائيل وتصور هذه الكتب إسرائيل بأنها عقبة في وجه الوحدة العربية وهي القضية المركزية في العقيدة التي يستند إليها حزب البعث الحاكم في سوريا وفي الوقت الراهن نادرا ما تذكر كلمة إسرائيل في صفوف المدارس السورية إلا في الإشارات العريضة "للصراع العربي ـ الإسرائيلي" وكما هو الحال في معظم الدول العربية فإن الخرائط وكتب الجغرافيا تعرف المنطقة المحتلة والتي يقوم عليها الكيان الإسرائيلي بأنها فلسطين. وتقول الكتب المدرسية السورية إن إسرائيل خلقت "كقاعدة جغرافية للاستعمار البريطاني والفرنسي وموطئ قدم استراتيجي للغرب لحماية مصالحه ومنع التقدم العربي" . ومن المعروف أن السوريين يتعلمون أن إسرائيل هي العدو الأساسي وهي كيان غير شرعي اغتصب مرتفعات الجولان من سوريا وقتل آلاف العرب، وأن العداء المستحكم قد انتقل إلى الأجيال الشابة طيلة خمسين عاما من تاريخ الصراع العربي ـ الإسرائيلي.

وكانت الحكومة الأردنية قد قامت في أعقاب توقيعها اتفاقية الصلح مع إسرائيل في عام ١٩٩٤ بتعديل الكتب المدرسية على كل المستويات لإلغاء أي إشارات تحرض على كراهية إسرائيل. كما أن الكتب الدراسية المصرية التي تتحدث عن الصراع العربي ـ الإسرائيلي منذ الأربعينيات تعتبر "معتدلة" ولكن كتب التربية الدينية تنتقد الأعمال اليهودية في الأيام المبكرة للإسلام في شبه الجزيرة العربية.

المجلس الأوروبي يعترف بالممارسات العنصرية ضد المسلمين

<u>ستراسبورغ ـ من واس</u>

اعرب المجلس الاوروبي عن قلقه ازاء المظاهر التي تشير إلى أن التعصب وعدم التسامح ضد المسلمين في تزايد مستمر في اوروبا.

واشارت اللجنة إلى انها رصدت تمييزاً عنصرياً وطائفياً واضحاً ضد المسلمين في مجالات التوظيف والاسكان والتعليم والعدالة كما رصدت ايضاً زيادة في الشكاوى المقدمة ضد رجال الشرطة لتبنيهم مواقف وسلوكيات عنصرية ضدهم.

وطالبت اللجنة الدول اعضاء الاتحاد الاوروبي بالعمل على وقف ممارسات التمييز العنصري ضد المسلمين في تولي الوظائف وضرورة ضمان الحرية الدينية لهم وإزالة كل العقبات القانونية التي تحول دون بناء العدد الكافي من المساجد من أجل ممارسة عباداتهم.

الإسلام و العقلانية

[الحلقة ٤٦]

بقلـــم : الشيخ الجليل المربي الكبير العلاّمة أشرف علي التهانوي
المعروف بـ " حكيم الأمة " المتوفى ١٣٦٢هـ / ١٩٤٣م
تعريب : أبو أسامة نور

أمثلة للعلل المخترعة

وكـذلك يجـوز الحـديثُ في المحظـورات الشرعيّة، فمثلاً . أشدّها هو الخمر ولحم الخنزير. وقد قالوا : إنّ العلّة في النهي عن الخمر هو إفضاؤه بشاربه إلى المفاسد الأخلاقية وزوال العقل. وقد يجوز لمعارضٍ أن ينهض ويقول: إذا عَمِلَ الشارب بالاعتدال ولم يتناول منه إلاّ القدر الذي لا يؤدّى به إلى زوال العقل، ينبغي أن تسمح له الشريعة بذلك. وقد تعاملت الدول والأمم بهذا المبدأ فعلاً، فهي تفرض الحظر على تناول الخمر والمخدّرات في الشوارع والطرقات والأسواق والمحافل العامّة، وتسمح بتناوله تحت شروط حفيفة.

وقد قالوا : إنّ السبب في النهي عن تناول لحم الخنزير هو كونه قذراً وضارّاً. وعَقَّبَ عليه المعارض فقال: إنّ تربيته هذه الأيّام تخضع لشروط ومواصفات صحيّة شديدة تُسْتَبْعَدُ معها أيُّ قذارة، فهناك إجراءات رتيبة لغسيله بالصابون يوميًّا، وتُوَفَّر له أغذية نظيفة، وتُنْشَأ له حظائر صحيَّة نظيفة، ولا يُسْمَحُ له بالخروج منها إلى الأمكنة القذرة التي كان يسوم فيها ويرتع من قبل؛ فلم يعد لحمه قذراً وضارًّا مثلما كان من قبل، ولو بقي ضارًّا بشكل فإن هناك أساليب حديثة لإصلاحه وتجريده من جميع الأضرار والمفاسد الصحيّة؛ فلا داعي اليوم إلى تحريمه والتشنيع عليه !!.

والجواب أنّ اللّه عزّ وجلّ قد حرّمه دون ذكر للسبب ودون إشارة إلى العلّة؛ فالواجب هو العمل بتحريمه دون إيجاد العلل والأسباب التي يخترعها المخترعون ويتلاعب بها عقلاء اليوم.

إثبات إفـاديّـــة الأحكام الشـرعيّـــة بالعلل والمصالح المخترعة ، خطوة قائمة على غير أساس

ونكتفي ههنا بهذه الأمثلة المعدودة. والغرضُ هــو أنّ إثبــات إفـاديّة الأحكام الشرعيّــة لـدى غير المسلمين في ضوء هذه العلل والمصالح المخترعة، خطوة قائمة على غير أساس، ومؤدّية إلى مفاسد شتى. وإنما الخطوة الصائبة هي أن نقول : إنّها كلها أحكام إلهيّة، ثابتة بالأدلّة الشرعيّة، فالعمل بها واجب، وبكلمة أخرى: إنّها أحكام دينية ، فمخالفتُها تستلزم مخالفةَ الدين وتركه؛ فإذا كنا نؤمن بالإسلام، فلا معدى لنا عن العمل بها. وموضوعٌ آخر أن نقول: لماذا أسلمنا وآمنّا بالإسلام؟ إنّ الإجابة عن ذلك لا يكفي فيها العلم بمصالح الأحكام وعللها، وإنما الحاجة إلى الاعتراف بأنّ الإسلام مبادؤه ثابتة بالدليل، وهي ثابتة فعلاً في موضعها؛ فالكتب التي تتحدث عن العقائد

محليــــــات

جمعية علماء الهند تعقد احتفالها العام السادس والعشرين في دلهي احتجاجا على مشروع قانون يقضي بفرض الحظر على بناء المعابد والمساجد

إعداد: أبو عميمة القاسمي

"جمعية علماء الهند" قامت بعقد احتفالها العام السادس والعشرين في ١٣/ مايو الغابر عام ٢٠٠٠م وفي إحدى ميادين "دلهي" الفسيحة الواسعة برئاسة رئيسها فضيلة الشيخ "السيد أسعد المدني" عضو البرلمان سابقاً. جاء عقد هذا الاحتفال – الذي حضره سبع مائة ألف مسلم على أقل تقدير من كافة بقاع الهند وولاياتها إعراباً عن أسفهم وغضبهم على السياسة العدائية التي تتبناها الحكومة المركزية في دهلي وحكومة "يوبي" الإقليمية – احتجاجاً على مشروع قانون أسود وافق عليه المجلس التشريعي الإقليمي قبل بضعة أشهر يقضي بأنه لا يجوز دون إذن مسبق من حاكم المديرية إنشاءُ بناية يتم فيها إلقاء دروس دينية، وبناء المعابد، وإدخال أي نوع من زيادة أو تعديل عليها

ومع أن المشروع يعمّ الديانات كلها ويفرض الحظر على إنشاء مدارس دينية ومعابد دونما تفريق في الظاهر بين ديانة وأخرى، غير أن الخلفيات التي سبقت إعداد المشروع والتصريحات التي أدلى بها بجانب كبير وزراء الولاية، كلّ من وزير الداخلية و وزير تنمية المدن والبنايات العامة بحكومة يوبي والرئيس الإقليمي لحزب "ب ج ب" تؤكد أن المشروع في الحقيقة يستهدف المسلمين أصلاً، وأنه لم يتمّ إعداده إلاّ لفرض الحظر على بناء المساجد والمدارس والكتاتيب الدينية لهم. ولذلك فقد ثار المسلمون عبر الولاية على المشروع وأقاموا تظاهرات ومسيرات واجتماعات عديمة النظير في جميع أرجاء البلاد.

وبما أن "جمعية علماء الهند" هي أقدم جمعية إسلامية أنشئت على أيدي عباد الله الصالحين من العلماء العباقرة قبل ٨٠ عاماً في ١٩٢٠م فقامت جرياً على عادتها في السنين الغابرة في مثل هذه الأوضاع ووفاءً بمسؤوليات قيادة الشعب المسلم وتوعيته بما يحدق به من خطر على نفسه، وماله، ودينه، اجتماعاً عاماً على نطاق أوسع في عاصمة البلاد "دلهي" بعد أن أقامت اجتماعاً حافلاً مثله في عاصمة الولاية "لكناؤ" في ٥/ أبريل المنصرم ٢٠٠٠م

حضر الاجتماع بالإضافة إلى عدد كبير من مسؤولي الجمعية وأعضائها والعلماء، عمداءُ المدارس الدينية عبر البلاد، والزعماءُ والقادةُ والساسةُ أمثال: المستر "روميش بنداري" حاكم ولاية "يوبي" الأسبق. والسيد "غلام محمود بنات والا" عضو البرلمان ورئيس العصبة الإسلامية لعموم الهند، والسيد "شهاب الدين" عضو البرلمان سابقاً، والمستر "أجيت سينغ" عضو البرلمان ورئيس حزب "راشتريه لوك دل" والسيد "غلام نبي آزاد" عضو البرلمان، والشيخ "عبيد الله خان" عضو البرلمان. وتحدث كل منهم إلى الاجتماع وحذّروا حزب "ب ج ب" من سياسته العدائية التي يتخذها ضد أقليات البلاد لاسيما المسلمين، وأكدوا في صراحة دونما التواء وتعقيد أن الأحزاب العلمانية لن تسمح للحزب بأن يترجم أمنيات منظمة "آر. إيس. إيس" إلى الواقع ، ولا بأن يجرد البلاد عن علمانيتها ، ويحوّلها دولة هندوسية متطرفة تؤمن بمعنى ضيق للهندوسيّة.

هذا وقد أسفر الاجتماع عن خمسة عشر قراراً نذكر منها فيما يلي بعضا منها يحتل أهمية بالغة نظراً إلى الأوضاع السائدة في البلاد

١- يُطالَبُ كلُّ هندي يحبُّ البلاد بأن ينهض ضد هذا المشروع الأسود إبقاء على النظام العلماني للبلاد، وأعرافها الجمهورية، وأن يستعدّ لتقديم كل نوع من التضحية لأجل إلغاء المشروع.

٢- كما يناشد قرار آخر كافةَ المنظمات والأحزاب العلمانية أن تتكاتف للحدّ دون نشاطات "آر. إيس. إيس" والحيلولة دون نفوذها وتدخلها المتصاعد يوما فيوما في مصالح الحكومة وسياستها، متعالية عن مصالحها – المنظمات – الشخصية.

٣- رفع الاجتماع إلى الحكومة المركزية المطالبة بتخصيص مقاعد للمسلمين في المصالح الحكومية جمعاء وفق نسبتهم السكانية

٤- وطولبت الحكومة المركزية بإضفاء صفة منظمة إرهابية على منظمة "آر. إيس. إيس" .

٥- وندّد الاجتماع في قرار بشدّة بإدخال تعديلات على دستور البلاد .

٦- حذّر الحكومة من فرض نظريات معادية للعلمانية على المواطنين

٧- طالب بتقديم التعاويض المالية إلى الأسر التي ذهب أعضاؤها ضحية الاضطرابات الطائفية.

٨- وندّد بالقيود المفروضة على العراق وبالاعتداءات الصارخة التي تتعرض لها البشرية في منطقة القوقاز بأيدي القوات الروسية.

كما اتُّخِذَتْ قراراتٌ في خُصُوص الجامعة الملية الإسلامية (دلهي) التي تعرض طلابها المسلمون لعقاب الشرطة العشوائي دونما مبرر، وفي خصوص الحفاظ على الأوقاف الإسلامية المنتشرة في البلاد كلها، وتجريدها من سيطرة الغاشمين.

وقال فضيلة الشيخ " السيد أسعد المدني" رئيس الجمعية في كلمته الرئاسيّة: إن المنظمات الهندوسية المتطرفة الفاشية تعمل على زعزعة البنية العلمانية للبلاد، وتسعى لأن تمهد بذلك تطبيق قوانين هندوسية إنما تجعل مقاليد الحكم في الهند بأيدى الطبقات العليا من الهندوس، وتحول الشعوب كلها خاضعة لأرائهم وعالةً على مآدبهم. ووصف المشروع الأسود الذي اتخذه المجلس الإقليمي لولاية "يوبي" بأنه جزء من جدول الأعمال السري الذي تعتمده "آر. إيس. إيس" كما أعرب عن عجبه البالغ قائلا: كيف تمكنت الحكومة الإقليمية من كسب موافقة المجلس التشريعي على المشروع مع أنها لا تحظى بالأغلبية الساحقة، وإنما تحكم بتضامن أحزاب تدّعي العلمانيّة.

واتهمّ فضيلته حزبَ " ب ج ب" الحاكم في الولاية بأنه تقوم بحملة مكثفة ضد معابد الأقليات والإساءة إلى كتبهم الدينية، وتريد أن تستأصل مدارسها من جذورها. وأضاف قائلا: إن تكوين اللجنة لإعادة النظر في دستور البلاد جزء من الحملة الخبيثة. وتابع أن المنظمات الهندوسية تستعمر منذ أن بزغ فجر الاستقلال في حلقتها الماكرة العدائية التي تستهدف تحريم المسلمين من مصادر الاقتصاد وموارده الآمنة، وتنزل بهم إلى ما كان فيه أبناء الطبقات المنبوذة من الهندوس في قديم الزمان. ولكنه أعرب عن يقينه بأن هذه الجهات لن تصل إلى ما تصبو إليه ما دام دستور البلاد يضم بنودًا أساسية لا تخضع لأي نوع من تعديل. وقال وهو يشير إلى حكم تأريخي قد سبق أن أصدرته المحكمة العليا جاء فيه: أن العلمانية أساس الدستور وروح البلاد. وانتقد حزب المؤتمر الحاكم في ولاية "مدهيا براديش" و "راجستهان" على أن مثل هذا القانون الأسود لا يزال ساري المفعول فيهما، وتلتجيء إليه السلطات المحلية للحيلولة دون إنشاء مساجد جديدة وإدخال تعديل على القديمة منها واستشهد على ذلك بأن هناك ١٦٠ مسجدا في مدينة "بوفال" عاصمة "مدهيا براديش" في انتظار أن تأخذ من السلطة تصريحا بترميمها وإدخال تعديل لازم عليها.

في تصريح لوزير الداخلية:

الأنباء التي تقول: إن المدارس الدينية ملاجئ للإرهابيين أكذوبة محضــــة

صرّح المستر "إيل. كي. إيدواني" وزير الداخلية في الحكومة المركزية – وهو يتحدث إلى البرلمان في ٢/مايو الماضي– أنه لم يتلق أي تقرير عن أية منطقة في البلاد يفيد بأن المدارس الدينية تُسْتَخْدَمُ لصالح الإرهاب. وأكد أن الحكومة سوف تتخذ الإجراءات القانونية إذا اطلعت على نشاطات إرهابية. وتابع أن القانون الذي جاء تطبيقه في عام ١٩٨٨م يعطي ضمانا للحيلولة دون استعمال المدارس الدينية لأغراض خاطئة، وأن في القانون ضماناً كافياً لمنع تلاعب المغرضين بوحدة البلاد وسلامتها، وأنه يعارض أشد المعارضة كافة النشاطات الهدامة من : ادخار الأسلحـة ، واتخاذ خطوة تضر بالانسجام الطائفي ، أو تثير الكراهية الاستنكار على أساس اللغة والديانة والمنطقة والطبقة ، أو تلحق الضرر باستقلال البلاد.

وبالمناسبة يجدر بالذكر أن هناك أوساطا طائفية في البلاد ولا سيما منظمة آر. إيس. إيس لم تزل تنشر شائعات وأكاذيب تثير شكوكاً في أعمال ونشاطات المدارس الدينية، وتتهم بأنها أصبحت مخابئ آمنة للإرهابيين ورجال المخابرات السرية (الباكستانية) "آئي. إيس. آئي" وهذه التهم كلها أو جلّها تُوَجّه في الأغلب إلى المسلمين ومدارسهم وكتاتيبهم.

بقية " إشراقة " المنشورة على ص ٤٨

التي تتصيّد كلَّ دقيق وجليل من عروق وخطوط وشعرات جسمها . آلافٌ من المصوّرين يهجمون عليها هجمةَ رجل واحد ليلتقطوا صورةً لها خلاّبةً يُسْكِرُوْنَ بها عقولَ الشباب، ويفسدون بها قلوبَ الفتيان والفتيات ، و يفجّرون بها غرائزَهم الجنسيّة، ويغرونهم بها بإقامة علاقات مُحَرَّمَة ، وممارسة كلّ عمل خبيث يُغْضِبُ الله المنتقم الجبّار . ويُرْضِيْ تلاميذَ الشيطان في كلّ مكان .

هل كان الإنسان في الماضي — أيّا كان دينه واتّجاهه — يستطيع أن يتصوّر مدى هذا النجاح الباهر الذي أحرزه الشيطان في عصرنا هذا ، والانتصارات الرائعة التي حقّقها على جميع المستويات التي لم يحلم بها هو عندما تحدّى اللّه عزّ وجلّ بأنّه سيغويّن بني آدم إلى يوم الدين ، ويحوّلهم وقوداً لائقاً للنار.

هل كان الإنسان السالف يدور بخلده أن يأتي زمان يسمح فيه الوالد لابنته أن تتدرّب على فنّ عرض الجمال ، وفن إبراز المفاتن ، وفن كسب قلوب الشباب ، وتصيّد لفتات الفتيان ، وخطب ودّ الأشرار من الرجال ، وخطف حبّهم الغامر ، وإنشاب شصّ سحرها في كلّ شيصة .

هل كان الإنسان الماضي ليتوقّع أنه سيُظِلُّ زمانٌ يعمل فيه العالم كله على تعرية المرأة ، وتجريدها من كل ما يستر جسدها الناعم الفاتن ، وجسمها اللين الرقيق الدقيق ؛ وينزع عنها لباسَ الحشمة والحياء ، ويجعلها تتسكّع في الشوارع ، والمحافل ، والنوادي ، والمكاتب ، والمحلاّت التجاريّة، ومخابئ القمار والفواحش ، وأوكار الرذائل والدعارة .

العالـمُ كلّه اليوم يعمل جاهدًا أن يُحَوّلَ المرأةَ باسم الحـريّة ، سلعـةً رخيصـة من سلع التجارة الجنسيّة، ووسيلة للدعاية التجارية الفعّالة : فيوظّفها لذلك عبر وسائل الإعلان والإعلام المرئية والمقروءة والمسموعة ، تجذب الأنظار ، وتسترعي الانتباه، وتستقطب اهتمام عدد كبير من الزبائن بصوتها الرخو الناعم ، ودلالها الساحر ، وجمالها الجذّاب ، وأدائها اللّبق ، وتفنّنها الخلاّب ، وابتساماتها العريضة الراقصة على شفتيها .

العالم كله اليوم يسعى حثيثاً أن يسلب المرأةَ جميع الامتيازات والحرمات وأرصدةَ العزّ والفخار، والعفّةِ والطهر ، والعظمةِ والشرف ، التي أكرمها بها الإسلام ، وأكّد عليها نبيُّ الرحمة محمّد عليه الصلاة والسلام ، وأعلن ميثاق حقوقها إلى جانب حقوق الإنسان باختلاف جنسه ولونه وعرقه ، في حجّة الوداع التي لحق بعدها بالرفيق الأعلى .

أليس عجبًا أنّ العالم المعاصر ، المجنون بالأهواء والشهوات ، المفتون بالدعارة والاستهتار، المشغوف بممارسة الرذائل والفواحش ، يُكَبِّلُ المرأة بحجّة تحريرها ، ويضع عليها من جديد الإصر والأغلال التي حررّها منها الإسلام ،

ويُثقِلُها من أعباء الحياة بما جعلها مكدودة مجهودةً؛ لأنّه أخرجها من البيت، وشرّدَها في دروب الحياة الوعرة ، بحجة أنّها لابدّ أن تتمتع ـــ ما دامت إنسانةً وآدميّة مثل الرجل ـــ بالمساواة في جميع الحقوق والواجبات التي حرّمها منها الإسلام الذي سجنها في البيت ، وحبسها فيما بين الجدران ، وكبّلها بالحجاب ، ولم يثق بذاتها فمنعها من الاختلاط مع من تشاء من الرجال ، وممارسة دورها في المجتمع الإنساني متكاتفةً مع الرجال في جميع الأعمال التي يقومون بها !!.

☆ ☆ ☆

إنّ حريّة الفكر والرأي تعني عندهم فيما تعني تناولَ أحكام الدين بالاستهزاء ؛ وقيم الإسلام بالتنديد ؛ وتعاليم الإسلام بالاتهام بالجور والظلم واللاعدل ؛ وأوامر الإسلام ونواهيه بالنقص والضعف والتفاهة والبلادة ؛ وحدود الإسلام وعقاباته وتعزيراته بالرجعية والبدائية والظلاميّة ، وبكونها ذات الرؤية السلبيّة إلى الإنسان ، والخارقة لحقوقه، المتعارضة مع حرمته . وتعني تناولَ شعائر الإسلام وحرماته ، ومقدساته ومسلماته ، بالإساءة وبالقدح اللاذع ، وبالجرح اللادغ ، والانتقاد اللاسع. وقد تجلّى ذلك واضحًا في الموقف المشين الذي وقفه العالم الغربي والشرقي المتنور المهذّب ـــ على حد زعمه ـــ من كتابات سلمان رشدي الشيطان : الهندي الأصل البيريطاني الجنسيّة ، ذلك الكاتب الفاشل مهنيًا أو تلك العملة الهابطة التي لم تحقق صعودًا رغم تسليط الأضواء عليها وتكثيف الدعايات لصالحها؛ والراوية البنغلاديشيّة المتحررة " تسليمه نسرين " الخائبة في تحقيق أحلامها. ومن إليها من أصحاب الأقلام المسمومة والألسنة القارصة.

وعندما تناول الكتّابُ والمثقفون المسلمون هذه الكتاباتِ بالتحليل الجادّ والانتقاد العلميّ ، هَرَعَ هؤلاء كلّهم ليتّهموهم بضيق الأفق والتفكير، وبمحاولة الحيلولة دون حريّة الرأي والفكر والتعبير. وأصبح العالم كله ـــ سوى المسلمين الملتزمين ـــ صوتًا واحدًا ويدًا واحدةً ضدّ المحتجّين ضد هذه الكتابات ، وأقاموا الدنيا ـــ ولم يقعدوها بعد ـــ على أنّ المسلمين لايتحملون كلمةَ انتقادٍ تُوَجَّهُ إلى دينهم، مما يدلّ على أنهم عاطفيّون سطحيّون غير مصداقيّين وغير متسامحين مع معارضيهم وغير محترمين للرأي الآخر، ويدّل على أنّ ديانتهم غير واقعيّة ، وأنها منطوية على نقاط الضعف ؛ لأنّها لوكانت مجموعةَ حقائق مائةً في المائة لما ضرّهَا وضرّ المسلمين أيُّ انتقاد لها ، لأنّ الانتقاد لايغيّر من الحقائق مثقالَ ذرة !!.

وقد جعلوا قضيَّةَ الدفاع عن الشيطان رشدي والفاسقة تسليمة نسرين وحمايتهما ومساندتهما والاحتفاء بهما ، قضيةَ عزّهم وفخارهم ، وقضيّةَ نخوتهم وإبائهم ، وقضيّة موتهم وحياتهم ، وقضيّةَ

انتصارهم وانكسارهم .. وكأنّ كل من يتناول الإسلام بالسباب والشتائم ويتطاول على مقام النبي الأعظم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، يعود محبوباً لديهم يجب عليهم الاستمامة دونه، وفداؤه بالنفس والنفيس .

☆ ☆ ☆

ومقابل ذلك إذا حاول المسلمون أن يُوظّفوا حريّةَ الرأي لصالح الإسلام ، وصالح تطبيق الشريعة ، وصالح الحجاب الإسلامي ، وصالح كرامة المسلم ـــ إذا كان ينبغي لديهم أن يُصنّفَ إنسانًا له حقوقٌ تحارب في الدفاع عنها منظمةُ العفو الدوليةُ ومنظماتُ حقوق الإنسان العالمية والمحلية ـــ و صالح تجنيب الإنسان من مواقف الذل ، وصالح إلغاء التعليم المختلط ، أوصالح أيّ حرمة دينية وشعيرة إسلامية؛ فإنّها ـــ حريّة الرأي هذه ـــ تعود إرهابيّةً وأصوليّةً وتطرفاً ، وتشكّل كلَّ ما من شأنه أن يضرّ بسلامة البلاد وأمنها ووحدتها ، وبسيادة الدولة ، وأن يجعل التطرف يأخذ مساراً ذا أخطار رهيبة مدمّرة ، وأن يجعل الأصوليّة ترسي دعائمها ، وتعمّق جذورها، وتنشب أظافرها في مناحي الحياة كلّها ، فتأتي على الأخضر واليابس .

فلماذا هذه الازدواجيّة في التفكير ؟ لماذا هذه الثنويّة في الموقف ، لماذا هذا المقياس المجحف ؟ وهذا الموقف اللاعادل ؟.

فإذا كانوا يعارضون النداء بالإسلام والنداء بحقّ تقرير مصير حرمة الإنسان، مستندين إلى مبادئ الديمــوقــراطية ، فــإنّ ذلك هـــو الأفضـــح ؛ لأن الديموقراطية إنما تعني الاعتراف بقيمة الفرد والشعب ، وإعطاءه الحريّةَ فيما يتعلق بالعمل بدينه وعقيدته ، حتى يعمل آمناً مطمئناً على النهوض بالبلاد ، ويسهر على خدمة العباد .

لتهنأ هذه الحريّة لزوجات أبناء العصر هؤلاء وبناتهم ، وذ‍‍وات قرباهم ، وليهنأ الحرمان من هذه الحريّة بشكل كامل ، لبنات الإسلام المستجيبات لنداء القرآن ، المطيعات لنبيّ الإسلام، المتبعات لتعاليم الكتاب والسنة ، الحريصات على الاحتفاظ بشرفها، الذي هو أغلى الحلى ، وأثمن الأسورة ، وأسنى التيجان ، وأجمل القرط ، وأفعل وسائل التجميل ، وأقوى مستحضرات التزيين .

" وَ قُلْ لِلْمُؤْمنٰتِ يغْضُضْن مِنْ أبْصارِهِنَّ ويَحْفظْن فُرُوْجهُنَّ وَلا يُبْدِيْنَ زِينتَهُنَّ إلاَّ ما ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلٰى جُيُوْبِهِنَّ ولاَ يُبْدِيْن زِيْنتهُنَّ إلاَّ لِبُعُوْلَتِهِنَّ أوْ آبَائِهِنَّ أوْ آباءِ بُعُوْلَتِهِنَّ أوْ أبْنائِهِن أوْ أبْنَاءِ بُعُوْلَتِهِنّ أوْ إخْوَانِهِنّ أوْ بنِيْ إخْوانِهِنّ أوْ بنِيْ أخَواتِهِنّ أو نسائِهِنّ أوْ ماملَكتْ أيْمانُهُنّ أو التّٰبِعيْنَ غَيْرِ أُولِي الإرْبَةِ مِن الرِّجال أو الطِّفْلِ الَّذِيْن لَمْ يظْهَرُوْا عَلٰى عوْرٰتِ النِّساء ولا يضْربْن بِأرْجُلِهِنّ لِيُعْلَم ما يُخْفِيْن مِنْ زِيْنتِهِنّ " (النور /٣١)

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

إشراقة

حريّة الفكر بيننا وبين غيرنا

حريّة الفكر والرأي ، لعلّها أبرزُ و أعلى هتافٍ وأكبر شعار يُطْلِقُه العالم المعاصر ، ويردّده ، ويُرَكِّز عليـــه ، ويدعو له ، دونما سآمة وملل ؛ ولكنّها ـــ الحريّة ـــ إنّما تعنى لديه الدعوةَ إلى الخروج على القيم الدينية ، والمثل الإنسانية ، ولاسيّما الآداب والأخلاق التي يدعو إلى تبنّيها الإسلامُ الذي هو وحده يحترم إنسانيةَ الإنسان ، وحرمةَ الآدميّ لآخر الحدود ، ويَحِيْدُ به دائماً عن كلّ ما من شأنه أن يجرح شرفَه، ويمسّ آدميّتَه، وينال من حرمته التي مَيَّزَته بين الخلق جميعاً .

إنّ حريّة الرأي أو حريّة الفكر أو حريّة التعبير أو حريّة الإبداع ـــ بشتى ألفاظها المستخدمة ـــ إنّما تعنى لدى أبناء العصر كلّ شيء خارج إطار المجد والشرف ، والمروءة والكرم ، والاحتشام والالتزام . إنّها تعني في عقيدتهم السفورَ والفجورَ ، وممارسةَ أشكال العار والاستهتار ، والاستخفافَ بالدين ، والاستهزاءَ بالحدود التي يحدّها الإسلام، والقيود التي يضعها ، والاستهانة بالخصال التي لايفتر ينادى بها ، ويسعى من أجل تحبيبها إلى بني آدم بجميع وسائل الدعوة والإعلام .

إنّها تعني لديهم الثورةَ على كل معنى يضمن صيانةَ مروءة الإنسان ؛ فتعني التعليمَ المختلطَ بين البنين والبنات، في المدارس والكليات والجامعات ؛ وتعني أن تُغْنِي الفتاة بإثارة الفتنة وتُعْمِلَ أدوات التجميل ، وتتردّد على دور التجميل (Beauty Parlors) ، فتعرض جمالَها ، وتعرّي عوراتها ، وتكشف مفاتنها ، وتعمل عارضةَ أزياء (Model) ومُمَثّلةً (Actress) ونجمةً سِيْنَمائيّةً (Movie Star) (Film Star) وتساهم في مسابقة الجمال (Beauty Competition) المحليّة والعالميّة ، وتتمنى وتحاول وتستخدم جميع الحيل لكي تُخْتَارَ مَلِكَةَ جمال (Beauty Queen) بعد ما تجتاز مراحل إجراء المسح الدقيق لأعضائها الظاهرة والخفيّة في مناسبة راقصة ، وحفلة صارخة ، وجلسة مطربة ، وبأيدي شياطين الإنس ، الذين يخجل منهم الشيطان الرجيم . وكأنّها بذلك كلّه تدعو بدورها إلى انتهاك حرمتها، واغتصاب عرضها ، والتمتّع بمفاتنها ، والتلذّذ بجمالها . ثم تفتخر بذلك عَبْرَ المؤتمرات الصحفيّة ، والجلسات الإذاعيّة، والعرضات التلفزيونيّة ، أمام الكاميرات العملاقة

(البقيـــة على ص ٤٥)

أبو أسامة نور

بسم الله الرحمن الرحيم

اُدْعُ إِلَى سَبِيْلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَ جَادِلْهُمْ بِالَّتِيْ هِيَ أَحْسَنُ (القرآن الحكيم)

الداعي

مجلة عربية إسلامية شهرية

تصدر عن الجامعة الإسلامية دارالعلوم

ديوبند ، الهند

العــــدد : ٤

السنــــة : ٢٤

ربيع الثاني : ١٤٢١هـ

يــوليــو . ٢٠٠٠م

تحت إشراف :

فضيلة الشيخ مرغوب الرحمن

رئيس الجامعـــــة

رئيس التحرير

نور عالم خليل الأميني

أستاذ الأدب العربي بالجامعة

الاشتراكات :

ثمن النسخة : ١٥ روبية هندية

قيمة الاشتراك السنوي

في الهند : ١٥٠ روبية هندية

وفي خارج الهند للأفراد : ٣٥ دولاراً

وللمؤسسات الحكومية : ٤٥ دولاراً

المراسلات :

رئيس تحرير مجلة الداعي

دارالعلوم ، ديوبند (الهند)

الرمز البريدي ٢٤٧٥٥٤

الهاتف والفاكس والبريد الإلكتروني :

Ph. : (00-91-1336) 22429 / 22332

Fax : (00-91-1336) 22768

Web : http://www.darululoom-deoband.org

E-mail : darululoom_deoband@yahoo.com

Chief Editor

AL - DAIE

Arabic Islamic Monthly

Darul - Uloom,

Deoband - 247554

(U.P.) INDIA

المحتويات

كلمة المحرر

هل السعادة في الثروة الطائلة ، والمال الوفير ، والمناصب العالية ، والوظائف الكبيرة ، والجاه العريض ، والسلطان الظاهر ، والصيت المطبق ، وكثرة الأنصار والأتباع ، وتزاحم المصفقين والمطبلين ، والشهادات الجامعية ، والمؤهّلات العليا ، والأوسمة والنياشين ، وتتابع التأليفات والكتابات ، وتواصل الخطابات والكلمات ، وتكاثف اللقاءات والزيارات ، وفي الركوب المتصل للبر والبحر ، والريادة المتزايدة للفضاء ، والهبوط المستمر على الكواكب .

لوكان الأمر كذلك ، لما انتحر ثريّ ، ولما شعر ذو منصب وسلطان باكتئاب ، ولما أصاب ابنَ قوم وصاحبَ أنصار قلقٌ ، ولما تأذّى أصحابُ المؤهّلات ، ولما تناوب المفكرين والمؤلفين والكتابَ السآمةُ والمللُ القاتل ، ولما نال السيّاح والزوّار وروّادَ الفضاء والنازلين على الكواكب أيُّ شعور بالشقاء .

الرجل البسيط الأميّ قد يظن ذلك كله من أسباب السعادة الكفيلة بتوفير كل ما يتمناه المرأ في حياتــه من الأماني والأحلام ؛ ولكن السعادة شيء وراء ذلك ، قد يصيبه فقير في كوخ متــداعٍ ، ويفقده أمير في قصره المنيف . إن السعادة راحة البال ، وطمأنينة القلب ، وسكينة النفس، وثقة الضمير ، والعافية التي لا تعدلها أيّةُ نعمة في الحياة بعد الإيمان بالله تعالى .

كم من أناس يشقون بالثراء المطغي ، والعيش المترف ، والحياة الباذخة ، والوسائل الوفيرة ، والتسهيلات التي لاحدّ لها ولا عدّ .

وكم من أناس يسعــدون بمظاهــر الحرمان ، وفي حالات العُدْم ، وفي فقــدان وسائل الحياة ، حتى الضرورات ، فضلاً عن الكماليات .

كم من وجوه تتجهم وتعبس في غرف النوم الفارهــة ، في القصور الشامخــة ، وخلال سيل عارم من وسائل الترفيه والأثاث والرياش .

وكم من قلوب تحزن ، وأفئدة تتفطّر ، بين كومــة مــن وسائل الســرور الظاهــرة ، والأسباب التي تجلب الفرح بشكل حتميّ لدى من يؤمنون بالأسباب .

وبالعكس كم من وجوه ظاهرُها الحزنُ ، وباطنها سرورٌ في سرور ، وفرحٌ لا حدّ له ، وراحة البال بنحو لا يُوْصَفُ .

إن السعادة طمأنينة القلب ، وهي إنّما تحصل في أسمى معانيها ، وأصحّ دلالاتها ، وأصدق مفاهيمها ، وأكمل صورها ، بذكر الله ، وبالإيمان به وبأسمائه وصفاته ؛ وبأنّه لا رادّ لقضائه ، ولا معقب لحكمه ؛ وأنّ ما أصاب أحداً لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه ، جفّ القلم بما يلاقيه كلُّ إنسان في الدنيا . [التحرير]

تجريم المسلم أحدث سلاح يستخدمه الغرب و من يتجاوب معه

محليًّا وعالميًّا تُبْذَلُ مساعي حثيثة لامتصاص الإسلام مفعولَه ، ومنعه عن أداء دوره في الحياة والمجتمع . وسائلُ الإعلام العالميّة كلُّها مُتَّجِهةٌ إلى الجهة المعاكسة للإسلام ، والحكوماتُ والدولُ كأنّها لا ترى عدوًّا إلاّ الإسلام والمسلمين ، ولا تخاف أفاعي الأزمات الاقتصاديّة و العسكريّة ، والأمنيّة والسياسيّة ، والمشكلات الخارجيّة ، والقضايا الداخليّة ، التي هي فاغرة أفواهها ، مكشرة أنيابها ، مادّة ألسنتها المسمومة ، بمثلما تخاف الأصوليّة الإسلاميّة ، والإرهاب الّذي يتزعّمه ويقوده الإسلام فيما يزعمونه.

سماءُ الإعلام أمطرت ولا تزال وابلاً من الدعاية بأن المسلمين ولا سيّما الملتزمين أصوليّون إرهابيّون. وقد جَرَفَ هذا الوابلُ كلَّ ما كان متبقيًا لدى أبناء العصر من العقل والرشد ، الذي كان قد أبقاه الجنون ذو الفنون ، الّذي أصابهم الله بما كسبت أيديهم ، ليذيقهم الله العزيز القهار بعضَ الذي عملوا لعلّهم يرجعون.

لعلّ ما جرّفه هذا الوابلُ من الدعاية كلّ ما كان قد تبقّى لديهم من الوعي والحسّ السليم [illegible] يرون أنّ كل مسلم ملتزم ، راكبٌ رأسه ، قائمٌ بالإرهاب ، عاملٌ بالعنف ، آخذٌ غيره بالبطش ، مؤمنٌ بمبادئ التشديد والعقاب والتعذيب، داعٍ وعاملٌ بالهدم والتخريب!!.

ترسّخت في عقليّتهم أنّ المسلم ولا سيّما المسلم الملتزم يكون دائماً على هذه الصورة المخوفة الرهيبة الكريهة المرفوضة ، التي نحتتها الدعاية الغربيّة القويّة الراقية ، التي لم تركّز على الخير بمثلما ركّزت على الشرّ ، ولم تهدف أساساً إلى بناء الإنسان قدر ما هدفت إلى هدمه من الدّاخل والخارج.

وسائلُ الإعلام الغربيّة تأكّدت منذ يومها الأوّل أنّها لا تجني حصادها يانعاً حلوًا ، إذا لم تركّز على محاربة كل فضيلة ومناصرة كل رذيلة ، ولم تستهدف التوجّهَ الذي يقف بجانب الخير ويُعَضِّده و يخذل الشرّ ويفضحه ويشنّع عليه . و بما أنّ الإسلام هو وحده يعني الخير كلّه للخلق ولبني البشر أجمعين ، فظلّ المُسْتَهْدَفَ الأوّل من قبل وسائل الإعلام الغربية وما تم على شاكلتها من وسائل الإعلام الشرقيّة .

وبما أنّ الإسلام إنّما يتمثّل ويتبلور في أبنائه ولا سيّما أبنائه الملتزمين ، تركّز الغربُ ودعاياتُه الإعلاميّة على تشويه صورتهم ، وتقبيح ...

مملوءة بالدلائل. على أنّ علماء الإسلام مستعدّون كلّ وقت لإزالة كلّ شك وإثبات كلّ حقّ وإقناع كلّ متنكّر.

وهذه الإجابة مقنعةٌ كلَّ الإقناع، وحقٌّ لا غبار عليه، وينفع في كلّ مكان وزمان، ولا يفلّ حدّه في مناسبة. وقد مضى ما هو جدير بالإمعان والتفكير: أن كلّ فن لا بدّ فيه من ثبوت المبادئ وإحقاقها بالدلائل، ولكنّ كلّ فرع من الفروع لا يحتاج إلى الإثبات بالدلائل. فمثلاً: لدى اختيار طبيب للعلاج يحتاجُ المرأ أن يقتنع بأدلّة كافية بأنّه جدير بأن يُرَاجَعَ ويُتَلَقّى منه العلاج، ثم لا يجوز بعد ذلك التدخّل في فروع عمليّة العلاج، والتعرض له فيما يتعلقّ بكلّ وصفة، وطلبُ الدليل منه على كلّ دواء من الأدوية التي يصفها له. إذا صنع ذلك يُعَدُّ أحمق متصرفاً بدون عقل.

وعلى ذلك، لدى الاعتراف بأحدٍ أميراً أو حاكماً، يحتاج المرأ إلى أن يتأكّد من ذلك في ضوء الدلائل، ويقتنع بشخصه ويرتاح إلى سيرته في ضوء الوثائق والمعلومات الموثوق بها. امّا فيما بعد قيام حكومته، فلا يجوز له التنازع معه على أحكامه و مراسيمه، ومساءلته الدلائل على كلّ حكم من أحكامه ومناقشته فيما يتصل بكلّ قانون يُصْدِرُه. وقد تجري الإجراءات في المحاكم على هذا المنهج. إنّ المحامي يجوز له أن يعترض على قرار من القرارات أنّه يتعارض مع القانون؛ ولكنه لا يجوز له أن يقول : إنّه يعارض مصلحة كذا.

وإذا جاء قانون متصادماً مع المصالح العامّة، فإنّ الطريق الشرعي لإلغائه، هو أن يُطْلَبَ النقاشُ حوله في المجلس التشريعي في البرلمان، فإذا وافق المجلس التشريعي على أنّه يضادُّ المصالحَ، يجوز إلغاؤه.

وكذلك ينبغي فهمُ القوانين الإلهيّة، فالمفتي قد يجوز أن يُسْأَلَ : ضِمْنَ أيّ بند من البنود الشرعيّة يأتي هذا القانون ؟ ولكنّه لا يجوز سؤاله عن مصلحته وعلته وحكمته، ولا يجوز لأحد أن يقول له: إنه يتعارض مع مصلحته هو، فاطرح عليّ قانوناً يوافق هواي ويناسب مصلحتي.

ولم يعد – فيما يتعلق بالأحكام الشرعيّة – سبيلٌ إلى مراجعة صاحب الشرع والالتماس منه بإلغائها أو إجراء تعديل فيها؛ لأنّ الوحي قد انقطع، وقد تُلِيَ علينا من قبل الله عزّ وجلّ حكمه النهائي المؤكد:

"الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِيْنَكُمْ" (المائدة/٣)

الخطأ في فهم معنى "القياس"

إن الذين يخترعون العلل والمصالح في الأحكام الشرعيّة، يستدلّ بعضهم على صنيعهم بأنّ الأئمة المجتهدين أيضاً سلكوا هذا المسلك، فهناك كثيرٌ من أحكامِ الفقه ثابتٌ بالقياس وهو مُسَلَّم لدى العلماء المعاصرين كذلك، ومن العجب أن يأتي قياس البعض حجّةً في الشرع، ولا يُقْبَلَ قياسُ البعض الآخر حُجَّةً ! فما الحرج في أن نقيس نحن العقلاء في ضوء حاجات العصر ومتطلبات الزمان؟.

والجواب : إنّ الخطأ في الفهم إنما نبع من الخطأ في فهم معنى كلمة "القياس" حيث إن القوم فهموا أن معناها الظنّ والتخمين، فحسبوا أن الأحكام الشرعيّة مادامت ثابتة بالظنّ والتخمين، يجوز أن نُخْضِعَها للمناسبات.

فَلْيُعْلَمْ أن "القياس" ليس معناها الظنّ والتخمين. وإنما "القياس" هي طريق من طرق الاستدلال، وحقيقته هي استخراجُ حكم لم تنصّ عليه الشريعة في ضوء حكم آخر نصّت عليه الشريعة؛ فهناك ثلاثة أشياء الشيء الذي لم تنص الشريعة على حكمه، والشي-

في عقليّـة العالم ، حتى يتأكّد أنّ الإسلام إرهـاب وبطش ، وأن المسلمـين قَتَلَةٌ سَفّاحـون دَمَـوِيُّوْن ، وبالتّالي فهم جديرون بالرفض وبالعداء وبالمحاربة ، حتى يصححـوا دينهـم ، ويُعـدّلوا في تعاليمـه ، ويغيّروا مسارهم !.

وعاد العالم ولا سيّما الغربي جعل يتعامل مع تحركات الصحوة الإسلاميـة و مساعي الانتفاضة والمقاومة الإسلاميّة تعاملها مع مُوْضَة حديثة ؛ فما إن تنفجّر قنبلة في مكان ما في وقت ما ، إلاّ وتتراءي له أيدي الإسلاميين الأصوليين والشبان الإرهابيين ، وكأنّ توجيه الاتّهام إليهم بات وسيلةً قويّة للتخلّص من المسؤوليّة ، وطريقةً ناجعة جدًّا للتنصّل من جميع التقصيرات التي يمارسها المسؤولون في الحكومات والدول في حقّ البلاد والشعب . إنّها وصفة رخيصة لدى القادة والساسة في الشرق والغرب لتغطية الإخفاقات المتلاحقة التي كانت هي نصيبَهم ، ولإشباع العداء الذي يتحرق فيه الغرب المسيحي اليهوديّ ضد الإسلام وأهله.

تشويهُ صورة الإنسان المسلم ، ولا سيّما المسلم الملتزم ، وجبةٌ سريعة أو وصفة أسرع مفعولاً ، فهدم الدين ، وسحب الثقة بالإسلام من عقلية الإنسان المعاصر.

وإنّه يعود المسلم كريهاً في عقليته، لأنّ كلّ ما [illegible] من [illegible] والعادات ، وسيرة وتعاليم ، [illegible] كريهاً مرفوضاً لديه بشكل [illegible] له التمسّك في الرذائل ، [illegible] بكل [illegible] من الأقذار

والأكدار ، التي تُهين آدميّة الإنسان ، وتحوّله بهيمة لا تفرق بين طيّب وخبيث ؛ لأن المسلم هو الذي يعقل هذه المعاني الإنسانية كلها ، وهو الذي فضّل الله عزّ و جلّ على قامته لباس العزّ والسمو والطهر والعفـاف " وَلِلّهِ الْعِزَّةُ وَلِـرَسُوْلِهِ وَلِلْمُؤْمِنِيْـنَ " (المنافقون/٨) " إنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّـوَّابِيْنَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِيْنَ " (البقرة /٢٢٢) " وَلَكِنْ يُرِيْدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ " (المائدة/٦) . ولكنّ الأنجاسَ المناكيد من النّاس لم ولا ولن يسيغوا أن يُوْجَدَ بينهم دخلاء من المتطهرين السعداء ، وذلك بشهادة كتاب الله الخالـد " أَخْـرِجُـوْهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُوْنَ " (الأعـراف/٨٢) " أَخْرِجُوْا آلَ لُوْطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُوْنَ " (النمل/٥٨) على حين إنهم هم الذين يباركهم كلّ شيء في الكون ، ويغنّى بمجدهم و يلهج بالثناء عليهم ربُّ السماوات والأرض " فِيْهِ رِجَالٌ يُحِبُّوْنَ أَنْ يَتَطَهَّرُوْا وَاللهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِيْنَ " (التوبة / ١٠٨).

إنّ الشّوّاذ من الجنس البشريّ الذين يودّون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا في جانب، وفي العالم كله في جانب آخر، ويودّون أن ينشروا الثقافة الجنسيّة ، ويجعلوها وجبةً سريعةً شُهِيّةً يتعاطاها جميعُ قطاعات المجتمع البشريّ في كل وقت في كل يسر و سهولة، ويحوّلها حاجة إلى حركة باليد وحركة بالرجل، وأن يصنعوها [illegible] الأمم وطليعتها حرجة [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] في ثقافة العقل الإنساني [illegible] على [illegible] أجيالنا وأفرادنا [illegible]

من هذا الصنّف : صنف التقدم والرقيّ يظلّون في عصر الكمبيوتر والإنترنت والاتصالات السريعة والرحلات البرقيّة ، متخلّفين عن ركب الحضارة والتقدم ، متصفّين بالرجعيّة ، ضالعين في أبراج الظلاميّة والبدائيّة .. إن هؤلاء يصطلحون اليوم على أن يقفوا من المسلمين ولا سيّما الملتزمين الموقفَ نفسه الذي وقفه من مسلمي آل لوط الصادقين المتطهرين ، شوّاذُ ذاك العصر في تحدٍّ صارخٍ لغضب الله العزيز الجبار.

إنّ شوّاذ العصر وقادة الفواحش و مُشَرِّعِيْ الدعارة والبغاء ، الذين يزعمون أنهم هم أعمدة الحضارة الصالحة والتقدم البشريّ و الانتصارات العلمية ، يُخَطِّطُوْنَ أن يجعلوا الشذوذ الجنسيّ و الفاحشة قانوناً عالميًا ، ويودّون أن يفرضوه على الدنيا كلها، وأن تأخذ به الأمم والأقوام عن رضا وطواعية وعن عاطفة " احتساب " دونما شعور بالتألّم.. فعقدوا ولا يزالون وسيظلون لهذا الغرض مؤتمرات وندوات في عـواصم العـالم ، واتّخذوا فيه قرارات " شجاعة " " طموحة " لنزع الحجاب بشكل أكثر وأسرع وأشدّ من ذي قبل عن وجهِ المرأة ، وسلب اللباس جسمَها، وإعطاء الشرعيّة للسفور والفجور ، والسماح الكامل بممارسة العلاقات الجنسيّة لكل شابٍ مع أيّة فتاة خارج إطار الزواج ، وإيجاب تعليم الجنس في جميع دور التعليم ، حتى يتخرج الشباب بارعين في تصيّد الفتيات في لباقة أكثر ، وإقامة علاقات غرام وصلات حرام بذكاء أكبر . كما وافقوا في مجالس التشريع في عدد من الدول على قوانين تقضي بالسماح بممارسة الشذوذ الجنسيّ لكل من الفتيان والفتيات . وفي عدد من الدول قام الشوّاذ بتظاهراتٍ وعقدِ مسيراتِ احتجاجٍ للمطالبة بمزيد من "حقوقهم" التي لا تزال " مسلوبـة " وبمزيد من الامتيازات التي " يستحقونها " !.

إنّ هؤلاء الشياطين لا تشبع أهواؤهم إلاّ بإخراج المسلمين – الذين هم وحدهم متطهرون محبوبون لدى الله – من " قريتهم " الواسعة التي يحاولون أن يجعلوا منها "مزرعةً جماعيَّةً " (Collective farm) أو مختبراً عامًّا (Public Laboratory) أو مشغلاً عامًّا (General work shop) .

فالتقرير الحديث الذي صدر في ديسمبر عام ١٩٩٩م عن " المعهد الوطني الفرنسيّ للأبحاث الديموغرافيّة " – أي الأبحاث الإحصائية للسكان من حيث المواليد والوفيات والصحة الخ – يفيد أنّ العلاقات غير الشرعيّة هي النمط السائد بين الرجل والمرأة ، وأنه من بين عشرة أشخاص متزوجين يوجد تسعة منهم خارج الإطار الشرعيّ للزواج.

وأكّد التقرير أنّه من بين ٤٥٠ ألف علاقة غير شرعيّة تقام كل سنة ، هناك فقط ١٥٠ إلى ٢٠٠ ألف طلب تُقَدَّم للحصول على عقد مدنيّ.. وذكر التقرير – في ضوء إحصاء قام به في الشهور الأخيرة – أنّ مجموع النساء اللّواتي لا يتجاوز سنهنّ ٢٦ سنة والرجال الذين لا يتجاوز سنهم ٢٨ سنة ، يسكنون تحت سقف واحد بدون رباط شرعيّ ، ويتجاوز عددهم عدد المتزوجين من السن نفسه بكثير. [illegible]

الأمهات غير المتزوجات عددَ الأمهات المتزوجات ؛ فقد سجّل التقرير أنّ أكثر من نصف مجموع الأمهات الفرنسيّات ، أي ما يعادل ٥٣٪ يضعن أول مولود لهنّ خارج مؤسسة الزواج ، وتصل نسبة الولادات خارج الزواج إلى ٤٠٪ من مجموع الولادات المسجلة . وتُمثّلُ هذه النسبة ٣٠٠ ألف مولود سنويًا . ونسبة المواليد غير الشرعيّين في تزايد مطّرد ؛ ففي عام ١٩٦٧م كانت في حدود ٦٪ ، وعام ١٩٨٥م وصلت إلى ٢٠٪ ، وعام ١٩٩٧م تجاوزت ٤٠٪ ، وربّما تفوق هي اليوم هذه النسبة بكثير .

ويفيد التقرير أنّ ظاهرة الحمل في صفوف الفتيات المراهقات البالغات مابين ١٠ سنوات إلى ١٤ سنة في ارتفاع . وقد سجلّت انخفاضًا بنسبة ٦٪ مقارنة بالسنوات الماضية . وهذا الانخفاض لم يأتِ نتيجةَ وعي دينيّ لدى الفتيات والفتيان ، وإنّما أكّد التقرير أنّ الانخفاض إنّما جاء نابعًا من تعميم وسائل منع الحمل في أوساط التلميذات ، وفتح الصيدليات في المدارس لهذه الغاية ، وتوظيف ممرضات لإرشاد التلميذات والتلاميذ وتوعيتهم بكيفية استعمال هذه الوسائل ؛ حتى تسهل عليهم وعليهنّ إقامة العلاقات الجنسيّة دونما تحمل أيّة مسؤولية ودونما تعرض أدنى حاجز نفسيّ .

وليست فرنسا إلاّ نموذجاً واحدًا للبلدان الغربية و الأوربية الأخرى ، التي هي بالتأكيد [illegible] مثل السويد ، وهولندا والنرويج [illegible] التحرر الجنسيّ والإباحيّة [illegible] المعلنة [illegible] في طليعة هذا التردّي و الانحطاط .

وقد ظهرت الأنماط الجديدة للأسرة نابعاً من مؤتمر " بكين " الذي انعقد حول المرأة بالعاصمة الصينية عام ١٩٩٥م ، وتعني هذه الأنماط الجديدة أنّ الأسرة يمكن أن تتكوّن من ذكرين أو انثيين ، وليس من الضروريّ تكوّنُها من ذكر و أنثى . وهذه المؤسسة الزوجيّة الجديدة باتت معترفًا بها قانوناً في الغرب ومعمولاً بها في المجتمع الغربيّ ، وتتمتّع أطرافها بجميع الحقوق التي يتمتّع بها طرفا العلاقة الزوجيّة الطبيعيّة بين ذكر وأنثى ، وسارعت الحكومات الغربية إلى السماح بالشذوذ الجنسيّ قانوناً وبزواج الشاذّين ، ومنحهم جميع الحقوق الاجتماعيّة التي هي للأزواج الطبيعيين .

وفي أواخر شهر يوليو ١٩٩٩م أصدرت إحدى المحاكم البريطانيّة حكماً يقضي بأنّ تكاليف إجراء عمليّة لتغيير النوع من الذكر إلى الأنثى وبالعكس ، تدخل ضمن المصاريف التي تتحمّلها صناديق الضمان الاجتماعيّ !.

وآخر حصيلة لهذا الخبث الغربي جاءت في الولايات المتحدة الأمريكية ، ونشرت تفاصيلها جريدة " لوفيجارو" الفرنسيّة بتاريخ ١٣/١٢/١٩٩٩م ، إذ نُسِبَ لزوجين شاذّين ذكرين بريطانيين ميلادُ توأم " ذكر وأنثى " في عيادة طبّيّة بـ " كاليفورنيا " . وتم تسجيل المولودين في سجلات الحالة المدنيّة لـ "كاليفورنيا" من أبوين ومن دون أمّ !! وقد تمّت هذه العمليّة بعد أن " استأجر " الأبوان رحم امرأة واشتريا بويضة أنثى من [illegible]

البنوك المتخصّصة في هذا المجال.

هذه الأحداث وغيرها تؤكّد أن الشذوذ الجنسيّ صار مسلكاً طبيعيًا ومشروعاً تتبنّاه المنظمات الدولية المهتمة بحقوق الإنسان ، وتعتبره حقًا من الحقوق اللازمة للإنسان تجب حمايته صارت للمواطنين والسحاقيات جمعيات ومنظمات خاصّة تدافع عنهم وتتبنّى قضاياهم . ومنهم من يوجد في المراتب العليا للسلطة في الدول الغربية ، فلم يعد الحديث عن الشذوذ اليوم سرًّا في الغرب ، وإنما صار الحديث عنه حديثًا عن الحوائج الضرورية للإنسان.

☆ ☆ ☆

إنّ أمثال هؤلاء هم الذين يرون المسلمين الملتزمين أكبر صخرة أمام المدّ الجنسيّ الذي يكاد يكتسح الغرب ، فيحاولون أن يعرضوا المسلمين أمام العالم وكأنّهم حَيَوَانٌ لاينبغي أن يُؤْبَهَ بهم ويُكْتَرَثَ لهم ؛ لأنهم إرهابيّون وأصوليّون ومتشدّدون ، يودون أن يظل الإنسان مكبّلاً بالأغلال والقيود التي كان مُكبّلاً بها أمس ، حينما لم يعرف التنوّر والتحضّر ولم يتقدم علميًا تقدماً جعله ينصب رايته على القمر والمريخ ، ويفكّر بل يعمل من أجل أن يعمر الجوّ بالسكن الإنسانيّ !!.

المسلم وحده مقياس الحقّ والعدل والتوازن في هذا الكون ، فإذا أسقط من الحساب ، عاد المجتمع الإنسانيّ غابة تسيطر عليها الوحوش ، ويغلب القوي الضعيف ، ويحلو له [illegible] كلّ [illegible].

هل تصدق [illegible]

العاملون على تعميم الفواحش في أرجاء العالم كلها قانونيًا وعمليًا ، أحسن فكرًا وعملاً ، وسيرة وأخلاقاً ، وتعاملاً مع الإنسان ، من المسلمين الملتزمين ، المتقين الله ، المبتغين أجره ، العطوفين على الإنسان ، المدركين لمعنى الرحمة بالخلق و حسن التعامل معهم ، والعارفين بحقيقة الظلم والاعتداء وما يسبب من سوء العاقبة في الدنيا وتشديد العقاب في الآخرة .

إنّ الذين يحادّون الله ورسوله ، وَيسعون في الأرض فسادًا ، ويحاولون جهدهم أن يفسدوا على أنفسهم وعلى الناس دنياهم وعقباهم ، ويحلقوا الخير من الأرض ، كيف يجوز لهم بمنطق العقل والقانون ، أن يتهموا المسلمين بجرائم نكراء ، ويسموهم بتسميّات شنعاء ، ويشوّهوا صورتهم أمام العالم ، ويجعلوهم غير موثوق بهم ؟ ! .

إنّ تجريم المسلم وتشويهه ، والتشنيع عليه وتقبيحه ، والتشهير بأنّه مخلوق ضارّ للخلق ، وعامل على تدميره ، مُخَطِّطٌ لإهلاكه ، مستخدمٌ حيل كثيرة لا تحصى لتفجيره بالقنابل والقذائف والأسلحة ذات الدمار الشامل والشرّ الكامل ؛ هو أحدث سلاح يستخدمه الغرب و لاسيّما أمريكا ومن يدور في فلكها و يقتات من مائدتها ويتجرّع من كأسها ؛ حتى يصفو لها الجوّ لممارسة خبثها في العالم كلـه بقوة أكثر ، وسرعة أكبر ، وثقة أوفر .

"يُرِيْدُوْنَ لِيُطْفِئُوْا نُوْرَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللهُ مُتِمُّ نُوْرِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكٰفِرُوْنَ" (الصف/٨)

نور عالم خليل الأميني

البَعثةُ المُحَمَّدِيَّةُ

[٢/٢]

بقلم : د. المفضل فلواتي

٢- تعقيبات وتوضيحات

١- معنى الوحي ومراتبه :

الوحي يأتي بعدة معان ، منها: الإشارةُ السريعةُ الخاطفة التي هي أقرب إلى الإسرار منها إلى الإعلان ، ﴿ فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشياً ﴾ سورة مريم ، ١١ – ومنها : الإلهام للأنبياء وغيرهم ، وللإنسان وغيره، ومنها الإلقاء في الروع والقذف في القلب، أما الوحي اصطلاحاً فالمقصود به · إعلام ا لله عز وجل أنبياءه ورسله بأمر من أوامره، وتكليفهم بتبليغ شريعته للناس ليعملوا بها طاعة لله تعالى، وشكراً لنعمة الخلق، ورحمة لتوجيه .

وأحوال الوحي تتلخص في :

أ- الإتيان في النوم، كما في حديث ابن إسحاق المذكور سابقاً "فجاءني جبريل وأنا نائم" وكما قالت عائشة "أول مابدئ به رسول ا لله الرؤيا الصادقة" وقد قال إبراهيم عليه السلام: ﴿ إِنِّي أَرَى فِي الْمنام أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى﴾ فقال له ابنه: ﴿افعَلْ مَا تُؤمَرُ﴾ (سورة الصافات). فدل هذا على أن الوحي كان يأتي الأنبياء في المنام كما يأتيهم في اليقظة.

ب – أن ينفث في روعه الكلام نفثا، كما قال ﷺ: "إن روح القدس نفث في رُوعي أن نفسا لن تموت حتى تستكمل أجلها ورزقها فاتقوا ا لله وأجملوا في الطلب".

ج – أن يأتيه الوحي في مثل صلصلة الجرس، وهو أشده عليه، وذلك ليستجمع قلبه عند تلك الصلصلة فيكون أوعى لما يسمع.

د – أن يتمثل له الملك رجلا، كما في حديث جبريل المشهور المروي عن عمر بن الخطاب .

هـ – أن يتراءى له جبريل في صورته التي خلقه ا لله عليها، له سبع مائة جناح.

و – أن يكلم ا لله تعالى الرسول من وراء حجاب في اليقظة، كما كلم ا لله عز وجل موسى، وكما كلم محمداً ﷺ في ليلة الإسراء.

وهذه الأحوال كلها يشير إليها قول ا لله تعالى ﴿وما كان لبشرٍ أنْ يُكلِّمهُ ا للهُ إلاَّ وحْيًا – قذفا و إلهاما في اليقظة أو المنام – أوْ منْ ورَاء حِجابٍ أو يُرْسلَ رسُولاً – ملكا – فيُوحي بإذنه ما يشاءُ ﴾ سورة الشورى (انظر الروض الأنف ١/٢٦٨).

٢- الوحي للأنبياء ليس أحاديث نفسية وتأملات فكرية :

ليس المقصود بالوحي هنا التأملات الفكرية ولا الإشراقات الروحية، ولا القرائح المنقدحة داخل الذات، وإنما هو شيء خارج الذات، لا دخل فيه لجهود فكري، بل هو شيء طارئ على الذات، بدون تهيؤ أو استشراف و تشوف وتطلع. إذ لو كان كذلك لما كان هناك سبب للرعدة والرعب والفزع، وما كان هناك داع لانقطاع الوحي، بل ما كان هناك داع للحزن على انقطاعه إلى حد محاولة التردي من شواهق الجبال، كما تذكر بعض الروايات التي وإن قيل فيها ما قيل، فهي تثبت شدة الحزن على انقطاع الوحي، بل إن نزول سورة الضحى، كان تخفيفاً و محوا لهذا الحزن الذي أثر في النفس تأثيرا بليغاً .

إن التشكيك في الوحي من قبل المستشرقين وغيرهم من أعداء الإسلام يقصد به هدم الإسلام من الأساس، إذ فهم الوحي على أنه مجرد تأملات فكرية – حسب مزاعمهم – يتبعه أن محمدا صلى الله عليه وسلم ليس رسولا، ولكنه مفكر، وأن القرآن ليس من عند الله، وإنما هو من تأليف محمد وفكره ... الخ. فماذا يبقى من الدين إذا كان مجرد أفكار بشرية؟ وماذا يبقى من عبادة الله تعالى باتباع شريعته إذا كان القرآن ليس صحيح النسبة والانتماء لله تعالى؟ وإذا كان المقام لا يتسع لذكر أنواع من الإعجاز القرآني الدال على أنه فوق طاقة البشر جميعا من الأولين والآخرين. والمجال مفتوح لمن أراد أن يجرب – فلا بأس فقط من الإشارة إلى سورة الضحى ففيها الدلالة الإعجازية على أن القرآن من عند الله عز و جل، فكيف يوحي الإنسان بنفسه لنفسه ، ويقول لها: إن ربك ما أبغضك ولا تركك، فمن يضمن له المدد من عند الله تعالى إذا كان كاذبا؟ ومن أين يأتيه علم الآخرة؟ بل كيف يرضى أن يفضح الإنسان نفسه أمام الناس ويعيرها باليتم والفقر والضلالة؟ إن التأمل في هذه السورة الصغيرة يقنع المسلمين وأبناءهم أن هذا القرآن من عند الله العزيز الحكيم، لو كان من المربين والعلماء والدعاة والآباء من يغرس فيهم هذه الحقائق للتحصين ضد أباطيل أعداء الإسلام وخصومه، ليتدينوا بالإسلام عن اقتناع، ويحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقتدوا به بصدق على أنه أفضل الخلق وأحبهم لله الذي اختاره ليكون له شرف الختم للرسالة السماوية، واختار أمته ليكون لها شرف الإرث لرسالة السماء للأرض.

٣– المقصود بالخشية على النفس :

ورد في الحديث أن الرسول الله صلى الله عليه وسلم قال لخديجة " مالي لقد خشيت على نفسي" ذهب العلماء مذاهب شتى في تفسير الخشية، ولكن الظاهر أن الخشية كانت هي خوف الرسول صلى الله عليه وسلم من أن يكون ما رآه وحدث له هو نوع من الإصابة، بما كان شائعا بين العرب أن الشياطين والجن، يمكن أن تصيب الإنسان فتفقده حرية التصرف بإرادة طليقة، ولم يكن شيء أبغض للرسول صلى الله عليه وسلم من الإصابة بمثل هذه الحالة، ومن هنا نجد أن خديجة رضي الله تعالى عنها عرفت ما اعتمل في نفس النبي الكريم، فشمرت عن ساق الجد لمحو هذه الخاطرة من ذهنه، وتبشيره، بأنه نبي الأمة،

وتثبيته على الحقيقة التي استقرت في كيانها بإلهام من الله عز و جل، ولمحت تباشيرها منذ مخالطتها له صلى الله عليه وسلم، ولذلك طمأنته بـ :

– أن الشياطين لا تخالط ولا تمس أمثاله من الطيبين الأطهار الذين لا يعرف الشر سبيلا إلى قلوبهم ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ تنزلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ سورة الشعراء .

– اصطحبته إلى أكبر عالم في عصره بحقيقة النبوة ونواميسها، وهو ورقة بن نوفل الذي كان واحدا من بقايا النصارى الربانيين المنتظرين للنبوة الخاتمة، شأنه في ذلك شأن سلمان الفارسي، وأساتذته، وشأن النجاشي عالم الحبشة وملكها وحاكمها في عصر النبي .

– أجلسته على فخذيها وفي حجرها، ثم أخيراً كشفت عن وجهها لتعرف نوعية الزائر الذي يتراءي للنبي صلى الله عليه وسلم .

– وعندما فتر الوحي عن الرسول، كانت نعم المؤمنة المثبتة للرسول صلى الله عليه وسلم بأن الله تعالى، لا يمكن أن يبغض ويقلي ويترك أمثاله، حتى مرت الأزمة النفسية بسلام، وانتهت بطمأنة الله تعالى له: ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾.

٤– التدبر في الكون مفتاح النهوض بأعباء الرسالة:

إن موضوع الآيات الأولى من سورة العلق هو دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى النظر في الكون وتأمله وقراءته باسم الله تعالى ربه وخالقه لأن قراءة الكون بما فيه من إنسان وحيوان وجماد هو الطريق الصحيح لمعرفة الله عز و جل، وقدرته وعظمته وسعة علمه وملكه، وإحاطته وهيمنته على الصغيرة والكبيرة، وهذا الكون الذي لا يستطيع أحد أن يقول إنه خلقه أو شارك في خلق جزء منه، فالكون كتاب الله المفتوح أمام الأمي، والمتعلم، أمام العبقري والبليد، حتى لا يكون لأحد من خلقه حجة على الله في أنه لم يعرفه ولم يعلم بوجوده، فكل شيء في الإنسان ومحيطه يدل عليه، ولذلك كان التعريف بالله عز و جل بأبرز وأوضح صفاته، وهي الخلق للإنسان وغيره، ليس هو المقصود لذاته، وإنما المقصود قراءته باسم الله الخالق، لا بسم الآلهة المزيفة حجرية، كانت أو بشرية، فإنها لا تستطيع أن تدافع حتى عن نفسها، فما بالك بالقدرة على نفع غيرها، والقراءة للكون "باسم ربه" معناها: السير فيه وفق ما شرع الله تعالى من قوانين وسنن ليكون الكون مسخرا لمنفعة الإنسان ومصلحته .

والقراءة باسم الله تعالى للكون هي جوهر رسالة الأنبياء، فالله تعالى يبعثهم ليعلموا الناس قوانين السير في الحياة حتى لا يصطدموا بالنكبات والكوارث الكونية والبشرية. ولقد عاش رسولنا ﷺ قارئاً للكون باسم الله، ومعلما لأتباعه كيف يقرأون الكون باسم الله، وكيف يزكون أنفسهم ويطهرونها من الكفر، والشرك، والنفاق، والانحراف، والعصيان، فكان إذا نام قال: "اللهم أسلمت نفسي إليك ووجهت وجهي إليك..." وإذا استيقظ قال : "الحمد لله الذي أحياني بعد ما أماتني وإليه النشور" وإذا خرج من بيته قال: "باسم الله توكلت على الله، اللهم إني أعوذ بك أن أضل أو أضل، أو أزل أو

أزل، أو أظلم أو أظلم أو أجهل أو يجهل علي" وإذا دخل المسجد قال : "اللهم افتح لي أبواب رحمتك..." وإذا خرج قال : "اللهم إني أسألك من فضلك العظيم" انظر زاد المعاد، فقد أتى ابن القيم رحمه الله فيه بجميع أنواع هديه في ذكر الله تعالى في كل الأحوال ٢/٣٦٥ وما بعدها.

٥- مضمون الآيات الأولى من سورة المدثر:

عند التأمل في الآيات الأولى من سورة المدثر، التي كلفت الرسول ﷺ بالرسالة، نجد أنها تتضمن: هدف الدعوة، ووسائلها، وتبعاتها.

فالهدف هو : ﴿ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴾ إذ تكبير الله عز و جل معناه ألا يكون في نفس الإنسان شيء أكبر من الله عز وجل، ولذلك كان شعار المسلمين في الصلاة، والأذان والحج، والذبيحة ، والجهاد "الله أكبر".

أما الوسيلة فهي نظافة الظاهر والباطن، ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ، والرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ أي طهر ثيابك وجوارحك من كل الأرجاس والمنفرات والمعاصي، لتكون داعيا إلى الله تعالى بالقدوة وحسن الخلق، قبل الدعوة بالكلمة .

أما التبعات فهي معاداة ومخاصمة شياطين الإنس والجن، الذين تمحضوا للشر، ومردوا على الخير والفضيلة وأصحابهما، فهؤلاء يرمون عن قوس واحدة كل من جند نفسه لدعوة الناس لله، ولذلك كان النهي عن الانقطاع عن طريق الدعوة، لأنه وإن كانت تكاليفه باهظة، فعاقبته سليمة ﴿وَلاَ تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرْ﴾ وكان الحث على الصبر لله تعالى الذي يرعى دعاته، ويؤيدهم ويثبتهم ويربط على قلوبهم في الأزمات والشدائد ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ .

٦- الصلاة أول شعائر الدين وآخرها:

ذكر ابن إسحاق أن جبريل عليه السلام علم الرسول ﷺ الوضوء والصلاة بعد نزول الآيات الأولى من سورة العلق، فعلمه ممارسة شعائر العبادة التي تترجم الاتصال بالله عمليا بعد الأمر بقراءة الكون باسم الله، والفهم عنه في كل النشاطات العقلية والقلبية والجارحية، فعلمه تطهير المظهر والمخبر قبل أن تنزل ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ والرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾. يؤيد رواية ابن إسحاق نزول الآيات الأولى من سورة المزمل، قبل المدثر، حيث تأتي في ترتيب النزول السورة الثالثة بعد العلق، والقلم، بينما المدثر نزلت بعدها، ولا نتوفر على نص موثوق به يحدد المدة الزمنية بين أوائل السور الأربع .

لكن الذي يهمنا هو أنه لا دين بلا صلاة، فهي الشعيرة التي لا تهاون فيها، لا في حالة المرض، ولا في حالة القتال، ولا حالة انعدام الطهورين، ولذلك كانت الفيصل بين الإسلام والكفر، وكانت الفريضة التي يسمح بضرب الأولاد من أجل إقامتها، كما يسمح أن تكون علة لجواز تطليق المرأة (المسلمة) الممتنعة عن إقامتها.

أما كيف كانت تقام، فللعلماء والمحدثين في ذلك أقوال أشهرها ما ذكره السهيلي قال : "وذكر المزني أن الصلاة قبل الإسراء كانت صلاة قبل غروب الشمس، وصلاة قبل طلوعها" ويشهد لهذا القول قوله سبحانه ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ

والإبْكَارِ﴾ وقال يحيى بن سلام مثله، وقال: كان الإسراء وفرض الصلوات الخمس قبل الهجرة بعام، فعلى هذا يحتمل قول عائشة "فزيد في صلاة الحضر" أي زيد فيها حين أكملت خمسا، فتكون الزيادة في الركعات، وفي عدد الصلوات، ويكون قولها "فرضت الصلاة ركعتين" أي قبل الإسراء، يجوز أن تكون ليلة الإسراء فرضت ركعتين ركعتين، ثم زيد في صلاة الحضر بعد ذلك (كل ذلك قال به طائفة من السلف ورواة الحديث ١/٢٨٣ الروض الأنف)

والذي يظهر من قول الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيْلاً نِصْفَهُ أَو انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ القرآنَ تَرْتِيْلاً إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيْلاً﴾. ومن الأحاديث الكثيرة الواردة في صفة قيام الرسول الله ﷺ (وتهجده، وقيام طائفة من المؤمنين معه، أن قيام الليل كان مفروضاً على الرسول والمسلمين، واستمر فرضه على المسلمين إلى أن نزل التخفيف عن المومنين في الجزء الأخير من سورة المزمل ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفِهِ وَثُلُثِهِ وَطَائِفَةٌ مِنَ الذِيْنَ مَعَكَ وَاللهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ عَلِمَ أَن لنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ، فَاقْرَأُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُم مَرْضى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَاقْرَأُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ...﴾ أما رسول الله (فقد استمر تهجده واجبا عليه إلى لقاء ربه، لقول الله تعالى : ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُودَاً﴾ (سورة الإسراء).

كانت الصلاة الشعيرة الأولى التي كلف المسلمون الأول بأدائها، لأنها مدرسة التربية الإيمانية، والتصفية الروحية، ولأنها رمز التحول التام نحو العيش في كنف الله تعالى ورعايته، وتطليق الارتباط بالأرض وشهوات الإنسان وأهوائه. ولقد وجد السابقون في تلاوة القرآن والترنم به والركوع والسجود لله لذة لا تعدلها لذة. وما تكون الدنيا أمام التبتل في محراب الضراعة لله، والتذلل بين يديه واتخاذه وكيلا ومعتمدا وملجأ وملاذا؟ ﴿رَبُّ الْمَشرِقِ وَالْمَغْرِبِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فاتَّخِذْه وَكِيلاً﴾ .

٣- سمات هذه الفترة

١- هدوء الدعوة وتوفر أجواء التربية:

إن القرآن الذي نزل في أوائل الدعوة الخاصة يلاحظ فيه اشتماله على مبادئ الدعوة وأسسها، وبالأخص عبادة الله تعالى وعدم الإشراك به، مع خلوه من العنف والتبكيت والتقريع والتسفيه لأحلام وعقول المشركين، لأن جو الهدوء يجعل الأتباع والمتلقين للدعوة يتربون تربية رصينة عميقة، ويتشربون مبادئ الدعوة على مهل بدون تشويش، وهذا يكفل لهم الثبات والتحصن ضد جهل الجهلاء، وسفاهة السفهاء في الوقت المناسب.

وعلى هذا يمكن أن يقال: إن الدعوة في هذه الفترة "كانت اتصالا بالأخصاء" - كما يقول دروزة رحمه الله - يدعى لها من يوثق برجاحة عقله، وهكذا دعا الرسول (زوجه، ومولاه زيداً، وابن عمه عليا، وصديقه أبا بكر الذي "جعل يدعو إلى الله وإلى الإسلام من وثق به من قومه ممن يغشاه ويجلس إليه"

-ابن هشام - لأن عرض الدعوة على من يشك في تقبله لها مائة في المائة يعرضها للفضح والتشويش هي في غنى عنهما.

زيادة على أن اصطفاء الأخصاء يضمن الاستيعاب للمبادئ والتوجهات الدعوية في أقصر وقت ممكن، والاستفادة من هذه السنة الكونية الربانية هي أن الدعوة أفضل وظيفة، فلا ينبغي أن يختار لها المتردية والنطيحة، وما عاف السبع، ولكن ينبغي أن يوظف فيها أجود العناصر، لأنها عرض لسلعة الله وسلعة الله غالية.

٢- الانفتاح المتوازن على المجتمع المكي وغيره:

"لقد انتشر الإسلام في المرحلة المكية في سائر فروع قريش بصورة متوازنة، دون أن يكون لإحدى عشائرها ثقل كبير في الدعوة الجديدة، وهذه الظاهرة مخالفة لطبيعة الحياة القبلية آنذاك، وهي إذ أفقدت الإسلام الاستفادة الكاملة من العصبية القبلية لحماية الدعوة الجديدة، فإنها في نفس الوقت لم تؤلب عليه العشائر الأخرى بحجة أن الدعوة تحقق مصالح العشيرة التي انتمت إليها، وتعلي من قدرتها على حساب العشائر الأخرى، ولعل هذا الانفتاح المتوازن على الجميع أعان في انتشار الإسلام في العشائر القرشية العديدة دون تحفظات متصلة بالدعوة، فأبو بكر من "تيم" وعثمان من "بني أمية" والزبير بن العوام من "بني أسد" ومصعب بن عمير من "بني عبد الدار" وعلي من "بني هاشم" وعبد الرحمن بن عوف من "بني زهرة" وأبو ذر من "غفار" والطفيل بن عمرو من "دوس"... لقد كان واضحا منذ الوهلة الأولى أن الإسلام ليس خاصا بمكة وقريش" (د. أكرم ضياء العمري، السيرة النبوية الصحيحة ١/١٣٣).

بالإضافة إلى أنه لم يكن خاصا بالفقراء دون الأغنياء، كما يحلو للبعض أن يجعل الدعوة الإسلامية طبقية، فيقرأها بأنها عبارة عن تألب الفقراء، والموالي والعبيد على البرجوازية القرشية، بل الإسلام دعوة للجميع، وميزان التفاضل فيه التقوى والعمل الصالح.

٣- دور المرأة في المرحلة السرية :

لقد كان ربع المجتمع المسلم من النساء، ومعظم الشباب المتزوجين أسلمت معهم زوجاتهم، وعشن في المرحلة السرية دون أن يدري بهن أحد، وحافظن على السر وكتمنه دون أن نسمع شيئاً من إفشائهن له - المنهج الحركي للسيرة ١/٢٧.

٤- صلابة الذين أسلموا :

لقد وقف سعد بن أبي وقاص مع أمه وقفة صارمة في قصة مشهورة تذكر في أسباب نزول قوله تعالى : ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا، وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلاَ تُطِعْهُمَا ... ﴾ (سورة العنكبوت).

وكذلك وقفت فاطمة بنت الخطاب مع أخيها عمر، وأبوبكر عندما وقف يدعو إلى الله تعالى بين يدي الرسول ... إلى غير ذلك من المواقف التي تدل على أن الداخلين في الإسلام ليسوا سهل المنال، إذا ما أوذوا في دينهم، أما إذا لم يؤذوا، فالتعايش قائم بدون تدخل في شؤون المشركين.

☆ ☆ ☆

الذي قد نصّت الشريعــة على حكمــه؛ فالأوّل هو المقيس، والثاني هو المقيس عليه، والشيء الثالث هو القاسم الذي يكون مشتركاً بين المقيس والمقيس عليه والــذي يسمح بتمــديد حكــم المقيس عليــه إلى المقيس، ويسمّــى بـ "وجـه القياس" و "وجــه الشبــه" و "علّة الحكم".

ونظراً إلى ذلك اجترأ الناس اليوم على اختراع المصالح والعلل في الأحكام الشرعيّة، حتى بنوا عليها الأحكام، وعندما يمنعهم العلماء عن ذلك، يقولون: إنّ ذلك هو منهج السلف، وإذا كان العلماء السلف صنعوا ذلك، فما بال العلماء اليوم لا يكتفون بأنّهم لا يسلكون طريق السلف، وإنما يمنعون الناس عنه، إنّ علماء اليوم قد تزمّتوا كثيراً وتحجّروا، وجمدت عقولهم ؛ فكلُّ تقدّم دينيّ ودنيويّ جريمةٌ عندهم ولا يكاد تفكيرهم يهتــدي إلى الأســرار والحكــم التي تشتمــل عليهــا الشريعة، لأنّهم يعيشون في البرج العاجيّ، ولا يتّبعون السلف ولا يدعون الآخرين يتّبعونهم، فيمنعون عن استخراج المصالح والحكم في الأحكام !!.

ويقول : إنّ ذلك مجرد خداع، وليس تقليداً للسّلف، ولا يحتمل النّاسُ اليوم تقليدهم. أمّا كون ذلك عدم اتّباع للسلف، فلأنهم قد وضعوا للقياس مبادئ هي عقليّة تماماً جديرة بالتسليم. فهم لا يُعْمِلُوْنَ القياس إلاّ حيث تسكت الشريعة، ولا يستخدمونه في المواضع التي جاء فيها نصّ ما من الشريعة، حتى إنّ القياس لو استُخْدِمَ في مئات من المواضع، ووُجِدَتْ قضية فرعيّة واحدة يؤيّدها نصّ شرعيّ، فلا تُعَدُّ مُسْتَبْطَلَةً بالقياس ، وإنّمايُصَارَحُ بأنّها جاءت خلافاً للقياس.

فمثلاً : هناك نصوص كثيرة استُنْبِطَتْ منها قاعدةٌ تقضي بأنّ وجود المبيع شرط لصحّة البيع ، وأن عدم وجوده يستلزم بطلان البيع، وتبنى على القاعدة مئات من الفروع ، ولكنّه يُوْجَدُ في الشريعة نصّ يخالف القاعدة فيما يتعلّق ببيع السلم، فيُصَرِّح العلماء أنّ بيع السلم يصّح خلافاً للقياس.

أمّا أبناء العصر، فهم لا يبالون بشيء ، ولا يفرّقون فيما يتعلّق بقياسهم بين الأشياء التي هي مسكوت عنها في الشريعة، وبين المنصوص عليها فيها. وإنما يخترعون علّة لحكم ما من عندهم، ويبنون عليها الأحكام في كل موضع، حتى في الموضع الذي يوجد فيه نصّ شرعيّ ضدّ الأحكام التي يُقَرِّوْنَها ، ثم إنّهم يبيحون التأويل في النصوص الشرعيّة، ولا يحتملون أن يسحبوا آراءهم، كما يصنعون مع الربا. وذلك هو ديدنُهم فيما يتّصل بجميع الأحكام الشرعيّة ؛ فقد حذفوا منها وأضافوا إليها حسبما شاؤوا، فماذا يعني إتّباعهم للسلف.

السبب في عدم قدرة أبناء العصر على اتّباع السلف

أمّا عدم قدرة أبناء العصر على اتّباع السلف، فالسبب فيها أنّهم لا يملكون علماً مثل علمهم ولا تقوى مثل تقواهم ولا أمانة مثل أمانتهم، ومع هذا العجز الواضح محاولةُ سباقهم، لا تحاكي إلاّ موقف القاصي الفرعي (Sub - Judge) في محكمة فرعيّة قروية ، الذي يطالب بإعطاء قراراته الأهميّة التي تُعْطَىٰ قرارات قاضي القضاة بالمحكمة العليا؛ حيث تشكلّ أدلّة قانونيّة، زعماً منه أنّه لا فرق بينه وبين قاضي القضاة؛ حيث يعرف القوانين مثلما يعرفها هو – قاضي القضاة – وتثق الحكومة بقراراته ثقتَها بقرارات قاضي القضاة !.

قد بلغ العلم الشرعي من الانحطاط أنّ الناس

الإسلام و العقلانية

[الحلقة ٤٩]

بقلـم : الشيخ الجليل المربي الكبير العلاّمة أشرف علي التهانوي
المعروف بـ " حكيم الأمة " المتوفى ١٣٦٢هـ / ١٩٤٣م
تعريب أبـو أسـامـة نـور

وكذلك إجماع الأمة ثابت بالقرآن

أما إجماع الأمة ، فقد جاء فيه الآية التالية :

"وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُوْلَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيْلِ الْمُؤْمِنِيْنَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَ نُصْلِهِ جَهَنَّمَ" (النساء /١١٥)

إنّ المراد من "سبيل المؤمنين" إنما هو الإجماع؛ فثبت أنّه لايجوز مخالفة الإجماع، وأنّه حجة شرعيّة. وسيأتي تفصيل ذلك في الكتاب.

والقياس ثابت بالكتاب والسنة

أما القياس، فإنّه يجب في شأنه ملاحظةُ أنّ إخواننا أبناء العصر من المثقفين متورّطون في صدده في الأخطاء ؛ حيث يحسبون أنّه يرادف "الظن" و "التخمين" و "الحدس" و "التوهّم". وانطلاقاً من ذلك إنما يعملون بما يخترعون من مسائل دينية بالتخمين، ويزعمون أننا إنما نصنع ما كان يصنعه السلف من العلماء، وإذا كان يجوز لهم أن يضعوا مسائل ، فلماذا لايجوز لنا أن نضع مسائل أخرى حاذين حذوهم.

فليعلم هؤلاء أن "القياس" في اصطلاح العلماء منهج معقول للاستدلال . ومعقوليته (Reasonableness) مسلمة نقلاً وعقلاً وعرفاً؛ لأن "القياس" عند العلماء أن يُعَدَّى الحكم المنصوص عليه فيما يتعلق بشيء إلى شيء لم يرد فيه حكم منصوص عليه . فهناك ثلاثة أشياء: (أ) الشيء الذي حكمه منصوص عليه، (ب) الشيء الذي حكمه غير منصوص عليه . والأول يُسَمَّى "مقيساً عليه" والثاني يُسَمَّى "مقيساً" . (ج) الشيء الذي يتشابه فيه المقيس عليه والمقيس، ويُسَمَّى "وجه شبه" أو "عِلّة" .

وقد تجلّى من هذا الشرح أنّ "القياس" منهج مستقل للاستدلال إنّما يُسْتَخْدَمُ في الموضع الذي لم يرد فيه نصّ يتضمّن حكماً صريحاً .

و"القياس" ثابت بالكتاب والسنة وبالعرف والعقل معاً. أمّا الكتاب فقد جاءت فيه في هذا الشأن الآية التالية :

" وَ إِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوْا بِهِ وَ لَوْ رَدُّوْهُ إِلَى الرَّسُوْلِ وَ إِلَى أُوْلِيْ الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِيْنَ يَسْتَنْبِطُوْنَهُ مِنْهُمْ " (النساء/٨٣)

و " الاستنباط " معناها ههنا " استخراج الأحكام ". والآية ذكرت نوعين من الناس: النوع الأول هم أولئك الذين أذاعوا أمراً من الأمن أو الخوف جاءهم ، وقد استنكرهم الله تعالى . والنوع الثاني هم الذين أمر الله تعالى النوع الأول من الناس

أن يردّوا الأمر إليهم وقد سمّاهم "الذين يستنبطونه". فالطائفة الأولى لا تتأهّل للاستنباط ، والطائفة الثانية تتأهل له. ولـو كان الحكم صريحاً ومنصـوصاً عليـه لعلمته الطائفتان كلتاهما ، ولما كانت هناك حاجةٌ إلى الاستنباط. ومن ثم اتّضح أنّ هناك أموراً لم يرد فيها حكم صريح في الشريعة ؛ فهي تحتاج إلى أن يُعْمَلُ فيها الاستنباطُ . والذي لايقدر على الاستنباط مُكلَّفٌ بالرجوع إلى الذي يقدر عليه ويتأهّل له. فهذا هو القياس المُعَوَّل عليـه لدى العلماء، الذي يُسْتَنْبَطُ به حكمٌ غير المنصوص عليه في ضوء شيء منصوص على حكمه.

آية ثانية تدلّ على حجيّة القياس

والآية الثانية التي يثبت بها العلماء " القياس " هي:

" فَاعْتَبِرُوْا يَا أُوْلِيْ الأَبْصَارِ " (الحشر/٢)

والآيات في هذا المعنى كثيرة، وكلها تتحدث عن الأمم السابقة، وتحض على تلقى العبرة من المصير الذي صارت إليه من أجل غيها وعصيانها لأمر الله. ومعنى العبرة أنّها عصت أمر ربّها فاستحقت العذاب؛ فالعصيان علّة لما جاءها من عذاب الله، فاللّه يقول : احذروا أن لا تُوْجَد فيكم العلّة المذكورة وهي عصيان أمر الله، فيعطى مفعولَه متمثلاً في العذاب الذي ينال العصاة من الأمم.

وذلك هو "القياس" والأمم السابقـة ههنا هي "المقيس عليهـا" والأمـة الحاضـرة هـي "المقيسـة" والعصيان هو "العلّـة".

القياس ثابت بالحديث أيضاً

أما الأحاديث الواردة فيما يتعلق بالقياس، فهي أيضاً كثيرة ؛ ولكننا نكتفي ههنا بواحد منها هو صريحٌ في الموضوع وهو كما يلي:

"عن معاذ بن جبل أن رسول الله صلى الله عَليْه وسلّم لما بعثه إلى اليمن ، قال : كيف تصنع إن عرض لك قضاء ؟ قال : أقضي بما في كتاب الله. قال: فإن لم يكن في كتاب الله ؟ قال: فبسنّة رسول الله صلى الله عليه وسلّم . قال: فإن لم يكن في سنة رسول الله ؟ قال : أجتهد برأيي و لا آلو. قال: فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم صدري ، ثم قال: الحمد لله الذي وفّق رسولَ رسولِ الله لما يرضى رسول الله " (١).

إنّ هذا الحديث واضح جدًّا في معنى كون الاجتهاد حجةً، وكونه لازماً وفعلاً محموداً. كما أنه دلّ على أنّ جميع الأحكام غير مذكورة في كتاب الله، كما أنها غير مذكورة جميعاً في الحديث، كما أنها لا يتضمنها جميعاً شرحُ وخطابُ إخواننا أبناء العصر. أمّا الاعتراض بأن كون كتاب الله لا يشمل جميع الأحكام يستلزم كونه ناقصاً غير كامل، فالإجابة عنه أنه إنما يكون ناقصاً إذا ادّعينا أنه يشمل جميع الأحكام مباشرة، ولم تجئ هذه الدعوى في موضع من الكتاب والسنّة .

أحكام ثبتت بالكتاب وأخرى لم تثبت به

والواقع أن هناك أحكاماً كثيرة لا توجد إلاّ في كتاب الله كما أن هناك طائفة منها كبيرة لا توجد إلاّ في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، وكذلك هناك أحكام ثبتت بالقياس والاجتهاد . وبما أن الكتاب يؤكد كون الحديث واجب الأخذ والعمل، وكتاب الله وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم كليهما يؤكدان كون القياس حجةً ، فما يثبت من

(١) كتاب "إعلام الموقعين" لابن تيمية ، ج ١، مبحث الاجتهاد .

الأحكام بأيٍّ من الحديث والقياس، إنّما يُعَدُّ ثابتاً بكتاب الله . ألا ترى أن القوانين الـمَلكِيَّة إنما تُوْضَعُ في البرلمان الملكي، ولكن هناك صلاحيات كثيرة تُفَوَّضُ إلى نائب الملك (The Viceroy) فتُوْضَعُ قوانين أخرى في مجلسه في ضوء الصلاحيّات الـمُخَوَّلَةِ له ، كما أنّ هناك صلاحيّات تُخَوَّل لحاكم الولاية (Governor) فتُوْضَعُ قوانين في ضونها في مجلسه ، كما أنّ هناك صلاحيّات تُخَوَّل للحكومات المحلية والإقليمية (Local and regional Government) حتى تمتد هذه السلسلة إلى هينات المناطق District) (boards وإلى المجالس البلديّة (Municipalityies) وتُوْضَعُ في كل من هذه المراحل قوانينُ لا تُوْضَعُ فيما فوقها من المراحل، إلاّ أن قوانين المرحلة الدنيا هي الأخرى تُعْتَبرُ قوانينَ حكوميّة ملكية، ومخالفتُها تُعْتَبرُ مخالفة للحكومة والملك ، ليس لأن جميع الأحكام الصادرة حتى عن المجالس البلديّة موجودة ضمن القوانين البرلمانية الملكية ، وإنّما لأن البرلمان الملكي قد اعترف بأحكام نائب الملك والحاكم وما إلى ذلك إلى جانب أحكامه هو؛ فهذهِ الأحكامُ والقوانينُ كلها متصله بالبرلمان المركزي الذي يديره الملك مباشرةً، فاعتُبِرَتِ الأحكام كلُّها أحكاماً برلمانيّة حكوميّة .

فإذا كانت قوانين المجالس البلديّة تُعْتَبرُ قوانينَ ملكيّة حكوميّة على حين إنّها متّصلة بالملك بوسائط عديدة، فكيف بقوانين القياس والحديث اللذين يتصلان بكتاب الله بواسطة أو واسطتين؟. حقًّا ، لا مجال للتعجب من اعتبار هذه القوانين قوانين كتاب الله تعالى.

وقد دوّن العلماء هذه الأحكام والقوانين، وسمّاها "الفقه". وندّعي أن الفقه علم لم يغادر صغيراً ولا كبيراً من الأحكام إلاّ أحصاه. وجرِّب إذا شئت، فمهما عرضت لك مشكلةٌ مهما كانت مُعَقَّدَةَ إذا طرحتها أمام العلماء وجدت لها حلاًّ مبنيًّا على الدلائل . وإذا عرضتها على علماء الديانات الأخرى فلا تجد لها جواباً، وإذا وجدته فلن تجده قد أثبتوه مباشرة أو غير مباشرة بكتاب من كتبهم الدينية. وذلك يُصَدِّقُ مرة أخرى ما قاله الله عزّ وجلّ:

" اَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِيْنَكُمْ" (المائدة /٣)

معنى كون الدين كاملاً

فتلك هي صورة كمال الدين، وليس معنى كمال الدين أن جميع الأحكام الكلية والجزئية ، لابدّ أن يُبْحَثَ عنها في القرآن فتُوْجَدَ فيه. وتلك هي سنة طبيعيّة مُتَّبَعَةٌ في الدينا منذ اليوم الأول، أي إن الأحكام الملكية ليست فقط تلك التي تصدر عن فم الملك مباشرة، بل إن أحكام نائب الملك ونائب نائب الملك، إلى آخر ما هناك من السلسة، كلها تُعَدُّ أحكاماً صادرة من قبل الملك.

وذلك شيء بسيط معمول به في كل مجال من مجالات الحياة؛ ولكن المؤسف أنّ الناس لايعملون به في شأن الدين، وإنما يتناولونه – فيما يتصل بالدين – باعتراضات وانتقادات .

على كل فإنّ هذا المثال قد أوضح كون القياس موافقاً للعرف والعقل

وقد أسلفنا أن الخطأ الأول الذي يُرْتَكَبُ هو أنهم يحصرون أحكام الدين في القرآن. وقد تناولنا ذلك بشيء كاف من التفنيد. وخلاصة ذلك أن القرآن بدوره يخطّئ هذا المزعوم، وأنّه هو بنفسه يُثْبِتُ كونَ الحديث حُجّةً كما يثبت حجية الإجماع والقياس. فإذا آمنّا بالقرآن وجب أن نؤمن بالحديث والإجماع والقياس.

[يتبع]

الحضارة الغربية غيّرت ملامح الحياة الإنسانية

فضيلة الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي
الرئيس العام لندوة العلماء، لكهنؤ - الهند

كلمة ألقاها سماحة الأستاذ الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي الرئيس العام لندوة العلماء (الهند) أمام نخبة من العلماء والدعاة الذين اجتمعوا بدعوة من منظمة المؤتمر الإسلامي والمركز الإسلامي في طوكيو، للحضور في الندوة الدعوية التي عقدت في ٢٩/ مايو ٢٠٠٠م في قاعة جامعة الأمم المتحدة الواسعة في طوكيو.

حضر هذه الندوة معالي الدكتور عز الدين العراقي الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي ، ومعالي الأمين لرابطة العالم الإسلامي الدكتور عبد الله صالح العبيد، ومعالي الوزير للشئون الدينية للمملكة العربية السعودية الدكتور عبد العزيز آل الشيخ، ووزير الخارجية الياباني، ومدير جامعة الأمم المتحدة في طوكيو، ومدير الجامعة الإسلامية العالمية في كواله لمبور و إسلام آباد، ووزير الشئون الدينية الباكستاني السيد راجا ظفر الحق ، و سفراء الدول الإسلامية والعربية في طوكيو . هذا وقد حضر أكثر من ثلاثمائة مندوب من أنحاء العالم الإسلامي هذه الندوة التي عقدت للبحث والنقاش حول دور الإسلام في بلاد شرق آسيا.

إن الحضارة الغربية - أيها السادة - حضارة أحرزت إنجازات مدهشة في مجالات العلم والمعرفة والوسائل المادية للحياة ، وبها تقدمت الأمم الغربية واكتشفت وسائل الراحة والتقدم المادي إلى ما كان يفوق التصور لأجيالنا الماضية ، وبها أثرت تأثيراً على الشعوب الأخرى في الشرق، ومن هذه الشعوب بل ومن أعظمها استفادة هو الشعب الياباني بل لم يعد هناك فرق أو اختلاف في التقدم المادي وتطوير وسائل العيش الراقي والصناعات المدهشة بين الذي فاق فيه الغرب الراقي وبين اليابان، فلو لم يكن هناك فارق اللغة لم يفطن الرجل الزائر لطوكيو أنه في عاصمة بلد شرقي بل ويظن أنه في عاصمة بلد غربي راق مثل نيويورك أو لندن وغيرهما. بل وقد يجد أشياء في طوكيو لاتوجد في مدينة راقية في أميركا كذلك.

إن الرقي الذي أحرزته الحضارة الغربية قد غير ملامح الحياة الإنسانية الظاهرة وأوصلها إلى حد فوق تصورنا؛ ولكن هذه الحضارة لم تهتم اهتماماً بسيرة الإنسان الإنسانية وحاجاتها الروحية والأواصر العائلية والاجتماعية.

فإن الإنسان المتحضر اليوم رغم ما أحرزه من وسائل الحياة الهنيئة وبما كسبه من قدرة في إخضاع الطاقات المادية والاستفادة منها لم يستطع عن طريق تقدمه العلمي والصناعي أن يملأ الفراغ الذي يشعر به الإنسان في داخل نفسه وفي حياته العائلية والأسرية . وهي قضية هامة تتطلب من جميع المهتمين بالإنسان أن يهتموا بها ويجب عليهم في سبيل تحقيق هذا العمل أن يدرسوا ما يوجد لدى النظم الدينية والفكرية المختلفة في العالم ، ويروا فيها ما يقضي حاجة الإنسان الخلقية والإنسانية .

وبناءً على هذا الأساس كانت الحاجة ماسة إلى أن ينشأ في هذا البلد الراقي في المنجزات العلمية والصناعية مركز لتعريف أبناء هذا البلد بما يحمل الإسلام من القيم الخلقية والمبادىء الإنسانية وكيفية تطبيقها في الحياة، وللاطلاع كذلك على ما أنجزته اليابان في مجال الاستفادة من العلوم

التجريبية والتكنولوجية ليكون هناك تبادل بين الخيرين.

إن الشعب الياباني يمتاز عن غيره من الشعوب بهدوئه وعكوفه على العلم والعمل مضحياً في ذلك بكثير من الراحة، فتقدم تقدماً عظيماً وأحرز سبقاً في مختلف جوانب التقدم الصناعي ، حتى أن البلدان الكثيرة ومنها البلدان الغربية الراقية أيضاً بدأت تستفيد من معجزات هذا الشعب.

إن اليابان تقع في أقصى الشرق تشرق منها الشمس، وموقعها الجغرافي هو بين شرق العالم وغربه، فهي إذا كانت سائرة على الطريق الغربي الحضاري فعليها أن تدرس الخصائص التي امتازت بها الشعوب الشرقية أيضاً ، وفي مقدمة هذه الشعوب، الشعوب الإسلامية التي لاتزال تحتفظ بشيء غير قليل مما يجعل الحياة الإنسانية حياة لاينقص فيها ماتحتاج إليه هذه الحياة من المطالب الروحية والخلقية وسعادة الحياة العائلية والأسرية ، فإن الحضارة الغربية لم تستطع رغم عظم تقدمها العلمي والصناعي أن تقدم لها حلولاً لائقة ، ولذلك نجد أن الحياة الخلقية فيها والأواصر العائلية متوترة توتراً شديداً ، وهي بحاجة إلى أن تنال لكل ذلك علاجاً ناجعاً.

فإنشاءُ مركز إسلامي للتعارف والارتباط المشترك بين أبناء اليابان وبين ممثلي الإسلام تستحق كل تقدير ؛ فان هذا المركز يقضي حاجة كبيرة في هذا المجال ، وهذه الندوة التي ينظمها كل من منظمة المؤتمر الإسلامي والمركز الإسلامي في اليابان خطوة جبارة إلى هذا الاتجاه ، فأهنيء القائمين بهذا المركز وأعقد آمالاً كبيرة في تعريف الشعب الياباني بما ينفعهم من قيم الحياة الفردية والخلقية والحاجيات الروحية التي يقدمها الإسلام للإنسان. إنه لم تكن أواصر كبيرة بين أبناء الشعب الياباني وبين حملة القيم الإسلامية إلى القرن الماضي ، ونحمد الله تعالى على أن هذه الأواصر بدأت في هذا القرن وهي تترقى وتتقدم ، و وجدنا أن أبناء اليابان متفتحون لهذه الأواصر.

إن الإسلام أيها الإخوة قد عالج الأحوال الشخصية والسلوك الإنساني بين أفراده والعلاقات الطبيعية في داخل الأسرة ، وعرض على العالم معالجة ناجحة لها نجدها في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وفي حياة أصحابه وأتباعه على مر الزمن ، وسار على منهجه الإنساني كثير من أبنائه ، وقد قدموا أمثلة رائعة خليقة بالاستفادة والاقتباس ، فإن المنهج الذي وضعه الإسلام لحل هذه المشاكل التي كثرت وتعقدت في حياة الشعوب الغربية، منهج جدير بنا أن نعرضه على الشعوب التي تعاني منها. وذلك يمكن العمل به عن طريق اللقاءات الأخوية والتبادل الثقافي والفكري بين ممثلي الإسلام وممثلي الحضارة الغربية وعقد ندوات فكرية وعلمية لهذا الأمر.

إن التوجيهات الرشيدة من الرسول محمد صلى الله عليه وسلم لإنشاء سعادة نفسية وروحية تقرر المباديء التي إذا طبقت فهي كفيلة باعطاء هذه السعادة في العائلة وفي الأسرة وفي البيئة الاجتماعية وفي الارتباطات البشرية ، ولقد طبقها الرسول صلى الله عليه وسلم في حياته الكريمة، فقد عاش بين أبناء وطنه وأصحابه بسيرته المثالية ثلاثاً وعشرين سنة ، وقد ذاق من حلو الحياة ومرها، وواجه مشاكل وأزمات ، فعالجها بالحكمة وعلو الهمة وطهارة النفس وسماحة الخلق، فقد كان زوجاً وكان والداً وكان يتمتع بصداقة أصدقاء ويعاني عداوة أعداء، وكان مسئولاً عن أسرته وعياله، وكان أميراً لجماعة، ينظم ويدبر أموراً كانت عليه مسؤولية إدارتها؛ فترك لكل ذلك أمثلة هي حلول ناجحة لمشاكل تنشأ في حياة الإنسان الاجتماعية والعائلية ، وفي داخل الحياة الخاصة وخارجها لكل إنسان.

فإن الإسلام يملك خيراً كثيراً للحياة الخلقية والاجتماعية لم نستطع أن نطلع على ما عند الآخرين مما يهمنا ويفيدنا وأن نطلعهم على ما عندنا من توجيهات الإسلام وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم.

☆ ☆ ☆

حُدُودُ العِلْمِ والمَنْهجِ التَّجْرِيْبِيّ بين الإِسْلامِ والعِلْمِ الحَدِيْثِ

بقلم : الدكتور عثمان جمعة ضميرية

تمهيد :

افتتن الناس، في العصر الحديث، بما يسمى بالمنهج العلمي التجريبي، وأصبح كثير من الناس يديرون هذه الكلمة على ألسنتهم ويتشدقون بها، ويحسبون أن العلم والمنهج العلمي التجريبي يستطيع كل منهما أن يحكم على كل شيء في هذا الوجود، وأن كل ما لا يخضع لهذا المنهج التجريبي يكون خرافة أو وهماً، لا ينبغي الإيمان به.

ولذلك أجد أنه من الضرورة بمكان أن نحدد معنى العلم والمنهج العلمي وحدود هذا المنهج بكلمات موجزة، كما نجده عند أصحاب المنهج العلمي نفسه والمشتغلين بهذه العلوم، لأن ذلك سيحدد المجال الذي يمكن للعلم التجريبي أن يعمل فيه، ويلقي الضوء على موقف العلم نفسه من عالم الغيب الذي يحيط بنا من كل جانب وتتسع دائرته لتشمل موجودات كثيرة لا تقاربها ولا تدانيها موجودات عالم الشهادة.

العلم وحدوده من خلال أقوال العلماء:

نعرض فيما يلي طائفة من أقوال أساطين رجال العلم والفلسفة من أهل أوروبا، الذين تقدَّم العلم الماديُّ على أيديهم أشواطاً كثيرة، وبهم افتتن كثيرٌ من أهل الشرق المسلم :

١- يقول هكسلي :

" العلم ، فيما أعتقد ، ليس سوى الذوق الإنساني بعد تربيته وتنظيمه، ويطلب هذا العلم حقائق الكائنات الطبيعية بواسطة الحواس، مع الاستعانة بجميع ما عرف لهذا العهد من أنواع الآلات العجيبة المدهشة، مثل المناظير المكبرة (ميكروسوب) والمناظير المقربة (تلسكوب) ، وهل أقيمت اكتشافات كبلرونيوتن إلا على تلك القواعد الثابتة، قواعد الشهود بهذه المناظير ؟ " .

٢- ويقول الاستاذ بلفور في خطبة له:

يتوقف " العلم " في تحصيله والتثبت منه على المقاييس، فكل ما لا يقبل القياس من الأشياء، فهو خارج أو يكاد يكون خارجاً عن حدوده الطبيعية، ومعلوم أن الحياة والجمال والسرور ... ليست مما يقاس ـــ بمقاييس العلم المادي ـ فهي إذن لا تكون من موضوعات "العلم" .

٣- ويقول الأستاذ وندل :

" العلم ـــ سواء استعان بالآلات أم لم يستعن ـــ عماده ما يلاحظه الإنسان ويحسه من الكائنات ، وما تهديه إليه في المعامل الكيميائية والمعامل الطبيعية التجاريب والآلات، التي تمكنه من انتزاع غوامض أسرار الطبيعة من مكامنها العميقة ، مع بلوغها من

الدقة والضآلة ، ما يكاد يحجبها عن أبصار الرائين.

وإذا أردنا أن نبحث في باطن النظام الآلي للطبيعة أو في خارجه، أو قصدنا معرفة ما انبعث عنه هذا النظام وكيف كان مصيره، أو حاولنا أن ندرك كنه هذا الكون ومبلغ شعورنا به، ولم وجد ، ولم خُلِقْنا نحن هنا ؟

إذا أردنا ذلك ، فإن العلم الحديث ليس لديه جواب عن شيء منه، إذ لا دخل لشيء من ذلك، في الحدود المصطلح عليها للعلم .

وإذا كان لا علاقة للعلم الحديث بشيء من تلك المباحث ، ولا جواب لديه عن أمثال ما قدمنا من الأمثلة، فليس ـ بالطبع ـ لأحد ممن يتكلمون باسم العلم أن يدعي أن "العلم" أقام البرهان على عدم وجود الله، أو أنه ليس هناك أرواح، أو أن هنالك، أو ليس هنالك، بعد هذه الحياة الدنيا بعث ولا نشور، ولا جنة ولا نار الخ ..." (١)

وبعد ، فإنه يكون من الجهالة العلمية إذن ، وقد رأينا مفهوم العلم وفلسفته وحدوده، أن يطلب أحد من الناس دليلاً علمياً على كل شيء يتبغي معرفته أو الإيمان به، إذ للعلم مجال محدد يستطيع أن يعمل فيه، وما عداه فهو خارج عن نطاق اختصاصه، يدفعه العلم دفعاً بعدم الاختصاص، كما يقول القانونيون مثلاً .

إن "العلم" يعني تلمُّس "الحقائق" في عالم الحس، وأساس العلم هو الرصد والقياس باستخدام الحواس، ثم معالجة نتائج ذلك القياس بالقوى العقلية.

وإذن فعالم ما وراء الحس لا دخل للعلم به، اللهم إلا ما يمكن إخضاعه من عالم ما وراء الحس إلى مستوى الحس بواسطة الآلات والأجهزة، مثل الأبرة الممغنطة أو البوصلة التي تستخدم في التعرف على اتجاهات خطوط قوى المجال المغناطيسي الذي لا نحسُّ نحن به ولا نراه ، ولكن تستجيب له الإبرة الممغنطة، ومثل الأشعة السينية التي لا تدركها الأبصار، ولكنها تؤثر على الألواح الحساسة والفوتوغرافية . (٢)

طرائق العلم وأساليب المنهج العلمي ومراحله:

يقوم المنهج العلمي على الملاحظة المنظمة التي يتم فحصها بصورة دورية، ثم توضع نظرية لتفسير هذه المعلومات التي نلاحظها، ومن ثم نستخلص القواعد والقوانين التي يمكن تحقيقها، بمحاولة تطبيقها في تجارب مكررة حتى يتأكد ثبوتها، فتصل إلى ما يسمى بالحقيقة العلمية اليقينية، فتكون عندئذ قانوناً عاماً كاشفاً لقانون الفطرة، أي لسنن الله في الكون، وإذا تأيدت انطبقت على القانون الطبيعي (الفطرة) فإذا تنافرت معها فهي لا تكون حقيقة ثابتة ، بل تخضع للتغيير . (٣)

يقول أحد المشتغلين بالعلم والمنهج العلمي التجريبي :

يهدف العلم إلى تصميم صورة بنائية للعالم المادي ، تفسر كل ما يجري فيه، وتنبئ عما سيؤول إليه حاله مستقبلاً. وقد توصل العلم إلى عدد من الحقائق، وذلك بملاحظة مايجري من أحداث في هذا الكون، وبإجراء تجارب معدة إعداداً خاصاً، ثم تجميع نتائجها. ويتم ترتيب وتصنيف تلك الحقائق على أساس منطقي بقدر الإمكان، وعندما تؤدي مشاهدات وتجارب من نفس النوع إلى نتائج متشابهة، فإنه يمكن التعبير عن تلك النتائج بمنطوق موحّد أو قانون .

فمثلاً : دلت المشاهدات في كثير من التجارب

الكيميائية التي توزن فيها المواد المتفاعلة والمواد الناتجة من التفاعل على أن أوزان المواد التي تستنفد في تفاعل ما ـ وتتلاشى ظاهرياً ـ تكون مساوية لأوزان المواد الناتجة من التفاعل .

ولسنا بحاجة إلى سرد نتائج كل تجربة من تلك التجارب على حدة، إذ إنه من الممكن تلخيصها بالقانون الآتي :

"لم يلاحظ أي تغير في الوزن الكلي للمواد التي تشترك في تفاعل كيميائي "... هذا، ويجب ملاحظة :

١- أن نص القانون ينصبُّ فقط على نتائج التجارب العلمية، ولا شأن له بافتراض نظريات أو آراء ما لم تَبْد هذه بديهية لأول وهلة .

٢- إذا أعيد إجراء تجربة ما عدة مرات فقلما تتفق النتائج اتفاقاً تاماً، ويرجع ذلك إلى أن الظروف التي تجري تحتها تجربة ما لايمكن إعادتها بالضبط في تجربة أخرى، هذا من جهة، ومن جهة أخرى: فإن التقدير الشخصي للباحث الذي يقوم بالتجربة ـ وهو عامل لا يمكن التخلص منه تماماً ـ قلَّما يكون تقديراً دقيقاً مطلقاً، مهما كانت درجة عنايته ومهارته.

وإذا كانت هذه الاختلافات في نتائج التجارب طفيفة، إلا أنها دائماً موجودة ولا شك، مهما كان المجرب على درجة كبيرة من المهارة، ومهما كان الجهاز المستخدم حسن الصنع والتصميم.(٤)

وبمعنى آخر: فإن القانون في منطوقه يسبق النتائج التي تصل إليها التجارب، لأن القانون يأتي منصباً في نصه على الحالة المثالية التي تقترب منها النتائج، وقد يكون عدد التجارب التي بني عليها القانون كبيراً جداً إلا أنها في الواقع لا تمثل إلا جزءاً يسيراً من مجموع الحالات التي تدخل في نطاقه.

ومع ذلك : فالمفروض أن تطبيق القانون عام شامل، وأنه يمثل نتائج كل ما يمكن تصوره من التجارب المتعلقة به، سواء كان إجراؤها ممكناً أم غير ممكن .

وبذلك يمكن تعريف القانون بأنه: "ملخص النتائج المثالية لعدد كبير من التجارب والمشاهدات".

وعندما تثبت صحة مجموعة مترابطة من القوانين يوضع فرض أو نظرية لتفسيرها... ويختلف الفرض عن القانون في أنه يعبر عن آراء من الصعب إخضاعها للتجربة المباشرة...(٥)

ومن هذا العرض لحقيقة العلم وطرائقه وأساليبه في البحث تتضح حدود المنهج العلمي التجريبي وقيمته، ويتضح المجال الذي يعمل فيه والمجال الذي لا يستطيع أن يعمل فيه، لأنه لا يقع تحت التجربة المادية المباشرة، فهو خارج عن نطاق اختصاصه، وفي هذا وضع للأمور في نصابها وفي وضعها الطبيعي المناسب لها، حتى لا يتشدق أحد باسم العلم والمنهج العلمي لينكر ما لا يقع تحت حواسه أو لا يخضع للتجربة المادية.

حدود المنهج التجريبي:

ونستطيع أن نبرز النقاط التالية التي تلخص لنا حدود العلم المادي والمنهج العلمي التجريبي: (٦)

١- مهما كانت المشاهدة، أو التجربة (٧) والمشاهدة مباشرة فإنها لا تعدو أن تكون مظهراً خارجياً للحقيقة الواقعية (٨)، وليست الحقيقة ذاتها، والفرق كبير بين إدراك الأشياء الخارجية ومعرفة حقائقها.

فمهمة العلم المادي التجريبي محدودة بالعالم المادي الذي هو عالم الشهادة وحده، وما سوى ذلك

خارج عن نطاق اختصاصه.

يقول العلامة المفكر محمد اقبال رحمه الله:

"إن الطبيعيات ـ بوصفها علماً تجريبياً ـ تبحث في الأشياء الواقعة تحت التجربة ـ أعني التجربة الحسية ـ فالعالم الطبيعي يبدأ وينتهي بالظواهر الحسية، التي بغيرها يستحيل أن يتحقق من صدق نظرياته.

وقد يفترض وجود ذوات لا يدركها الحس، كالذرات مثلاً، ولكنه إنما يفعل ذلك لأنه لا يستطيع أن يفسر التجربة الحسية بغيره، فالطبيعيات تدرس العالم المادي أي العالم الذي تكشفه الحواس.

أما الحركة العقلية التي يتضمنها هذا الدرس، وكذلك التجربة الدينية، وتجربة الإحساس بالجمال، فهي وإن كانت جزءاً من جملة التجربة، فإنها أمور خارجة عن ميدان الطبيعيات لسبب ظاهر؛ هو أن الطبيعيات مقصورة على درس عالم المادة، ونعني به عالم الأشياء المحسوسة. ولكني حين أسألك عن الأشياء التي تدركها في عالم المادة تذكر، بالطبع، الأشياء المألوفة حولك كالأرض والسماء والجبال والكراسي والموائد...الخ فإذا سألتك ما الذي تبغيه من هذه الأشياء على وجه الدقة ، فإنك تجيب: بأنك تدرك صفاتها. ومن البيّن أننا عندما نجيب عن سؤال كهذا، نضع في حقيقة الأمر تأويلاً لشهادة الحواس. وهذا التأويل يقوم على التفرقة بين الشيء وصفاته، ومرده في الواقع إلى نظرية في المادة، أي في طبيعة أسس الحس وعلاقتها بالفعل المدرك وعللها البعيدة (٩).

٢- من أمور الكون ما لا يمكن إدراكه بالحس المباشر أو غير المباشر، ولكن يمكن الاهتداء إليه بوجود شواهد على قرينة منطقية تكفي في الاستدلال على صحة الدعوى بوجوده (الاستنباط) (١٠)، وفي هذا تبرز حدود جديدة أخرى للعلوم التجريبية، متمثلة في حدود العقل البشري وقدرته على الاستنباط السليم .

٣- العلم يشمل كلاً من الحقائق المحسوسة وغير المحسوسة (١١)، وهذه الأخيرة لا يمكن تلقيها إلا عن طريق رسالات السماء والوحي.

٤- إن الإنسان في ملاحظاته وتجاربه ومشاهداته محدودة وجوده على الأرض في نقطة محدودة من الفضاء الكوني، وفي فترة زمنية معينة، فاستنتاجاته نسبية، وليست مطلقة، فاستنتاجات العلوم التجريبية لا تعدو أن تكون مظهراً للحقيقة، وليست هي الحقيقة ذاتها ، فهي فروض قياسية محضه.

إذ يحاول العلم "أن يضع نموذجاً للطريقة التي يسير عليها الكون، والتي على أساسها يمكن أن تفسر ما يجري من أحداث. وطبيعي أن هذا النموذج نتيجة لتصورات العقل البشري، وسيظل دائماً كذلك، ولذا نتساءل: هل ما يجري حقاً في الكون من أحداث يتفق تماماً مع هذا النموذج ! أم أن الأمور تجري على أسس أخرى لم يستوعبها العقل البشري بعد ؟

الواقع أنه لا يمكن ترجيح رأي على آخر، سواء سلكنا طريق التفكير المنطقي أم اتبعنا طريق التجريب العملي.

وبقاء الحكم معلقاً بهذه الصورة مما يوحي بالشك في صحة النظريات العلمية، لا بد أن يعوق نمو المعرفة في جميع النواحي المألوفة، ويحد من امتدادها إلى ميادين أخرى. لذلك فمن الضروري الاعتقاد بأن الفرض العلمي ـ إذا ما ثبتت صحته ـ لا بد أن يكون ممثلاً حقيقياً لما يحدث في الطبيعة من أمور. وهذا

ما يسلم به جميع المشتغلين بالعلم " (١٢).

فنتائج العلوم إذن فرضيات افترض أنها تمثل ما يحدث في الكون من أجل نمو المعرفة العلمية و تقدمها. فهي ليست نتائج قطعية نهائية .

٥- في ازدياد المعرفة للكون دائماً، والمراجعة لهذه المعرفة والتحوير فيها دليل على نقص معرفة الإنسان وعجزه دائماً.

فليس هناك حقائق نهائية قاطعة في العلم، ولا يقول العلم دائماً الكلمة النهائية في ما يعرض له من قضايا علمية، وكل يوم نسمع بجديد في آفاق العلم، وكم من النظريات العلمية التي كانت تدرس على أنها الكلمة النهائية في مجال ما ... كم من هذه النظريات التي تغيرت من أساسها مع تقدم العلم.

يقول ول ديورانت : "أين ذهبت اليوم قوانين نيوتن العظيم حين قلب آينشتاين وميكوفسكي وغيرهما الكون رأساً على عقب بمذهب النسبية غير المفهوم ؟

وأن مكان نظرية عدم فناء المادة وبقاء الطاقة في الميتافيزيقا المعاصرة وما يكتنفها من فوضى وتنازع مما أصاب علومنا ؟ وهل فقدت فجأة قداستها وما فيها من حقائق أزلية ، أيمكن أن تكون قوانين الطبيعة سوى فروض إنسانية ؟

هذه الحقيقة التي يجهلها كثيرون ، وهي أن القواعد العلمية الحديثة ليست سوى فروض قام الإنسان بوضعها لتفسير الغوامض التي تحيط به من كل جانب، وقد يكون نصيبها النجاح أو الفشل، وإذا أصابها النجاح فإلى أي مدى وزمن مقدر ؟

عندما ظهرت النظريات الجديدة التي أثبت العلم وجودها ببراهين رآها العلماء مقنعة ونسخت النظريات القديمة، وحلت محلها ، فإذا بالجديدة تعجز عن تعليل بعض الظواهر" (١٣).

ويقول الكونت دي نوي : "إن القوانين العلمية قوانين نسبية للإنسان الذي هو الآلة المفكرة التي تعبر عن الرابطة الموجودة بينه وبين السبب الخارجي، وهي تصف تتابع الحالات النفسية التي تنتج عن هذه القوانين بالضرورة: نسبية وذهنية، وصلاحها يرتبط بالإنسان ويعتمد على تماثل الانعكاسات لدى مختلف الأشخاص لنفس المنبهات الخارجية.

ومن هنا يتضح أن بعض التعبيرات، كالحقيقة العلمية، يجب أن تؤخذ بحدود ضيقة، وليس بالمعنى الحرفي، كما يظن العامة، فليست هناك حقيقة علمية بالمعنى المطلق .

وإذا كان العالم في القرن التاسع عشر الميلادي لديه الجرأة لأن يقول : إن الحالة (أ)، تتبع الحالة (ب)، والحالة (د) تتبع الحالة (ج)، فإن العالم في القرن العشرين أكثر تحفظاً وأقرب إلى التواضع منه إلى الغرور ، ولا يجزم بشيء ".

ويقول : "إن التغير لا الثبات هو الطابع الذي يتميز به العلم " اليوم " وإن أبحاث العلماء وأقوالهم تؤكد نقص العلم البشري، وإن هذه النظرية الجديدة هي الصحيحة التي تعبر عن الحقيقة والواقع، وتساهم بدفع العلم إلى الأمام، بعكس النظرية القديمة التي تشكل أكبر عقبة في طريق ازدهار العلم وقطف ثماره"(١٤)

وإلى هذه الحقيقة أشار الله تعالى بقوله: "وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً " (١٥).

٦- وإن المشتغل بالعلوم التجريبية يتأثر بالميراث الثقافي والعلمي السابق، وقد انطلق علماء أوروبا في

عادوا لا يكادون يفهمون مُؤلَّفات أئمة الإجتهاد. أمّا التقوى والأمانة فقد عادتا تكادان تكونان عنقاء مغرب، فلا تصحّ في الأغلب الصلاة، ولا تصحّ الزكاة، والحج، ولا تصحّ العقائد والأعمال، ولا يصلح الظاهر ولا الباطن، وينهضون ليدّعوا التساوي مع السلف، بل التفوّق عليهم.

أجل ، إنّ الذين ينهضون اليوم ليحذفوا من الشريعة ويضيفوا إليها، ندّعي أن معظمهم – إذا تفقّدنا أحوالهم – لا يتجاوزون مستوى الادّعاء المجرد إلى مستوى العمل والتديّن والأمانة ونزاهة السيرة والأخلاق. وقد نجد فيهم من لا يصلّي بتاتاً، أو لا يحسن أداء الصلاة، ونجد فيهم آلافاً بل ملايين ماتوا ولم يحجّوا رغم كونهم أصحاب الملايين، وهو ركن عظيم من أركان الإسلام لن ينكروا هم عظمته ولم يكن السبب في ذلك إلاّ أن أركان الإسلام لم تكن عندهم ألزم من النزهة والتفرج، فقد وصلوا إلى لندن وألمانيا ليشبعوا رغبتهم فيهما ولم يصلوا إلى مكة المكرمة ، ليؤدّوا فريضة الحجّ ، ويَقَرُّوْا عيناً بزيارة مسجد الرسول صلّى الله عليه وسلم ، والصلاة فيه والقيام أمام الحجرة الشريفة للصلاة والسلام عليه. فكيف يجوز أن نأمن أمثال هؤلاء فيما يتعلّق بالأحكام الشرعيّة والقوانين الإسلاميّة، ونثق بأنهم يضعون مخافةَ اللّه عزّ وجلّ في اعتبارهم لدى تدخّلهم في الأمور الشرعيّة، ولا يخضعون لأهوائهم.

نقرأ تراجم السلف، فنجد فيهم من يقوم بثلاثين رحلة إلى الأقطار المتباعدة لتحقيق مسألة واحدة، فشتان بينهم وبين أبناء العصر، وقد وُجِدَ في السلف من صلّوا آلافاً من الركعات عندما فاتتهم صلاةٌ نافلةٌ ، أمّا هؤلاء فلا مبالاة لديهم بأركان الإسلام. [يتبع]

موعظـــة

كان عمرو بن عبيـد من كبار الزهاد المشهورين المعروفين ، وقد دخل يوما على أبي جعفر المنصور وعنده ابنه المهدي فقال المنصور لعمرو :

" هذا ابن أمير المؤمنين وولي عهد المسلمين، ورجائي أن تدعو له" فقل: يا أمير المؤمنين أراك قد رضيت له أموراً يصير إليها وأنت عنه مشغول . فأستعر أبو جعفر ، ثم قال عمرو بن عبيد : يا أمير المؤمنين إن اللّه أعطاك الدنيا بأسرها، فأشتر نفسك منه ببعضها، هذا الذي أصبح في يديك لو بقي في يد من كان مثلك لم يصل إليك . فقال أبو جعفر : أعنّي بأصحابك – وكان لعمرو مئات من الأتباع الفضلاء – قال ارفع علم الحق يتبعك أصحابه ثم خرج فاتبعه أبو جعفر بصرة دراهم، فلم يقبلها عمرو منه فجعل أبو جعفر يقول :

كلكم يمشي رويد
كلكم طالب صيد
غير عمرو بن عبيد

☆ ☆ ☆

كتابتهم للعلوم من منطلق مادي إلحادي بناء على ذلك، وفي هذا تفسير لإنكارهم لعالم الغيب وما وراء الحس، تأثراً بأفكارهم المادية التي اعتنقوها لمعارضة الكنيسة ورجال الدين النصراني في أوربا (١٦).

٧- إن العلم يظل قاصراً لعدم اعترافه بعـ ـد من الحقائق والمعاني التي أهملها العلماء إهمالاً تام (غير المادة)

يقول "وايتهد" في محاولة للتقريب بين الفلسفة والعلم ، في كتابه "مقدمة في الفلسفة المادية": إن هذه الحقائق الأخرى أعطت للعالم صورته المعروفة وخلقت ما فيه من قيم ومثل ، وإن العلم بعدم اعترافه بهذه الحقائق يقف حجر عثرة في وجه المبادئ الإنسانية والقيم الأخلاقية والمبادئ الدينية (١٧).

ولعل هذه اللمحات السريعة حول هذا الموضوع تضع الأمور في نصابها في هذه القضية العلمية المنهجية ، وتمنع الفكر من الخطأ واللَّبْس، وتعقد الصلة بين العقل ومقررات الوحي الصادق، إذ لا تعارض ولا تضاد بينهما كما أنه لا تعارض بين الإسلام والمنهج العلمي الصحيح، ونذهب إلى أبعد من هذا فنقول إن الإسلام هو الذي هيأ المناخ المناسب لنشوء المنهج العلمي التجريبي، وبه كانت أمتنا تفاخر سائر الأمم، وهي قادرة اليوم على أن تعود إلى ما كانت عليه في سابق عهدها في قيادة العالم وريادته في شتى المجالات، إذا خلصت النية وبذلت الجهود التي تحقق ذلك كله . والحمد لله رب العالمين.

الهوامش :

(١) هذه النصوص منقولة عن كتاب الإسلام دين الفطرة للشيخ عبد العزيز جاويش ص ١٧٧-١٧٨

(٢) الله والكون ، للدكتور محمد جمال الدين الفندي ص ٥٥

(٣) انظر بحثاً للدكتور زغلول النجار عن إعادة كتابة العلوم من وجهة نظر إسلامية، قدمه لمؤتمر التضامن الاسلامي في مجالات العلم والتكنولوجيا ــ بالرياض عام ١٣٩٥هـ ، منشور بمجلة المجتمع الكويتية ، مقدمات المناهج ــ للأستاذ أنور الجندي ص ٢٩

(٤) الكيمياء العامة وغير العضويه ، تأليف ب ح ديرانت ، ترجمة د سامي طوبيا وآخرين ومراجعة د رشاد رزوق، ج ١ و ص ١ و ٢ ، منشور ضمن مجموعة الكتب التي يشرف على إعدادها المجلس الأعلى للعلوم بالقاهرة

(٥) المرجع نفسه ص ٢ و ٣

(٦) هذه النقاط الست الأولى عن الدكتور زغلول النجار، في بحثه السابق ، مع شيء من التصرف والزيادة في بعض النقاط والأمثلة التي أشير إلى مراجعها في مواطنها

(٧) للتعرف على قيمة التجربة ومدى الإعتماد عليها وحدودها؛ انظر: موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين ، الجزء الثاني ، للشيخ مصطفى صبري

(٨) قال الله تعالى "يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا. وهم عن الآخرة هم غافلون" (سورة الروم ، الاية ٧)

(٩) تجديد التفكير الديني في الإسلام ، تأليف محمد إقبال، ترجمة عباس محمود، ص ٤٠-٤١

(١٠) انظر بالتفصيل منهج البحث العلمي عند مفكري الإسلام واكتشاف المنهج العلمي في العالم الإسلامي، د علي سامي النشار، ص ٢٦١ و ما بعدها

(١١) جاء في البحث كلمة المحسوس، وهي اسم مفعول من "حس" بمعنى استأصل أو قتل، قال الله تعالى "إذ تحسونهم بإذنه" والأصح أن نأخذ اسم المفعول من "أحس" بمعنى أدركه بحواسه وعلمه، قال تعالى "فلما أحس عيسى منهم الكفر.." وجاء الاستعمال للكلمة على ما هو شائع فحسب وانظر ترتيب القاموس المحيط ٦٣٩/١ ، والمعجم الوسيط ١٧٢/١ .

(١٢) الكيمياء العامة وغير العضوية ، تأليف ديرانت ج ١ ص ٣ و ٤ .

(١٣) النص منقول عن كتاب مقدمات المناهج للأستاذ أنور الجندي ص٢٣

(١٤) مقدمات المناهج ص ٢٤

(١٥) سورة الإسراء ، الآية ٨٥

(١٦) انظر بالتفصيل . المستقبل لهذا الدين للأستاذ سيد قطب ص ٢٧-٥٤ ، ومذاهب فكرية معاصرة للأستاذ محمد قطب ص ٩ و ما بعدها

(١٧) نقلاً عن مقدمات المناهج ، للأستاذ أنور الجندي ٢١

☆ ☆ ☆

العلامة الشيخ " محمود حسن الديوبندي " المعروف بـ " شيخ الهند "

حياته ومآثره

بقلم : الشيخ السيد أصغر حسين ميان الديوبندي
أستاذ بالجامعة سابقاً المتوفى ١٣٦٤هـ
تعريب : الأستاذ عبد الرشيد القاسمي

العلماء يعودون أيتاما بوفاته

لقد مات بوفاته سيد مدينة "ديوبند" وعاد المصنع الإسلامي هذا — الجامعة الإسلامية دارالعلوم ديوبند — لامشرف عليه ، وتُوُفّي المأوى الآمن الذي كان يأوي إليه القائمون على أمور الجامعة، وأصبح أساتذتها وطلابها أيتامـا ، وولّى مجـد "ديـوبنـد" ومكانتها، وارتفع الظلّ الذي كان يغشاه رحمة من الله، وتعرض العالم الإسلامي بوفاته لخسارة فادحة في أوضاع معاتية للغاية. وبدأ الناس يخافون على "حركة صيانة الخلافة العثمانية" من أن يتسرب إليها خلل، وأن يفقد أعضاؤها الهمةَ. غير أننا نرجو نظرا إلى فضل من الله وكرم منه أنهم سوف يلوذون بأسوار الثبات بكل صبرو طمأنينة، ويقتفون آثار فضيلة شيخ الهند، ويسعون لاستعادة قواهم المفقودة. كما قال شاعـر :

فتى عيش في معروفه بعد موتـه
كما كان بعد النيل مجراه مرتعا

ولما تمّ تورية جثمان فضيلته في التراب غادر معظم الضيوف "ديوبند" إلى بيوتهم حتى الظهيرة، فإن فصل الربيع قد انقضى ، وذبلت الأزهار، وطارت العنادل، وتخربت الحديقة المخضرة، وكان ما قضاه الله وقدّره . فقضاء الله غالب، يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد .

الشيخ محمد علي جوهر رئيس حركة الخلافة يزور ديوبند ويعزي على وفاة فضيلته

ولما بلغ الشيخ "محمد علي جوهر" رئيس حركة صيانة الخلافة العثمانية وأحد أبرز القادة والزعماء في البلاد أن فضيلة شيخ الهند قد استأثرت به رحمة الله توجه من فوره إلى "ديوبند" وحضر الجمع الحاشد في الصلاة على فضيلته، ودفنه والدموع تسيل من عيونه. وتحدث إلى الناس عقيب صلاة الظهر في مسجد الجامعة القديم، وبسط الحديث عن ميزات شيخ الهند، وحياته الحافلة بالخدمات والمآثر الغرّ. وأثار قلقا في قلوب أساتذة الجامعة وطلابها والقائمين على شؤونها من جديد و أوصاهم بالتخلق بأخلاق فضيلته والاصطباغ بصبغته. كما عُقِدَتْ حفلة تأبين على وفاته مساء اليوم في رحابِ المتجر بالمدينة حضرها عدد كبير من الهندوس بجانب آلاف مؤلفة

من مسلمي المدينة، وألقى الشيخ "محمد علي جوهر" كلمة في الحفلة، وغادر "ديوبند" قبيل المغرب.

كان فضيلة شيخ الهند يحبّ الشيخ "جوهر" بالغا. وكان يعتقده مساعدا في تحقيق ما يصبو إليه. ولأجل ذلك فكان يمد يديه يصافحه إبان وطأة المرء الشديدة أيضاً بكل معاني الحب والتقدير.

البلاد كلها تنقطع إلى تلاوة القرآن وذكر الله وتتضرع إلى الله وتدعوه أن يُعلي درجة شيخ الهند في جنات النعيم

وكان كل أحد من المسلمين يشتغل حسب مستطاعه منذ أن توفي فضيلته إلى أن تمّ دفنه بإيصال المثوبة لروحه، فإن المصيبة التي ألمت بالمسلمين، وعنايتهم باتخاذ الاستعدادات لدفن فضيلته لم تمهلهم أن يتجمعوا في مكان لهذا الغرض. وفي اليوم التالي الذي كان يوم الخميس تجمع طلاب الجامعة وأساتذتها وعلماء آخرون في رحابها، وقاموا بكل رغبة وإخلاص نية بترديد الكلمة الطيبة "لا إله إلاّ الله" أربع مائة ألف مرة إلا الربع كما ختموا القرآن الكريم خمسا وعشرين مرةً. وأما الذين أتوا بترديد الكلمة وتلاوة القرآن منفردين يفوق عددهم كل عدّ و إحصاء. كما تجمعوا في يومي الجمعة والسبت في رحاب الجامعة لنفس الغرض، ودأب كثير من المسلمين في أماكن شتى في الإتيان بأعمال صالحة وصلوات نافلة لإهداء أجرها إلى شيخ الهند.

واجتمع العامة من مسلمي المدينة وأساتذة الجامعة وطلابها والقائمون على شؤونها في المسجد الجامع بالمدينة إثر صلاة الفجر، واستمر معظم منهم يتلو القرآن بينما انقطع أناس إلى التهليل، وبذلك فقد ختموا القرآن عشرين مرة، إضافة إلى أن هناك رجالاً كثيرين ختموا القرآن فرادي في بيوتهم، وأما الذين اشتغلوا بالتهليل والتسبيح والتحميد فيستحيل عدّهم. وانتهت حفلة إهداء الثواب هذا بكلمة وجيزة ألقاها سماحة الشيخ "حبيب الرحمن العثماني" رئيس الجامعة آنذاك وبدعاء منه.

وما زال أساتذة الجامعة وطلابها يهدون الأجر إلى روح شيخ الهند فرادى وجماعات ولا يزالون في هذه الأيام وسوف لا يزالون طول حياتهم إن شاء الله.

وليست "ديوبند" وحدها التي اهتمت بإهداء الأجر لفضيلة شيخ الهند، بل وإن كلّ قرية ومدينة يعيشها المسلمون ولو في عدد ضئيل جدًّا أقيمت بها حفلات عزاء، وأهدى أهلها المسلمون الأجر لروح فضيلته من خلال تلاوة القرآن والصلوات النافلة والصدقات. ويعرف من يطالع الصحف أن حفلات تأبين على وفاة فضيلته أقيمت في أماكن خاملة الذكر لم يسمع أحد أسماءها من ذي قبل، وتجمع المسلمون بها إهداء للأجر إلى فضيلته. وقد سبق أن عاشت الهند وفاة ألوف من أولياء الله والعلماء الربانيين والمحدثين الذين اهتزت الدنيا بحادث وفاتهم ولكن ليس أحد منهم انقطع المسلمون إلى إهداء الأجر له مثلما أهدوا لفضيلته. وذلك كما قيل :

عمّت فضائله فعمّ مصابه … فالناس فيه كلهم مأجور

وليس من المغالاة في شيء أن فضيلته أُهْدِيَ له أجر تلاوة آلاف ختمة للقرآن ومئات ختمة للكلمة الطيبة. ومما لا شك فيه أن لجان حركة الخلافة المنتشرة في أرجاء الهند كانت من وراء ذلك كله لحد كبير، غير أن الحافز الأصلي والباعث الحقيقي إلى ذلك إنما هي محبوبية وشعبية منقطعة النظير أكرم الله سماحته بها. وقد صدق الرحمن حيث قال: إنّ الَّذِيْنَ آمَنُوْا وَعَمِلُوْا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُم الرَّحْمنُ وُدًّا.

(سورة مريم / ٩٦)

وليست في الهند كلها مدينة مهما كانت كبيرة أو صغيرة إلا وقد نظّم أبناؤها المسلمون حفلاتٍ إعرابا عن ألمهم وأسفهم على حادث وفاة فضيلته كما بقيت قلوب العامة منهم كئيبة حزينة إلى مدة طويلة. وقال شاعر:

مضى شيخ هند ولم يبق مشرق
ولا مغـرب إلاّ له فيـه مـادحٌ

خطابات العزاء تتساقط على أسرة فضيلته والقائمين على الجامعة

وتلقى أسرة فضيلة شيخ الهند و بجانبهم القائمون على أمور الجامعة آلاف برقية وخطاب عزاء. وُنشرت الصحف مقالات ضافية حينا و زوايا وجيزة حينا آخر تناولت من خلالها حادث وفاته وخدماته الجليلة التي أسداها في كافة مجالات الدين والدعوة والإرشاد، وتضحياته الخالدة التي قدمها في سبيل تحرير البلاد من أيدي الإنجليز الغلابة، هذا واستمرت الصحف تنشر مدة من الزمان جملا وفقرات تنبئ عن تأريخ وفاته. ومن فضل الله على فضيلته أن العلماء الذين يديرون دفة أعمال المدارس الدينية الأهلية في البلاد والذين يقوم بخدمات التدريس فيها قد تلمذ معظم منهم عليه وتخرج على يديه أو على من قرأ عليه، فتعطلت هذه المدارس لأيام، وكانت الجامعة الإسلامية دارالعلوم ديوبند قد سادتها كآبة جعلت الأساتذة لا يرغبون في تدريس الكتب و دفعت التلاميذ لا يحرصون على تلقي الدروس. وكان معظمهم إما يأتي بأعمال صالحة ويهدي أجرها لفضيلته ، وإما يتجمعون في مكان ويذكرون فضيلته وعلومه معارفه وورعه وتقواه وخدماته. وما كانوا يقومون به من عمل فعلى كره منهم وعلى وحي من حاجة أكيدة مستهم.

وصل فضيلته إلى "روح وريحان" وانضمّ إلى جماعة المقربين من عباد الله. غير أنه كما قال رجل صالح موثوق به : إن فضيلته تركنا نبكي عجزنا وضعفنا ونتأسف عليه، فوا أسفا! إن الهادي الصادق المخلص الذي بذل كل عنايته في إرشادنا إلى الصراط القويم، والذي لم يأل جهدا في إنقاذنا عن أضرار تلحق بنا في ديننا و دنيانا، وأعاننا بدعائه المستجاب في كل مصيبة ألمت بنا، ليس هناك أحد نرجع إليه اليوم بعد أن ودّعنا الله ونرجوه تحقيق حاجياتنا وإبعادنا عن أضرار تصيبنا.

☆ ☆ ☆

☆ ☆

صديق صباي

[الحلقة ٤]

بقلم : الشيخ / محمد يعقوب النانوتوي رحمه الله
المتوفى ١٣٠٢هـ - ١٨٨٤م
تعريب: الأستاذ محمد عارف جميل القاسمي المباركفوري

هذه ترجمة عربيّة لما كتب الشيخ محمد يعقوب النانوتوي عن صديق صباه، وزميل دراسته، ومجاوره في الوطن، ومشاركه في السكن في دهلي أيام التحصيل، ومعايشه في الآمال والأحلام: الإمام محمد قاسم النانوتوي رحمه الله تعالى مؤسس جامعة ديوبند، وتُعَدّ هذه الترجمة اليعقوبيّة للإمام حقًّا أصلاً أصيلاً للتراجم التي كُتِبَتْ فيما بعد. ولذلك صحّ عزمنا على نقلها إلى العربيّة منذ زمان، فوكلنا بذلك إلى الأخ الفاضل الأستاذ محمد عارف جميل القاسمي المباركفوري وهو أحد الخريجين المُؤَهّلِيْنَ من جامعة ديوبند، أُتيْح له أن يتعلّم في الجامعة الإسلاميّة بالمدينة المنورة بجدّ واجتهاد مما أكسبه قدرة موثوقاً بها على الترجمة من العربية وإليها بأسلوب دقيق أمين.

فإلى القراء هذه الترجمة العربيّة تعميماً للفائدة، وتعريفاً بهذا العالم الربّاني العبقريّ الذكيّ الذي شيّد منارة العلم والثقافة الإسلامية في هذه الديار [التحرير]

تاسيس مدرسة ديوبند :

وتقلبت في تلك الآونة مُوَظَّفاً في مجال التعليم والتربية في كل من "بريلي" و "ميروت" ، وانتهى بي المطاف إلى هذه المطبعة فتوظفت فيها، ووجدت جماعة من الطلبة يسمعون عنه الصحيح للإمام مسلم – رحمه الله– فكنت أشاركهم في هذه الدروس. وتمّ تأسيس مدرسة "ديوبند" في تلك الأيام. فقد اقترح كل من الشيخ / فضل الرحمن (١) والشيخ / ذوالفقار (٢) والحاج محمد عابد (٣) إنشاء مدرسة دينية في "ديوبند" كما وافقوا على قرار يحدّد قيمة الراتب الشهري للمدرس بخمس عشرة روبية هندية. وأخذوا يجمعون التبرعات ويتلقونها، فلم يمض أيام حتى انهالت التبرعات على هذه المدرسة، وتوسعت هيئة تدريسها، واتُّخِذَ لها من يعلّم الفارسية، ويحفّظ القرآن الكريم وادُّخِرَتِ الكتب وتكوّنت مكتبة عامرة.

ونُدِبَ "حضرة المولوي" إلى المدرسة ثم أسندت إليه أمورها جليلها ودقيقها وأشرف عليها. والتعرض لما مرّ بالمدرسة من أوضاع وأحوال حرجة شيء لايجدي كثيراً، ونُحبِّذ الإعراض عنها؛ إذ يتبين ذلك – بكل وضوح – من خلال التقارير الدورية .

ثم بَدَا "لحضرة المولوي" أن يحج إلى بيت الله

فاستصحب رفقة وحج وعاد، كما سافر المنشي ممتاز علي إلى الحجاز، ينوي الإقامة به واستيطانه غير أنه عاد منه بعد عام، ثم توجّه "حضرة المولوي" إلى "دهلي" حيث أنشأ بها المنشي ممتاز علي مطبعةً له. وسبق أن اشتغل "حضرة المولوي" في المطبعة التي أنشأها المولوي / محمد هاشم في "ميروت" في المدة التي غاب فيها المنشي / ممتاز علي عن البلاد.

تدريسه زمن الإقامة بـ"ميروت" المتضمن لبيان النكات والنوادر

وأكثر "حضرة المولوي" – حينئذ – من تعليم الطلاب ، ولم يَدَع كتاباً من الكتب المتداولة إلا قام بتدريسه، هادئ البال مطمئن النفس، متمكناً من تدريسه الذي كان يتضمن مواد غزيرة مالا أذن سمعت، ولا قلب أدركه، ويأتي بما ندَرَ وعزّ من دراسات وتحقيقات عليمة تُوَفِّقُ بين وجوه الاختلاف، وبمباحث تلمس جذور الموضوع وتشرحه شرحاً وافياً.

ولا يزال ثمرة تدريسه ظاهرة ملموسة. ولاشك أن الذرّة دون الشمس بمراحل إلا أنه يعكس ذلك الجمال والفضل، ويتجلى فيه ما يوجب عزمه وتصميمه، فمن شاء فلينظر، ولْيَستمع إلى ما يكتب ويخطب.

سَجّل "حضرة المولوي" – خلال هذه الأيام– أشياء منها ما هو ردّ على سؤالٌ وجُه إليه، وما هو تحقيق لطلب صديق له، وما هو دون هذا و ذاك. وهذه المواد كثيرة جدًّا إلاّ أن تشردها جعل جمعه وتأليفه من الصعوبة بمكان. و أكثر ما رغب في إفادة الناس، في تلك الأيام.

والأخذ عن "حضرة المولوي" من الصعوبة بمكان، ولا يتمكن منه إلا ذو موهبة وذكاء مفرط، لديه دراسة واعية مسبقة للكتاب الذي يريد قراءته عليه، وحينئذ يتأتى له فهم ما يلقيه عليه "حضرة المولوي" ، رغم أنه كان يجعل السهل أكثر سهولة، وأقرب منالاً ، ويمهد له تمهيداً، غير أن الكلام الصعب، عسير المنال، غير مطاوع.

واشتهر في تلك الأيام ما كان يلقيه الأساقفة من خطابات مسمومة تحاول النيل من الإسلام، ويقوم بالرد عليها بعض المسلمين القاصرين دراسة وعلماً ما وسعهم ذلك، أما أهل العلم الراسخين الذين هم أحق بالرد عليها و أولى بالقيام بدحض أباطيلها وأسمارها فكانوا يَنْأون بجانبهم عن ذلك. حتى أهاب "حضرة المولوي" بأصحابه وتلاميذه إلى القيام في الأسواق، وكشف شبهاتهم وبيان عوارها، و التكاتف مع أولئك القائمين ضد النصارى، وشدّ أزرهم، وأخيراً توصّلوا إلى عقد اجتماع يتناظرون ويتباحثون فيه، واتخذ له موعد لا يخلفه أحد.

نكايته في أحد الأساقفة : ثارا تشند :

حضر "حضرة المولوي" هذه المباحثات متنكراً في زيّ غير طائل ولم يتخذ أناقة. وناظر أحد الأساقفة: "ثارا تشند" طويلاً حتى أفحمه فَلاَذَ بالفرار.

ولقي – تلك الأيام – الشخ / منصور علي الدهلوي (٤) الذي عُرِفَ بنشاطاته الملموسة في مناظرة النصاري ومباحثتهم، وامتاز به بين الناس.

وكاد يحفظ "الكتاب المقدس" - وله نَفَس في سير المناظرات معهم، وأصبح تلاميذه - دون غيرهم - يقومون ضد النصاري و أساقفتها. يصدعون بالحق ويناظرونهم في "دهلي" .

عقد احتفال للتعرف على الله :

ومن المصادفات أن بعض الإقطاعيّين في "تشاند فور" بمديرية "شاه جهان فور" (بولاية أترا براديش اليوم) المدعو / "بياري لال" - وهو هندوكي يتبنى آراء أحد المصلحين الهنادك : "كبير" (٥) مالت نفسه إلى النصرانية، ورغب في اعتناقها - حاول عقد اجتماع يشهده كل من ممثلي الديانات الثلاث: الهندوسية و النصرانية والإسلام، فيتمّ خلاله مباحثات ومناظرات دينية. وسمي هذا الاجتماع: "الاحتفال الرامي إلى التعرف على الله تعالى". وذلك عام ١٢٩٣هـ.

أرسل أهل مدينة "بريلي" ومن حولها إلى "حضرة المولوي محمد قاسم النانوتوي" من يبلّغه هذا الاحتفال. ويطلب منه الحضور والمشاركة فيه. فأعدّ عدّته, شدّ رحاله إليها، وسبق أن استدعى الشيخ / منصور علي من "دهلي" إليه، و صحب "حضرة المولوي" أناس من هنا، فساروا حتى بلغوا "شاه جهان فور"، فدخلوا القرية التي اتُّخِذَتْ موقعاً لهذا الاحتفال، ومسرحاً لهذه المناظرات.

وأول ما نشب الاختلاف في تحديد الموضوع الذي يدرسه الاجتماع، بالاضافة إلى اختلاف في الموعد المحدد الذي يلتزمه كل من المشاركين. وأخيراً توصلوا إلى الموافقة على إجراء المباحثات، والبدء فيها دون أن يحددوا الموضوع. وأسلموا ذلك إلى الممثلين، ليتعرض كل منهم لما يعتقده ويبتنّاه هو إذا ما جاء الدور عليه.

مباحثة دينية :

وفي هذا الوقت المحدد ألقى "حضرة المولوي" خطابا بليغا يردّ على التثليث و الشرك، ويؤكد على التوحيد، فذلّ له أعناق من أحبه ومن أبغضه، وآمنوا بما قال، ورضوا به. وقد تمّ نشر وطباعة التقرير عن الاجتماع، وهو في متناول الأيدي، فلينظر من شاء. وتضمن هذا التقرير ما ألقاه "حضرة المولوي" من خطبة بليغة.

ولجأ الأسافقة إلى التعرض لقضية القدر كما هو دأبهم؛ إذ لا يرون أنفسهم في مأزق يصعب الخروج منه إلاّ لاذوابه، وانصرفوا إليه. فشرح "حضرة المولوي" هذه القضية البالغة من الصعوبة بمكان، شرحاً قرّبها إلى أذهان الخاصة والعامة. وانشرحت بها صدورهم.

وفي السنة التالية ١٢٩٤هـ بلغ "حضرة المولوي" انعقاد الاحتفال فشهده، كما حضره كاهن هندوكي شهير "ديا نند سرسُتي" ، و"ديا نند" هذا، شرع دينا جديداً يؤمن بالتوحيد، وينكر عبادة الأصنام، ويلقي عليها باللائمة خلافاً لمايعتقده ويتبنّاه عامة الهنادك، غير أن إيمانه با لـ "ويد" وتبنّيه التناسخ وغيره من المعتقدات الهندوكية جعله يشارك الهنادك في معظم القضايا. وكان يكثر من استخدام الكلمات

السنسكريتيه في خطابه. فصعب على غير أهلها فهم خطابه، غير أن الشيخ / محمد علي (٦) الشهير بالكفاح ضد الهندوسيّة والردّ عليها، قام بمجاوبته، ودحض أباطيله ثم تعرض "حضرة المولوي" في خطابه لقضية الوجود والتوحيد، وشرحها شرحاً وافياً ألقم الحضور حجرًا، وحملهم على الإصغاء إليها، والاستماع لها.

نكاتيه في الأساقفة :

واستفاض "حضرة المولوي" في إثبات التحريف لدى النصارى. فاعترف الأساقفة بتسرب التحريف والتبديل إلى كتابهم المقدس لديهم، ولاذوا بالفرار حين حمي وطيس المناظرة، وتشردوا أيادي سَبا، وأعجلهم الفرار عن بعض مصادرهم ومراجعهم التي قدموا بها. وخرج "حضرة المولوي" من هذه المناظرة مرفوع الرأس، وتمّ على يديه الانتصار للدين الإسلامي الذي كتب الله تعالى البقاء والانتصار، حتى تقوم الساعة، ولو كره الكافرون.

وهذان الاحتفالان في عامين متتاليين مِمّا كشف للناس مكانته العلمية ومقدرته وموهبته، وأدركوا كيف يأتي نصر الله تعالى وعونه وفضله، وتجسد لهم ماقيل: إنه ما يرجع إلا إلى تائيد من الله ونصرته حتى انطلقف ألسنة الأساقفة بالاعتراف بأن هذه الكلمات بما تحمل في طياتها من بلاغة ومفعول كبير كفيلة بحمل المرءِ على الإيمان بالقدر إن كان الإيمان به حقًّا.

هذا، والإيمان بالقدر لا يهتدي إليه ولا يُوَفَّقُ له إلا من كتب الله تعالى له ذلك. وطريقة الحق نقية بيضاء لا يزيغ عنها إلا هالك.

والتقرير عن هذا الاجتماع لم يتم – بعدُ – نشره وطبعه، وإن كان قد دوّن وجمع في ذلك المكان.(٧) والآن بعد ما بلغ به المرض نهايتة، وحان أجله تمّ الشروع في طبع هذا التقرير، والمأمول أن يرى النور حتى يشتهر، ويعمّ نفعه.

وبلغني – يومئذ – أنه في حاجة إلى تقدمة كلمات عليه. فقام "حضرة المولوي" بتوفية هذه الحاجة وقضانها، وسماه : "حجة الإسلام"، وتمّ إصداره.

رحلته برفقة الشيخ/ رشيد أحمد
- وأنا معهما - إلى الحجاز

عقد الشيخ / رشيد أحمد عزمه على الحجّ لبيت الله ذلك العام، فأعددت نفسي له، ولم ندَع "حضرة المولوي" حتى استصحبناه عندما سِرنا إلى مكة، ورافقه غير قُليل من أصحابه ومعتقديه.

خرجنا في شوال عام ١٢٩٤هـ، وقفلنا إلى الوطن في الأيام الأولى من شهر ربيع الأول، ورفقتنا هذه لم تضمّ إلا علماء يتراوح عددهم مابين ثمانية عشر وعشرين حاجاً بما فيهم "حضرة المولوي"، فكانت خير رفقة.

إصابته بمرض في طريق العودة :

سعدنا بزيارة الشيخ – أي الشيخ إمداد الله المهاجر المكي – والأمكنة المقدسة، وقفلنا منها، ودخلنا "جدة" إذ أدرك "حضرة المولوي" الحمّى. فقلنا في أنفسنا: إنها ترجع إلى مفارقة هذا الشيخ الجليل، والمشي المتواصل. أضف إلى ذلك أنه لم يكن

يعاني من مرض قبل الحج. فما أن بلغنا "جدة" حتى ركبنا سفينة كادت تقلع مراسيها لِتُبحر، بينما السفن الأخرى أخرت إقلاعها لمدة عشرة أيام أو أسبوعين. فقلنا : سننزل على شاطئ "بومبائي" بعد أسبوعين فهلاّ نتحمل شيئًا من المتاعب التي يُسبِّبُها ضيق المكان في السفينة. فركبناها، وفعلاً عانينا فيها من متاعب ما يعدل تلك الراحة والطمأنينة التي لقيناها عندما أبحرنا إلى مكة.

فما مضى يومان على متن السفينة حتى ألم بـ"حضرة المولوي" نوبة عادية من الصفراء، ونزل به الحمى في مكان بعيد عن الراحة والدواء، وحيث لا ينفع حيلة أريب. وأخذت وطأة المرض تشتدّ عليه حتى بلغ به حالة دبّ فيها اليأس إلى قلوبنا. وعمّ الوباءُ السفينة، وانتشر انتشاراً مروعاً، يلتقم – كل يوم – نفساً أو نفسين. ثم دخلت السفينة "عدن" ففرض عليها "كرنتينا" أي ملازمة المحجر الصحّي (Guarantine) وحجر عليها صحيًا لأجل الوباء الذي أصدق بأهلها، مما منع من في السفينة من النزول إلى البلد، ومَن بالبلد من الصعود إلى متن السفينة، ثم رَسَت في "مكله" قليلاً، تمكن الركاب من شراء الليمون من الباعة الصاعدة إلى السفينة. كما اشترينا البطيخ والورد، وشيئا من الأدوية في السفينة. ووصف له الطبيب بالكينين (Quinine) ، وأمر له بمرق الديك. وأنّى لنا الديك في مكان مثله. فأحضره هو .

وكان من ديدن "حضرة المولوي" أن ترغب نفسهُ عن تناول الغذاء خلال نوبات المرض أيّ رغبة. فبلغ "بومبائي" منهوك القوى، لايستطيع الجلوس إلا بشق النفس، ولبثنا بها يومين أو ثلاثة، ثم غادرناها إلى الوطن، فاستقبَلَنا سموم ولوافح هبّت في سهول مدينة "جبل فور"، رغم أن الفصل، شتاء، فساءت حاله، وكنا نحمل معنا – والحمد لله على ذلك – الليمون والبرتقال، فأطعمناه وسقيناه ماءً.

بلوغه الوطن ونقاهته

بلغ الوطن فزال المرض، ونَقِه، وتوقف السعال، وربما يعاوده نوبات نفَسية، وصعب عليه الاستطراد في الحديث، ثم خفّ عليه ذلك قليلاً.

اشتهار أمر "ديا نند"

وفي شهر شعبان من نفس العام أتاه من "رركي" آتٍ، يخبره بتواجد " ديا نند" في المدينة، وما ينفثه من سموم وطعون في الإسلام، وحمل أهلُها "حضرة المولوي" على أن يقوم بزيارة المدينة، ومقاومة "ديا نند" الجموح، فشدّ رحاله رغم ما كان يعانيه من مرض وضعف، وصحبه جماعة من أصحابه والمعجبين به. ونَسلَ خلائق لا تحصى من كل صوب وحدب، إلى المدينة طامعة في الاستماع لكلامه، وطامحة إليه.

"ديا نند" يلوذ بالفرار بمجرد سماعه قدومه

غير أن هذا الرجل المسكين لم يرض بالحديث معه، وأخذ يتعلل بشروط لاغية واهية دلت على سوء نيته، وخبث إرادته، والعاقل تكفيه الإشارة. وأخيراً خرج منها خائفا يترقب. وألقى "حضرة

المولوي" هناك خطبة، وأطال نَفَسه في دحض أباطيله وأسماره، ورد طعونه، ثم عاد إلى "ديوبند"، وقضى شهر رمضان في وطنه. وأخذ يدون ما ألقاه في "رركي" ردّاً على طعونه في الإسلام وأكبر مطاعنه في الإسلام تمثل في الاستقبال والتوجه إلى الكعبة في الصلاة؛ إذ اعتبره من عبادة الإصنام. وسمى "حضرة المولوي" هذه الرسالة "قبله نما" (أي الهادي إلى القبلة)، وهي رسالة ضخمة .

وطوّف "ديا نند" في أماكن كثيرة، وانتهي به المطاف إلى "ميروت" يوجّه إلى الإسلام المطاعن التي سبق أن وجهها في مدينة "رركي"، ومن قبل، وأُخلِقْ بفاقد الحياء أن يفعل ما شاء له الهوى. وذلك في وقت كان في نفس "حضرة المولوي" أن يقوم بزيارة لـ "ميروت"؛ إذ قام بعض أهلها يرغّب الناس في ندب "حضرة المولوي" إليها ، فاستعدّ له، رغم ما كان به من علة، وضعف أنهك قواه، وتجلّد على السير إليها، ودخل المدينة، فإذا بالكاهن الهندوكي هذا يختلق معاذير و يدبّر الحيلة. فراراً من مناظرته.

الهوامش:

(١) الشيخ/ فضل الرحمن الديوبندي (١٢٥٠-١٣٢٥هـ =١٨٣٤- ١٩٠٧م) عالم وشاعر مفوه في اللغتين الفارسية والأردية، انتسب إلى جامعة ديوبند كعضو فعال، أمين. يقظ، وأبلى في خدمتها بلاء حسنا، تقلب في محافظات عديدة كمفتش - بالنيابة - للتعليم. و خلّف وراءه فحول العلم من أبنائه، فبيته بيت علم وصلاح. رفيع العماد،عالي الذراع، له أناشيد وقصائد ومراثي رائعة تنمّ عن مذاقه الشعري. (تاريخ دارالعلوم، ومشاهير علماء ديوبند)

(٢) الشيخ / ذوالفقار علي بن محمود حسن الديوبندي (١٢٤٧-١٣٢٢هـ = ٠٠٠٠-١٩٠٤م) أديب اللغة العربية، تخرج على كبار علماء عصره، تولى منصب وكيل مفتش التعليم عام ١٨٥٧م، واشتهر بتضلعه من اللغة العربية و آدابها وتمكنه منها، يعدّ من السابقين الأولين في تاسيس جامعة ديوبند وله : التعليقات على المعلقات؛ وشرح المعلقات السبع؛ وشرح ديوان المتنبي، والإرشاد في شرح قصيدة بانت سعاد، وعطر الوردة في شرح قصيدة البردة - كلها مطبوعة - وغيرها. توفي عن خمسة و ثمانين عاماً، ودفن بجوار الإمام النانوتوي بـ"ديوبند" (تأريخ دارالعلوم ؛ و مشاهير علماء ديوبند، و "كاروان رفته" للشيخ أسير الأدروي ص ١٤٥)

(٣) الحاج محمد عابد حسين (١٢٥٠- ١٣٣١هـ = ١٨٣٤-١٩١٢٣م) عالم جليل، خير، ولد في ديوبند، وتلقى العلوم الدينية بها، ومال إلى التصوف والسلوك ساهم - كثيراً - في بناء دارالعلوم ديوبند، وتولى إدارتها ثلاث مرات. عكف على الأذكار والأوراد، وانتفع به خلق كثير. ولازم مسجد "جهته" ستين عاماً وهذا المسجد بدأت به جامعة ديوبند كمدرسة إسلامية وافته المنية عن واحد وثمانين عاماً (تذكرة العابدين؛ ومشاهير علماء ديوبند؛ والأدروي ص ١٤٥)

(٤) الشيخ / منصور على الدهلوي (٠٠٠٠-١٣٣٧هـ = ٠٠٠٠-١٩١٨م) أخذ عن الشيخ/ أحمد علي المحدث السهارنفوري. والإمام النانوتوي. شغل منصب رئيس هيئة التدريس بالجامعة القاسمية بـ "مراد آباد". ثم انتقل إلى "حيدر آباد" حيث درّس في الجامعة الطبية بها. وقضى بها حينا من الدهر، فهاجر إلى مكة المكرمة. وناظر النصارى و أساقفتها، وألّف كتباً ترد عليها. وتوفي بمكة. (الأدروي ص ٢٤٧).

(٥) كبير داس (وجد مابين ١٤٥٨- ١٥٢٦م) ينتمي إلى بيت يتكسب بالحياكة، هندوسي تبنى التوحيد وبشّر به، وشرع دينا جديداً يدعو إلى الوحدانية، قوبل بالاحترام في الأوساط الهندوسية والمسلمة في الهند، كل يراه نازعاً إلى دينها ومعتقداتها، شاعر قدير، خدمت أشعاره دينه الذي شرعه وارتضاه. (راجع فرهنك آصفية ١٥٤٩/٢)

(٦) لم أعثر على من ترجم له.

(٧) وقد مضى زمان على طباعة هذا التقرير.

☆ ☆ ☆

صديق صباي

بقلم الشيخ / محمد يعقوب النانوتوي رحمه الله
المتوفى ١٣٠٢هـ - ١٨٨٤م
تعريب الأستاذ محمد عارف جميل القاسمي المبارك فوري

هذه ترجمة عربيّة لما كتب الشيخ محمد يعقوب النانوتوي عن صديق صباه، وزميل دراسته، ومجاوره في الوطن، ومشاركه في السكن في دهلي أيّام التحصيل، ومعايشه في الآمال والأحلام: الإمام محمد قاسم النانوتوي رحمه الله تعالى مؤسس جامعة ديوبند، وتعدّ هذه الترجمة اليعقوبيّة للإمام حقًّا أصلاً أصيلاً للتراجم التي كُتبتْ فيما بعد. ولذلك صحّ عزمنا على نقلها إلى العربيّة منذ زمان، فوكلنا بذلك إلى الأخ الفاضل الأستاذ محمد عارف جميل القاسمي المباركفوري وهو أحد الخريجين المؤهَّلِين من جامعة ديوبند، أُتيح له أن يتعلّم في الجامعة الإسلاميّة بالمدينة المنورة بجدّ واجتهاد ممّا أكسبه قدرة موثوقاً بها على الترجمة من العربية وإليها بأسلوب دقيق أمين.

فإلى القراء هذه الترجمة العربيّة تعميماً للفائدة، وتعريفاً بهذا العالم الربّاني العبقريّ الذكيّ الذي شيّد منارة العلم والثقافة الإسلامية في هذه الديار / التحرير /

اللهم ! لقد تجلت قدرتك فيما تطلعه علينا وتخفيه عنا من شموس برزت من خدرها لتبهر الأنظار ثم تأفل. اللهم ! لك الثناء ولك الصفات العلى ولك الحمد ولك الفضل والكمال، تعاليت عن كل عيب، وبرئت عن كل شين وبيدك كل شيء من بر وبحر ما السماء الإعباباً وما الأرض الإقبضة بيدك. أنت الأكبر المتعالي. فأنّى لي الثناء عليك. وقد قال فخر الأولين والآخرين وسيد المرسلين المبعوث رحمة للعالمين سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم: "لا أحصي ثناءً عليك. أنت كما أثنيت على نفسك". (١) وأصلي وأسلم – صلاة وسلاماً يعد بمئآت الآلاف أو مالا أعده وأحصيه – على روحه الطاهرة وعلى آله وأصحابه أجمعين، وعلى جميع الأرواح الطيبة الطاهرة والعلماء والزهاد والأتقياء والعباد. أما بعد !

فيقول العبد الضعيف / محمد يعقوب النانوتوي (٢) بن مقدام العلماء المولوي / مملوك العلي النانوتوي لأصحابه: إنكم سألتموني أن أسجل ماخزنته الذاكرة من ذكريات تخص حياة وأعمال حضرة المولوي / محمد قاسم النانوتوي رحمه الله رحمة واسعة، وهو أمر جدير بالعناية لتبقى تذكرة وذكرىٰ لنا ولمن بعدنا. فاستجابةً لطلبكم – رغم قلة فراغي – أسجّل ما تساعده الذاكرة وأجمله إجمالاً. فأقول :

"وحضرة المولوى" أسنّ منى بشهور، فهو من مواليد شهر شعبان أو رمضان (٣) عام ١٢٤٨هـ واسمه المركب حسب أرقام الأبجدية: "خورشيد حسين". ويربطني به – علاوة على القرابة النسبية – أمور عدة فقد شاركته في الكُتّاب، وفي الوطن وفي السلف، والمعلم، ووقت الدراسة – كما قرأت بعض الكتب

المفكر أو الأديب ليس آلة تسجيل

بقلم : معالي الشيخ عبد العزيز بن عبد الله السالم
الرياض - المملكة العربية السعودية

وسائل التعبير عن غايات الإنسان كثيرة وترجمة مشاعره الوجدانية تتوقف على نوعية الأسلوب الذي يتحدث به المتحدث أو يكتب عبره الكتاب، والأدوات التي يعبر بها الفرد عن ذاته أو عن معاناته متعددة لكنّ المهم منها الكيفية التي من خلالها يستطيع إبلاغ المستمع أو القارئ ما يريد المتحدث أو الكاتب ايصاله إليه وانعكاسه على أحاسيسه.. وليس كلّ كلام له معنى مفيد يُعَدّ بليغاً ومؤثراً، فنحن جميعاً نعبّر عن مطالبنا وحاجاتنا بكلام له معنى مفيد لكنه لا يرقى إلى مرتبة الكلام الأدبي البليغ الذي يخاطب وجدان السامع أو القارئ ويتصل بخواجه النفسية، فهذا النوع من الكلام هو الذي بالامكان أن يُطلق عليه صفة الأدب، ويتميز لفظ عن آخر بقدر ما يحمل من سمات الجمال وروعة الأسلوب، ولابد في هذا المجال أن تؤدي الكلمة رسالتها وتحقق غايتها وذلك حين تبلغ شفافيتها وتحلّق في أجواء البيان بقيمتها الفنية وأسلوبها الماتع. على أن الكلمة تفقد إمتاعها وأهميتها ويتلاشى وقعها النفسي حين تصدر مجردة عن روح قائلها أو كاتبها ، وذلك مرهون بموقف قائل الكلمة ومكانته وتمكّنه من التعبير المناسب عن الهدف المقصود بالأسلوب المناسب وحسن الأداء بحيث تترك وراءها أصداء واسعة وتبعث في نفوس متلقيها التأثر بها: كل فرد بحسب مكانته القيادية أو العلمية أو الفكرية أو الثقافية أو الفنية، وعلى أي لون من ألوان حركة الحياة يسعى لأن يكون له حضور جماهيري وتأثير في المتلقين عنه. سواء كان هذا التلقي عن طريق خطاب سياسي يقوم بالقائه ملك أو رئيس دولة أو زعيم مرموق، أوعالم يفيض من علمه ما يأمل انتشاره وهداية الناس من خلال استيعابهم لما يقوله أو ينشره، وكذلك يطمح المفكر والمثقف والأديب بصفة عامة والفنّان على نحو من الأنحاء أو أي من هؤلاء حيث يحاول أن يستولي بكلامه أو نطقه أو كتابته أو فنه على أكبر مساحة جماهيرية: تتلقى عنه عبر أي جهاز إعلامي سواء كان ذلك بالمشاهدة في قنوات الارسال أو بالسماع في الاذاعات أو بالقراءة لما ينشر بالصحف والمجلات، أو من خلال المحاضرات والندوات أو ما تقذف به المطابع من مؤلفات كثيرة واسعة الانتشار متعدّدة الأهداف متنوعة الموضوعات.

☆ ☆ ☆

وكل وسيلة من هذه الوسائل لها صدى يتسع لامتداداتها ولها رسالة تُؤدَّى في نطاقها. لكن الذي

يختلف تأثيره وامتداده حيالها هو مدى صوت المتحدث أو أسلوب الكاتب وأثره الذي يتركه لدى الجماهير فتُعجب به أو تَعجب منه، وعلى قدر الصدق والاخلاص في الكلام الصادر عن الفرد يكون الصدى الواسع أو المحدود: بمعنى أن تكون له أبعاد واسعة في القلوب وآثار عميقة في النفوس إذا كان مضمخاً بالصدق مؤطّراً بالاخلاص، وإذا لم يتوافر هذان العنصران المهمان فإن الكلام يفقد خاصية التأثير وعمق الأثر لدى المتلقي لأنه فقد أهم عناصره ففقد تبعاً لذلك فاعليته وصداه، فانحسار الصدى الطيب وتلاشيه وعدم الاستفادة منه أو عدم التأثر به يعود إلى مصدر الكلام نفسه و ما يحمله من اخلاص في القول وصدق في التوجّه، وللكلمة الصادقة والنيّة المخلصة أهمية في القبول والاستيعاب .

☆ ☆ ☆

ولكل فئة من الفئات التي لها علاقة بالجماهير واتصال بها وتأثير فيها: سمات خاصة بها وملامح تدل على انعكاس أصداء ما تقول وتعمل: على مشاعر تلك الجماهير، وكيف يمكنها تمتين علاقاتها بجمهورها أو فك الارتباط بين الطرفين وتلاشي عُرى الصلات القائمة بين الجانبين. إذا لم يستطع الطرف الأول استمالة الطرف الثاني واستقطابه والحظوة لديه، وهذا يرجع إلى أهمية الشخصية في لقاءاتها بالمتلقين عنها سواء كان هذا التلقي من خلال الأجهزة الإعلامية المتنوعة: المرئية والمسموعة أو الأجهزة الصحفية المكملة لها المنشورة والمقروءة والتي تمثل الجانبين في المخاطبة والتلقي، وعلى مقدار تأثير الكلمة وأثرها في أداء رسالتها تُبنَى ركائز الشخصية أو تنهار مقوماتها بحسب موقعها من الأعمال المنظورة والمواقف الحاسمة.. وقد تتحول الشخصية القيادية أو الفكرية إلى شخصية عامة وتمثل رمزاً في المسيرة الإنسانية، ويكونْ لها امتداد مؤثر على ساحة كبيرة من الرأي العالم، فتتحقق لهذه الشخصية صفة العالمية.. والشخصيات التي من هذا النوع تبدو في نطاق محدود وفي هيئة أفراد معدودين. لأن العالمية ليست عملاً عادياً يسيراً ولا طريقاً ممهداً سهلاً، فالارتقاء إليها لابد له من مقومات وأسس تقوم عليها، ويأتي في مقدمتها: التأهيل الذاتي الصادر عن عبقرية منظورة، أو نبوغ علمي ملموس في مجالات حيوية مهمة، أوفكر متألق في رحاب آفاق انسانيّة، أو عمل بارز في خدمة البشرية، وماقد يكون على هذا المنوال والمسار العالمي الذي يحظى بالتفرد في عالمنا المعاصر.

☆ ☆ ☆

والمفكر أو الأديب ليس آلة تسجيل ينقل ما يقرأ أو يسمع وإنما هو صاحب موهبة يتفاعل مع المعطيات من حوله من خلال فكر متوقد وذهن مستوعب ورؤية مدركة، وفي ظل هذه العوامل المنبثقة من الذات يتأتّى للكاتب أيا كان لونه: مفكراً أو أديباً أو شاعراً أو روائياً أن يشارك بوعيه وثقافته وادراكه في التعبير عما يختلج في ذاته وما يدور في خطرات نفسه أو يعتمل في كيانه من أفكار وخواطر. مما يستدعي مساهمته بالكتابة ان كان كاتباً وبالشعر إذا كان شاعراً وبالقصة أو الرواية إن كان قاصاً أو روائياً، وفي أي نص أدبي أو علمي أو فني إذا جاء تصنيفه في أي صنف من الأصناف السالفة، وفي كل

الأحوال وعلى مختلف الأوضاع فإنه معنيٌّ بالفكرة يجسدها فيصوغها بأسلوبه ويفيض عليها من روحه حتى تصبح كما لو كانت جزءاً من كيانه بحيث يمنحها حيوية الحياة وحركة الفاعلية.. أما إذا كان الذي أثار اهتمامه واستولى على ذهنه: صورةٌ واقعة حدثتْ أو طيفٌ حدث هز مشاعره وأثّر في نفسيته، فإنه في هذه الحالة يضع الواقعة أو الحدث في اطار ينقله من الركود إلى الحيوية ومن الاهمال إلى الاهتمام، ويستطيع من خلال صياغته لاطار الواقعة أو كيان الحدث أن ينتقل به من حالة خاملة إلى حركة فاعلة، وذلك من خلال تفعيل تجربته الخاصة وامتداد رؤيته الصادقة واستثمار ثقافته الذاتيّة. بما يضفي على الموقف أيا كان نوعه أو صفته: صورة يدرك القارئ أو المستمع ألوانها وأبعادها ويستشف ما يحيطها من مغزى وما تحمله من دلالة وما تتسم به من معنى، وما قد يتبعها من تداعيات فكرية أو سوانح ذهنية.

☆ ☆ ☆

ومن جانب آخر فهناك معوَّل كبير على اختيار المفردات التي تعكس المناخ الثقافي الذي يعشه صاحب العطاء ويفرزه فكره وتضخه ثقافته، وللغة شأن كبير في تطويع المفردات وتطويرها من خلال تتابع العصور وتوالي الأزمان. كما نلمس ذلك في تعدد المصطلحات وتجدد الصياغات وتنوع كثير من الدلالات، فبعض الكلمات التي تحمل دلالة معيّنة قد تُستعمل في عصر بغير الدلالة التي تحملها في عصر سابق. لا من ناحية المضمون اللغوي فحسب وإنما من حيث المنحى الدلالي، ولذلك لا يمكن في هذا العصر استعمال كل المفردات القاموسية التي وردت في كثير من المعاجم اللغوية على اتساع مداها وتعدد معانيها وكثرة دلالاتها، وذلك لأن للمفردة أكثر من معنى وأوسع من دلالة، وفي ضوء هذا التصور فإنّ هذا العصر بحكم انفتاحه الواسع على الحضارة الغربيّة وتأثره التام من خلال اتصاله بعالم الغرب فقد استحدث في قاموس التداول المعاصر مفردات جديدة ومصطلحات عديدة لم تكن معهودة من قبل ولا معروفة في عصور سلفتْ: على أساس أنّ لكل عصر أساليبه وأدواته ومصطلحاته، واللغة العربية بالذات رحبة الأبعاد خصبة المعاني متعددة الأغراض. تحوي في ذاتها تراكيب متعددة وأساليب متنوعة وأفكاراً مختلفة. تمتزج فيها دلالات معنوية ومؤشرات حسيّة.. وعلى أساس الصياغة الأسلوبية يتحدد دور الأديب وموقع العالم، فالأول معنيّ بالأسلوب والآخر يهتم بالفكرة، فالقالب الأسلوبي مهم في نظر الأديب وهو ليس كذلك في اعتبار العالم، وبين الاثنين أو التوجهين ترتسم فواصل بين الكلمات وتتحدد نظرات في المقاصد والأهداف. حيث يستقل كل أسلوب أو فكرة بلون يتحدد من خلاله مفهوم المعاني المقصودة والدلالات المرتبطة بتلك المعاني، ويؤكد ما سلف أن عصرنا الحالي في تطوراته وطفراته وتقنياته وفضائياته قد جنح بمعاصريه إلى منطلقات ذات أبعاد واسعة، فإنها كما شملت الميادين الحضارية والتقدمية والمادية فإنها أثّرت كذلك في تطوير المضامين الفكرية والعلمية والثقافية على النحو الذي يعايشه أبناء هذا العصر ويعيشونه .

☆ ☆ ☆

المشيب وصوره

(٤/٥)

بقلم: معالي الدكتور عبد العزيز عبد الله الخويطر
المملكة العربية السعودية

ولبيد بن ربيعة بن مالك، وفد عمر، يذكر العصا، واعتماده عليها، ويرسم صوراً تكمل منظر الشيخ؛ فيها إتقان وإبداع، حيث يقول:

"أَلَيْسَ وَرَائِي أَنْ تَرَاخَتْ مَنِيَّتِي
لُزُومُ العَصَا تُحْنَى عَلَيْهَا الأَصَابِعُ
أُخَبِّرُ أَخْبَارَ القُرُونِ الَّتِي مَضَتْ
أَدِبُّ كَأَنِّي كُلَّمَا قُمْتُ رَاكِعُ"(١)

ويذكر كعب بن رادة (٢) النخعي دور العصا في مساعدته على ضعفه، عند قيامه من قعوده فيقول:

"عَلَى الرَّاحَتَيْنِ مَرَّةً وَعَلَى العَصَا
أَنُوءُ ثَلاثًا بَعْدَهُنَّ قِيَامِي"(٣)

وقيل إن قائله عمرو بن قمئة (٤)

وعند اختيار الصور التي توضح مدى الضعف، والانتقال إليه بعد القوة، يرد تعبير مختلف؛ ومن الصور المستعارة لذلك التعبير بجب السنام، وقد ورد ذلك في شعر فضالة بن زيد، فهو يقول في أحد الأبيات:

رَمَتْنِي صُرُوفُ الدَّهْرِ حَتَّى تَرَكْنَنِي
أَجَبَّ السَّنَامِ بَعْدَمَا كُنْتُ أَيْهَمَا"(٥)

وورد هذا التعبير نفسه في شعر للمعمر: خِنَابة ابن كعب، حيث يقول:

تلعبَتِ الأَيَّامُ بِيْ فَتَرَكْنَنِيْ
أَجَبَّ السَّنَامِ حَائِرًا حِيْنَ أَنْظُرُ"(٦)

والنظر وضعفه، واضطرابه يلعب دوراً في إبداء الضعف في الكبر، ولهذا وصف بعضهم ما طرأ على نظره من تدهور، وعبر عنه بواقع مؤلم؛ قال الحارث ابن التوءم اليشكري في ذلك:

"وَإِذَا تَرَاءَى القَوْمُ شَخْصًا خَالَهُ
شَخْصَيْنِ ثُمَّتَ لَمْ يَكُنْ هُوَ أَبْصَرَا"(٧)

وخِنَابة قال مثل هذا القول:

"أَرَى الشَّخْصَ كَالشَّخْصَيْنِ وَالشَّيْخُ مُولَعٌ
بِقَوْلِ: أَرَى - وَاللهِ - مَا لَيْسَ يُبْصِرُ"(٨)

وذو الأصبع العدواني له مشاركة في هذا الجانب يقول في أحد بيتين وردا له:

"أَصْبَحْتُ شَيْخًا أَرَى الشَّخْصَيْنِ أَرْبَعَةً
وَالشَّخْصَ شَخْصَيْنِ لَمَّا مَسَّنِي الكِبَرُ"(٩)

وتأتي صور منفردة معبرة، تصف بعض معالم الكبر، يختارها المعمر من حياته، وما يمر به في يومه، مما يؤكد تألمه من معاناته لها، ومن هذه الصور ما يصفه ربيع بن ضبيع من تعرضه للبرد وللحر، وهمه من مجيء هذا، وحلول ذاك، فيقول:

"إِذَا جَاءَ(١٠) الشِّتَاءُ فَأَدْفِئُونِي
فَإِنَّ الشَّيْخَ يَهْدِمُهُ الشِّتَاءُ
فَأَمَّا حِيْنَ يَذْهَبُ كُلُّ قَرٍّ
فَسِرْبَالٌ خَفِيْفٌ أَوْ رِدَاءُ
إِذَا عَاشَ الفَتَى مِئَتَيْنِ عَامًا
فَقَدْ أَوْدَى المَسَرَّةُ وَالفَتَاءُ"(١١)

وابن حممه الدوسي يصف قلقه عند المنام في الليل، ويشبه نفسه بمن لدغته أفعى، فهو قلق يتململ، ويتألم، يقول وهو يستطيل ليله:

"كَبِرْتُ وطَالَ العُمْرُ حتّى كَأَنَّنِي
سَلِيْمُ أَفَاعٍ، لَيْلُهُ غَيْرُ مُوْدعٍ"(١٢)

ويختارُ مُسَافِعُ بن عبد العزّى زواية أخرى لتصوير جانب الضعف عند المعمر فيقول:

"يرَانَا أهْلُنَا لاَ نحْنُ مرْضَى
فَنَكْوى أَوْ نُلَدُّ، ولاَ صِحاحِ
ولا نُرْوي الفِصال(١٣) إذا اجْتمعْنا
عَلَى ذِيْ دلْونا والحَفْرُ طاحِ(١٤)

وضاق عمرو بن ثعلبة بهزء امرأته بشيبه، وصدودها عنه بشببه، وجفوتها له، ونبهها أن الشيب مثل الثوب المستعار، وكأنه يقول لها: إن شبابك هذا مؤقت، وأنك ستشيبين مثلي، وإنك صائرة إلى ما صرتُ إليه؛ يقول عمرو :

"تهزّأتْ عرْسِي واسْتنْكرَتْ
شَيْبِي ففِيْها جُنفٌ وازْدراءُ
لاَ تُكْثِري هُزْءًا، وَلا تَعْجَبي
فليْسَ بالشَّيْبِ عَلى المرْء عارْ
عَمْرِكِ ، هَلْ تَدْرِيْنَ أنّ الفتى
شَبَابُهُ ثَوْبٌ عَلَيْهِ مُعَارْ"(١٥)

ويصور أنس بن مدرك الخثعمي تغير عيش الكبير المعمر، فيعبر بالمرارة بعد الحلاوة، وأن العمر قد تقدم، وصاحبه هرم على وشك أن يولي، وينتهي من هذه الحياة، بعد أن انحطت قواه، وذهب شبابه فيقول :

"إذا مَا الْمَرْءُ عَاشَ الْهُنَيْدَةَ سَالمًا
وخمْسِيْن عاماً بعد ذاك وأرْبعا
تَبَدَّلَ مُرُّ العَيْشِ مِنْ بَعْدِ حُلْوِهِ
وَأَوْشَكَ أَنْ يَبْلَى وَأَنْ يَتَسَعْسَعَا"(١٦)

وعبد الله بن سبيع الحميري يرسم صورة مبتدعة، فهو يقارن بينه وبين الأيام، ويغبطها ضمناً على ما تمتع به مما هو محروم منه، فالأيام شبابها يتجدد، وشبابه يضمحل ولا يعوض، يذهب فلا يعود، ويبلى ولا يتجدد، يقول:

"أَرَانِيْ كُلَّمَا هَرَمْتُ يَوْمًا
أتى مِنْ بَعْدِهِ يَوْمٌ جَدِيْدُ
يعُوْدُ شبابُهُ فيْ كُلِّ فَجْرٍ
ويَأْبَى لِيْ شَبَابِيْ ، لاَ يَعُوْدُ"(١٧)

ونفاجأ بصورة مرعبة لم نعهدها في محيط الصحراء العربية، وإنما سمعنا أنها كانت عادة ثابتة عند الاسكيمو، لهذا أصبحت سبة عند هذا الحي من العرب الذي أقدم عليها، فقد ارتحلوا، وتركوا أباهم الهرم للسباع والطير؛ ينقل صاحب كتاب المعمرين فيقول ما معناه:

"عاش أوس بن حارثة مئتي سنة وعشرين سنة، حتى هرم، وذهب سمعه وعقله، وكان سيد قومه، وفي بيتهم، فبلغنا أن بنيه ارتحلوا، وتركوه في عرصتهم حتى هلك فيها ضيعة، وهم يسبون بذلك اليوم.

وفي ذلك يقول الأسحم بن الحارث من جديلة طيء:

أتَانيْ بالْمَحَلَّة أنّ أوْساً
عَلَى شطْنَان ماتَ من الْهزال
تحمّلَ أَهْلُهُ وَاسْتوْدعُوْهُ
خَسِيًّا منْ نسيْج الصُّوْف بَالي
تظلُّ الطَّيْرُ تعْفوهُ وُقُوْعاً
ألا يا بُؤْس للشيْخِ الْمذالِ"(١٨)

ومن الصور المؤلمة حقًا صورة وردت عن عدي ابن حاتم، بعد أن كبر سنه وعمر، ويقال إنه بلغ مئة وثمانين عاماً، ونتأت عظامه، فكان يبحث عن وطاء لين يتقي به قساوة الأرض، وشدتها على جسمه عندما يجلس في النادي مع قومه، وحيث إن الجلوس على شيء يعتبر تميزًا، فقد طلب الوطاء على استحياء، مؤكداً أن طلبه هو من داعي الحاجة، فهو يستأذن قومه، يقول صاحب كتاب المعمرين تمهيداً للأبيات التي كانت نفثة حرّى من عدي بن حاتم:

"فلما أسن (عدي بن حاتم) استأذن قومه في وطاء يجلس عليه في ناديهم، وقال:

إني أكره أن يظن أحدكم أني أرى عليه فضلاً، ولكني قد كبرت ، ورق عظمي .

فقالوا : ننتظر .

فلما أبطؤوا عليه أنشأ يقول :

أَجِيْبُوا يَا بَنِيْ ثُعَلٍ بْنِ عَمْرٍو
وَلاَ تَكِمُوا الْجَوَابَ مِنَ الْحَيَاءِ
فَإِنِّي قَدْ كَبُرْتُ وَرَقَّ عَظْمِيْ
وَقَلَّ اللَّحْمُ مِنْ بَعْدِ النَّقَاءِ
وَأَصْبَحْتُ الغَدَاةَ أُرِيْدُ شَيْئاً
يَقِيْنِي الأَرْضَ مِنْ بَرْدِ الشِّتَاءِ
وِطَاءاً يَا بَنِيْ ثُعَلَ بْنِ عَمْرٍو
ولَيْسَ لِشَيْخِكُمَ غَيْرُ الوِطَاءِ
فَإِنْ تَرْضَوا بِهِ فَسُرُوْرُ رَاضٍ
وَإِنْ تَأْبَوا فَإِنِّي ذُو إِبَاءِ
سَأَتْرُكُ مَا أَرَدْتُ لِمَا أَرَدْتُم
وَرَدُّكَ مَنْ عَصَاكَ مِنَ العَنَاءِ
لأَنِّي مِنْ مَسَاءَتِكُمْ بَعِيْدٌ
كَبُعْدِ الأَرْضِ مِنْ جَوِّ السَّمَاءِ
وَإِنِّيَ لاَ أَكُوْنُ بِغَيْرِ قَوْمِي
فَلَيْسَ الدَّلْوُ إِلاَّ بِالرِّشَاءِ

فأذنوا له أن يبسط في ناديهم، وطابت به أنفسهم، وقالوا :

أنت شيخنا، وابن سيدنا، وما فينا أحد يكره ذلك، ولا يدفعه ". (١٩)

هذه صورة فريدة معبرة ، شيخ كبير، أمضه الكبر، أراد أمراً سهلاً، يريح بدنه البالي، دون أن يكون في هذا ضرر على أحد، فراش يكون بين عَدِيٍّ الـهَرِم والأرض.

جاء طلب الشيخ توسلاً، مما يدل على أنه قد لمس تبرم قومه به، ومللهم من بقائه، وصدودهم عنه، واستثقالهم له؛ ويؤكد هذا تلكؤهم في الاستجابة لطلبه التافه هذا، مما اضطره أن يقول أبياتاً يشرح لهم فيها حاله؛ ويتواضع تواضعاً مؤلماً، فيجعلهم في الخيار بين أن يستجيبوا أو يرفضوا، فهو لن يغضب إن لم يستجيبوا، فهم قومه، وهو مستعد أن يتنازل عن طلبه، لأنه غير قادر على غير ذلك، لأن فيه عناءًا؛ ثم يؤكد أنه لن يسوءهم رغم عدم إحسانهم إليه بالاستجابة لطلبه؛ لأنه بقومه، وبغيرهم لا قيمة له، مثل الدلو إذا جاء بدون رشاء، فلن يمتح ماءاً من البئر، ويصبح عديم الفائدة، قليل النفع، بل عبأ في الحمل والوضع.

ثم استجاب قومه لطلبه، تُرى هل كان هذا عطفاً منهم، وندماً على ما بدر منهم من تردد وتلكؤ، أم أنهم خافوا أن يزيد ألمه فيهجوهم، فيكون في ذلك سبة عليهم، وقد صار سبة عليهم بمجرد أن رسمت هذه الصورة المحزنة.

وعدي هذا يصور عجزه عما يريد إتيانه بسبب

الهرم، فيقول عندما عجز عن الخروج على المختار عند ما تغلب على الكوفة :

"أصْبَحْتُ لاَ أَنْفعُ الصَّدِيْقَ وَلاَ
أَمْلِكُ ضَرًّا لِلشَّانِيءِ الشَّرِسِ
وإنْ جَرى بِيَ الجَوَاد مُنْطَلِقاً
لاَ يَمْلِكُ الكَفُّ رَجْعَةَ الفَرَسِ(٢٠)

حتى لو استطاع أن يستقر على دهر الفرس، وعدا به، فإن يده لا تملك اللجام لضعفها، فلا يستطيع أن يدير الفرس يميناً أو يساراً، أو يعيدها إلى منطلقها، وهذا يشبه الصورة التي مرت بنا، وقد رسمها ربيع ابن ضبيع حيث يقول :

" لا أملك رأس البعير إن نفرا".

ويرسم عامر بن الظرب صورة لضعفه، وقد بلغ سن الهرم، فيلفت النظر إلى سرعة تنامي الشَّعَر الأبيض في حاجبيه، فلا تبيض شعرة إثر أخرى، وإنما ثنتان ثنتان؛ ويظنها كلاباً، تدور حوله، لضعف بصره، وأحياناً يظن أنهن أبقار وحش، ويتطلع إلى أنفه فيظنه شخصاً يسير أمامه، يقول:

"أَرَى شَعَرَاتٍ عَلَى حَاجِـ
ـبيّ بِيْضًا نَبَتْنَ جَمِيْعًا تُؤَامَا
أَظَلُّ أُهَاهِيْ بهِنَّ الكِلاَ
بَ أَحْسَبُهُنَّ صِوَارًا قِيَامَا
وَأَحْسَبُ أَنْفِيْ إذَا مَا مَشَـ
ـيْتُ شَخْصًا أَمَامَي(٢١) فَقَامَا"(٢٢)

ومسعود بن مصاد بن حصن من كلب، ويقال إنه بلغ من العمر مئة وأربعين عاماً، وقد صور ضعفه بالصورة الآتية :

"أَصْبَحْتُ يَا أُمَّ بَكْرٍ قَدْ تَخَوَّنَنِيَ
رَيْبُ الزَّمَانِ وَقَدْ أَزْرَي بِيَ الكِبَرُ
لاَ أَسْتَطِيْعُ نُهُوضاً بالسِّلاَحِ وَلاَ
أَمْضِي الهُمُوْمَ كَمَا كُنْتُ أَبْتَكِرُ
أَمْشِي عَلَى مِحْجَنٍ وَالرَّأْسُ مُشْتَعِلٌ
هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ طَالَ العَيْشُ والعُمُرُ
قَدْ كُنْتُ فِيْ عُصُرٍ لاَ شَيْءَ يَعْدِلُهُ
فَبَانَ مِنِّي وَهَذَا بَعْدَهُ عُصُرُ"(٢٣)

صور صادقة للضعف الذي يصاحب الهرم، وتأتي مع المشيب، بعد أن يولي الشباب بنشاطه، وحيويته، فمسعود لو لبس سلاحه عجز عن النهوض به من الأرض، لأن أعضاءه لضعفها لا تساعده على ذلك؛ والهموم أصبحت تتجمع عليه وتتراكم، ولم يعد يقدر أن يبددها بفكر الشباب، ووسائله المختلفة، كما كان يفعل من قبل؛ وعند المشي يتوكأ على عصا، ورأسه مشتعل الشعر بالبياض الواضح من جراء العمر الطويل، والعصر المتتابع الفترات الذي مر به.

وعوف بن سبيع يقال إنه وصل في عمره إلى مئة وثمانين سنة، وقال عن شيخوخته:

"ألا هَلْ لِمَنْ أجْرَى ثَمَانِيْن حِجَّةً
إلَى مِئَةٍ عَيْشٌ وَقَدْ بَلَغَ المَدَى
وَمَا زَالَتِ الأَيَّامُ تَرْمِي صِفَاتِه
وتَغْتَالُهُ حَتَّى تَضَعْضَعَ وانْحَنَى"(٢٤)

يعطي صورة تمثل الأيام وهي تقضي على مزايا الشباب فيه، واحدة تلو الأخرى، حتى استطاعت أن تأخذ منه ما عنده، وتتركه ضعيفاً مهدماً، قد طاح وانحنى.

وتأتي صورة بديعة، مبتكرة، أغرم بها الأدباء والكتّاب، فنقلوها في كتبهم، وأبرزوها في أقوالهم، وتمثل بها الشيوخ، واقتبسها المتحدثون عن الشيب؛ ولهم الحق في ذلك، فهي صورة لتمثيلية متكاملة، فالشاعر يصور انحناءه بانحناء الصائد الذي يختي

جذعه، أملاً في أن يختل الصيد، فلا يراه فيصطاده بمفاجأة منه؛ ويؤكد هذه الصورة بذكر قِصَر خطوته، حتى أن من يراه من بعد يظن أن قدميه مقيدتان بقيد، هذه الصورة البديعة رسمها المعمر أبو الطمحان القيني حنظلة حين يقول:

"حَنَتْنِي حَانِيَاتُ الدَّهْرِ حَتَّى
كَأَنِّي خَاتِلٌ يَدْنُو لِصَيْدِ
قَرِيْبُ الخَطْوِ يَحْسَبُ مَنْ رَآنِي
- وَلَسْتُ مُقَيَّداً - أَنِّي بِقَيْدِ"(٢٥)

وعبيد بن الأبرص الأسدي عمر حتى لم يبق من أقرانه أحد، ولم يبق له مسامر أو مصاحب في سهره وقلة نومه إلا بنات نعش، وغيرها من النجوم المضيئة، ويتسلى بروٌيتها حتى ينتهي ليله، ويقول:

"فَنِيْتُ وَأَفْنَانِي الزَّمَانُ وَأَصْبَحَتْ
لِدَاتِيْ بَنُو نَعْشٍ وَزُهْرِ الفَرَاقِدِ"(٢٦)

ولبيد وقد عمر حتى قيل إنه بلغ مئة وعشرين عاماً يصف وصفاً وافياً ما آلت إليه حاله، وما أصبح عليه بعد أن جاء المشيب، وولّى عهد الشباب، فيقول بصورة بيانية بديعة: إن بنات الدهر، وهي الأيام والليالي، والأسابيع والأشهر، والسنون، رمته بسلاحها؛ ويرثي لحاله أنه لا يستطيع أن يرميها كما رمته؛ فهي بسلاح، وهو بدونه، وهو أعزل لا يتقي سلاحها، ولا يقابلها بمثله، وهو مستسلم لسلطان الأيام تأكل حياته، ولو كانت ترميه بما يعرفه من نبال لاتقاها، ولكن سلاحها مختلف وهو من نوع لا يملك البشر مثله؛ والناس عندما يرون عدم حيلته يتعجبون منه، وهو الذي يعرفونه جلداً، شديد البطش، وسريع النجدة، شجاع الهجمة؛ يقول لقد فنيت، وما أفنيت من الدهر شيئاً؛ وانتهي بي الأمر إلى الضعف، حتى صرت أمشي على الراحتين، أوأقوام عليهما، وعلى العصا، والنهوض من الأرض يأخذ مني ثلاث مراحل قبل أن أقف، وهذه هي الأبيات:

"كَأَنِّي وَقَدْ جَاوَزْتُ تِسْعِيْنَ حَجَّةً
خَلَعْتُ بِهَا عَنِّيْ عِذَارَ لِجَامِيْ
رَمَتْنِيْ بَنَاتُ الدَّهْرِ مِنْ حَيْثُ لاَ أَرَى
فَكَيْفَ بِمَنْ يُرْمَى وَلَيْسَ بِرَامِيْ
فَلَوْ أَنَّهَا نَبْلٌ إِذَنْ لاَ تَقَيْتُهَا
وَلكِنَّنِي أُرْمَى بِغَيْرِ سِهَامِ
إِذَا مَا رَآنِي النَّاسُ قَالُوا : أَلَمْ يَكُنْ
جَلِيْدًا شَدِيْدَ البَطْشِ غَيْرَ كَهَامِ
فَنِيْتُ وَلَمْ تَفْنَى مِنَ الدَّهْرِ لَيْلَةٌ
وَلَمْ يُفْنِ مَا أَفْنَيْتُ سِلْكَ نِظَامِ
عَلَى الرَّاحَتَيْنِ مَرَّةً وَعَلى العَصَا
أَنُوءُ ثَلاَثًا بَعْدَهُنَّ قِيَامِيْ"(٢٧)

وقد سئم الحياة من طولها، وسئم سؤال الناس إياه عن حاله وما هو عليه، فقال:

"وَلَقَدْ سَئِمْتُ مِنَ الحَيَاةِ وَطُوْلِهَا
وَسُؤَالَ هَذَا النَّاسِ كَيْفَ لَبِيْدُ"(٢٨)

والنمر بن تولب بن أقيش من المعمرين، وقال أبياتاً جميلة، ويصور فيها نفسه، وما يعاني بأسباب الكبر، وطول العمر، ويصف فيها علاقته بالناس، وبزوجه، وما لاحظه في نفسه، فيقول:

"لَعَمْرِي لَقَدْ أَنْكَرْتُ نَفْسِيْ وَرَابَنِيْ
مَعَ الشَّيْبِ أَبْدَالِيْ الَّذِيْ أَتَبَدَّلُ
وَتَسْمِيَتِي شَيْخًا وَقَدْ كَانَ قَبْلَهُ
لِيَ اسْمٌ فَلاَ أُدْعَى بِهِ وَهوَ أَوَّلُ
وَزُهْدِي، فَيَكْفِيْنِي اليَسِيْرُ وَإِنَّنِيْ
أَنَامُ إِذَا أُمْسِيْ وَلاَ أَتَعَلَّلُ

وظَلْعِيْ وَلَمْ أُكْسَرْ وَإنَّ حَلِيْلَتِي
تَحُوزُ بَنِيْهَا فِي الفِرَاشِ وَأَعْزَلُ
فُصُولٌ أَرَاهَا فِي أَدِيْمِيْ بَعْدَمَا
يَكُونُ كَفَافَ اللَّحْمِ أَوْهُوَ أَجْمَلُ
يُحِبُّ الفَتَى طُوْلَ السَّلاَمَةِ وَالغِنى
فَكَيْفَ يَرَى طُوْلَ السَّلاَمَةِ يَفْعَلُ(٢٩)

وقد رسم صوراً مرت به ، وجد أن عليه أن يظهرها، فقد تبدلت فيـه أمور كثـيرة، أنكـرها إذْ لم تكن له إلفاً ؛ فالناس اليـوم ينادونـه بالشيخ، ويشيرون إليه بذلك، وقد تركوا اسمه، وهو السابق والمفضل عنده ؛ وكان شَرِهاً بِمُتع الحياة ، ولذاتها، أما الآن فيكفيه القليل من المتع ، ومن ضرورات الحياة؛ وكان يسهـر و يسـامـر ويتعلل، أما الآن فإنه ينام مبكـراً ؛ واعتاد أن يرى الإنسان يعرج من كسر يصيب قدمـه ، ولكنـه هـو يعـرج من غـير ذلك الآن، فهو يظلع من الكِبرَ ، وامتداد العمر ؛ وزوجته تتجنبه في الفراش ، وتفضل أن تحتضن بنيها ؛ ثم بدأت الأخاديـد تغـزو جلـده ، وترخي عضلاته ولحمه .

وبعد أن يُعدد ذلك ، ويرسمه بلغة بليغة، وصور بيانية واضحة جميلة، يتعجب من الإنسان الذي يتمنى طول البقاء، والغنى ، وهذا ما يأتي به امتداد العمر من آلام ومنغصات .

وزهـير يجمل تكاليف الحياة، وسأمه منها في قولـه :

"سَئِمْتُ تَكَالِيْفَ الْحَيَاةِ وَمنْ يَعِشْ
ثَمَانِيْنَ حَوْلاً، لاَ أَبَالَكَ ، يَسْأَمِ(٣٠)"

☆ ☆ ☆

حواشي :

(١) بهجة المجالس : ٢٣٨/٣ ، كتاب المعمرين · ٨٥
(٢) في " المعمرون " : كعب بن رداة .
(٣) كتا المعمرين ١٠٠، المعمرون والوصايا · ٩٣
(٤) كتاب المعمرين ١٢٣
(٥) الايهمان السيل، والجمل الهائج ، أو السيل والحريق ومعناه أيضًا الشجاع. كتاب المعمرين ١١٣، المعمرون والوصايا· ١٠٤
(٦) كتاب المعمرين ١١٥ .
(٧) كتاب المعمرين · ١٠٧ ، المعمرون والوصايا : ٩٩ .
(٨) كتاب المعمرين ١١٥
(٩) كتاب المعمرين: ١٢٣، المعمرون والوصايا ١١٣
(١٠) في " المعمرون" . إذا كان
(١١) كتاب المعمرين . ١٦، المعمرون والوصايا ١٠.
(١٢) كتاب المعمرين · ٣٧، المعمرون والوصايا · ٢٩
(١٣) في " المعمرون " العصال
(١٤) كتـاب المعمـرين : ٣٩، المعمـرون والـوصـايا · ٣٠ ، وطاح مملوء
(١٥) كتاب المعمرين ٥٠، المعمرون والوصايا · ٤٢
(١٦) كتاب المعمرين . ٥١، المعمرون والوصايا . ٤٢.
(١٧) كتاب المعمرين ٥٢، المعمرون والوصايا : ٤٣
(١٨) كتاب المعمرين ٤٥، المعمرون والوصايا · ٤٦
(١٩) كتاب المعمرين · ٥٥، المعمرون والوصايا · ٤٧.
(٢٠) كتاب المعمرين هامش ٥٥
(٢١) في " المعمرون " رآني فقاما
(٢٢) كتاب المعمرين · ٦٥، المعمرون والوصايا · ٥٦.
(٢٣) كتاب المعمرين ٧٨، المعمرون والوصايا . ٧١
(٢٤) كتاب المعمرين ٧٩، المعمرون والوصايا . ٧١
(٢٥) الأمالي · ١١٠/١ ، عيون الأخبار · ٣٢٣/٢ ، كتاب المعمرين : ٨٠، محاضرات الأدباء . ١٤٨/٢، بهجة المجالس: ٢٣١/٣ ، ولأحمد بن يحيى النحوي قيد ، انظره في الأمالي : ١٠٩/١ ، المعمرون والوصايا ٧٢
(٢٦) كتاب المعمرين · ٨٤، المعمرون والوصايا · ٧٦.
(٢٧) كتاب المعمرين . ٨٦ و ١٢٣ ، كتاب الاختيارين · ٤٦٥ .
(٢٨) كتاب المعمرين . ٨٧ ، ديوان لبيد : ٣٥
(٢٩) وزاد صاحب بهجة المجالس : ٢٢٧/٢

يرد الفتى بعد اعتدال وصحة ينوء إذا رام القيـام ويُحمـل

كتاب المعمرين ٨٧، والمعمرون والوصايا · ٧٩ .
(٣٠) كتاب المعمرين ٩١، والمعمرون والوصايا · ٨٣ .

محليـــــات

إعداد : أبو عفيفة القاسمي

الشرطة تقص أشعار لحية رجل مسلم وتجرده من ثيابه

إن مشروع فرض الحظر على إنشاء المساجد والمدارس لم يكسب صفة القانون من بعد ولكن الشرطة الإقليمية بولاية "أترابراديش" بدأت بإيعاز من كبار ضباط الولاية و وزرائها في تعذيب المسلمين ولا سيما الملتحين منهم بأنواع شتى وحيل متعددة، وتتهم كل من يرسل اللحية على وجهه ويرتدي القميص والسروال والقلنسوة بأنه يعمل لصالح "باكستان" وقد حدث مثل ذلك في بلدة "بجنور" التي تبعد عن مدينة "لكناؤ" عاصمة الولاية بـ ١٢ كيلو مترا في ٤/يونيو الماضي حيث قام ثلاثة رجال من الشرطة بقطع أشعار لحية رجل مسلم يُدْعَى بـ "عتيق الرحمن" بالمقراض، وجرّدوه من ملابسه وهددوه بضرب مبرح إذا أخبر أحدا بالحادث. ولما حاول "عتيق الرحمن" أن يحول دونهم ودون ما يريدونه توجهوا إليه بأشنع الشتائم قائلين: إنك تتقاضى مرتبا ضخما من مصلحة الاستخبارات السرية الباكستانية وتعمل لها في داخل الهند.

والجدير بالذكر أن "عتيق الرحمن" رجل ساذج يكسب لقمة عيشه بصنع أواني فخارية في بلدته. وليست هذه أول مرة إذ قامت الشرطة بعملية عدائية جارحة لمشاعر المسلمين، ولكن قد تفاقم الأمر بعد أن تولى الحكم في الولاية حزب "ب.ج.ب" الهندوسي، واتخذ مشروعا يقضي بفرض الحظر على إنشاء معابد ومدارس وإصلاحها وترميمها قبل بضعة أشهر.

وثارت البلـــدة على بكـــرة أبيها هنـــدوسا ومسلمين على عملية الشرطة هذه، وأدانوها بكلمة واحدة وأعربوا عن شديد غضبهم وطالبوا قبطان الشرطة بعزل الرجال الثلاثة عن وظائفهم عقابا على إساءتهم لشعيرة دينية للمسلمين وجرحهم مشاعر المسلمين كلهم. كما هددوا ضباط الشرطة بإقامة تظاهرة شعبية ضد هذه الإساءة إذا مارسوا المماطلة في اتخاذ اجراءات رادعة ضد رجال الشرطة هؤلاء.

ونظرا إلى خطورة الموقف سارع كبار الضباط إلى عقد اجتماع طارئ في البلدة حضره وجهاء البلدة من الهندوس والمسلمين. وأكد لهم مدير مخفر الشرطة بها بأنه يتخذ اجراءً رادعا وفق القانون ضد رجال الشرطة الثلاثة وقال: قد أمرتُ بإلقاء القبض عليهم من فورهم. غير أن قبطان الشرطة صرح أنه لم يتم إلقاء القبض على أحد منهم ولا ألقي القبض عليهم، وإنما أُرْسِلوا إلى مدينة أخرى يراقبون الأوضاع حفاظاً على الأمن خلال انتخابات المجالس القروية التي تتم في يونيو.

أحد زعماء السيخ يصرح:

نقوم بحملة مكثفة عبر ولاية بنجاب الشرقية ضد نشاطات منظمة آر. إيس. إيس

أعلن المستر "سمرن جيت سينغ مان" عضو البرلمان وأحد زعماء طائفة السيخ البارزين أنه يقوم

على حضرة المولوى نفسه - وبايعنا على شيخ واحد، وسافرنا معاً سفرتين للحج، وصحبنا زمنا طويلاً، إلا أنى - بحكم قدراتى القاصرة - عجزت عن اغتنام هذه الفرصة والاستفادة منه.

ووالده الشيخ / أسد على، وإن صحب والدي - رحمه الله - إلى دهلي، وقرأ الكتب أمثال: "شاه نامه"، وقص - علينا - أيام دراسته قصصا، إلا أنه لم يكن يميل إلى الدراسة، ميلاً، ولم يواصل دراسته، فقضى حياته في الزراعة، يمثل أهل القصبات والقرى الكبيرة في أخلاقهم وعاداتهم، وفي جانب آخر اتصف بالمروءة ودماثة الخلق، يعول الأسر الفقيرة، ويقري الضيف ويقيم الصلوات، ويتقى الله حق تقاته.

أما والده الشيخ / غلام شاه - وقد سعدت بزيارته - فرجل بسيط الثقافة، عابد أوّاه يحدم المشايخ والعلماء، واشتهر بتأويل الرؤيا.

رؤيا رآها في صباه:

وقد رأى حضرة المولوى النانوتوي فيما يراه النائم وهو صبى. أن الله عز وجل قد احتضنه. فأخبر بذلك جده. فأوّله له بأن الله سيرزقك علما واسعاً ويجعلك عالماً كبيرا بعيد الصيت. وقد صدق تأويله. ورأت أختى في المنام: أن ميزاناً صغيراً - وهو الذي يلعب به الصبيان - قد نزل من السماء معلقةً به طيور أبابيل سود، لاتفارقه رغم محاولات كثيفة. قال: فأوّل بجدب يضرب البلاد. فصدق تأويله وقحط ذلك العام قحوطا بلغ من وطأته أن بيعت الإماء ولعله أطلق عليه "القحوط الخماسي" (بانجا كال).

نسبه:

وأشاركه نسباً في جد والد الشيخ / غلام شاه.

فهو: محمد قاسم بن أسد علي بن غلام شاه بن محمد بخش بن علاء الدين بن محمد فتح بن محمد المفتى بن عبد السميع بن المولوى / محمد هاشم.

وأنا. محمد يعقوب بن مملوك العلي بن أحمد علي بن غلام شرف بن عبد الله بن محمد فتح بن محمد المفتي بن عبد السميع بن المولوي / محمد هاشم.

فالشيخ خواجه بخش - أخو الشيخ / محمد بخش وجد لأم لكل من والدي، والشيخ كرامت حسين الديوبندي - سافر إلى "دكن" وهو شاب، فتزج بها وولد له أولاد دكور منهم محمد هاشم. ومن هنا كان جد والدي، عمّا له. ويربطهما قرابات عدة تربط العائلة الواحدة بعضها ببعض.

وكان الشيخ وجيه الدين جد - لأم - للنانوتوي يجيد الفارسية ويقرض في الأردية، ويلمّ - إلماما بسيطا - باللغة العربية، ورجل حنكته التجارب، وحلب الدهر بأشطره، من الطراز الأول، له دخل واسع، عمل محامياً في سهارن فور خلال السلطة الإنجليزية. ولقي إكراماً كبيراً واحتراماً بالغا من الناس، وعاش حياته متقلبا في أحضان النعيم، ذكيّ مفرط الذكاء، جيد الفهم، ويشاركنا نسباً - فوق أجيال - في المولوي / محمد هاشم، و ينتهي نسبه إلى قاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رضى الله عنه.

والمولوي / محمد هاشم هذا، قرّبته العائلة الملكية إليها في عهد "شاه جهان"، فاستوطن قصبة "نانوته"، وأقطعت له فيها عدة قرىً، انتزعتها من أيدي أولاده الحكوماتُ المتعاقبة. و "حضرة المولوي النانوتوي" لم يكن له أخ، وله أخت في "ديوبند" لا زالت على قيد الحياة. كما لم يكن لوالده أو جده أخ. وقد ولد لحضرة المولوي أخ مات صبياً، وعمه مات شابا، ولجدّه أخ استشهد شاباً في بعض الحروب. وإخوته من فوقه لم يخلفوا ذكوراً. وإن كان لهم ذرية

بحملة مكثفة عبر الولاية ضد ما تأتي به أسرة "آر. إيس" من نشاطات في مختلف أنحاء الولاية. وقال بعد أن خرج من اجتماع عقدته اللجنة التنفيذية لحزب "أكالي دل" الحاكم في الولاية بمدينة "لدهيانه" الصناعية متحدثا إلى مراسلي الصحف: إن أعضاء الحزب خرجوا اليوم بقيادة المستر "جسوندر خالصه" إلى المدرسة الابتدائية الحكومية بحارة "سبهاش نغر" بالمدينة ونهوا منظمة "آر. إيس. إيس" فرع المدينة عن إقامة المخيم التربوي هذا وناشد "مان" أعضاء حزبه بأجمعهم بأن لا يسمحوا للمنظمة بأن تقيم المخيمات التربوية في أية مدينة وقرية من الولاية. ومضى قائلا: إني طالبت المستر "بركاش سينغ بادل" كبير وزراء الولاية بأن يتبنى موقفا جريئا واضحا ضد نشاطات المنظمة. وإلاّ فإني أُضْطَرُّ لإثارة حملة عنيفة ضدها عبر الولاية.

وتجدر الإشارة إلى أن أسرة "آر. إيس. إيس" قد زادت من نشاطاتها في "بنجاب" الشرقية خلال عدة شهور، ودأبت على صهر السيخ في بوتقة الديانة الهندوسية، وإقناعهم بأن الهندوسية هي التي تضمن السعادة، وبأن آباءهم كانوا هنادك يأتون بطقوس دينية وفق تعاليم الديانة الهندوسية. ومحاولات المنظمة هــذه أثارت غضب السيخ ضــد المنظمــة، وقامــوا بمسيرات وتظاهــرات ضدّها. وجــاء إعلان "مــان" لإثارة الحملة المكثفة ضد نشاطات المنظمة انطلاقا من غضب السيخ هذا .

تدخل صارخ في قانون الأحوال الشخصيــة للمسلميــن

أصــدرت المحكمــة العاليــة بمدينــة " كالكوتا" عاصمة ولاية "بنغال الغربية" أخيرا حكما يتنافى تماما مع تعاليم الشريعة الإسلامية ويعارض قانون الأحوال الشخصية الإسلامية في الهند. فقد أمرت المحكمة بأنه تجب على المسلمين نفقة زوجاتهم المطلقات ما دامت لا تتزوج رجلا آخر. وصرحت المحكمة أن أداء النفقة عبر أيام العدة وحدها إضرار بالنساء وإجحاف لحقوقهن الإنسانية. واستشهدت المحكمة على حكمها هذا بأن توصيات اللجنة التي كوّنتها الحكومة المركزية مؤخرا لبحث أوضاع النساء المسلمات تضمّ فيما تضم دفع النفقة إلى المرأة المطلقة المسلمة إلى أن تنكح زوجا آخر.

وقد سبق أن فرضت المحكمة الحظر على الأذان بالمذياع لصلاة الفجر عبر ولاية بنغال الغربية قائلة: إن الأذان بالمذياع يؤرق النوم. وجاء قرارالمحكمة هذا بعد أن أكدت الحكومة المركزية للمسلمين بأنها لن تتدخل في شؤونهم الدينية، ولن تسمح لأحد بأن يمسّ قانون أحوالهم الشخصية بصورة أو أخرى. وذلك عندما أثار المسلمين شبهاتهم حول ما تنوي الحكومة من إدخال تعديلات على دستور البلاد و إعادة النظر في بعض بنودها وخلق جوّ مواتٍ لتطبيق القانون المدني الموحّد.

وبالرغم من أن المسلمين شعوبا و قبائل، جماعاتٍ و أحزابا أعربوا عن غضبهم لقرار المحكمة و احتجوا ضده ووصفوه تدخلا في شريعتهم الغرّاء لم تلتفت الحكومة ولا المحكمة إلى نداءاتهم وتظاهراتهم ولم يتمّ إلغاء القرار من بعد. وهذا أمر يدل على خبث نية الحكومة ومحاكمها ومصالحها الإدارية المنتشرة في أرجاء البلاد كلها .

☆☆☆

بقية " إشراقة " المنشورة على ص ٤٨

إن الحامل للرسالة والمتصدي للدعوة بأمس حاجة إلى أن يتعلّم ويحسّ إحساساً قويًّا مطلوباً أنّ القول المعسول المغسول بالحبّ ، المعطّر بريّا حسن الأداء ، ولين الجانب ، والعرض الجميل ، له من الإيقاع الساحر ، ما لا يكون ولن يكون للقول الخشن ، الصادر عن اللسان الذي لم يتهذب بالحلم والأناة ، ولم يتأدب بالسداد والسلامة والتوازن ، ولم يتثقّف بمعاني الشرف والنبل .

دَعْنِيْ أَقُلْ : إن الرسالة المعروضة باللسان اللاذع تثير لدى المخاطب من الاستياء ما لن يصفه قلم بليغ أو لسان فصيح . أنت بغلظة القول كَرَّهْتَ إلى المخاطب المذهب الذي تدعو إليه ، والدعوة التي تنادي بها ، فظلمتَ المذهبَ والدعوة أولاً ، وظلمت نفسك ثانياً ؛ لأنك جعلتـه يكرهك إيّاك ويكره دعوتك ومذهبك ، بل قـد يكـره جميع الـذين يتمذهبون بمذهبك ويعملون بدعوتك .

عشتُ كثيراً من أولئك الذين يودّون أن يفرضوا مذهبهم وعقيدتهم على غيرهم بكرباج من القول ، وبعصا من الكتابـة ، وبحجر من سلوكهم وسيرتهم السيئة التي تعطي عنهم صورة قبيحة للغاية ، مجردُ تصورها يجعل المرأ يذعر ، وتنغلق منافذ تفكيره وصفائه وهدوئه ، ويجعله مكدر التفكير ، مسلوبَ لذة الإلهام والتلقي والتمتّع بجمال الكون والحياة .

وفي جانب آخر جربت آخرين توسّدوا حلاوة المنطق ، واتّكؤوا على حسن الخلـق ، واستنـدوا إلى التلطف في إرسال المقال إلى الغير ، فكسبوا أنصاراً ، وكثّروا أتباعاً ، وجعلوا الناس يسيرون خلفهم ، ويقتفون أثرهم ؛ على حين إن المقال لم يكن إيجابيًّا في كل مرة ، ولم يكن حَسَنًا في كل موقف .

فما بال أقوام لا يتعلّمون الدين قبل أن يعلّموه غيرَهم ، وما بال المتشدقين بالدعـوة والرسالـة ، وأدعياء اتّباع الصراط المستقيم ، لا ينهجون منهج السالكين للصراط المستقيم مـن الرعيـل الأول من الصحابـة والتـابعين والـذين اتبعـوهم بإحسان ، وسيتبعونهم به إلى يوم الدين؟ .

ليعلم أولئك أن فكرة ما أو رسالة ما أو دعوة ما لن تُفْرَضَ بقوة المال أو الرجال أو قوة الحديد والنار . إنّها إنما تُفْرَضُ على العقول ، وتُرَسَّخُ في القلوب ، بالسيرة النبويـة ، وبالآداب الإسلامية ، وبالأخـلاق التي عـرض بها النبي صلى الله عليه وسلم دعوتـه على المشركين فقبلوهـا ، وعلى أهل الكتاب فلم يسعهم رفضها والتنكّر لها ، وعلى الملوك وأصحاب الرئاسة والجاه فلم يقدروا على معارضتها طويلاً ، بل خضعوا لها خلال أمد قليل .

إن الإسلام لم ينتصر بالسيف وإنما انتصر بالأخلاق التي فتحت القلوب ، وأقنعت العقول ، وأرضت النفوس ، وشرحت الصدور . فالداعي إلى فكرة مـا بسـوء الأخلاق ، وبقساوة الأسلـوب ، وبغلظة القول ، وبقبح العرض ، يكون بدوره داعياً إلى رفضهـا ومقتهـا كلّ المقت ؛ فـإذا رفضهـا المخاطب، وتلقّاها بالاستنكار ، و عارضها بالفرار ،

ونصب لها العداء ، ورصد للداعي إليها البغض والكرهَ ، فله الحق في ذلك ، وهو معذور في صنيعه؛ لأن الداعي بدوره جعلها جديرة بالرفض ، وأحاطها بأسباب الكره .

أيها الإنسان الذي يحبّ دعوته ورسالته ومذهبه ومُعْتَقَدَهُ ومنهجه ، ويودّ أن يتبنّاه غيره ، ويعمل به إخوانه من بني البشر ، يجب عليك أن تُعِدَّ نفسك إعداداً خاصًّا ، وتدرّبها تدريباً لائقاً ، يجعلها قادرة على عرض الدعوة التي تتبناها والرسالة التي تحملها ، على الآخرين بأسلوب يجعلهم مُغْرَمِين بها إغرامَ الرجل للغانية التي تستغني بطبيعة جمالها عن كثرة حليّها .

إنّ الغلظة والقساوة ، وخشونة القول ، والتعامل الفظّ مع المجتمع البشريّ ، وعبوسة الوجه، وسوء العرض لفكرة ، وقبح الطرح لموقف ، والتجرد من لباقة أداء رسالة وتبليغ دعوة .. كلُّ ذلك معانٍ سلبية وصفات سيئة ما وُجِدَتْ في أحد إلاّ شانته ، وما تخلّى عنها أحد إلاّ زانته . إنّها قبيحة في مكانها تجعل صاحبها غير مقبول في المجتمع ، ومعزولاً عن المحفل الإنساني ، ومُفْرَداً إفرادَ البعير المجرب .

الحليمُ الكريم ، الحلو المنطق ، والطلق الوجه، الباسم الشفتين ، الحسن الأخلاق ، الليّن الجانب ، اللبق في الحديث وفي التعامل وفي الأداء ، يظلّ دائماً مستظلاً بالحبّ والقبول ، متمتعاً بالاقبال والإعجاب ، مُتَلَقًّى بالتحبيذ والاستحسان . يرضى الناس بصحبته ، ويندفعون لصداقته ، ويودّون زمالته ، ويفتخرون بمعايشته ، ويعتزون بالانتماء إليه ، ويتشرفون بخدمته وتحقيق مطالبه .

الخلقُ الحسن يكون دائماً عوضاً عن الجمال الظاهر ، وبدلاً من الصورة اللافتة ، وستراً من كثير من المعائب والنقائص ، وغطاءً على كثير من نقاط الضعف التي لا يخلو منها بشر مهما استكمل أسباب الكمال ، واستوفى عوامل النجاح .

كم من مدرس أخفق ، وأستاذ فشل ، وداعية سقط في أول الطريق أو منتصفه ، وتاجر خسر حتى رأس ماله ، ومُوَظَّف فُصِلَ عن وظيفته ، وصاحب رسالة لم يقدر على إرسالها وتبليغها للفرد والجماعة، ورجل حركة لم يتمكن من تعميمها بين الناس ؛ لأنّه فقد مقومات النجاح الأصيلة ، وهي الخلق الحسن ، والحلم والكرم في الأداء ، والحلاوة في الحديث ، والطلاقة في الوجه ، والتلطف في العرض ، واللباقة والحذق والظرف في التعامل ؛ ولأنه لم يعرف كيف يخطب الودّ ، ويكسب القلب ، وينفذ في العقل ، ويفتح مغاليق الذهن ، ويجعل الناس على اختلاف توجهاتهم يُلَبُّوْنَ الدعوة ، ويستجيبون للفكرة ، ويرتاحونِ للموقف ، ويقتنعون بالحركة ، ويتأكدون من أنّ المُخَاطِبَ لن يغشّهم ، ولن يخدعهم ، ولن يتعامل معهم بوجهين .

تَبَنَّ – أيها الإنسان – الحلمَ وحسن الخلق في كل موقف في الحياة ، ترى النجاح يتساقط في ذيلك تساقط الأوراق في الخريف ، أو تساقط الندى في الليالي التي يسبقها المطر الغزير . ☆☆

إشراقة

إنّما الإنسان هو حسن الخلق

حسنُ الخلق ، وطلاقةُ الوجه ، وحلوُ المنطق ، والحلمُ والأناة ، صفاتٌ محمودة جدًّا ، يستطيع صاحبها أن يفتح بها الأقفال التي استعصى فتحها على الرجال ذوي الخبرة والحنكة . تستطيع أن تنتصر بها في كل معركة، وتهزم بها الجيش الذي لا يُغَالَبُ ، وأن تفاتح به القلوب المنغلقة ، والعقول المتحجّرة .

أما خشونةُ المنطق ، ويبوسة الوجه ، والشدة والغلظة ، فهي صفات مذمومة للغاية ، لا يمكن صاحبَها أن يخاطب القلوب ، وينفذ في نفوس المستمعين ، ويبلّغ رسالةً ما إلى الحضور ، مهما كان ذا عارضة قويّة ، وبيان أخّاذ ، وحديث ساحر ، ودليل باهر .

وإذا كانت الأولى محمودة في كل موقف ، ومؤثرة في كل مجال ؛ والثانية ممجوجة في كل موضع ، مرفوضة في كل وقت ؛ فإن حامل رسالة ومتبني دعوة ، أحوج ما يكون إلى التحلّي بالأولي ، والتخلّي عن الثانية ؛ لأنّ الفكرة المطروحة أمام الـمُخَاطَب على لسان حلو ، وفم عذب ، ووجه مبتسم ، مهما كانت مرة ، تكون مُتَلَقَّاةً بالقبول والاستحسان والتطبيق . أما الفكرة المعروضة على لسان خشن ، وبوجه عبوس ، وحديث فيه لون من الفظاظة ، تكون ممقوتة منبوذة ، مهما كانت حلوة في نفسها ، تخدم مصلحة العامل بها خدمة كاملة .

تستطيع أن تجعل الإنسان يستعذب السم الزعاف ، ويستحلي الماء المالح ، ويرضى بأن تقتله . وذلك بحديثك الليّن ، النافذ في القلب ، المتغلغل في الأحشاء .

حسنُ الخلق ، والتلطف في المقال ، والحلم لدى التعامل مع بني البشر ، سلاحٌ لا يفلّ ، وسيفٌ لا ينبو، وجوادٌ لا يكبو . من تخلّق بذلك فاز في كل مجال ، وانتصر في كل معركة ، وحقّق كلَّ ما تمنّاه ، ونال أكثر مما أمّله ، وأدرك ما لم يدركه غيره .

وكم من حكمة ضاعت ، ورسالة نبيلة أُهْدِرَتْ ، ومطلب شريف لم يتحقق ، وشرف رفيع لم يَنْجُ من الأذى ومن الرفض والتنكر ؛ لأنّ المتصدّي لعرضه لم يحظَ بحسن العرض ، ولباقة الأداء ، وجودة الطرح ، وحلاوة الخلق ، وفن كسب القلب ، والنفوذ في أعماق النفس ، والتأثير في العقل والوجدان والعاطفة .

(البقية على ص ٤٦)

أبو أسامة نور

بسم الله الرحمن الرحيم

أُدْعُ إِلَى سَبِيْلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وِالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَ جَادِلْهُمْ بِالَّتِيْ هِيَ أَحْسَنْ (القرآن الحكيم)

الداعي

مجلة عربية إسلامية شهرية

تصدر عن الجامعة الإسلامية دارالعلوم

ديوبند ، الهند

العـــدد : ٥

السنـــة : ٢٤

جمادى الأولى : ١٤٢١هـ

اغسطس : ٢٠٠٠م

تحت إشراف :

فضيلة الشيخ مرغوب الرحمن

رئيس الجامعـــــة

رئيس التحرير

نور عالم خليل الأميني

أستاذ الأدب العربي بالجامعة

الاشتراكات :

ثمن النسخة : ١٥ روبية هندية

قيمة الاشتراك السنوي

في الهند : ١٥٠ روبية هندية

وفي خارج الهند للأفراد : ٣٥ دولاراً

وللمؤسسات الحكومية : ٤٥ دولاراً

المراسلات :

رئيس تحرير مجلة الداعي

دارالعلوم ، ديوبند (الهند)

الرمز البريدي ٢٤٧٥٥٤

الهاتف ، والفاكس ، والبريد الالكتروني :

Ph. : (00-91-1336) 22429 / 22332

Fax : (00-91-1336) 22768

Web : http://www.darululoom-deoband.org

E-mail : darululoom_deoband@yahoo.com

Chief Editor

AL - DAIE

Arabic Islamic Monthly

Darul - Uloom,

Deoband - 247554

(U.P.) INDIA

المحتويات

كلمة المحرر

لو أُجرِيَ كشف حساب دقيق لكل ما جرى ويجري من مهزلة المسالمة ومسرحية الاتفاقيات الانهزامية فيما يتعلق بالقضية الفلسطنية التي كانت ولا تزال وستظل - إذا لم تحل في إطار المنظور الإسلامي الصحيح - القضية الإسلاميّة الأولى .. لو أجري هذا الكشف لعلم حتى الشارع الإسلامي العربي كله مدى فداحة الخسائر التي لحقت بالقضية ، وبالشعب ، وبالتراب ، ومدى زوال النخوة العربية والحمية الإسلاميّة ، ومدى تراجع الدعاوي العريضة والأقوال الزنانة التي ظل القادة والساسة العرب والمسلمون يطلقونها من أعمق مكان في حناجرهم .

خلال هذه الفترة الممتدة على سبعة أعوام من عقد اتفاقية " أوسلو " بين منظمة التحرير الفلسطينية والعدو الصهيوني ، و واحد وعشرين عاماً من عقد اتفاقية " كامب ديفيد " بين الرئيس المصريّ أنور السادات والعدو الصهيْوني اللعين ، لم تتلاشَ فقط اللاءات الثلاث التي انطلقت مدوية من مؤتمر الخرطوم ، وإنما تلاشت كثير من معاني الإباء والغيرة والحمية التي ظلت الخصيصة الشاخصةَ البارزةَ للعرب ، الذين هم مادة الإسلام أصلاً بموجب إعلان سيدنا عمر بن الخطاب الناطق بالصواب رضي الله عنه ، وللمسلمين كلهم.الذين عُجنتْ طينتهم بعناصرَ خاصّة غير التي عُجنتْ بها طينة عامة الجنس البشري العاديّ .

لقد مضى على المسلمين حين من الدهر أصدر فيه مؤتمرالقمة الإسلامي الثالث ، الذي عقد في مكة المكرمة ، في الفترة ما بين ٢٥-٢٨ يناير ١٩٨١م بياناً ختاميًا ، جاء فيه عن القدس:

" يقرر المؤتمر اعتبارَ قضية فلسطين جوهرَ مشكلة الشرق الأوسط وقضية الأمة الإسلامية الأولى ، ويؤكد الالتزام بتحرير كل الأراضي الفلسطينية والعربية المحتلة ، وعدم القبول بأيّ وضع من شأنه المساس بالسيادة العربية على مدينة القدس الشريف ، وعدم جواز انفراد أي طرف من الأطراف العربية والإسلامية بأيّ حل لقضية فلسطين وقضايا الأراضي العربية المحتلة "

فانظر مدى التراجع والاستسلام الذي فرضه العرب على أنفسهم ولا سيّما منظمة التحرير الفلسطينية التي اتخذت من نفسها ولية الأمر لأهل البيت - الفلسطينين - والتي وقعت في قعر تقنين الاحتلال الغاشم وإضفاء الشرعية على غصب العدو للأراضي ، ولحرمة القدس ، والكرامة العربية ، والإباء الإسلامي .

إن إلقاء نظرة خاطفة على المسلسل الانهزامي الاستسلامي المُعَنوَن بالمسالمة والمعاهدة مع العدو ، يكشف بوضوح أن العدو هو الذي كان الكاسبَ فوق ماتمناه وأن أصحاب الحقوق السليبة خرجوا بكل الخسائر ، وما هوآت هو أدهى وأمرّ

والذي يجب أن يضعه في الاعتبار كل متحرك في محيط القضية الفلسطينية أن أراضي فلسطين ليست إرثا له ورثه أبا عن جد ، وإنما هي إسلامية عربية بقرار رباني وحكم إسلامي وإجماع من علماء الأمة عبر التاريخ الإسلامي ؛ فلا يجوز لأحد أن يتصرف فيها تصرف المرأ في ملك أبيه

بين منهج و منهج للدعوة

الخلافاتُ الفرعية الجدلية ؛ والتركيزُ على الدعوة إلى مذهب معين من المذاهب أكثر من التركيز على الدعوة إلى الإسلام ؛ والتعاملُ بالبغض والعداء ، والحقد والكراهية ، وعواطف الثار ، والتعصب المذهبي المقيت ، والحسّاسيّة الزائدة ، مع المسلمين بل مع الدعاة والعلماء ؛ واتّهامُ بعضهم للبعض بالجهل والابتداع والإشراك ، والظاهريّة والسطحيّة ؛ وكذلك الاستعجالُ في الحكم على أحد ؛ وإساءةُ الظن بالغير ؛ والشعورُ بالعلو ظنًّا منه أنّه هو ومن هو على شاكلته وحده مسلم صحيح ، وغيره ومن هو على نهجه مسلم طالح أو مسلم ناقص : ربع أو نصف ؛ وعدمُ التسامح والتفاهم ؛ وإبداءُ القسوة والفظاظة والغلظة والجفاء نحو المدعو ، بدل التعاطف واللين ، والسماحة والمروءة ، والحرص على إرشاد الغير إلى الخير وانتشاله من التهلكة إلى النجاة .

كلُّ ذلك وغيره يُشكّلُ عقبة كؤودًا في طريق الدعوة، لا تدانيها أية عقبة من العقبات التي تعترض اليوم طريقَ الدعوة إلى الله.

نرى اليوم الدعاة يشكون شدّةَ إعراض الناس عن الدعوة التي تُعْرَضُ عليهم . ولو أنّهم تفقدوا أسبابَ الإعراض ، لوجدوا أن العقبات الداخلية هي التي تحول دونهم ودون الاستجابة للحق . والعقباتُ الداخلية هي تلك التي تُوْجَدُ في الداعي نفسه . والأمورُ التي أشرنا إليها في المقطوعة الأولى من كتابتي هذه ، هي في طليعة العقبات الداخلية التي تقف كصخرة الوادي في سبيل الدعوة والرسالة تُطْرَحُ أمام المخاطب .

إذا استعرضتَ مسيرةَ الدعوة الإسلامية منذ أن بدأها الداعي الأعظم سينا محمد ﷺ ، وجدتَ أن نجاحها الباهر إنما ظلّ مديناً للتسامح والتعاطف ، والحرص على هداية الإنسان ، وإخراجه من عبادة العباد ، إلى عبادة الله وحده ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ، ومن غضب الله إلى رحمته المُسَبِّبة دخولَ الجنة والنجاةَ من النار .

العطفُ على الإنسان ، والتألّمُ لحالته التعيسة ، كانا السببَ الرئيس وراء جميع المساعي الدعوية ، التي بذلها الداعي الأعظم ﷺ وصحابتُه ومن تبعهم بإحسان.

وقد شهد الأصدقاء والأعداء معًا أنّ الإسلام لم ينتصر بالسيف ، وإنما انتصر بالخلق الحسن ، والأدب الإنساني الطيب ، وروح المواساة ، و الحرص على خير الإنسان .

ولو تعامل أهلُه الأولون ومن لحقهم مع المخاطبين ، بالغلظة والجفاء ، وبالحقد والعصبية ، وعاطفة الثار ونشوة الانتصار ؛ لانفضّوا من حولهم ، و ولّوا أدبارهم ، ولم يتجاوبوا مع الدعوة هذا التجاوبَ المدهش ، وإنما ناصبوا له العداء ، ولم تكن الدعوةُ إلى دين الله لتعطي هذا المفعولَ الكبير وهذا

التأثيرَ العجيب .

الذي يَنْصِبُ نفسَه داعياً ، يجب عليه قبلَ كل شيء أن يقرأ سيرة الداعي الأول محمد ﷺ ، وسيرة المتخرجين في مدرسة الدعوة الأولى : صحابته الأبرار رضي الله عنهم . يجب عليه أن يُمْعِن النظرَ فيها ، ويتشرّبها ، ويصدر عنها في أعماله وأقواله ، حتى يظفر بنصيبه من النجاح الذي ينشده من وراء تصدّيه للقيام بالدعوة .

إن الداعية الغنيّ عن السيرة النبوية ، ومنهاج القول والعمل ، الذي اختاره رسول الله ﷺ وصحابتُه، لن يكسب النجاحَ المطلوب ، مهما كان ثريًا في العلم والمعرفة ، حريصًا على الدراسة والاطلاع ؛ لأن الدعوةَ عملٌ لا يفعل فعلَه بمجرد العلم ، وإنما عمادُها في النجاح على حسن السيرة ، وجميل السلوك ، وحلو الأخلاق ، والحرص الصادق على جلب الخير للخلق الذي هو عيال الله ، وإنقاذ البشرية من المصير الأسود الذي ينتظرها إذا لم تَعُدْ إلى الصراط المستقيم .

أسوأ الأدواء في الداعية ، أن يكون مصاباً بداء العلو والاستكبار ، ومتعاملاً مع المخاطب بالبغض والعداء، والتناحر مع إخوانه الدعاة . إنّ الأجدرَ بمثله أن يقعد عن الدعوة ؛ فلا يسيء سمعتها بتصرفاته الخرقاء ، ولا يجعل الطريق مسدودًا أمام غيره من الدعاة الأصلاء ، المتمتعين بالمؤهلات الدعوية الصحيحة .

☆ ☆ ☆

في الفترة ما بين ١٤٢١/٣/١١هـ و ١٤٢١/٣/٢٢هـ الموافق ٢٠٠٠/٦/١٤م و ٢٠٠٠/٦/٢٥ عقدت وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية دورة في اللغة العربية ، بجامعة " هام دارد " Hamdard بدهلي الجديدة ، دُعِيَ للاشتراك فيها نحو ثلاث مائة عالم باللغة العربية ، عامل على نشرها كتابةً وخطابةً وتدريسًا.

وحَاضَرَ فيها عددٌ من أساتذة العرب يجمعون بين العلم باللغة العربية ، والعمل على نشر الدعوة الإسلامية، والحرص على توسيع رقعة اللغة العربية والدعوة الإسلامية ، في هذه الديار التي يفوق عددُ المسلمين فيها عددَ المسلمين في أيّ دولة إسلامية .

وركّز الأساتذة والمشايخ جميعاً اهتمامهم في محاضراتهم ، إلى جانب اللغة العربية ، على العقيدة والتفسير والفقه ؛ كما عُقِدَتْ ندوة علمية على مدى عشرة أيام لمدة ساعتين كل يوم ، تناولت شتى مواضيع الدعوة والفكر الإسلامي .

وظل اللافتُ في هذه الدورة طَوَالَ فعّالياتها ، هو المنهج المشرّف الذي التزمه المشايخ والأساتذة العرب كلهم ، خلال محاضراتهم وبحوثهم و نقاشاتهم وطروحاتهم ؛ حيث تقيدوا بالاعتدال والهدوء ، والحلم و الأناة ، واللين والسماحة ، والاجتناب من كل ما من شأنه إثارة الجدل العابث ، والقيل والقال ، وكثرة السؤال ، وسوء المآل ، والعصبيّة المنتنة لمذهب أو موقف يتبنّاه شريحة دون شريحة من المسلمين .

فرغمَ أنّ عددًا من الإخوة المنتمين إلى مذهب آخر غير المذاهب الأربعة المعروفة المُتَّبَعة في أغلب أقطار العالم ، حاولوا من حين لآخر أن يختلقوا جوًّا يتمكّنون فيه من إثارة غبار أو ضباب يسمح لهم بانتقاص أحد من المذاهب الأربعة ، أو وصفه بأنّه شيء مُحْدَث لم يكن مُتبعًا حتى على عهد الصحابة رضي الله عنهم ، فضلاً عن وجوده على عهد رسول الله ﷺ ؛ لكن الأساتذة والمشايخ العرب لم يلتزموا

تَحاشِيَ كلّ موقف يكمن أن يُشجِّع هؤلاء الإخوة لحسبُ ، وإنّما أكّدوا دائماً أنّ المذاهب الأربعة ، وغيرها من المذاهب التي لم تنتشر انتشارَها ، ولم تُدَوَّن تدوينَها حقّ ؛ وأنّ كلها قائمة على دلائل مُعْتَبَرَةٍ من الكتاب والسنة ، متمسكة بأصول الشريعة ؛ وأنها ليست باطلاً يقابله الحق ؛ وأنّ الأئمة الأربعة : أبا حنيفة والشافعيّ و مالكاً وأحمد بن حنبل وغيرهم – رحمهم الله جميعًا – كانوا أئمة الحق والهدى ، أضفى الله على مذاهبهم وأعمالهم الاجتهادية قبولاً ، و وضع لهم الحبّ في الأمة ؛ وأنّ انتقاصَ شأنهم والإساءةَ إليهم و التطاولَ عليهم ، إنما هو انتقاصٌ لأعلام الإسلام وأئمة الحق والتقى والهدى ؛ وأنّ الأئمة بدورهم أكّدوا أن دليلاً من الكتاب والسنة إذا عارض قولاً من أقوالهم فهو – قولهم – مردود ؛ ولكن يجب أن يقوم بعمليّة الردّ هذه – إذا مست الحاجة إلى الردّ – من هو أهله من العلماء الراسخين، الفاهمين فهمًا دقيقًا لعلوم الكتاب والسنة ، والعالمين علمًا صحيحًا بنصوصهما ودلالاتهما وإشاراتهما ؛ ولا يجوز ذلك لكل من هبّ ودبّ من العلماء الذين لم يستقم فهمهم ، ولم يرتقِ علمهم وعملهم إلى المستوى المطلوب ، فضلاً عن العوام والجماهير الذي لا يعرفون أبجديات الشريعة ومبادئ الإسلام .

وقد أكّد الأئمةُ والعلماءُ الراسخون أنّ مذهبًا من المذاهب الفقهية لا يُدْعَى الناسُ لاتّباعه دعوتَهم إلى اتّباع الإسلامِ والتمسكِ بما جاء في الكتاب والسنة ؛ وإنّما الطريق مفتوح أمامهم لاتباع أيّ منها يرونهم أولى وأسهل و أقرب إلى الدلائل .

فالموقفُ الأحسنُ أن تُشْرَحَ لهم الدلائل ، وأن يُبَيَّنَ لهم ما جاء في صحيح الكتاب والسنة ، ويُتْرَكَ لهم الخيارُ أن يتّبعوا ماشاؤوا من المذاهب الأربعة أو غيرها من المنهج الذي يُوْصَفَ بأنّه منهج الكتاب والسنة الأصيل.

ولكن لا يجوز أبدًا أن يُنْتَقَص شأنُ أيّ من العلماء والأئمة ؛ لأنهم أئمة الإسلام ، وخَدَمَةُ الدين، أجرى الله على أيديهم خيرًا كثيرًا ، ونفع بهم الخلق ، وقيّضهم لدراسة الكتاب والسنة وفهمهما ، والتعمق فيهما ، والتوفّر على المقارنة بين الدلائل والعلل ، واستنباط المسائل في ضوء تلك الدلائل ، وبالتالي تسهيل العمل بالشرائع على الأمة ؛ فهم مأجورون وإن أخطأوا في الاجتهاد ؛ فقد يخصّ الله بعض العلماء من العلم والفهم بما ليس عند الآخر .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى :

" فطاعةُ الله ورسولِه ، وتحليلُ ما أحلّه الله ورسوله ، وتحريمُ ما حرّمه الله ورسوله ، وإيجابُ ما أوجبه الله ورسوله ؛ واجبٌ على جميع الثقلين : الإنس والجنّ ، واجبٌ على كل أحد في كل حال سرًّا وعلانيةً ؛ لكن لمّا كان من الأحكام ما لا يعرفه كثير من الناس ، رجع الناسُ في ذلك إلى من يُعَلِّمُهُمْ ذلك ؛ لأنّه أعْلَمُ بما قال الرسول ، وأعْلَمُ بمراده ؛ فأئمةُ المسلمين الذين اتّبعوهم ، وسائلُ وطرقٌ وأدلّةٌ بين الناس وبين الرسول ، يُبَلِّغُوْنَهم ما قالـه ، ويُفَهِّمُوْنَهُمْ مرادَه ، بحَسَب اجتهادهم واستطاعتهم. وقد يخصّ الله هذا العالِمَ من العلم والفهم ما ليس عند الآخر" (١)

☆ ☆ ☆

وبما أنّ شبه القارة الهندية ، معظمُ المسلمين فيه إنما يتبعون الإمام أبا حنيفة رحمه الله في فقهه واجتهاداته ؛ فعاد أخيرًا بعض الإخوة – الذين لم

(١) الفتاوى الكبرى لابن تيمية ، ج ٢ ، ص ٢٣٩ ، ط: دار الكتب الحديثة، جمهورية مصر العربية .

بسم الله الرحمن الرحيم

أُدْعُ إِلَى سَبِيْلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَ الْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَ جَادِلْهُمْ بِالَّتِيْ هِيَ أَحْسَنُ (القرآن الحكيم)

الداعي

مجلة عربية إسلامية شهرية

تصدر عن الجامعة الإسلامية دارالعلوم
ديوبند ، الهند

العــــدد : ١

السنـــة : ٢٤

محـــرم : ١٤٢١هـ
أبـــريـــل : ٢٠٠٠م

تحت إشراف :

فضيلة الشيخ مرغوب الرحمن
رئيس الجامعـــــة

رئيس التحرير

نور عالم خليل الأميني
أستاذ الأدب العربي بالجامعة

الهاتف والفاكس

Ph. : (00-91-1336) 22429 / 22332
Fax : (00-91-1336) 22768,

الاشتراكات :

ثمن النسخة : ١٥ روبية هندية

قيمة الاشتراك السنوي

في الهند : ١٥٠ روبية هندية
و فى خارج الهند للأفراد : ٣٥ دولاراً
و للمؤسسات الحكومية : ٤٥ دولاراً

المـراسلات :

رئيس تحرير مجلة الداعي
دارالعلوم ، ديوبند (الهند)
الرمز البريدي ٢٤٧٥٥٤

Chief Editor
AL - DAIE
Arabic Islamic Monthly
Darul - Uloom,
Deoband - 247554
(U.P.) INDIA

في دكن. فكان حضرة المولوي وحيدا فريداً طوال أربعة أجيال.

خصاله وصفاته :

"وحضرة المولوي" منذ نعومة أظفاره: ذكي مفرط الذكاء عالي الهمة، ماضي العزيمة وصارمها، جلد، صبور، مقدام. نشيط، داهٍ، يفوق زملاءه في الكتّاب، أولهم جمعاً للقرآن وأجودهم خطًّا ، مائل إلى الإنشاد ميلاً عظيماً، قَرَضَ بعض ألعابــه وقصصــه وسَجّله، ونسخ عدة كتيبات

اجتماعه بالشيخ الحاج / إمداد الله :

وبحكم العلاقة التي تربطه بالشيخ / إمداد اللّه نسباً – فقد كان له خؤولة في أسرتنا، وأخته متزوجة فيها– كان يختلف كثيراً إلى "نانوته" فيدخل عليه، فيبدي له حبّه البالغ وإخلاصه تجاهه. وتلقينا جميعاً تجليد الكتب من الشيخ / إمداد اللّه، وجَلّدنا ما نسخناه مِن الكتب بأيدينا

وشهد وطننا كارثة حيث تبنى الشيخ / تفضل حسين التشيعَ وهو يشاركنا في العقارات، فاختلف مع الشيخ / غلام شاه – جد "حضرة المولوي" – فأصاب الشيخ ُ فصيح الدين – خالُ "حضرة المولوي" – "تفضل حسين" بجراحاتٍ قضت على حياته. ورغم أن القضية مرت بسلام ولم يصدر الحاكم عقوبة على أحد إلا أن الخصومة اشتدت وطأتها من ذى قبل، وخيف على "حضرة المولوي" الشرَّ من أعدائه. فوجّه إلى ديوبند، حيث كان المولوي / مهتاب علي اتخذ من بيته كُتّاباً، يقرأ فيه "نهال أحمد" على الشيخ / كرامت حسين. فبدأ "حضرة المولوي" دراسته عليه في نفس الكتّاب، ثم تحول إلى جده لأم، في سهارن فور، ومكث بها يقرأ على المولوي / محمد نواز السهارن فوري الكتب الفارسية والعربية للمرحلة الابتدائية.

وفي تلك الأيام(٤) قصد والدي رحمه الله مكة المكرمة حاجا، فقضيت مدة سنة في الوطن، وقد كنت جمعت القرآن آنذاك، غير ضابط، فلبثت أضبطه وأتثبت منه. ورجع "حضرة المولوي" من سهارن فور إلى الموطن، وقد مات جده لأمه حينئذٍ، ضحيةً للحمى المعدية التي أكلت نفوساً كثيرة. فرافقت "المولوي" في تلك الأيام، فوجدته مرِساً فائقاً في الألعاب كذلك، سواء ما يتطلب منها الدهاء أو الجهد، يفوق أصحابه ويغلبهم. ولن أنسى تلك اللعبة التي عرفت بـ "لعبة الدهاء"، لا يجيدها إلا المرس الدرِب. أما نحن الحديثو العهد بها فلم يكن حظهم منها إلا الخيبة وتقليب الأكف. وأخذ "حضرة المولوي" يتصرف في أصولها ويضبط ضوابطها حتى أتقنها فلم يهزمه أحد فيما أذكر، وأقصى ما يكون التعادل بينه وبين خصمه. فلم يدع لعباً من الألعاب إلا بلغ به ذروة الكمال.

وباب بيته يفتح في سكة وحشة عرفت بتغلب الشيطان عليها، و "حضرة المولوي" لا يرجع إلى بيته إلا مؤخراً في الليل غير خائف ولا وجل.

قدومه دهلي وبدأه كتاب الكافية في النحو :

عاد والدي من الحج، فأبدى له رغبته في استصحابه إلى دهلي، فرضيت أم "حضرة المولوي" بذلك. فما كان من الوالد إلا أن خرج به من الوطن في آخر أيام ذي الحجة عام ١٢٥٩هـ.

وصل "حضرة المولوي" دهلي فى الثاني من محرم عام ١٢٦٠هـ، وفي الرابع منه بدأ دراسته بـ "كتاب الكافية" فى النحو، وبدأت أنا دراستى بـ "الميزان" في النحو، و بـ "كلستان" في الفارسية. وكان الوالد أمر "حضرة المولوي" أن يستمع ما كنت أدرسه من الأبواب الصرفيه في الميزان، وتعليلاتها. وقد تعودنا المناقشة في الأبواب الصرفية والأعاريب

يتعمقوا في علوم الكتاب والسنة ونصبوا أنفسهم مجتهدين – يتنقدون الفقهَ الحنفي خصوصًا وفقهَ المذاهب المُتَّبَعَة الأخرى عمومًا، ويصفونه بأنه شيء مُحْدَثٌ في الدين ، وأنه ينبغي نبذُه كليًّا في سلّة المهملات ، وأنّ الطريق الصحيح هو استنباط المسائل رأسًا من الكتاب والسنة .

وقد فاتهم أن يدركوا أنّ المذاهبَ الأربعة مستقاة رأساً من الكتاب والسنة ، وأن استقاء المسائل منهما رأسًا لا يتأتّى لكل أحد من رجال الشارع ، وإنّما يقوم بهذا العمل الجليل من هو أهلُه من العلماء الراسخين الصالحين ، الذين لا يُوْجَـدُوْنَ بهذه السهولة التي يَحْسَبُوْنَها .

وخلالَ مختلف جلسات الدورة المذكورة أعلاه، نهض عدد من الإخوة الذين يحلو لهم أن يُعْطُوْا كلَّ أحد حقَّ الاجتهاد مهما كان مبلغُه من العلم والعمل، وتناولوا في شتى المواقف الفقهَ الحنفيَّ بأسلوب من الاستهزاء ، الّذي لم يكن قطّ سبيلَ أهل العلم لدى السلف الصالح مهما اختلفوا في القضايا العلمية والشرعيّة ؛ لأنهم لم يكونوا يستندون لدى الاختلاف إلى الجدليّة العقيمة ، والنقاش الأجوف ، والعصبية الفكريّة ؛ وإنّما كانوا يستندون إلى الدلائل ، ويتحاكمون إلى المبادئ الشرعيّة .

☆ ☆ ☆

إذا كنا نحن العلماء حريصين حقًّا على الحق ، فإنّه يجب علينا أولاً وقبل كل شيء أن نراعي الأمور التالية:

١– الداعيةُ يجب أن يكونَ متسامحاً ، ليّن الجانب ، حلو المنطق ، حسن الخلق ، لطيف التعامل ، آلفًا مألوفًا ، لا نافرًا مُنفّرًا ، يسع الناسَ على اختلاف دياناتهم ومذاهبهم بأخلاقه ؛ لأنه لن يسعهم بماله ونواله ودهائه .

٢– إذا كان الداعيةُ يؤمن بأنّه هو وحده على الحق ، وغيره على الباطل أو على ما هو مزيج من الحق والباطل ، ويحرص على أن يُصَدِّرَ حقّه الخالص إلى غيره ، ويجعله يؤمن به ويتّبعه ؛ فعليه أن يعرضه عليه – على غيره – بالأسلوب الذي أقرّه كتاب الله عزّ و جلّ : بالحكمة والموعظة الحسنة ، فيعرضه عليه بشكل يتسم بالعطف واللطف والمواساة ؛ ويجتنب كلَّ أسلوب ينمّ عن الاستهزاء والاحتقار ، والإثارة والتجهيل ، ويحترز أن يصدر عن التفاخر والتكبّر والشعور بالعلوّ ؛ لأنّ ذلك يجعل المخاطب يرفض ما يُدْعَى إليه رفضًا قاطعًا ، ويثور حقدًا ، ويتفجّر غضبًا، وينهض للانتقام من الداعية ، ومقاومة دعوته بكل ما يملكه من وسائل .

٣– العلماء الصالحون من السلف ، كلّهم ظلوا يحترمون بعضهم بعضًا ، حتى العلماء الراسخون أمثالُ ابن تيمية وابن قيم الجوزية رحمهما الله تعالى، الذين دعوا دعوة قوية إلى الاستقاء من الكتاب والسنة ، أوجبوا على المسلمين احترام الأئمة كلهم ومعرفة الجميل لجميع العلماء الذين قيّضهم الله تعالى لخدمة الشريعة الإسلامية والعناية بالفقه والاجتهاد .

فإذا كنّا نحترم السلف وننتمي إليه انتماءً صارخًا، يجب أن نتقيد بمذهبهم في الاحترام للأئمة والأعلام ، وأن نتحاشى الإساءةَ إليهم أو إلى مذهبهم الفقهي ، مع العمل بالمذهب الذي نراه نحن أحقَّ بالاتباع ، وأجدرَ بالعمل ، وأقربَ إلى الكتاب والسنّة .

٤ – الأمّة اليوم تعيش تحديات حضاريّة ثقافية عقديّة لم تعشها قط في الماضي ، ومواجهتها تتطلب الوحدةَ والتضامنَ ، والتماسكَ والتعاونَ ؛ ولكنها تعيش أسوأ نوع من التفرق والضياع ، فلنحاول نحن

العلماء – بصفتنا مسؤولين عن قيادة الأمة بشكل صائب وتوجيهها توجيهًا سليمًا – أن لا نجعلها أكثرَ تشتتًا وضياعاً ؛ لأن اتحادَ الأمة وتضامنَها أثمن شيء في حياة الأمة بعد الإيمان بالله تعالى .

٥ – إذا كنا نحن العلماء يتعيّن علينا قبل كل أحد ، أن نعض على التوحيد بالنواجذ ، وإفراد الله تعالى بالعبادة والعبودية ، لكونه العمود الفقري في الإيمان ، والغرض الأصيل الذي تركّزت عليه دعوة الأنبياء والرسل كلهم ؛ فإنّه يجب أن نتحاشى أن نتخذ بدون شعور منّا ، من دون الله أندادًا ؛ فنجعل مذهبًا من المذاهب ، أو حركةً من الحركات ، أو دعوةً من الدعوات ، إلهًا يُعْبَدُ ، وصنمًا تُقَدَّمُ له القرابين ، فنجاهد من أجله ، و نبذل المال والجهد والوقت في سبيله ، ونعادي بني عقيدتنا للانتصار له .

٦ – عند الدعوة إلى التمسك بالكتاب والسنّة يجب أن نلاحظ دائمًا أن المذاهب الأربعة وغيرها من المذاهب الفقهية كلها ، مستنبطة من الكتاب والسنة، وقائمة على أساس الأصول الشرعيّة ، وقد اعترف بذلك عبر التأريخ الإسلامي جميعُ الأئمة والعلماء الذين اعتدّت الأمة بعلمهم وعملهم ، ولم يشذّ عنهم إلاّ أمثالنا المعاصرين (٢) السطحيين ، القليلي العلم ، الضئيلي البضاعة من العمل .

فالتركيزُ على الدعـوة إلى الكتاب والسنة ومحاولة العودة بالأمة إليهما ، يجب أن لا تكونا ذريعة إلى انتقاص المذاهب الأربعة وأصحابها الأجلاء الذين تلقتهم الأمة بالحبّ والقبول ؛ لأنهم لم يَدْعُوْا إلى اتباع ذواتهم أو اتباع الأهواء ، أو عبادة الشيطان ، أو التحاكم إلى الطواغيت ؛ ولأن فقهم ليس مستنبطًا من غير الكتاب والسنّة : من الكتاب المقدس المحرف الموجود لدى اليهود والنصارى ، أو كتب الهندوس الدينية ، أو مخلفات القوانين الوضعية لدى اليونان والرومان ، أو الغرب المتبجح أو الشرق المتأنّف ، وإنما هو مستخرج من صميم الكتاب والسنة ، وقائم على دلائل شرعية واضحة .

علمًا بأنّ الفقهاء إنما كانوا شارحين للأحكام ، مبينين لمدلولات الكتاب والسنـة ، ولم يكونوا شارعين . ومن اعتبرهم شارعين مستقلين ، فهو ضالّ غير مؤمن بما جاء به محمد ﷺ .

٧ – لدى الدعوة إلى الإسلام أو إلى المنهج الصحيح من الحديث والقرآن ، ينبغي لنا نحن العجم أن نسير سيرة العلماء والدعاة العرب الذين ، هم مجبولون على أدب الحوار ، وعلى الطرح الجميل ، وعلى الخلق الحسن ، واللين والسماحة ، وعلى فن كسب القلوب ، والانتصار على الخصم بسلاح السلوك الجميل .

ينبغي أن نتجرّد نحن العلماءَ (٣) والدعاةَ العجمَ من داء الشعور بالعلو والخيلاء ، وداء الأنانية ، و داء الحسد والبغض والغضب ، والغلظة والفظاظة ، الذي كأنه أحد العناصر التي خُضِّرتْ منها مقومات حياتنـا .

إننا نحن العجم متطرفون حتى في عرض الدعوة وطرح الرسالة . نتبع المنهج الأخرق حتى في مجال التعليم والتبليغ ؛ والعربُ الكرام – الذين بُعِثَ منهم النبي الخاتم محمد ﷺ واجْتُبُوْا لصحبته – هم الذين أُوْدِعُوْا كرمَ الأخلاق ، ولطفَ المعاملـة ، ولباقـةَ التعاطي مع المجتمع البشري .

فليكونوا قدوةً لنا اليوم ، كما كانوا بالأمس .

نور عالم خليل الأميني

(٢) نُصبت هذه الكلمة وما بعدها على التخصيص .

(٣) نصبت هذه اللفظة وما بعدها على التخصيص .

خصائص مصادر المعرفة في الفكر الإسلامي

بقلم : الدكتور عثمان جمعة ضميرية

تمهيد :

تتنوع مصادر المعرفة وطرق العلم إلى طرق ثلاثة ؛ وهي الخبر الصادق ، والحواس ، والنظر أو العقل ، ولكلٍّ منها مجال في الحكم والعمل ، كما أن لكل منها خصائص من حيث الشمول واليقين .

فالخبر الصادق : يتناول الكليَّات والمعيَّنات ، والشاهد والغائب . فهو أعمُّ وأشمل من الحس والنظر أو العقل . لكن الحسَّ والعيان أتمُّ و أكمل ، في الحواسِّ نفسها قد تختلف الأنظار.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية[١] – رحمه الله – :

وقد تنازع الناس في السمع والبصر : أيهما أكمل ؟

والتحقيق في هذا الباب : أن العيان أتم وأكمل، والسماع أعم وأشمل . فيمكن أن يعلن بالسماع والخبر أضعاف ما يمكن علمه بالعيان والبصر أضعافًا مضاعفة .

ولهذا كان الغيب كله إنما يعلن بالسماع والخبر ثم يصير المغيب شهادة ، والمخبر عنه معايناً ، وعلم اليقين حق اليقين .

والمقصود هنا: أن الخبر أيضًا لا يفيد إلا مع الحس أو العقل فإن المخبر عنه إن كان قد شوهد كان قد علم بالحس وإن لم يكن شوهد فلا بد أن يكون قد شوهد ما يشبهه من بعض الوجوه ، وإلا لم يعلم بالخبر شيء . فلا يفيد الخبر إلا بعد الحس والعقل ، فكما أن العقل بعد الحس ، فالخبر بعد العقل والحس ، فالإخبار يتضمن هذا وهذا ، وكما أنه ليس كل ما علم بالقياس والعقل والاعتبار يمكن الإحساس بواحد واحد من أعيانه ، فكذلك ليس كل ما علم بالخبر والسماع يمكن اعتباره بالقياس ، إما لعدم النظير له من كل وجه ، وإما لغير ذلك .

ثم إذا كان الخبر صادقاً لا كذب فيه أُمِن معه من الانتقاض والفساد ، بخلاف القياس ، فإن كثيراً مما يبنى فيه على قضايا كلية تكون منتقضة ، وإن كان فيه ما ليس منتقضاً .

فليس كل شيء يمكن علمه بالقياس ، ولا كل شيء يحتاج فيه إلى القياس ، ولهذا قال الأئمة : ليس في المنصوصات النبوية قياس ، ولا تعارض بالأمثال ، ولا تدرك بالعقول .

فأما كونها لا تعارض بالأمثال المضروبة ، فهذا يعني : أن المنصوص الصريح لا يعارضه دليل عقلي

صحيح . وأما أنها لا تدرك بالعقول : فإن نفس الغريزة العقلية التي تكون للشخص قد تعجز عن إدراك كثير من الأمور ، لا سيما الغائبات ، فمن رام بعقل نفسه أن يدرك كل شيء كان جاهلاً ، لا سيما إذا طعن في الطرق السمعية النبوية الخبرية .(٢)

وسيلة التعرّف على الموجودات :

وإذا كنا نتعرف على عالم الشهادة والمحسوسات بتلك الطرق الثلاثة السالفة ، لأن الله سحانه وتعالى قد زودنا بهذه الأدوات التي نستخدمها للتعرف على عالم الشهادة ، فإن عالم الغيب الذي لا يقع تحت الحس المباشر ولا غير المباشر ، لا نستطيع عليه بحواسنا هذه ، لأنه حال كونه غيبًا : لا يقع تحت الحواس ولا يخضع للتجربة المادية ، وإنما نستدل عليه بالخبر اليقين الصادق الذي جاءنا عن طريق الوحي ، إذ الفطرة السليمة المؤمنة تتلقى معرفة ذلك بالتسليم، كما نستدل على وجوده أيضًا بالآثار التي تدل عليه ، إذ الأثر يدل على المؤثر .(٣)

وإذن : فكل طريقة من تلك الطرق السابقة يمكنها أن تفتح لنا نافذة لمعرفة جانب من جوانب العالم ، وكل وسيلة تكمل الأخرى وتؤكدها ، إن تواردتا معاً على جانب معيّن ، وليس هناك أي مسوغ لجحد طريقة من أجل العناية بأخرى ، أو نشوب صراع بينهما ، كما حدث في الفكر الجاهلي الغربي .

الصراع بين العقل والدّين والحس في الفكر الأوروبي:

وقد تتبع الدكتور محمد البهي ــ رحمه الله ــ مراحل الصّراع بين العقل والدين أو النص والحس في الفكر الأوربي فقال :

" مضت على التفكير الأوربي منذ القرن الرابع عشر الميلادي إلى الآن ، مراحل شهدت فيها العقلية الأوربية صراعاً فكرياً ، واتجاهات عقلية مختلفة تدور حول تبرير مصدر من مصادر المعرفة التي عرفتها البشرية في تاريخها حتى الوقت الحاضر ؛ وهي : الدين والعقل والحس أو الواقع .

وفي كل مرحلة من هذه المراحل ينشأ سؤال عن قيمة أي واحد من هذه الثلاثة كمصدر للمعرفة المؤكدة أو اليقينية ، ثم يكون الجواب على هذا السؤال إيجاباً أو سلباً ومن السؤال وما يدور حوله من جدل وأخذ ورد تتكون المذاهب الفلسفية التي تعبر عن قيمة المصدر الذي وضع للاختبار والتقدير".(٤)

وبانتهاء القرن الثامن عشر وظهور فجر القرن التاسع عشر الميلادي : تميز الفكر الأوروبي بالاتجاه نحو التفكير الوضعي وسيادة الطبيعة على الدين والعقل معاً ، فكانت الوضعية كنظرية فلسفية في دائرة المعرفة هي المذهب السائد في الفكر الأوروبي لمعارضة الكنيسة الكاثوليكية في أوربا ومعارفها الدينية، فما لا يقع تحت الحواس ينبغي ــ بنظرهم ــ أن يكون خارجاً عن دائرة الإيمان ، لأنه غير قابل للتفسير ولا يخضع للتجربة الحسية ، إذ يرى المذهب التجريبي الذي عرف به الفيلسوف الاسكتلندي هيوم (١٧١١ ــ ١٨٨٦) والذي نشأت عنه الفلسفة الوضعية : أن تحصيل الإنسان للحقائق الكونية

ومعرفته بها لا يكون إلا بالتجربة الحسية وحدها .

ومعنى ذلك : أن الحس المشاهد ـــ لا غيره ـــ هو مصدر المعرفة الحقيقة اليقينية . ففي العالم الحسي تكمن حقائق الأشياء . أما التزاع المعرفة مما وراء الظواهر الطبيعية الحسية ، والبحث عن العلة في هذا المجال فأمر يجب أن يرفض ولهذا تكون كل نظرية أو كل فكرة عن وجود له طابع الحقيقة واليقين ـــ فيما وراء الحس ـــ نظرية أو فكرة مستحيلة .(٥)

ولذلك يرى أوغست كونت أن تعاليم الأديان يمكن تلخيصها في معتقدين : الله والخلود . ثم يستخلص فكرة واحدة شاملة هي الإنسانية . فالإنسانية هي الفكرة الوضعية المتطورة لفكرتي : الله والخلود .

ويعتقد كونت أن الإنسانية إذا فهمت على هذا النحو فإنها تكون هي نفسها الإله الذي ينشـده النـاس .

وبذلك يصل كونت إلى هدفه المراد : وهو إلغاء العقائد الدينية الغيبية وكل ما يتصل بها من أخلاق ونظم اجتماعية ، واعتبارها أفكاراً وأوهاماً غير واقعية وغير نافعة ، وإنما تعبر عن الصورة غير المكتملة للإنسانية في مرحلة دنيا من مراحل تطورها .(٦)

ويذهب ماكس مولر ، أيضاً ، إلى أنه لا شيء يتحقق في عقيدة الإنسان ما لم يكن قد أتى من قبل عن طريق حواسه .(٧)

وإذن فقد سجن الإنسان ـــ الأوروبي ـــ نفسه بطريقة تحكمية في حدود حواسه الخمس منذ عهد النهضة .(٨)

التوازن بين مصادر المعرفة في الإسلام :

ولئن تأرجح الفكر الغربي في نظرته لمصادر وتغليب واحد منها على الآخر ، إلى درجة إنكاره أو إنكار قيمته العلمية ـــ كما رأينا ـــ ... إن الإسلام ـــ وهو منهج الله تعالى للبشرية الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ـــ قد رسم للإنسان منهجاً متكاملاً متوازناً في المعرفة ومصادرها ، يخاطب فيه جميع مكوناته ويستثير كل منافذ الحس والفكر والروح ، لتتعانق كلها وتأخذ بيده ، فتضعه على الجادة من طريق المعرفة واليقين .

فالإسلام لم يهمل أو يغفل مصدراً واحداً من مصادر المعرفة ، كما أنه لم يبرز دوره على حساب سائر المصادر الأخرى ليلغيها أو يلغي واحداً منها ، وإن كان يعطي كلاً حقه ويحدد له المجال الذي يعمل فيه .

" والنظرية الإسلامية تؤمن بإمكان المعرفة وبصحة استخدام وسائلها في المجالات المشروعة لها وبالتالي بإمكانية اليقين " .(٩)

وفي كيان الإنسان طاقتان فطريتان : الإيمان بما تدركه الحواس ، والإيمان بما لا تدركه الحواس ، وكلتاهما طاقة إنسانية أصيلة ، فالحيوان لا يؤمن بشيء من الأشياء ، ومع ذلك فالإيمان بما تدركه الحواس ليس هو مزية الإنسان العظمى ، إذ هو أقرب في طبيعته للطاقة الحسية المشتركة بين الإنسان والحيوان ، أما القدرة على الإيمان بما لا تدركه الحواس فهو المزية الأساسية للكائن البشري ، والموهبة العظمى التي وهبها الله تعالى للإنسان .(١٠)

فإذا كانت الحواس منافذ يتعرف الإنسان بواسطتها على العالم المُحسّ من حوله بالتجربة لكل ما يخضع للتجربة المادية ، فإن العقل له دوره في الحكم على كل ما يستطيع أن يحكم عليه بحدود طاقته وبحكم محدوديته في الزمان والمكان والكيفية .

أما ما وراء ذلك من عالم الغيب ، ومما لا يقع تحت الحواس ، ويعجز العقل البشري ــ رغم مكانته وقدرته ــ عن تفسيره والوصول إلى حقيقته فإن الوحي هو الذي يحيط علماً بكل هذا . ولذلك يقوم الإسلام والإيمان على أساس التصديق بالنبوة والوحي، وبهذا يستطيع من يهتدي بالعقل أن يفسر هذا الوجود تفسيراً صحيحاً وأن يصحح نظرته للكون والحياة والإنسان. (١١)

ولذلك لم يهمل الفكر الإسلامي قيمة واحد من مصادر المعرفة وطرق العلم . فهو يؤكد عليها كلها مجتمعة ، ولكل منها مجاله ، وإن كان الوحي هو الذي يحكم عليها كلها ويعطي حكماً قاطعاً في كل ما يحكم عليه .

وحتى المنهج العلمي التجريبي والاعتماد على الحس : له مكانته في الفكر الإسلامي . وفي كتاب "التقريب في حدود المنطق " يؤكد العلامة ابن حزم الظاهري أن الحس أصل من أصول العلم . وابن تيمية يبين في كتابه المسمى " نقض المنطق " أن الاستقراء هو الطريقة الوحيدة الموصلة إلى اليقين . وهكذا قام المنهج التجريبي القائل بأن الملاحظة والتجربة هما أساس العلم وأصله ، لا التفكير النظري المجرد . فالزعم بأن أوروبا هي التي استحدثت المنهج التجريبي زعم خاطئ . وقد اعترف بهذه الحقيقة أساطين العلماء والمؤرخين للحركة العلمية والمنهج العلمي . (١٢)

الهوامش :

(١) درء تعارض العقل والنقل ٣٢٢/٧ ــ ٣٢٦ .

(٢) ولذلك جاء التحذير من أن يتكلم المرء في أصول الدين بل وفي غيرها بغير علم. قال الله تعالى : " ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا " (الإسراء، ٣٦) ، "ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير" (الحج ، ٨) . "إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى" (النجم ، ٢٣) . وانظر : شرح العقيدة الطحاوية ص ١٧٩ ، وما بعدها .

(٣) عقد العلامة ابن خلدون في الباب الأول من مقدمته المشهورة المسألة السادسة في أصناف المدركين للغيب من البشر الذين يخبرون عن الغيب بما يعطي علماً يقينياً كالأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وفيها فسر حقيقة النبوة والوحي وذكر أصناف من يخبرون عن ذلك من البشر العاديين ، فذكر الكهانة والرؤيا والحساب.. ثم قال : وإدراك هؤلاء مشوب فيه الحق بالباطل لأنه لا يحسن لهم الاتصال وإن فقدوا الحس إلا بعد الاستعانة بالتصورات الأجنبية ومن ذلك يجيء الكذب في هذه المدارك ويدعون معرفة الغيب ، وليس ذلك من معرفة الغيب على الحقيقة. أنظر المقدمة ، ص ١٥٩ ــ ٢٠٩.

(٤) الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ، د. محمد البهي ص ٢٤٩ .

(٥) المصدر السابق ص ٢٣٣ .

(٦) لمعرفة نظرية كونت وأضرابه بالتفصيل وللرد عليها ، انظر : العلمانية، نشأتها وتطورها د. سفر بن عبد الرحمن الحوالي ص ٣٧٧ ــ ٣٨٠ ، الفكر الإسلامي، د. محمد البهي ص ٢٣٣ ــ ٢٣٧ ، الدين ، بحوث ممهدة .. د. محمد عبد الله دراز ص ٨٤ ــ ٨٦ .

(٧) نشأة الدين ، د. علي سامي النشار ، ص ٧٠ ــ ٧١ .

(٨) تأملات في سلوك الإنسان ، د . الكسيس كاريل ص ١٦٢ .

(٩) الإسلام والعلم ص ١٧ ، منشور بمجلة حضارة الإسلام بدمشق ، شوال ١٣٨٥ هـ .

(١٠) منهج التربية الإسلامية ، للأستاذ محمد قطب : ١٥٥/١ .

(١١) انظر : خصائص التصور الإسلامي للأستاذ سيد قطب ، التصور الإسلامي للكون والحياة والإنسان ، عثمان جمعة ضميرية .

(١٢) تجديد التفكير الديني في الإسلام تأليف محمد إقبال ترجمة عباس محمود ص ١٤٨.

على المسلم أن يعمل على إعداد نفسه للآخرة

بقلم : معالي الشيخ عبد العزيز بن عبد الله السالم
الرياض / المملكة العربية السعودية

الإنسان في هذه الحياة يجد نفسه مع امتداد مراحل عمره مشدوداً إلى الدنيا في تطوراتها وتحولاتها وفي تياراتها وتقلباتها ، وإنّ عليه أن يتكيّف لملاحقة تلك التطورات والتحولات ، وأن يتعامل بحكمة مع تلك التيارات والتقلبات ، وقد تطويه في إعصار من المدّ الزاخر بالمظاهر المادية فيجد نفسه بعد مسافة طويلة من الركض قد وهن منه العظم واشتعل الرأس شيباً وجهوده كلها موظفة لدنياه وقد نسي آخرته أو كاد .

وعندما يجري التأمل في هذا الكون الكبير ينتقل الذهن إلى مبدعه الخالق العظيم وما تفضل به سبحانه على هذا الإنسان الذي خلقه في أحسن تقويم وكرمه بالعقل وزكاه بالفكر وفضّله على كثير ممن خلق تفضيلاً، فسخّر له الطبيعة بما عليها من كائنات والأرض وما تختزنه من معادن، وأمدّه بقدرات كثيرة من الفكر والجهد بما يضمن له حياة تتوافر فيها كل وسائل الراحة ومتطلبات السعادة، ولذلك فقد أتيح له تملّك وسائل كثيرة في هذا الوجود الرحب الأجواء وفي عالم الحياة الإنسانية بصفة عامة ، فتحققت له طفرات واسعة مهمة ولافتة للنظر في مجالات متعددة ولاسيما في هذا العصر الذي يمكن أن يطلق عليه عصر الثورة التقنية، وإذا التفتنا إلى الوراء قليلاً لاجراء مقارنة سريعة بين امكانات عصور مضت وحاضرنا الذي نعيشه فماذا نجد؟ سوف نجد أشياء كثيرة تطورت من خلالها الحياة تطوراً سريعاً وباهراً ومذهلاً في جوانب عديدة، ومن أهم هذه التطورات النقلة الحضارية التي نحياها في واقعنا الحالي، ولو أخذنا نوعاً واحداً منها كالمواصلات مثلاً أو الاتصالات فسنرى الفرق الشاسع بين ما كان في السابق وبين ما هو حالياً في الواقع، فوسائل النقل كانت فيما مضى تقوم على الدواب في اجتياز المسافات سواءً في الصحاري بين الأقطار المتباعدة أو في المدن الآهلة بالسكان، وقد حلّت محلها واستُبدلت بها مركبات حديثة تتمثل في الطائرات والسيارات إلى جانب مركبات عابرة للقارات ومحلّقة في الفضاء.. وفي الجانب الآخر نلتقي بالأجهزة المتقدمة في الاتصالات السلكية واللاّسلكية وما تمتلئ به الأجواء من إرساليات في صورة برامج مذاعة ومسموعة ومحطات منظورة، وما تقوم به الأقمار الصناعية من سلسلة متتابعة من القنوات التلفازية التي عزت كل مدينة وكل قرية في جميع أنحاء العالم وحققت تقدماً ملموساً فيما يشبه المعجزة. سواء في انتشارها واتساع مداها أو في تأثيرها واستقطابها للمشاهدين والمستمعين، وهي المجازات لم يكن يتخيلها السابقون ممن عاشوا في أجيال ماضية ولم يدركوا هذا الجيل .. ولم يقف إنسان هذا العصر بجهوده الجبارة وسباقه مع الزمن عند حدّ

المنجزات الحضارية المدنية وإنما تجاوزها إلى انتاد أدوات وأجهزة تحمل فناء البشرية، فقد منح الله تبارك وتعالى أفراد مجتمعات هذا العصر مواهب سخّروها فيما يسعدهم ويشقيهم، فإذا كان التقدم المعاصر قد حمل إلينا مبتكرات غاية في الدقة والاتقان والسرعة والأمان، فإنه كذلك أوجد ما يشبهها في تدمير هذه الحضارة التي أُنشئت والصناعات الضخمة التي تحققت، وهكذا يفعل الإنسان عندما يمتلك القدرة على الإبداع ولكن هل يجمع إلى ذلك الإيمان بالإله المبدع ؟!

☆ ☆ ☆

وعندما يتأمل الإنسان حياته يجد نفسه يمر بأدوار متعددة ومراحل متواصلة من ضعف في طفولته إلى قوة في شبابه ونضج في كهولته ثم يأتي بعد القوة ضعف وشيخوخة، ومن خلال هذه الأدوار المتنوعة والمراحل التي يُفضي بعضها إلى بعض يتحدد مصيره الحتمي ووداعه لهذه الدنيا التي سوف تنتهي حين يأذن الله تبارك وتعالى بانتهائها، وهو بين الأمل الذي يعيش في ظله والواقع الذي سينتهي إليه : مطالب بالتفكير في آخرته التي مآله إليها وخلوده فيها، وهي على كل الاحتمالات المقر النهائي الذي يجب الاهتمام به والاستعداد له، فالدنيا أشبه بطريق يعبره المسافر فينتهي إلى غايته، وعند هذه الغاية يتوقف سيره وينتهي دوره، فإن الدنيا عمل بلا حساب والآخرة حساب بلا عمل. لأن الإنسان يكون عندئذ قد قدّم ما عنده في دنياه ليكون رصيده في أخراه: إن خيراً فخير وإن شراً فشر، والسعيد من عمر آخرته في دنياه والشقي من عمر دنياه على حساب آخرته، وآثر عاجلاً مرتهناً بوقت محدود على آجل مؤكد الخلود .

وحين يفكر المرء في حاضره يجد أن الأيام تتفلت من بين يديه وأن العمر يذوب كما تذوب الشمعة تحت الوهج الساطع، وعندما ينتشر الخبر بأن فرداً من الناس قد مات لا يوقظه هذا الخبر من سباته المتواصل ولا يهزه من غفلته الطويلة، وإنما يظن أنه بمنجاة من هذا المصير الذي لا يحسب له أدنى حساب، وكأن الفناء مكتوب على غيره والبقاء متحقق له، ولو تأمل كيف تمضي الأعوام وتتداول الأيام فتفنى أجيال وتولد أجيال لعلم أنه كما ولد سيموت وكما وجد سيرتحل، وسيظل الكون عامراً بمن ينتقل إليه عبر هذا الوجود من الأجيال الوافدة ، ولن يتأثر بانتقال من ينتقل منه من الأجيال المنتهية آجالها، وتتبين للإنسان حقيقة هذا الوضع حين يتفقد رفاق دربه وأصحابه في دراسته وزملاء عمله وأصدقاء عمره فيجد أن أكثرهم قد غرّهم طول الأمل حتى طواهم الموت وغيبهم الثرى وهم لم يستكملوا آمالهم ولم يستوفوا حظوظهم من دنياهم .. والإنسان في هذه الدنيا عليه أن لا ينخدع بسراب الآمال وأن يحسب أيامه الباقية فما مضى منها لن يعود و ما تصرّم من أعوامه لن يستعاد، وقد يشدّه هذا التأمل لتمتد نظرته فيدرك واقعه فيلتفت إلى ذاته ليتأمل ما قدّمه من عمل وما سوف يترك من أثر، فيعمل على اصلاح ما أفسد ويتدارك ما قد فرّط مما يلزمه عدم التفريط فيه، وينشط للعمل لآخرته كما نشط في العمل لدنياه حتى يخفّ عليه الحساب ويحقق الدرجات التي يرجوها لنفسه بعد رحيله إلى الملأ الآخر.

وعندما يمعن المرء في التفكير ويستحضر في ذهنه صورة المحاسبة على كل ما عمل، فإنه حينذاك ينتهي إلى أنّ كل ما بذل من جهد وما استوفاه من متاع الدنيا لا يساوي شيئاً في ميزان الحسنات إذا لم يكن له

رصيد في المجال الأخروي الذي يبقى له بعد دنياه، وإن شاء فليراجع نفسه في ضوء قول الله عز وجل: ﴿ يومئذ يصدر الناس أشتاتاً ليُروا أعمالهم * فمن يعمَل مثقال ذرة خيراً يره * ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ﴾ (الآيات : ٦و٧و٨ من سورة الزلزال)

وحين يَتأمل الإنسان هذه الدنيا ويقارِنها بالدار الآخرة يجد أن الاتجاه كله منصبّ على العمل الدنيوي فهو ميدان تنافس ومضمار تسابق، وحتى لو حقق أي فرد في حياته أمجاداً كبيرة فما هو مردودها عليه في آخرته؟ وماذا يفيد التفوق الإنساني في الفكر والعلوم والانتاج وما قد يناله الفرد من جوائز وما يحصل عليه من تكريم وما يتحقق له من شهرة أو مجد سواء كان هذا المجد في صورة تقدم علمي أو سمو فكري أو سلطة ونفوذ شخصي أو أي لون من ألوان التفوق الإنساني؟ ماذا يفيده ذلك كله بعد انتقاله من دار فانية إلى دار باقية؟. لاشيء يبقى له من الاسم الرنان والنفوذ الكبير والشهرة الواسعة، فبعد الانتقال من الدنيا لا يحس بشيء مما كان يحرص عليه من قبل مما سلف مما له أهمية في دنياه حيث تتلاشى جميع الألقاب مهما كانت كبيرة وتتضاءل كل المظاهر اللامعة، وتختفي معالم البروز المرتبطة باسم الراحل مهما بدت باهرة في حياته، وتتبدد سحب الهالات التي ترادف اسمه وتحفّ بشخصه ولا يبقى له سوى العمل الصالح الذي قدّمه أمامه الذي هو رصيده الباقي له والذي يعوّل عليه، والسمعة الطيبة التي خلفها وراءه والتي تستجلب له الدعاء بالرحمة عند ذكره إن كان من المؤمنين المحسنين .

☆ ☆ ☆

ولا ريب أن الموت هو نهاية كل مخلوق فمهما عاش الإنسان وامتد به العمر فإنه لابد راحل عن دنياه التي أفرغ فيها كل جهوده وكرّس لها جميع امكاناته واستنفر لها طاقاته وقدراته، وكأن بقاءه فيها دائم لا يتحول ومستمر لا يزول، ويفترض أنه يعلم أن بقاءه محدّد بمدة لا يتجاوزها وأن أجله مهما طال فهو قصير في حساب الزمن، وأن الرحلة إلى العالم الآخر وشيكة والمصير المحتوم حقيقة واقعة وواقع لاشك فيه، وإذا أدرك المرء ذلك وتفهمه فعليه أن يعمل على إعداد نفسه وهو يتمتع بصحته وجميع مزاياه لبناء مستقبله في الآخرة، وهو المستقبل المضمون البقاء، كما يعمل على تكوين رصيد من الحسنات يضيف إليه في حياته واستطاعته ما لا يستطيع أن يضيف إليه بعد وفاته وانقطاع عمله، وقد قال المصطفى صلى الله عليه وسلم في هذا المضمون كلاماً يفيض بالحكمة وفق النص التالي: اغتنم خمساً قبل خمس. شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك، وهذا الحديث جاء في صحيح الترمذي وأكد صحته الشيخ الألباني .

ومن المعلوم أن كل فرد من أفراد البشر تدوّن أقواله وتسجل أفعاله في كتاب مبين كما جاء في التنزيل الحكيم ﴿ وإنّ عليكم لحافظين * كراما كاتبين* يعلمون ما تفعلون﴾ (١) .. وعلى أساس هذا التصور الصادق فسوف يُواجه كل فرد بحسابه مفصلاً ومسجلاً في احصاء دقيق واستقصاء محكم، والذي ليس له عمل صالح قدّمه أمامه ولا رصيد من أعمال الخير يعوّل عليه سينتهي إلى حسرة وأسى: ﴿يقول ياليتني قدمت لحياتي﴾ . والحياة حقاً هي حياة الآخرة الدائمة التي لا انقطاع لها ولا موت فيها ولا حياة أخرى سواها .

(١) الآيات : ١٠ و ١١ و ١٢ من سورة الانفطار.

الإسلام و العقلانية

[الحلقة ٥٠]

بقلـــم : الشيخ الجليل المربي الكبير العلاّمة أشرف علي التهانوي
المعروف بـ " حكيم الأمة " المتوفى ١٣٦٢هـ / ١٩٤٣م
تعريب . أبـو أسـامـة نـور

من إفرازات حصرالأحكام الشرعية في القرآن:

ومن إفرازات حصرهم للأحكام الشرعيّة في القرآن ، أنّ ذلك يمهدّ السبيل لإشباع الأهواء ؛ حيث إنّهم كلما أرادوا أن يحققوا هوى من أهوائهم مع مراعاة توجّه من توجهاتهم الدينية الضعيفة ، أخذوا المصحف وفتحوه وبحثوا فيه عن المسائل التي تهمهم ؛ فإذا وجدوا أنّه لا ينهى عن الشيء المحدد الذي يعنيهم حالاً ، أقبلوا عليه وفعلوه دونما مخافة ، وانشرح لذلك صدرهم لحدّ أنهم قد كتبوا في ذلك رسالة مستقلة أو مقالة على الأقل ، حتى نهضوا ليناظروا في ذلك العلماءَ ويناقشوا رجال الدين ، فإن منعهم أحد عن هذا الموقف ، طالبوه أن يدلّهم على ذلك في القرآن ، ويحددوا الموضوع الذي ينهى فيه عن هذا الأمر الذي هم بصدده .

مثلاً قضية حلق اللحى ، يكتبون فيها في الجرائد والمجلات ، ويتحدثون عنها شفويّاً ، ويقولون : لا يُوْجَدُ في القرآن نهيٌ عن حلق اللحية وأمرٌ بإعفائه ، إنّه مجردُ تعنّت من العلماء واختراعٌ من عندهم .

وقد غلبت هذه الظاهرة الطبائعَ حتى أدّت بهم إلى أنهم بدأوا يطالبون أن يتلمّسوا الأمر بكلّ شيء والنهي عنه في القرآن بالذات ، حتى علم بموقفهم ذلك أعداءُ الإسلام ، فراحوا هم أيضاً يطلبون دليلاً على كل حكم من القرآن . وأبناءُ الزمان عوّدوا الأعداء ذلك ، لأنّهم حقّقوا لهم كل مرة مطلبهم هذا. ويحدث أحياناً أن المعارضين يطلبون على حكم دليلاً من القرآن ، فإخواننا أبناء الزمان يبحثون فيه عنه حسب العادة ، فإن لم ينجحوا في ذلك بأنفسهم ، يتقدمون إلى العلماء بالرجاء أن يسعفهم في ذلك ، ويصرون عليهم أن يبحثوه في القرآن بشكل أو بآخر حتى يتم إلجام الخصوم . والعلماءُ قد يستجيبون لمطلبهم مراعاةً لمصلحة قائمة ، فيعدّون موقفهم هذا تبحراً لهم في الكتاب ، ويعتبرونه انتصاراً للإسلام . أمّا إذا لم يقدر على ذلك عالم ، أو لم يستجب لمطلبهم عن قصد ، لأن هذا المنهج منهج غير معقول و قائم على غير مبدأ ، يتهمونه بعدم التعمق في الكتاب والسنـة ، ويعتبرون الموقفَ انهزاماً في المناظرة والحوار.

المنهج الفاسد لا يجدي

فليعلم هؤلاء أن المنهج الفاسد لا يجدي ، وقد تبدو جدواه في مكان ، ولكنه يظلّ ضارًا ، وغير مجد

في كل ليلة من ليالي الجمعة، حيث تكون عطلة أسبوعية.

تفوقه الطلاب :

ظلّ "حضرة المولوي" طالبا فائقا في زملائي، وكانوا يجتمعون - في تلك الأيام - في مسجد المولوي / "نوار علي" بجوار بيتنا، فيتباحثون ويتذاكرون ويناقشون. ولما جاء الدور على "حضرة المولوي" بَزَّهم وَعزَّهم في الخطاب. وظل يغلبهم في كل ما يجرى من محادثات ومباحثات علمية. ومن الطرائف أن أحدنا إذا رأي نفسه ينهزم استنصره أو تقدم هو إليه يشدّ أزره. ثم مضى في دراسته لا يلوى على شيء، ولا يشق غباره أحد. درس أصعب الكتب في العلوم العقلية أمثال: "مير زاهد"، و"قاضى مبارك" و "صدرا" و "شمس بازغة" ، وضبطها ضبطَ جامع القرآن منازله. وأحيانا يقرأ عباراتها ويمر عليها مر الكرام دون حاجة إلى ترجمته وقد عاب ذلك عليه بعض تلاميذ والدى، وقالوا له: يا شيخنا! يبدو أنه لا يدرك ما يقرأ. فيجيب الوالد قائلا: لا يسع الطالب أن يستمر في قراءته وأنا استمع له دون أن يفهمه و يدركه إدراكاً. أجل! إن المضي في القراءة والوالد يستمع من الصعوبة بمكان؛ إذ كان يفطن لمدى فهم الطالب الكتابَ بمجرد استماعه قراءته. ومثله الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي. فقد كان هو و"حضرة المولوي" زملاء في الدراسة، يتبادلان الحب، حتى حدّثا عن الشيخ عبد الغنى، كما بايعا جميعاً على يد الشيخ إمداد الله حينئذ وسلكا مسلكه في الإرشاد.

وأحلق والدى "حضرة المولوي" بالمدرسة العربية الرسمية، وقال لمدرس "العلم الرياضي" : لا يهمك من شأن الطالب فإلي تعليمه وإعداده. وقال لحضرة المولوي: عليك با"لأقليدس" و "قواعد الحساب " تمرن عليها أياماً حتى تضبطها، فلم يمض أيام حتى ذاعَ أن "حضرة المولوي" قد أنهى مقالات يسيرة و انتهى من "الحساب" وذلك مما بعث الناس على العجب البالغ فتساءله الطلاب، ولم يكن حضرة المولوي خالي الوطاب وصفر اليدين فرد عليهم رداً بليغا نمّ عن مقدرته في الفن.

حلّه لبعض عويصات " الحساب " :

وقدم إليه الشيخ الكاتب / ذكاء الله بأسئلة بلغت من الصعوبة بمكان، أصدرها بعض الأساتذة المجدد، فردّ عليها "حضرة المولوي" ردًا كافياً، زاد من صيته وصوته. وهذا شأنه في الحساب.

أظل أيام الامتحان في المدرسة فغاب عنها ولم يحضر الامتحان، وانفصل عن المدرسة نهائيا. فأسف على ذلك أهل المدرسة بما فيهم رئيس هيئة التدريس، فقد كان يتولى منصب مدرس المرتبة الأولى، أحد الانجليز آنذاك

عمله كمحقق للنصوص :

ثم عمل حضرة المولوي أجيرا في المطبعة الأحمدية يحقق النصوص ويعدها للطباعة بعد ما أنهى الكتب الدراسية النظامية وأكمل دراسة الحديث على الشاه عبد الغني. وخلال هذه المدة ألمّ بوالدى مرض "اليرقان"، قضى نحبه فيه فى الحادي عشر من ذي الحجة عام ١٢٦٧هـ قبل السابع، ولم يطل مرضه، إنما هو أحد عشر يوماً، غير أن أربعة أو خمسة أيام منها اشتد خلالها وطأة المرض و تناهت شدّته، وسادته الغشية والإغماء ويحتاج إلى تحريك المروحة وإشمام "لخلخة". ونحن يغلبنا النوم فنستريح، و"حضرة المولوي" لا يزال يسهر عليه يمرّضه. وبعد ما توفى والدى تحولت إلى الدار التي نملكها والتي تقع في سكة "كجيلا"، و "حضرة المولوي" بدوره صحبنى

في أغلب الأحيان .

وقد مضى أن الدعوى بانحصار الأحكام الشرعيّة في القرآن خاطئة تماماً ، وأنه لا يمكن إثباتها جميعاً من القرآن مباشرة . بل الصحيحُ أن الأصول الشرعية التي تثبت بها الأحكام الشرعية أربعة : كتاب الله ، وسنة رسوله ، والإجماع ، والقياس . وقد مضى إثباتها من القرآن .

فثبت أن القرآن الكريم ليس مصدرَ جميع الأحكام مباشرة . و من يظن ذلك فهو خاطئ ، فإذا كان ذلك خاطئًا ، فالأمور المبنية عليه أيضًا خاطئة .

ومن المعلوم أن أركان الإسلام أربعة : الصلاة والزكاة و الصيام والحج ، ولا يمكن إثبات جميع مسائل أي من هذه الأركان بالقرآن وحده . فالصلاة، عددُ ركعاتها ، أو مواعيدها ، أو فرائضها ، أو شرائطها لا يمكن إثباتها بالقرآن . بل ندعي أن أحداً لا يمكنه أن يؤدي ركعة واحدة للصلاة بمجرد القرآن في غنى عن الحديث وآثار السلف .

وكذلك الزكاة ، مقدار نصابها ، وكم يجب في كم مالا ، وشروطها ، لا يقدر أحد أن يحدد ذلك كله من كتاب الله وحده .

وعلى ذلك فالحج الذي مناسكه من الصعوبة والتعقيد بمكان أحوج سيدنا إبراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام أن يدعو الله عز وجل بقوله : " وَ أَرِنَا مَنَاسِكَنَا " (البقرة / ١٢٨) إن مناسكه كلها غير مفصّلة في القرآن ، ولتعليمها الأمة حجّ النبي صلى الله عليه وسلم بصحابته رضي الله عنهم .

فمجردُ القرآن لا يمكن به أداء عمل من أعمال الدين . وإذا كان الأمر كذلك ، فكيف يجوز أن يُطَالَب بإثبات كل أمر ديني من القرآن ؟ وإذا كان هذا الموقف مضرًا حتى فيما يتعلق بالدين ، فكيف يجوز توظيفه لخدمة الدين .

فإذا ثبت وجوب إعفاء اللحية بالحديث ، فلا يجوز المطالبة بإثباته بالقرآن ، لأن الثابت بأيّ من الأصول الأربعة يُعْتَبرُ ثابتاً بكتاب الله تعالى .

وقد خدم علماء الإسلام دينهم خدمة لا يوجد نظيرها في أيّ من الديانات . فإذا أخذتَ كتاباً في الأصول ، لاتجد شعبة من شعب لم يشبعها العلماء ولم يستوف نواحيَها . فالأدلة الشرعية أيضًا تناولوها بالبحث والدراسة والتفصيل والتدليل بشكل كامل، ومن قرأها تأكّد أن الثابت من الأحكام بأيّ منها حكم شرعيّ لامحالة . ومن كان لديه العدل والعقل السليم ، لا معدى له عن أن يعترف أنه لا يمكن أن يكون هناك منهج للاستدلال أحسن من هذا المنهج الإسلامي .

ورغم أن كلاً من الحديث والإجماع والقياس بما أنه ثبت كونه أصلاً دينيًا بالقرآن نفسه ، فالثابت به يجوز أن يُعْتَبَر ثابتاً بالقرآن . لكن العلماء لاحظ فيما بين هذه الأدلة الأربعة : الكتاب والسنة والاجماع والقياس فرقاً في الرتبة .

قيمة كل حكم تنبع من الحيثيتين

وتفصيل ذلك أنّ قيمة كل حكم تنبع من الحيثيتين : حيثية الطريق التي بها وصل من الآمر إلى المأمور . فإذا كانت الطريق بحيث لا يرتقي إليها شك؛ فهي قطعيّة الثبوت ، وإذا كانت أقل من هذا المستوى ، فهي ظنيّة الثبوت .

وحيثية أن ألفاظ الحكم صريحة في معناه لا

تحتمل معنى آخر ، أو أنّها غير صريحة في معنى ، بل هي تحتمل معنى آخر . فالنوع الأول قطعي الدلالة ، والنوع الثاني ظنيّ الدلالة .

فهناك أربعة أنواع : حكم قطعي بالنسبة إلى الثبوت ، وبالنسبة إلى الدلالة معاً. وحكم ظنيّ بالنسبة إلى الثبوت وبالنسبة إلى الدلالة معاً . وحكم قطعيّ بالنسبة إلى الثبوت وظني بالنسبة إلى الدلالة . وحكم ظني من حيث الثبوت وقطعي من حيث الدلالة .

والأحكام الشرعية فيها أمثلة كثيرة لهذه الأقسام الأربعة ، وقد وضع العلماء في اعتبارهم فرقاً بينها . ونضرب ههنا صفحاً عن تقديم الأمثلة من الأحكام الشـرعيّـة ؛ لأن كثيرًا من القـراء قد لا يفهمونها ؛ لأنّ فهمها يحتاج إلى شيء من العلم بالأحكام الشرعيّة وطبيعتها ، ونكتفي ههنا بتقديم الأمثلة من العرف ، وستكون هذه الأمثلةُ العرفية كافيةً للتأكيد على مدى صحّة موقف علمائنا من الشرعيّات ، وعلى مدى كون الدين ملائماً للفطرة ؛ فمعارضةُ هذا الموقف لا تعني معارضة الشريعة وعلماء الإسلام ، وإنّما تعني كذلك معارضةَ الفطرة السليمة .

أمثلة عرفية توضح الأقسام الأربعة من الأحكام الشرعية

وهذه الأمثلة العرفية كما يلي :

١- ضابط حكوميّ أمر مسؤولاً وقال له : تَسلَّم الآن الوظيفة من الموظّف فلان الذي هو موجود حالاً في المحكمة .

فهذا الأمر قطعيّ الثبوت ، لأن كون صادراً عن الضابط فوق كل شكّ ، وهو قطعي الدلالة في الوقت نفسه ؛ لأن ألفاظ الأمر صريحة في معناها ، ولا تحتمل معنى آخر . فهذا مثال لما هو قطعيّ الثبوت وقطعي الدلالة معاً .

٢- وافترض أن أمر الضابط وَصَلَ المسؤول عن طريق البرقية – مثلاً – يأمره بأنّه على المسؤول فلان أن يتسلّم الوظيفة من الموظف فلان . فمن الواضح أن هناك فرقاً بين الأمر الشفوي والأمر الوارد عن طريق البرقية ، وهذا الفرق يجعل الأمر الوارد عن طريق البرقية قطعيًا من الدرجة الثانية ، وهو الذي يُسَمَّى ظنيًا ؛ فهو ظني الثبوت ، وبما أن ألفاظه واضحة صريحة لا تحتمل معنى آخر غير المعنى الذي سيقت له ، فهو قطعي الدلالة .

فهذا مثال لما هو ظني الثبوت وقطعي الدلالة.

٣- وافترض أن الضابط أمر المسؤول قائلاً : أن تَسلَّمْ من الموظف فلان الوظيفة في الساعة العاشرة نهاراً .

فهذا الأمر قطعي الثبوت كما مضى ؛ ولكن قيد " في الساعة العاشرة نهارًا " يحتمل عرفًا أن يكون تقريبيًا أو تحقيقيا ، أي يحتمل أن يكون الضابط قد أراد أن يقوم بتسلّم الوظيفة من الموظف في الساعة العاشرة تماماً ، ويحتمل أن يكون قد أراد أن يتسلمها منه خلال دوام المحكمة . والأغلبُ في أمثال هذه الأوامر هو الأوقات التقريبية . وأما إذا أراد الآمر أن يؤكّد على التقيد بالوقت المحدد ، فإنّه ينبّه المأمور قائلاً : حذارِ أن لا تتجاوز الساعة العاشرة – مثلاً – فإذا لم يصرح الضابط بكون قيد الساعة العاشرة تقريبياً أو تحقيقيًا ، يحتمل أن يكون المراد هو التقريبي،

ويكون غرضه أصلاً أن يتسلّم منه الوظيفة ، فإذا تأخّر في تسلّم الوظيفة عن الساعة العاشرة ، واستغرق عملُه هذا الساعةَ العاشرة والربع أو النصف ، فلا يُعَدُّ ذلك عصياناً للأمر . حتى إنّ الضابط مهما كان قد تعمّد كونَ تقييد الأمر بالساعة العاشرة تحقيقيًا ، ولكنه من أجل غلبة العرف في أمثال هذه المواقف ، لا يؤاخذه على تأخره في تسلّم الوظيفة عن الساعة العاشرة .

فهذا الأمر في خصوص تحديد الوقت لم يجئ صريحاً من حيث الدلالة ، فهو قطعيٌ من الدرجة الثانية .

فذلك مثال لما هو قطعيّ الثبوت وظنيّ الدلالة .

٤- وافترض أن الأمر وصلَ المسؤولَ عن طريق البرقية : أن يتسلّم المسؤول فلان الوظيفة من الموظف فلان في الساعة العاشرة نهاراً من الغد .

فهذا الأمر ظني من حيث الثبوت ، لأن هناك فرقاً بين الأمر الشفوي المباشر وبين الأمر الواصل عن طريق البرقية . كما أنه ظني الدلالة أيضًا ، كما مضى تفصيل ذلك خلال طرح المثال الثالث .

فذلك مثال لما هو ظني الثبوت وظني الدلالة .

وهذه الأمثلة تكون قد قرّبت فهم أن عرفنا أيضًا يستخدم الأقسام الأربعة من الأوامر والأحكام، وتكون قد أكّدت أن الأقسام الأربعة كلها واجبة التنفيذ . وكذلك فالعلماء لاحظوا هذه الأقسام والفروق القائمة بينها فيما يتعلق بالأوامر الشرعيّة ، فهذا الموقف جاء مطابقًا لما هو مُتّبَعٌ في العرف .

[يتبع]

☆ ☆ ☆

مَن ومَن !!

كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، رغم عدم اكتراثه بالشعراء ، يحب شعر زهير بن أبي سلمى ، وكان يرى أنه أشعر الشعراء .. أما أنه صاحب (مَن و مَن) .. فذلك لأن قصيدته الشهيرة:

سئمتُ تكاليفَ الحياة ومن يعش
ثمانين حـولاً لا أبـا لك يسـأم

كانت في أكثر أبياتها تبدأ بكلمة (من) ومنها قوله :

ومن يصنع المعروفَ في غير أهله
يكن حمـدُه ذماً عليـه ويُندمِ
ومن لا يذد عن حوضه بسلاحه
يُهدّم ومن لا يُظلم الناس يُظلم

ومن هذه القصيدة استوحى الشاعر ابن دريد قصيدته الشهيرة (الدريدية) التي يقول فيها :

من ظلم الناسَ تحاموا ظلمَـه
وعزّ منهم جانباه .. واحتمى

والدريدية بدورها ، أوحت للشاعر الهزلي علي بن عبد الواحد الفقيه البغدادي أن يعارضها بقصيدة من أطراف قصائد الشعر العربي ، وكل بيت منها يبدأ بكلمة (من) كقوله :

مـن دخلت في عينـه مسلّـةٌ
فاسأله من ساعتـه عـن العمى
من فاته العلـم وأخـطاه الغنى
فذاك والكلب على حدّ سوى
من أكل الفحـم يسودّ فمـه
وراح صحن خده مثل الدجى
مـن لم يرد أن تنتقب نعـالـه
يحملها في كمـه إذا مشى
ومن أراد أن يصـون رجلـه
فلبسها خـير لـه مـن الحفـا
من صفع الناس ولم يدَعهـم
أن يصفعوه .. فعليهم اعتدى

صديق صباي

[الحلقة ٥]

بقلم : الشيخ / محمد يعقوب النانوتوي رحمه الله
المتوفى ١٣٠٢هـ - ١٨٨٤م
تعريب: الأستاذ محمد عارف جميل القاسمي المبارك فوري

هذه ترجمة عربيّة لما كتب الشيخ محمد يعقوب النانوتوي عن صديق صباه، وزميل دراسته، ومجاوره في الوطن، ومشاركه في السكن في دهلي أيّام التحصيل، ومعايشه في الآمال والأحلام: الإمام محمد قاسم النانوتوي رحمه الله تعالى مؤسس جامعة ديوبند، وتُعَدّ هذه الترجمة اليعقوبيّة للإمام حقًّا أصلاً أصيلاً للتراجم التي كُتِبَتْ فيما بعد. ولذلك صحّ عزمنا على نقلها إلى العربيّة منذ زمان، فوكلنا بذلك إلى الأخ الفاضل الأستاذ محمد عارف جميل القاسمي المباركفوري وهو أحد الخريجين المُؤَهّلِيْنَ من جامعة ديوبند، أُتِيْحَ له أن يتعلّم في الجامعة الإسلاميّة بالمدينة المنورة بجدّ واجتهاد مما أكسبه قدرة موثوقاً بها على الترجمة من العربية وإليها بأسلوب دقيق أمين.

فإلى القراء هذه الترجمة العربيّة تعميماً للفائدة، وتعريفاً بهذا العالم الربّاني العبقريّ الذكيّ الذي شيّد منارة العلم والثقافة الإسلامية في هذه الديار [التحرير]

قيامه بالرد عليه وتسمية الشيخ عبد العلي (١) له بـ "الردّ المماثل"

وقام "حضرة المولوي" بها - كذلك - بالردّ عليه، وأخذ يدوّن شيئا من ذلك. فرتبه الشيخ/ عبد العلي كإجابة عن مطاعنه واعتراضاته، وسماه: جواب تركي بتركي (الردّ المماثل). وسبق أن ردّ بعض أصحابه هذا الكاهن الهندوكي على كلام الشيخ هذا، وتفوهوا بأشياء منكرة لاغية تحاول النيل من الإسلام، وليس لها أساس. فجاءت هذه الرسالة بمثابة ردّ على ردهم.

ثم تتابعت عليه نوبات المرض في أوقات متقاربة، وكاد يضيق نَفَسه غير مرة. ثم خفّف الله تعالى عنه وطأته. فحسبناه مرضا أزمن، وليس ذلك إلا نوبة من نوباته، مما لا يبعثنا على قلق زائد. ولم نكن فقدنا كل أمل في حياته، وعودة الصحة إليه؛ إذ لم نَدَع وجها من وجوه التداوي إلا جربناه، ولم يزد ذلك إلا سوءًا، وعمل له الاطباء اليونانيون كل ما رأوه ناجعاً كما أفرغ الأطباء العصريون وسعهم في إيجاد حيلة تنجيه من براثن المرض الفتاك. واتُخِذ له الأدوية الهندية من "قسطة"، والعصير. ولم يغن ذلك فتيلاً، وبرح به المرض.

سنتان من مرض تخللهما نَقَهٌ

ومرّ على ذلك سنتان وهو مريض، ويتخللهما نَقَه فيعود إليه بعض القوة، ثم يعاوده نوبة من نوبات

ضيق النفس، فيغلبه الضعف والنهك. فإذا انتابه المرض، واستمر يوماً، سَلَبَ قوّة جلبتها أيام.

وخلال هذه الأيام – أيام المرض – لم يوصف له علاج إلا تعاطاه، ولم يحضر له دواء إلا رضي بتناوله، ولم يتخذ له أحد حيلة إلا مارسها وجربها، وكل ذلك جرياً على خلاف ما تعوّده. إلا أنه أصبح مُرْهَفًا لطيفَ الحس لا يرضى من الدواء إلا ما وافق مزاجه وطبعه. وإذا شرح له أصحابه و محبّوه و بينوا له ذلك لم يستنكف عن تناوله. واستسهل غير مرة، فيخف وطأة المرض عنه لمدة غير طويلة، ولا يستأصل المرض ولا يقضي عليه نهائياً.

وأفرغ الطبيب / مشتاق أحمد الديوبندي (٢) وسعه في مداواته، ولم يكن يفارقه يوماً، كما أن الطبيب الحاذق الحافظ/ عبد الرحمن المظفرنكري(٣) هو الآخر استنفد حيلته في علاجه. لكن القدر كائن لامحالة. ويستحيل الفرار مما كتب الله تعالى وقدّر، وداء الموت ليس له دواء. وأجل الله تعالى – إذا جاء– لا يؤخر. ولو نفع الدواء، ونجح الحيلة دون القدر، لم يَحُلْ دون عودة الصحة إليه شيء، فقد توفر له من الأدوية ما يصعب على الأثرياء إحضاره وتعاطيه، وهيّئ له من العلاج قلما ينال مثله ملوك الأرض. ولكن أين الطمع في الحياة ومخافة الموت من إيمانه النابع عن قلبه المطمئن.

"حضرة المولوي" يعود الشيخ/ أحمد علي في "سهارن فور"

وفي الأيام الأخيرة من حياته نزل بالشيخ/ أحمد علي الفالج، فاتّجه إلى سهارن فور يعوده، وسبق أن استدعا الطبيبَ/ عبد الرحمن من "مظفر نكر"، وعاد إلى "ديوبند" مساء اليوم – الذي سافر فيه إلى "سهارن فور " – بالقطار، فمسّه نَصَب تسبب في معاودة مرضه، ثم تحسنت حالته بعد ذلك بأيام، وعادت إليه الصحة. فلما وجد في نفسه قوة وخفّة، طلب منه ابني علاء الدين أن يفيده شيئا مما علّمه الله، فرضي "حضرة المولوي" بذلك، وأخذ يحدث حديثا أو حديثين من سنن الترمذي عقب صلاة العصر. ويجدّ في تحديثه ما لم يأخذ سعلة، فيتوقف قليلا حتى تهدأ ثورتها، ثم يستمر فيه، وإذا ما غلبه السعال، أوقف التحديث.

وفي تلك الأيام قصد "سهارن فور" مرة ثانية؛ إذ لا زال الشيخ / أحمد علي – رغم ما خفّ من مرضه المزمن – يعاني من الحمى، والضعف المتناهي، فطلب إليه الشيخ أن يقضي أياماً لديه، فلم يمانعه "حضرة المولوي" ولبث أسبوعين، وإن لم يكن تعود قضاء مدة طويلة مثل هذه في "سهارن فور"، فعادت إليه نوبة المرض، كما نزل به ذات الجنب.

بلغنا مرضُه هنا – في ديوبند– في اليوم التالي منه، فقصد الحافظ/ أنوارالحق يومه إلى "سهارن فور" ليرجع "بحضرة المولوي" صباح الغد إلى "ديوبند"، دخل ديوبند، وقد تبدلت حالته من سيّء إلى أسوأ، واحتبس نَفَسه، فاضطر إلى الافتصاد مِمّا سكّن أَلَمه لبرهة، ثم وخزه الألم. فاتّخذ له "العلَق" (٤) لتطبيب نفسه لمدة يومين أو ثلاثة، ويتنفس الصعداء وطُلب – خلال هذه المدة – له أدوية تقوي جسده. وتبعث فيه النشاط والقوة، وقد بلغ به الجهد كلّ مبلغ، لا يطاوعه لسانه إلا بشق النفس، واشتدت به الحرارة، وربما يسوده غفلة، فناولوه "الملين"، ثم بدا لهم إعادته ففعلوا فازداد غفلةً وذهولاً. وظل يجاوب الناس حتى

دخل الظهر، وقد غلبه إلا غماءُ. ونَبَّهوه للصلاة، فلم يزد على أن قال: نعم. لم يقدر على أن يلتفت إلى التيمم ولا الصلاة. فأخذ شيء من اليأس يدبّ إلى نفوسنا.

رحلته إلى الدار الباقية

وفي آخر يوم من حياته العقد لسانه، وأخذت عَصَباته تتشنج، فعلمنا احتضاره، وإشرافه على الموت، ثم مضى ذلك الليل، ونهاره، والليل التالي، حتى التصف النهار يوم الخميس، وقد حضره أصحابه جميعاً من "أمروهه" و "مراد آباد" و "سهارن فور" و "كنكوه" و "نانوته" وغيرها، إذ لفظ نَفَسه الأخير عقب صلاة الظهر من يوم الخميس في الرابع من شهر جمادى الأولى عام ١٢٩٧هـ. فإنا لله وإنا إليه راجعون.

فقامت القيامة، و وقع ما تخوفناه، وغصّت الدار بمن فيه، وضاق عنهم/ فنُقِلَ جثمانُه إلى المدرسة، حيث بقي حتى تم غسله وتكفينه.

ودفن في بقعة خارج البلد، وقفها الطبيب / مشتاق أحمد كمقبرة له يومئذ. فكان أول من أقبر فيها "حضرة المولوي". وصلي عليه قبيل صلاة المغرب في فناء البلد، وحضرت الصلاة عليه خلائق كثيرة لم تشهد تلك المناطق بعدُ، اجتماعاً يماثله، ودفن بعد صلاة المغرب. وأحيل التراب على "خزينة الخير" هـــــذا. (٥)

وتلقى الناس وفاته بحزن بالغ لم يسبق له مثيل، وأخذ منهم الأسى كل مأخذ، إلا أنهم لم يقوموا بلطم الوجوه، والولولة، وشق الجيوب، وضرب الخدود، إذ لم يكن لأحد منهم أن يتجاوز حدود الله تعالى، بما سعدوا مِنْ صحبة "حضرة المولوي"، غير أنا لم نسمع حزنا عمّ الناس مثله. أعلى الله درجاته في الجنة، وأسكنه بجوار رحمته.

كنت أرسلت إلى المولوي/ رشيد أحمد يوم الثلاثاء فقدم قبل أن ينتصف نهار يوم الأربعاء ثم عاد إلى "سهارن فـور " يوم الجمعة ، وحـلّ مأسـاة تفـوق التصور، غير أنه جَلَد صبور علي المصائب، فاحتسب والتـزم الصمت. وأكثر من الصلاة، وقد كان يعاني من مـرض ، من ذي قبل . فانقلب أسوأ حالا لأجل هذه المأساة.

وفاة الشيخ/أحمد علي

بلغ "سهارن فور" فإذا بالشيخ المحدث/ أحمد علي، قد حان أجله، وهو يجود بنفسه يوم السبت فحلت به مصيبة تتلوها مصيبة، وبلاء يعقبه بلاء. غير أن وفاة "حضرة المولوي" خَفَّفَت من وطأة هذه المأساة الأخيرة، وإلا كانت كارثة وأي كارثة، لا يعلم مداها إلا الله تعالى

أبناؤه وأنجاله

أعقب "حضرة المولوي" ابنين: أحدهما: أحمد البالغ من عمره ثمانية عشر عاماً شاب، متزوج، مكبّ على الدراسة، ذو ذهن متوقد، وقريحة ماشية، رزان وقور، جعله الله فقو أبيه. وحباه من السمعة الطيبة والعزماناله أباه. وعمّ به الصلاح والتقوى والعلم والفضل .

ونجله الأصغر: محمد هاشم البالغ من عمره ثماني سنوات: رشيد واعٍ، قويم السيرة والسريرة، يتحفظ القرآن الكريم. رزقه الله مواهب ما ظهر منها وما بطن.

بناته

وله ثلاث بنات: إحداهن : السيدة /"إكرامن" تكبر ابنه: أحمد، وسائر أولاده، وهي أول من رزقه "حضرة المولوي" من أولاده. زوجها "حضرة المولوي" من المولوي / عبد الله. وعبد الله هذا ابن أختي، ومن ذرية الشاه ابوالمعالي الأنبيتهوي. ومن ولد المولوي/ أنصار علي، قرأ عليّ جل الكتب، كما قرأ على "حضرة المولوي" بعضها، رجل جمع خصال الخير، وله – الآن – ثلاث بنات. بارك الله في ذريته. وقد عمّ الخير والصلاح ذرية حضرة المولوي أجمعها. واتصفوا بمكارم الأخلاق، وتعودوا القِرى والضيافة.

ويصغرها: السيدة / رقية. زوجها "حضرة المولوي" من العارف بالله/ محمد صديق ابن أخت المولوي أمين الدين – خال "حضرة المولوي" – من ولد الشيخ / عبد القدوس الكنكوهي رحمه الله(٦)، رجل صالح، رزان، وقور. ليس له ابن غيره.

قام "حضرة المولوي" بتزويج بنتيه، ولم يَحِدْ – في ذلك – عن السنة النبوية قيد شبر، فأنكحهما – دون بلاغ مسبق – عقب صلاة الجمعة. غير أنه استدعا المولوي/ رشيد أحمد، وأغلب الظن أنه بلّغه بذلك مسبقاً، ولم يبلغ أحدا سواه. ولم يهتم بجهاز طائل يقدمه لبناته، غير أنهما كانتا تمتلكان – كجاري العادة في عشيرتنا – شيئا من الثياب والحلي، ولا زالتا تقضيان حياتهما فرحتين مسرورتين بفضل من الله وكرمه.

وأصغر بناته: السيدة/ عائشة البالغة من عمرها أربعة أعوام. أحبّها "حضرة المولوي" حبًّا جمًّا. يقرب مجلسها – دون أشقائها وشقائقها – إليه ويحادثها. بارك الله في عمرها. ورزقها صلاحاً. وهي في سنّها هذا كيِّسة بهيجة الخاطر. اللهم زد فزد.

من أعلام تلاميذه

وتتلمذ على "حضرة المولوي" أناس كثيرون من أفضلهم: الشيخ/ محمود الحسن(٧) أكبر أنجال الشيخ/ ذوالفقار علي. تلقى جل دراسته في ديوبند، وسمع الحديث عن "حضرة المولوي" وأتم عليه دراسته، وأرتوى من منهله الفياض. وهو أول من نيطت به عمامة التخرج في دار العلوم ديوبند.

وثانيهما: الشيخ/ فخر الحسن الكنكوهي (٨) أشبه الناس "بحضرة المولوي" استقامة، ومن صفوة أصحابه وحواريه، له مقدرة فائقة، وكعب عالٍ في العلوم. وهو الأخر قد تلقى دراسته في ديوبند، و بدأها على الشيخ / رشيد أحمد.

وثالثهما : الشيخ/ أحمد حسن الأمروهوي(٩) أخلص له "حضرة المولوي" المودة. وهو رجل ذو ذهن وقاد، وذكاء مفرط، وكفاءة بالغة، و أوفق الناس لـ "حضرة المولوي".

وله تلامذة دون هولاء، وكثير ما هم.

واستنكف – في أول أمره – أن يبايع على يده أحد رغم ما أذن له الشيخ الحاج – يعني به الحاج إمداد الله المهاجر المكي – بالبيعة، ثم أقبل عليه بعد ما أكدوا عليه كثيراً. فبايع على يده أناس، لم يأذن لأحد منهم بالمبايعة. وإن كان فيهم عدد غير قليل من أصحاب اجتهاد و أحوال.

وأصبح – اليوم – يرفض المبايعة، فإن أصرّ عليه أحد أمره ببعض الأوراد والوظائف. ولقد بزّ أصحابه ومحبوه أهلَ زمانهم تحقيقا لرضى شيخهم،

ووفاءًا له. رغم أن "حضرة المولوي" لم يكن يعاملهم إلا معاملة الأصدقاء والإخوان. ولَشَدّ ما كان يتضايق أن يكثروا من تعظيمه وتوقيره.

وقد أرخ غير واحد من العلماء لوفاته يطول استيعابه، وإنما أتعرض لاثنين منها أعجباني : أولهما: ما قمت بتاريخه وهو: "كيا چراغ گل هوا" (أي ساء أن انطفأ السراج). ونظمته غير مرة.

وأرخ الشيخ/ فضل الرحمن وهو خير ما أرّخ لوفاته وأروعه: "وفات سرور عالم كا يه نمونه هے" (أي هذه المأساة تحاكي وفاة سيد الأنام صلى الله عليه وسلم.) وهذه الكلمات شطر من بيت جادت به قريحة الشيخ / فضل الرحمن.

وأرّخ السيد عبد الرحمن خان - صاحب المطبعة النظامية بـ "كان فور" - لوفاة هذين الشيخين: رضي الله عنهما. فنعم ما أرّخ.

وأرّخت أنا لها: "مصيبت پر مصيبت آئی" (أي مصيبة تلتها مصيبة) وفي الختام أقول: اللهم! يا رب ! يا كريم ! أكرم نزل هولاء في أعلى العليين، بفضلك الأعم، ومنّك الشامل. وارزقنا - من ورائهم - الاستقامة على الطريق الذي سلكوه، عليه نحي، وعليه نموت، وعليه نبعث. آمين ثم آمين.

الهوامش :

(١) الشيخ / عبد العلي (٠٠٠٠- ١٣٤٠هـ = ٠٠٠٠-١٩٢١م) أخذ عن الإمام النانوتوي، والمحدث / أحمد علي السهارن فوري، وأخذ عنه الشيخ المربي / أشرف علي التهانوي وأمثاله، درس في دارالعلوم ديو زمناً، ثم غادرها إلى مدرسة حسين بخش في "دهلي" وقضى بها حياته، وبها توفي. (الأدروي ص ١٧٣-١٧٤)

(٢) لم أعثر على من ترجم له.

(٣) لم أعثر على من ترجم له.

(٤) العلق : دود أسود يمتص الدم، يكون في الماء الآسن.

(٥) وقد أرّخ لوفاته بـ "خزانة خوبى" (أي خزينة الخير)

(٦) عبد القدوس الكنكوهي (٠٠٠٠-٩٤٤هـ = ٠٠٠٠-١٥٣٧م) عالم رباني، شيخ معروف من مشائخ التزكية والإحسان والطريقة، دفن بـ "كنكوه". (الأدروي ص ١٧٧)

(٧) شيخ الهند محمود الحسن الديوبندي (١٢٦٨-١٣٣٩هـ = ١٨٥١-١٩٢٠م) تولى رياسة هيئة التدريس ومشيخة الحديث بدارالعلوم، ديوبند؛ قصد الحجاز يدبّر ثورة ضد الأستعمار البريطاني في الهند. فانكشف أمره، واعتُقِلَ بمكة، ونفي إلى سجون "مصر" و "مالطة"، وقضى بها ثلاثة أعوام ونصف، فدعي "أسير مالطة" ممن أخذ عن الإمام النانوتوي وأخذ عنه الأعلام ترجم معاني القرآن الكريم إلى اللغة الأردية وهي خير التراجم، فانتشرت، ولقيت قبولا عاماً وقامت حكومة خادم الحرمين الشريفين بطبعها ونشرها وتوزيعها في العالم. وله أيضا: إيضاح الأدلة. ولد بـ "بريلي"، وتوفي بـ "دهلي" و دفن بـ "ديوبند". (الأدروي ص ٢٣٣)

(٨) الشيخ/ فخر الحسن الكنكوهي (٠٠٠٠-١٣١٥هـ = ٠٠٠٠-١٨٩٧م) عالم صالح، تقي نقي، ومعروف بفضله وكماله ونبوغه، لازم الإمام النانوتوي في حله وترحاله، وأخذ عنه حمل بعير، حسن الشكل، ضخم، ظريف، بشوش، حسن المحاضرة، ناظر الهنادك والنصارى. وله تعليقات على كل من السنن لأبي داؤد، والسنن لابن ماجة. توفي بـ "كان فور". (نزهة الخواطر للشيخ / عبد الحي اللكنوي ٣٥٤/٨؛ والأدروي ص ٢٠٨-٢٠٩)

(٩) الشيخ / أحمد حسن بن أكبر حسين الحسيني الأمروهوي (١٢٦٧- ١٣٣٠هـ= ١٨٥٠-١٩١٢م) المحدث الجليل، لازم الإمامَ النانوتوي - ولم يصدر عنه إلا وعاءً للعلم، فاق أقرانه في كثير من العلوم، حج وزار، وعاد إلى الهند، وتولى التدريس والإفادة، حلو الكلام، له رنّة في الأذان، مليح الشمائل. (نزهة الخواطر للكنوي ٤١/٨، ٤٢).

☆ ☆ ☆

العلامة الشيخ " محمود حسن الديوبندي " المعروف بـ " شيخ الهند "

حياته ومآثره

بقلم : فضيلة الشيخ السيد أصغر حسين ميان الديوبندي
أستاذ بالجامعة سابقاً المتوفى ١٣٦٩هـ
تعريب : الأستاذ عبد الرشيد القاسمي

أولاد شيخ الهند ونبذة من أوضاعه الأخرى

وكما قد سبق في بداية المقال أن فضيلة شيخ الهند ولدته أمه في عام ١٢٦٨هـ ، و أن المنية توفته في ١٣٣٥هـ ، وعلى ذلك فقد رُزِقَ فضيلته حياةً امتدت على ٧١ عاماً . وقام أبوه - الأديب البارع الشيخ ذوالفقار علي الديوبندي أحد بناة الجامعة الإسلامية دارالعلوم ، ديوبند - بتزويجه إحدى بنات الكاتب " فهيم الدين الديوبندي " الذي كان ينتمي إلى أسرة دينيـة علمية ثرية آنذاك ، وذلك عندما بلغ فضيلته العام الثاني والعشرين من عمره . و بفضل ما كان تتمتع به زوجته من عقل و ذكاء ، و حسن تدبير للشؤون العائلية ، واصطباغها نفسها بصبغة زوجها وخضوعها له ، بالإضافة إلى حياة فضيلته الصالحة ، ومكارم خلقه ، واطلاعه على حقوق تعود على الزوج تجاه زوجته ، وعشرته الطيبة عاش حياته كلها في بحبوحة من الراحة والطمأنينة ، وبقي طيلة حياته في غِنىً عن القيام بتوفير مرافق الحياة و عن تحمل متاعب في هذا السبيل . وانتقلت زوجته إلى رحمة ربها قبل أن تستأثر به رحمة الله بأربعة أشهر . كما قد مرّ الحديث عن ذلك في شيء من البسط والتفصيل في الصفحات الماضية .

أكرمه الله باتباع النبي في خصوص الأولاد أيضا

وبالرغم من أن هناك تلامذة كثيرين يحظون بسعادة التلمذ على فضيلته ، وكونهم ذرية معنوية له، غير أنه لم يُرزَقْ من صلبه إلاّ بناتٍ . ومع أن عدد الأولاد وكونها إناثا و ذكوراً يقتصر على قضاء الله و مشيئته وأنه ليس لإنسان في شيء من خيار في ذلك ولكن الله جل و علا أكرم فضيلته بسعادة اقتفاء أثر النبي الكريم صلى الله عليه وسلم . وأعني بذلك أن الله سبحانه وتعالى رزقه أبناً مات في بكورته وبناتٍ توفاهن الله بعد بضعة أعوام من ولادتهن . ولم تبق من أولاده أحياء إلاّ أربع بناتٍ زوجهن فضيلته .

تزويجه بناته

فقام بتزويج أولهن أكبر أبناء أحدى أخواته الشيخ " محمد حنيف " . وولدت أبناءً توفتهم المنية صغاراً . ثمّ رزقها الله بنتًا وثلاثة أبناء . ولأجل مدى حبّ فضيلته بنته هذه أن وفّر لها بعد أن زوّجها سكنًا في داره ، واتخذ زوجها الشيخ " محمد حنيف " أبنًا له، وأحبّه حبًّا جمًا كما يحبّ الآباء أبناءهم . وتوفيت بنته هذه قبل أن يغادر فضيلته إلى الحجاز حيث تمّ اعتقاله . ولما أصيبت بمرض قضى على حياتها يبدو فضيلته حزينًا و كئيبًا للغاية على عكس ما كان تعوده، غير أنه اطمأن

كثيرا بحيث يُقْضَى منه العجب بعد أن توفتها المنية و إن كان قلبه قلقا و متألما لحد كبير. وظلّت محبة فضيلته وشفقته على ختنه و أحفاده حتى بعد وفاة بنته وارفة الظلال كما كانت في حياتها . ولذلك فقد نرى أن فضيلته وفّر لختنه هذا بيتًا في داره بعد أن تزوج مع امرأة أخرى . كما سعى ابن أخته هذا لإرضاء فضيلته طول حياته مثلما يسعى ابن لأبيه .

و زوّج أخرى بناته الشيخ " محمد شفيع " المدرس بالمدرسة الإسلامية عبد الرب بمدينة " دهلي " أحد أحفاد عمه . وقد أكرمها الله بالأولاد من بينهم: الشيخ "محمد رفيع " و أخوات له . وهي البنت التي تخلّفت في محطة " غازي آباد " عندما كان فضيلته يعود من دهلي إلى ديوبند .

وأما ثالث بناته فقام بتزويجها رجلاً يُدعى بـ " المنشي محمد قاسم " من أبناء حارة " أبو المعالي " المجاورة لحارة تحتضن منزل فضيلته . ومع أن المنشي لم يكن عالماً تخرج في مدرسة غير أنه لا يقلّ عن عالم صلاحاً ، وكفاءة علمية ، و ورعاً ، وخضوعاً لما يأمره به فضيلته و سعيًا لجلب مرضاته .

بينما نكح صغرى بناته الأربعة مع الشيخ "قاضي مسعود احمد " أصغر أخوة الشيخ " محمد حنيف " والمفتي بالنيابة حالياً في دارالعلوم ، ديوبند. وعاشت البنت هذه معظم حياته في منزل أبيها تخدم أمها العجوز وتسعى في توفير أسباب الراحة لها . كما ظلّ زوجها هو الآخر في إراحة أم زوجته مثل أبناء بررة ، ما كان يزيد فضيلته فرحاً وسرورًا .

اتباع لهدي النبي في شؤون الزواج

ومن كمال إيمان المرأ وسنة أنبياء الله ورسله أن يحب الإنسان كلّ رجل حق قدر حبّه . ولذلك فكان فضيلته يحبّ بناته حبًا جمًا لا يوصف ، ويعطف بالغاً على أبنائهن وبناتهن . فكان كل من محمد رفيع و بيارا من أسباط فضيلته تغشاهما شفقة ومحبة منه ما داما صغيرين لم يبلغا الحلم . – وقد أصبحا في هذه الأيام شابّين مكتملي الشباب – وبما أن "محمدعثمان" أصغر أسباطه و طفل صغير فكان يداعبه كثيرًا في أواخر حياته ، وكان " محمد عثمان " يلزمه كلّ حين، ويناديه دائماً بـ " يا أبي يا أبي " .

وكان من بالغ حبّه لبناته وأولادهن أنه كان يكتب أسماءهن كلّهن في جميع خطاباته التي كان يرسلها من " مالطة " ويدعولهن جميعاً و يأتي بكلماتٍ تسريةً عن حزنهن وتسليةً لهنّ ، ويأمرهن بإهداء الأجر لبنته التي قد سبق توفته المنية ، ويذكّر بالدار الآخرة ، ويوصي باتخاذ الأهبة لها .

دأبت البنات ليل نهار في خدمة أمهن خلال إصابتها بمرض مستعص دام أياما طويلةً ، هذه من ناحية ومن ناحية أخرى فمن – بنات فضيلته هؤلاء– بحق استضافة ألوف من الضيوف وطبخ وجبات الغداء والعشاء والفطور لهم حق القيام ، وذلك عندما عاد فضيلته من سفره الذي قام به بعد عودته من "مالطة" إلى مدن " فتح بور هنسوه " و " لكناؤ " وغيرهما . كما بقيت البنات بعد وفاة أبيهن مدةً من الزمن في منزل فضيلته ، ولم يقصّرن أي تقصير في استضافة تلاميذ أبيهن و أصدقائه ومعارفه الذين كانوا يقصدون " ديوبند " عزاءً على وفاة فضيلته . ولا تزل أصغر بناته وزوجة الشيخ المفتي " مسعود أحمد " تعيش في بيت أبيها ، الأمر الذي يسبّب إراحة خدّام فضيلته الذين يزورون " ديوبند " فيجدون ملجأ طيبًا في دار فضيلته .

وقام فضيلته بتزويج بناته الأربع هؤلاء في سذاجة بالغة دونما أي نوع من التبذير و الإسراف اقتفاء بشيخه الإمام النانوتوي في مناسبات الزواج واتباعا لسنة نبيه صلى الله عليه وسلم و تمسكا

إليها ، وعلى السقف سرير مفكك، يرمى بنفسه فيه، يأمر أحيانا فتخبزله أخباز تكفيه عدة وجبات. وعندى خادم يخبز الخبز، وقد أوصيته أن يقدم له إداماً إذا وجده يهوى إلى طعامه، فلا يقبل منه إلا أحيانا و بإلحاح بالغ، وكثيراً ما كان يكتفي بجلف الخبز قانعاً به .

قضيت في دهلي – بعد ما توفي الوالد – ما يقارب سنة، ثم تمّ تعييني في "أجمير" مما اضطرني إلى مغادرة دهلي، ومفارقة "حضرة المولوي"، وهو بدوره أمضى أياماً في تلك الدار وحيداً لا يشاركه فيها أحد، ثم تحول إلى المطبعة، ولبث أياماً في "دار البقاء"

تعليقه على الصحيح للبخاري :

وفي تلك الأيام فوّض إليه الشيخ أحمد علي السهارن فوري تعليق وتحقيق الأجزاء المتبقية الخمسة أو الستة لصحيح البخاري، فقام به "حضرة المولوي" خيرقيام، يسرّ القراء ويبعث على الإعجاب به والتقدير له، وأنّى لأحد أن يعمل عمله، وخفي على أناس مقدرته العلمية، فأفضوا بمخاوفهم إلى الشيخ أحمد علي قائلين له : ما بالك جعلت هذا العمل الجليل إلى رجل شاب قليل المراس. فرد عليهم الشيخ أحمد علي قائلا: لست بهذه المثابة من السفاهة فآتى أمرا دون بصيرة منه. وأراهم تعليقات أعدها "حضرة المولوي". فإن تلك المواضيع من صحيح البخاري تعد أصعبها وأدقّها، وخاصة تائيد مذهب الأحناف، الأمر الذي تقيد به الشيخ أحمد علي حين بدأ تعليقاته هذه على الصحيح، وقد تعقب الإمام البخاري مذهب الأحناف بتعقبات يشق الردّ عليها كما لا يخفى. فمن شاء فليرجع إلى هذه التعليقات التي قام بها "حضرة المولوي".

والتزم الشيخ أحمد علي – كذلك – في تعليقاته ألاّ يأتي بشيء فيها إلا عن دليل يساعده، دون إيحاء عن عقله وفهمه .

وهذا الذي يرجع إلى تلك الأيام من حياة "حضرة المولوي" سمعته ولم أشهده، إذ لم يسنح لي الاجتماع به طوال خمس سنوات. وعندما توجهت إلى "أجمير" تركت "حضرة المولوي" يسكن تلك الدار، يشاركه فيها آحاد من الناس. ثم تفرقوا جميعا عنه. وكان يكون الباب مسدوداً، يرجع "حضرة المولوي" إلى الدار ليلاً، فينزع الباب ليدخلها، ثم يعيده إلى مكانه فيبيت الليل، فإذا أصبح نزع الباب ليخرج ثم يعيده إلى مكانه، وقضى أشهرا في نفس الدار . [يتبع]

الهوامش :

(١) حديث اللهم ! لا أحصى ثناءً عليك " رواه مسلم في صحيحه في كتاب الصلاة باب ما يقال في الركوع والسجود (١/٣٥٢ [٢٢٢] ط الحلبي) من حديث عائشة رضي الله عنها

(٢) و "نانوته" قُصبة عامرة لم يكن طقسها بهذه المثابة من الفساد، غير أن النهر الذي شق في المنطقة أفسد من مناخها وقلل من سكانها، وهي على ٢٧ ك م – من "كنكوه" شرقاً، وعلى ٣٦ ك م من "ديوبند" غرباً، وعلى ٤٥ ك م من "سهارن فور" جنوباً ، وعلى نحو ١٨٠ ك م من دهلي العاصمة شمالاً

(٣) يتبين سنة ميلاده من خلال إسمه المركب حسب أرقام الأبجدية ولم يضبط شهره ويومه، والذي أذكر أنه ربيع الثاني أو جمادى الأولى، ولا أحفظ تاريخه فرجعت إلى من لديه علم بذلك فيما أظن، إلا أنهم اختلفوا فقيل ١٥/ من شعبان، وقد نماه الشيخ الطيب، وقيل ١٩/ من رمضان، وقيل ٢٧/ من محرم، وفي كل ذلك ما فيه

(٤) وفي عام ١٢٥٧هـ فوجئ الناس بقصد الشيخ / محمد إسحاق والشيخ / محمد يعقوب الدهلوي الهجرة إلى الحرمين، وهما من أسباط وخلفاء الشيخ / عبد العزيز المحدث، وفعلاً غادرا الهند في شهر ذي القعدة على ما أظن، فأظلمت دهلي بفراقهما، ورافقهما جمع كبير من الناس في الهجرة، وبدا لوالدي الحج إلى بيت الله، فأخذ يعدّ عدته، ويسعى للحصول على إجازة من عمله ولم يطلع على شيء من ذلك أحداً، حتى تمّ له النجاح في الحصول على إجازة مدتها سنة، إضافة إلى راتب نصف شهر، وخرج الوالد من الموطن في رجب عام ١٢٥٨هـ ليصل مكة المكرمة في أو ذي الحجة، فزار الحرمين الشريفين وقضى سنة بها ثم عاد إلى دهلي، وقد قضى الناس عجبهم من قطع هذا المسافة النائية بهذه السرعة، فبلغ دلهي وقد انتهت أيام إجازته ، فلم يتمكن من زيارة موطنه حتى أطلت الإجازة السنوية في ذي الحجة فقدم إليه ، واستصحب "حضرة المولوي" في سفرته هذه إلى دلهي

☆ ☆ ☆

بحديثه الذي يقول : " إن أعظم النكاح بركةً أيسره مؤنةً " (شعب الإيمان للبيهقي ، ٢٥٤/٥ ، رقم الحديث : ٦٥٦٦) فقام بعقد النكاح حينًا في المسجد الجامع عقيب صلاة وحينا في رحاب الجامعة الإسلامية دارالعلوم ، ديوبند أمام طلابها وعلمائها ، وألبس بناته ملابس عادية وزفّهنّ إلى أزواجهنّ بكل بساطة .

عطوفته مع بناته و أقاربه

وكان من عادة فضيلته أنه كان يحسن إلى بناته بين فينةٍ وأخرى . ومع أنه زوّد في مناسبة تزويج بعض بناته بشيء من الجهاز اليسير، غير أنه لم هناك من نقير و لا قطمير من الطقوس والخرافات . وبذلك فقد لقّن الناس عن طريق مناسبات زواج بناته دروساً عملية للتمسك بأذيال الشريعة في السرّاء والضرّاء . والفضل فيما نراه اليوم من أن أقارب فضيلته وأعضاء طبقته نفضوا أيديهم من الطقوس والخرافات في مناسبات الزواج ، وأصبحوا يأتون فيها بتعاليم الكتاب والسنة إنما يرجع إلى فضيلته و إلى شيخه الإمام النانوتوي الذي أحرز قصب السبق في مكافحة كثير من البدع والمحدثات في هذه المناسبات . وبالرغم من أن البيئة لم تصطبغ من بعد تماماً بتعاليم الكتاب والسنة في خصوص الزواج ومناسباته ، غير أن الضيوف الذين يحضرون هذه المناسبات من القرى والمدن الأخرى يقضون العجب من سذاجة الزواج ، ويأخذهم الأسف على طقوس تأصلت في مناطقهم وعلى النتائج الوخيمة التي سببتها .

فضيلته لم يضع لبنةً على لبنةٍ

هذا وقد قضى فضيلته حياته كلها ولم يضع لبنةً على لبنةٍ قطّ كما رُوِي عن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ما مفاده : إن النبي صلى الله عليه وسلم ما وضع لبنةً على لبنةٍ طول حياته فلم يقم فضيلته اتباعا بهديه صلى الله عليه وسلم ببناء منزل ولو حجرة ،. وإنما عاش حياته في المنزل الذي كان قد بناه أبوه مشيّدًا. إلاّ أنه لما عاد من " مالطة " إلى "ديوبند " و رأى أن البنات يتعرضن لصعوبة كبيرة في طهي الطعام لعدم بناية مستقلة للمطبخ أراد أن يبني حجيرة من أعشابٍ و حشائش ، غير أن الخدّام و معارفه الآخرين أصروا عليه قائلين إن بناء حجيرة من الأعشاب يسبب ميزانية كبيرة في هذه الإيام إضافة إلى أنها تكون دائما عرضةً للحريق ، وأنها تنهار بعد كل ثلاث سنوات ، فأسرع إلى بناء حجيرة صغيرة للمطبخ من الطوب الأحمر في بالغ السذاجة وقليل التكلفة .

وكان فضيلته يعيش في منزله في بداية حياته ، وأقام مدة طويلة بحجرة صغيرة من المسجد المجاور لبيته يعكف على مطالعة الكتب وعبادة الله سبحانه وتعالى . عند ما كان ينقطع إلى تصحيح وضبط نصوص السنن للإمام أبي داوْد السجستاني في عام ١٣١٧هـ أقام في مسجد " تشته " الأثري بإحدى حجراته الواسعة التي ظلّت مدة طويلةً مقرًّا لكل من شيخه الإمام النانوتوي والشيخ " محمد يعقوب النانوتوي " أول رئيس هيئة التدريس بالجامعة . وفي أواخر أيام حياته أقام بالجزء المخصّص للرجال من المنزل الذي كان قد شيّده أبوه .

زهده في الأطعمة الشهية

لم يعتن فضيلته بطعام لذيذ لنفسه قط ، وإنما أكل عن رغبة وشوق ما تيسّر له . ولكن ذلك لا يعني أنه كان يابى الأطعمة الشهية ، بل و إنما إذا عُرِضَ عليه طعام لذيذ في منزله أو في مأدبة يُدعى إليها أكله دونما تصنّع ، فلا يعرب عن رغبة بالغة إليه ولا عن كراهية حبًا في الرياء والزهد . وعلى العكس من ذلك إذا قُدِّمَ إليه طعامٌ عاديٌ في مأدبة رجل آخر أكله عن رغبة كبيرة بحيث يظنّ من يراه أن فضيلته يرغب فيه ويحبّه كثيرا .

المشيب وصوره

(٥/٥)

بقلم : معالي الدكتور عبد العزيز عبد الله الخويطر
المملكة العربية السعودية

ومن سئم وبقي متعلقاً في الحياة فلأن هناك آمالاً تشده إليها، وهي أقرب للخيال، وقد يكون عند بعضهم فزع من الموت؛ وثوب بن تلده الأسدي، وهو من قيل عنه أنه عاش مئتين وعشرين سنة، يذكر أن ما يلهي المعمر عن أحداث الزمن الموصلة إلى المنية هي الأماني الكاذبة ، فيقول :

"وَإِنَّ امْرَءاً قَدْ عَاشَ عِشْرِيْنَ حَجَّةً
إِلَى مِئَتَيْنِ كُلُّهَا هُوَ دَائِبُ
لَرَهْنٌ لأَحْدَاثِ الْمَنَايَا وَإِنَّمَا
يُلَهِّيْهِ فِي الدُّنْيَا مُنَاهُ الكَوَاذِبُ"(١)

وإذا كان لبيد فيما مر من أبياته ذكر ما رمته به بنات الدهر، بمرورها المتوالي ، وكرها عليه حتى أضعفته، فالمسجاح بن خالد بن الحارث يأتي في أبيات له على صورة مماثلة تري مر الأيام المتعاقب، والكون عامر، فإذا كان هناك من ذهب فهناك من يأتي، يقول المسجاح:

"لَقَدْ طَوَّفْتُ فِي الآفَاقِ حَتَّى
بَلِيْتُ وَقَدْ أَنَى لِيَ لَوْ أَبِيْدُ
وَأَفْنَانِي وَمَا يَفْنَى نَهَارٌ
وَلَيْلٌ كُلَّمَا يَمْضِيْ يَعُوْدُ
وَشَهْرٌ مُسْتَهِلٌّ بَعْدَ شَهْرٍ
وَحَوْلٌ بَعْدَهُ حَوْلٌ جَدِيْدُ
وَمَفْقُوْدٌ عَزِيْزُ الفَقْدِ تَأْتِي
مَنِيَّتُهُ وَمَأْمُوْلٌ وَلِيْدُ"(٢)

ويتحسر الحارث بن حبيب الباهلي على شبابه بصراحه وحرقة، وقيل إنه عمر مئة وستين سنة، فيتمنى أن هناك شباباً يباع فيشتريه بأغلى الأثمان، يَسْوَدُّ منه شعره بعد أن أبيض، ويتقوم معه صلبه بعد أن انحنى، وأصبح مشيه دبيباً، يقول الحارث بلوعة وحرقة:

"أَلاَ هَلْ شَبَابٌ يُشْتَرَى بِرَغِيْبِ
يَدُلُّ عَلَيْهِ الحَارِثُ بْنِ حَبِيْبِ
فَمَنْ لاِسْوِدَادِ الرَّأْسِ بَعْدَ ابْيِضَاضِهِ(٣)
وَمَنْ لِقَوَامِ الصُّلْبِ بَعْدَ دَبِيْبِ"(٤)

وعندما يتحسر على شبابه، وقت كبره وضعفه، ففي ذهنه ما كان عليه أيام الشباب، من قوة وفتوة، يصفها بأبياته الآتية :

"كَمْ مِنْ أَسِيْرٍ تَائِهٍ فَدَيْتُهُ
وَمِنْ كَمِيٍّ مُعْلَمٍ أَرْدَيْتُهُ
وَمُسْرِعٍ بِسَرْوِهِ جَازَيْتُهُ
وَمُبْطِئٍ بِرِفْدِهِ كَفَيْتُهُ
وَمُعْلِنٍ بِعَيْبِهِ كَوَيْتُهُ
لَوْ كَانَ يُشْرَى المَوْتُ لاشْتَرَيْتُهُ"(٥)

وكل هؤلاء المعمرين، وهم يشكون من الكبر، ويبدون سأمهم من طول السنين التي مرت بهم، يتذكرون ما كانوا عليه من شدة وبأس، وأهميتهم عند الناس؛ يحسب لهم حساب واعتبار في الحروب والأسفار، ويلهج ببطولاتهم وأمجادهم، ومواقف الشجاعة التي برزوا فيها؛ والمقارنة بين ما كانوا عليه،

وما صاروا إليه تذكي نار الحسرة في قلوبهم؛ وبقدر ما يشعرون به من إهمال ممن حولهم، واستثقال لوجودهم، تكون درجة أساهم وحرقتهم.

يقول أحد المعمرين وهو كهمس بن شعيب الدوسي، عن سابق شبابه، وما اضمحل من قوته:

"أَلاَ رُبَّ نَهْبٍ يَخْطُرُ الْمَوْتُ دُونَهُ
حَوَيْتُ، وَقِرْنٍ قَدْ تَرَكْتُ مُجَدَّلاَ
وَخَيْلٍ كَأَسْرَابِ القَطَا قَدْ وَزَعْتُهَا
بِخَيْلٍ تُسَاقِيهَا ثُمَالاً مُثَمَّلاَ
وَلَذَّاتِ عَيْشٍ قَدْ لَقِيتُ وَشِدَّةٍ
صَبَرْتُ لَهَا جَأْشِيْ وَلَمْ أَكُ أَعْزَلاَ
وَمُسْتَلْحِمٍ فِيهِ الأَسِنَّةُ شُرَّعٌ
دَعَانِي حَذَاراً أَنْ يُصَابَ وَيُقْتَلاَ
سَعَيْت إِلَيْهِ سَعْيَ لاَوَاهِنِ القُوَى
ولاَ عَاجِزٍ لاَ يَسْتَطِيعُ التَّحَلْحُلاَ
فَنَفَّسْتُ عَنْهُ الخَيْلَ وَانْتَشْتُ نَفْسَهُ
وَقَدْ عَايَنَ الأَبْطَالَ أَحْوَلَ أَحْوَلاَ
وَقَدْ عِشْتُ حَتَّى مَلِلْتُ مَعِيشَتِيْ
وَأَيْقَنْتُ حَقّاً أَنْ سَأَلْقَى المُوكَّلاَ
وَأَلاَّ نَجَاةَ لاِمْرِئٍ مِنْ مَنِيَّةٍ
وَلَوْحَلَّ فِيْ أَعْلَى شَمَارِيخَ يَذْبُلاَ"(٥)

والأمثلة كثيرة على هذا النمط، وسأكتفي بهذا المثل، لأن بقية الأمثلة تشبهه، أو قريبة منه، ونعود إلى الصور المختلفة التي يبتدعها المسنون في وصف حالهم مع أنفسهم ومع من حولهم.

ونجد أن النعمان بن بَليّ قد عمر دهراً على ما قيل، وقد رأى في الكهولة صورة سجلها في بيتين، ذكر فيهما أن عينيه تهدلتا بعد أن كانتا مُشتدتين، وكان في أول أمره راضيًا عن حالهما، ولكنه الآن أنكر من أمرهما أنهما لا يساعدانه على الرؤية الحقة فيرى الشخص الواقف على الأرض، وكأنه راكب على بعير؛ ولاختلال رؤيته فإنه يضطر أن يبعد عما يريد أن ينظر إليه حتى يحققه، لأنه لا يميزه عن قرب، يقول النعمان بن بلي:

تَهدَّلَتِ العَيْنَان بَعْدَ طَلاَوَةٍ
وَبَعْدَ رِضًى فَأَحْسِبُ الشَّخْصَ رَاكِباَ
وَأُبعِدُ مَا أَنْكَرْتُ كَيْ اسْتَبِيْنَهُ
فَأَعْرِفُهُ وَأُنْكِرُ المُتَقَارِبَا"(٦)

وتهدل الحاجبين مظهر من مظاهر الهرم، وقد عانى منه أحد المعمرين فعالجه بعصابة تشد الحاجبين، ليتمكن صاحبهما من الرؤية، وهذا خبر الشاعر وحاجبيه:

" ذكر المبرد أن محمد بن عبد الله بن طاهر نظر إلى حاجب له (٧)، قد رفع حاجبه عن عينيه بعصابة، من الكبر، فقال:

كم أتى لك من السنين ، يا أبا المجد ؟

فقال مجيباً له :

يَا ابْنَ الَّذِيْ دَانَ لَهُ الْمَشْرِقَا
نُ مِنْ بَعْدِ أَنْ دَانَ لَهُ الْمَغْرِبَانْ
إِنَّ الثَّمانِيْنَ - وَبُلِّغْتَهَا -
قَدْ أَحْوَجَتْ سَمْعِي إِلَى تُرْجُمَانْ
وَبَدَّلَتْنِيْ بِالشَّطَاطِ (٨) انْحِنَا
وَكُنْتُ كَالصَّعْدَةِ تَحْتَ السِّنَانْ
وَقَارَبَتْ مِنِي خُطًا لَمْ تَكُنْ
مُقَارَبَاتٍ وَثَنَتْ مِنِّي العِنَانْ
وَأَنْشَأَتْ بَيْنِي وَبَيْنَ الوَرَى
عَنَانَةً (٩) مِنْ غَيْرِ نَسْجِ العَنَانْ
لَمْ تُبْقِ لِي عَظْمًا وَلاَ مَفْصِلاً
إِلا لِسَانِي وَكَفَانِي اللِّسَانْ
أَدْعُو بِهِ اللهَ وَأُثْنِيْ عَلَيْهِ
عَلَى الأَمِيْرِ الطَّاهِرِيِّ الجَنَانْ"(١٠)

وإذا كان أبو المجد قد دعا لمحمد بن عبد الله بن طاهر بطول العمر، حتى يبلغ الثمانين، بقوله في جملة معترضة: "وبُلِّغتَها" ، فإن شاعراً آخر، حنق على عائب عليه المشيب عندما آن أوان مجيئه، دعا على عائبه أن لا يبلغ السن التي بلغها، وبان عليه بسببها المشيب، فيقول :

وَعَائِبٍ عَابَنِيْ بِشَيْبٍ
لَمْ يَعْدُ لَمَّا أَلَمَّ وَقْتَهُ
فَقُلْتُ إِذْ عَابَنِيْ بِشَيْبِيْ
يَا عَائِبَ الشَّيْبِ ، لاَ بُلِّغْتَهُ!"(١١)

ويصف المساور بن هند بن زهير حال المشيب، ويرسم بعض الصور التي رأى فيها تغير حاله بعد أن ولى الشباب، وحل محله المشيب، فيقول :

أَوْدَى الشَّبَابُ فَمَا لَهُ مُتَقَفَّرُ
وَفَقَدْتُ أَتْرَابِي فَأَيْنَ المَعْبَرُ
وَأَرَى الغَوَانِيْ بَعْدَمَا أَوْجَهْنَنِيْ
أَعْرَضْنَ ثُمَّتَ قُلْنَ شَيْخٌ أَعْوَرُ
وَرَأَيْنَ رَأْسِيْ صَارَ وَجْهاً كُلُّهُ
إِلاَّ قَفَايَ وَلِحْيَةٌ مَا تُضْفَرُ
وَرَأَيْنَ شَيْخاً قَدْ تَحنَّى ظَهْرُهُ
يَمْشِيْ فَيَقْعِسُ أَوْ يَكِبُّ فَيَعْثُرُ"(١٢)

والصلع من السمات التي تبدأ مع بدء مغادرة الشباب، وفيه ذعر للرجال، ولأنه نذير لما بعده من علامات المشيب، ومن الصور الساخرة التي ترسم للصلع ما قاله أحد الشعراء فيه، يقول:

"قَدْ تَرَكَ الدَّهْرُ صَفَاتِيْ صَفْصَفَا
فَصَارَ رَأْسِي جَبْهَـةً إِلَى القَفَـا
كَأَنَّـهُ قَـدْ كَانَ رَبْعَـاً فَعَفَـا
أَمْسَى وَأَضْحَى لِلْمَنَايَا هَدَفَا"(١٣)

ومحمود الوراق من أصحاب الصور الناطقة، في شعره إبداع، وسلاسة، ولعل لمهنته أثراً على ما تحصل عليه من علم وملكة، وله أبيات عن بعض سمات المشيب، ومنها الصلع(١٤)، وجاء على عدد من العلامات التي قالها من سبقوه يقول:

"أَلاَ رُبَّ ذِيْ أَمَلٍ كَاذِبٍ
بَعِيْدِ الرَّجَاءِ قَوِيُّ الطَّمَعْ
تَمَنَّى البَقَاءَ تَمَادَى بِهِ
أجَابَ القَضَاءُ ، فَمَاذَا صَنَعْ؟
تَجَرَّدَ أَكْثَرُ جُثْمَانِهِ
وفَرَّقَ مَا كَانَ مِنْهُ جَمَعْ
وَدَلَّ المَشِيْبُ عَلَى رَأْسِهِ
وأَعْقَبَ مَا بَعْدَ شَيْبٍ صَلَعْ
وَقَوَّسَ مَتْنَيْهِ بَعْدَ اِعْتِدَالِ
وأَثْبَتَ فِي الرِّجْلِ مِنْهُ ضَلَعْ
فَمَنْ يُسَرُّ بِطُوْلِ البَقَاءِ
إذَا كَانَ يُبْدِعُ هذِي البِدَعْ"(١٥)

ولبيد (١٦) من الذين يعتد بشعرهم، وله مشاركة في رسم صورة الكبر، وما يفعله المشيب بالإنسان، يقول فيها:

"المَرْءُ يَأْمُلُ أَنْ يَعِيْـ
ـشَ ، وَطُوْلُ عَيْشٍ قَدْ يَضُرُّهْ
تَفْنَى بَشَاشَتُهُ وَيَبْقَى
بَعْدَ حُلْوِ العَيْشِ مُرُّهْ
وَتَخُوْنُهُ الأَيَّامُ حَتَّى
لاَ يَرَى شَيْئًا يَسُرُّهْ"(١٧)

ويعمد بعض شعراء العصور الإسلامية الأولى إلى صور البديع يحلون بها معانيهم، والشيب له نصيب وافٍ من ذلك، يقول محمد الوراق، ممثلاً ظهور الشيب، وهو أبيض، في شعر الشاب، وهو أسود:

"فَاجَاكَ مِنْ وَقْدِ المَشِيْبِ نَذِيْرُ
وَالدَّهْرُ مِنْ أَخْلاَقِهِ التَّغْيِيْرُ
فَسَوَادُ رَأْسِكَ وَالْبَيَاضُ كَأَنَّهُ
لَيْلٌ تَدِبُّ نُجُوْمُهُ وَتَسِيْرُ"(١٨)

وصورةبديع أخرى تنسب إلى داوود بن جهوة، وهي من أبيات خمسة، يقول منها، مشبهاً الشيب بالشمس، وملمحاً إلى أن شعره ليل، ثم يردف البيت الأول بالثاني ويمثل للصبا والشيب تمثيلاً مبتدعاً، فيقول:

"وَأَنْكَرْتُ شَمْسَ الشَّيْبِ فِيْ لَيْلِ لِمَّتِيْ
لَعَمْرِيْ لَلَيْلِيْ كَانَ أَحْسَنَ مِنْ شَمْسِيْ
كَأَنَّ الصِّبَا وَالشَّيْبُ يَطْمِسُ نُوْرَهُ
عَرُوْسُ أُنَاسٍ مَاتَ فِيْ لَيْلَةِ العُرْسِ"(١٩)

ومن الصور الآخذة باللب صورة بديعية اقتنصها أبو دلف العجلي لأبيات قالها في بدء المشيب، وحوار له مع غادة وثالثهما المشيب، وأُعِدَّ لهذا الحوار مسرح فيه أخذ ورد، وللمشيب دور فاعل فيه، يقول أبو دلف:

نَظَرَتْ إِلَيَّ بِعَيْنِ مَنْ لاَ يَعْدِلُ
لَمَّا تَمَكَّنَ طَرْفُهَا مِنْ مَقْتَلِي
لَمَّا تَبَسَّمَ بِالْمَشِيْبِ مَفَارِقِيْ
صَدَّتْ صُدُوْدَ مُفَارِقٍ مُتَجَمِّلِ
فَجَعَلْتُ أَطْلُبُ وَصْلَهَا بِتَعَطُّفٍ
وَالشَّيْبُ يَغْمِزُهَا بِأَنْ لاَ تَفْعَلِي"(٢٠)

والإشعاع الباهر جاء من آخر شطر من آخربيت، فقد جسم الشاعر الشيب، وجعله إنساناً يتصرف، وأوقفه ضد الشاعر، ومع المرأة التي حملت علم الفراق والجفوة، فجاء الشيب معيناً لها، وبقي الشاعر في الميدان وحيداً يعاني من الفقد من جميع الأمور.

ومن المعانيَ التي يكررها كبار السن، عندما يعددون معايب الشيب، وكبر السن، وما يعانونه من ذلك، شعورهم بالغربة بين أبناء زمنهم، فقد ذهب جيلهم، وقد يكون لحقه جيل ثان و ثالث، فهم غرباء بين من حولهم.

يقول التيمي في هذا المعنى من أبيات:

"إِذَا مَا مَضَى القَرْنُ الَّذِيْ كُنْتَ فِيْهِمُ
وَخُلِّفْتَ فِيْ قَرْنٍ فَأَنْتَ غَرِيْبُ"(٢١)

ومحمود الوراق يقول من جُملة أبيات قالها عن المشيب :

"واسْتُحْصِدَ القَوْمُ الَّذِيْ أَنَا مِنْهُمْ
وَكَفَى بِذَاكَ عَلاَمَةً لِحَصَادِي"(٢٢)

و يقول النضر بن شميل من أبيات :

"وَأَصْبَحْتُ فِيْ قَوْمٍ كَأَنْ لَسْتُ مِنْهُمُ
وَبَانَتْ لِدَاتِيْ مِنْهُمُ وَضُرُوْبِي"(٢٣)

وأسامة بن منقذ ممن كبر في السن، ولاحظ علامات الضعف بذهاب الشباب، ودبيب الكبر، وتقدم السن؛ وهو ممن فقد بذلك الكثير من صفات الشباب، وعلى رأسها الحركة الدائبة، والقوة المتناهية؛ فقد كان فارس ميدان، ومديم صيد، للسيف صديق، وللحصان خدن ورفيق؛ ولهذا جاء كلامه عن الشيب بديعاً، عصير ملاحظة متأنية، وتبصر عميق، يقدم لبعض الأبيات في الشيب ومظاهره، وما جاءه منه، بقوله :

"لم أدر أن داء الكبر عام، يعدي كل من أغفله الحمام، فلما توقلت ذروة التسعين، وأبلاني مر الأيام والسنين، وصرت كجواد العلاف، لا الجواد المتلاف، ولصقت من الضعف بالأرض، ودخل من الكبر بعضي في بعض، حتى أنكرت نفسي، وتحسرت على امسي، وقلت في وصف حالي:

ثم يسوق أبياتاً في ذلك يدخل منها في بابنا هذا قوله :

ضَعُفَتْ قُوَايَ وَخَانَنِيْ الثِّقَتَانِ مِنْ
بصَرِيْ وَسَمْعِي حِيْنَ شَارَفْتُ الْمَدَى
فَإِذَا نَهَضْتُ حَسِبْتُ أَنِّيْ حَامِلٌ
جَبَلاً وَأَمْشِي ، إنْ مَشَيْتُ مُقَيَّدَا
وَأَدِبُّ فِيْ كَفِّي العَصَا وَعَهِدْتُهَا
فِيْ الحَرْبِ تَحْمِلُ أَسْمَرًا وَمُهَنَّدَا
وَأَبِيْتُ فِيْ لِيْنِ المِهَادِ مُسَهَّدًا
قَلِقًا كَأَنِّيْ مَا افْتَرَشْتُ الجَلْمَدَا(٢٤)

ومله من الحياة يتبين في تكراره ملاحظته و شكواه نثراً وشعراً يقول في وصف حاله بعد الثمانين، وحاله في شبابه:

"فلا يظن ظان أن الموت يقدمه ركوب الخطر، ولا يؤخره شدة الحذر، ففي بقائي أوضح معتبر، فكم لقيت من الأهوال، وتقحمت المخاوف والأخطار؛ ولاقيت الفرسان، وقتلت الأسود، وضربت بالسيوف، وطعنت بالرماح، وجرحت بالسهام والجروخ، وأنا من الأجل في حصن حصين، إلى أن بلغت التسعين، فرأيت الصحة والبقاء كما قال ﷺ: "كفى بالصحة داءاً"، فاعقبت النجاة من تلك الأهوال ما هو أصعب من القتل والقتال، وكان الهلاك في كنه الجيش أسهل من تكاليف العيش؛ استرجعت مني الأيام بطول الحياة سائر محبوب اللذات، وشاب كدر النكد صفو العيش الرغد، فأنا كما قلت:

مَعَ الثَّمَانِيْنَ عَاثَ الدَّهْرُ فِيْ جَلَدِي
وَسَاءَنِي ضَعْفُ رِجْلِي وَاضْطِرَابُ يَدِي
إِذَا كَتَبْتُ فَخَطِّي جِدُّ مُضْطَرِبٌ
كَخَطِّ مُرْتَعِشِ الكَفَّيْنِ مُرْتَعِدِ
فَاعْجَبْ لِضَعْفِ يَدِي عَنْ حَمْلِهَا قَلَمًا
مِنْ بَعْدِ حَطْمِ القَنَا فِيْ لَبَّةِ الأَسَدِ
وَإِنْ مَشَيْتُ وَفِيْ كَفِّي العَصَا ثَقُلَتْ
رِجْلِي كَأَنِّي أَخُوضُ الوَحْلَ فِيْ الجَلَدِ

فَقُلْ لِمَنْ يَتَمَنَّى طُوْلَ مُدَّتِهِ
هذِيْ عَوَاقِبُ طُوْلِ العُمْرِ وَالمُدَدِ(٢٥)

وأبيات ثالثة يسوقها عن تقدم سنه، يقدم لها بمقدمة يقول فيها:

" ضعفت القوة، ووهت، وتقضّت بلَهْنِيَة العيش، وانتهت، ونكّسني التعمير بين الأنام، وإلى الخمود تَسعُّر الضِّرام، حتى أصبحت كما قلت:

تَنَاسَتْنِيَ الآجَالُ حَتَّى كَأَنَّنِيْ
رَذِيَّةُ سَفْرٍ بِالفَلَاةِ حَسِيْرُ
وَلَمَّا تَدَعْ مِنِّي الثَّمَانُوْنَ مُنَّةً
كَأَنِّي إِذَا رُمْتُ القِيَامَ كَسِيْرُ
أُؤَدِّيْ صَلَاتِي قَاعِدًا وسُجُودُهَا
عَلَيَّ إِذَا رُمْتُ السُّجودَ عَسِيْرُ(٢٦)

ويبدو أن أسامة بن منقذ همه الشيب، مثلما هم والده من قبل، فقد ذكر في كتابه "لباب الآداب" في باب سماه باب "الشيب" أبياتاً لوالده في الشيب، ومظهر اهتمامه يأتي عما قاله عن نفسه في الكتاب (ص:٣٧٧)، من أنه ألف كتاباً في الشيب والكبر وفي الشباب، ولهذا اختصر ما اقتبسه منه هنا.

ولقد اقتربنا من نهاية حديثنا عن الشيب، ولعل من المناسب أن نأتي ببعض الصور على عجل، لما فيها من بريق إبداع، وتقرير دقيق لواقع بعض الشيوخ، وما يرونه في أنفسهم ، وما يشبهونه بـه ؛ ومن ذلك قول الشاعر يصف قيامه ومسيره ، وما فيهما من خلل:

"وَقَدْ جَعَلْتُ إِذَا ما قُمْتُ يُوْجِعُنِي
ظَهْرِي، فَقُمْتُ قِيَامَ الشَّارِبِ السَّكِرِ
وَكُنْتُ أَمْشِيْ عَلَى رِجْلَيَّ مُعْتَدِلاً
فَصِرْتُ أَمْشِي عَلَى أُخْرَى مِنَ الشَّجَرِ(٢٧)

وقال آخر، والعصا إحدى مرتكزات حديثه :

"كَفَى حُزْنًا أنّي أَدِبُّ عَلَى العَصَا
فَيَأمَنُ أعْدَائِي وَيُبْغِضُنِيْ أَهْلِي
وَيُوْصِيْ بِيَ الوَغْدُ الضَّعِيفُ مَخَافَةً
عَلَيَّ وَمَا قَامَ الـحَوَاضِنُ عَنْ مِثْلِيْ
أُقِيْمُ العَصَا بِالرِّجْلِ وَالرِّجْلَ بِالعَصَا
فَمَا عَدَلَتْ مَيْلِيْ عَصَايَ وَلاَ رِجْلِي"(٢٨)

وفي آخر بيت صورة جديدة مبتدعة، في مساعدة الرجل لنقل العصا، ومحاولة العصا مساعدة الرجل في الحركة والانتقال، ومع هذا فلم تأت واحدة منهما بعمل متقن، فميل الرجل وعرجه بقيا على ما هما عليه.

والحديث عن الشيب يطول، لأن ما سجل عنه كثير، وفي بعضه من الإبداع ما يجعله جميلاً وجذاباً، وقد تفنن قائلوه فيه ما شاؤا، وجالوا في ميدانه ما وسعهم ذلك؛ وكان لهم في حقول البيان والبديع، خاصة الاستعارة، ما فسح لهم في الأفق، وأوسع في الميدان .

ولعل من المناسب أن يكون ختام هذا الباب هذه الأبيات التي تبين مراحل العمر، كما رآها ناظم الأبيات :

"ابْنُ عَشْرٍ مِنَ السِّنِيْنَ غُلاَمٌ
هَمُّهُ اللَّعِبُ مُوْلَعٌ بِالْحَمَامِ
وابنُ عِشْرِيْنَ مُوْلَعٌ بِالْغَوَانِي
لاَ يُبَالِيْ مَلاَمَةَ اللُّوَّامِ
وَالَّذِيْ يَبْلُغُ الثَّلاَثِيْنَ عَامًا
فَضَرُوْبٌ لَدَى الوَغَى بِالـحُسَامِ
فَإِذَا جَازَهَا بِعَشْرٍ سِنِيْنَ
كَانَ أَقْوَى مِنْ كُلِّ قِرْنٍ مُسَامِ
وابْنُ خَمْسِيْنَ لِلنَّوَائِبِ يُرْجَى
وَلِنَقْضِ الأُمُوْرِ وَالإِبْرَامِ
وابْنُ سِتِّيْنَ حَازِمُ الرَّأْيِ طَبٌّ
كَامِلُ العَقْلِ ضَابِطٌ لِلْكَلاَمِ
وابْنُ سَبْعِيْنَ قَدْ تَوَلَّى وَأَوْدَى
وَكَبَّنِي فَمَا لَهُ مِنْ قَوَامِ
وَالَّذِي يَبْلُغُ الثَّمَانِيْنَ عَامًا
ذَاهِبُ الذِّهْنِ دَائِبُ الأَسْقَامِ
وَابْنُ تِسْعِيْنَ تَائِهٌ قَدْ تَنَاهَى
إِنَّ تِسْعِيْنَ غَايَةُ الأَعْوَامِ
فَإِذَا جَازَهَا بِعَشْرٍ فَحَيٌّ
مِثْلُ مَيْتٍ مُوَدَّعٌ بِالسَّلاَمِ"(٢٩)

☆ ☆ ☆

الهوامش :

(١) كتاب المعمرين : ٩٢، المعمرون والوصايا : ٨٤.
(٢) كتاب المعمرين : ١٠٣، المعمرون والوصايا : ٩٥، شرح الحماسة: ٤٩/٣.
(٣) في كتاب المعمرين ورد هذا الشطر هكذا · فمن لا سوداد بعدابيضاضه
(٤) كتاب المعمرين : ١٠٥، المعمرون والوصايا : ٩٧.
(٥) كتاب المعمرين : ١٠٤، للعمرون والوصايا : ٩٦.
(٦) كتاب المعمرين : ٣٨، للمعمرون والوصايا : ٢٩.
(٧) كتاب المعمرين : ١١٢.
(٨) في الأمالي للقالي : ٥١/١ " أن عوف بن ملحم الخزاعي (أبا المنهال) دخل على عبد الله بن طاهر، فحياه عبد الله، فلم يسمع، فأعلم بذلك، فزعموا أنه ارتجلها.
(٩) الشطاط : حسن القوام، واعتدال الجسم.
(١٠) العباية : السحابة الرقيقة . (١٠) الأمالي : ١١٠/١.
(١٢) بهجة المجالس : ٢٣٢/٣، الأمالي : ٥١/١.
(١٣) شرح ديوان الحماسة : ٣٠/٢.
(١٤) بهجة المجالس: ٢٢٩/٣.
(١٥) وعن الصلع يقول الشاعر:
إذا رأيت صلعاً في الهامة — وحدباً بعد اعتدال القامة
وصار شعر الرأس كالثغامه — فايأس من الصحة والسلامة
بهجة المجالس : ٢٣٦/٣.
(١٦) بهجة المجالس : ٢٣١/٣.
(١٧) ويقال: إن هذه الأبيات للنابغة الجعدي، الأمالي:٨/٢.
(١٨) بهجة المجالس: ٢٣٣/٣، والأمالي:٨/٢.
(١٩) الأمالي : ١٠٨/١. (٢٠) الأمالي : ١٠٩/١.
(٢١) الأمالي :١٠٩/١. (٢٢) بهجة المجالس:٢٣٤/٣.
(٢٣) بهجة المجالس: ٢٣٥/٣. (٢٤) بهجة المجالس:٢٣٧/٣.
(٢٥) الإعتبار :١٨٢. (٢٦) الإعتبار:١٨٢.
(٢٧) بهجة المجالس:٢٤٠/٣. (٢٨) ديوان للمعاني :١٦٤/٢.
(٢٩) بهجة المجالس:٢٤٢/٣.

وزارة الشؤون الإسلامية السعودية
تعقد دورة اللغة العربية بدهلي

بقلم : رئيس التحرير

في الفترة ما بين ١١/ ربيع الأول ١٤٢١هـ الموافق ٢٠٠٠/٦/١٤م : الأربعاء و ٢٢/ ربيع الأول ١٤٢١هـ الموافق ٢٠٠٠/٦/٢٥م : الأحد عقدت وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية دورة في اللغة العربية ، بجامعة " هامدارد " (Hamdard University) .

وذلك بتوجيه من وزير الشؤون الإسلامية معالي الشيخ صالح عبد العزيز محمد آل الشيخ حفظه الله ، وبعناية من وكيل الوزارة للشؤون الإسلامية والدعوة سعادة الدكتور عبد العزيز العمار حفظه الله ، وتحت إشراف مدير عام الدعوة في آسيا : فضيلة الشيخ عبد الرحمن مهيزع المهيزع حفظه الله ؛ تنفيذاً لأمر خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز ووليّ عهده الأمين سمو الأمير عبد الله بن عبد العزيز بتعميم رقعة اللغة العربية في العالم والاهتمام بلغة كتاب الله ولغة نبيه في جانب، والعناية بالدعوة الإسلامية ، وتأهيل الدعاة ، وتبصيرهم بالأساليب الحديثة للدعوة ، و تزويدهم من الثقافة والمعلومات بما يحتاجون إليه من أجل الأداء المثمر الفعّال ، في جانب آخر .

ودُعِيَ للاشتراك في هذه الدورة الممتعة ، من أقطار الهند و نيبال ، نحو ثلاث مائة عالم وداعية ناشطين في مجال خدمة اللغة العربية ، والدعوة الإسلامية والتعليم الإسلامي.

عُقِدَت الجلسة الافتتاحيّة الأولى بعد صلاة المغرب مباشرة من يوم الخميس ١٢/ ربيع الأول ١٤٢١هـ الموافق ١٥/ يونيو ٢٠٠٠م ، رأسها صاحبُ الفضيلة الشيخ عبد الرحمن مهيزع المهيزع الموقر مدير عام الدعوة في آسيا والمشرف على الدورة ، وحضرها إلى جانب العلماء المدعوين ، العلماءُ والمشايخُ الْمُوْفَدُون من قبل الوزارة لإثراء الدورة وإلقاء المحاضرات فيها ، كما حضرها مسؤولُ الوزارة في الهند الشيخ وليد عبد الكريم الخميس ومساعده الشيخ عبد الرحمن المزيني حفظهما الله.

ومنذ صباح يوم الجمعة ١٣/ ربيع الأول ١٤٢١هـ الموافق ١٦/ يونيو ٢٠٠٠م ابتداءً من الساعة الثامنة والنصف ، بدأت فعّاليّاتُ الدورة الأساسيّة متمثلةً في المحاضرات القيمة التي ساهم فيها كل من :

١- الشيخ أحمد بن محمد العتيق / محاضراً في الفقه
٢- الشيخ ماجد بن محمد المرسال / محاضرًا في العقيدة
٣- الشيخ أحمد العثمان / محاضرًا في التفسير
٤- الشيخ سعود / محاضرًا في منهج الدعوة لدى الأنبياء

وكانت فعّاليات ندوة التقارير التي أشرف عليها يوميًا ، ومنذ ما بعد صلاة المغرب حتى صلاة العشاء ، الشيخ عبد الرحمن محمد البليهي ، أكثر إمتاعاً ؛ حيث تحدّث العلماء بأسلوب موضوعيّ مركّز لطيف ، عن مناطق عملهم و نشاطاتهم ، ووضعية أعمالهم والمشكلات التي تعترض طريقهم ، والمنجزات التي قاموا بها ، والانتصارات التي حققوها ، والمشاريع المُجَدْوَلة التي هم في سبيل تنفيذها في المستقبل ، والمآثر التي

خلّدوها في سبيل خدمــة الدين والدعوة ، والتعليم والتربية ، ونشر اللغة العربية ، وجعلها لغة التحادث والكتابة ، باعتبارها اللغةَ الرسمية للإسلام .

كانت هذه الندوة فرصة جميلة للتحدث عن الذات، وإبراز محاسن الأعمال الشخصية ، ومفاتن المآثر التي أنجزها العالم الداعية . وكانت فرصةً غريبة أيضًا ؛ حيث كُلِّفَ الإنسان أن يفيض في الحديث عن الأعمال التي حققها في سبيل الإسلام ، ويثني بها على نفسه . وفعلاً قد أحسن كثير من الإخوة ــ والإنسان أنواع لا تُحصَى ــ الحديث عن النفس ، والتركيز على الذات ، والإشادة بألسنتهم بأعمالهم وحسن فعالهم وسحر مقالهم ، وأنّهم أقاموا عددًا كبيرًا من المدارس ، وعددًا لا بأس به من المستشفيات الخيرية ، وأنهم تسبّبوا مباشرة في دخــول عــدد لم يُحْصِهِم في دخــول الإســلام ، وأنّ مؤهّلاتهم العلمية والخدماتية أثمرت وأينعت ، ونضجت واختمــرت ، وهـا هي ذه أغراسها باسقــة ، وأغصانها متزامية ، وقطوفها دانية ، وأكلُها دائم وظلُّها !! .

كما أن التقارير دلّت بالمجموع على أنّ هؤلاء العلماء نشيطون جدًّا ، باذلون كل ما بوسعهم في سبيل القيام بالرسالة التي تفرضها عليهم مكانتهم العلمية والدينية ، والمسؤولية التي كلّفتهم بها الجهة المعنية بخدمة الدعوة واللغة العربية .

وأنهم لا يألون جهدًا في تنفيذ الأعمال التدريسية والدعــوية ، والكتـابيــة والتـأليفيــة ، والاجتـمـاعيــة والإصلاحيــة ، كلٌّ حَسَبَ مؤهّلاتهم التي كسبوهــا والمواهب التي أكرمهم الله بها . وكان ذلك شيئًا سارًّا للغاية ، و مبعث افتخار واعتزاز لكل معنيّ بأمر الإسلام والمسلمين . وفّقهم الله للمزيد من خدمة اللغة والدين والدعوة والعقيدة ، مع الإخلاص الذي لا ينفع بدونه شيء عند الله .

وكانت أكثرَ شيء جديّة في هذه الدورة ، الندوةُ العلمية التي عُقِدَت طَوَالَ أيام الدورة فيما بين العصر والمغرب ، وأشرف على جلساتها الشيخ محمد بن عبد الله الغيث حفظه الله . وقد كانت نافعة جدًّا ؛ حيث قدم عدد كبير منتخب من العلماء الكتاب بحوثًا علميّة قيمة ، أصغى لها الحضور ، وأعجبوا بمحتوياتها ، وأفادوا مما فيها من المواد التي استنفد البحث فيها والصدور عنها، وجمعها وترتيبها ، والسهر على دراستها ، كثيرًا من أوقات العلماء الكتاب وجهدهم وقوتهم .

وحبّذا لوكانت المواضيع عُيِّنت قبل ثلاثة شهور على الأقل ، وأحيط بها العلمـاء المعنيـون منذ وقت مبكر ، لكانت البحوث أكثر ثراءً بالمواد ، والموضوعيّة، والجديّة ، والدراسة المستوعبة ، وجميع العناصر التي هي من سمات بحث علميّ ممتاز .

فأرجو أن المسؤوليين في حالة ارتيائهم عقدَ الدورة في المستقبل يضعون ذلك في اعتبارهم ، ويقبلون اقتراحي بأن تُعَيَّنَ الموضــوعـات قبل الـدورة بثلاثـة شهور على الأقل ، ويخبر العلماء بذلك في حينها ، حتى يأتوا إلى الدورة ولديهم بحث محضّر تحضيرًا كاملاً ؛ ولاسيّما لأن مكانَ انعقاد مثل هذه الدورة لا يجد فيه الكاتب من المراجع ما يشفي غلته .

وقد كانت المواضيع المعينة للدورة كما يلي :

١– حقيقــة دعوة الشيخ محمـد بن عبد الوهاب رحمه الله : بيان عقيدة الشيخ ، والأسس العامّة التي قامت عليها دعوته .

٢– التشبّه بالكفار : مشابهتهم ومشاركتهم في الأعياد والتشبّه بهم .

٣– الولاء والبراء : مظاهر موالاة الكفار ، ومظاهر موالاة المؤمنين .

٤– الدعوة إلى توحيد الأديان : بدايتها ، وأهدافها،

وأحكامها .

٥- عوائق الدعوة : أهمّ العوائق وسبل تجاوزها.

٦- تواصل الأقليات والجاليات الإسلامية مع الأمة الإسلامية .

٧- الحجاب والاختلاط : حكم الحجاب ، و آثار الاختلاط وحكمه .

٨- شبهات تثار حول الإسلام : الحدود ، المرأة، تعدد الزوجات .

٩- دعوة غير المسلمين : أهميتها، أساليبها ، وسائلها.

١٠-رسالة المراكز الإسلامية في العالم .

١١-أدب الحوار والمناظرة .

١٢-أساليب التنصير ومدارسه ومؤسساته وسبل التصدى له .

١٣-حكم السحر والشعوذة : التحذير منهما.

١٤-الغلو في الدين وموقف الداعية منه .

١٥-أثر السلوك في الدعوة .

١٦-الإعلام وأثره في الدعوة .

وقد تناول العنوان الأول الأخ الفاضل الدكتور رضاء الله عبد الكريم من الجامعة السلفية بـ " بنارس" والشيخ محمد خورشيد من ولاية " بيهار " .

كما قدم بحثين حول " شبهات تثار حول الإسلام " كل من الشيخ أبو ذر القاسمي المدني من جامعة الرشاد بـ " أعظم كره " والشيخ صدر الحسن الندوي المدني أستاذ بجامعة كاشف العلوم بمدينة " أورنك آباد " بولاية " مها راشترا " ، فأجادا ، وأفادا ، و أشبعا الموضوع .

وكلاً من العناوين المذكورة تناوله عالمان لديهما مؤهلات لائقة للدراسة والكتابة واستيعاب الموضوع .

وكلهم أتقنوا العمل ، وأحسنوا الطرح ، وأجادوا الكتابة ، وأصابوا الهدف الذي وضعوه نصب أعينهم من وراء تقديم البحث .

وقد أعدّ كاتب هذه السطور نور عالم خليل الأميني/ رئيس تحرير المجلة، بحثاً ضافيًا حول "أهم عوائق الدعوة" نال إعجاب القراء ، وحصد إشادتهم وتقريظهم بفضل من الله عزّ و جلّ ودعاء الصالحين من عباده . وسيُنشر البحث في مناسبة ما في مجلة " الداعي " إن شاء الله .

وجميعُ المشايخ العرب المُوْفَدِيْنَ من الوزارة ، بذلوا جهودًا مضنية حقًّا في سبيل إنجاح الدورة وإثرائها في الغرض الذي هدفت إليه ؛ فرغم أن الطقس كان حارًّا جدًّا ، والفصل كان قاسيًا للغاية ، لم يبالو براحتهم ، وإنما ظلّوا يستجيبون لدواعي شعورهم بالمسؤوليّة ، فجزاهم الله خيرًا .

ورغم أن المشايخ الحاضرين كلّهم بذلوا أقصى جهدهم في طـرح الموضوعـات المخصّصـة ، وحصدوا إعجاب العلماء الحضور بحبّهـم وإخلاصهـم ونعومـة أخلاقهم وكرمهم العربيّ ، إلاّ أنّ رجلاً نحيل الجسم معروق اللحم قد لفت إلى شخصه انتباهَ الحضور أكثر من غيره ، بإخلاصـه الجم ، وتواضعـه الثرّ ، وطرحه المشبع للموضوع الذي عالجه ، وباعتداله واستقامته و جدّيته في الفكر والقول ، وتثبّته مما يقول ولا يقول ألا وهو الشيخ ماجد بن محمد المرسال الذي حاضر حول العقيدة ، والذي كان مصداقًا لقول الشاعر العربي:

تَرَى الرَّجُلَ النَّحِيْفَ فَتَزْدَرِيْهِ
وفي أثْـوَابِـهِ أَسَــدٌ مَـزِيْـرٌ

مدّ الله في عمره ، وأكرمه بمزيد من التوفيق لخدمة دينه ، بعلمه السديد ، وعمله الصالح ، وقوله الوسط المعجون من توازن الفكر ، ومبدأ إنزال الناس منازلهم ، واحترام السلف الصالح على اختلاف منازعهم ، و مذاهبهم الفقهية ، ومدارسهم الفكرية ؛ وكثّرَ أمثاله .

وإن ننس فلن ننسى المتابعة الدقيقة المتصلة و العناية اللائقة التي شهدناها من قبل الرجل الصالح

آمالُ المُسْلِمِينَ ... والمنظَّماتُ الدَّوْلِيَّة

بقلم د عثمان جمعة ضميرية

تمهيد :

عند ما خلق الله تعالى الإنسان، جعله اجتماعياً بطبعه، ينزع إلى الحياة مع الآخرين، إذْ لا يستطيع أن يعيش منعزلاً بمفرده عن بني جنسه. ويستوي في ذلك: الأفراد والجماعات، والأمم والدول. ومن هنا نشأت العلاقات بين الأمم البشرية.

وقد جعل الله تعالى الناس شعوباً وقبائل، وميّز بينهم ليكون هذا التمايز سبباً للتعارف والتعاون، فقال سبحانــه: "وجعلنا كم شعوباً وقبائل لتعارفوا " (١).

ومن هنا كان للأمم، في علاقاتها مع غيرها، قواعد مرعيَّة، ومبادئ تعارفت عليها منذ العصور الغابرة، وعليها أقامت أُسس العلاقات في حال السِّلم والحرب، حتى قال "مونتسكيو" "ما من أمة من الأمم إلا ولها في حقوق الدول نظام، حتى قبائل "إركوا" الذين يأكلون أسراهم، لهم نظام من هذا القبيل؛ فإنهم يرسلون رسلهم، ويستقبلون رسل غيرهم، ويعرفون أحكام السِّلم والحرب. ولكن من سوء أمرهم أنَّ نظام حقوقهم غير مبنيٍّ على الصحيح من الأصول " . (٢)

نشأة القانون الدولي الحديث :

وُجِدَتْ هذه القواعد بوجود الجماعات الإنسانية ذاتها، وقبل أن تكتسب صفة الدولة، كما يعرفها القانون الدولي الحديث، فكان ذلك بداية لنشأة "القانون الدولي" – على تسامح في التعبير – لأن القانون الدولي بمعناه الحديث لا يتجاوز عمره ثلاثة قرون، منذ أواسط القرن السابع عشر الميلادي، على إثر المنازعات الأوروبية التي انتهت بإبرام معاهدة "وستفاليا" سنة (١٦٤٨م) والتي تعتبر فاتحة عهد جديد للعلاقات الدولية، والنقطة التي يبدأ منها تاريخ القانون الدولي في وضعه الحالي؛ حيث نشأ هذا القانون أصلاً في أوربا، ثم امتدَّ سلطانه خارجها إلى الدول التي تأثرت بالمدنية الأوروبية.

ويؤكِّد علماء القانون الوضعي النشأة الكاثوليكيةَ للقانون الدولي، وأن حركة التأليف والبحث والنشر في القانون الدولي كانت مطبوعة، منذ نشأتها، بطابع الطائفية والانحياز، وتسودها المصالح الرئيسية للدول النصرانية، فظهرت أحكام هذا القانون مَسودَةً لاسائدة، ومسوِّغة لتصرفات الدول الاستعمارية، مصبوغة بالإقليمية والطائفية والعنصرية (٣)

وكنت هذه النشأة للقانون الدولي مرتبطة بنشأة الدول الأوروبية واستقلالها عن سلطة "البابا" الدينية، وبالتحولات الاقتصـاديـة والسياسية التي واكبتها، حيث ظهرت فكرة "العائلــة الدوليــة"، وهي تعني مجموع الوحدات الدولية، وأهمها الدول ذات السيادة التي يقع عليها إلزام القانون الدولي، وليست هذه الجماعة، من الوجهة القانوينة، مستقلة عند الدول الأعضاء فيها، وإنما هي تعبير عن صلاتٍ يربط بينها أنواع من الروابط . (٤)

النصرانية أساس العلاقات الدولية الحديثة :

وفي هذه المرحلة كانت النصرانية هي الأساس الذي تقوم عليه العلاقات الدولية، ولذلك أعلن التحالف الديني في المؤتمر الأوربي المقدس (!!) عام ١٨١٥م عَزَمَ المتعاقدين القويَّ على ألاَّ يتخذوا

المتواضع والإداري البارع فضيلة الشيخ عبد الرحمن مهيزع المهيزع حفظه الله ورعاه ، المشرف على الدورة ومدير عام إدارة الدعوة في آسيا ؛ فقد زهد عبر أيام الدورة في كل شيء يمكن أن يُصَنَّف في خانة الراحة والاستجمام ، وظلّ دائم الركض والتفكير في كل ما رآه يساعده في إنجاح الدورة للمستوى المطلوب . وإن دلّ ذلك على شيء فإنّما يدلّ على شعوره البالغ بالمسؤولية، واهتمامه الزائد بالوظيفة الموكّلة إليه ، وكونه صادرًا في كل ما يأتي ويـذر عن الإخلاص لدينـه وعقيدتـه أولاً ، ولمليكه وقيادته ومسؤوليه ثانياً ، ولوطنه الغالي وشعبه النبيل ثالثًا، فجزاه الله عزّ و جلّ خير ما يجزي عباده المحسنين .

ومن أجل تعبه الشديد في مداولات الدورة باعتباره المسؤولَ الأوّل عنهـا ، لم يتمكن حفظـه الله من القيـام بزيارة الجامعات والمؤسسات التعليمية والتربويّة خارج مدينة دهلي ، التي كانت توّاقـةً حقًّا إلى زيارتـه الدعوية الثقافية الاستطلاعيّة بتلهف كبير ، ولا سيّما الجـامعـة الإسلامية الأهلية الأم دارالعلوم / ديوبنـد التي كانت أجدر بزيارته ، وكان هو بدوره أبدى نيته في زيارتها ؛ ولكنه عاد – حقًّا – مجهودًا مكدودًا من أجل البرامج المكثفة التي اضطلع بها ، إعدادًا لها ، وخوضًا فيها ، ومتابعةً لها ، ورغبةً في تنفيذها دونما نقص .

وقد قرأتُ التعبَ والسهر على وجهه كلما لقيته لقاءً خاطفًا في مكتبـه ، أو في الطريق ، أو في صالـة الاستراحة الملاصقة لقاعة الندوات بجامعة " هام دارد".

و أرجو الله العلي القدير أن يقدر لـه زيارة قريبة للهند ، يعطي خلالها جامعـة ديوبند الأولويّة في الزيارة إن شاء الله ؛ لأنه حزّ في نفسي وفي أنفس المسؤولين في جامعتنا ، أنّ مثل الشيخ الصالح عبد الرحمن مهيزع المهيزع ، يجيء إلى دهلي – وهي قريبة من ديوبند – ولا يتمكن من زيارتها ، رغم أنه يحبّها لله ، ويحب العاملين المخلصين فيها ، ويحبّ كاتب هذه السطور حبًّا مخلصًا ، وترجع صلته به إلى نحو عشرين عامًا ، وهو – كاتب السطور – يضنّ تجاهـه بـذكـريات معسولـة يحسبها ذريعةً لجاه عند الله تعالى ، لأن ذلك حبّ خالص من أجل رضا الله ، يفوق جميع الاعتبارات ، و يتنزه عن جميع الأغراض التي تحمل الناس على حب بعضهم لبعض.

أمّا سفير خادم الحرمين الشريفين بدهلي الجديدة ، الأستاذ عبد الرحمن ناصر العوهلي المحترم، فقد ظلّ يعيش الدورةَ بقلبه وقالبه ، وظلّ معنيًّا بكل شيء يثريها ، ويريح الحضور ، ويجعلهـم أكثر توفّرًا على المساهمة الفعّالة فيها .

وقد ألقى في الجلسة الختامية التي عُقِدَتْ فيما بين العصروالمغرب من يـوم الأحـد ٢٥/ يونيو ٢٠٠٠م الموافق ٢٢/ ربيع الأول ١٤٢١هـ كلمـة قيمة نالت إعجاب العلماء الحضور ، ونفذت في قلوبهم ، واحتلت مكانة محترمة في نفوسهم ، ولا غرو فإنّ عَهْدَنَا به دائماً أنه إنما يتكلم من القلب ، ويصوغ الألفاظ والجمل من المهج ، ويصدر في أفكاره عن المصداقية التي قلما يتمتع بها رجل دبلوماسيّ ، إلاّ من يكون مثله في الصدق والنزاهة ، والشعور بالمسؤولية ، باعتباره ممثلاً لدولة تحكمها قيادة رشيدة ، وتحتضن بيت الله ، وتعتز بوجود أقدس البقاع لدى الله على ظهر الأرض ؛ فهي مهوى أفئدة المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها . ولكن ليس كل من يأتي للهنـد يمثلهـا ، يكـون – مثـل الأستاذ عبد الرحمن ناصر العوهلي – على مستوى الشعور بالمسؤولية ، ونزاهة القول، ومصداقية الفكر والعمل ، والسهر على مصالح شعبه ومليكه و وطنه أولاً ، ومصالح المسلمين في هذه البلاد : القارة ثانيًا ؛ فأقول مشهدًا الله عزّ و جلّ أنه ألفى رجل في مثل هذا المنصب الخطير، رجل موفّق يتحرك في إطار الأخوة الإسلاميّة ، ولا

يتجرد في أيّ من مواقفه من روح العقيدة ، كما أنّه في الوقت نفسه لا يتعامل إلاّ بشكل يكسب أنصارًا جددًا يناصرون عدالة القضية التي تتبناها دولته من أجل خدمة الإنسان على مستوى العالم ، فكثّر الله أمثاله ، وأتاح له فرصةً مديدة للعمل بيننا في الهند .

وأنتهز المناسبة لأزفّ جزيل التقدير للمساعي المضنية التي ظلّ يبذلها الرجل الظريف الشريف الشيخ وليد عبد الكريم الخميس مسؤول الوزارة لدى الهند ومساعده الشيخ المتواضع عبد الرحمن المزيني و الإخوة المجدّون العاملون معه في المكتب .

وقد عهد فيه العلماء المتحركون في مجال الدعوة واللغة العربية ، رجلاً لا ينطبق جفنه إلاّ على التفكير في هموم الدعوة والدعاة ، ورغم كونه مبدئيًا يطبّق كل ما يرد إليه من التعليمات عن الجهة المسؤولة في الوزارة حرفًا حرفًا بل نقطةً نقطةً ؛ لكن الابتسامة الراقصة على شفتيه ، ولباقته الجميلة الرائعة في التعامل مع الإخوان ، التي هو مجبول عليها ؛ ولين الجانب ، ونعومة الحديث ، والمروءة العربيـة الأصيلة التي لا تزايلـه وقت الأداء والتكرم بالعطاء ؛ كلُّ ذلك تجعل منه إداريًا حازمًا ذكيًا يعرف المدخل و المخرج لدى كل موقف يخوضه .

وانطباعاتي هذه نحوه – التي هي أتى كل الثقة بأنها انطباعاتُ جميع العلماء الناشطين في حقل الدعوة واللغة العربية ، وإن كان هناك اختلاف فإنها في التعبير عما يجيش في الصدور – هي التي دفعتني في الجلسة المفتوحة التي عقدها هو مع العلماء الكرام يوم الثلاثاء ١٤٢١/٣/١٨هـ = ٢٠٠٠/٦/١٩م ، في الفترة ما بين الساعة ٣٠ , ١١ ضحًى و الساعة الواحدة ظهرًا، أن أرتجل الكلمة التالية التي فاض بها قلبي ، وتناغم معها وجداني ، واستلذّها كلُّ كياني ، واستعبرت لديها عيناي، وعيونُ الحضور كلهم تقريبًا، وعينا الشيخ وليد الذي ظلّ يمسح الدموع عن مآقيه ، حتى لا " يفتضح " الحب ، و " لايستحيي " الإخلاص – إذا صحّ التعبير – وكانت ساعةً مشهودةً حقًا ، وموقفًا عاطفيًا رقيقًا مرقّقًا، ومنظرًا كلّه روعةٌ وجمالٌ .

وتلك هي :

" إخواني وزملائي ! السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . إن فضيلة الشيخ وليد بن عبد الكريم الخميس ظلّ مستقرًا في قلـوبنا ، حـالاً في عيوننـا ، وحلوًا في نفوسنا ؛ بطلاقة وجهه ، وبحسن حديثه ، وعذوبة منطقه، ولين عريكته ، ولباقة تعامله معنا نحن العلماء ؛ حتى عدنا نشعر كأنّه منّا ونحن منه .

والآن بإظهاره لصادق حبه لنا ، وإخلاصه في حقنا، قد كسب قلوبنا ، و وَقَرَ في أحبّ مكان في صدورنا ؛ فندعو الله عزّ و جلّ أن يظلّ مثل هذا الإداريّ المتقن صاحب الخلق الحلو والتعامل الطيب باقيًا لدينا في المكتب الهندي للوزارة مدة طويلة ، مع طول الصحة والهناء والتوفيق ، أكسبه الله سمعة طيبة ، وألهمه وإيانا جميعاً التوفيق والسداد .

وقد أبدى مثل هذه الانطباعات كل من أخينا الأستاذ عبد المتين من " كشن كنج " و أخينا عبد الله عبد التواب من " نيبال " .

وقد شكر الحضورُ جميعًا الدكتورَ عبد العزيز العمار وكيل الوزارة لشؤون الدعوة والشؤون الإسلامية ؛ حيث إنّ مساعيه المباشرة هي التي تشكّلت دورةً للغة العربية والدعوة الإسلامية في الهند. وقد عُرِف بمواصلة الجهد في اتخاذ كل خطوة تنفع الأمة ، وتعمم الدعوة ، وتعين على توسيع منطقة اللغة العربية في العالم كله . حفظه الله مع الصحّة وأمدّه بالتوفيق .

ونتقدم بالشكر والعرفان إلى معالي الشيخ صالح بن العزيز بن محمد آل الشيخ / حفظه الله وزير الشؤون

الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ، على إصداره الأمر الكريم بعقد مثل هذه الدورات في شتى أقطار العالم بما فيها الهند ؛ فقد جُبلَ على حبّ الخير ، وحبّ العلم وأهله ، والحرص الشديد على نشر الدعوة وخدمة لغة نبيه بكل ما أوتي من مؤهلات ، وقد شهدت الوزارة على عهده تقدمًا ملموسًا ، ونشاطات واسعة ، ومساعي جديّة ذات تنسيق وبرمجة من أجل تحقيق الأهداف النبيلة التي أنشئت مفردة من أجلها ؛ فاتخذت كثيرًا من الخطوات التي من شأنها تطوير الأداء والعمل ، كما احدثت أقسامًا و وكالات لإنجاز أعمال أكثر في وقت أقل ؛ فتولاّه الله برعايته وعنايته .

ونـرفـع أسمى آيات الشكـر والعـرفـان إلى خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز وإلى وليّ عهده الأمين سمو الأمير عبد الله بن عبد العزيز وإلى النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء سمو الأمير سلطان بن عبد العزيز حفظهم الله تعالى ، على توجيهاتهم الرشيدة فيما يتعلق باتخاذ كل سبيل يمكن به الوصول بأسرع خطى إلى خدمة الإسلام والمسلمين في أرجاء المعمورة .

حيث قد خصّصت حكومةُ المملكة ميزانية مستقلّة لتنفق على الدعوة وعلى خدمة اللغة العربية ؛ حيث إن خدمة الإسلام والمسلمين بشتى النواحي هي الركيزة الأساسيّة التي تنطلق منها المملكة في سياساتها الداخلية والخارجية ، حفظهم الله مع الصحة والعافية ووفقهم للمزيد من خدمة الإسلام والمسلمين .

وقد هيّأ المسؤولون عن الدورة مناخًا ملائمًا ، وسكنا مريحًا، ومواصلات لائقـة ، و وجبـات شهيّـة للحضور كلهم ، مما ترك في قلوبهـم أحسن الأثر ، وتوجّهوا بأكفهم متضرعين إلى الله أن يمنّ عليهم بالتوفيق والصحة والهناء.

هذا ، وقد تمنى الحضور جميعًا أنه ينبغي الاحتراز من عقد مثل هذه الدورات في دولة مثل الهند التي جرى فيها أخيرًا التعامل مع المسلمين بغاية من الحساسية ويجرى اتهام العلماء والدعاة بالإرهابية ونشرها بين المسلمين .

وحبذا لو عُقِدَت هذه الدورة في داخل المملكة ، ويجوز أن يُدعى إليها مجموعة من الدعاة ، ثم يُدعى في الدورة الأخرى مجموعة أخرى ، إن لم تتيسّر دعوة الجميع إلى دورة واحدة .

ونرجو أن متخذى القرار في الوزارة سيضعون هذا الاقتراح موضع الاعتبار ، وأنهم يقرؤون هذه السطور بإمعان وجدّيّة . وفقهم الله لكل ما يرضيه ويحبّه .

كلمة التحية والترحيب

وفيما يلي نص كلمة التحية والترحيب التي قدمها كاتب السطور نور عالم خليل الأميني رئيس تحرير المجلة في الجلسة الافتتاحية للدورة :

" الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد وآله وصحبه أجمعين ، وبعد :

فيا أيها الحفل الكريم ، أيها العلماء والمشايخ الأكارم !

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . يسعدني ويشرفني جدًا أن أقف أمام هذه المجموعة المصطفاة ، من العلماء والدعاة ، احترامًا لأمر المسؤولين ، وأداءً لضريبة الحب والإعجاب بالضيوف المحترمين الأجلاّء الذين تحمّلوا مشاق السفر ، واقتطعوا جزءًا ثمينًا من أوقاتهم. وعلى رأس هؤلاء الضيوف فضيلة الشيخ الرجل الصالح المتواضع عبد الرحمن مهيزع المهيزع الموقر مدير الدعوة في آسيا.

فأحيّيهم وأهنئهم أصالة مني ونيابة عن جميع زملائي العلماء والدعاة وخَدَمَةِ اللغة العربية ، وعن المكتب الممثل للوزارة لدينا ، مُتمَثّلاً في مديره الشاعر كلّ الشعور بالمسؤولية الشيخ وليد عبد الكريم الخميس

وساعده الأيمن الشيخ عبد الرحمن المزيني والإخوة الآخرين العاملين معهما .. أحييهم تحيّة حارّة نابعة من أعماق القلوب التي اتّكأت على الحبّ ، وعشقت العرفـان بالجميل ، وأُغرِمَتْ بالوفاء وصادق الولاء .. أحييهم تحية الإسلام وأرحّب بهم ترحيب التلاميذ بالأساتذة ، وتحية الممنونين لأصحاب المنّة الجميلة والأيادي الكريمة .. أحييهم وأرحّب بهم على أرض هذه القارة التي عُجِنَتْ طينة مسلميها - لأسباب يعلمها الله و لحكمة هي من تقديره - بصادق العرفان بالجميل للعرب الكرام وفضلهم على الإنسانية ، وسبقهم إلى احتضان الرسالة الإسلامية ؛ وعُرِفوا بحبهم العجيب الشديد ، الحبّ الثرّ الغامر الفياض ، لكلّ عربي ، ولكل شيء ينتمي إلى أرض العرب ، ويتّصل بهم بشكل من الأشكال ، من العادات والتقاليد ، والثقافة والحضارة ، فضلاً عن العلم والثقافة؛ وذلك لأنهم يعلمون أنهم من قوم محمد النبي العربي الهاشمي القرشي صلى الله عليه وسلم ، وأن آباءهم هم الذي تلقّوا الدين منه صلى الله عليه وسلم مباشرةً ، وبلّغوه إلينا نحن المسلمين في أرجاء المعمورة سالمًا غير مخدوش ، كاملاً غير منقوص .

فأهلاً بهم وسهلاً بين أهلهم ، وبين إخوانهم في العقيدة ، وأشقائهم في الهدف والمصير ، ومشاطريهم في الأفراح والأتراح ، ومشاركيهم في الأحلام والآلام .

وأنتهز المناسبة لأقدم جزيل الشكر والتقدير من جميع الإخوة الدعاة ورجال العلم والفكر والتربية والتعليم ، إلى خادم الحرمين الشريفين ، وإلى سمو ولي عهده الأمين ، وإلى سمو النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء / حفظهم الله تعالى برعايته وكلأهم بعنايته ، على ذلكم الاهتمام الكبير ، المنقطع النظير ، بأمر الإسلام والمسلمين في أرجاء المعمورة ، وعلى بذلهم السخيّ في سبيل نشر اللغة العربية والدعوة الإسلامية ، ومد الرسالة ، وإعداد الدعاة ، وتأهيل المبلغين ، وتدريب الكوادر المُؤَهّله لهذا الغرض ، وتنشيط قوافل التوحيد ، الساهرة على نشر علوم الكتاب والسنة ، ومحاربة البدع والخرافات، ومكافحة الشرك والظلام ؛ فجزاهم الله خير الجزاء ، و ادّخر لهم ذلك كله ليوم لا ينفع فيه مال ولا بنون ، إلاّ من أتى الله بقلب سليم .

كما نشكر نحن جميعَ العلماء ومسؤولي مكتب الدعوة ههنا وزارة الشؤون الإسلامية بالمملكة الخيّرة النيّرة ، وعلى رأسها معالي الوزير الموقر / حفظه الله على سهرها - تنفيذاً لتوجيهات خادم الحرمين الشريفين - على خدمـة أهداف الدعـوة ، وتسخيرها لكافـة إمكانياتها لما فيه خير الإسلام والمسلمين .

كما نشكرها خصيصًا على عقد مثل هذه الدورة اللغوية والملتقيات الإسلامية ، والمخيمات الدعوية ، جزى الله جميع العاملين في الوزارة .

ونشكر جميع المسؤولين والعاملين في المكتب ههنا على ركضهم في سبيل كافة التسهيلات لنا نحن الدعاة العلماء خَدَمَة اللغة العربية وجنود الثقافة الإسلامية .. أولئك الإخوة الكرام الذين يعرفون لذة الخدمة وشرف المهنة ، ويفـاتحـون القلوب بلين جانبهـم ، ويخالطـون النفوس بابتسامتهم العريضة .

وختاماً ندعو الله عز و جلّ أن يُكَلّل هذه الندوة اللغوية الدعوية ، بكل ما نرجوه من النجاح وبما نتوخّاه من الهدف ، وبكل ما يعين على ترشيد الدعوة ، وتوجيه الخطى ، وتسديد المسار .

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين.

مساء يوم الخميس ١٥/ يونيو ٢٠٠٠م

١٢/ ربيع الأول ١٤٢١هـ ، الساعة ٨ .

☆ ☆ ☆

أحد كبار ضباط الشرطة في كتاب وثائقي له :

الشرطة ظلت تلعب دوراً منحازاً للهندوس كقوة هندوسية خلال الاضطرابات الطائفية في البلاد

إعداد : أبو عفيفة القاسمي

يقول "المستر ويوتي نارئنا راي" الضابط الأعلى في مصلحة الشرطة الهندية في كتاب له صدر حاليا باسم "الاضطرابات الطائفية والشرطة الهندية" إن أبناء الأقليات في البلاد يجدون رجال الشرطة أعداء لهم خلال الاضطرابات الطائفية، فإن رجال الشرطة في معظم الأحيان يأتون بأعمالهم نابعين من فكرة الأغلبية الهندوسية، وتؤثر في إيجاد هذه الفكرة في أذهانهم حوافز سياسية واقتصادية و دينية. وإنما توصل المستر "راي" إلى هذه النتيجة المريرة الصادقة بعد أن قام بدراسة عميقة لمدة سنة كاملة لما حدث من اضطرابات طائفية عديدة في شتى مدن الهند، ولا سيما الاضطرابات والمشاغبات التي تفجرت نيرانها في مدن "كان بور" المعروفة بصناعة الجلود، في عام ١٩٣١م و "بنارس" المعروفة بكثرة معابد هندوكية مقدسة في عام ١٩٧٧م، و "ميروت" في ١٩٨٦-١٩٨٧م، و "أجودهيا" - التي كانت تحتضن المسجد البابري الأثري - عام ١٩٩٢م، بولاية "أترابراديش" و "أحمدآباد" عاصمة ولاية "غوجرات" عام ١٩٦٩م، و "جمشيد بور" في ١٩٧٩م، و "باغل بور" في ١٩٨٩م بولاية "بيهار"، و "بمباي" عام ١٩٩٢ - ٩٣م، و "بوندي" في ١٩٧٠م.

هذا وقد قام المستر "راي" الذي يتقلد في هذه الأيام منصب المدير العام لقوات الأمن الحدودية (B. S. F.) باستعراض كافة الاضطرابات الطائفية التي تعرضت لها مدينة "أحمد آباد" خلال مدة تتراوح فيما بين ١٧١٣م و ١٩٥٠م. ويصرح "راي" في كتابه أن الفتن الطائفية التي شهدتها الهند كان قد زرعها الاستعمار البريطاني، غير أنها انقلبت رأسا على عقب في أغراضها الخبيثة و أساليبها الماكرة بعد أن تحررت البلاد من أيدي الاستعمار الغلابة. والشرطة فشلت في الحيلولة دون حدوثها وتزداد فشلاً يوماً بعد يوم في ذلك. والسبب الحقيقي من وراء الفشل هذا أن معظم رجال الشرطة يحملون فكرة هندوسية معادية للأقليات.

كما أكّد المستر "راي" - الذي قد سبق أن قام بواجبات المفتش العام للشرطة (S. P.) في كل من مدن الله آباد، وسلطان بور، و جهانسي، و برتاب جراه، وغازي آباد - أنه أتيحت لي فرصة لأن أتفقد الاضطرابات الطائفية عن كثب كضابط في مصلحة الشرطة فآلمني أشد الألم ما لعب به رجال الشرطة من دور مخز و مؤسف للغاية، و وجدت كل مرة أنهم يقومون بعملياتهم نابعين من كراهية و شحناء وبغضاء وفكرة معادية للأقليات. وذلك يرجع فيما يرجع إلى أنهم تنقصهم تربية علمانية صحيحة إضافة إلى قلة نسبة أبناء الأقليات في الشرطة.

وأضاف المستر "راي" - الذي يرأس هذه الأيام تحرير جريدة باللغة الهندية - قائلا : إني تأكدت بعد أن قمت بدراسة كافة الاضطرابات الطائفية الشنيعة من أنه يلزم العمل على تغيير مجرى الفكرة المتأصلة في أعماق قلوب رجال الشرطة أكثر من زيادة عددهم، وتزويدهم بأسلحة أكثر فاعلية، وبسيارات مسرعة جدًّا. وصرح أن شرطة كثيرة العدد والعتادة تقوم إذا فقدته العزيمة والفكرة العلمانية المحايدة بمثل ما جرّبناه في ٦/ ديسمبر عام ١٩٩٢م، الذي تمّ هدم المسجد البابري فيه بمرأى و مسمع من أكثر من ٢٠ ألف رجل من الشرطة متفرج على هذه العلمية مكتوف الأيدي.

وأكد المستر "راي" أن الشرطة التي كانت مسؤولة عن إعادة الأمور إلى مجاريها والأوضاع إلى نصابها وعن تطبيق القانون على كل رجل مهما كان ديانته و اتجاهه و لسانه عملت كقوة هندوسية أكثر مما لعبت دورها كقوة محايدة محافظة على أمن البلاد و سلامتها.

ويبدو واضحا جليا أن الشرطة في كل ما قامت به خلال هذه الاضطرابات من استخدام قوة السلاح دونما حاجة، وإلقاء القبض على الناس، وفرض قانون الحظر على التجول، وإساءة المعاملة مع المُعْتَقلين في مخافرها، وإعداد التقارير عن الاضطرابات، والتفتيش عن قضايا رُفِعَتْ في خصوص الاضطرابات، كانت تحمل معاملةً تنطوي تماما على التفرقة على أساس من الطائفة والعنصرية، و أن أبناء الأقليات هم الذين كانوا عرضةً لذلك كله في أكثر الأحيان.

وقال في كتابه هذا في ضوء الإحصائيات الحكومية أن الذين يلعبون ضحايا الاضطرابات الطائفية ينتمي أغلبيتهم إلى الأقليات، ومما يثير الأسف والعجب معا أنهم هم الذين يتمّ اعتقالهم أكثر من أبناء الأغلبية الهندوسية. والسبب من وراء ذلك كله أن الشرطة تحمل فكرة طائفية تقول : إن أبناء الأقليات هم الذين يقوم بتفجير نارا لاضطرابات دائماً.

وذكر المستر "راي" في كتابه هذا اقتراحات عديدة من شأنها أن تحول دون حدوث مثل هذه الفتن إذا جاء وضعها في موضع العمل من أهمها :

أنه يجب إدخال تعديلات جذرية على نظام مصلحة الشرطة وتزاد إليها نسبة الأقليات. وقال : يؤسفنا جدًّا أن نسبة الأقليات تنخفض كل يوم في قوات الشرطة المختلفة منذ أن بزغ فجر الاستقلال، فإنه تفيد الأرقام والإحصائيات الحكومية بأن نسبة أبناء

الأقليات في مصلحة الشرطة أقل من ٥٪ حتى في الولايات التي تُعَدُّ حسّاسة للغاية، على حين إن نسبتهم من إجمالي سكانها تتراوح فيما بين ١٢٪ و ١٥٪ بل و تفوق ذلك في بعض المناطق . و لذلك فاقترح المستر " راي" أنه يلزم أن تُرْفَعَ نسبة الأقليات في الشرطة إلى ١٢٪ على الأقل بجانب تدريبهم تدريبًا عسكريًا في أحسن أسلوب .

كبير وزراء ولاية بنغال الغربية :

الحكومة الإقليمية توصي بإدخال التعديل على قانون منع بناء المعابد والمدارس والدينية

أكد كبير وزراء ولاية " بنغال الغربية " المستر "جيوتي باسو" لوفد من المسلمين اجتمع به في ١٣/ يونيو في عاصمة الولاية "كالكوتا" بأنه لن يسمح لأية سلطة حكومية إقليمية بأن تحول دون إنشاء المساجد في الولاية تسوا بقانون فرض الحظر على بناء المعابد الدينية . ومضى قائلا : إنه سيدخل تعديلات لائقة على القانون إذا طالب مسلموا الولاية بذلك .

واستطرد المستر "باسو" أن القانون قد سبق أن اتُّخِذَ في عام ١٩٨٥م ، غير أنه لم يتم وضعه موضع التنفيذ إلا قبل عام واحد منذ اليوم . وقال – وهو يتحدث مع وفد مكوّن من سبعة أعضاء يقودها الشيخ "سيد أحمد البخاري" نائب إمام المسجد الجامع بمدينة دهلي – إن قانون فرض الحظر على إنشاء المعابد الدينية يضم فيما يضمه بندا جاء فيه : يجب أن تكون هنالك مسافة تبلغ ٢٠٠ مترٍ فيما بين معابد لأبناء ديانات مختلفة .

وقال الشيخ البخاري لكبير وزراء بنغال : إن مثل هذا القانون الذي وافق عليه مؤخرا المجلس التشريعي الإقليمي بولاية "يوبي" احتج المسلمون ضده عبر الولاية ولا يزال يقومون بمظاهرات ضده ، فإنهم يرون أن القانون يتنافى مع الحرية الدينية التي يعطيها دستور البلاد كل رجل نحو قيامه بتعاليم دينه مهما كان دينه و أيا كان اتجاهه . وقال : إن المسلمين بولاية "بنغال" قد أثار تطبيق القانون في الولاية مخاوف في نفوسهم، فيجب أن تعيد الحكومة النظر فيه . فأكد المستر "باسو" للوفد بحضور وزير الداخلية الإقليمي ووزير الأوقاف الإقليمي بأن الحكومة لن تحول دون المسلمين و دون إنشائهم مسجدا أو مدرسة دينية في أية منطقة من الولاية .

وبالمناسبة لا يغيبن عن البال أن انتخابات المجلس التشريعي الإقليمي سوف تتم في غضون أشهر بالولاية ، فمن الممكن أن جاء تصريح كبير وزراء الولاية نظرا إليها لكسب أصوات المسلمين .

جمعية علماء الهند :

نشاطات منظمة آر . إيس . إيس العنيفة و دور الشرطة المنحاز الملموس تثير الألم والأسف

عقدت اللجنة التنفيذية لجمعية علماء الهند اجتماعها السنوي في مقرّ الجمعية بمدينة "دهلي" في ٣/ يوليو. وبحث الاجتماع ما تعيشه البلاد من أوضاع خطيرة للغاية، وما يتعرض له المسلمون من أخطار و مشكلات في شتى مجالات الحياة. كما ناقش الاجتماع الذي رأسه فضيلة الشيخ "السيد أسعد المدني" قضايا ومشاكل مهمة يعانيها المسلمون في هذه الأيام في مختلف الولايات أمثال مشروع قانون فرض الحظر على إنشاء و ترميم وإصلاح المعابد الدينية و المدارس الذي اتخذته أخيراً حكومة "يوبي" ، و قانون فرض الحظر عليها الذي وُضِعَ موضع التطبيق منذ أيام في كل من ولايات "راجستان" و "بنغال الغربية" و "مديه براديش" والنشاطات الطائفية المعادية للأقليات، التي تقوم بها منظمة آر. إيس. إيس عبر البلاد، وأوضاع البلاد الطائفية، والحملة المكثفة التي تجري حاليا ضد المسلمين الهنود للذرعا بأنهم بنجلا ديشيون نزحوا إلى الهند، وتخويفهم ، و إبادتهم ، و هدم بيوتهم . كما اتخذ الاجتماع قرارات هامة في خُصُوص هذه المشاكل .

فطالب الاجتماع من خلال قرار له الحكومة المركزية بأن تتخذ خطوات رادعة للحد من اعتداءات صارخة تشنها أسرة "آر. إيس. إيس" ضد أبناء الأقليات ولا سيما المسلمين والمسيحين منهم. كما ناشد الحكومةَ الإقليميةَ بولاية "آندهرا براديش" بأن تصدر أمرا لإجراء التحقيق عن تفجير قنبلة في مسجد بمدينة "غنتور" بالولاية و عن النشاطات الهدامة الأخرى. وأعرب الاجتماع عن شديد أسفه على أن الحكومتين : المركزية والإقليمية باءتا بفشل ذريع في الحيلولة دون نشاطات هدامة وطائفية يقوم بها عناصر مشاغبة، وعلى أنه لم يتم حتى الآن إلقاء القبض على رجل مشاغب .

هذا وقد أعرب الاجتماع عن بالغ أسفه على أن الشرطة تدأب في تعذيب المسلمين الذين يتكلمون باللغة البنجالية و في إبادتهم و تصفيتهم تحت خطة مدروسة ، وطالب الحكومة بأن تسارع إلى إيقاف خرق حقوق الإنسان من أيدي رجال الشرطة، وبأن تعيد إلى المسلمين هؤلاء الوثائق التي اغتصبتها الشرطة منهم.

هذا وقد أعلن فضيلة رئيس الجمعية أن مؤسسة الشيخ المدني للتعليم والتكنولوجيا تعمل جاهدة علىا إنشاء مدارس عصرية لتعليم أبناء المسلمين المواد الدراسية العصرية والإسلامية باللغة الإنجليزية على مستوى التعليم العالي لمدارس الإرساليات التبشيرية، وصرح أن هذه المدارس تتضمن قاعاتٍ دراسية مريحة بجنب أروقة يقيم بها الطلاب. وذلك نظراً إلى سياسة حكومية تنطوي على التفرقة في مجال التعليم نحو المسلمين، وإلى محاولات خبيثة تبذلها المنظمات الهندوسية المتطرفة في صبغ المواد الدراسية بصبغة هندوسية محضة ، وإلغاء مادة اللسان الأردي ، وفرض تدريس اللغة السنسكريتية في المدارس التابعة للحكومة .

والجدير بالذكر أن أعلان فضيلة رئيس الجمعية هذا كسب ثناء و تقديراً و تحبيذاً لائقاً من كافة الأوساط العلمية في المسلمين.

☆ ☆ ☆

أنبـــاء العـــالم الإســـلامي

الأمانة العامة للمؤتمر الشعبي للدفاع عن القدس تحذر من سياسة إسرائيل لتغيير هوية المدينة

حذرت الأمانة العامة للمؤتمر الشعبي للدفاع عن القدس في عمان من معركة جذرية يخوضها الاحتلال الإسرائيلي حاليا لتغيير هوية مدينة القدس والمقدسات الدينية فيها، وأصدرت الأمانة بيانا قالت فيه أنها تابعت بمزيد من الأهتمام والقلق سلسلة الاعتداءات الصهيونية الأخيرة على الأماكن المقدسة، وآخرها الاعتداء على المسجد الأقصى وسدنة الحرم الشريف الذي أوقع ٢٠ جريحا فلسطينيا بينهم الشيخ محمد حسين المسؤول عن المسجد الأقصى واعتقال خمسة مواطنين مقدسيين، وقيام قوات الاحتلال بمنع أعمال الترميم الجارية فيه .

كما تابعت في الوقت نفسه الاعتداءات التي قام بها المستوطنون على أراضي ومنازل المواطنين العرب في الخليل وغزة ، الأمر الذي يعني قيام الاحتلال الصهيوني بحملة جديدة من تصعيد العدوان الإجرامي على المواطنين الفلسطينيين وسائر الأراضي المحتلة .

وقال بيان الأمانة . (إن هذه الحملة تأتي في الوقت الذي تطفوفيه على سطح العملية التفاوضية قضية القدس في مقدمة ما يسمى قضايا المرحلة النهائية لتؤكد شراسة التصميم الصهيوني على التمسك باحتلال القدس عاصمة أبدية للكيان الصهيوني).

وأضاف : (إن الأمانة العامة للمؤتمر الشعبي للدفاع عن القدس ترى في هذا التصعيد الإجرامي بداية لمعركة جديدة تستهدف هوية بيت المقدس وأكناف بيت المقدس وشخصيتها الحضارية، وهويتها العربية الإسلامية، الأمر الذي لا يكفي في مواجهته الشجب والاستنكار والإدانة، ولابد من موقف عربي إسلامي شامل يحشد جهود الأمة للدفاع عن القدس وسائر المقدسات في فلسطين المحتلة دعما ومساندة وتأييدا لسدنة الأقصى المبارك الذي نزفت جراحهم في ساحاته المباركة وهم يتصدون لقوات الاحتلال وقطعان الاستيطان، ومساندة للصامدين الصابرين من أهل بيت المقدس، ذلك أن هذه البداية الجديدة لها ما بعدها).

وأجمل بيان المؤتمر مطالبه فيما يلي:

أولا: يطالب الهيئات والجمعيات والمؤسسات والمؤتمرات العاملة في بيت المقدس التنادي لاجتماع عاجل وموسع لتدارس الموقف الحالي، وتحديد السبل الكفيلة بحماية المدينة المقدسة، ومنع العدوان على مسرى محمد ومهد عيسى عليهما السلام .

ثانيا : يدعو السلطة الفلسطينية إلى الوقف الفوري للتفاوض مع العدو الصهيوني الذي يقوم بالاعتداءات على القدس ويستولي على الأراضي والمنازل الفلسطينية ويطلق النار على الموطنين تحت مظلة هذا التفاوض العبثي .

ثالثا : يطالب المؤتمر الدول العربية والإسلامية التي تقيم العلاقات والاتصالات مع الكيان الصهيوني إلى قطع هذه العلاقات والصلات .

رابعا : كما يطالب الجامعة العربية والمؤتمر الإسلامي والأزهر الشريف والفاتيكان والأمم المتحدة واليونسكو وسائر الهيئات والمنظمات العربية والدولية بالتحرك العاجل لوقف هذا العدوان الذي يمثل أولى الحلقات في المخطط الصهيوني الأخير للإجهاز على عروبة القدس وإسلاميتها .

مخابرات إسرائيل : تمسك العرب بالإسلام أكبر خطر علينا !

حذّر يهشوع ساغيه - الرئيس السابق لجهاز الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية - دوائر صنع القرار في الدولة العبرية من مغبة الرهان على اتفاقات سلام مع الدول العربية، وتناسي الخطر الحقيقي والإستراتيجي الذي يحيق بدولة إسرائيل قاصداً بهذا الخطر "الإسلام" .. وأضاف ساغيه - الذي تولى أيضًا منصب مدير قسم الأبحاث في الاستخبارات العسكرية - : "المطروح هنا ليس كيفية التوصل لصيغ توفيقية لحل القضايا العالقة بيننا وبين العالم العربي، ولكن هناك أمة عربية وجماهير واسعة تدين بعقيدة الإسلام، وترفض الوجود الصهيوني، وتعتبر مقاومته فرضًا مقدسًا، من يموت في سبيله يلقى الثواب في العالم الآخر" .

ووجّه ساغيه انتقادات لاذعة للمستشرقين الإسرائيليين الذين يشيرون فقط إلى "التيارات الأصولية" كخطر وحيد على الدولة اليهودية، وتصنفها كا لمعارض الوحيد للتسوية مع إسرائيل.

وأضاف ساغيه - الذي يشغل حاليًا منصب رئيس بلدية بيت يام الساحلية - : "إنهم يبسِّطون المسألة إلى حد كبير، صحيح أن التيارات الإسلامية هي التي تمثل حاليًا رأس الحربة في مواجهة المشروع الصهيوني، لكن المشكلة هي أن الجماهير العربية جمعاء تؤمن بأن مواقف الأصوليين من إسرائيل، ومن مستقبل العلاقة معها تمثل مواقفها؛ وبالتالي فإن من يطرح الأمور - كما لو كانت التيارات الإسلامية هي المشكلة الوحيدة التي تواجه إسرائيل - فإنه يسطح القضية بشكل غير علمي.

الشيشانيون أيضًا يريدون قتلنا !

ويرى ساغيه أن الحل لهذه المسألة مستحيل؛ إذ يتمثل في تحييد الدين الإسلامي لدى التطرق للصراع العربي الإسرائيلي، وهذا ما لا يوهم أحد نفسه بإمكانية تحقيقه، - على حد تعبير ساغيه - .

ويضيف : "يحدث شيء مفزع حيث يحارب المقاتلون الشيشان الروس، ويعدون بأنهم سيتوجهون لتحرير القدس بعد ذلك، وكذلك الأمر بالنسبة للتجمعات الإسلامية في العالم". وواصل قائلاً: "لنفترض أن الأمر يقتصر على الحركات الإسلامية في العالم العربي، فماذا يعني أن يفوز مرشحوها بكل الانتخابات النقابية والطلابية في العالم العربي؟! ألا يدل هذا على أن التيار المعادي لإسرئيل هو التيار السائد في العالم العربي؟!. وأضاف: "للأسف، حكومة إسرئيل الحالية برئاسة إيهود باراك رسخت الانطباع لدى العالم العربي والعالم كله بأن الطرف العربي الوحيد الذي قهرها في ساحة المعركة هو تيار إسلامي ممثل في حزب الله. وما حدث في جنوب لبنان غذّى حماس الشباب في العالم العربي والإسلامي للإيمان بأن خيار القوة هو المجدي في التعامل مع إسرائيل ".

وختم رجل المخابرات ساغيه بقوله : "على الحكومة الإسرائيلية الحالية، وكل الحكومات المقبلة أن تعي أن الخطر الحقيقي الذي يواجه إسرائيل في العقود الأولى من هذا القرن هو إقبال الجماهير العربية على التيارات الدينية، في ظل إفلاس التيارات غير الإسلامية، والتي تحولت إلى مادة للتندر في العالم العربي .

قادة الشيشان : الروس سيخرجون هذا الصيف

- الحدث - أعلن مولادي أودوجوف - المتحدث باسم المقاتلين الشيشان - يوم الثلاثاء ٤-٧-٢٠٠٠ أن العمليات الاستشهادية التي قام بها رجال المقاومة ضد القوات الروسية في الشيشان خلال اليومين الماضيين هي مجرد بداية لحرب طويلة وواسعة النطاق ضد القوات الروسية في الشيشان، نقلاً تعهدًا من القادة الشيشانيين بإخراج الروس من البلاد خلال

هذا الصيف مع احتمالات بتحرير أوروس مارتان خلال أيام، وذلك في الوقت الذي اعترفت فيه القوات الروسية بمقتل ٣٦ آخرين وإصابة ٧٤ في ٥ انفجارات جديدة وقعت أمس في نواحي الشيشان، وأعلنت هذه القوات تشديد الحصار على الحدود الشيشانية، تحسبًا لانفجارات جديدة .. ونقلت شبكة CNN الإخبارية الأمريكية يوم الثلاثاء الماضي عن المتحدث باسم المقاومة قوله : "إن صفحة جديدة في الحرب التي يخوضها المقاتلون الشيشانيون ضد القوات الروسية من خلال العمليات الاستشهادية قد بدأت" .. وأعلنت القوات الروسية أنها فرضت حصارًا أمنيًا حول العاصمة الشيشانية جروزني وثلاث مدن أخرى، بهدف الحيلولة دون وقوع المزيد من الهجمات ضد القوات الروسية التي تعرضت يوم الثلاثاء لـ ٥ هجمات جديدة، اعترفت أنها كبّدتها مقتل ٣٦ شخصًا على الأقل، وإصابة عشرات آخرين عندما هاجم رجال المقاومة الشيشانية قواعد لقوات الأمن الروسية في الشيشان خلال ٢٤ ساعة. وقال متحدث باسم الكرملين: إن ٣٦ روسيًا قُتلوا وأصيب ٧٤ عندما قاد مقاتلون مسلمون شاحنات ملغومة لمهاجمة القواعد الروسية، مضيفًا أن عدد القتلى من المتوقع أن يزيد، وذلك في حين نقلت وكالة إيتار تاس الروسية عن مسؤولين من وزارة الداخلية الروسية قولهم: إن ٣٨ شخصًا قُتلوا وجُرح ٧٦ وما زال ٢٥ في عداد المفقودين .

على الجانب الآخر .. أكد متحدث باسم المقاتلين الشيشانيين أن مواقع التفجير كانت مغطاة بجثث الروس بعد الهجمات، وقدر عدد القتلى بما يزيد على ٤٠٠ قتيل ... وفي غضون ذلك .. شددت القوات الروسية حصارها على المدن الشيشانية؛ تحسبًا لعمليات استشهادية جديدة من قبل المقاومة الشيشانية .. وذكرت شبكة تلفزيون NTV الروسية الخاصة أن توترًا شديدًا – ممزوجًا بالشائعات – يخيم على الشيشان، وأن المقاتلين الشيشانيين يخططون لبدء هجوم على جروزني على غرار الهجوم الذي شنوه في عام ١٩٩٦ والذي أجبر روسيا على الانسحاب بعد حرب سابقة.

وقال محللون : إنه "بعد قتال استمر أكثر من ٩ أشهر، وبعد التصريحات الروسية المتكررة بأن الحرب أوشكت على الانتهاء، وأن القوات الروسية اقتربت من القضاء على المتمردين، إذا بالخسائر تتزايد في الأرواح في صفوف الروس" .. ويضيف هؤلاء أن الشيشانيين يقاتلون القوات الروسية بأسلوب الكمائن والهجمات الخاطفة وهو ما ساعد في طرد القوات الروسية من الشيشان في الحرب السابقة التي استمرت بين عامي ١٩٩٤ و ١٩٩٦".(مع الشكر لشقيقة " رسالة الإخوان " اللندنية)

مسلمون في الجيش الاسرائيلي !!

كتب – ياسر الزعاترة

منذ شهور بدأت الدوائر الاسرائيلية، وخصوصًا دوائر الجيش بالتحدث عن ضرورة تشجيع تطوع العرب في صفوف الجيش الاسرائيلي من خلال حملة دعائية في المؤسسات التعليمية والمدني .

ثمة سؤال يطرح نفسه هنا، يتعلق بتوقيت هذا التوجه الذي لم يسبق طرحه. بالطبع فالأمر متعلق بالمسلمين والمسيحيين، حيث أن مسألة التجنيد بالنسبة لبعض الدروز والبدو في النقب كانت موجودة منذ سنوات طويلة، ولهؤلاء "شهداؤهم" في الجيش الإسرائيلي وخصوصًا في الجنوب اللبناني !!

الأمر الذي لابد من تأكيده، هو أن من العبث نزع التوجه المذكور عن السياق السياسي العالم، واعتباره نبتاً شيطانيًا ورد على أذهان قادة الجيش، هكذا، دون مقدمات. ذلك أن مثل هذا التوجه لا يمكن الا أن يأتي ضمن قراءة دقيقة لمجمل الظروف الموضوعية المحيطة، والتي تسمح بالتفكير بدمج عرب "٤٨" في المؤسسة العسكرية، على رغم كونهم فلسطينيين يعيشون كل يوم أنباء أوضاع اخوانهم في الضفة الغربية وقطاع غزة.

في هذا السياق يمكن العودة قليلاً إلى الوراء لقراءة أوضاع عرب ٤٨ خلال العقود الأخيرة منذ الاحتلال الثاني عام ٦٧ ولغاية الآن. لقد تعرض الفلسطينيون في الأراضي المحتلة عام ٤٨ إلى عملية غسل دماغ وسحق للهوية ليس لها نظير، وتزامن ذلك مع أجواء الاحباط التي سادت الوضع العربي بعد نكسة حزيران، وهي العملية التي حققت نجاحات باهرة خلال السبعينات، وحتى أواخرها، غير أن تغيراً جديداً قد طرأ خلال تلك المرحلة كان له دوره في إعادة التوازن إلى الحالة النفسية لأولئك المواطنين، فمع بداية نشاط الحركة الاسلامية في الضفة الغربية وقطاع غزة بعد منتصف السبعينات، وحينما تطورت الصحوة الاسلامية وتنفست قليلاً بعد عقدين من ما يشبه الغياب تحت وطأة الصعود اليساري والقومي الناصري، قامت بمد نشاطها الى الاراضي المحتلة عام ٤٨ وبالفعل نمت تلك الحركة هناك نمواً سريعاً مما كان له أبلغ الاثر في استعادة الهوية العربية والاسلامية للجماهير في تلك المناطق، ذلك أن خطاب الحركة لم يكن مثل نظيره لدى اليساريين يدعو للاندماج بالمجتمع الاسرائيلي، بل كان خطاباً متميزاً يصنع حاجزاً بين الجماهير "والأسرلة" أو الاندماج مع المجتمع الاسرائيلي.

الاسرائيليون لم يستسلموا للواقع الجديد تمامًا، فكان لهم دورهم في أحداث اختراقات داخل جسم الحركة الاسلامية نفسها، حيث تم اغراء بعض رموزها بالاندماج أكبر مع المجتمع الاسرائيلي من خلال الدخول في انتخابات الكنيست، قياساً على انتخابات البلديات، رغم الفارق الهائل بين الحالتين، من حيث دور الاولى في لملمة المجتمع الفلسطيني على بعضه البعض، ودور الثانية في دمجه بالمؤسسات الإسرائيلية .

ولذلك جاء انشقاق الحركة الاسلامية على هذه الخلفية (المشاركة في انتخابات الكنيست) ويمكن أن نتخيل حجم التراجع ازاء مسألة الاندماج، من خلال نموذج المحامي عبد المالك الدهامشة الذي اعتقل عام ٦٨ على خلفية عمل عسكري لحركة فتح، فيما تحول إلى الحركة الاسلامية وليصبح الآن نائبًا لرئيس الكنيست !!

لقد كان للمشاركة العربية ومشاركة الحركة الاسلامية في انتخابات الكنيست بفعل اغراءات منظمة التحرير والسلطة لاحقًا، دورها الفاعل في تدجين الوعي الفلسطيني في أراضي ٤٨ على الاندماج بالمجتمع الاسرائيلي، وهو ما التقطه الاسرائيليون بذكاء، فألقوا بمزيد من الاغراءات امام القوم، فكان المنصب المذكور لدهامشة وصار هاشم محاميد رئيس لجنة مكافحة المخدرات وطالب الصانع عضوًا في لجنة الخارجية والأمن، فيما تبوأ عضو حزب العمل، العربي الدرزي، نواف مصالحة منصب نائب وزير الخارجية .

كل ذلك لم يكن عبثًا، بل هو استخدام موفق لهؤلاء في تجميل الوجه العنصري البشع للكيان الصهيوني، خصوصا وأن مناصبهم شكلية إلى حد بعيد، ولن يكون لها أي دور في تغيير سياسات ذلك الكيان.

هذه الأجواء هي التي دفعت الجيش الاسرائيلي إلى التفكير في ضم العرب إلى الجيش ، فما دام عضو الحركة الاسلامية قد بات نائبًا لرئيس الكنيست، فلماذا لا يرسل هذا أبناءه ليكونوا ضباطًا في الجيش؟!

(مع الشكر لجريدة " العالم الإسلامي " السعودية)

بقية " إشراقة " المنشورة على ص ٤٨

الأوقات المطمئنة ، وابتهالات دائبة في الهزيع الأخير من الليل حين ينام الأنام ، ويغلب الناسَ المنام.

البناء تألّم للغير ابتغاءَ وجه الله ، وتململ لبني الإنسان عن إخلاص لا يعترضه أيُّ مصلحة شخصية أو غرض ماديّ .

البناء قولٌ باللسان ، ونيةٌ بالجنان ، وتصديقٌ بالعمل ، وتحرّك بالفعل ؛ فهو حركةٌ تسبقها إرادةٌ مُؤَكَّدَة صالحة ، وعملٌ يسبقه تخطيطٌ متين صادق ، وإيجابيةٌ تأبى جميع أشكال السلبيّة ، من سوء الظن ، والانتقاد الحاسد ، والاعتراض الحاقد ، والرؤية بمنظار أسود ، والاعتقاد الخاطئ بأن الدنيا كلها ظلام ، وأن الناس كلهم أشرار ، وأن المجتمع كله فساد ، وأنّ العالم كله ضلال ، وأن هذا العالم لا أمل في إصلاحه ، وأنّ الكفر طغى وبغى في الكون بنحو لا رجاء في تسخيره للإيمان ، وأن المنتمين إلى الإسلام كلّهم عادوا إما كفرة فجرة ، أو مشركين مبتدعة ، وأنّ الإسلام الخالص ، والإيمان الصادق ، والاعتقاد النقي ، والتوحيد الوضيء ، إنما أَرَزَ إلى شريحة محددة حالفها التوفيق ، وصافاها الحظّ ، و وافاها السعادة ! ! .

☆ ☆ ☆

أما الهدم فهو شيء سهل ميسور لا يحتاج فيه الرجل إلى شيء بمثلما يحتاج إلى سوء النيّة ، وفساد الطوية ، وإحسان عملية " الركل " و " اللكم " و " اللطم " و الإكثار من حصائد الألسنة ، وإتقان مهنة الانتقاد والاتّهام ، وإطالة اللسان ، وقصر العمل.

فإذا كان البناء عبارة عن محاولات مضنية للحصول على إمكانيات ، فموادّ ، فقطعة أرض ، فأيد عاملة ، فمناخ ملائم ، ووقت مطلوب الخ ، لإنشاء بناء أو إقامة كوخ ؛ فإنّ الهدم عبارة عن تدمير المحاولاتُ كلها بضربة واحدة ، أو بحيلة واحدة ، يقوم بها رجل مغامر مقامر ، أو مغرور مغرض ، أو رجل لم يتبيّن في الحياة طريقاً سويًّا .

محاولات البناء تأتي مرحليّةً متدرجةً ، متباطئةً متأنية ، وقد تأتي متعثرة ، وقد تبوء بالفشل وبالإحباط وباليأس ؛ لأنّ الإمكانيات قد لا تتوفر ، أو تتوفّر بشق الأنفس ، وقد لا تواتي الفرصة ، أو لا تواتي إلاّ لماماً ، وقد تذهب المساعي كلها أدراج الرياح ، بعد ما كادت تحقق الغرض ؛ فلا يقدر البائس الفقير على جمـع هللـة إلى هللة ، ليحوّله ريالاً ، فريالين ، فريالات قليلة لا تفي بالغرض ، وقبل أن ترتقي إلى مستوى الوفاء بالغرض لحد ما ، يجدها قد سُرِقَت مثلاً ، أو أحوجته ضربات الفاقة إلى صرفها كلها ، ليُبْقي على بعض الثمالة المتبقية من دمائه ، التي كادت تجفّ في عروقه المتجعدة ، من المعاناة المريرة الطويلة مع الجوع والمرض والألم النفسي إلى الألم الجسماني !!.

أما الهدم فهو ركلة بالرجل يُوجّهها راكبٌ رأسَه إلى كوخ يواجهه صباحَ مساءَ أمام قصره الناطح للسحاب فيشعر بمرارة شديدة ؛ لأنّه يشوّه المنظر بينه وبين قصره !.

الهدمُ ضربةٌ بمعول أو فأس من قبل مُعْجَب بالنفس أصابته الكبرياء بالجنون ، مُوَجَّهة إلى بناء حقير، صرف على بنائه رجلٌ رثّ الحال رقيق الحواشي ، كلَّ ما كان قد اقتطعه في حياته الممتدة على الستين عاماً من المبالغ ، التي لم ينفقها على معالجة عضّات الجوع والعطش ، وإنّما وفّرها لينفقها عبر هذه المدة الطويلة على بنائه المتواضع ، ليقيه يوماً حرّ الحياة وقرها ؛ فوجده قد سوّته بالأرض ضربة عشوائية مجنونة وقعت عليه ، فأصبح يقلّب كفيه على ضياع جهوده ، وتبخر أحلامه ، وتعثّر أمانيه !.

الهدمُ تلمّسُ الشر في جميع منتجعات الخير ، والتراجع إلى الوراء في جميع المواقف ، مكان التقدم إلى الأمام ، والقبوع في البيت دون خطوة ما إلى عمل ينفع عاجلاً أو آجلاً ، والاكتفاء بانتقاد رجال الخطوات و المبادرات .

الهدم هو التبنّي للأماني ، والإخلاد إلى الأحلام، وعقد آمال عريضة دون عمل لائق ، وتحرك معقول ، ونشاط يُذْكَر ، وسعي يُشْكَر.. وهو عمليةُ تقزيمٍ للعمالقة من قِبَلِ من لم يحالفهم التوفيقُ ليسموا إلى مستوى فهمٍ متزنٍ ، وتفكير سليم ، ووسطيّة في الاعتقاد والعمل ، وجديّة في الرفض والاختيار .. وهو في الأغلب وسيلة العاجز، وعمدة العَيّ ، وتُكَأَة الكسول ، وسَنَد الطاعم الكاسي القاعد الذي لايهمه أن يُنجِز عملاً ينفع الناس فيمكث في الأرض ، وأن يجهد نفسه ، ويُعْمِلَ تفكيره ، ويسهر ليله ، ويركض نهاره ، فيُنَفِّذ مشروعاً صالحاً يتعلق بالعلم والدراسة ، أو بالاقتصاد والتجارة ، أو بالمجالات الإنسانية العامّة التي تدر مكاسب ثابتة للخلق ، وتُوْجِدُ مصادر دائمة للدخل .

الهدم خيانة وغشّ ، وخداع واحتيال ماكر ، وتمسّك بالظاهر دون تعمق في الباطن ، واغترار بالقشور دون عبور إلى الجذور ، وعوم على السطح دون محاولة للنزول إلى القعر.

الهدم تشدّق وتنطّع ، وتزمّت وتعنّت ، وتحجّر وتجمّد .. حتى بالتظاهر بمحاربة هذه السلبيات ؛ فقد يكون المتظاهرُ بمقاومة التشدّق والتنطّع ، أكثرَ تشدّقاً وتنطّعاً .

إنّه غلوّ ومبالغة ، وانغلاق وانطواء ، و دوران حول فلك الذات أو فلك شخصية أو جماعة .. والمصيبة تشتدّ والموقف يتعقّد ، عندما يحصل الغلو أو الانتصار لشخصية أو جماعة ، باسم محاربة الغلو والانطوائية والانغلاقيّة والدورانية حول قطب معيّن دون سند شرعيّ وسلطان ربّاني .

إنّه إصرار متعفّن على مذهب من المذاهب الفقهيّة أو الفكريّة ، ودعوة إلى التمسك به ، دون خروج من أيّ من إطاره ، ودون رفض لأيّ من قراره، مهما جاء الدليل الشرعيّ أصحّ وأقوى يخالف بعضَ ما قرّره المذهب ؛ ولكن الذي يدعو للرثاء هو أن تعود الدعوة إلى محاربة التشدد في المذهب والتعصب له وتبنّي الولاء الزائد في صدده .. تعود بدورها مذهباً من المذاهب بل مذهباً ينتصر له أتباعه أكثر من انتصار أبناء المذاهب المعروفة المدونة لمذاهبهم .

لسياستهم وتسيير شؤونهم إلا قواعد النصرانية، لأنهم يعتبرون أنفسهم مندوبين عن العناية الإلهية لمباشرة الحكم، وأنهم أسرة واحدة، رغم أنهم يحكمون بلداناً متعددة، ويتبؤون عروشاً متفرقة. ومن هنا قال المعتمد البريطاني في مصر أيام الاحتلال الانجليزي : "إن واجب الرجل الأبيض الذي وضعته العناية الإلهية على رأس هذه البلاد - مصر - هو تثبيت دعائم الحضارة المسيحية إلى أقصى حدّ ممكن، وإن كان من الواجب - منعاً لإثارة الشكوك - ألاَّ يَعْمَل رسمياً على تنصير المسلمين، وان يرْعىٰ المظاهر الزائفة للدين الإسلامي، كالاحتفالات الدينية وما شابه ذلك ." (٥)

وفي هذه المرحلة أعطى البابا بركاته (١) لكل نصراني يحاول أن ينتقم من الكفرة المسلمين ! واستهدفت حركةُ الكشوفِ الجغرافيةِ تفريقَ العالم الإسلامي واكتشاف طرق للتجارة مع الشرق، لاتمرَّ بالعالم الإسلامي. وهكذا برَّر رجال الدين النصراني المدَّ الاستعماري بهدفٍ ديني هو القضاء على الإسلام، ولم يكن عندهم أي حرج من توجيه أي ضربة للأنظمة الاقتصادية والاجتماعية للدول الإسلامية والاستيلاء على أراضي الدول غير النصرانية، واستعباد أهلها؛ لأن الأوربيَّ يشعر أنه سيد العالم.

ومن ناحية أخرى: كان "التحالف المقدس" امتداداً للحروب الصليبية، إذ أن التحالف نصَّ على تثبيت قواعد الأخلاق النصرانية، وقام عمل الدول النصرانية شاهداً على ذلك، حيث تدخلت الدول النصرانية لمساعدة اليونان في ثورتها على الدولة العثمانية، كما ساندت حركات الانفصال التي قامت بها أيضا: رومانيا، والصِّرب، وبلغاريا، وكانت هذه كلها ولايات في الدولة العثمانية.

ومن أقوى الأدلة على ذلك أيضاً : ماكتبه أحد ساسة فرنسا في عهد لويس الرابع عشر، حيث قال: "إن على فرنسا أن تنتهز فرصة السلام الذي تنعم به أوربا بعد حرب السنوات السبع، وتنقضَّ على الإمبراطورية العثمانية لتقيم صرح المسيحية وتستخلص الأراضي المقدسة. وإن مشروع قناة السويس مشروع صليبي، ويجب أن تكون القناة ملكاً مشتركاً للعالم المسيحي". (٦)

المدنية الغربية أساس من المرحلة الثانية :

ثم في مرحلة ثانية اتخذت الدول الأوربية أساساً جديداً للعلاقات الدولية، وهو "المدنية"، بمعنى أن الدول المتمدنة هي التي يصح أن يعترف لها بالشخصية الدولية، وأن يكون لها حق التملك، وأن تكون عضواً في العائلة الدولية. وذلك لأنها اضطرت - لاعتبارات تتعلق بالتوازن الدولي - فتشارك الدول النصرانية في الحقوق والواجبات الدولية على أساس المساواة. غير أنه هذه العضوية ظلَّتْ ضعيفة بالنظر إلى استمرار نظام الامتيازات الأجنبية فيها. وبعد نصف قرن من الزمان سنحت الفرصة أيضاً لليابان لتنضمَّ إلى العائلة الدولية، ويومها قال دبلوماسي ياباني مخاطباً العالَم الغربيّ بتهكُّم: "حينما تحقق لكم أننا - على الأقل - نتساوىٰ معكم في علوم الدمار سمحتم لنا بالجلوس على موائدكم باعتبارنا متحضِّرين !" و كان ذلك عقب انتصار اليابان على روسيا القيصرية (٧)

ولكن لم يكن يبلغ هذا الضرب من المشاركة على الصعيد الدولي أن يكون حقًا للدول غير النصرانية، بل كان منتهى أمره أن يكون عطاء تمنحه الدول النصرانية لغيرها بشروط أهمها: أن تكون الدولة التي لا تدين بالنصرانية ذات حضارة ومدنية بمفهومها النصراني. فما زال الفكر الأوربي أسير الرواسب الاستعلائية التي ورثها عن الأجداد (الإغريق والرومان) التي ظلت عميقة تحت التربة الأوربية تكشفها عوامل التعرية من حين إلى آخر، كما في تصريح رئيس الحكومة الهولندية حيث قال عام ١٩٥٦م : "إن الدول المسيحية وحدها هي التي

الهدم هو دعوة للانغلاق الفكري والانطواء على نظريّة جامدة ورؤية رجعيّة ، مُغَلَّفَةً بالدعوة إلى التحررِ الفكريّ ، والتخلّصِ من كل نوع من العبوديّـة ، ومن الانهـزام النفسي ، والاستسلامِ الفكريّ ، والانبهارِ بالأسماء اللمّاعـة ، وبـالألقاب الفضفاضة ، وبما أُوْجِدَ حول أحد من الهالات الهائلة، والإطارات الفخمة .

إنّ مصيبة الوسطيّة والتوازن والاعتدال تكمن في أنّ أنصارها أنفسهم لا يلبثون أن ينقلبوا دعاةً للتطرف وأنصاراً للغلوّ ، ومدافعين عن كل نوع من المبالغـة و التنطّع والتقعّـر ، والشعـور بالعلـو ، والإعجاب بالنفس .

الهدمُ رفض لجميع المبادئ المعقولة التي تقررها الديانة ، وتركّز عليها الشريعة ، وتؤمن بها العقول السليمة ، من الحكمـة والموعظـة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن .

أصحـــابُ الهـدم يكـونـون صُمّاً وبُكـماً وعُمياناً ، لا يؤمنون بحسن المنطق ، ولا بالعرض اللبق ، ولا بفعل الخلق الكريم .. إنهم يؤمنون أنّ فكرة ما وموقفاً ما يجوز أن يُفْرضَا على العقول فرضًا ، دون إطار من الجمال ، وشعار من الحكمة ، وقرار من الدليل .

إنّ الهدم قول بلادليل ، وكلمة بلاسند ، وتحرك بلاجهة ، ورحلة بلا هادٍ ، وتخبّط في الظلام، ومجرد دعوى باللسان ، بلا رصيد من العمل والجدّ والتعب .. إنّه صناعة الكلمات وإنتاج الألفاظ ، دون انطلاق من المنجـزات الناطقـة والأعمـال الشاهدة .

الهدمُ رفضٌ لما آمن به الدين والعقل والمنطق والعرف ، وتعامل به المجتمع البشري ، من إعمال الرأي وإجراء القياس ، والتوصّل إلى المعنى الدقيق الصحيح لنصّ من النصوص ، ومقابلـة العبارة بالعبـارة ، والتخلص إلى النتائج في ضوء المقارنة المتأنيـة بين الأشباه والنظائر ، والأخبار المماثلـة ، والروايات المتشابهة .

إنّه تسرّعٌ في الحكم ، واستعجالٌ في " إعدام " الأفكار ، و "شنق " الآراء و " اغتيال " الرؤى ، واتّهام للرجال الذين آمنت الأمة بفضلهم وسبقهم في فهم الدين وتطبيقه وتنزيله ، بقصور الفهم وضعف العمل .. إنـه تجرؤ قاتل ، وسوء أدب شديد ، وتفاخر بلاشيء ، وتكاثر بلا رصيد ، وخسارةٌ أيُّ خسارة بلا شعور بفداحتها و دون إدراك لخطرها وأثرها في إحباط العمل ، وإضاعة الأجر ، وتفجير الفتنة ، وإثارة الشرّ ، و نشر الفساد ، وإصابة الأمّة ببلوى لا يعلم مداها إلاّ الله.

البناء صعبٌ شديد ، والهـدم هيّن يسير ، وما لم يمتنع الهدّامون عن الهدم ، وعن آليّاته وعُدَده و عتاده ، لا يمكن أن يبلغ البنيان التمام ؛ وهذا ما هو حاصل فعلاً . ولقد صدق الشاعر إذ قال :

متى يَبْلُغ البنيانُ يومـاً تمامَـه
إذا كنتَ تبنيه وغيرُك يَهْدِم

☆☆☆

إشراقة

بين البناء و الهدم

ما أسهَلَ الهَدْمَ ، و ما أصْعَبَ البنَاءَ ! و من هنا يكثر الهدّامون في المجتمع البشريّ كثرةَ الضفادع في البرك والأحواض ، ويقلّ البنّاؤن قلّةَ الصالحين والكرام في الدنيا .. البناء نيةٌ نبيلة ، وحركةٌ كريمة ، وعزيمةٌ حاسمة .. وجهودٌ دائبة ، لمطلب شريف ، وغرض عفيف ، ومقصد أسنى ، و هدف أسمى .. وعملٌ متواصل ، ومشوارٌ طويل ، وصبرٌ لا يَنْفَد ، وعنفوان لا يَفْتُر ، ونضالٌ لا يَنِيْ ، وإرادة لا تُقْهَر ، وهمّةٌ لا تُغَالَب ، وإيمان لا يَشُوْبُه رياء ولا نفاق ، وثقةٌ بالذات لا حدود لها ، وعقيدةٌ مُتَفَائِلَة تفاؤلَ المؤمن العالم العامل بنصر الله ، وبانتصار ركب الخير ، وانكسار فلول الشرّ .

وذلك كلُّه معانٍ إيجابيّة ، تتطلب تحرّقاً صادقًا وتحرّكاً مُخْلَصًا ، وتوجّهاً مستمرًا إلى الجهة المستقيمة ، وصعوداً من الحضيض إلى القمة ، من السفل إلى العلو ، من اللاشيء إلى مرحلة الفوز بكل شيء .. وتعنى أن تسامى عن الملذات ، وأن تعفّ عن كثير مما يَطِيْبُ ويَسْحَر ، ويُطْرِب ويُسْكِرُ ، ويُخَدِّر و يُبْطِر ، ويجعل الإنسان لا يتلمّس فرقاً بين الخير والشر ، ولا يتحسّس فاصلاً بين المصلحة والمفسدة .

والصعود والتسامي معنيان جليلان عظيمان ثقيلان على النفس البشرية ، وبالعكس من ذلك إن الهبوط والتراجع معنيان صغيران هيّنان سهلة عليها مباشرتهما متى تشاء .

البناء تقيّدٌ بالإخلاص ، والتزام بالاحتساب ، وأخذ بالعزيمة ، وصبر عن الرخصة ، وعمل في صمت ، واحتراز من أضواء كل نوع من الدعاية ، وكل شكل من الرياء ، وكل صورة من صور تأكيد الذات وفرض الشخصيّة ..

إنّ البناء إباء لكلّ قسم من أقسام الذل والضيم والظلم و المساومة ، والمراوغة والمناورة ، وإجحاف الحق ، وإدمان المماطلة .

البناء يعنى العمل دائبا على غرس الخير والحبّ ، والعطف والمواساة ، في تربة المجتمع ؛ واقتلاع جذور القساوة والغلظة ، والفظاظة والخشونة ، والجفاء وقلة الوفاء ، والوقاحة وعدم الحياء ، والنكران للجميل ، وإدارة الظهر للمعروف ، من أرض المجتمع كلّها.

البناء سهرات خاشعات في الليالي الهادئة ، ومناجيات ضارعة في الهدآت الخالية ، وإنابات متصلة في

(البقية على ص ٤٥)

أبو أسامة نور

بسم الله الرحمن الرحيم

اُدْعُ إِلَى سَبِيْلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وِالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَ جَادِلْهُمْ بِالَّتِيْ هِيَ أَحْسَنُ (القرآن الحكيم)

الداعي

مجلة عربية إسلامية شهرية

تصدر عن الجامعة الإسلامية دارالعلوم

ديوبند ، الهند

العـــدد: ٦

السنـــة: ٢٤

جمادى الثانية : ١٤٢١هـ

سبتمــبر : ٢٠٠٠م

تحت إشراف :

فضيلة الشيخ مرغوب الرحمن

رئيس الجامعـــــة

رئيس التحرير

نور عالم خليل الأميني

أستاذ الأدب العربي بالجامعة

الاشتراكات :

ثمن النسخة : ١٥ روبية هندية

قيمة الاشتراك السنوي

في الهند : ١٥٠ روبية هندية

وفي خارج الهند للأفراد : ٣٥ دولاراً

وللمؤسسات الحكومية : ٤٥ دولاراً

المراسلات :

رئيس تحرير مجلة الداعي

دارالعلوم ، ديوبند (الهند)

الرمز البريدي ٢٤٧٥٥٤

الهاتف ، والفاكس ، والبريد الالكتروني :

Ph. : (00-91-1336) 22429 / 22332

Fax : (00-91-1336) 22768

Web : http://www.darululoom-deoband.org

E-mail : darululoom_deoband@yahoo.com

Chief Editor

AL - DAIE

Arabic Islamic Monthly

Darul - Uloom,

Deoband - 247554

(U.P.) INDIA

المحتــويـات

كلمة المحرر

المؤسف في القضية الفلسطينية بالنسبة للمسلمين كلهم ، أنّ العلمانيين من المسلمين والأعداء أجمعين حاولوا منذ اليوم الأول تحقيق أمرين :

١- أن يجعلوها قضيّة تخص الفلسطينيين وحدهم ، حتى تفقد الاهتمام الإسلامي العربي العالمي ، الذي تستحقه وستظل تستحقه ما لم تنل الحلّ الذي يرضاه المسلمون

٢- أن يجعلوها صراعا عقديًا بالنسبة لليهود ، وصراعاً سياسيًّا مجردا بالنسبة للمسلمين والفلسطينيين .

فعاد الصراع بين العدوّ الصهيوني وبين المسلمين صراعاً غير متكافئ ؛ حيث ظل العدوّ مدفوعاً إليه بالعقيدة اليهوديّة والمزاعم التأريخيّة و " المواثيق والمواعيد " المختلقة بشأن استعادة " الأرض الموعودة " وإقامة دولته في المساحة الممتدة على ما بين النيل والفرات ، وإقامة هيكل سليمان المزعوم على أنقاض المسجد الأقصى المبارك ، وما إلى ذلك من الأهداف التي كلها تختصر في الأطماع التوسعيّة الرهيبة التي لن تتحقق إلاّ على جسر من الإذلال للعرب والإخضاع للمسلمين . إلى جانب تسلّحه بسياج قوي من السياسة يتمثّل في أحزاب يمينية ترفض إعادة القدس واللاجئين والأراضي المحتلة عام ١٩٦٧م ؛ إلى جانب الاستعداد العسكري الذي جعل من إسرائيل أقوى دولة في قلب العالم العربي .

أمّا العرب والمسلمون - باستثناء الإسلاميين المرابطين على الثغر ، المجاهدين بالغالي والرخيص ، المعتقدين بأن الطريق الأسلم الأصوب الوحيد إلى تحرير فلسطين و استعادة المجد السليب والعزّ الفقيد والأراضي المغتصبة والأعراض المنتهكة إنما هو الجهاد الإسلامي الذي سيظل ماضياً إلى يوم القيامة - فإنهم لا يقفون إلاّ موقف المتفرج ، ولا سيّما القادة والساسة الذين ينعمون في قصورهم وجنّاتهم ، ولا يرضون أن يضحّوا من أجل فلسطين بشيء من راحتهم ودعتهم ؛ فيؤمنون بالاعتراف بـ " الأمر الواقع " ويدعون المسلمين كلهم إلى الخضوع لتوجّهاتهم .

أمّا الفلسطينيون - غير الإسلاميين وغير الفصائل المؤمنة بالنضال المشرف - فإنهم إنما يخوضون الصراع بفكر سياسيّ مجرد من الروح العقدية ، يهدف إلى إقامة دولة ولو كانت هزيلة مهزوزة الجذور ، ولو أدت إلى دفع ثمن باهظ .

وقد قلت من منبر " الداعي " هذا أكثر من مرة : إن القضية الفلسطينية لدى الإسلاميين كلهم عرباً كانوا أو عجما قضية عقديّة إسلاميّة مائة في المائة . وإن اعتبارها بهذه الصفة هي التي تجعلها مدعومة من المسلمين كلهم والعرب جميعهم والفلسطينيين بمختلف وجهاتهم ، وهنا سيأتي الحلّ كما نريد ، وهنا سنتمكن من فرض رأينا على العدوّ ، ولن يقدر العدو أن يفرض علينا موقفه . وأما بدون ذلك فكل شيء ممكن وكل شيء حاصل " وَاللّٰهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُوْنَ (يوسف / ٢١)

[التحرير]

لن تضيع القدس

ووراءها المليارات من المسلمين

وإذا كان المسيحيون – وعلى رأسهم الأمريكان والبريطانيون وعامة الأوربيين – يستطيعون أن يتناسوا انطلاقاً من معاداتهم للمسلمين مع اليهود قتلة نبيهم عيسى – على حد زعمهم بالعكس مما يعتقده المسلمون بحكم نص كتابهم – فزرعوا الغرس اليهودي الخبيث في قلب العالم العربي وفي أرض فلسطين الإسلامية العربية، وصنعوا دولة يهودية ذات سيادة مستقلة يوم ١٤/ مايو ١٩٤٨م قائمة على هذه الأرض الإسلامية المغتصبة من المسلمين ظلماً وعدواناً، وعلى مرأى ومسمع من العالم كله، وبمباركة ورعاية من قبل القوى المسيحية وغيرها المعادية للإسلام.

وإذا كان ذلك لتحقيق [illegible] يحقق [illegible]، [illegible]، ويصالح الحقد، ويلائم [illegible] لتمكنهما من الانتقام من الإسلام والمسلمين، ويضاعفا الأضرار لاستئصالهم [illegible].

فلماذا يعجز المسلمون – وربهم واحد، وكتابهم واحد، ونبيهم واحد، وعقيدتهم واحدة، وقبلتهم واحدة، ومشاعرهم وشعائرهم واحدة – أن يتحدوا ويتضامنوا، ليقفوا صفاً واحداً ضد العدوّ الماكر الذي لعنه الله وغضب عليه أو أحلّه عندما آثر الضلال على الهدى.

☆ ☆ ☆

وإذا كان الخليفة العثمانيّ عبد الحميد لم يرضَ أن يهب اليهود شبراً من أرض فلسطين مقابل تسديد جميع ديون الخلافة العثمانية من أصعب الأزمات الاقتصادية في حياتها إلى جانب أطنان من الذهب أغراه بها اليهود الخبثاء.

فلماذا يعجز قادة الدول العربية وحكام البلاد الإسلامية – وليتها اليوم من [illegible] والحداثة و"[illegible]" و"[illegible] الأعلام والحرية" [illegible] من الأموال ما لم يكن لدى عبد الحميد العثماني – أن يرفضوا [illegible] وعلى رأسهم

[illegible] بضعفه ، [illegible]

[illegible] من [illegible] وما من أراضٍ

[illegible] بكل ما يوجد على ظهر الأرض من الأموال والثروات ، فما وهبه الله [illegible] خير مما [illegible] ويتحدونهم بما صارح به سيدنا سليمان عليه السلام ملكة سبأ :

﴿ أتمدونن بمال فما آتاني الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون ﴾ (النمل / ٣٦)

ويتحدونهم تحدياً واقعياً ، تحدياً يصحبه العمل الجاد الصلب الذي تعوده العرب المسلمون عبر تاريخهم ، حيث لم يراهنوا على مجرد الكلمات تقال والأقوال العريضة الفارغة تطلق ، وإنما كان رصيدهم في التحدي الفعل والتهديد وإباء العار ، الإجراء العملي الذي كان يردع الخصم ويرغم العدو على [illegible] من [illegible] والتراجع من إرادته .

[illegible] كما [illegible] سليمان عليه السلام [illegible] :

[illegible]

السيادة من كل [illegible] الأراضي [illegible] التي [illegible] التابعة للإسلام ، [illegible] ، ورثوا [illegible] ، واستعملوا [illegible] من الشيلة والصبر ، والصوم والإحرام ، ووحدة التاريخ والثقافة ، وكتاب الله [illegible] والأراضي العربية المقدسة التي [illegible] بحجر بعض ، واللغة العربية التي [illegible] على جميع لغات الدنيا باختيار الله [illegible] إياها على غيرها .

ولا [illegible] إلا [illegible] ليقضوا على الإسلام وأهله [illegible] المغتصب الخبيث للأراضي الإسلامية [illegible] له [illegible] البيت [illegible] والسكان [illegible] الفلسطينيين [illegible] الأرض والسكان [illegible] إنما [illegible]

[illegible]

حوله ، ومسرى الرسول الكريم ومعرجه إلى السماوات العلى ، والمسلمون قد يحتملون الضيم فيما سواها ولكن لن يحتملوا أي تفريط بشأنها ، فضلاً عن أن يفكروا في التخلّي عنها مقابل السلام الخادع الذي ظاهره الرحمة وباطنه يطوي عذاباً على عذاب . رحم الله تفكيرنا ، وغفر لنا إهمالنا في شأن هذه الأراضي الإسلامية المباركة . وسدّد خطانا ، وأخذ بأيدينا إلى الرشد ، وألهمنا الطموح وا لفتوة والشجاعة ، وجعلنا نأبى الضيم الذي ظلنا نأباه عبر تأريخنا الطويل :

سَلِ الرِّمَاحَ الْعَوَالِيْ عَنْ مَعَالِيْنَا
وَاسْتَشْهِدِ الْبِيْضَ هَلْ خَابَ الرَّجَا فِيْنَا

☆ ☆ ☆

ورغم تفريط السيد ياسر عرفات بكثير من الثوابت فيما يتعلّق بالقضيّة الفلسطينية فإن صموده في قمة كامب ديفيد الثانية أمام قضية القدس بالذات ومصارحته الراعيَ الأمريكي : " الشرطي العالمي " أنّه لا يملك اتّخاذ قرار بشأن القدس والأقصى لأنهما ملك ومسؤولية العرب والمسلمين كافّة ، حوّله فجأة قائداً محبوباً لدى المسلمين عامّة والفلسطينيين خاصّة ، مما يدلّ على مدى تعلق قلوب المسلمين بهذه القضية الأولى بين القضايا الإسلامية كلّها . ولو أنّ عرفات وقف غير الموقف الذي وقفه لجّه العرب والمسلمون كلهم ، ولتناولوه من الملام بما لم يشهده تأريخ الإسلام والمسلمين ، ولما غفر له التأريخ هذه الغلطة الكبرى ، ولما قبل له المسلمون في الدنيا كلها أيّ عذر ، ولكان قد عاد أقبح قائد في التأريخ الإسلامي . إنّ عرفات بموقفه هذا أثبت جراءته في جانب ، واحتفظ بماء وجهه في جانب آخر ، وأعاد القضيّة إلى إطارها الصحيح في جانب ثالث .

ومنذ فشل مهزلة محادثات السلام في قمة كامب ديفيد الثانية سارعت الأوساط الأمريكية الإسرائيلية إلى تحميل الطرف الفلسطيني وحده مسؤولية الفشل ، وعاد الراعي الأمريكي يتناوله بالملام والاتهام ، ويهدده ويوعدّه ، ويمارس جميع الضغوط لحمله على الرضا بقبول الموقف الإسرائيلي من تسليم القدس كلها لهيمنة العدو الإسرائيلي كعاصمة له أبديّة ! .

إن الضغوط السافرة التي يمارسها "بيل كلينتون" نحو الفلسطينيين لو سَاءَلَه أحد في شأنها وطلب منه علّة معقولة لهذا الانحياز السافر والتأييد المكشوف للصهاينة ، لما قدر على الجواب سوى أن يقول فيما إذا كانت لديه جراءة خلقية : إن العلّة الأساسيّة إنّما هي معاداتنا للإسلام والمسلمين ، ووقوعنا في الغرام

مع اليهود التي تتصل بها مصالحنا السياسيّة أيضاً ، لأنّها سيطرت اليوم على السياسة والاقتصاد والإعلام والاستخبارات لدينا ، وكادت تترجم بروتوكولات حكماء صهيون إلى واقع عمليّ في كثير من النواحي الحياتية في المجتمع الأمريكي الذي يكاد يعود مستعبداً للسياسة اليهوديّة .

أليس عاراً على " كلينتون " يفضحه على قارعة الطريق وفي المحافل الدوليّة كلّها أن ينصب نفسه وسيطاً في القضية الفلسطينية وراعياً لمحادثات السلام المزعوم بين الفلسطينيين والعدو الإسرئيلي ، ويهدّد بنقل السفارة الأمريكية للقدس ؛ لأنّه بذلك لا ينتهك فقط قرار مجلس الأمن ٢٤٢ ويضرب عرض الحائط جميع المرجعيّات التي يعتمدها عملية السلام منذ أن بُدِئ عرض مسلسلها ابتداء من مؤتمر " مدريد " ، وإنّما ينسف في الوقت نفسه مصداقيّة الولايات المتحدة كوسيط في القضية و راعٍ لمهزلة السلام .

الوسيط إذا أبدى انفعاليته وعصبيته بل انحيازه السافر إلى أحد الطرفين ، فمعنى ذلك أنه بدوره طرف في القضية المعنية وليس وسيطاً يقدر على مراعاة مقتضيات العدل التي هي الركيزة التي تقوم عليها الوساطة .

إنّ الولايات المتحدة ظلّت منذ اليوم الأول أكبر مربية حانية لإسرائيل ، ما فتئت تغدق عليها المعونات الماديّة والمعنوية التي جعلتها أكبرقوة نووية وعسكريّة في قلب العالم العربيّ وفي وسط الدول العربية الإسلامية ، تتحداها وحدها جميعاً ، وتهددها بشكل سافر ، وتفعل ما تريد دونما رادع دوليّ ، أو تأديب أمميّ ، أو توبيخ أمريكي ، أو ملام بريطاني .

قد انتهت المفاوضات الاستسلاميّة التي رضي بها الفلسطينيون والعرب ، في غياب النخوة العربية والحمية الإسلاميّة وروح الجهاد الإسلامي التي هي وحدها القادرة على إستعادة المجد السليب والحق الفقيد ، انتهت إلى المرحلة الحرجة ، مرحلة الاستحقاقات النهائية ، وعلى رأسها القدس ، التي تحاول الولايات المتحدة جهدها أن تدفعها بكاملها هديّةً إلى إسرائيل ربيبتها العشيقة . وبدأ البيت الأبيض في شعور باليأس والإحباط يطلق التهديدات لتخويف الفلسطينيين ليتنازلوا فوراً عن الحقوق الأساسيّة التي تشكل جوهر قضيتهم وهويتهم الوطنيّة ، و واكبت هذه التهديدات والتخويفات حملةٌ مبيتةٌ من خلال الآلة الإعلاميّة الأمريكية العملاقة للضغط على الدول العربية والإسلامية حتى ترضى بالختم النهائي على ذلّها وتبعيّتها .

ولئن صار الأعداء تتحد مكشرة أنيابها تود أن تبتلع القـدس كلها ، وتطوي ملف القضية الفلسطينية للأبد بشكل يظل العرب والمسلمون كلهم يعضّون بنانَ الندم لوقت طويل حتى يأتي " صلاح دين " جديد - وسيأتي إن شاء الله - فماذا يمنع العرب والمسلمين أن ينهضوا من رقدتهم ، ويرتّبـوا صفهم ، ويكونوا صوتاً واحداً ويداً واحـدةً ، ويهجموا على العدو الماكر الخبيث هجمةَ رجل واحد ، تنفى عنهم جميع تُهَم الإهمال والقعود والكسل،وفقد الحمية والنخوة والإباء،والرضا بالضيم،وقبول الدنية حتى في أعزّ الحقوق، وأحبّ الحرمات،وأقدس الشعائر،وألذ المشاعر التي يستميت دونها حتى الأذلاّء النذلاء ، فمـا بال العرب أشبال محمد وأخلاف أبي بكر وعمر وخالد بن الوليد وأبناء الصحراء الذين لا يعرفون إلاّ الصدق والحق ؟ ! .

☆ ☆ ☆

في هذه الساعة الحرجة عاد العرب والمسلمون في أمس الحاجة إلى الاتحاد والتضامن والتعاون . إنّه من الخطورة بمكان أن يظلّ الصف العربيّ يعتريه التمزق والتفكك والهزليّة مكان الجـديّة ، والعـدوُّ الصهيوني وراعيــه الأمريكي يواصلان العمل لتأكيد السيطرة على الأراضي العربية كلها ، ولاقتلاع ما بقي فيها من الجذور العـربيـة الإسلاميّـة ، ولإنشـاء الهيكل المزعوم فوق أنقاض الأقصى المبارك .

قضية القدس والفلسطين ليست قضية محلية أو شخصية يتقدم فيها ويتراجع رجل واحـد مثل عـرفات ، أو قـوم واحـد مثل الفلسطينيين ، وإنما هي القضية الاسلامية العالمية الأولى التي يجب أن يهبّ لها جميـع آلعـرب والمسلمين قيادات وشعوباً وحكاماً وجماهير .

إن قضيّةً مثلها لن تصيع ، لن تضيع القضية الفلسطينية ، ولن يكسبها العدوّ - إن شاء اللّه - كما يود وورائها هذه المليارات من المسلمين الذين يؤمنون باللّٰه ربًّا ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيًّا ورسولاً ، وبالقرآن كتابا إلهيًّا خالدًا ، وبالكعبة قبلة موحدة ، وبالأراضي العربية الإسلامية ملكاً محمديًّا ورثته الأمة الإسلامية كلّها .

الا لن يضيع حـقّ و وراءه طُلاّبه أمثال المسلمين أباه الضيم ، ومحاربي الظلم ، وناشري العدل .

" وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُه إنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيْزٌ " (الحج / ٤٠)

نور عالم خليل الأميني

تستطيع أن تميِّز بين العدل وغير العدل، وبين الحرب المشروعة وغير المشروعة"، وتساءل عمّا إذا كان المسلم أو الهندي يستطيع أن يعي معنى العدوان، لأن إدراك مثل هذا المعنى قاصر على الدول ذات الثقافة المسيحية !! (٨)

واستغلت الدول النصرانية الأوربية شعار المدنية لترتكب به أفظع الجرائم على البشرية، فاحتلت أقاليم الدول الأخرى، وراحت تستغلُّها أبشع استغلال، فتفسد عقائدها وأخلاقها، وتستنزف خيراتها ومواردها، وتسحر أبناءها في العمل والصناعة، وتنشر فيها الفساد والرذيلة، وتفسد العقائد والأخلاق.

وكانت هذه الدول تتسابق فيما بينها على التسلُّط لتحصل الدولة الكبرى منها على أدسم قطعة في الفريسة (من بلدان الشرق الأدنى والأوسط والأقصى). وأذكى ذلك فيما بينها نار الثأر، فاندلعت الحرب العالمية الأولى (١٩١٤م) التي تعرضت فيها البشرية لأهوال قاسية

السلام شعار المرحلة الجديدة :

ولما هدأت العاصفة واجتمعت الدول الأوربية في مؤتمر باريس (١٩١٩م) لإعادة بنيان الدول التي كانت على وشك الانهيار، عندئذ أصبحت النغمة الجديدة هي "السلام" الذي يخفي وراءه مايخفى، حيث جاء نظام الانتداب ليطلى به نظام الاستعمار القديم. وليخاتل الأمم والشعوب التي وُعِدتْ بالحرية والاستقلال؛ فمصر تحت الانتداب الانجليزي، وكذلك فلسطين. وسورية ولبنان تحت الانتداب الفرنسي

الجذور التاريخية والفكرية للمنظمات الدولية :

وكان من نتائج مؤتمر باريس السابق: النصُّ على إنشاء "عصبة الأمم المتحدة" لتكون أداة لحفظ السلام العام ولتوطيد العلاقات بين الدول

وتعود الجذور التاريخية لنشوء "عصبة الأمم" إلى المدرسة الكاثوليكية في الفكر الأوربي، التي تعكس الروح الرومانية القائمة على العنف وعبادة القوة المادية، والتعصب الصليبي ضد العالم الإسلامي ومن دعاة هذه المدرسة "بيير ديبو" من رجال القانون الفرنسي؛ ففي كتابه "استرداد الأرض المقدسة" يدعو إلى تكوين "عصبة أمم" تكون قاصرة على الدول الأوربية، وقادرة على محاربة العالم الإسلامي لاسترداد فلسطين من أيدي المسلمين، لتكون في أيدي الأوربيين !!

ثم جاء الوزير الفرنسي "سالي" سنة ١٦٠٣م بمشروعه لإنشاء جمهورية مسيحية كبرى تضم شعوب أوربا المسيحية – ما عدا الارثوذكية – ثم جاء أيضاً مشروع الفيلسوف الألماني "ليبتسي" لتكوين اتحاد بين الدول الأوربية حتى تتمكن من محاربة الدولة العثمانية واقتسام ممتلكاتها بين الدول الأعضاء. (٩)

الهيئة الجديدة القديمة !

ولئن فشلت عصبة الأمم المتحدة فيما زعمتْه مِنْ حفظ السلام الدولي، وعَصَفَتْ بها الأعاصير السياسية الدولية؛ فإن التركة آلت إلى هيئة جديدة بعد انتصار الحلفاء في الحرب العالمية الثانية حين منحت دول مؤتمر سان فرنسيسكو عام ١٩٤٥م شهادة ميلاد "هيئة الأمم المتحدة" لتكوين محطّ آمال العالم أجمع، يتطلع إليها راجياً أن تحقق للمستقبل ما أخفقت عصبة الأمم في تحقيقه في الماضي. ولكن الهيئة الدولية الجديدة جاءت لتكوين ديكتاتورية من الدول الكبرى لتسيير السياسة العالمية. ويشهد لهذا : أن الدول الخمس ذات التمثيل الدائم في مجلس الأمن (وهي : الصين وفرنسا وبريطانيا وأمريكا وروسيا) لكل منها حق الاعتراض على أيِّ قرار يصوَّت عليه في مجلس الأمن، وعندئذ يمتنع المجلس من إصداره ، ويصير القرار كأن لم يكن، مهما تكن أغلبية الأصوات التي وافقت عليه في الأصل . وواقع الحال كما هو مشاهد، منذ نشأتها يؤيد هذا. فكم من المشاريع والقرارات التي

عطاء الاسلام الحضاري للبشرية

بقلم الكاتب الإسلامي الكبير الأستاذ أنور الجندي المصري

مايزال عطاء الإسلام متمثلا في مختلف محاولات الفكر السياسي والاجتماعي بالغ القدر ، عظيم المكانة ، ممثلا للقواعد الأساسية التي قام عليها الفكر الحديث بكل فروعه ومعطياته .

فقد أسس خلال اكثر من ألف عام على شرائح ضخمة من الايجابيات المستمدة من المنهج القرآني في مجالات العلاقات الدولية ونظم الحكم ومجال العدل الاجتماعي ومجال العلوم التجريبية ففي مختلف هذه المجالات وغيرها قدم الاسلام عطاء عريضا هو بمثابة عملية تأسيس وريادة لكثير من معطيات الحضارة الإنسانية ليس لها مثيل في عصور الحضارات اليونانية والرومانية والفارسية السابقة وزاد عليها عطاء تحرير النفس الإنسانية من العبودية والرق الذي عرفته الحضارات واعتبرته أساسا راسخا من أسسها .

وكان " التجريب " من أعظم معطيات الحضارة الإسلامية متمثلا في عمل عديد من الأعلام الكبار. البيروني والحسن بن الهيتم وجابر بن حيان وغيرهم ممن رسموا قاعدة المنهج العلمي القائم على البحث والتجربة وقد اشاد ادوارد سخاو بمكانة البيروني وانه أعظم عقلية عرفها التاريخ وأكبر ظاهرة في تاريخ العلم في الحضارة الإسلامية .

وقد استمد علماء التجريب المسلمون منهجهم من القرآن الكريم في مادة ﴿ قل هاتوا برهانكم ﴾ الآية ١١١ من سورة البقرة .

وقد رقوا بالعلم من مرحلة المترجم والنقل إلى مجال الابداع فكان عملهم علامة على بزوغ الطابع الإسلامي في وثائق المنهج العلمي التجريبي .

وقد درس علماء المسلمين ما وجدوه من التراث الاغريقي والهندي فعلقوا عليه وصححوه وحرروه وأضافوا إليه اضافات جديدة وبذلك أدخلوا إلى مجال العلم المنهج الحسي والتجريبي في مواجهة المنهج الاشراقي الذي كان سائدا .

وقد حدد البيروني منهجه العلمي في التزام الرجوع إلى المناهج الأصلية ونفذ هذا في أبحاثه تنفيذا صارما واتخذ من التجربة سبيله إلى تحصيل المعارف وأنكر تقبل الآراء المسلم بها من غير تمحيص أو تدقيق وعمد إلى امتحان الأشياء بعقله وأخضعها للتجربة وكذلك فقد رفض مسلك المعاصرين له الذين كانوا يعتمدون علمهم على المذهب الاشراقي الذي انتشر بين الصوفية . وحرر مفهوم المعرفة واستمده من تكامل مفهوم المعرفة

الإسلامي الجامع بين العقل والوحي وبين العقل والقلب ودعا إلى ضرورة الاستفادة بكسب العلم عن طريق العقل .

وكانت مقولة ابن الهيثم الحاسمة هي أن الأشياء المرئية هي التي تعكس الأشعة على العين فتبصرها بواسطة عدستها وأنه ليس هناك من أشعة تنطلق من العين كما كان يقول اليونان

وكان هذا التوجه الإسلامي إلى التجريب طبيعيا فقد رفض الفكر الإسلامي مفهوم الفكر اليوناني من حيث تختلف حدوده ومفاهيمه عن روح الفكر الإسلامي وطبيعته أشد الاختلاف وأبرز هذه الفوارق (إن الروح الاغريقية تتسم بالذاتية أي بشعور الذات الفردية بكيانها واستقلالها عن غيرها من الذوات بينما الروح الإسلامية تفنى بالذات في الكل . فليس الذوات المختلفة اجزاء مكونة بل هو كل يعلو على الذوات كلها وليست هذه الذوات الامن آثاره ومن خلقه يسيرها كيف يشاء ويفعل بها كما يريد)

ومما يتصل بأصالة منهجه العلمي الإسلامي أنه قرب قضايا علم الفلك من اشارات القرآن فكان بذلك من أول من ربط بين أصول القرآن الكلية وبين حقايا العلوم وأسرارها

كذلك فقد رسـم الحسن بن الهيثم أصـول المنهج العلمي الحديث في كتـابـه " المناظر " و أشار إلى العناصر العامـة في هذا المنهج هي : " الاستقراء ، القياس ، والاعتمـاد على المشـاهـدة ، التجـربـة والتمثيـل ". ويقـول : (يبتدئ في البحث باستقراء الموجودات وتصفح أحوال المبصرات وتمييز خواص الجزئيات وتلتقط باستقراء ما يخص البصر في حال الأبصار وما هو مطرد لا يتغير وظاهر لا يشتبه في كيفية الاحساس ثم نترقى في البحث والمقاييس على التدرج والتدريب مع انتقاد المقدمات والتحفظ من الغلط في النتائج . ونجعل غرضنا في جميع ما نستقرئه ونتصفحه استعمال العدل لا اتباع الهوى ونتحرى عن سائر ما يميزه وننتقده وطلب الحق الذي به يثلج الصدر ويصل بالتدرج واللطف إلى الغاية التي عندها يقع اليقين ونظفر مع النقد والتحفظ بالحقيقة التي يزول معها الخلاف وتنحسم به مواد الشبهات وما نحن مع ذلك براء مما هو في طبعة الانسان من كدر البشرية ولكننا نجتهد بقدر ما هو لنا من القوة الإنسانية ومن الله نستمد العون في جميع الأمور). أ هـ

وهكذا يكتشف ابن الهيثم عن غاية " المنهج العلمي " الإسلامي في نظره وهو

١ – استعمال العدل لا اتباع الهوى .

٢ – التجرد من الهوى والإنصاف بين الاراء

٣– وجود ما يثلج الصدر في الوصول إلى الحقيقة

ويقرر الدكتور مصطفى نظيف والعلامة قدري طوقان ان ابن الهيثم أدرك ما نال به من بعده " ماك " و " كارل بيروسون " وغيرهما من رجال العلم الحديث في القرن العشرين

وغاية الرأي عندهما انه اتجه إلى الوجهة التي يتجه اليها التفكير العلمي الحديث وعندهما أنه سبق في طريقته العلمية وبحوثه وكشوفه العلمية العلامة

يكون في طريقه الاستقرائية وسما عليه وكان اوسع منه أفقا وأعمق تفكيرا

أما " البيروني " فانه

أولا عمل قانونا جغرافيا كان اساسا لاكثر القسمو عرافيا الشرقية وقد استند إلى قوله سائر المشرقيين في الكليات

ثانيا : بحث في تقسيم الزاويه إلى ثلاثة اقسام متساوية وكان ملما بعلم المثلثات وكتبه تدل على أنه عرف قانون تناسب الجيوب .

ثالثا : عمل تجربة لحساب الوزن النوعي واستعمل في ذلك وعاء مصبه متجه إلى أسفل . ومن وزن الجسم بالهواء والماء تمكن من معرفة مقدار المزح ومن هذا الأخير وزن الجسم بالهواء حسب الوزن النوعي .

رابعا : كتب عن الأرقام الهندية وتغير قيمها بتغير مواضعها .

خامسا : حل كثيرا من المسائل التي لا تحل بالبرجل والمسطرة وحدهما وصف في الفلك دائرة معارف .

سادسا : فسر ظهور الماء من الابار بأنه الماء في مثل الأواني المستطرقة بلغ في إحداها مستوى هو لاشك بالغ مثله في كل آنية متصلة بها أخرى .

سابعا : قارن بين سرعة الصوت وسرعة الضوء وقال : إن سرعة الضوء غاية في الكبر

ثامنا : حدد الثقل النوعي لعدد من المعادن والأحجار تحديدا دقيقا لا يكاد يذكر الفرق بينه وبين الوزن الحديث اليوم وهي معادن الذهب والزئبق والنحاس والحديد والصفيح والرصاص والياقوت والزمرد واللؤلؤ والبلور

اما ابن الهيثم فهو صاحب منهج علم البصريات التي وصل فيه إلى أعلى درجة ولا سيما فيما يتعلق بانكساره في الجو وكتابه " المناظر " حجة في هذا المجال فقد بحث في انتشار الضوء والألوان والخداعات البصرية والانعكاس البصري بتجارب علمية في اختبار زوايا الانعكاس والسقوط ، كما فحص ابن الهيثم انكسار الأشعة الضوئية خلال الأوساط الشفافة " الهواء – الماء " واستطاع أن يقترب حدا من النتائج التي حصل عليها من الاكتشاف البصري للعدسات المكبرة التي صنعت في ايطاليا بعد ذلك بثلاثة قرون

وقد عاش علماء أوربا على دراسة كتاب المناظر عدة قرون وبفضله استطاع علماء القرنين ٢٠،١٩ أن يخطوا بعلم الضوء خطوات واسعة وأهم ما أحدثه ابن الهيثم أنه جعل من البصريات علما مستقلا له أصوله وأسسه وقوانينه

انتفع بمادته كلها فحول العلم الاوربي الحديث " بيكون وكيلو وفيري وواتيلو " وسحرت بحوثه في الضوء ماكس مايرهوف وأثارت إعجابه إلى درجة جعلته يقول : إن عظمة الابتكار الإسلامي تتجلى لنا في البصريات وأبرز مظاهر علم ابن الهثم أنه استدل في جميع بحوثه في الضوء بالتجربة واستعان باجراء التجارب بالمعنى الذي نعنيه من هذه العبارة اليوم كما اولى " القياس " اهتمامه الكلي فهو بعد أن يثبت المبادىء الأولية بالتجربة يتحد تلك

المباديء قضـايا يستنبط منها بالقيـاس النتائـج التي تفضي إليها .

وفي مختلف مجالات العلم والفلك والهندسة قدم علماء المسلمين معطياتهم :

١- فهـذه ظاهـرة المـد والجـزر سبق إليها المسلمون فقد تحـدث المسعودي في كتابـه " مروج الذهب " عن ظاهـرة المد والجـزر وكان الملاحـون العرب قد عرفوا من خلال رحلاتهم البحرية الكثير من الظواهر الطبيعية ومنها ظاهرة المد والجزر وقد تابعه في ذلك وتوسع فيه الدمشقي في كتابه " تحفة الدهر " وعماد الدين اسماعيل أبو الفـدا في كتـابه " تقويم البلدان ".

واهتـم المسلمـون برصـد الأفـلاك وقيـاس العروض ومراقبة الكواكب السيارة وتأليف الأزياج التي تحتوي علـى حـركات النجـوم كما اخترعـوا آلة الاسطرلاب .

كل هذا قام به المسلمون في مجال الاستقراء والقياس والاعتماد على المشاهدة والتجربة والتمثيل.

وكان لابن النفيس القدح المعلى في مجال الدورة الدموية فهو لم يكن أول من اكتشف الدورة الدموية الصغرى كما هو مشهور فحسب بل كان ايضا أول من اكتشف الدورة الدموية الكبرى وقد اعتمد الباحثون المعاصرون في ذلك " كما يقول الدكتور يوسف زيدان " على مخطوطة لابن النفيس بعنوان "رسالـــة الأعضـاء" وقـــد ظهـرت شبهـــة أن الاسكندرانيون قد عرفوا الدورة الكبرى قبل ابن النفيس بألف وخمسمائة عام .

وقد اعتقدوا ان هيرفيلوس وارار ستراتوس توصلا إلى هذا الاكتشاف العلمي . ولكن الدكتور يوسف زيدان قد أعلن بعد مراجعة للتراث العلمي السكندري والنظر فيما يخص هؤلاء العلماء فلم يجد ما يشير إلى معرفتهما بالدورة الدموية الكبرى وبهذا تأكد أن ابن النفيس هو مكتشف الدورتين .

ومن مصنفاته في كتابه " التتامل " الذي تدل فهرسته على أنه يقع في ثلاثمائة مجلدة بيّض منها ابن النفيس ثمانين . وقد استوعب ابن النفيس ما لا حصر له من المعارف الطبية ومات في التمانين ولم يتمكن من إتمام هذه الموسوعة وكان يقول : (لو لم اعلم أن تصانيفي تبقى بعدي عشرة آلاف سنة ما كتبتها).

وكان جاليبوس أول من قال : إن الدم ينتقل من الجاس الأيسر من القلب عن طريق تقوب دقيقة لاتراها العيون وقد ناقش ابن النفيس هذا الرأي ونقضه وقال في كتابه : شرح تشريح القانون : إن الدم ينتقل من الجانب الايمن للقلب الى الرئتين أولا.

وكان جالينوس يقول : إن الطعام يتحول إلى دم يسيل في الأوردة ويسير إلى جميع اعضاء الجسم ، إلا أن جزءا منه يجري في الوريد القلبي ومنه إلى الوريد الأجوف المساعد إلى الجانب الأيمن للقلب .

حتى جـاء ابن النفيس الـذي كشف عـن أن القلب ينتقي غذاءه من الدم الذي يجري في العروق الدموية التي تتخلل القلب وأثبت أن الدم يندفع إلى الرئة فتتشبع بالهواء ، وأثبت أن هناك صلات بين شرايين الرئة وأوردتها وهي تتحكم في الدورة الدموية داخل الرئة .

مَصَادِرُ المَعْرِفَةِ وَ طُرُقُ العِلْمِ فِي الإِسْلاَمِ وَالعِلْمِ الحَدِيْثِ

بقلم الدكتور عدنان جمعة ضميرية

إجمالٌ و بيان :

مصادر المعرفة هي الوسائل التي نستخدمها للتعرف على الموجودات في عالم الغيب والشهادة . وكما أن طبيعة عالم الغيب تختلف عن طبيعة عالم الشهادة ، فإن الطرق لمعرفة كل منهما تتفق مع طبيعة موضوع المعرفة الذي هو عالم الغيب والشهادة

ونشير فيما يلي إلى مصادر المعرفة – بعامّة – ثم نتعرف على وسيلة ومصدر معرفة كل من عالمي الغيب والشهادة وحدود هذه المعرفة وضوابطها . والطرق أو الأسباب التي يتعرف فيها الإنسان على الموجودات ، ويحكم عليها من خلالها ، ويعلمها علما يقينيا أو ظنيا ، إما أن تكون من خارج نفس الإنسان أو من داخلها . فإن كانت من خارج النفس فهي الخبر الصادق ، وإن كانت من داخل النفس ؛ فإن كان العلم بها بواسطة آلة غير المدرك فهي الحواس ، وإلا فالعقل والنظر والاعتبار بحدوده وضوابطه .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – :

" طرق العلم ثلاث . أحدها الحس الباطن والظاهر ، وهو الذي تعلم به الأشياء الموجودة بأعيانها . والثاني : الاعتبار بالنظر والقياس . والثالث: الخبر . " (١)

الطريق الأول :

وهو الحس الباطن والظاهر ، وهو الذي تعلم به الأمور الموجودة بأعيانها . والحس إنما يكون بالحواس، وهي جمع حاسة . بمعنى القوة الحاسة . كحاسة السمع بالنسبة للمسموعات . والبصر الذي يدرك به الأضواء والألوان والأشكال في النفس عند استعمال العبد تلك الحاسة والشم الذي تدرك الروائح والدوق الذي يدرك به الطعم . واللمس الذي تدرك به الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة . ونحو ذلك عند التماس وبكل حاسة من هذه الحواس يطّلع الإنسان على المحسوسات ، ويحكم بها على ما وضعت له تلك الحاسة . فلا يدرك بها ما يدرك بالحاسة الأخرى ، يعني أن الله تعالى قد خلق كلا من تلك الحواس لإدراك أشياء مخصوصة . كالسمع للأصوات . والذوق للمطعومات . والشم للروائح . ولا يدرك بواحدة من هذه الحواس ما يكون إدراكه خاصاً بالحاسة الأخرى

وقد دعا الله سبحانه وتعالى الإنسان لاستخدام هذه الحواس للتعرف على هذا الكون والتأمل فيه . والنظر في عجائب مخلوقاته . في النفس والآفاق فإن الإنسان مسؤول عن هذه الحواس والملكات التي زوّده

الله تعالى بها ، ووهبه إياها لتكون عونا له على اداء وظيفته الكبرى في هذه الحياة ، وهي عمارة الأرض وفق المنهج الإلهي ، ولا يجوز له أن يعطّل هذه المواهب أو الحواس عن وظيفتها قال الله سبحانه وتعالى .

" إن السمع والبصر والفؤاد ، كل أولئك كان عنه مسؤولا " (٢)

" فلينظر الإنسان إلى طعامه . أنا صببنا الماء صبا، ثم شققنا الأرض شقا ، فأنبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا ، وحدائق غلبا ، وفاكهة وأبا ، متاعا لكم ولانعامكم " (٣)

" ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون " (٤)

" وجعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون " . (٥)

" قل هو الذي أنشأكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون "(٦) ... الخ.

وما أعظم خسارة أولئك الذين امتنّ الله تعالى عليهم فوهبهم هذه الحواس والقدرات ولكنهم لم يفيدوا منها ، ولم يحققوا الغاية التي منحت هذه الحواس لتحقيقها . " أولئك الذين لعنهم الله فأصمّهم وأعمى أبصارهم ". (٧)

ولذلك ينبغي أن يحذر المؤمنون ذلك الإلغاء أو التعليق لحواسهم · " ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون . إن شرّ الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون ". (٨) فالحواس هي المنافذ التي ينظر العقل من خلالها .

إلا أن هذه الحواس في حكمها على الأشياء لا تعطي حكما مطلقا قاطعا . لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ولا تستطيع ان تحيط علما بكل الأشياء ، أو بحقائقها وكنهها ، وإنما هي وسيلة بمفردها غير كافية للحكم على الأشياء كلها ، بل هي محدودة قد يكتنفها الخطأ والخداع . مما جعل بعض من كتب عن المنهج العلمي في البحث عن الحقيقة يقول

شاهدت بعض الأحايين أن هذه الحواس تخدعنا. ومن الحزم ألا نثق الثقة تمام الثقة في الذي يخدعنا مرة واحدة (٩)

ولهذا لما جعل الماديون ، من الغربيين وغيرهم ، الحواس وحدها مصدرا للمعرفة في العصور الأخيرة ، كان التخبط والاضطراب الذي نشاهده عندهم ويعيشونه في واقع حياتهم ، ثم اقترابهم من الهاوية وإشرافهم عليها

ووقــع هذا الخلل ، الذي أشرنا إليه ، من جانبين

١- الاعتماد على الحواس فقط فيما يسمى بالمنهج العلمي التجريبي ، وهو قاصر ، لأنه ليس هو المصدر الوحيد للمعرفة ، كما أن له حدوداً معينة ، سنشير إليها فيما يأتي إن شاء الله تعالى .

٢- قصور الحواس نفسها في إعطاء فكرة جليّة واضحة متكاملة عن الأشياء كلها وعن الكون والحياة والإنسان . (١٠)

ولا يعني هذا أن نسقط قيمة الحواس من مصادر العلم والمعرفة ، فإن في ذلك مكابرة للعقل والبديهة والواقع ، وإنما نضعها في مكانها المناسب لها بحدودها وضوابطها ، دون أن نهملها ولا أن نعتمد عليها

اعتمادا كليا وسقط ما عداها أو ندخل الصيم عليه ونقلل من شأنه في مجاله

الطريق الثانـي :

وهو العقل والاعتبار بالنظر والقياس وإنه يحصل العلم به بعد العلم بالحس . فما أفاده الحس معيناً يفيده العقل والقياس كليًا مطلقاً

فهو لا يفيد بنفسه علم شيء معين . لكنه يجعل الخاص عاماً والمعين مطلقا . فإن الكليات إنما تعلم بالعقل . كما أن المعينات إنما تعلم بالإحساس (١١)

وما أكثر الآيات القرآنية الكريمة التي يحثنا الله تعالى فيها على استعمال العقل ! وهو المفتاح الذي منحه الله تعالى لبني آدم ليفتحوا به أبواب الملكوت . ويدخلوا ساحة الإيمان بالله الذي سخر للانسان كل ما في السماوات والأرض

كما حثّت الآيات الكريمة على التفكير العميق. والمتبصّر المسئول . بكل ما يحيط بالإنسان من علامات وأشياء وموجودات . وأكدت على الأسلوب الذي يعتمد البرهان والحجة والجدال الحسن . للوصول إلى النتائج الصحيحة القائمة على الاستقراء والموازنة والتمحيص . استنادا إلى المعطيات الخارجية المتفق عليها . والقدرات العقلية والمنطقية لأولئك الذين بلغوا شأوا بعيدا في هذا المضمار (١٢)

" كـذلك يبين الله لكـم آيـاتـه لعلكـم تعقلون ". (١٣)

" وتلك الأمثال نضربها للنـاس لعلهـم يتفكرون ".(١٤)

" أ إلهٌ مع الله ؟ قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين (١٥)

" ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير " (١٦)

والإسلام يقدر العقل باعتباره نعمة من أكبر النعم التي أنعم الله تعالى بها على الإنسان " والله اخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا . وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون " (١٧)

ولكنه لا يبالغ في تقدير قيمة العقل . كما كانت تفعل العقلانية الإغريقية ومن ورثها من بعد . من الأمم لأوربية الحديثة والجاهلية المعاصرة . إذ ليس العقل هو الحكم الذي لا يخطئ . ولا هو المرجع الاخير لكل شيء . رغم انه أداة ضرورية لفهم النصوص الشرعية

فهناك امور لا يستطيع العقل من ذات نفسه أن يصل اليها . لأنها لا تقع في محيط تجربته وعمله . ولا تستطيع الأدوات التي يحصل بها المعرفة . وهي أدوات الحس . أن تصل اليها . لأنها خارجة عن نطاق المحسوس . وإن كان في إمكان العقل أن "يعقلها" حين تبين له . فهذه تلقى للعقل تلقيا عن طريق الوحي . ويكون دور العقل أن يعقلها . لا بطريق التجربة المباشرة . ولا بطريق الحس ولكن عن طريق التيقن من صدق الخبر وصدق المخبر . وهو مدعو إلى القيام بعملية التيقن هذه بكل الوسائل التي يملكها وهي مؤدية إلى الغاية الصحيحة حين يستقيم العقل على الطريق (١٨)

وإذا تجاوزنا الأمور والجوانب التي لم يزود الله سبحانه وتعالى الإنسان بالقدرة على الاحاطة بها –

بماهيتها أو بكيفيتها . وإن كان موهوباً أن يدرك إمكانها – لأنها لا تدخل في حدود طبيعته البشرية المحدودة ، أو لأنها لا تلزم له في النهوض بوظيفته المحدودة له في هذه الأرض . وهي وظيفة الخلافة ومن ذلك

كل ما يتصل بعالم الغيب ، ومن ذلك مسألة كُنه الذات الإلهية والروح ، وعلم الساعة " القيامة " وغيرها مما يتصل بعالم الغيب المطلق المحجوب عن الإنسان . والتفكر في القدر . أو وضع التشريعات والأحكام من دون الله .. إذا تجاوزنا هذه الأمور والجوانب . فكل المجالات الأخرى ساحة للعقل ومتاحة له ، بل هو – في الإسلام – مدعو إلى التفكر والتأمل فيها دعوة صريحة . ويعتبر مقصراً إذا لم يقم بها

وهناك خمسة مجالات رئيسية يدعى العقل للتعرف عليها والعمل فيها في ظل الإسلام :

أولا : تدبر آيات الله في الكون للتعرف على قدرة الله المعجزة وتفرده بالخلق والتدبير والهيمنة والسلطان ، مما يؤدي إلى إخلاص العبادة لله سبحانه وتعالى وحده ، وطاعته فيما أمر به وفيما نهى عنه .

ثانياً : تدبر آيات الله في الكون للتعرف على السنن الكونية التي يجري بها قدر الله ، لتحقيق التسخير الرباني لما في السماوات والأرض للإنسان من أجل تعمير الأرض والقيام بالخلافة فيها

ثالثا : تدبر حكمة التشريع الرباني ، لإحسان تطبيقه على الوجه الأكمل ، والاجتهاد فيما أذن الله تعالى فيه للعباد بالاجتهاد

رابعا . تدبر السنن الربانية التي تجري الأمور بمقتضاها في حياة البشر لإقامة المجتمع الإيماني الراشد الذي يريده الله

خامساً تدبر التاريخ وأحداثه وأيام الله لأخذ العبرة واستقامة السلوك الإنساني (١٩) .

الطريق الثالث :

الخبر الصادق ، أو خبر الصادق ، وهو على نوعين :

النوع الأول : الخبر المتواتر ، الثابت على ألسنة قوم لا يتصور اتفاقهم على الكذب وهو يفيد العلم القطعي من غير شبهة ، وهو بالضرورة والبداهة العقلية يوجب العلم الضروري دون توقف على استدلال . (٢٠)

وإننا لو رجعنا إلى أنفسنا ، نجد أن لنا علماً بوجود أشياء كثيرة كالأشخاص والأشياء في الأزمنة الخالية والبلدان النائية ... وطريق علمنا هو هذا الخبر المتواتر بوجود أولئك الأشخاص وتلك الأشياء .

والنوع الثاني من الخبر : هو خبر الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهذا يوجب العلم الاستدلالي الحاصل بالنظر في الدليل

والعلم الثابت بهذا الطريق يضاهي العلم الثابت بالضرورة كالمحسوسات اليقينية القطعية والمتواترات والبدهيات ، يضاهيها في التيقن والثبات . وخبر الرسول صلى الله عليه وسلم يفيد العلم اليقيني بما أخبر عنه بالنظر إلى نفسه ، وما ثبت في نفسه ، دون حاجة إلى أدلة خارجية (٢١).

وبعد هذا العرض لمصادر المعرفة وطرق العلم بعالم الغيب والشهادة ، ندرك خطأ الذين يعتمدون

على مصدر واحد فقط ، كالذين يعتمدون على الحواس فقد للتصديق بصحة الأشياء أو الحكم عليها

وندرك أيضاً خطأ الذين يسقطون هذه الحواس من حسابهم ، كما ندرك خطأ الذين يحاولون هدم دور العقل بإطلاق ، كالصوفية الذين يعتمدون على الذوق وعلى المواجيد الخاصة عندهم ، ولا يقل عن أولئك ، في الخطأ ، الذين يغالون في تقدير قيمة العقل وإعلائه حتى إنهم ليجعلونه حاكماً على نصوص الشرع ، فترى أحدهم يرفض بعقله القاصر المحدود حكماً شرعياً ثابتاً بحجة أن عقله لم يقتنع بذلك .

والخلاصة :

أن الحواس والذوق الخاص والمقررات العقلية البحتة والرؤى والمنامات كلها ليست من مصادر المعرفة على إطلاقها ، أما الذوق والرؤى أو المنامات فهي ليست أيضاً مستنداً لأحكام شرعية في الإسلام ، بالنسبة لنا معشر البشر . أما رؤى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فهي نوع من الوحي الذي يفيد العلم اليقيني القطعي .

والحمد لله رب العالمين

الهوامش :

(١) درء التعارض ... ٧ / ٣٢٤ و ٣٢٥
(٢) سورة الاسراء ، الاية ٣٦
(٣) سورة عبس ، الآية ٢٤-٣٢
(٤) سورة الأنفال ، الآية ٢١
(٥) سورة السجدة ، الآية ٩
(٦) سورة الملك ، الاية ٢٣
(٧) سورة محمد ، الآية ٢٣
(٨) سورة الأنفال ، الآية ٢١ و ٢٢
(٩) مقال عن المنهج ، تأليف رينيه ديكارت ، ترجمة محمود محمد الخضيري ص ٥

(١٠) نظم التصور الإسلامي للكون والحياة والإنسان ... بحث ، طبع دار الأرقم بالكويت
(١١) درء التعارض ٧ / ٣٢٤
(١٢) انظر خصائص التصور الإسلامي للأستاذ سيد قطب رحمه الله ص ٥٠ ... ٦ ... حسن ص ٣٤ ... ٣٦
(١٣) سورة البقرة الآية ٢٤٢
(١٤) سورة الحشر الآية ٢١
(١٥) سورة القصص ، الآية ٥٠
(١٦) سورة الحج الآية ٨
(١٧) سورة النحل الآية ٧٨
(١٨) مذاهب فكرية معاصرة للأستاذ محمد قطب ص ٥٣١ ٥٣٢ ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية " والرسل جاءت بما يعجز العقل عن دركه ، لم تأت بما يعلم بالعقل امتناعه لكن المسرفون فيه قضوا بوجوب أشياء وجوازها وامتناعها لحجج عقلية بزعمهم اعتقدوها حقاً ، وهي باطل وعارضوا بها النبوات وما جاءت به والمعرضون عنه صدقوا بأشياء باطلة ودخلوا في أحوال وأعمال فاسدة ، وخرجوا عن التمييز الذي فضل الله به بني آدم على غيرهم " مجموع الفتاوى ٣ / ٣٣٩ وانظر أيضاً الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٣ / ١٣٠ - ١٣٤ ، عقيدة المسلم للشيخ محمد الغزالي ص ٤٩
(١٩) انظر بالتفصيل مذاهب فكرية معاصرة ، للأستاذ محمد قطب ، ص ٥٤٠ - ٥٥٣ ، خصائص التصور الإسلامي للأستاذ سيد قطب ، ص ٥٤ - ٦٠ ، مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية د. عثمان جمعة ضميرية ص ١٨٣ - ١٩٤ ، وله أيضاً التصور الإسلامي للكون والحياة والإنسان ص ١٩ - ٤٣
(٢٠) العلم ينقسم إلى قسمين قديم وحادث فالعلم القديم هو العلم القائم بذاته تعالى ، ولا يشبه بالعلوم المحدثة للعباد ، والعلم المحدث ينقسم إلى ثلاثة أقسام بديهي وضروري واستدلالي فالبديهي ما لا يحتاج فيه إلى تقديم مقدمة كالعلم الحاصل بالحواس الخمس ، والاستدلالي ما يحتاج إلى تقديم مقدمة كالعلم بوجود الخالق وحدوث الحوادث العلم قطعاً ويقيناً ، أما السمعي فمنه ما يفيد القطع ومنه ما يفيد الظن ويوجب العمل لا العلم انظر ميزان الأصول في نتائج العقول للشيخ علاء الدين السمرقندي ص ١ ...
(٢١) درء تعارض العقل والنقل ١ / ٣٢٥ ، مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٤ / ٣

الإسلام و العقلانية

[الحلقة ٥١]

بقلـــم . الشيخ الجليل المربي الكبير العلاّمة أشرف علي التهانوي
المعروف بـ " حكيم الأمة " المتوفى ١٣٦٢هـ ، ١٩٤٣م
تعريب أبو أسامة نور

أمثلة الأقسام الأربعة في الشريعة

ويُوْجَدُ في الأحكام الشرعيّة أمثلةٌ لهذه الأقسام الأربعة كلها . فمثال قطعي الثبوت وقطعي الدلالة قوله تعالى : " أَقِيْمُوْا الصَّلٰوة " (البقرة / ٤٣، ٨٣، ١١٠) فإنه قطعي الثبوت لكونه آية قرآنية ، وقطعي الدلالة ؛ لأن " الصلاة " لفظ خاصّ لا يحتمل معنى آخر سوى العبادة الخاصّة المعروفة في الشرع

ومثال ظني الثبوت وظني الدلالة حديث رفع اليدين ، الذي استدلّ به الإمام الشافعي رحمه الله لرفع اليدين إلى المنكبين ؛ فإنّه ظني الثبوت ؛ لأنه من جنس خبر الآحاد ، وظني الدلالة ؛ لأن رفع اليدين إلى الأذنين يشمل رفع اليدين إلى المنكبين مع شيء زائد ، فلا دلالة له دلالةً قطعيّة على انتهاء الرفع إلى المنكبين كما هو مذهب الإمام أبي حنيفة رحمه الله .

ومثال قطعيّ الثبوت ظنيّ الدلالة قوله تعالى "ثَلاَثَةَ قُرُوْء " (البقرة /٢٢٨) في معرض بيان عدة المطلقة ؛ فَإِنَّه قطعي الثبوت ؛ لأنه لفظ القرآن ، وظني الدلالة ؛ لأن لفظ " القرء " مشترك بين الطهر والحيض ، ولذا وقع الخلاف بين الأئمة ، فقال أبوحنيفة : معناه ههنا الحيض ، وقال الشافعي : معناه ههنا الطهر .

ومثال ظني الثبوت وقطعي الدلالة حديث رفع اليدين إلى الأذنين ، الذي استدل به الإمام أبوحنيفة ؛ فإنّه من جنس خبر الآحاد ، فهو ظني في الثبوت أمّا في الدلالة فليس ظنيًّا كحديث رفع اليدين ؛ حيث إن كلمة " الأذنين " لا تحتمل سوى معنى واحد ؛ فهي قطعيّة الدلالة .

هل الأحكام الشرعية يجوز أن تكون من الظنيات

وكُتُبُ علم الأصول زاخرة بهذه الأمثلة وغيرها .

وقد يتساءل أحد: هل الأحكام الشرعية أيضاً من الظنيات ؟ فالجواب : نعم إنها تكون ظنية ، ولكن معنى الظنيّ ههنا ليس ما تعارف عليه العوام الذين يعنون بالظن " الخيال " و " التخمين " و "الافتراض" أما الظني في اصطلاح العلماء فهو درجة من العلم تكون أقل درجة من القطع واليقين ، ويجوز أن نعبر عنها بالعلم القطعي من الدرجة الثانية .

وذلك أنّ الدلائل الشرعية كذلك لا تكون متساوية ، فهناك دليل قطعي في الدرجة الأولى ، وهناك دليل قطعي في الدرجة الثانية . غير أن كونه في الدرجة الثانية لا يعنى أن العمل به لا يكون واجباً ،

اتخذت من أجل بعض قضايا المسلمين في العالم أو صوّت عليها لإقرارها، فكان أن أخرج أحد الأمعاء الكبار لسانه لذلك القرار فأصبح كأنه لم يكن ! وكم تواطأ الجميع على قضايا المسلمين وتآمروا ضدَّهم بصورة من الصور، أو بكل صورة من الصور.

وبعد أن عرفنا ذلك كله، وعرفنا أصل ونشأة المنظمات الدولية وجذورها التاريخية والسياسية والفكرية ، يمكن أن يعلّق المسلمون عليها الآمال لتحلَّ لهم مشكلاتهم أو لتنصفهم من المعتدين عليهم؟!

وهذه قضية فلسطين، وقضية البوسنة والهرسك – التي يصوِّرون فيها القضية على أنها صراع بين المسلمين والصِّرب (هكذا: الصرب، وليس النصارى) هذه القضية شاهد ناطق على تآمر الجميع على قضايانا تحت مظلة "الأمم المتحدة" و "القانون الدولي" و "الشرعية الدولية" و "النظام العالمي الجديد" و "حفظ السلام" ... والمسلمون مساكين يتهافتون على السِّلم الذليل الرخيص ! وهم في غفلةٍ عما يحيك الأعداء من مؤامرات. (١٠)

دور المسلمين في المنظمات الدولية :

ولكن : متى يكون للمسلمين كلمتهم ودورهم في هذه المنظمات الدولية؟ ومتى يحملون الآخرين على احترامهم وهيبتهم ؟

إن ذلك لا يكون إلا عندما يعود المسلمون عودة صادقة إلى مصدر قوَّتهم وعزّهم، وهو دينهم الذي يأمرهم بإعداد القوة بكل معا العقـديـة والأخلاقيـة والمادية، عندئذ يرهبون عدو الله وعدوَّهم وآخرين من دونهم.. وعندما تكون كلمتهم واحدة وأمتهم واحدة – كما أن دينهم واحـد وعقيدتهم واحـدة.. عندئذ يقولون كلمتهم ويسمع الآخرون لهم، وعندئذ يستطيعون القيام بدورهم القيادي الرائد للبشرية كلها التي أنهكها الصراع وبدَّد قوتها الضياع، وعندئذ يكونون خير أمة أخرجت للناس، ويتحقق لهم وعد الله تعالى بالتمكين والنصر، ويومئذ يعمُّ النور والخير في ربوع العالمين، ويرفرف علم الحضارة الإسلامية العالمية عالياً خفاقاً ليكون مثابة للناس يفيئون إليه فيجدون إنسانيتهم وكرامتهم. ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله. والحمد لله رب العالمين.

هوامش ومراجع:

(١) سورة الحجرات ، الآية ١٣

(٢) انظر "روح القوانين" لمونتسكيو، ص (٧) ترجمة عادل زعيتر

(٣) انظر "القانون الدولي العام" د حامد سلطان ص ٢٩-٣٠، "قانون التنظيم الدولي" د صلاح عامر ، ص ٦١-٦٢

(٤) ومن الجدير بالذكر هنا أن نعرف أن فكرة العائلة الدولية بصورتها الحديثة فكرة غريبة عن الإسلام، وسبب نشوئها هو تمكين الدول المسيحية وحدها من أن تمتلك أراضي الجماعات غير المسيحية، وأن تبطش بها و تستنزف خيراتها فلذلك كوّنت فيمابينها عائلة دولية، فكانت في أول نشأتها مسيحية خالصة، وإن كانت التجارب والعلاقات الدولية الحديثة أدت إلى شيء من التغيير من الوضع الأول من حيث اتساع دائرة الدول الأعضاء لتشمل دولاً أخرى غير مسيحية انظر "منظمة النظم الإسلامية" د مصطفى كمال وصفي، ص ٢٨٥، "الإمام الشيباني وأثره في العلاقات الدولية" لكاتب هذا المقال، ص ١٩٨-١٩٩

(٥) فقرة من تقرير المعتمد البريطاني اللورد كرومر في تقريره السنوي المسيحي "مصر الحديثة" نقلاً عن كتاب "المستشرقون والإسلام" للأستاذ محمد قطب، ص ١٨

(٦) انظر "الشريعة الإسلامية والقانون الدولي العام" للمستشار علي علي منصور، ص ٥٨-٥٩

(٧) "الشخصية الدولية" د محمد كامل ياقوت ، ص ٧٧

(٨) عن "تطور المجتمع الدولي" د يحيى الجمل، ص ٣٧ وانظر نصوصاً تدل على تعصب الأوربيين الديني في القانون الدولي ونشأته في "مبادئ القانون الدولي" د عبد العزيز سرحان، ص ١١-١٣، "الحرب والسلم" للمستشرق مجيد خدوري ص ٣٣٧، وما بعدها

(٩) انظر "التعصب الإسلامي أم الأوربي ؟ مائة مشروع لتقسيم الدولة العثمانية" ، تأليف محمد سلمان ص ٦، وما بعدها وراجع "حاضر العالم الإسلامي" للكاتب الأمريكي لوثروب ستودارد

(١٠) ويجدر أن نذكرها أن هؤلاء الأعداء رغم ما قد يبدو بينهم من خلاف عقائدي أوسياسي فإنهم متفقون في النهاية على أن الإسلام والمسلمين هو العدو الذي ينبغي مواجهته، ويعبِّر عن ذلك ماكتبه الرئيس الأمريكي السابق "نيكسون" في "مجلة الشؤون الخارجية" حيث قال "روسيا و أمريكا يجب أن تَعْقِدَا تعاوناً حاسماً لضرب الصحوة الإسلامية" انظر "الحروب الصليبية" د أحمد شبلي، ص ٢٠، نقلاً عن المجلة المذكورة عام ١٩٨٥م و نيكسون نفسه هو الذي قال بعد عودته من أفغانستان وجدت أن الخطر هو الإسلام! ويجب أن نصفي خلافاتنا مع روسيا في أقرب وقت لأنها بلد أوربي على كل حال والخلاف قابل للتسوية أما الخلاف الذي لا يقبل التسوية فهو بيننا وبين الإسلام

إن العمل به واجب أيضاً ، ولكنه يكون أحطّ من القطعي في الدرجة الأولى .

وقد راعي العلماء الفرق بين الأول والثاني ، فقالوا : إن الجاحـد بقطعي الثبوت يُعدُّ كافـرا . والجاحد بظني الثبوت لا يُعَدّ كافراً . وإنما يُعدُّ فاسقاً عاصيًا .

والخطأ الثاني الذي يُرْتكبُ فيما يتعلق بالقرآن أن الأبحاث العلمية تُقْحَمُ في القرآن ، وذلك بطريقتين، الأولى أنهم قد يتسامعون ببحث للعلم الحديث (New Science) أو العلم القديم (Old Science) و يجدون القرآن يوافقه ، فيفرحون بذلك جدًّا ، ويقولون : إن قرآننا يشتمل كل شيء .

والطريقة الثانية أنهم قد يتسامعون ببحث علمي فيودون أن لو ثبت بالقرآن أيضًا . لكان أحسن ما يكون . وهنا يرجعون إلى العلماء ، ويلحّون عليهم أن يثبتوا ذلك بالقرآن . فلو لم يقدر العلماء على ذلك ، أو امتنعوا عنه عن عمد علماً منهم أن ذلك صنيع لاغ والتزام بما لا يلزم ، فيحاولون بأنفسهم ، ويقلبون التراجم ، ويتصفحون التفاسير والكتب المختصـة ، و " ينجحـون " في غرضهم ويثبتونـه بالقرآن ، ويعدون ذلك ذكاء منهم كبيراً ، وعبقرية مثالية ، واتساعاً في الأفق ، وخدمة كبيرة للقرآن والإسلام .

فعند ما صاح العلماء (Scientists) أن الأرض متحركة ، فأثبتوا ذلك بالآية التالية :

" وَتَرَى الْجبال تَحْسَبُها جامدةً وهي تَمُرُّ مرَّ السَّحَابِ " (النمل / ٨٨) لأن مرور الجبال يستلزم مرور الأرض !! ومكمن الخطأ في هذا الاستنتاج أنهم فصلوا الآية عن السياق ، ولم يلاحظوا أن الحديث في الآية يدور حول القيامة . و " ترى " و " تمر " صيغتا المضارع . وحملوهما على الحال . على حين إنهما ههنا محمولان على الاستقبال

وكذلك هناك مئات من الآيات تناولوها بالتهذيب والتشطب وتحميلها المعاني والأفكار التي لا تحتملها ، لكي يثبتوا بها القضايا العلمية .

وقد أثرت هذه الظاهرة على بعض من ينتمون إلى العلم ، أثرت على البعض لأنهم من أنصاف المتعلمين ، وأثرت على البعض الآخر ؛ لأنه جارى العوام وأبناء الزمان ليؤلّف بذلك قلوبهم . على حين إن هذا الموقف مضرّ للغاية بدل أن يكون نافعاً بشكل من الأشكال ومثل ذلك مثل بعض الوعاظ والمذكرين الذين يحكون في مواعظهم روايات موضوعة للترغيب والترهيب ، فهي تؤثّر موقتاً ، ولكنها تصعصع أساس الدين ؛ حيث قد ينكشف الغطاء عن كونها موضوعة ، ويظهر كون مضامينها كذباً ، فيقول الناس : إن الدين الذي يشتمل على هذه الكثرة الكاثرة من المغلوطات ، كيف يجوز الثقة بثوابته الأخرى فالحمد لله إن الإسلام ليس يحتاج لإثبات مصداقيته إلى روايات كاذبة و حكايات موضوعة ؛ لأن فيه من الروايات الصحيحة ما لا يسعه بيان ولا يستوعبه لسان . وكذلك فالإسلام ليس ديناً محتاجاً إلى أن يشتمل على قضايا العلم أو أن يكون موافقاً لمزاعمه نعم إنّه يقدر على توجيه العلم الوجهة الصحيحة .

وبدل أن تُقْحم القضايا العلمية في القرآن لتأليف قلوب العوام ، ما أحسن أن يحاطوا علماً بحقيقة الحال ، وأن يوضح لهم الموضوع الذي يضعه القرآن نصب عينيه ، والفن الذي هو من اختصاصه .

وعندما يعلمون الفن الذي يتحدث عنه القرآن ، يعلمون أن البحث فيه عن الفنون الأخرى شيء غير

معقول . إنّ اشتماله على محتويات فنون أخرى لا يُعدّ فضلاً له ، وإنما يُعَدُّ مؤشراً لزوال ما يتفرد به من العزّ والعظمة .

إن العالم توجد فيه فنون لا تحصى ، ولكل فن كتاب مختص أو كتب مفردة ، وينبغي لكل من هذه الكتب أن يكون مفرداً لفنه ، ولا يتحدث عن سواه ، ولا يغادر ما يتعلق بفنه دقّ أو جلّ ، فلو فاتته قصية من قضايا الفن ، لكان كتاباً ناقصاً ، ولو تطرق إلى موضوعات لفن غير فنه لعُدّ مزيجًا مما لا ينبغي وكلا الأمرين يعيبان كتاباً في فن ، ويكون مُستهْجَناً قدر ما يكون مشتملاً عليهما أو على أحد منهما .

فإذا كان القرآن الكريم كتاباً ، يجب أن لا يغادر شيئاً مما يتعلق بموضوعه ، ولا يتجاوزه إلى شيء مما لا يخصّه . وذلك هو قوام كماله وعناصر فصله ، ولا يكون فضله أبداً أن يجمع بين الموضوع وغيره .

وذلك شيء بسيط يقرّه كل من لديه ذرة من العقل والعلم . فمثلاً الكتاب الذي يخص صناعة الساعة لا يتحدث عن تربية الشياه ، وكتاب الطب لا يتحدث عن صناعة الأحذية . فإن وُجد كتابٌ في الطب يتحدث عن صناعة الأحذية وإصلاحها يُعْتبر ذلك ناتجاً عن مسة من الجنون أو الغباء في مؤلّفه ولا يكون لمثل هذا المُؤَلَّفُ اعتبار لدى أحد من الناس.

فإذا كان القرآن الكريم كتاباً في الدين ، فإن موضوعه لا يكون إلاّ الأمور الدينية ، والدينُ روحُه الإصلاح الروحاني . فالبحث فيه عما سوى الإصلاح الروحاني ، واعتبارُ ذلك سبباً من أسباب فضله ، إنّما هو غباء وحماقة .

فالقرآن يتناول موضوع الإصلاح الروحاني ، بشكل كليّ أو بشكل جزئي . فإذا تحدث عن شيء بشكل كليّ ، جاء شرح جزئيات هذا الكليّ في الحجج الشرعية الأخرى .

على كلّ فإذا طالب العوامّ أن أثبتوا قصية العلم الفلانة بالقرآن ، فعلى العلماء أن لا يحاولوا تحقيق مطلبهم ، وليصارحوهم أن هذه القصية لا تتعلق بالقرآن ؛ لأن موضوعه هو الإصلاح الروحاني . هذا الجواب لن يعيب علمهم وتعمقهم في العلوم الشرعيّة ، ولا يصيب القرآن بتبعة . أما الاستجابة للجهلاء و المحاولة لتحقيق غرضهم النابع من الجهل ، فهي بدورها اصطناع الجهل

وأما ما أسلفنا أن كل فن لا يتناول إلاّ الموضوع الذي يخصه ، فإنّ معناه أن لا يتوجّه رأسا و أصالة إلاّ إلى بيان الموضوع المختص فإذا تطرّق إلى شيء خارج الموضوع من أجل إثبات الموضوع الأصيل فلا بأس بذلك ؛ حيث إن هذا الأمر لا يخلو منه فن من الفنون . وهذا مما لا يعيب كتاباً من كتب أي فن من الفنون ، بل إنه متمم لمواده ومكمل لمحتوياته . فكتاب الطب مثلاً يمكن أن يتحدث عن صناعة الأحذية متعرضاً لما إذا قطع الحذاء عقب لابسه ، فما ذا عسى أن يصنع لمداواته ، وقد يمكن أن يتحدث ضمن هذا الموضوع أنّ نوع كذا من الأحذية يكون أشد صلابة وأكثر جرحاً ، أو يكون أشد إيذاء إذا خيّط بشكل غير حاذق ، فالأحسن أن يخاط على الطريقة الحديدة المعلومة في فن صناعة الأحذية .

والتطرق لموضوع فرعيّ خلال الحديث عن الموضوع الأصلي يُشْترطُ بشرطين : الأول أن لا يتحول الموضوع الفرعي موضوعاً مركزيًّا أصليًّا ، أي الضرورة إنما تُقدّرُ بقدر الضرورة لاغير ، فالقدر الذي يكفي لإيضاح الموضوع المركزي يجب الاكتفاء به .

والثاني أن يكون ما يُتعَرَّضُ له من الحديث عن

الموضوع الفرعي ، صحيحاً مطابقاً للواقع ، أي أن يجيء بحيث لا يخطئه أحد ممن يعلم الفن ويطلع على الموضوع

وأراني مضطراً أن أفيض في شرح الشرطين بشيء من التفصيل ؛ لأنّ الغرض الذي نحن بسبيل تحقيقه متوقف على ذلك .

ففي المثال المذكور – مثلاً – افْترضْ أن مؤلف كتاب الطب ، عندما تطرق لذكر الأحذية ، راح يعدّد جميع مصانع جميع أنواع الأحذية ، وأثبت صورها ، وأسماء أصحاب المصانع ، وأثمان جميع الأنواع . ولم يترك شيئاً مما يتعلق بالأحذية إلاّ وتوسّع في الحديث عنه ، فيجوز لنا أن نقول : إنّ المؤلف تجاوز في حديثه عن الموضوع الفرعي . حدّ الضرورة، وخرج من الموضوع ؛ فلم يعد كتابه في فن الطب ، وإنما صار قائمة بالأحذية ففي هذه الصورة فات المؤلف الشرط الأول

وافْترضْ في هذا المثال نفسه – مثلاً – أن المؤلف لدى حديثه عن خياطة الأحذية ، أشار على صانعي الأحذية بخياطتها بشكل لا ينفعُ وبطريقه لا تجدي ، مما أثار ضحك المتقنين لصناعة الأحذية وصار الكتاب مثار سخرية . ففي هذه الحال يُوْصفُ المؤلف بالجهل أو بقلة العلم وعدم الخبرة ، ويقال : إنه لم يعلم صناعة الأحذية ولم يسأل عنها من يعلمها .

فليُعْلمْ أن القرآن كتاب روحاني ، و موضوعه الإصلاح الروحاني ، فمواده لا تكون إلاّ ما ينفع في إصلاح الأرواح ، ولكنه قد يتطرّق عفويًا إلى موضوعات أخرى لإثبات الموضوع الأصلي والتأكيد عليه ، شريطة أن لا تطغى على الموضوع الأصلي ، فلا تتجاوز فيه الموضوعات الفرعية حدّ الضرورة ، ولا تكون غير مطابقة للواقع .

فالموضوعات الأصليّة في القرآن الكريم هي :

التوحيـــد ، النبوّة ، والمعـــاد ، والعبادات وما إليها وقـــد جـــاء ذكـــر موضوعات أخرى تبعاً للموضوعات الأصليّة ؛ فلإثبات وجـــود الباري والتوحيد ، تطرق إلى ذكر المخلوقات ، من الكون ، والأرض ، والسمـــاء ، والإنســـان ، والحيـــوان ، والنباتات، والجمادات وذلك كلّه هو الذي يتشكّل ما يسمّونه العلم (Science)

لأن الأسهل في إثبات الخالق أن يُسْتدلّ بالمخلوقات ، كما قيل . " البعرة تدلّ على البعير ، والأثر يدلّ على المسير ، فالسماء ذات الأبراج ، والأرض ذات الفجاج ، كيف لا تدلاّن على الحكيم الخبير ؟ "

والتوحيد كذلك يُثْبتْ بوجود المخلوقات ، كما جاء الاستدلال في قوله تعالى :

" لوْكان فيْهما آلهةٌ إلاّ اللهُ لفَسَدَتا " (الأنبياء/٢٢).

فبناء على الشرط الأول ينبغي بل يجب أن لا يتجاوز الحديث عن الموضوعات المساعدة الفرعية الأخرى (العلم) حدّ الضرورة . ولو كان الأمر كذلك لما عاد القرآن قرآناً ، وإنما يعود – ونعوذ بالله – قائمةً بالمصانع مثل كتاب الطب المشار إليه !

وهنا يتجلّى خطأ من يتصدّون للبحث عن كل مزعوم من مزاعم العلم في القرآن الكريم ، ولهم أن يدركوا أن ذلك ليس فضلاً له و إنما – إذا تحقق – عيب فيه .

وبناء على الشرط الثاني يجب أن يكون ما جاء في القرآن الكريم من ذكر المخلوقات ، صادقاً مطابقاً للواقع

ونجد القرآن الكريم يستوفي الشرطين . [يتبع]

العلاقة بين المملكة و بين جامعة ديوبند بالهند
في ضوء مدرسة العلوم الشرعيّة بالمدينة المنورة(١)

بقلم : نور عالم خليل الأميني

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين ، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين

وبعد : فأوّلاً أرفع جزيل الشكر والتقدير إلى خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز / حفظه الله ورعاه . وحكومته الرشيدة الحبيبة ، أنّها وجّهت إلينا الدعوة للحضور في هذا المهرجان التراثي الكريم الذي طالما سمعنا عنه و عن إنجازاته الخيّرة ، كما نشكر شكراً عميقًا سمو الأمير عبد الله بن عبد العزيز وليّ العهد و نائب رئيس مجلس الوزراء و رئيس الحرس الوطني الذي يرعى المهرجان رعاية مباشرة ، ونشكر جميع القائمين عليه والراكضين في سبيله ، ونشكر ونقدّر المملكة قيادةً وشعباً ، جزاهم الله خيرًا ، و وفّقهم لمزيد من خدمة العروبة والإسلام ، والعناية الفائقة بمهبط الوحي والقرآن ، والمشاعر المقدسة ، ورعاية وتمويل العمل الإسلامي ، والاهتمام بقضايا الإسلام والمسلمين في كل مكان .

وقد أتاحت لنا هذه الدعوة الإسلامية الأخوية ، فرصةً ذهبية للقاء مع هؤلاء المثقفين والأدباء والفنّانين من الإخوان الكرام العرب ، المنتمين إلى شتى الأقطار العربية ، التي نحبّها حبًّا يفوق كماً و كيفًا حبنا لوطننا الأم ، علما بأنّها جميعاً تنتمي أولاً و أخيرًا إلى سيدنا و نبينا عبد الله و رسوله محمد صلّى الله عليه وسلّم ، الذي أخرجها إلى النور ، وأبرزها إلى العالم ، وعزّزها بعد الخمول ، وأعزّها بعد الذل ، وأضفى عليها القوة بعد الضعف ، وصانها من الضياع وراء الرمال والجبال ، والآكام والبحار ، فهو روح العالم العربي ، و سر عظمته ، وسبب عزّه ، ورصيد افتخاره، كما يقول شاعر الإسلام الدكتور محمد إقبال .

كما أتاحت لنا هذه الدعوة الكريمة الفرصة للتعرف عن كثب على مملكة الخير والرشد : المملكة العربية السعودية. قيادةً وشعبًا ، وأرضاً و تراباً ، وعلماً و ثقافة ، ومدنيّة و حضارةً ، ومنجزات و مكتسبات .

وأنتهز المناسبة لأرفع إليهم جميعاً ، التحيات العطرة ، والتهاني القلبية ، المصمّخة بالإخلاص ، التي حمّلني تبليغها إليهم رئيس الجامعة الإسلامية دارالعلوم بمدينة ديوبند : فضيلة الشيخ مرغوب الرحمن / حفظه الله ، وقد أبدى فضيلته رجاءه القوي في أنّ المملكة ستظل مهتمةً بهذه الجامعة ، التي هي أكبر وأعرق جامعة إسلامية أهلية في شبه القارة الهندية ؛ فمنها تفرّعت معظم المدارس والجامعات الأهلية في هذه الديار ، التي تمثل كلاً من باكستان و نيبال و بنكلا ديش و سريلانكا و بورما و ما إليها .

أيُّها الإخوة الأكارم !

بما أنّ الموضوع الرئيس لهذه الندوة هو " الإسلام

(١) بحث قدم ضمن برنامج النشاط الثقافي لمهرجان الجنادرية الوطني للتراث والثقافة الخامس عشر المنعقد بالرياض في الفترة ما بين ٢٧/١٠/١٤٢٠هـ - ٦/١١/١٤٢٠هـ الموافق ٣/٢/٢٠٠٠م - ١٢/٢/٢٠٠٠م ونُشِرَ البحث في مجلة " الحرس الوطني " العدد. ٢١٦ من السنة ٢١ . ربيع الأول ١٤٢١هـ الموافق يونيو ٢٠٠٠م ، و نشره في " الداعي " نقلاً عن المجلة مع زيادات مفيدة لتعميم الفائدة .[التحرير]

والشرق " والهند جزء هامّ من الشرق . فأودّ بهذه المناسبة أن أتحدث عن العلاقة بين جامعة ديوبند بصفتها عضوًا إسلاميًّا مباركًا في هذا الجزء الشرقي . وبين المملكة العربية السعودية بصفتها أكبر خادمة للإسلام والمسلمين ، ودولة من حيث الجهود التعليميّة . ولا سيّما في ضوء " مدرسة العلوم الشرعيّة " بالمدينة المنوّرة ، التي كان قد أسسها أحد خريجي جامعة ديوبند ، والتي خرّجت كثيرًا من العلماء والأدباء والقضاة ، وحقّقت عطاءً علميًّا أساسيًّا في المملكة في ذلك العهد البدائي .

وسأتحدث عن ذلك من خلال النقاط التالية

١- إلقاء ضوء على جامعة ديوبند

٢- تعريف بمؤسس مدرسة العلوم الشرعية

٣- إشارة خاطفة إلى بعض الإنجازات التعليمية ، والنهضة الثقافيّة ، التي حققتها المدرسة

جامعة ديوبند

عندما رسخت أقدام الاستعمار البريطانيّ في الهند ، و تناهت حالة المسلمين سوءًا عام ١٢٧٤هـ الموافق ١٨٥٧م، الذي لفظت فيه الدولة المغوليّة الإسلامية أنفاسها الأخيرة ، بعد انتفاضة عارمة قام بها المسلمون الهنود ، ضدّ الاستعمار الإنجليزيّ ، فشلت بمؤامرات وبقوة الجنود والنقود ، وكثرة العدد والعُدد من قبل الاستعمار . وتم الاستيلاء على الهند كلها شرقًا و غربًا ، ووضع الاستعمار السيف في المسلمين في أنحاء البلاد ، وكثر القتلى والجرحى ، وامتلأت الشوارع والطرقات بجثث الشهداء ، وتعرّض العلماء و رجال الفكر والدعوة خصيصًا لغضب الإنجليز ، فقُتِّلوا تقتيلاً ، وشُرِّدوا تشريدًا ، وأُعدِموا شنقًا؛ ومن تخلّص منهم من ذلك كلّه نُفوا إلى جزيرة " إندومان " التي كانت منفى سياسيًّا على عهد الإنجليز ، لكونها غير ملائمة طبيعيًّا و جغرافيًّا للحياة الإنسانية والصحيّة .

ثم خيّم الظلام على الهند كلها ، حيث صادر الإنجليز جميع الأوقاف ، والعقارات والإقطاعات ، التي كانت تمدّ المدارس الإسلاميّة بالحياة ، وعملوا على تجفيف منابع الإشعاع والإصلاح والفكر ، والدعوة والتعليم ، والثقافة والتربية ، حتى يتحوّل المسلمون مع الأيام جُهّالاً يسهلُ صوغهم في بوتقة المسيحية المحرّفة الناهضة

وقد قال أحد نوّاب البريطانيين عام ١٨٥٧م ، وهو يتحدّث في البرلمان البريطاني : " إنّ الربّ تعالى إنّما أكرمنا بهذه السعادة ، سعادة الاستيلاء على الهند ، حتى نجعل راية سيدنا عيسى المسيح خفّاقةً في الهند ، من أقصاها إلى أقصاها . يجب على كل مسيحي ، أن يحشد كلّ طاقاته على إتمام العمليّة الجليلة ، المتمثلة في تنصير الهند ، ولا يجوز أن يقصر في ذلك "

إنّ هذه الأوضاع كانت تبعث كلّ يأس ، بالنسبة إلى بقاء الكيان الإسلامي في الهند . وكلُّ المؤشرات كانت تدلّ على أنّه ستتكرر قصّة ما حدث للمسلمين في إسبانيا ، على أرض الهند ، التي حكمها المسلمون نحو ألف سنة

" فتسرّب اليأسُ إلى نفوس المسلمين ، وفقدوا الثقة بأنفسهم و مستقبلهم ، وضعفت روح المقاومة ، وهاجر كثير من العلماء ورجال الدين إلى الحجاز - الذي كان ولا يزال ملجأ المسلمين في كل مكان في كلّ وقت عصيب - وأصبحوا يعتقدون أن الحكم الأجنبيّ في الهند ضربة لازب، وانبثّ دعاة المسيحيّة والمبشرون في القرى والمدن يدعون إلى المسيحية علنًا ، ويشنّعون على العقيدة الإسلاميّة والشريعة المحمديّة " (٢)

وهزّتْ هذه الملابساتُ العلماء والمشايخ ، المتقين من أيدي الإنجليز العلانية ، وفكّروا في جميع الطرق التي كان من شأنها أن تساعدهم على عمليّة الإبقاء على الكيان الإسلاميّ في هذه البلاد ، والحفاظ على التراث الإسلامي ،

(٢) الشيخ أبوالحسن الندوي رحمه الله ، في رسالة " الدعوة الإسلامية في الهند و تطوراتها " ص ٣٠ ، ط ٣ ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م ، المجمع الإسلامي العلمي ، ندوة العلماء ، لكهنو

والحضارة الإسلامية ، وعقيدة الدين الإسلامي الأصيلة ، فألقى الله عزّ و جلّ في روعهم ، أن يبدؤوا بسلسلة إقامة المدارس الإسلامية الأهليّة ، السائرة بتبرعات الشعب المسلم، وأراهم الله تعالى ، أنّ ذلك هو وحده الطريق الأنجع الأسلم ، إلى بقاء الإسلام والمسلمين في هذه الديار ، في هذه الظروف ، وذلك بانتشار علوم الكتاب والسنّة والتعاليم الإسلاميّة .

وكان على رأس هؤلاء العلماء والمشايخ الإمام محمد قاسم النانوتوي (المتوفى عام ١٢٩٧هـ الموافق ١٨٧٩م) صاحب الذكاء والفطنة ، والألمعيّة ، والعلم العميق بالكتاب والسنة ، والاطّلاع الواسع على أسرار الشريعة الإسلامية . وقد أبلى بلاء حسناً في دحر القساوسة ورجال الهندوسيّة عبر مناظرات علنيّة في شتى مناطق البلاد . وكان من تلاميذ تلاميذ الإمام ولي الله الدهلوي (١١١٤هـ / ١٧٠٣م - ١١٧٦هـ / ١٧٦٢م) فأسّس بتعاون من زملائه ومشورتهم (٣) مدرسةً صغيرةً باسم " المدرسة الإسلاميّة العربيّة " يوم ١٥/ محرم ١٢٨٣هـ الموافق ١/ مايو ١٨٦٦م في قرية جامعة ، اسمها ديوبند ، في ولاية " أترا براديش " ، تقع على نحو ٩٢ ميلاً (١٥٠ ك م) في الجانب الشمالي من دهلي العاصمة ، عُرِفَتْ فيما بعد باسم " دارالعلوم / ديوبند " . ثم توالت المدارس والجامعات في أرجاء القارة الهنديّة .

وقد باركت المدرسةَ منذ اليوم الأوّل يدُ الله تعالى ، فازدهرت خلال أعوام قليلة ازدهاراً مثالياً ، لا يعرفه التأريخ لأيّة مدرسة في الهند ، وأضفتْ عليه من مسحة القبول والحبّ والشعبيّة مالم تحظَ به أيّةُ مؤسسة دينية في شبه القارة الهنديّة ، وأكسبتها من الاعتبار مالم يُكْتَبْ لأيّة حركة قامت لإنهاض المسلمين ثقافيًّا واجتماعيًّا ، وفكريًّا ودينيًّا ، في هذه الديار ؛ حتّى صارت علامةً بارزة لشخصية المسلمين الدينية ، وهويّتهم الإسلاميّة في هذه البلاد . ومنها تفجّرت ينابيع الثقافة والإصلاح والدعوة ، التي عمّت الهندَ والبلاد المجاورةَ ، ثم البلادَ القاصية والدانية، ومن بينها بريطانيا ، وأمريقيا الجنوبيّة ، وباكستان، وأفغانستان ، وإيران ، وماليزيا ، وإندونيسيا ، ومعظم الجمهوريات التي كانت من قبلُ ضمنَ الاتّحاد السوفياتي .

ومن جامعة ديوبند انتشرت شبكة المدارس والكتاتيب والجامعات في شبه القارة الهنديّة ، وباسمها تسمّت ؛ فجلُّ المدارس أسمتْ نفسها " دارالعلوم " وإليها تنتسب ، وبها تفتخر ، وعلى فتاواها ، وتوجيهاتها الشرعية والاجتماعيّة ، وحتى القياديّة والسياسيّة يعتمد الشعبُ المسلم الهنديّ .

وقد أنجبت جامعة ديوبند علماء مؤهلين كان يحتاج إليهم المسلمون ليعيشوا مسلمين محافظين على نقاء العقيدة، وأصالة الدين ، فكان لهم في جانبٍ فضلٌ كبير في نشر الدين ، والدعوة الإسلامية ، والتوعية الدينية ، وفي محاربة البدع والخرافات ، وبث الروح الدينية في الجماهير .

وكان لأحد أبناء جامعة ديوبند ، وهو العالم الرباني الشيخ أشرف علي التهانوي المعروف في شبه القارة الهندية بـ " حكيم الأمة " (المتوفى ١٣٦٢هـ / ١٩٤٣م) سهم كبير في نشر العقيدة الصحيحة ، وإصلاح النفوس ، وتهذيب الأخلاق ، والدعوة إلى الله ، وتطهير المجتمع الإسلامي الهندي من البدع والخرافات والتقاليد الهندوسيّة. وقد عَمِلَ وحده عملَ مجمع علميّ كبير ، وألّف كتباً و رسائل في أنواع العلوم وموضوع الدعوة الإسلاميّة ، تربى

(٣) وكان على رأس زملائه هؤلاء : المحدث الفقيه رشيد أحمد الكنكوهي (المتوفى ١٣٢٣هـ الموافق ١٩٠٥م) والشيخ ذوالفقار علي الديوبندي (المتوفى ١٣٢٢هـ الموافق ١٩٠٤م) والحاج عابد حسين الديوبندي (المتوفى ١٣٣١هـ الموافق ١٩١٢م) والشيخ محمد يعقوب النانوتوي (المتوفى ١٣٠٢هـ الموافق ١٨٨٤م) والشيخ رفيع الدين (المتوفى ١٣٠٨هـ الموافق ١٨٩٠م) والشيخ فضل الرحمن العثماني الديوبندي (المتوفى ١٣٢٥هـ الموافق ١٩٠٧م)

على ثماني مائة ، وقد انتشرت انتشاراً كبيراً ، أثرت في المجتمع الإسلامي تأثيراً عظيماً .

وفي جانب آخر قادوا حركة تحرير الهند ، واستهلّوا القيام بمساعٍ مباشرة في هذه السبل قبل أن يدلي فيها المواطنون الهندوس دلوهم . وكان على رأس هؤلاء المتخرجين من ديوبند العلاّمة محمود حسن الديوبندي المعروف بـ " شيخ الهند " مؤسس حركة الرسائل الحريريّة المعروفة (٤) التي اطّلع عليها الإنجليز عن طريق أناس مُشَوَّهين ، فاعتقلوه مع تلاميذ له في مكّة المكرمة بتعاون من الشريف حسين الذي كان قد ثار على الخلافة العثمانية واحتمى بالإنجليز ؛ وذلك يوم ٢٣/ صفر ١٣٣٥هـ ، ونفاهم الإنجليز إلى " مالطة " .

وقد قام عدد من تلاميذ شيخ الهند محمود حسن الديوبندي هذا ، بجهود موفقة في حقل التعليم والتربية في المدينة المنورة ، وألقوا دروساً في العلوم الشرعية سنوات طويلة في المسجد النبوي الشريف ، من بينهم الشيخ محمد إسحاق الأمرتسري ، والشيخ محمد صديق المدني ، والشيخ السيّد حسين أحمد المدني ، والشيخ السيّد أحمد المدني .

مؤسس مدرسة العلوم الشرعية بمدينة الرسول ﷺ

هو الشيخ السيد أحمد الفيض آبادي الهنديّ ثم المدني مسكنًا و وفاةً ، ابنُ السيّد حبيب الله ، المتوفى ١٣٥٩هـ والمدفون بجنة البقيع ، ينتهي نسبه إلى سبط رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: سيدنا الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه و عن أبيه .

وُلِدَ في قرية " بانكر مئو " التابعة لمديريّة " فيض آباد" إحدى مديريات ولاية " أترا براديش " بالهند ؛ وذلك في ٢١/ ربيع الثاني ١٢٩٣هـ ، والتحق بعد ما شبّ عن الطوق وبدأ يعي ويشدو بمدرسة حكوميّة في قريته " تانده " بالمديريّة ، وكان والده من سكّانها ، وبعد ما اجتاز المراحل الدراسيّة الابتدائية في مدرسة " تانده " التحق بجامعة " ديوبند " الشهيرة الملقى عليها ضوءٌ خاطفٌ في السطور السابقة .

وتخرّج منها عام ١٣١٥هـ ، وهو في الثانية والعشرين (٢٢) من عمره وبعد تخرجه بعام واحد ، رافق والده الشيخ السيّدَ حبيب الله ، المهاجر بأسرته إلى المدينة المنورة. وكان رحمه الله يُتْقِنُ اللغتين العربيّة والفارسيّة إلى جانب لغته الأمّ الأرديّة ، وكان له إلمامٌ بمبادئ اللغتين التركيّة والإنجليزيّة .

وبعد ما استقرّ به المقامُ في المدينة المنورة جعل يتوسّدُ العلم والإمامة ، والتدريس والتعليم ، والعبادة والذكر ، على شاكلة العلماء المتضلعين الزهاد . وبعد ما أمضى سنوات شعر بأن المدينة النبويّة - وهي مصدر العلم والهداية للبشريّة - هي بحاجة إلى إدخال الإصلاح العلمي الحديث عليها ، وهي بحاجة كذلك إلى إقامة بناء للنهضة العلمية المرتقبة .

فأجمع على السعي وراء تأسيس مدرسة تجمع بين مصيلي العلم والعمل ، والعلوم الشرعية والعلوم الصناعيّة في قلب المدينة ؛ لتكون ثمارُها دانية القطوف وفي متناول سائر الأهلين .

يقول الشيخ السيّد أحمد الفيض آباديّ :

(منذ وصلتُ إلى المدينة المنورة مهاجرًا إليها مع الوالد في عام ١٣١٦هـ تعلّق بذهني مشروعُ إنشاء مدرسة، لتعليم أبناء هذه البلدة المطهرة ، ما يعيد إليهم مجد أسلافهم في ناحيتي العلم والعمل ، وظلّت هذه الأمنية العالية عالقة بذهني ، حتى كانت سنة ١٣٣٤هـ حينما عهد إليّ الشيخ عبد العزيز شاويش بعمارة الكليّة بباب العنبرية . ففي تلك المدة اتّفق أن قدِمَ أحد معارفنا الأثرياء من الهند ، فعرضت عليه تفاصيلَ مشروعي ، فوافق على أن يتبرع له بمبلغ قدره

(٤) كانت هذه الرسائل تُكْتَبُ على قماش الحرير و تُقْرأ بإحراقه ، وكانت خطةً حكيمة دقيقة للاتصال بين شيخ الهند و بين تلاميذه المنبثين في مناطق الحدود الهنديّة وفي أفغانستان ، الذين كانوا يقومون بتوطيد العلاقة مع قادة وحكام الدول الإسلامية ، للفوز بالتعاون العسكري والماديّ البنّاء في سبيل تحرير الهند ، وإعادتها إلى الحكم الإسلامي مرة ثانية

سعة عشر ألف روبية إذا تبرعتُ منه . ومن أجل ذلك قدّمت طلباً بتأسيس المدرسة المشار إليها ، للحكومة التركية . وبعد مراجعات وتوسطات صدر أمرها برفض هذا الطلب وبطلب تحويل المبلغ الذي وافق ذلك الثريُّ على التبرع به - إلى الكلية . وانتهى كلّ شيء بسبب هذه الصدمة التي لم تكن مُنْتظرةً ولا موافقة ، وداهمت الحرب العالمية الماضية الناس ، فسافرتُ إلى (أدرنه) من بلاد الترك مع من سافر إليها من أهل المدينة ، وعدنا إليها بعد انتهاء تلك الحرب الضروس في سنة ١٣٣٧هـ ، وعادت إليّ فكرة تأسيس المدرسة ، واتفق أن قدم إلى المدينة زائرًا أحدُ معارفنا الأغنياء من الهند أيضًا وهو سليمان ماهاره ، وكان قدومه في شهر المحرم سنة ١٣٣٩هـ ، وبينما كنتُ واقفاً في مكان أشجار " النيم " الماثلة الآن أمام المدرسة إذ رأيته يُنْزِلُ أمتعته في هذه العرصة، فجاءني بسبب التعارف القديم، وسلّمنى حافظة نقوده ، كي أحفظها عندي ، فوضعها بداري التي هي بداخل " زقاق الدور " أمانة لديَّ، وظل يتردد عليّ فرأيت أن أذاكره في مشروع تأسيس المدرسة ، وقلت له : إن أبناء المدينة في حاجة عظيمة إلى العلم ، فأجابنى بقوله : إنى الآن مسافر إلى الهند ، وعليَّ نفقات الطريق ، فإذا وصلتُ إلى الوطن ، فسأحول لك بما يفيض من النقود ، ليساعدك على تحقيق مشروعك العلمي في هذا البلد الطيب الحبيب . وبعد عدة أيام وصلتني منه حوالة بمبلغ أربعين جنيهًا ، كانت النواة المادية الأولى لمدرسة العلوم الشرعية ، التي ابتدأ تأسيسها الفعلى يومئذ بشهر المحرم سنة ١٣٤٠هـ ، ولاحظتُ أن المبلغ في حد ذاته ضئيل ، فإذا افتتحتُ به المدرسة بكيفية واسعة ، فإنه سرعان ما ينفد ، وبذلك يقف المشروع ولم يتجاوز الخطوة الأولى . وتلافياً لذلك الانهيار ، قررت السير في طريق الاقتصاد ، فجعلت المصروف على قدر الوارد ، وعلى هذا المنوال سرتُ طيلة عام ١٣٤٠هـ ، وفي موسم عام ١٣٤١هـ قدم بعض المعارف من الهند أيضاً ، فأعانوا المدرسة التي سارت بعدئذ حتى بلغت إلى الوضع الذي تراه عليها الآن) .

ما هي أهميّة المدرسة وما ذا قدّمت من العطاء ؟

الإجابة على هذين السؤالين سنستقيها مما كتبه أديب العربيّة الكبير الأستاذ عبد القدوس الأنصاري رحمه الله ، مؤسس مجلّة " المنهل " الوقورة ، وأحد تلاميذ الشيخ السيّد أحمد الفيض آباديّ ، المتخرجين من مدرسته وذلك في كتابه " السيّد أحمد الفيض آباديّ " الذي صدر عن مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر " عام ١٣٦٥هـ الموافق ١٩٤٦م .

يقول الأستاذ عبد القدوس الأنصاريّ :

ما هي أهمية مدرسة العلوم الشرعية ؟ وماذا قدمت للأمة ؟

سؤالان من حقنا أن نُعْنى بهما ، و بالإجابة عنهما.

وتبدو أهميّة السؤالين بصفة واضحة إذا نحن أدركنا أن أهمية العامل إنما تُقدَّرُ بميزان ما أداه للأمة من عمل إن قليلاً أو كثيرًا .

ويبدو من النظرة العابرة أن قيام السيد أحمد بإنشاء هذا المعهد هو أمر بسيط ، لا يستحق من أجله كلّ هذه العناية ، وشأنه في هذا الصنيع شأنُ أضرابه الذين تدعوهم عواطفهم لإنشاء أمثال هذه المعاهد الأهلية ، للمشاركة في تمثيل دور من أدوار التثقيف والتعليم مشاركةً محدودةً لا تتجاوز المحيط المحدود الذي كوّنوه ، فإذا عبروا ترعة هذه الحياة ، فشأنهم الاختفاء عن الأنظار والأسماع ، وإذا قُدِّرَ لبعضهم أن يرمقهم التأريخ ، فبنظرات خاطفة عابرة ، وإذا قُدِّرَ لهم أن يشير إليهم في قماطره فبإشارات مقتضبة عارضة .

وحليقٌ بنا أن ننظر إليه مثلَ هذه النظرة الجوفاء الخالية من روح العمق والتحقيق ، إن نحن وزنّاه بهذا الميزان الشائل ، وإن نحن قسنا مشروعه بهذا المقياس الفائل؛ فهذا الميزان وهذا المقياس كلاهما ماديان بحتان لا يقيمان وزناً

للحقائق التي تتجرد النظرة الفاحصة إليها من الظروف والملابسات المادية .

وشتان زمن وزمن وشتان ظرف وطرف ، فقد يقوم زيد بعمل مبتدئاً به وسابقاً لغيره في مضماره ، فيكون له فضل السبق ، ويشاد لأجل ذلك بذكراه ، وزيدٌ في هذا العمل الذي قام به لم يكن مجيداً له كلّ الإجادة ، ولا محيطاً بدقائقه كلّ الإحاطة ، ولا بالغًا به من رفعة الشأن ما بلغ به من أتوا بعده ، وإنما له منقبة واحدة فقط .. منقبة يسمو بها بين الأجيال .. وتتمثل في سبقه إلى افتتاح هذا الطريق.

وكذلك كان الشأن تماماً في إنشاء المدرسة المتوسطة التي شادها السيد أحمد الفيض آبادي فإنه قد أسّسها وسنّ نظمها في حدود الطاقة الميسرة والمقدرة المتهيئة ، وكان تأسيسه لها فاتحة عهد جديد لاتّساع أفق المعرفة ، ونشر التعليم ضمن إطار ما يزال في الامتداد والاتساع ، فهو من هذه الناحية أحد (بُناة العلم في الحجاز الحديث) وهو بهذا الاعتبار الرائع أحد رجالات التاريخ ، الذين يحق للمؤرخ أن يعدّهم من الفاتحين ، وهو بهذه النظرة الدقيقة والنظرية الممحصة يستحق الإشادة وتخليد الذكر جيلاً بعد جيل .

وقد فكر السيد أحمد في افتتاح هذا المعهد بهذه المدينة قبل أمد يقارب الخمسين عاماً ، ولو قُدِّرَ له أن يحقّق مشروعه في الوقت الذي حاول تحقيقه فيه ، إذن لكان معهده ثاني المعاهد الوطنية التي حاولت تحطيم دُرَةَ الجهل و تنظيم حدائق التعليم في هذه البلاد ، على نمط إجماعي قويم ؛ فلم يسبقه إلى هذه الفكرة سوى الشيخ رحمة الله مؤسس المدرسة الصولتية ، بمكة . رحمه الله رحمة واسعة .

على أنه إذا كان لمؤسس "المدرسة الصولتية" في مكة فضل السبق الزمني في إقامة معهده ببلد الله الحرام ، فإن للسيد أحمد مثل هذا الفضل بإقامة مدرسته في بلد رسول الله عليه الصلاة والسلام ، فهما حيال هذه الفضيلة التاريخية صنوان متجانسان وقرنان متساويان لا يربو أحدهما على الآخر إلا بفضل محدود من الزمن المحدود .

ذلك إجمال لأهمية المدرسة .

أما ماذا قدمته للأمة من نتائج و فوائد ؟ فحسبنا أن نستنطق قناطرها ، فنستخرج منها مبلغ ما قامت به من نشاط في ميدان التعليم والصناعة ، وذلك واضح إذا ألقينا نظرة فاحصة على هذه البيانات :

وهذا بيان المتخرجين في القسم العالي بالمدرسة (٥):

عبد القدوس الأنصاري : شغل عدة وظائف حكومية منها التحرير بديوان إمارة المدينة ، فإدارة الجريدة الرسمية للحكومة مع تحريرها : (أم القرى) وانتُدِبَ سابقاً لوظيفة المراقبة والتدقيق بديوان النيابة العامة ومساعدة مدير شعبة الملحقات بها ، علاوة على قيامه بعمل سكرتيرية مجلس الوكلاء ، وإنشائه لمجلة " المنهل " الأدبية ، وتأليفه لكثير من كتب الأدب والتأريخ ، ومساهمته في إثارة النهضة الحديثة بالمملكة العربيّة السعودية .

عبد الله ابن الشيخ المحمود السوقي: شغل عدة وظائف أهلية وحكومية منها إمامة المسجد النبوي والتدريس به وبمدرسة العلوم الشرعية .

محمد المختار السكنتي : إمام و خطيب مسجد قباء و مدير فرع مدرسة العلوم الشرعية المستحدث بقباء .

أبو بكر بن محمد السوقي : أحمد مدرسي المسجد النبوي .

محمد التهامي الوداعة : تولى قضاء رابغ فالقنفذة .

محمد بشير السناري .

عبد الحميد عنبر : شغل عدة وظائف حكومية منها التعليم بالمدرسة الأميرية ، فسكرتيرية لجنة الصدقات ،

(٥) وذلك في حدود المدة التي تقع بين إنشاء المدرسة ووفاة منشئها . وقد أخذنا هذه المعلومات عن أسماء الخريجين و عددهم من دفاتر الإدارة ومن التقاويم السنوية لأعمال المدرسة في تلك المدة

فإدارة المدرسة التحضيرية بالمدينة ، فرئاسة بعثة الزراعة المتدبة إلى الخرج ، وأخيرًا وظيفة المفتش المركزي لوزارة المالية بالمدينة .

القاري محمد إسماعيل .

عبد العلي البخاري .

إبراهيم الساري .

ياسين الأديب المصري .

محمد أحمد التكيه .

محمد الحافظ : أستاذ بالقسم الابتدائي بالمدرسة .

محمد عبد القدير عبر : أستاذ بمدارس البحرين .

محمد ولي الدين : أستاذ بالقسم الابتدائي بالمدرسة .

عمر عسيلان : أستاذ بمدرسة ينبع الأميرية .

محمد عمر توفيق : شغل عدة وظائف بالحكومة، وأخيراً وظيفة معاون مدير الشعبة المالية بديوان النيابة العامة .

أحمد بوشاق : شغل وظيفتي تدريس بالمدرسة الناصرية والمنصورية ، وعين مديراً لمدرسة النجاح بعد ذلك، فأستاذاً بالمدرسة الثانوية في المدينة وقام بمساعدة مديرها .

عبد المجيد بن حسن الجبرتي : كان مدرساً بالمدرسة ثم انتقل مديراً لإدارة مدرسة بريدة الحكومية في نجد .

يوسف إبراهيم الهروي .

محمد شريف البخاري .

أحمد رضا حوحو : كان أستاذاً بالقسم الابتدائي بالمدرسة ، ثم انتقل مترجماً بالإدارة العامة للبرق والبريد ، وأخيراً عاد إلى وطنه الأول (الجزائر)

محمد طاهر الهوساوي : أستاذ بالمدرسة .

إبراهيم المدراسي .

عبد الحي بن توردي .

عبد الحكيم بن يعقوب السندي .

محمد بن عيسى السندي .

السيّد حبيب محمود أحمد : تولى إدارة المدرسة منذ عام ١٣٥٨هـ ، وعين عضواً بلجنة العين الزرقاء ، وعضواً بالمجلس الإداري للمدينة ، وشغل عدّة وظائف حكوميّة ، وهو الآن أحد وجهاء وأثرياء المدينة المنورة البارزين ، وهو ابن أخي مؤسّس المدرسة الشرعيّة الشيخ السيّد أحمد الفيض آبادي .

عبد الغفور قاسم : كان أستاذاً بالمدرسة ثم انتقل إلى المدرسة الخالدية الحكومية بمكة ثم أستاذاً بمدرسة النجاح بالمدينة الآن .

حسين حسن كاتب : كان أستاذاً بالمدرسة ، ثم عضواً بالبعثة الزراعية المتدبة للخرج ، ثم عين كاتباً للإدارة الآن وقائماً بعمل مطبعة المدرسة .

إبراهيم عمر الفلاتي .

أحمد عمار الجزائري : أستاذ التوحيد بالمدرسة الثانوية بالمدينة .

وفي ذلك السرد الفهرسي الموجز دليل ناطقٌ على مدى القيمة الدينية للمدرسة . على أن المؤسس كان قد شرع في أخريات أيامه في إنشاء ملجأ لليتامى الذين يتعلمون بالمدرسة ، وقد بدأ في عمارة هذا الملجأ في موقع قريب من باب بصرى ، ولكنه توفى قبل أن يكمل تلك العمارة .

وقد نهض طلاب الفرع الصناعيّ – لمدرسة العلوم الشرعيّة – المتخرجون منه بمهمة المشاركة في تسيير الآلات اللاسلكية بالحكومة العربية السعودية في شتى أنحاء المملكة، فكان منهم مهندسون أصليون ومهندسون مساعدون ، وقام فريق من متخرجي هذا الفرع بإدارة مطبعة المدرسة وتسيير مطحنتها ، اللتين ساعدتا على تنمية وارداتها تنمية قامت بسد بعض العجز في نفقاتها المستمرة في الاتساع .

وبذلك كله بلغ المؤسس أوائل أهدافه ، وشاهد بعينيه ثمار مشروعه في ناحيتي العلم والعمل .

بين مؤسس مدرسة "الفلاح"

و مؤسس "مدرسة العلوم الشرعية" :

ويعقد الأستاذ عبد القدوس مقارنة في صفحات بين

العلامة الشيخ "محمود حسن الديوبندي" المعروف بـ "شيخ الهند"

حياته ومآثره

بقلم : الشيخ السيد أصغر حسين ميان الديوبندي
أستاذ بالجامعة سابقاً المتوفى ١٣٦٤هـ
تعريب : الأستاذ عبد الرشيد القاسمي

شيخ الهند يصاب بمرض يموت فيه

وأخيرا ولّت أيام الربيع ، وحانت أيام الخريف. فتعرض سماحة شيخ الهند مرة أخرى للحمى في ٦/ صفر عام ١٣٣٩هـ. وأصبح طريح الفراش من جرّاء الحمّى في يوم واحد وكان بالمدينة رجال تصيبهم الحمّى مرة بعد أخرى، ولكنه كان يفيق معظم منهم ولذلك فظنّ الناس بالنسبة لفضيلته أن الحمى التي ألّمت به ستذهب خلال يوم أو يومين فوا أسفاه! لم يكن هناك ولو رجل واحد يتفطّن لأن الحمّى هذه دعوة من الله، كما أنه لم يكن يعرف أحدٌ أن مرضه هذا يصبح مرضا يقضي على حياته. وجريا على العادة فيما سبق وصف الطبيب الشيخ "محمد حسن" دواءً مناسباً لمرض فضيلته وطبيعته. وما إن خفّت وطأة الحمى في شيء إذ تعرض للمغص وأخذ منه الضعف كل مأخذ بحيث أصبح لا يتمكن من الجلوس والنهوض بنفسه، كما أخذ المرض يتفاقم ووصف الأطباء هذا التفاقم بأن كبد سماحته قد تورّم وازداد حجمه من جرّاء الحمى الأولى

وبالرغم من أن سماحته كان يبقى مضطجعا كل حين، ولكنه كان لا يعاني من الإعماء في أغلب الأحيان ومع أنه كان لا يقدر على أن يتكلم في صوتٍ جهوري لأجل الضعف، غير أنه كان يتكلم عند ما كان تمسّ الحاجة إلى ذلك. كما كان يسلّم على من يزوره ويعوده، ويسأله عن حاله .

شيخ الهند يتوجه إلى مدينة علي جراه

وأثناء إصابته بالمرض ظهرت قضية الجامعة الإسلامية بمدينة "علي جراه" ووجّه الدعوة إلى سماحته الشيخ "محمدعلي جوهر" أحد كبار قادة تحرير البلاد و رئيس اللجنة العاملة على صيانة الخلافة التركية لعموم البلاد، وأصرّ عليه بالغا في أن يتوجه إلى المدينة، ويرأس الاحتفال العام بها. كما أن شيخ الهند كان يرى بدوره أن المساهمة في الاحتفال، ورئاسته عمل ديني جليل في هذه الظروف، ويعتقد أن ذلك من شأنه أن يرفعَ همم الشيخ "جوهر" وأتباعه وأنصاره، و أنه يُعْتَبر وقوفاً منه بجانب حركته التخلي عن موالاة الإنجليز، عزم على الذهاب إلى "علي جراه" وبالرغم من أن كثيرا من تلاميذه ومحبيه كانوا يقضون من عجبهم في هذا الخصوص، وكانوا يشيرون عليه بأن يكفّ أيديه عما أراده، ولكن سماحته تحمّل مشاق السفر غير مبالٍ بما ألّم به من مرض، وبما أصابه من ضعف شديد. وتوجه إلى "علي جراه" ومعه رجال من أتباعه وتلاميذه المخلصين يوم الخميس في ١٥/ صفر. وزار الجامعة راكبا يوم الجمعة في ١٦/ صفر- ٢٩/ أكتوبر عام ١٩٢٠م - وحمله الناس على أكتافهم بكل معاني الحبّ والاحترام إلى حجرة الشيخ "محمد عبدالله الكنكوهي " عميد

مؤسس مدرسة " الفلاح " بمكة و مؤسس مدرسة العلوم الشرعية بالمدينة المنورة بأسلوب عذب ، ننثت ههنا قطعة منها :

" لقد أنشأ معهديهما مقام عليهما ركن من أركان الثقافة الحاضرة والثقافة المرتقبة لهذه البلاد . وأقام أولهما - وهو الشيخ محمد علي زينل - معهده : " الفلاح " في مكة المشرفة عام ١٣٣٠هـ ، وأقام ثانيهما - وهو السيد أحمد الفيض آبادي - معهده : " مدرسة العلوم الشرعية " في المدينة المنورة عام ١٣٤٠هـ . فكانا من هذه الناحية زميلين سيلين . وكان لكل منهما طروحه الخاصة واتجاهه الخاص ، ويتفقان عند نقطة واحدة ، هي نشر العلم ورفع مناره بالبلاد المقدسة . وقد تقاربت خطوات مشروعيهما في إطار الزمن ، حتى إنهما لتكادان أن تتلامسا ، فلم تفصل بينهما سوى عشرة أعوام .

" وقد استهدف أول المؤسسين إقامة دعائم الرقى الثقافي والفكري فأسس (فلاحه) على هذا المنوال و أدى الفلاح مهمته موفورة للطالبين .

" وسار زميله الثاني في طريق مردوج ليجمع لمعهده بين الحسنيين : حسنى مطالب الروح ، وحسنى مطالب الجسم ؛ فمن شاء من طلبته علماً فكرياً محضاً ، فالطريق ممهد أمامه للعلم الفكري المحض ؛ ومن شاء منهم بعد ذلك عملاً يقيم أود معيشته ويجعله عضواً عاملا في جسم الأمة من هذه الناحية أيضاً ، فإن باب العمل مفتوح كذلك أمامه.

" وكذلك وضع كل من البانيين لبنة مباركة من ناحيته في البيت العلمي للأمة ، فاستحقا التقدير الجميل وكانا أسوة طيبة للبناة والعاملين . " (٦)

الشيخ حسين أحمد المدني :

أيها الإخوان !

إنّ ذكر مدرسة العلوم الشرعيّة ومؤسّسها الشيخ السيد أحمد الفيض آباديّ لن يتمّ ما لم نذكر أخاه الأصغر الشيخ المجاهد العالم العامل السيّد حسين أحمد المدنيّ المتوفى ١٣٧٧هـ ، الذي طبق صيته العلمي والديني والدعويّ الآفاق

إن الشيخ حبيب الله والد الشيخ السيّد أحمد الفيض آباديّ قد أنجب خمسة أبناء . لكل منهم تضلّع من العلم والعمل والسعادة والفلاح ، وهاجر بهم جميعاً في مستهل القرن الرابع عشر الهجريّ إلى المدينة المنورة .

وكان أكبر الخمسة سنّا هو السيّد صديق أحمد ، الذي وُلد في قرية " إله داد بور " من أعمال " فيض آباد" بالهند يوم ٧ / جمادى الأولى ١٢٨١هـ وتلقى العلوم في جامعة ديوبند، وتوفي بالمدينة المنورة عن خمسة و ستين عاماً.

وتلا الشيخ السيّد صديق أحمد في الولادة أخوه السيّد أحمد الفيض آباديّ مؤسّس مدرسة العلوم الشرعيّة

وولد بعده الشيخ السيّد حسين أحمد ، في ١٩ / شوال ١٢٩٦هـ في قرية " بانكر مئو " .

وتلاه في الولادة السيّد جميل أحمد عام ١٣٠٢هـ ، ولما وصل مع والده حبيب الله إلى المدينة المنورة تعلّم في عدد من المدارس الحكومية التركيّة . ولكن اخترمته المنيّة في المدينة عام ١٣٢٤هـ ، قبل إكماله الدراسة العالية .

و ولد بعده السيّد محمود أحمد عام ١٣٠٨هـ ، وفي صغره اندمج في عداد تلاميذ المكتب "الإعداديّ" بالمدينة وتخرج منه عام ١٣٢٥هـ وتقلّب في عدة وظائف حكوميّة في كل من المدينة المنورة وجدة . وهو والد السيّد حبيب محمود / حفظه الله أحد وجهاء المدينة المنورة اليوم .

إنّ الشيخ السيّد حسين أحمد المدني الأخ الأوسط التحق بجامعة ديوبند في ١٣ من عمره في مستهل صفر ١٣٠٩هـ ، وتخرج منها عام ١٣١٧هـ . وقد تلقى العلم فيها على كل من الشيوخ . شيخ الهند مولانا محمود حسن

(٦) كتاب " السيّد أحمد الفيض آبادي " بقلم أديب العربية الكبير الشيخ عبد القدوس الأنصاري أحد تلاميذ الشيخ السيد أحمد الفيض آباديّ ، ص: ١٧-١٩، ٢٧-٢٩ ، ٣٢-٣٥ ، ٥٥ ، ٥٩

الديوبنـدي (م ١٣٣٩هـ) و ذوالفقـار علي الـديوبنـدي (م١٣٢٢هـ) والشيخ عبد العلي الميرتهي (م ١٣٤٠هـ) والشيخ خليل أحمد السهارنبوريّ صاحب " بذل المجهود في حلّ سنن أبي داؤود " (م ١٣٤٦هـ) والمفتي عزيز الرحمن العثماني الديوبندي (م ١٣٤٧هـ) والشيخ منفعت علي الديوبندي (م ١٣٤٧هـ) والشيخ الحافظ أحمد ابن الإمام محمد قاسم النانوتوي (م ١٣٤٧هـ) والشيخ حبيب الرحمن العثماني رئيس جامعة ديوبند الأسبق (م١٣٤٨هـ).

وقد برّز الشيخ السيّد حسين أحمد إخوتَه جميعاً في العلم والفضل ، والصلاح والتقى ، والجهاد والعزيمة ، والتحرق الصادق على حال الأمّة ، والخدمة الدؤوبة المضنية للدين والدعوة الإسلامية ، والسهر على مصالح العباد و خدمة الإسلام والمسلمين .

هاجر الشيخ حسين أحمد مع والده وإخوانه إلى المدينة المنورة ، وقام بتدريس شتى العلوم الإسلامية وعلى رأسها الحديث الشريف في المسجد النبوي بالمدينة المنورة مدة (١٤) أربعة عشر عاماً أو أكثر .

وتلقّى عليه العلمَ خلال هذه المدة أناس كثيرون ، وانتفع به العلماء والطلاب ، وتخرج عليها علماء و مصلحون ، ودعاة وقضاة ، ومدرسون ومحامون ، منهم المشايخ عبد الحفيظ الكردي الكوراني عضو المحكمة الكبرى بالمدينة المنورة ، وأحمد البساطي نائب القاضي بها سابقاً وأحد مدرسي القسم العالي بمدرسة العلوم الشرعيّة ، ومحمود عبد الجواد رئيس بلدية المدينة في حياته وأحد العلماء الذين كانوا يُدَرِّسُوْن العلوم العربيّة والشرعيّة بالمدينة ، والعلاّمة بشير الإبراهيمي الجزائري الذي أنشأ بإيعاز من الشيخ حسين أحمد المدني جمعية علماء الجزائر على غرار جمعيّة علماء الهند ، وقاد حركة التحرير ضد الاستعمار الفرنسي في الجزائر متأثراً من الحمية الدينية ، والغيرة الإسلامية التي كان قد نفخها فيه أستاذه الشيخ حسين أحمد .

أقام السيّد حسين أحمد بالمدينة مواظباً على التدريس بالمسجد النبوي ؛ حتى نشبت الحرب العالمية الأولى . وسافر لدى إقامة أستاذه شيخ الهند الشيخ محمود حسن الديوبنديّ إلى مكة والطائف ، وطُلِبَ منهما ثمة أن يفتيا بالخروج على الحكومة العثمانية ، و لم يكن ذلك من رأيهما، فلم يرضيا أن يفتيا بذلك فكان جراء ذلك وجراء قيادة حركة تحرير الهند من نير الاستعمار البريطاني ، النفي مـع أستاذه إلى جـزيرة " مالطة " - وهي من جزر البحر الأبيض المتوسّط - ومكثا بها حتى وضعت الحرب أوزارها، فأُطلِق سراحُه هو وسراحُ أستاذه ، وعادا إلى الهند، وعكف الشيخ حسين أحمد على نشر العلم والدعوة وقام بالإصلاح الديني والاجتماعي . وقد كان متمكنًا فصيحاً في اللغتين العربيّة والأرديّة . وشغل منصب مشيخة علم الحديث النبوي بجامعة ديوبند ورئاسة جمعيّة علماء الهند عبر سنوات طويلة، حتى انتقل إلى رحمة الله تعالى يوم ١٢ / جمادى الأولى ١٣٧٧هـ = ٥ / ديسمبر ١٩٥٧م ودفن بالمقبرة الجامعيّة المعروفة بـ " المقبرة القاسمية " بمدينة ديوبند بالهند .

على كلّ فإنّ هذه السطور الموجزة تؤكّد مساهمة جامعة ديوبند الفعّالة في نشر العلم ، وإقامة اللبنات الأولى للنهضة العلمية الحديثة ، في المدينة المنورة خصوصاً ، والمملكة العربيّة السعودية عموماً . وذلك عن طريق أبنائها الأفاضل .

ونرجو أن المملكـة ـــ وهي سبّاقـة إلى كل خير بحكمة الله عزّ و جلّ ، وموفقة كل التوفيق لخدمة الحرمين الشريفين ، وخدمة الإسلام والمسلمين ، وخدمة العلم والمعرفة ، والثقافة العربيّة ، والحضارة الإسلاميّة ـــ ستُعْنَى بإنعاش هذه العلاقة الودّيّة الإسلاميّة التأريخيّة مع هذه الجامعة العتيدة الشامخة التي لا تزال أكبر قناة لضخّ الدم الطازج القاني في الجسم الإسلامي في الديار الشرقيّة .

وصلّى الله تعالى وسلم وبارك على عبده ونبيه محمد و على آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين .

☆ ☆ ☆

حول فضل إقامة الحدود في الأرض

بقلم : فضيلة الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله آل فريان
رئيس الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم
بمنطقة الرياض

الحمد لله الذي فضلنا بالإسلام وجعلنا من خير أمة أخرجت للناس وأكمل لنا ديننا و أتمّ علينا نعمته وكفانا شر خلقه وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له كلمة الحق وكلمة التوحيد لله عز و جل التي قصمت ظهور المشركين وقطعت أعناقهم كما قال بعض القساوسة الذين قابلوا هرقل عظيم الروم لما سألهم بعد هزيمتهم أمام المسلمين قال لهم : ألستم رجالاً وهم رجال ؟ قالوا : بلى قال ألستم أكثر منهم عدداً وأقوى عُدّةً قالوا بلى قال فما الذي هزمكم أمامهم قالوا : نعم الذي هزمنا أمامهم أنّا إذا أقبلنا على الركوع للصليب والضرب بالنواقيس أقبلت تلك الشرذمة من العرب على التهليل والتكبير فلم يقم لنا قائمة أمامهم ، ما هو إلا أن منحناهم أكتافنا يقتلون ويأسرون قال هرقل : أي والله لقد صدقتموني ـ فالإسلام هو الذي جاء بالخير والعدالة وحفظ حقوق الإنسان قال الله تعالى (يآيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير) ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم جاء بالحق والعدل وإعطاء كل ذي حق حقه من أفراد وجماعات من النفقات والميراث قال تعالى (يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين) ومن حظ الإنسان أن يدعى إلى الله ويؤخذ بيده ليدل الطريق ولهذا أرسل الله الرسل وأنزل الكتب وأشرفها القرآن الكريم لدعوة الناس لعبادته وحده لا شريك له ولهذا فإنّ حكومتنا وفقها الله تحرص على أن تمشي على هدى الله ونفع خلق الله وإقامة حدود الله لنفع البشر وحجزهم عن الشر وهذا هو عين الرحمة لهم وحفظ حقوقهم وكذلك من سلك هذا الطريق الذي رسمه لنا ديننا الحنيف وشرعنا الشريف وبعث الله نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم رحمة للناس كما قال الله تعالى لنبيه الكريم (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) وإقامة الحدود على المعتدين على حرمات المسلمين من رحمتهم ايضاً ومن أسباب بقاء هذا الجنس البشري ومن أسباب رضى الله عنهم لأنّه ردع للظالم عن ظلمه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم (انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً ، قيل يا رسول الله : أنصره مظلوماً فكيف أنصره ظالماً ، قال : تردعه عن ظلمه فذلك نصرك إياه) وقتل القاتل من إقامة حدود الله ومن إبقاء الحياة الاجتماعية كما قال الله تعالى (ولكم في القصاص حياة يا أُولي الألباب لعلكم تتقون) كذلك قطع يد السارق لحفظ نفوس الناس وحقوقهم وأموالهم كما قال تعالى (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاءً بما كسبا نكالاً من الله والله عزيز

حكيم) فليس هناك شيء أعدل من شرع الله بل قوانين البشر كلها قيمة لها إذا خالفت شرع الله وفي الحديث الشريف (حد من حدود الله يقام في أرض الله خير من أن يمطروا أربعين خريفاً) فحكومتنا ولله الحمد والمنة تحرص أن تتمسك بأوامر الله وتحرص على تنفيذ شرع الله رضي الناس أو كرهوا نسأل الله أن يزيدهم من الهدى وأن يثبتنا وإياهم عليه ، بخلاف أهل الهمجية والكفر والالحاد الذين يدعون حفظ الحقوق للانسان وهم أعداء له يقتلون النفوس البريئة بغير جرم وينتهكون الحرمات ويأخذون أموال الناس بغير حق باسم ضرائب وغيرها وهي لا تحل لهم كما قال الله تعالى (ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل) وقال (إنّ الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً) ونحن نسمع هذه الأيام شنشنة واتهام أهل الحق وأهل الاسلام أنهم لا يحافظون على حقوق الانسان ويأتي من أعداء الاسلام حملات صحفية هي ترجع إليهم لأنهم هم الذين ضيعوا حقوق الانسان واتهموا الشريعة الاسلامية التي جاءت من الله عز وجل لصالح البشر وهم الذين ضيعوا حقوق الانسان ورموا غيرهم بذلك كما يقال (رمتني بداءها وانسلت) يعملون هم الأعمال الوحشية واللا انسانية واللا اسلامية ويطنطنون باتهام غيرهم وتبرئة أنفسهم بذلك وهو كذب وتلفيق لا حقيقة له والله سبحانه يقول (وقل جاء الحق وزهق الباطل إنّ الباطل كان زهوقاً) نسأل الله أن ينصر دينه ويعلي كلمته إنه على كل شيء قدير وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ...

☆ ☆ ☆

وفاة حرم الشيخ أسعد المدني رئيس جمعية علماء الهند

انتقلت إلى رحمة الله تعالى في الساعة الخامسة من صباح يوم الأربعاء ٢٢/ جمادى الأولى ١٤٢١هـ الموافق ٢٣/ أغسطس ٢٠٠٠م ، السيدة " بريرة " حرمُ فضيلة الشيخ السيد أسعد المدني رئيس جمعية علماء الهند وأحد أعضاء المجلس الاستشاري للجامعة الإسلامية دارالعلوم / ديوبند ، وذلك في مستشفى "أبولو" بدهلي الجديدة ، وعن عمر يناهز ٦٥ عاماً، بعد صراع طويل مع المرض الذي أفسد رئتها وكليتها فإنّا لله و إنا إليه راجعون

ونقلت جثتها إلى ديوبند في نحو الساعة الحادية عشرة ؛ حيث صلّى عليها بالناس الشيخ أرشد المدني مدير المجلس التعليمي بدارالعلوم / ديوبند ، وذلك بعد صلاة الظهر في "محيط مولسري" أحد محيطات الجامعة ، حيث شارك في الصلاة عليها آلاف من الناس توافدوا من داخل مدينة ديوبند والمدن والقرى المجاورة إلى جانب مسؤولي ومنسوبي وطلاب وأساتذة الجامعة وذوي قربى الفقيدة ، وشيّع جثمانها إلى مثواها الأخير في المقبرة القاسمية الجامعية ، وحصل الفراغ من تورية جثمانها في القبر قبيل صلاة العصر

كانت الفقيدة بنتاً للشيخ حميد الدين شيخ التفسير الأسبق بالجامعة العالية بمدينة " كالكوتا " وشقيقة للشيخ رشيد الدين رئيس "جامعة شاهي" بمدينة "مراد آباد"

خلّفت أربعة بنين وبنتين ، كلهم متزوجون وبعضهم ذوو أولاد ، أكبرهم الأستاذ السيد محمود المدني الذي يشغل الآن منصب الأمين العام لجمعية علماء الهند

كانت الفقيدة محافظة على الصلاة والصيام والعبادة وتلاوة القرآن إلى جانب دماثة الخلق وخدمة الخلق ولا سيما الأرامل والأيتام ، والجدير بالذكر أن فضيلة الشيخ السيد أسعد المدني كان لدى وفاتها وخلال تلقيها العلاج في المستشفى ، خارج الهند في زيارة هامّة لبريطانيا و أمريكا وغيرهما ؛ فلم يتمكن من رؤيتها في هذه المرحلة الأخيرة من حياتها .

وأسرةُ " الداعي " التي آلمها حادثُ الوفاة أيّما إيلام تقدم إلى أسرة الفقيدة كلها أصدق عواطف التعزية ، متضرعة إلى الله تعالى أن يدخلها فسيح جنّاتها ، ويلهم ذوي قرباها كلهم الصبر والسلوان .

الكتابة مادة حيوية تتصل بالفكر

بقلم: معالي الشيخ عبد العزيز بن عبد الله السالم
الرياض – المملكة العربية السعودية

لعل من غير المستساغ إعادة طرح مثل هذا السؤال : لماذا نكتب ؟ لأنه سؤال لا ينتظر اجابة بحكم الواقع الممارس ، فمنذ أن تفتحت الأذهان البشرية وازدهرت الأفكار وُجد أفراد يكتبون وآخرون يتلقّون ما يُكتب فيقرأون ، وأصبحت العلاقة متينة بين الكاتب والملتقي ، وعلى هذا الأساس تحددت وظيفة الأول في الكتابة وتكوّنت عادة الآخر في التلقي ، وذلك على اعتبار أن كل فرد في هذا الوجود قد زوده الله بموهبة خاصة في مجال من المجالات أو في فنّ من الفنون أو في لون معيّن من ألوان الحياة ، وعلى هذا الاعتبار فإنه مهيأ للعطاء المتفق مع ميوله والموافق لطبيعة موهبته ومسار ملكته، وذلك عندما تكتمل لديه أدوات التأهيل الممثلة في مقومات العلم والفكر والثقافة إلى جانب الدافع النفسي والاستعداد الفطري لخوض غمار هذا الميدان من خلال توافر تلك العوامل وما قد يضاف إليها مما تقتضيه رسالة العالم أو تمليه موهبة الكاتب ومدى أهمية ما يكتب وما يصدر عنه من عطاء .

والكاتب في ذاته مواطن تتوقد بين جوانحه شعلة من ضياء المعرفة ، فيهتف في أعماقه شعور تؤكده المواطنة ليقدم لمواطنيه ما يرى مناسبة طرحه من أفكار وآراء تهدف إلى تنوير الرأي العام وتلتقي عند واجب الإصلاح . حيث يجسد نفسه مدفوعاً للتعبير عن أحاسيسه بشتّى فنون التعبير . حتى إنه ليجد غضاضة وحرجاً حين يُحجر على قلمه ويُمنع من ممارسة التعبير عما تنطوي عليه جوانحه ، فالكاتب يستمد أفكاره من مختلف أوضاع المجتمع الذي يعيش بين أفراده ، ويُفترض أنه قد روّض نفسه على القراءة الواعية والاطلاع المستوعب مما يهيىء له رصيداً من العلم ومخزوناً ثقافياً ينمي الفكر ويصقله ويوسع مداه، ويضع في يده أداة العطاء الذي يميزه عن غيره من واقع اتقانه لفنه : سواء كان عالماً أو مفكراً أو شاعراً أو أديباً أو يمثّل أي صفة من صفات الانتاج الفكري على أي نحو من الأنحاء الثقافية ، فالمهم هو الابداع فيما يقدّمه لمجتمعه خاصاً بتجربته أو تعبيراً عن مشاعره ، وتقديم ذلك بلغة راقية وأسلوب ماتع مما يجلب إعجاب القارئ ويحقق الأثر في نفس المتلقي.

☆ ☆ ☆

والكتابة ليست عبارات مبهمة بلا معان تحدد مدلولاتها وتؤكد فحواها ، أو مطلقة بلا ضوابط تتصل بفهم الأساليب اللغوية ومراعاة القيم وما يحسن أن يكتب وما لا تحسن كتابته ؟ وإنما هي مسئولية يجب أن

يدركها الكاتب قبل التصدي للكتابة ويتمثلها واجباً يؤديه بكل الحصانات التي ينبغي أن تحاط بها من بما يطرح من قضايا وصدق فيما يكتب من موضوعات، فلكل مقـام مقـال ، مما يعني أن لا يخـوض أي فـرد استهوته الكتابة فيما يجهل أو مالا يبلغه علمه وادراكه، أو أن يحاول من جانبه حَمْل الآخرين على توجهات معيّنة يؤمن بها أو أفكار يتبناها ، وهذه التوجهات أو تلك الأفكار مما يخالف التوجّه الصحيح أو السلوك السائد في المجتمع .. على أنه يوجد مفترق طرق من جانب بعض الكتّاب بعضهم كبار أو يصنّفون أنفسهم أو يصفهم مريدوهم بأنهم كبار ، ولكنّ الأفكار التي يطرحونها من وجهة نظرهم قد لا تكون محل قبول لما يجري طرحه أو موضع تسليم بما تدعو إليه : ذلك أن النظرة تعود إلى القاعدة التي ينطلق منها أولئك المفكرون أو الذين يوصفون بأنهم مفكرون ، ومدى منطلقات تلك الطروحات وحياديتها أو اتفاقها مع الثوابت الدينية ومدى مخالفتها أو انسجامها مع المواضعات الاجتماعية .. إلى جانب تفادي الاسقاطات الايديولوجية التي تتحكم فيها الأهواء الجامحة ولا تخضع لمنطق العقل الرشيد . حيث تستبدّ بها نزعة تحكّمية . سواء كان مصدر هذا التحكم عائداً إلى سلطة دكتاتورية فردية أو إلى مرجعية حزبية مهيمنة ، فهي في ذاتها خاضعة لتوجهات عناصر كوّنتها وساهمت في إيجادها تلك النزعة التسلطية المركبة من سلطة طغيان الفرد أو الاستكانة لهيمنة الحزب ، والمفكر المستقل التفكير صاحب الضمير الحر لا يخضع في مفهومه واتجاهه ومسار تفكيره وتنظيره لأي من السلطتين المتسلطتين : حيث يُسلب منه تحت قمع الحكم الدكتاتوري أو التأثير الحزبي أي فكر مستقل في ظل تلك التركيبة التي تجمع بين طغيان فرد وهيمنة حزب . مما ينتهي بالمفكر المنتمي إلى هذا أو ذاك - إلى واقع يعطل فاعليته الفكرية ويحوّله إلى تابع ليس له استقلالية في عملية الطرح الثقافي . لأن رأيه بات مقيداً بما يريده الطاغية أو بما يمليه الحزب .. مما ينتهي بالكاتب إلى وضع مغاير لأهمية رسالته وخصوصية مسئوليته ، فتهيمن عليه تطورات مشحونة بتوترات نفسية مرتهنة بتحولات ثقافية تتقوقع في نطاق ضيق من مساحة الحرية التي ينبغي لها الامتداد في فضاء الثقافات المؤطّرة بالمبادئ الثابتة والتوجهات المتميزة ، والمحاطة بالأفكار الواعية المتجددة بدلاً من الأفكار المتجمدة تحت تسخير دكتاتوري أو في اطار تسيير حزبي ، وذلك من أجل أن يتحقق الانتهاء في هذا المجال إلى معادلة ثابتة تتبلور عبرها رُؤىً متوازنة ذات نهج معتدل وخط مستقيم. تطرح الخطوط الفكرية العريضة في ظل امتداد مناخ واضح الرؤية رحب المسار .

☆ ☆ ☆

ولعل أهم مرتكزات الكتابة الثقافية التي تعمل على نجاحها واتساع أبعادها تتمثل في استقلاليتها عن التوجيه المباشر . سواء كان هذا التوجيه صادراً عن سلطة دكتاتورية أو هيمنة حزبية أو عبر طقوس مذهبية أو من خلال نُعرات طائفية .. وفي صحيفة "الرياض" بالعدد الصادر بتاريخ ١٤١٨/٥/١هـ الموافق ١٩٩٧/١٠/٤م كتب الدكتور عبد السلام المسدي تحت عنوان : (مساءلات فكرية) فيما يتعلق

بمسئولية المثقف العربي وماله من صلات وثيقة بمجتمعه من خلال طروحاته التي تحمل أفكاره واهتماماته ، وأنّ من مقتضى رسالته : " ان ينخرط في ميثاق الخطاب الثقافي . أن يجعل المدّ الكوني العارم هماً من همومه وهاجساً يوقظ فيه الأوجاع الحضارية فيقضّ له المضاجع " .. ومما لا ريب فيه أن للمثقف رؤية عميقة واسعة وهو بهذه الرؤية الواعية المدركة يشارك أفراد المجتمع همومهم وشجونهم ، فيعبّر عن ضمير الأمة التي ينتمي إليها والأحداث التي تحيط بها. وفق التصورات المجدية التي تمليها عليه ثقافته وينميها ادراكه ليبلغ بها إلى المستوى اللائق بأمته في حياتها الثقافية والاجتماعية .

وعن أهمية الكتابة وعطائها كتب الدكتور عبد الملك مرتاض النص الآتي : " أنّا عالجنا اشكالية ما قبل الكتابة التي تستحيل إلى نص أدبي كان علينا أن نتوقف طويلاً لدى مساءلة الكتابة وعلاقتها بالنص ، وعلاقة النص بها وما الفرق بينهما ؟ وأنّا انتهينا إلى أن نقرر أن الكتابة أصل والنص فرع منها، وأن الكتابة هي الوجود والنص موجود فيها . أي أنها هي التي توجده تمنحه الوجود الفني . أنها هي فعالية وهو ذات وأنها هي حركة وهو سكون ، وأنها هي مظهر مجسد وهو شكل مجسد وأنها هي شيء بشيء وأنه هو مجرد مشيء بها، ولما كان النص ثمرة طبيعية لحركة الكتابة وعطائها اللغوي وتحليلها النسجي فقد كان لا مناص من أن نختصه بهذه الوقفة لنناقش ماهيته ، ثم نتوقف طويلاً لدى التعريفات التي عُرف بها في النظريات الغربية ، ونسعى إلى الخروج من كل ذلك بنص خاص ، ومما استخلصناه من مناقشاتنا ومساءلاتنا أن النص ليس هو الابداع وليس هو الكتابة ، فالكتابة هي الحركة المادية المصطّحبة بالتخيل والتفكر . بينما النص لا ينبغي له أن يكون – ذلك أمر مرفوض – إلاّ ثمرة من ثمرات هذه الحركة المتناهية التعقيد ".

ولا تقف الكتابة بمستوياتها الفكرية عند واقع محدود بل تشكل في ذاتها مادة حيوية تتصل بالفكر وترتبط بالثقافة ، وعلى هذا الأساس يقوم النص الابداعي باشعاع حيويته واتساع علاقته بالموضوع المكتوب ، وبالكتابة في مفهومها العلمي وأسلوبها الثقافي وصياغتها الفنية الأدبية . بحكم أنها تعبير عن ذات الكاتب وصورة من نفسه وترجمة أمينة لوجدانه وباعتبارها كذلك بمثابة جزء من ذاته .. وذلك على اعتبار أن له دوره الفاعل في تلقي الثقافات المتعددة القديمة والحديثة العربية منها والأجنبية ، ومزجها بما يبقي على جوهرها ويحافظ على ايجابياتها ويتخلّى عن سلبياتها ، ومعلوم أن الثقافات في واقعها عالمية ولها وضع مشاع بين البشر : كل يأخذ منها بما يتفق مع أوضاعه ويتلاءم مع طبيعة مجتمعه ، ثم يعمد بعد عملية المزج الثقافي إلى وضعها في قالب مناسب ، وفي صياغة أسلوبية متألقة تتوافر فيها إلى جانب الفكر جاذبية لدى المتلقي عندما يجتهد في تلوينها بحسب الظروف الاجتماعية وطبيعة حياة الأمة الفكرية ، ويعمل على وضعها في الاطار الذي يبرز أهميتها ويحقق الافادة منها بقدر ما استوعبه الكاتب واشتملت عليه الكتابة .

☆ ☆ ☆

خصائص اللغة العربية ولماذا يجب تعلمها ؟

تأليف : الإستاذ محمد نعمان الدين الندوي
أستاذ دارالعلوم / حيدر آباد بالهند

نشـــر : مكتبة دار حسّان للطباعة والنشر والتوزيع بالجامعة الإسلامية دارالعلوم حيدر آباد بالهند

أهدى إليّ الأخ العزيز الأستاذ محمد نعمان الدين الندوي ، نسخة من كتابه المعجب المطيب "خصائص اللغة العربيّة ولماذا يجب تعلمها ؟ " وهو كتاب فريد في نوعه وغير مسبوق في موضوعه إلى حدّ علمي المحدود .

يقع الكتاب في ١٢٠ صفحة بالقطع الصغير المتداول كثيراً ، وأُخرِج إخراجاً أنيقاً رائعاً ، يطالع الأنظارَ غلافُه الجذاب فتؤخذ بـــه ، فيضـــطر القـــارئ أن يفتحـــه عاجلاً ويتصفّحه مســرعاً ، ويقـــرأه مبادراً ، فإذا الكتاب مطبوع طباعـــة توهمـــه أنها طبعة عربية جاءت من إحدى المكتبات المعنية بحسن الإخراج وإتقان الطباعة ، الحريصة على الروعة والجمال في مجال الإصدارات .

وإذا أنت أمام طائفة صالحة من الأقوال المأثورة، والشهادات الموثقة ، والوثائق المحالة على المصادر والمراجع ، كلّها تجعلك تثق بأنّ العناية باللغة العربيّة تعلّماً وتعليماً ، وتأليفاً وتدريساً ، وترغيباً وتحريضاً ، خدمة خالصة للدين والعقيدة ، وحسنة كبيرة من الحسنات التي تثقل الميزان وتدخل الجنان بإذن ا لله تعالى .

إنّ قراءة الكتاب تؤكد للقارى أنّ اللغة العربية ليست كلغة أخرى من لغات العالم ، وإنّما هي لغة مرضيّة لدى ا لله ، ومحبوبة عنده مفضّلة على جميع لغات الكون ؛ حيث اختارها دون غيرها لتكون وعاءً لكتابه الخالد المهيمن على الكتب السماوية كلّها ؛ ولتكون لغة نبيه الخاتم محمد صلى ا لله عليه وسلم ، ولتكون لغة شريعته الباقية ليوم القيامة التي من يبتغي غيرها شريعة وديناً فلن تقبل منه وهو في الآخرة لمن الخاسرين .

يصدر قارئ الكتاب عن قراءته متشبّعاً بالإيمان بأن الانقطاع إلى التعمق والتوسّع في اللغة العربيّة ، والتصدّى لنشرها في العالم ،

والعمل على إبقائها حيّــة منتعشة مؤديــة دورها في جميع مناحي الحيــاة ومنــاشط العمــل ، مسؤولية مشرفــة يجب أن يضطلع بهــا كل مسلــم مثقّف عيــور ، يعي بــأنّ الــدين الإسلامي المنزل على الرسول باللغة العربية لا يمكن تلقيه وفهمه والتشبّع بروحه والعمل به ودعوة الغير للعمل به والإقدام على تلقينه وتعليمه ، لا يمكن ذلك وغيره إلاّ إذا تمكّن المرأ من اللغة العربيّة.

يحلّي جيدَ الكتاب مقدمة قيمة حرّرها الأديب المطبوع ، سعادة الدكتور الشيخ عبد الله عباس الندوي المشرف التعليمي لدار العلوم ندوة العلماء بلكنؤ ، وأستاذ جامعة أم القرى بمكة المكرمة سابقاً .

وتتلوها مقدمة أخرى بقلم كاتب هذه السطور ، تحمل عواطف وأشواقاً فيما يتعلق بالعشيقة الغانية: اللغة العربية تحاكى الزفرات والأنّات والأحلام والتطلعات التي تتفجر من قلب العاشق الذي برّح به الشوق وأدرك مجالي الجمال ومفاتن الحب في الحبيبة الفاقدة المثال . فليقرأها القارئ في مكانها ليعرف بعض المعرفة بعض لذةَ الجوى وحرقة الحبّ القاتل ليزداد حنيناً للوصال ومصافحة الجمال.

يتوزّع الكتاب بين ثلاثة مباحث .
المبحث الأول في بيان خصائص اللغة العربية، وقــد اختــار المؤلف مـــن خصــائصها ١٥ خصيصة بارزة.

والمبحث الثاني يتحدث عن الصلة بين العربية والعلوم الإسلامية ، وقد ذكر في هذا الصدد أقوال الصحابة والأئمة الأعلام في التأكيد على تعلم العربية.

والمبحث الثالث يتنــاول ذكر دور السلف في العنايــة بالعربيــة وتقصير الخلف فيها . وتحدث في هذا الشأن عن الجهود التي بذلها السلف في تدوين اللغة ، وتأليف المعاجم ، ودواوين المفــردات ، وقــواميس الكلمات والتعبيرات .

وذيّلَ الكتابَ بالحديث عن المؤامرات التي نُسِجَتْ مــن أجــل محــاربة العــربية الفصحى، والقضاء عليها ، وتهميش دورها، وتحجيم عملها في إطار الكتابة والتأليف ، والخطابة والتثقيف .

ويطلب الكتاب من :

DARUL - ULOOM HYDERABAD
S. V. P. N. P. A.
HYDERABAD-500052
(A. P.) INDIA

أنبـــاء العـــالم الإســـلامي

فتوى شرعية

قبول التعويض عن أرض فلسطين من أكبر الكبائر

د . يوسف القرضاوي

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله صلى الله عليه وسلم .. وبعد .

يجوز للمسلم أن يبيع أرضه الخاصة المملوكة له بما يرضى من الثمن – إذا كان يبيعها لمواطن مثله ، كما يجوز له أن يتنازل عنها بمقابل مادي أو أدبي ، أو بغير مقابل – هبة أو صدقة أو نحو ذلك – إذا كان ذلك لمواطن مثله ... وذلك أن الأرض في هذه الحالة تنتقل ملكيتها من يد إلى يد ، ولكنها تبقى في مجموعها في دائرة الملكية العامة للأمة (أي في دار الإسلام) . ولم تنتقل ملكيتها إلى أمة أخرى بحيث تخرج من دار الإسلام إلى دار أخرى .

أما بيع الأرض أو التنازل عنها بأي تعويض – مهما علا – لأمة أخرى ، سواءً تمثل ذلك في دولة أم في أفرادها فلا يجوز بحال لأنه في هذه الحال يعطي باختياره من اغتصب منه هذه الأرض وأخرجه منها بالحديد والنار والدم . وبهذا تخرج الأرض الإسلامية من دار الإسلام إلى دار أعدائه .

لهذا فهو ليس مجرد حرام – بل هو من أكبر الكبائر التي تصل بمن يستحلها إلى الكفر الأكبر والعياذ بالله تعالى ... ويتضاعف الإثم إذا تم ذلك بصفة جماعية فهو بمثابة بيع شعب لوطنه في المزاد .. والأوطان لاتباع بملء الأرض ذهباً .. فكيف إذا كان هذا الوطن بلد المقدسات وأرض النبوات ، الأرض التي بارك الله تعالى فيها للعالمين .

ثم إن هذه الأرض ليست ملك صاحبها الذي معه ملكيتها وحده ، بل ليست ملكَ الشعب الفلسطيني وحده حتى يملك بيعها لو أصابه الوهن وقبل البيع .. بل هي في الواقع ملك الأمة الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها ، يجب أن تدافع عنها بالنفس والنفيس ؟ !

بل هي ليست ملك هذا الجيل وحده ، بحيث لو وهن وتهاون وقبل التفريط في حرماته ومقدساته، فلا يجوز أن يفرض وهنه وهوانه على الأجيال القادمة ، ولا يحل له بحال أن يتنازل عن أملاك تلك الأجيال وحقوقها وحرماتها لأعداء الأمة .

إن هناك تصرفات تجوز للأفراد بأشخاصهم ، وذلك فيما يتعلق بحقوقهم الفردية ، وشئونهم الخاصة .. أما التصرفات التي تتعلق بمجموع الأمة ومصيرها ومنها ملكية الأرض ، لا يملك فرد ولا أفراد ولا أحد حق التصرف ، أو التنازل عنها بحال من الأحوال .

إن الإسلام يفرض على المسلمين فرضاً دينيا مؤكداً إذا اغتصب جزء من أرضهم .. إي دخله أعداؤهم ، واحتلوه بالقوة، أن يقاتلوا لاسترداد هذا الجزء.. وطرد العدو منه ، مهما كلفهم ذلك .. ويعتبر هذا القتال شرعا "فرض عين" على أهل البلد ، رجاله . ونسائه، حتى إن المرأة لتخرج إليه بغير إذن زوجها، والابن بغير إذن أبيه، لأن حق الجماعة مقدم على حقوق الأفراد .

كما يجب على الأمة أن تقاتل إذا أخرجت من ديارها، وأن تقاتل لتعود إليها ، كما قال تعالى: "وَمَا لَنَا أَلاَّ نُقَاتِلَ فِيْ سَبِيْلِ اللّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائنَا " (البقرة / ٢٤٦) .

أما منطق الواهنين الذين يقولون : نقبل التعويض لأننا لا نملك القوة التي نسترد بها الأرض فهذا منطق أوهن من موقفهم نفسه ، ومن لا يملك القوة اليوم فقد يملكها غداً، وهو يملك أن يقول لا بملء فيه وبكل قوة ولا يتنازل عن أرضه، كما لا يتنازل عن عرضه، ويملك أن يعد العدة للغد، فإن الدنيا دول، ودوام الحال من المحال، والله سبحانه وتعالى يقر هذه السنة فيقول : "وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ" (آل عمران/١٤٠)

أما الجائز لا الواجب للاجئين الفلسطينيين فهو تعويضهم عن معاناة السنين الطويلة،أكثر من نصف قرن من الزمان عانوا خلاله هم وأبناؤهم وأحفادهم من عذاب الغربة والتشريد والضياع، مما يجعل لهم كل الحق في أن يعوضوا عما أصابهم من الأضرار والخسائر المادية والأدبية والنفسية والدينية من جراء التشريد والإخراج من الديار الذي جعله القرآن مع القتل في سياق واحد، إذ قال تعالى : "ولوْ أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم، ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيراً لهم وأشد تثبيتا" (النساء/٦٦) . لقد كسبت إسرائيل عشرات ، بل مئات المليارات من الماركات والدولارات وغيرهما من العملات تعويضاً عما أصاب اليهود فيما زعموا ، أو تعويضاً لإسرائيل عن بعض ما تعتبره تنازلا منها .

فلماذا لا يعوض اللاجئون الفلسطينيون المعتدى عليهم عن عذابهم ومعاناتهم ، وهم أحق بهذا التعويض وأهله ؟!

مفتي القدس:

الجنسية الإسرائيلية حرام شرعاً

جدد الشيخ عكرمة صبري – مفتي القدس والديار الفلسطينية، رئيس الهيئة الإسلامية العليا – في تصريح صحفي "التأكيد على حرمة الحصول على الجنسية الإسرائيلية؛ لما في ذلك من محاذير كثيرة: سياسية ودينية ، وقال : "إن حمل الجنسية الإسرائيلية يعني الاعتراف والإقرار بالقوانين الإسرائيلية، والولاء لدولتهم الدولة العبرية ".

وكان الشيخ صبرى يرد بذلك على أنباء نشرتها وزارة الداخلية الإسرائيلية الإثنين (١٤–٨–٢٠٠٠) مفادها أنه في النصف الأول من العام الحالي تقدم ١٨٣ مقدسيًا للحصول على الجنسية الإسرائيلية، مقابل ٩٨ مقدسيًا تقدموا للحصول على هذه الجنسية في نفس الفترة من العام الماضي. واستناداً إلى

كلية العلوم الدينية بالجامعة، حيث تمتع بقسط من الراحة. وبعد أن صلّى الجمعة بشق النفس تفضل في الاحتفال الذي كان قد عُقِدَ بمناسبة افتتاح جامعة جديدة حرة بمدينة "علي جراه" وتقلّد منصب رئاسة الاحتفال وجلس متكئا برهة وقُدِّمَت كلمة الرئاسة – التي كان قد كتبها نيابة عنه أحد تلاميذه، والتي أثنى عليها بالغا بعد أن قرئت عليه – وكان سماحته يحبّ أن يجلس ساعةً مزيدا، ولكن الأطباء ومحبيه رأوا أن ذلك يضرّبه، وذهبوا به إلى مقرّه وتولى مسؤولية رئاسة الاحتفال مكانه فضيلة الشيخ "عبد الباري الفرنكي محلي" وفي اليوم الثالث عاد سماحته إلى ديوبند

وآثر سماحته بهذه المناسبة خدمة الدين على صحته بوحي من عادته في مثل هذه المناسبات، وصبر على المكاره يبتغي فضلاً من الله ورضوانا. ولم يكن يستهدف من ورائه غرضاً سريّا في الدنيا، ولا كسب السمعة والشهرة فيما بين الناس.

فضيلته يعود إلى ديوبند

وأصرّ على فضيلته بجانب الطبيب الأنصاري والطبيب الشهير "أجمل خان" كبار الوجهاء والعلماء، ورجوه جميعا أن يتوجه بدل "ديوبند" إلى "دهلي" حيث يتلقى العلاج. ولكن الله بما أنه كان قد قدّر له أن يزور "ديوبند" مرة أخرى؛ فاعتذر فضيلته إليهم، وامتنع عن الذهاب إلى "دهلي" غير أنه ارتضى بذلك بعد أن لم تخفّ وطأة المرض، وأشار الناس عليه بهذا. وكان قد وصل إلى "ديوبند" راجعا من "علي جراه" في يوم السبت، وغادر إلى "دهلي" بعد أن أقام بديوبند أربعة أيام ولياليها يوم الأربعاء في ٢١/ صفر.

ويتمثل أمام أعيننا الوقت الذي خرج فيه سماحته من منزله، وأراد أن يركب المحفّة. فألقى على جدران المنزل نظرة يبدو أنها نظرة تحسر و لهف، ومكث مدة عدة دقائق واقفا بجوار المحفة، وبعد أن ركبها بقي لا يتكلم بشيء مدة خمس أو سبع دقائق، ثم صافح مَن كان يشيعه من المرضى وودّعهم الله.

وطأة المرض تشتدبه

ولم يكن هناك رجل يتفطن إلى أن سماحته سوف لا يتمكن من الرجوع إلى ديوبند بعد اليوم، إلا أنه كان يساير القلوب خطر موهوم يجعل الناس يقلِقون ويزيد من ألمهم واضطرابهم. وكان القلوب يؤلمها كثيرا أن سماحته مع ما به من ضعف شديد وطعن في السن يفارقهم، وتفيض الأعين حزنا على فراقه. وأخيرا حمل الأوفياء من تلاميذه العلماء المحفة على أكتافهم، وتوجهوا إلى محطة المدينة. وبذلك فَقَد أضاع منزل الشيخ "ذوالفقار علي الديوبندي" ربيعه الديني وبهجته الروحانية للأبد. فإنا للّه وإنا إليه راجعون.

في طريق إلى دهلي لتلقي العلاج

وصحب سماحته إلى المحطة جمع كثير من أهالي المدينة، وبقي الناس جميعا يصافحون فضيلته ويقبّلون يديه حبّا فيه واحتراما له إلى أن غادر القطار المحطة. وتمّ إركاب سماحته القطار بكل راحة وطمأنينة، وكان يصحبه في سفره هذا أخوه الأصغر الشيخ الطبيب "محمد حسن" والخاصة من خدام سماحته وأصحابه. ومشى القطار من محطة "ديوبند" في الساعة الحادية عشرة نهاراً، وودّع فضيلته مدينته الأم "ديوبند" للأبد. وكان وجهه حينذاك ينمّ عن آثار الحزن والأسف بجانب الضعف.

في منزل الطبيب الأنصاري

وإن كان بمدينة "دهلي" كثير من وجهائها الأثرياء يرغبون في أن يقيم سماحته ورفقته بمنازلهم، ولكنه كان قد قُدِّرمن اللّه العزيز الحكيم أن يسعد بإراحة فضيلته وعيادته لآخر مرة في حياته الطبيب الأنصاري، كما كان يسعد بذلك من ذي قبل. وذلك لأن الطبيب هو الذي

النائب حاتم عبد القادر فإن المعطيات الفلسطينية تشير إلى أنه من بين ٣٠٠ ألف مقدسي فإنه لم يحصل على هذه الجنسية سوى ٥٠٤ مقدسي ... معتبرًا أن الحديث الإسرائيلي عن أن أعدادًا كبيرة قد حصلت على الجنسية مبالغ فيه، ودعا الفلسطينيين إلى عدم الانجرار وراء الحملات الإسرائيلية التي تهدف أولا وأخيرًا إلى تهويد القدس .

وقال عبد القادر . "إسرائيل تريد من وراء ذلك تثبيت احتلالها للقدس، وعلى المقدسيين أن يؤكدوا عروبة هذه المدينة، هذا ليس واجبا وطنيا فقط، وإنما واجب ديني".

(رسالة الإخوان اللندنية ، العدد ٢٠٠)

بمناسبة الذكرى الـ "٣١" لحريق الأقصى

الرابطة تدعو لمؤتمر إسلامي من أجل القدس

طالبت الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة الأمة الإسلامية بمتابعة قضية القدس الشريف والمسجد الأقصى المبارك، وأكدت ان المسجد الأقصى المبارك وما حوله ملك للمسلمين لا تجوز ولاية غيرهم عليه وعلى مدينة القدس التي تحتضنه، واعربت عن اسفها الشديد لاستمرار اسره والعدوان الاسرائيلي بأشكاله المختلفة عليه ومحاولة سلبه وبناء معبد يهودي في ساحته واستمرار احتلال اسرائيل للقدس الشريف، ودعت الى تضافر الجهود الإسلامية والدولية لانقاذ المسجد الأقصى ومدينة القدس الشريف وتحريرهما من السيطرة الإسرائيلية واشكال الاعتداء الصهيوني .

جاء ذلك في بيان اصدره معالي الدكتور عبد الله بن صالح العبيد الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي قال فيه: تمر في هذه الأيام الذكرى الحادية والثلاثون لإحراق المسجد الأقصى المبارك الذي اشعل الصهاينة النيران فيه لإحراقه في الحادي والعشرين من اغسطس عام ١٩٦٩م وعلى الرغم من هذه السنوات الطويلة التي شهدت تغييرات سياسية جذرية في العالم فان السياسة اليهودية تجاه المسجد الأقصى لم تتغير كما ان العدوان على الأقصى واغتصاب ما يحيط به من اراض عربية وأوقاف اسلامية مازال مستمرا.

وقال: ان للمسجد الأقصى المبارك مكانة كبيرة في قلوب جميع المسلمين كما ان له قدسية عظيمة لأنه أولى القبلتين و ثالث المساجد التي تشد إليها الرحال، وندد معاليه بانتهاك السلطات الإسرائيلية وعصابات الاستيطان الصهيونية لهذه القدسية بما تقوم به من اجراءات واعمال عدوانية مستمرة ضد هذا المسجد والتمهيد لهدمه واقامة هيكل سليمان المزعوم مكانه بالاضافة إلى المخططات المطروحة لبناء معبد يهودي في ساحته .

وأوضح : ان السلطات الاسرائيلية استولت خلال الاعوام الاخيرة على معظم اراضي الوقف المحيطة بالمسجد الأقصى كما استولت على المقابر الإسلامية بحجة توسيع الطرقات وتحديثها في القدس الشريف كما قامت باجراء الحفريات الضارة تحت بنيان المسجد ومنها الانفاق الخطيرة التي تعرضه للسقوط والانهيار، وبَيَّن معاليه : ان اسرائيل مازالت حتى الآن تسير في سياستها ضد قرارات الامم المتحدة التي اقرت بأن القدس المحتلة جزء من فلسطين وهي جزء من الأراضي التي احتلتها اسرائيل عام ١٩٦٧م والتي لا يجوز العبث بأراضيها وتغيير معالمها الجغرافية وأوضاعها السكانية .

وحذر معاليه من استمرار السلطات الاسرائيلية في العدوان على القدس الشريف والاستمرار في تهويدها بازالة معالمها الإسلامية وشمول هذا العدوان للمسجد الأقصى المبارك وما يجاوره من مواقع تابعة لأوقافه مشيرا إلى ان السلطات الإسرائيلية المحتلة لم تلتزم بما قرره المجتمع الدولي بشأن مدينة القدس وما فيها من مقدسات وعلى رأسها المسجد الأقصى الذي نصبت فيه المذابح الدموية بعد إحراقه مرات عديدة، مشيرا إلى أن السلطات الإسرائيلية تنفذ مشروع القدس الكبرى مصرة من أجل هذه الغاية العدوانية على استكمال اجراءات التهويد وبناء المزيد من المستوطنات اليهودية حول القدس واحلال المزيد من المستوطنين اليهود مكان السكان الاصليين بعد اغتصاب املاكهم وتهجيرهم وطردهم من اراضيهم تمهيدا لما يخططون له بجعل القدس عاصمة الدولة العبرية وبَيَّن : ان رابطة العالم الإسلامي تتابع جميع هذه الاجراءات العدوانية بألم شديد وهي تحذر من استمرار هذا العدوان على القدس واستمرار أسر المسجد الأقصى الذي يعتبر عدواناً على جميع المسلمين في انحاء العالم.

ونبه معاليه إلى خطورة دعوة اسرائيل دول العالم لنقل سفاراتها الى القدس الشريف وقال: إن الاستجابة لهذه الدعوة الاسرائيلية تمس مشاعر جميع المسلمين في العالم لأنها مشاركة في العدوان على القدس وما فيها من مقدسات، ودعا جميع دول العالم على إحقاق الحق على إعادة القدس والمسجد الأقصى للمسلمين.

ودعا معاليه إلى عقد مؤتمر إسلامي عالمي من أجل القدس والعمل على انقاذها تشارك فيه حكومات الدول الإسلامية والمنظمات والهيئات الإسلامية الشعبية معبراً عن أمل الشعوب والمنظمات الاسلامية المتمثلة في الرابطة بأن يحقق العمل الإسلامي الرسمي والشعبي المشترك ما تصبو إليه نفوس المسلمين بشأن عودة القدس والمسجد الأقصى المبارك للحوزة العربية والإسلامية وأكد معاليه أن عقد مثل هذا المؤتمر يؤكد على إسلامية قضية القدس وارتباطها بجميع المسلمين على الإطلاق.

(العالم الإسلامي ، العدد: ١٦٦٣)

" بجرانغ دال " تنوي تحميل كل هندوسي سلاحا مقدسا لديها

إعداد : الأخ فهيم الدين البجنوري القاسمي

إنّ منظمة " باجرانغ دال " أي جيش بجرانغ - وبجرانك اسم أحد آلهة الهنادك - كانت قد تأسّست عام ١٩٨٤م عندما كانت مدن الهند وقراها تشهد تصاعد حركة "راما جنام بهومي" أي حركة تحرير مسقط رأس راما ، والشباب التابعون لمنظمة "وشوا هندو بريشاد" أي المجلس الهندوسي العالمي، ومنظمة R.S.S. كانوا يهتفون بالإحيائية الهندوسية . وكسبت المنظمة شعبيّةً شاملةً فور هدم المسجد البابري ، وازداد عدد " المتطوعين الهندوس " بشكل غير مسبوق .

والجدير بالذكر أنّ المنظمة حينما نجحت في إقامة فروعها في ٥٤٤ مديرية في البلاد وتمكنت من إقامة ٧٨٤ مركزاً ، عيّنوا مسؤولاً كبيراً لعموم الهند ، وقرّروا أن يشرف المسؤول على المنظمة ، وأن يقوم بنشاطاته تحت رعاية أمين عام المجلس الهندوسي العالمي.

هذا ومعظم متطوعيها، ينتمون إلى مناطق ريفية ويمثلون طبقة الهندوس الوسطى. ووظيفة فروع المنظمة هي تدريب الشباب على النضال من أجل الدفاع عن الهندوسية .

فإنّهم أولاً يحلّفون الشباب المتوجهين إلى الفروع، ويأخذون منهم الميثاق على أن يقفوا حياتهم على الهندوسية، ويتفرغوا لها تفرغاً كاملاً، ثم يُسَلَّمُ إليهم رماح حادة للغاية، تعرف لديهم بـ " ترشول" وقد سبق أن استخدموا هذه الرماح " ترشول " لإبادة المسلمين بمناسبة هدم المسجد البابري عام ١٩٩٢م .

وفيما بعد هدم المسجد البابري خفّت ثائرة "بجرانغ دال" لحد مّا لبعض الوقت لأنّها كانت قد واجهت الحظر على نشاطاتها بعد هذا الحادث .

وفي عام ١٩٩٦م اتجه الغضب الهندوسيّ إلى المسيحيين واستهدفوا نشاطات المبشرين. وجاء هذا التغير نابعاً من فكرة الأستاذ "غولوالكار" التي جاء فيها: أن للهند ثلاثة أعداء، المسلمون، والمسيحيون، والشيوعيون، وقد تم زرع الخوف والذعر في أعماق قلوب المسلمين، حتى عادوا يشعرون بالضعف والخذلان، وكان الشيوعيون قد اسْتُهْدِفُوا من قبل فلم يجدوا عدواً سلم من عدوانهم إلا المسيحيين، وظناً منهم أن المسيحيين يُعملون الطمع لاجتذاب الهنادك إلى ديانتهم فجّروا موجة العنف في ولايات "غوجرات" و "آندرابراديش" و "مهاراشترا" و "اترابراديش" ضد المسيحيين، واستهدفوا الآن مرة أخرى المسلمين من جديد، والظروف الراهنة جعلت المنظمة تتمتع بروح قوية جداً. ونواياها العدوانية قد بلغت حداً أحدث البلاد تسمع فيه صوتَ حرب أهلية في مختلف مناطقها ويظهر من محاولة "بجرانغ دال" المجلس الهندوسي العالمي، لتسليم الرماح "ترشول" إلى كل هندوسي، والبندوقية إلى كل شاب هندوسي، أن "أسرة سينغ" تستعد من جديد لدفع البلاد إلى نار حرب "مهابارتا" حيث إن الشباب الهندوسي سائر على هذا الدرب بخطى حثيثة .

(صحيفة "نئي دنيا" الأسبوعية، دهلي الجديدة، العدد ٨ السنة ٢٩)

لمحة خاطفة عن بجرانگ دال

يعود تاريخ نشأة "بجرانغ دال" إلى ٨ من أكتوبر عام ١٩٨٤م، وذلك في مدينة "أيوديا" .

وفي ٢٩/ مارس ١٩٨٥م شهدت تشكيل كتائب انتحارية بهدف تحرير "راما جنام بهومي" أي مولد "راما".

وفي ١٤/ فبراير عام ١٩٨٦ وصفت الاضطراب الطائفي المتفجّر من أجل تحرير مسقط رأس "راما"، بأنّ عاطفة الثأر لدى الهندوس هي التي تشكلت اضطراباً.

وفي ١٤/ أكتوبر ١٩٨٨م أعلنت بتلحين ترنيمة "هانومان حاياسا" في المسجد الجامع الملكي بدهلي.

وفي ١٣/ يوليو عام ١٩٨٩م بدأت برنامج "شكتي دكشنا" أي التضحية بالقوة لغرض تصعيد نشاطاتها.

وفي ٣٠/ أكتوبر إلى الثاني من نوفمبر ١٩٨٩م حاولت هدم المسجد البابري محاولةً فاشلةً، وقامت بـ "كارسيوا" أي بالعمل التطوعي من أجل إنشاء معبد راما.

وفي ٧/ نوفمبر ١٩٩١م قام المتطوعون الثائرون بالهجوم لتحرير "راماجنام بهومي".

وفي ١٩٩١م أُقِيمَ معسكر في "ساركيج" بولاية "غوجرات" بهدف تدريب شباب "بجرانغ دال" على إطلاق الأسلحة .

وكان قائد "بجرانغ دال" في طليعة هادمي المسجد البابري في ٦/ ديسمبر عام ١٩٩٢م .

وفي ٢٠-٢١/ يناير عهدت "بجرانغ دال" بعرض الحظر على الذبايح في مجازر "إله آباد".

وفي عام ٨/ أبريل ١٩٩٨م قامت في البلاد كلها بحركة الحظر على أضاحي البقر بمناسبة عيد الأضحى.

وفي عام ١٩٩٨م شنت هجوماً على عرض رسوم الرسّام المعروف عالمياً "فداحسين" وقامت باحتجاج في البلاد.

وفي عام ١٩٩٩م قامت بالهجوم على قاتل المسيحيين ومؤسساتهم في "دانغر" بولاية "غوجرات"

وفي عام ٢٠٠٠ شهدت ولايات "أترابراديش" و "آندارا براديش" و "مهاراشترا" هجوماتٍ متواليةً على الأساقفة .

وفي مايو عام ٢٠٠٠م شهدت البلاد بالإضافة إلى "كارسيوا فورم" بـ "أيوديا" في مناطق عديدة إقامةَ معسكرات لغرض التدريب على استخدام الأسلحة النارية.

مسؤولية مراقبة المسلمين ستتولاها الآن "بجرانغ دال" بدل الحكومة

من الحقائق التي لا تُنْكَرُ أن الهندوس بما فيهم قوّاد منظماتهم يرون اليوم أنّه لابدّ من مراقبة أعمال المسلمين، ونشاطاتهم اليوميّة، ولكن يظهر لهم أنّ الشرطة الحكومية، والمصالح الرسمية، وسلطات الأمن والاستخبارات لاتكفي للقيام بهذه المهمة بشكل أحسن لأن المصادر الرسمية، رغم آلاف من مساعيها لم تستطع بعد أن تورّط حتى مسؤولٍ عادي، عن المدارس والمساجد التي تقع في المديريات الحدودية في نشاطات استخبارات ".I. S. I"، فضلاً عن أن تورّط فيها قائداً ذا مكانةٍ، أو مؤسسةً أو منظمةً إسلاميةً. مع أن تلك المدارس ظلت منذ فترة طويلة مستهدفةً من قبلهم .

ومن هذا المنطلق اضْطُرَّ وزير الداخلية الهنديّ خلال حديثه في مجلس الشعب الهندي إلى الاعتراف بأنّنا لم نتلقَّ أيّ شهادة تدل على تورط مدرسةٍ أو مسجدٍ من بلادنا في نشاطات " I.S.I " .

الأهـداف :

الآن ستتابع اللجان الأمنية المتفرعة من "بجرانغ دال" المتزايدة عن ٥٠٠٠، نشاطات المسلمين، البالغ عددهم مائتي مليون في أنحاء البلاد، وهذه اللجان إلى جانب مراقبة نشاطات المسلمين طوال النهار والليل ستتخذ إجراءات ضدهم إذا دعت الحاجة إلى ذلك

وقد بدأت هذه اللجان الهندوسية القيام بهذه المهمة في شتى مناطق البلاد، وأخذ متطوعو "بجرانغ دال" يصرفون هممهم في هذه الأيام إلى جمع تفاصيل نشاطات " I.S.I " ، التي تقوم بها في داخل الهند - فيما يزعم الهندوس - سيما يتلقى الشباب، التدريب على استخدام الأسلحة النارية. في معسكرات أُقِيمتْ في مختلف مناطق البلاد.

وحسبما أفاد به الزعيم الهندوسي " أو باكا باولي" أنّ معظم اللجان الأمنية التي شكِّلتْ في المرحلة الأولى قد تمّ تشكيلها في المديريات الحدودية حيث تزايدت نشاطات استخبارات باكستان.

وأوضح رئيس "بجرانغ دال" أنّ هذه اللجان الأمنية ستعمل على ثلاثة مستويات مستوى القرى، ومستوى المديريات، ومستوى الولايات، وكل لجنة ستتكوّن من ٥ إلى ١١ فرداً وأكثر أعضائها يشكلون ضبّاط وموظفي الحكومة المتقاعدين.

والجدير بالذكر أنّ هذه المنظمة الغاشية المتعصبة في العالم، ستقوم بهذه المهمة واضعةً في اعتبارها ستَّ نقاط، تناولتها مناقشة اجتماعها الاستثنائي، الذي كان قد عقد قبل أربعة أشهر في مدينة "براندابن" (Brinda Ban) .

إنّ المجلس الهندوسي العالمي يرى أنّ نشاطات " I.S.I " تظهر في الأغلب على أيدي ضباط الحكومة الخائنين، والعصابات المشاغبة، وتجار المخدرات، والأجانب الذين أقاموا في البلاد بطريق غير شرعي، والمتسللين البنجلاديشيين، ويشكل المسلمون بين هؤلاء نسبة ٨٪

هذا وقد أعلن متحدثٌ باسم "باجرانغ دال" أنّ شبابهم لا يتابعون نشاطات المسلمين فقط بل إنّهم إلى ذلك سيتخذون إجراءات عملية إذا دعت الحاجة إلى ذلك، لأن مسلمي الولاية يسافرون من حين لآخر إلى غرب آسيا - الدول الخليجية العربية - وباكستان في سهولةٍ وبدون رقابةٍ، وهناك يقومون بمؤامراتٍ ضد البلاد .

وأضاف : إنّنا سنراقب الآن بشدةٍ هواتف المسلمين، ومحلاتهم التجارية، وفنادقهم، وبذلك سنطلع على خطواتهم الخطرة، ثم لن يمنعنا أيّ شيء عن اتخاذ الإجراءات ضدهم، وحسبما أفاد المتحدث أنّه ستبدأ لجان "بجرانغ دال" الأمنية مراقبة أعمال المسلمين اليوميّة في كل مناطق "أترابراديش" إلى ديسمبر القادم .

وأردف قائلاً: إن ولاية "أترابراديش" قد أصبح اليوم

مصدر نشاطاتٍ ضد البلاد، ويقوم بها المسلمون في ظل جماعة الدعوة والتبليغ أيضاً .

بعد زيارة مناطق "سورات" المنكوبة بالاضطرابات "جمعية العلماء" تشكل لجنة قانونية لمحاكمات قانونية:

قام وفد لجمعية العلماء بزيارة لمناطق منكوبةٍ بالاضطرابات في مدينة "سورات" ووزّع الوفد موادّ الإسعاف لإعادة و إسكان المنكوبين، وصرّح الوفد أنّ اضطرابات "سورات" جاءت نابعةً من مخطط مدبّر سابقاً.

وأضاف أن منظمات " RSS " الفرعية قد شنّت هجوماً عنيفاً بهدف القضاء على الأقليات اقتصاديًا وسياسيًا، ومن المؤلم والمؤسف: أنّ الهجوم كان مؤيداً من العناصر الطائفية الموجودة في المصالح الحكومية ورجال الشرطة. وبما أنّ معظم مسلمي "غوجرات"، يعملون تجاراً فتحاول العناصر الطائفية بشكل كامل أن تجعلهم متخلفين إلى حد ممكن.

هذا إلى أنهم قد أحرقوا خلال اضطرابات مدينة "سورات" ممتلكات المسلمين التي يُقَدَّرُ ثمنها بالملايين، ونهبوا محلاتهم ومعارضهم، ومنازلهم وبضاعاتهم، ومراكبهم وسياراتهم، بالإضافة إلى أنّهم اتهموا أبناء الأقليات بأنّهم عملاءٌ لاستخبارات باكستان، ثم ضربوهم وأطلقوا عليهم الرصاص، واستهدفوهم في جميع القطاعات، من المتاجر والمحلات، والمصانع، والمعامل، ولم يتركوا حتى الشيوخ والضعفاء والمعاقين.

وقد طالبت الجمعيةُ الحكومةَ بأن تتخذ خطوات رادعة لاستدراك ماتكبدته الأقليات من الخسائر في الأرواح والممتلكات، وأن تمنح التعويضات الكافية للمنكوبين حسب ما قضت بذلك مختلف محاكم الهند، وأن تمنع العمليات الاستفزازية.

وأضاف الوفد : إن الجمعية شكلت لجنةً إسعافيةً لغرض إعادة و إسكان المنكوبين بالإضافة إلى تشكيل لجنة قانونية بهدف القيام بإجراءات المحاكمات القانونيّة.

(صحيفة "قومي آواز" العدد ٢٠٥، السنة ٢٠٠)

أشوك سنغل :

إننا نشكر لـ "نارا سيمها راؤ" على أنّه أتاح لنا فرصةً كافيةً لبناء معبدٍ موقتٍ بعد هدم المسجد البابري.

صدر بيان من قبل "أشوكا شينغال" القائم بأعمال رئيس المجلس الهندوسي العالمي، وكان يتحدث إلى مؤتمر صحفيّ ، يقول البيان :

إن قرار العلماء والمشايخ الهندوس لا يعتمد على الحكومة، وإنّ قوتهم قوة الديانة وقوة تأييد الملايين من الهندوس المحبين لراما، وليّس في قدرة أحد في العالم أن يحول دون بناء معبد راما إذا اتخذ هؤلاء الشيوخ الهندوس قراراً لإنشاء المعبد، وندعو الأحزاب السياسية أن لا تحاول العبث بأمن البلاد بجعل المسلمين فريقاً في هذه القضية.

وخلال حديثه تناول كلاًّ من "ملائم سينغ" و "كاليانا سينغ" و "نارا سيمها راؤ" بانتقاد بالغ. وضمن الرد على سؤال حول هدم المسجد البابري، انتقد رئيس الوزراء إذ ذاك "نارا سيمها راؤ" وقال هل كان يتجاسر على ذلك ؟ بل إنّه كان قد هدّدنا بذلك. نعم، إننا نشكره على صنيعه بشأن إتاحته لنا الفرصة لإقامة بناء موقت لمعبد راما.

وأضاف "سينغال" أن حركة بناء معبد راما ظل الشيوخ الهنادك يرعونها، وهم وحدهم اتخذوا جميع القرارات حتى الآن ولم تكن وظيفة المجلس الهندوسي العالمي إلا تطبيق هذه القرارات.

واستطرد قائلاً : إن المجتمع الهندوسي في البلاد كلها بما فيه الشيوخ الهندوس يحرصون جداً على إنشاء المعبد. لذا نعلن اليوم بأنّه ستتم عملية نحت الأحجار التي سَتُسْتَخْدَمُ للدور الأرضي للمعبد، إلى مارس القادم، وسيُعْلَنُ عن برنامج جديد في عام ٢٠٠١م بعد اجتماع المشايخ الهندوس، وسيحضره الشيوخ الهندوس من جميع أنحاء البلاد، وبعد ذلك ينفّذ المجلس الهندوسي العالمي الخطة وفق هذا الإعلان.

وقال بلهجة مريرة إن المهاجم الأجنبي "محمود غزنوي" كان قد هدم معبد "سومنات" في القرن الحادي عشر، وكان مجلس الوزراء الأول بعد استقلال البلاد قد اتخذ قراراً لبنائه، وكان "المهاتما غاندي" قد قام بتشكيل لجنة مستقلة لهذا الغرض، و حُرِّرَ المعبد من المعالم الإسلامية. فلا يُنْسى أن ظروف "أيوديا" اليوم عين ظروف ذلك المعبد، ولكن الأحزاب السياسية المزعومة تريد أن تحول دون البناء، وأن تعقّد القضية تظاهراً بحماية المسلمين .

وأردف قائلاً : إن المهاجم الأجنبي "بابر" كان قد قام ببناء المسجد البابري بعد هدم معبد راما، في عام ١٥٢٨م، ولكن للأسف أن عدة أحزاب سياسية تحاول اليوم أن تكدّر أجواء البلاد في التملق للمسلمين.

بينما يمكن أن تخلق القضية الودّ بين الهندوس والمسلمين.

وأكد أنّه يمكن بدأ عهد جديد للوئام والودّ إذا سلّم المسلمون المسجد البابري ومصلى مدينة "متهورا" و "مسجد غيان وابي" في مدينة بنارس، إلى الهنادك.

(صحيفة "راشتريه سهارا"، دهلي الجديدة العدد: ٤١٤، السنة: ٢)

الإساءة إلى القرآن الكريم

في مديرية " مراد آباد " بولاية " أترا براديش "

إعداد الأخ محمد أحمد السيتامرهي القاسمي

هاجمت شرطة المخفر بقرية " بهوحفور" التابعة لـ " مراد آباد" – إحدى مديريات ولاية " أترا براديش " بالهند – على منزل امرأةٍ تُدْعىَ بـ " أكبري بجوم" ، في قيادة " إيه ، بي سينغ" ضابط المخفر– بهدف إجراء التحقيقات في قضية ، وذلك في ٢٦/ يناير من عام ٢٠٠٠م . فوجّه أهل القرية إلى هذا الضابط، التهمةَ بأنه قد ارتكب الإساءة إلى القرآن الكريم، خلال عملية الهجوم . وقاموا باحتجاج على ذلك الحادث، وطالبو المستر "بوشن كمار" المراقب الأعلى للشرطة (Senior Superintendent Police) بتوقيف الضابط الخاطيء عن الوظيفة، ولكن المستر "بوش كمار" عيّنه مسؤولاً عن العلاقات الشعبة (Public Relations Ofeicer) بعد تنحيّته عن منصبه في المخفر، بدل توقيفه عن العمل تماماً، عقاباً عليه. فاعتبر ذلك عدد من الشخصيّات البارزة والجمعيّات الإسلاميّة المحلية ، عقاباً لا يكفي ولا يساوي الجريمة العظيمة في شيء. وطالبوا "لجنة حقوق الإنسان الوطنيّة" بإجراء التحقيقات في القضية، والتنكيل الشديد بالجاني.

(صحيفة "راشتريه سهارا" الأردية اليومية/ دهلي الجديدة، العدد ٤٠٩، السنة ٢)

منظمة "بجرانغ دال" الهندوسية المتطرفة تتخذ خطةً استفزازيةً لمتابعة نشاطات المسلمين في الهند

قامت منظمة "بجرانك دال" بتدبير الخطة المثيرة للقلق من جديد، لأجل مراقبة نشاطات المسلمين في أرجاء البلاد. وصرّح "رميش مني دكشت" – المسؤول الكبير عن المنظمة لعموم ولاية يوبي – في لقاء أجراه مع مراسلي الصحف: "أنه ستُشكّلُ لجان أمنيّة في كل قريةٍ في جميع مديريات الولاية، بهدف الرقابة على الفنادق القريبة من قرى المسلمين، ومراكز التليفون، التي تُستخدَمُ وسيلة للاتصالات الهاتفية بدول الخليج العربي، والمؤسّسات التعاونية غير الحكومية، التي تقدّم المساعدات لصالح المدارس الإسلاميّة العربيّة، وستتابع هذه اللجان تحركات القاصدين لزيارة الأضرحة، والمتوجّهين إلى الدول الإسلاميّة بما فيها "باكستان". ووصف المستر "رميش" انتشارَ المدارس الإسلاميّة – التي يتزايد عددها باستمرارٍ – في أرجاء البلاد، بخطر داهم للهند. كما اتّهم المدارس الإسلاميّة الواقعة قرب الحدود الهنديّة النيباليّة، بأنّها متعاونة مع مصلحة "آئي، ايس، آئي (I.S.I) الباكستانيّة، إلاّ أنه لم يقدر على تقديم أيّ دليلٍ يصدّق تهمته .

وتجدر الإشارة – هنا – إلى أن "إيل، ك، إيدفاني" – وزير الداخليّة الهنديّ الحاليّ – الذي يُعرفُ بتوجُّهاته العنيفة ضد كلّ شيء ينتمي إلى الإسلام والمسلمين – قد اعترف – منذ شهورٍ – في البرلمان الهنديّ، بأن الحكومة الهنديّة لم تعثر بعدُ على دليلٍ مّا يؤكد أن المدارس الإسلاميّة متورطة في أيّة نشاطات معادية للبلاد، أو فيما يحرّكها بشكلٍ من الأشكال، بإيعاز من مصلحة "آئي، إيس، آئي" (I.S.I) الاستخبارات الباكستانيّة .

(صحيفة "راشتريه سهارا" الأردية ، دهلي الجديدة ، العدد ٤٢١، السنة ٢)

محاولة القضاء على اللُّغة الأرديّة، في ولاية "أترابراديش"

لا تزال تُطْلَق – هنا – محاولات متواصلة من قبل أجهزة الحكومة الإقليميّة، لتحويل المدارس الأرديّة الرسميّة إلى مدارس هندوسيّة؛ حيث تُختَصُّ اللغة الهندوسيّة وسيلةً للتدريس، محلّ اللغة الأرديّة، بالعصا والجزاوات، في ناحية.

وفي ناحية أخرى، يصرّ الموظّفون المتخصّصون بقسم الدراسات الابتدائية، على دفع طلبة هذه المدارس الأردية الابتدائية، إلى استخدام اللغة الهندوسيّة، بدلاً من الأردية، خلال الاختبارات. ولا يتحمّلون "المشقة" لتقييد العلامات الاختبارية لمادّة "أردو"، كمادّة مستقلّة، في كشوف العلامات (Marks Sheets) غير مبالين بما تنصّ عليه مادة الرقم ٣٠/ من الدستور

الهندي، في هذا الخصوص، ضمن التصريحات بحقوق الأقلّيّات .

ويتم كل ذلك على مرأى من الزعماء والساسة "العلمانيّين"، الذي كانوا يرفعون أصواتهم لصالح "أردو"، مطالبين بحقوقها الشرعيّة، والذين جعلوا النضال المستمرّ لصالح الأرديّة قبل الانتخابات الإقليميّة أو البرلمانيّة، هدفهم الوحيد، حتى تحقّق لهم الفوز فيها، وتوصّلوا إلى كراسيّ البرلمان الهندي أو المجلس الإقليميّ، بفضل هذه اللّغة المسلوبة حقوقُها.

وممّا يبعث على غاية العجب أن هؤلاء المحبين للأردية يقفون موقف المتفرّجين، صامتين ساكتين. ولا أحد واحداً منهم أن يطيب نفساً بكسر الصمت، في هذا الصدد حتى الآن.

وازدادت حالة الأردية سوءًا، منذ اعتلاء القوى الأكثر عداوةً لها، مقاليد السلطة في الحكومة المركزية وولاية يوبي. وبعد ذلك لا تزال تُنْشَر كشوف علامات (Marks Sheets) شُطِبَتْ منها خانة تُقَيَّد فيها علامات مادة "أردو" .

وهناجانب سارٌّ ، وهو أن جميع محاولات القوى المعادية لهذه اللغة في سبيل القضاء عليها، قد ذهبت سدىً. وقافلة هذه اللغة – رغم مئات من العراقيل من قِبَلِ أعدائها – سائرة نحو آفاق رحبة من النهضة والتطور، وأن اللغة لا تزال تنمو و تترعرع بسرعة فائقة، في البلاد كلها، حتى في مثل ولاياتِ "مهاراشترا" و "كرناتكا" و "آندرا براديش" أيضا. وذلك بحَوْلِ الله – عزّ وجلّ – وبفضل المدارس الإسلاميّة الأهليّة ، التي تحتفظ بحياة هذه اللغة، وتضخّ إليها دم الحياة الطازج، وتجدّد انتعاشها، باستخدامها كوسيلة أساسيّة للتدريس؛ لذلك قد أصبحت شوكة في أعينهم. لأجل ذلك بدؤوا يهجمون عليها بعنفٍ، ضمن هتافات خلاّبة مجاراة العصر، بعد تخطيطٍ دقيقٍ، وجعلوا يرفعون الأصوات لإجراء تعديلات على مقرّراتها الدراسيّة ؛ لتحلّ الإنكليزية محلّ اللغة الأردية والعربية وإنما يستهدفون بذلك كله، طمسَ معالمِ الإسلام والمسلمين عن هذه الديار، وامتصاصَ آخر قطرة – أيضاً – من دم الاسلام الجاري في عروق الشعب المسلم؛ كي يعود متنكّراً للإسلام، كما حدث مثل ذلك، في الماضي، في "أسبانيا" و "تاشقند" و "سمرقند" و "بخارا" .

("الجمعية" الأردية الأسبوعية، "دهلي الجديدة" العدد ٣١، السنة ١٣)

"جمعية علماء الهند" تعبّر عن قلقها البالغ ، تجاه سياسة حكومة "فاجبائي" الموالية لـ "إسرائيل"

قد أثارت الزيارة التي قام بها مؤخراً "إيل، ك، إيدفاني" وزير الداخلية الهندي لـ "إسرائيل" ، والتصريحات التي أدلى بها في غير شعور بالمسؤولية، لدى العالمين العربيّ والإسلاميّ قلقاً بالغاً، مما وجّه سياسة البلاد الخارجية إلى نقطة انعطاف تشكّل خطراً كبيراً لها .

و"جمعية علماء الهند" ترفض جميع ما تبذله حكومة الهند الحالية" من الجهود المتواصلة من أجل إقامة العلاقات مع إسرائيل – التي تحمل نوايا عدوانية خبيثة ضد الشعب المسلم العربيّ ظلت تتظاهر بها دائماً؛ كما يشهد بذلك كلُّ ما قامت به عبر أعوام ١٩١٧م إلى ١٩٤٨م، و ١٩٥٦، و ١٩٦٧، و ١٩٧٣م – حيث تحاول الهند إقامة علاقاتها مع إسرائيل في مجال الدفاع والتعاون على انتاج الأسلحة النووية، ومكافحة "الإرهاب الدولي" المزعوم. وتعتقد "جمعية العلماء" أن ذلك لا يتطابق بشكلٍ مع سياسة البلاد التقليدية القديمة. وتؤكد "الجمعية" أن مثل هذه الخطوات التي تتخذها الحكومة الحالية لا تزيدها إلاّ تباعداً عن الدول العربيّة والإسلاميّة الصديقة، التي ما زالت ولا تزال تؤدّي حق الصداقة كلّما تورّطت البلاد في المحن، وتمدّ إليها يد المساعدة كلّما طوّحت بها الطوائح، منذ الخمسين عاماً بعد لستقلالها عن نير الاستعمار الغربيّ عام ١٩٤٧م حتى اليوم .

و"جمعية علماء الهند" تبدي احتجاجها على تصريح أدلى به وزير الخارجية "جسونت سينغ" ، قال فيه : إن أكبر عقبات كانت تعترض سبيل إقامة العلاقات مع حكومة "إسرائيل" إلى اليوم هي محاولة الأحزاب السياسية المتعاقبة على السلطة في الماضي، إحرازَ أصوات المسلمين .

وتناشد "جمعية العلماء" جميع محبّي البلاد ، شعوباً و أفراداً، وجماعات و أحزاباً سياسية كانت أو غير سياسية، ولا سيّما الأحزاب السياسية المحلّيّة المتحالفة مع الحكومة المركزية والمساهمة فيها بأيّ شكلٍ كان، أن تقف جميعاً ضد الخطوات التي تتخذها الحكومة، وضدّ السياسات التي تلتزمها اليومَ ، كما تطالب أن تصمد في وجهها بقوةٍ، حتى لا تتعرض البلاد لخطر فيما يتعلق بسلامتها وأمنها وتقدّمها.

(صحيفة " الجمعية" الاردية الأسبوعية، دهلي الجديدة، العدد ٣١، السنة ١٣)

☆ ☆ ☆

بقية " إشراقة " المنشورة على ص ٤٨

وفي الوقت نفسه يجوز أن يكون ضعيفاً في اعتقاده الواقعيّ بأنّه تعالى هو القويّ القاهر فوق جميع الأشياء في الكون ، فيجوز أن يعتقد أن شخصاً بعينه أو شيئاً بعينه يضرّ وينفع بصورة من الصور .

إذا كان الإيمان بفعل القوة يوجد زائداً وناقصاً حتى لدى الخاصّة ، فما بالك بالعامّة الذين لم يقرؤوا ولم يفهموا كتاباً في الدين والعقيدة ، ولم يعرفوا الحلال والحرام في الشريعة ! ؟ .

تستيطع أن تحدد الذين يخضعون للقوة أكثر من خضوعهم لله ربّ العالمين ، في كل مجتمع تعمل فيه .. طبعاً إننا نحن العاملين في مجال التعليم والتدريس لا يُتَاحُ لنا الاحتكاكُ إلاّ بالموظّفين والمنسوبين والأساتذة والطلاب المتحركين في الأوساط الجامعيّـــة . وكم عشنا ونعيش الذين يؤمنون بسلطان القوة إيماناً لو آمنوا مثله بالله العظيم لكفاهم في جميع أمور المعاش والمعاد .

نتعرض كلَّ حين بمن نستطيع أن نصنّفهم – حَسَبَ التعبير القرآني – في خانة " المنافقين " أو في خانة " ذوي الازدواجيّة العمليّة " في تعبيرنا نحن . إنهم مسلمون بالأسماء وبما يتظاهرون به من العبادات الظاهرة والأعمال الصالحة المرئيّة ؛ ولكنهم " منافقون " أو " أولو ازدواجيّة " في التعامل مع الناس ؛ فهم يتعاملون مع أصحاب السلطان والنفوذ والقوة بغير ما يتعاملون به مع من لا يتمتعون برصيد من النفوذ والقوة وسند من السلطان وصلاحية لاتّخاذ القرار ؛ لأنهم يعلمون أن الشريحة الأولى تقدر على النفع والضر كلما شاءت ، والشريحة الثانية لا تقدر على ذلك بحال من الأحوال . رجل من أصحاب القوة والمنعة إذا اتّصل بمكتب في معهد تعليميّ فإنّ الموظفين المختصين يمتثلون أمره وينفّذون رغبته دونما تأجيل لثانية أو أقل. أما الرجل من دون أصحاب القوة والنفوذ ، فإنّه يملّ مراجعة المكتب ، ويتعب من المتابعة ، ويسأم تذكير الموظفين المختصّين بالأمر الذي قدم في شأنه طلباً منذ ستة شهور -- مثلاً – .

ليس الأمر مقصوراً على شأن خاص من الشؤون ، ولا على مكتب محدّد من المكاتب ، ولا موظف بعينه من الموظفين الكثيرين ؛ ولكنه شيء أصبح قاعدة عامّة ومبدءًا معمولاً به لدى الكل ، حتى في أوساطنا نحن رجال الدين والعاملين في حقل التعليم والتربية .

إنّ مراعاة " منبع القوة " و " نقطة النفوذ " والازدراء بـ " الضعفـاء " والمجـردين من القـوة والمحـرومين مـن " الصلاحيات " واستغلال " نقاط الضعـف " عـادت داءً عضـالاً يفتك بالمجتمع الإنسانيّ ، وجعلنا حتى أمثالنا نحن العاملين في مجال التعليم والتربية والأوساط الدينية نحتار في التوصّل إلى الدواء الذي يشفي دون إلحاق " أضرار جانبية " حيث إن مداواة مثل هذا الداء العضال المشار إليه

دونما تعرض لخطر " الأضرار الجانبية " قضيّة معقّدة للغاية .

إنّ الخضوع للقوة ، والصدور في كل قضية في الحياة عن مراعاة جوانب النفع والضرر ومواقع الخطر ، واستغلال كل موقف لتحقيق الأغراض الرخيصة العاجلة ، أسوأ مظهر من مظاهر أمراضنا نحن المسلمين الحضاريّة . إنّ المجتمع غير الإسلامي يجوز أن يئنّ تحت أيّ مرض من الأمراض الخلقية والاجتماعيّة و الحضاريّة ، ولكن المجتمع الإسلامي يجب أن يكون مجرداً ومثاليًّا وقابلاً للتأسّي والمحاكاة، مجتمعاً ممتازاً عن غيره الغارق في السوءات الحضارية والأدواء الخلقية ، مجتمعاً متساميًا عن جميع الدنايا والسوافل ، حتى يلوذ به المُعَذّبون في المجتمعات غير الإسلاميّة ، والمسحوقون تحت مطارق الأنظمة والحركات الهدامة التي لا رصيد لديها سوى الخداع وحيل المكر والدعاوي العريضة .

ولكن ماحيلةُ ضِعَاف الإيمان وخَوَاة القلوب والمحرومين من لذّة الشرف وسموّ الإنسانية ومعاني النبل والمجد التي تضبط سلوكَ الإنسان وتجعله يصدر في جميع تحركاته في الحياة عن الشعور بالمسؤوليّة والوازع الإنساني ، الذي يشكّل لدى النبيل الماجد أكبر مربّ ومراقب لا يحتاج معه إلى ناظر ومفتّش .

طبعاً يتأذى من مثل هذا الموقف المشين كل إنسان ولا سيّما الحليم الكريم المنصرف عن الناس وتطبيع العلاقة معهم وكسب النفوذ لديهم ومحاولة فرض شخصيته على المجتمع الذي يعيشه والمحيط الذي يعمل فيه ، إلى وظيفته التي يكون قد أخذ الشعور بالمسؤولية نحوها مجامع تفيكره .

وإن دلّ ذلك على فساد الأشخاص الذين يُمْنَى بهم المرأ في أوساط العمل ، فإنّه في الوقت نفسه يشفّ عن ضعف الإدارة وعجزها عن السيطرة على سير العمل والأداء لدى الموظفين والمنسوبين ، وعيّها عن جمع الكوادر المُؤَهَّلَة القويّة الأمينة ، وإعدادها لديها فيما إذا لم تجدها مُهَيَّأَةً في المجتمع .

إنّ فساد الموظّفين التابعين لمؤسسة ما إنّما يدلّ رأساً على عجزها الواضح الفاضح عن أهليتها الإداريّة إن لم نقل : إنّه يدلّ على فسادها هي – المؤسسة – حيث إن المؤسّسة ذات الأهلية اللائقة للإدارة وتصريف الأمور تكون حريصةً دائماً على متابعة السلوك الأدائي والخلق الوظيفيّ لدى العاملين لديها من المديرين والموظفين . أمّا المؤسسة العاجزة الفاقدة للأهلية الإداريّة فتدع الغارب على حبل العاملين الذين لا يلبثون أن يسدروا في غلوائهم ويتمادوا في شهواتهم التي يجعلون وظائفهم ومناصبهم خير وسيلة لتحقيقها .

إنّ المؤمنين بسلطان القوة وكونها قادرة على مباشرة النفع والضرّ ، كثيراً ما يَسْتَغْبُوْنَ الإدارةَ الضعيفة ، فيتزلّفون إليها ويتملقون لها ، ويستعجلون في تحقيق أغراضهم الشخصية ،

ليجعلوا ذلك مطيّة طيّعة إلى الإضرار بالمصالح العامّة وممارسة التقصير الفاحش في أداء المسؤوليات الملقاة على عواتقهم . ويبلغ الأمر مع الأيّام أنّ صلاح المسؤولين – إذا افترضنا كونهم صالحين في الواقع ومستحضرين رقابة الله كلّ وقت – أيضاً يذهب سدى ؛ لأن الصلاح الذاتي لا يكفي إذا لم يصاحبه الحزم والشهامة واليقظة الفكريّة والسهر الإداريّ .

إنّ الصالح الغافل إن صلح لشيء فإنّه لا يصلح للإدارة وتصريف الأمور . وقد كان سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله يتحسس في عمّاله الحزم مع الصلاح ، والتقوى مع اليقظة ، وقد حَكَمَ القرآن بأن خير الأجراء والموظفين والعاملين والعمال من يكون على مستوى " القوي الأمين " .

و " القوةُ " تجمع في طياتها إلى جانب القوة الجسمانية ، القوةَ العقليةَ ، والقوة الفكرية ، والأهليّة العملية ، واللياقة الأدائيّة ، والقدرة العطائية ، وما إلى ذلك من القوي التي تجعل الإنسان قادرة على القيام بمهمته على أحسن ما يُرَام .

أما " الأمانة " فهي كلمة جامعة كذلك تجمع معاني الإتقان للعمل ، والشعور بالمسؤولية نحوه بأحسن ما يكون الشعور ، والاهتمام بأدائه كاملاً غير منقوص ، والقيام به في وقته وفي مكانه وبجميع خصائصه لحد مستطاع ، دونما غشّ أو خداع أو إخسار أو خيانة أو استغلال لموقع العمل ومنصب الوظيفة ومكانة المسؤوليّة لتحقيق غرض من الأغراض الشخصية الكثيرة .

الصدور في أمور الحياة عن مراعاة القوة والثقة بمفعولها أكثر من الثقة بقدرة الله المطلقة ووهّابيّته التي لا تُحَدُّ ولا تتصور ، إنّما هو علامة شاخصة على نقص في الإيمان وضعف في اليقين . كما أنّه دلالة صارخة على فساد الشخصيّة وخبث النية وسوء الطويّة وسوء المنبت وسوء النجار .

الماجد الأرومة ، والنبيل النشوء من الإنسان – مهما كان وحيثما كان – لا يقدر عن التنازل عن سموّ الإنسانية ، ومعاني الكرم والشهامة ، واحترام آميّة الآدميّ . و بالعكس من ذلك إنّ المدخول في أصله ، المحروم من سعادة حسن التهذيب والتربية ، لا يتسامى إلى معاني المجد والشرف ، وإدراك ما في التقيد بالآداب الإنسانية ، من عظمة وعلو يتضاءل أمامهما جميع أشكال المعالي .

إنّ الله العلي العظيم القدير الوهاب هو مصدر القوة والعظمة والعزّ والفخار ، فمن يطلب العزة من دونه من الإنسان أو من دونه من المنصب والسلطان وذوى الجاه والشهرة ، لن ينال إلاّ الذلّ الذي ينشب فيه نشوبَ الكلاليب في بدن الحيوان .

إنّ الإنسـان – أيّا كان – ضعيفٌ عاجـزٌ ، عزُّه مستعـار ، وعظمَتُهُ ظل زائل ، ومكانته سرابٌ خادع ، و جاهُهُ عارضٌ فانٍ ؛ فمن يطلب العزّ من الضعيف العاجز يكن أسفه من الحمار ، وأعْيى من باقل ، وأعجز من النمل تساير القطار !.

إشراقة

الذين يطلبون العزّ في غير موضعه

الإنسان في كل زمان ومكان ظلّ يخضع للقوة ، ويؤمن بفضلها ، ويُطَأْطِئُ رأسه لجبروتها ، وينبهر بسلطانها . وعندما يكون الإنسان غنيًّا عن الإيمان با لله تعالى وإفراده بالعبادة والعبودية ، وتوحيده في الذات والصفات والربوبيّة ، يعبد كلّ قوي من الحيوانات والنباتات والجمادات ، يعبد الأسد والحية ، والبقر والفيل ، ويعبد الإنسان مثله ، حتى يعبد الذكر والفرج ؛ ويعبد الأشجار بأنواعها والأحجار بمختلف أشكالها ، ويعبد التراب والطين ويضفي على كلّ شيء مسحةً من الدين .

ولكن يُوْجَدُ في القطاع المدّعي للإيمان با لله هو الآخر ، من يخضع لسلطان القوة ، خضوعاً يشفّ عن أنه لم يرتقِ إلى المستوى المطلوب للإيمان بأنّ ا لله الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ، هو النافع الضار وحده ، وأنه هو المعزّ المذل ، المؤتي الملكَ من يشاء ، والنازع الملكَ ممن يشاء ، بيده الخير وهو على كل شيء قدير .

أمثاله كثرٌ في المجتمع الذي ينتمي اليوم إلى الإسلام ؛ يُوْجَدُ أمثالُه في جميع قطاعات الحياة ، ومجالات العمل الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، والدينية والدنيوية ، والثقافية والفكرية ، والتعليمية والتربوية .

قد يجوز أن يخطب الواعظ المسلم بحماس زائد حول التنديد بالخضوع للقوة خضوعاً نابعاً من الضعف الإيمانيّ والوعي الإسلامي والحسّ الديني ، ويجوز أن يُلْهِبَ بذلك حماسَ الحضور المستمعين بشكل يجدّد إيمانهم ، و يشحذ يقينهم ، ويجعلهم يتخلّون من كلّ شائبة من الرياء والنفاق والازدواجية في العقيدة والعمل .

وفي الوقت نفسه يجوز أن يكون الواعظ غيرَ مؤمن با لله إيماناً صادقاً يسيطر على كيانه ، ويضبط كلاًّ من حركاته ، ويصوغ جميع تصرفاته وفق السلوك النبوي والمنهج الإسلامي الذي تقيّد به الصحابة ومن تبعهم بإحسان ، يجوز أن يكون الواعظ مؤمناً في قرارة نفسه أو إطار عمله أو خيار تفكيره بأنّ القوة الموجودة في الإنسان أو في أي مكان هي أيضاً تنفع وتضرّ بشكل من الأشكال .

يجوز أن يلقي مدرسٌ في العقيدة درساً مفيداً مشبعاً بأن القوة في غير ا لله إنما هي تبعٌ للقوة الإلهية ؛ فهي ليست بشيء إذا لم تكن مُمَدَّةً من قبل ا لله ، مُدَعَّمَةً بإرادته .

(البقية على ص ٤٥)

أبو أسامة نور

كان قد أصرّ عليه أكثر من أي أحد في أن يتوجه إلى "دهلي" لتلقي العلاج. فكان سماحته قدم "دهلي" على دعوة منه وضيفا له، فأقام بقصره بحارة تُعرف بـ "دريا غنج" مع سائر رفقته وأصحابه

وقد سبق أن أطْلَع سماحته الطبيبَ الأنصاري عن طريق بعض أصدقائه الموثوق بهم إنا نحبّ أن نكفل بأنفسنا غداءنا وعشاءنا وفطورنا، وذلك نظرا إلى أن سماحته كان يصحبه عدد غير قليل من معارفه، وكان من المتوقع أن يشهد هذا العدد تزايداً مستمرا. أضف إلى ذلك أن الطبيب الأنصاري كان ينزل عليه ضيفا كثير من الزعماء والقادة كل يوم. ولكن الطبيب الأنصاري لم يرتض بذلك في صورة أو أخرى، وقام إلى آخر لحظة من لحظات إقامة سماحته بدهلي بإعداد وتقديم وجبات الغداء والعشاء والفطور لرفقة فضيلته وتلاميذه وأقاربه وكل من كان ياتي إليه يعوده بكل شوق ورغبة. فجزى الله الطبيب الأنصاري وجميع أعضاء أسرته على حسن خدمتهم

أطباء بارعون يسهرون على علاجه

وفي بداية الأمر قام بعلاج فضيلته الطبيب الشهير "أجمل خان" الملقب بـ " مسيح الملك" ثمّ شاركه في العلاج كل من الطبيب الأنصاري وأخو فضيلته الطبيب "محمد حسن" والشيخ الطبيب "جميل الدين" أحد كبار الأطباء بمدينة "دهلي" حينذاك ولم يدّخر الطبيب الأنصاري وسعا في سبيل علاج سماحته، وتقديم أسباب الراحة له وبالرغم من أن سماحته كان يصحبه من الخدّام الأوفياء عدد أكثر مما كان يحتاج إليه، غير أن الطبيب الأنصاري وخدام منزله كانوا يمرّضونه كل حين ويسهرون على خدمته. كما كان الطبيب الأنصاري قد أمر رجلا من الموظفين في مستوصفه بأن يهتمّ بأن لايطيل من كان يزور فضيلته التكلم معه ، فإن ذلك يُعْتَبر أمرا يسبب ضرراً فادحاً. ومثل هذه الالتزامات وإن كانت تأباها طبيعة سماحته، ولكنه كان يرتضيها لشدة الحاجة إليها. وكان فضيلته لا يُخْبَرُ في معظم الأحيان بمثل هذه الالتزامات

وما أسداه كل من الطبيب الأنصاري، والطبيب "أجمل خان" من خدمات في سبيل علاج سماحته، وما أفرغاه من جهد جهيد قاما بذلك كله حبّا فيه وإعجابا به، و اعتقاداً من قرارة أنفسهما أن ذلك خدمة دينية جليلة، وسعادة حظّ لهما. وإنّا على يقين من أنهما سيثابَون على ذلك بأجر جزيل من لدن حكيم عليم، ويُعْتَبرُ كفارة لسيئات أعمالهما وذخرا في الآخرة ولكننا – نحن منتسبي الجامعة الإسلامية دارالعلوم / ديوبند، وأقارب فضيلته، ومحبيّه وتلاميذه – نشكرهما شكرا جزيلا على مساعيهما المشكورة وعناياتهما البالغة بعلاج سماحته

وكما نعرف حقا أن الحياة والموت بيد الله، وأن الصحة والمرض من قضاء الله وقدره. إلاّ أن سماحته تلقى علاجاً وتعاطى دواءً لا يتيسر للملوك والسلاطين، فإن الطبيب الأنصاري والطبيب "أجمل خان" سهرا على علاجه ليل نهار بكل معاني الحبّ والإعجاب به، وبإخلاص نية لا تشوبه شائبة. وما سجّله فضيلة الشيخ "محمد يعقوب النانوتوي " أول رئيس هيئة التدريس بالجامعة – المتوفى ١٣٠٢هـ / ١٨٨٤م – في خصوص علاج الإمام "محمد قاسم النانوتوي" مؤسس الجامعة – المتوفى ١٢٩٧هـ – يصدق تماما في شأن سماحة شيخ الهند، حيث قال: لو كان الأمر مقتصرا على الأدوية والعلاج لعادت إلى الإمام الصحة دونما شك، فإنه توفرت له أدوية غالية قلّما تتيسر للأمراء والأثرياء، وتلقى علاجاً لن يحلم به الملوك إلاّ قليلاً. فاتّى العلاج طمعاً في المال وخوفاً من العقاب، من علاج معجون بالحب والإعجاب

☆ ☆ ☆

بسم الله الرحمن الرحيم

ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَ جَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ (القرآن الحكيم)

الداعي

مجلة عربية إسلامية شهرية

تصدر عن الجامعة الإسلامية دارالعلوم

ديوبند ، الهند

تحت إشراف :

فضيلة الشيخ مرغوب الرحمن

رئيس الجامعة

رئيس التحرير

نور عالم خليل الأميني

أستاذ الأدب العربي بالجامعة

الهاتف ، والفاكس ، والبريد الالكتروني :

Ph. : (00-91-1336) 22429 / 22332

Fax : (00-91-1336) 22768

Web: http://www.darululoom-deoband.org

E-mail : darululoom_deoband@yahoo.com

العـــدد : ٧

السنــة : ٢٤

رجـب : ١٤٢١هـ

أكتـوبـر : ٢٠٠٠م

الاشتراكات :

ثمن النسخة : ١٥ روبية هندية

قيمة الاشتراك السنوي

في الهند : ١٥٠ روبية هندية

وفي خارج الهند للأفراد : ٣٥ دولاراً

وللمؤسسات الحكومية : ٤٥ دولاراً

المراسلات :

رئيس تحرير مجلة الداعي

دارالعلوم ، ديوبند (الهند)

الرمز البريدي ٢٤٧٥٥٤

Chief Editor

AL - DAIE

Arabic Islamic Monthly

Darul - Uloom,

Deoband - 247554

(U.P.) INDIA

المحتويات

كلمة المحرر

المنظمات والحركات الهندوسيّة المتطرفة لا تستهدف إقامة حكومة هندوسيّة في الهند فحسبُ ، وإنّما تستهدف أولاً وأخيراً استئصال الكيان الإسلاميّ من الهند . وهي جديرة بالثناء على أنّها لا تخفي نواياها ، وإنّما هي تصرّح بها في كل مناسبة دونما غموض وإبهام .

وتسلك لذلك كل سبيل تعينها على تحقيق أهدافها ، فقيامُها بتحرك فاعل متواصل من أجل الاستيلاء على مساجد و مصليات وأمكنة أثرية ترجع إلى العهد الإسلاميّ ، وتمكّنُها من هدم المسجد البابريّ ، وإقامة معبد هندوسيّ موقت على أنقاضه ، ونصب تماثيل إلههم '' راما '' فيه ؛ وإثارتهم للاضطرابات الطائفيّة من وقت لآخر ومن مدينة ومنطقة لمدينة أخرى ومنطقة أخرى ؛ ومطالبتهم بفرض الحظر على القرآن ، أو شطب الآيات التي تحرض على الجهاد ؛ واتّهامهم المسلمين عموماً و الاسلاميين والعلماء خصوصاً بأنهم عملاء يعملون لصالح منظمة (آني إيس آني) للاستخبارات الباكستانية ، وأن المدارس الإسلاميّة الأهليّة كلها مراكز لتنفيذ مخططات المنظمة ؛ ومحاولتهم أخيراً لا آخراً لتوريط جامعة '' علي جراه '' الإسلامية الرسميّة والجامعة المليّة الإسلامية الرسميّة بدهلي في تهمة العمل لصالح المنظّمة المذكورة ، وذلك بهدف تمهيد الطريق لإيجاد مبررات لإيقاف مسيرتهما حتى يتم تجفيف المنابع التي يستقي منها العدد الوجيه من الشباب المسلم الهنديّ (كما حدث ذلك في جامعة '' عليجراه '' في الأسابيع الأخيرة أي من أول أسبوع من سبتمبر ٢٠٠٠م حتى كتابة هذه السطور في ٢٢ من سبتمبر) ؛ ومطالبتهم الحكومة بفرض الحظر على جميع المنظمات والجمعيات الإسلاميّة بما فيها جماعة الدعوة والتبليغ والجماعة الإسلامية ؛ وتوزيع نشرات سرّيّة بين الشعب الهندوسيّ وتوجيهه فيها بتوريط الشعب المسلم في طول البلاد وعرضها في محاكمات ملفقة، إلى جانب إلقاء القبض على شبابه ، واغتصاب أعراض فتياته حتى يلدن أطفالاً من نطفة الهندوس !!؛ وما إلى ذلك من محاولات هدّامة ومخططات رهيبة .. كل ذلك حيلة من الحيل التي ظلت ولا تزال وستظلّ المنظمات الهندوسيّة بجميع أجنحتها تُعْمِلُها من أجل إقامة حكومة هندوسيّة متطرفة ضيّقة الفكر والعمل والسلوك ثانياً ، واستئصال الكيان الإسلاميّ من الهند أولاً .

والمؤسف جدًّا أن الهند كلّها سائرةٌ إلى الاتّجاه الذي تودّه هذه الحركات الهندوسيّة المتطرفة ، وهي تخطو كل يوم إلى الأمام خطوات عريضة وتتقدم أشواطا بعيدة ؛ ولا نجد محاولةً علمانيّة جادّة تعترض سبيلها وتمنعها ولو موقتاً من إرادتها ، مهما أطلق المنادون بالعلمانية أقوالاً عريضة .

وذلك شيء مخيف للغاية ، والذي يزيد الأمر سوءاً أو يزيد الطين بلّة – كما يقول الفصحاء – هو تناحرُ المسلمين فيما بينهم وتفرّقهم أشتاتاً ، وتوزّعُهم في مذاهب ومدارس تجعلهم لا يلتقون على نقطة حتى فيما يتعلق بالقضايا المصيريّة الحساسة .

وذلك داؤهم العُضال ليس على مستوى شبه القارة الهندية ، بل على مستوى العالم كلّه . إن إسرائيل لم تتقوَّ إلاّ من أجل تفرّق المسلمين ، وأمريكا لم تتبجّح إلاّ من أجل تناحرنا ، وإن البلاد الإسلامية – العربية والعجمية – لم تُستَعْبَدْ إلاّ من أجل تشتت شملنا واختلاف كلمتنا ؛ فهل نعي قيمة التضامن والاتّحاد الذي دعانا إليه كتاب الله وسنة رسوله ، وعمل له الملك المسلم الغيور فيصل بن عبد العزيز رحمه الله الشيء الكثير الذي أغضب الأعداء وسرّ الأصدقاء .

[التحرير]

"المدرسة الأهلية" في الهند

أكبر وأقوى مرابط على الثغر الإسلامي

المرابطون على الثغر الإسلامي في الهند كانوا عقلاء أذكياء يوم شادوا للحفاظ على الكيان الإسلامي في هذه البلاد معاقل حصينة في صورة المدارس والمعاهد . إنهم رأوا أنه لايمكن الوقوف في وجه الخصوم الفاتحين - أعني الإنجليز والقساوسة ورجال الإرساليات التبشيرية - الذين يملكون الحول والطول ، والجنود والبنود ، ويتمتعون بأكبر سلطة وقوة على وجه الأرض في عصرهم وحكومات موطدة الأركان ، ومملكة شامخة البنيان لا تغرب عنها الشمس .. لا يمكن الوقوف في

وجههم بسلاح الحديد والنار ولا سبيل إلى مقاومة زحفهم العقائدي الذي يمثله زحفهم الاستعماري السياسي بشن معركة مكشوفة في الميدان تنفع فيها قوة الساعد والسنان - وقد جرّبوا فعلاً محاولات عديدة للتخلص ، وخاضوا معارك شتى ولكنها باءت بالفشل ، كان آخرها تلك المعركة التي خاضتها مع الإنجليز في ميدان قرية " شاملي " (الواقعة على مقربة نحو خمسين ميلاً من مدينة ديوبند التي تحتضن أكبر وأقدم جامعة إسلامية خاصة بالمسلمين) الكتيبةُ المؤمنة المؤلفة من خلاصة عباد الله المخلصين والعلماء العاملين، على رأسهم الإمام محمد قاسم النانوتوي مؤسس جامعة ديوبند ، والشيخ الرجل الصالح إمداد الله المعروف بالمهاجر المكي ، والعلامة الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي ، والحافظ ضامن (الذي وقع شهيدًا على أرض المعركة) وغيرهم ، ذلك لأن السلطة الحاكمة لا تُقَاوَمُ إلا بسلطة مثلها .

فلا بدّ من إنشاء معاقل منيعة يهجمون منها على أوكار العدو و تتكسر على صخرتها كل هجمة تصطدم بها ، و يربّون في داخلها الصفوة المختارة والخلاصة المصطفاة من فتيان الإسلام ، تربية دينية وإيمانيّة صحيحة ، ويدججونهم بالأسلحة العلمية من كل نوع ينفع في المعركة ، وتكون بمثابة مراكز الإشعاع الديني والعلمي ، والثقافي والتربوي التي يرجع إليها الشعب المسلم في كل شأن من شئون دينه وعقيدته ، ويشحن هناك بطاريته الإيمانية ، وتكون كذلك بمثابة ثكنات إسلامية تمتلئ بقوات مسلحة مدربة ذات غناء وكفاءة

لدى كل معركة بين الجاهلية والإسلام ، وبين لهيب " أبي لهب " وسراج النبي محمد عليه الصلاة والسلام - على تعبير الشاعر الإسلامي الدكتور محمد إقبال - .

ولم تكن هذه الخطوة أمراً هيناً و إنما كانت دعوة للموت الزؤام ، وذلك أن الإنجليز هم الآخرون نظروا إلى هذه المدارس كثكنات إسلامية ، فقد كانوا أذكياء في السياسة يدركون خطورة الأمر قبل تمامه ، ويتبينون أعقاب الأمور بالنظر إلى صدورها مهما كانت أشباهاً ملتوية (١).

فحاسبوا هذا الأمر حساباً دقيقاً، وتتبعوا المحاولات الإسلامية الهادفة إلى هذه الناحية ، وصبّوا الويلات على أبطالها ، تدل على ذلك - مثلاً - قصّةُ تعقب ومحاولات اعتقال الإمام محمد قاسم النانوتوي والشيخ الحاج عابد حسين من مؤسسي جامعة ديوبند و غيرهما كثيرين ، المحاولات التي دأبت السلطة الإنجليزية تبذلها ، حتى قضوا نحبهم وما بدلوا تبديلا .. وعلى ذلك فكم من أبطال مرابطين على الثغر الإسلامي بأسلوب من أساليب المرابطة ، عُذِّبوا ، و شُرِّدوا ، ونُفُوْا، وقُتِلُوْا ، وأُهِيْنوا ، وسُفِّروا .

إذا فإن " المدرسة " إذا كانت تعني في بلد مؤسسة تعليمية تُلَقِّن العلم والمعرفة فقط ، و تزوّد الطلاب بالمعلومات الثقافية وحدها ، فإنها في شبه القارة الهندية أعمق منها و

(١) تلميح إلى بيت الحماسة الآتي :

تَبَيَّنُ أعقابُ الأمور إذا مَضَتْ ... وَتُقْبِلُ أشباهًا عَلَيْكَ صُدُوْرُهَا

أوسع ، وأشمل و أدق . إنهـا تعـني تلك الأهداف السامية التي أشـرنا إليها آنفا ، إنها بمنزلة آلة تنفخ الحياة في كيـان المسلمين الـديني ، إنهـا وسيلـة وحيـدة لإبقاء المسلمين على الإسلام في هذه الديار ، إن المسلمين ههنا يحتاجون إليها احتياجَ الجائع إلى الغـذاء ، والمـريض إلى الـدواء ، والعريان إلى الكساء ، بل السمك إلى الماء .

و مما يجدر بالتسجيل والملاحظة أن المسلمين الهنود لا يطلقون كلمة " المـدرسة " إلا على المدارس العربية الإسلامية الأهلية التي أقاموها لتلك الأغراض العظيمة المشـار إليها ، أما المدارس الحكوميـة فلا يدعونها إلا بكلمـة " إسكـول " (School) الإنجليزيـة التي دخلت في اللغـة الأرديـة . ثم إنهم توسّعـوا في كلمـة " المدرسـة " فأطلقـوهـا على صغرى المدارس حتى الكتاتيب وعلى كبرى المدارس حتى اللاتي تعدل الجامعات .

وإذا كانت المدرسة قد أدت فيما قبل استقلال الهنـد و تقسيمها إلى دولتين ذلك الدور الجامـع ، فإنها تؤدي اليوم دوراً لا يقلّ عن الأول بل قد يفوقه ، بالقياس إلى الظروف والملابسات التي خلقـهـا الاستقـلال والتـقسيـم ، والعصبيات الطائفية التي عمل الإنجليز على بث سمومها في المجتمع الهندي ، و زرع الإحن والعداوة والحقد فيما بين الهندوس والمسلمين ، ومـا جلوا عن الهند حتى ثبّتوا الشعور في قلوب المواطنين الهنادك بأن المسلمين هـم خطرهم الحقيقـي و منـافسهـم الـوحيـد، وعدوهم الطبيعي في هذه البلاد .

ثم تحوّلت الهنـد بعد الاستقلال دولـة علمانيّة وقرر واضعو الدستور

أن الحكومة لا تتعرض لدين المواطنين وعقيدتهم نفياً أو إثباتاً ، ولا تعلّمهم ذلك في مدارسها وجامعاتها إلا كمادة المعارف العامّة ؛ لأن الهند ذات ألوان و أشكال من الأديان والنحل ، فليكن الحبل في هذا الشأن متروكاً على غارب المواطنين ، هنالك برز دور هذه المدارس ، فإن المسلمين لم تعد لديهم وسيلة إلى تعلّم الدين والعقيدة ، والكتاب والسنة ، والاسترشاد في الشؤون والقضايا الدينية ، والاستعانة فيما يتعلق بالحفاظ على حقوقهم وصيانة شخصيتهم الإسلامية من الذوبان و الاندماج في معتقدات الأغلبية الهندوكية ، إلا هذه المدارس والمؤسسات التي نشروا شبكتها في طول البلاد وعرضها .

ومن هنالك أكثروا من إنشاء المدارس ، حتى بلغت عشرات الآلاف – فيما بين الصغيرة والكبيرة – ولا تزال هذه السلسلة المباركة لإنشاء المدارس والمؤسسات قائمة ، والمعنيون بالقضايا الإسلامية من أفاضل علماء الهند دائمو الدراسة لأوضاع المسلمين الدينية والاجتماعية في كل منطقة في الهند ، و دائبو التفكير في إنشاء أمثال هذه القلاع في كل مكان يحتاج إليها ، وتوسيع نطاق القديمة منها و تجديدها و تطويرها .

ولذلك فان المدراس و الجامعات الإسلامية الأهلية في الهند ، تقديمُ المساعدة المادية والمعنوية لها ، تعني إسعاف المسلمين بشأن الحفاظ على الدين والعقيدة والكيان الإسلامي في هذه البلاد . و لا تعني تقديم العون للتزود بالمعلومات الثقافية والدينية وحدها .

نور عالم خليل الأميني

المجتمع المسلم والحضارة الغربية

بقلم : الكاتب الإسلامي الكبير الأستاذ أنور الجندي المصري

لقد كانت غزوة الحضارة الغربية للمجتمع المسلم من أكبر التحديات التي واجهت الأمة الإسلامية إذ كانت بالغة الاثر على البناء الاجتماعي من حيث أنها حجبت الشريعة الإسلامية وفتحت أبواب الإباحة والتحلل وهدم القيم بإيقاف حدود الله تبارك وتعالى وتأثر البيت المسلم بذلك حيت جرى تدمير القيم الإسلامية والحيلولة دون سيطرتها وإذابة المسلمين والعرب في بوتقة الاممية وإخراجهم من ذاتيتهم الخاصة وفرض ثقافة الغرب عليهم حيت غلبت مداخل الربا إلى الإقتصاد الإسلامي وتمزيق ثروة الأمة .

وكان أخطر ذلك كله سيطرة القانون الوضعي حيث كان التعليم هو الخنجر المسموم الذي طعنت به الأمة الإسلامية .

أما المدرسة فقد حجبت عنها المفاهيم الإسلامية التي يقدمها القرآن الكريم والسنة النبوية حيث فرضت نظرية دارون التي ما تزال تدرس في أغلب البلاد الإسلامية وهي المدخل الأكبر إلى الالحاد وتدمير الشخصية الإنسانية والتشكيك في قضية الخلق القرآنية .

وقد أضيف إليها كثير من نظريات الفلسفة المادية والعلوم الإجتماعية والنفس والأخلاق حيث كان التصور المادي أن الإنسان تحكمه غرائز الجنس ثم توسعت نظريات الفكر الغربي من جانبيه الليبرالي الرأسمالي والماركسي .

وكانت عملية تدمير الوحدة الإسلامية هي أساس المؤامرة كلها في محاولة لبناء إقليميات تاريخية وثقافية منفصلة تحطم وحدة الفكر الإسلامي والحضارة الإسلامية .

وقد جرت المحاولة إلى إثارة النعرات الإقليمية والقومية والعرقية وإحياء التأريخ السابق للإسلام وعمدت بعض الأقلام العلمانية والتغريبية إلى مناهضة مفهوم الإسلام للمجتمع وضوابط وخداع المسلمين بمذاهب غربية وافدة بدعوى أن الديمقراطية الغربية هي الشورى الإسلامية وأن العدل الاجتماعي هو الاشتراكية على فارق ما بينهما من خلافات عميقة وواسعة سعة ما بين المنهج الرباني والفكر الوضعي .

ولكن الفكر الإسلامي في مرحلة اليقظة ثم في مرحلة الصحوة استطاع أن يكشف مسار هذه المذاهب المادية سواء مفاهيم ماركس أو دوركايم أو سارتر أو فرويد وعجز القانون الوضعي وقصوره .

وكان أهم ما عملت الصحوة على كشفه وبيان

فساده : إسقاط نظرية العلمانية وفصل الدين عن المجتمع واسقاط نظرية العنصرية والدماء .

كما كشفت الصحوة عن سقوط مفهوم القوميات والإقليميات والماركسية واستحالة اندماج الإسلام في الإيديولوجيتين : الليبرالية والشيوعية وتميز الإسلام بوصفه الدين الخاتم الجامع بين الروح والمادة والعقل والقلب والدنيا والآخرة .

كما عملت الصحوة على تحرير فكر " تحرير المرأة " التي عمل النفوذ الأجنبي على خداع المرأة المسلمة بها ليخرجها من المنهج الرباني الذي جعل مسؤوليتها في بناء الأسرة ورعاية الأجيال الجديدة مما أدى إلى عودة المرأة المسلمة إلى الإصالة .

إن الشريعة الإسلامية هي الاصل ؛ والمناهج الوافدة هي الأساليب المستحدثة التي فرضت على المجتمع الإسلامي خلال مرحلة التبعية بوصفها تقدما وعصرية ولحاقا بالمجتمعات المتمدنة والتي لم يقبل المسلمون أساليبها عن اختيار وإنما فرضت مع النفوذ الاستعماري الوافد بسلطانه السياسي والعسكري والاجتماعي ولكنها عجزت بعد عقدين أو ثلاثة عن أن تحقق التقدم الذي وعد به اتباعها وكتابها وتبين أن المنهج الإسلامي أكبر من الإيديولوجيات وأكثر منها عطاء وأن الليبرالية لم تحقق سعادة للمجتمع الإسلامي ولما جاءت الماركسية عجزت عن العطاء أيضا .

وتبين للمسلمين في مرحلة حساب ومراجعة أن منهج الإسلام أكبر من الإيديولوجيتين وأن المنهج الوضعي هو منهج بشري قد وضع لمجتمع مختلف وأنه فكر بشري يمكن أن يكون رد فعل لواقع كالمجتمع الغربي ولكنه لا يصلح منهجا للمجتمع الإسلامي الذي تشكل في قلب المنهج الرباني خلال أربع عشر قرنا .

كـذلك فـقـد تبـين للمسلـمـين أن العـدل الاجتماعي الإسلامي يختلف عـن الاشتراكيـة و أن الشورى تختلف عن الديمقراطية .

كما تبين قصور المنهج الاجتماعي في مجال علاقات الآباء والأبناء وفي التعامل بين الرجل والمرأة وفي التعامل الاقتصادي وجاءت العلوم الاجتماعية الغربية لتقدم للمسلمين تصورا مختلفا عن مفاهيم الأخلاق والنفس والاجتماع .

وكان الفارق الواسع والعميق بين المنهج الغربي الوضعي الوافد وبين المنهج الإسلامي ذلك العامل الأساسي الاصيل : " أخلاقية المجتمع " . فقد أقام الإسلام منهجه على أساس الإخلاق التي هي جزء من العقيدة الإسلامية ، فالإسلام عقيدة ومعاملات وأخلاق .

والإخلاق في الإسلام من الثوابت التي لا تتغير مع تغير الزمان أو البيئات .

وهنا موضع الخلاف الواسع والعميق مع المنهج الغربي الذي يتحدث عن " نسبية الأخلاق " ويربطها مع التطور بينما يجعلها الإسلام من القواعد الثابتة .

ومـن هنا كان تحريم الإسلام للخمـر والربا والقمار وتحريم الزنا وإقامة الحـدود ، وكان موقف الإسلام مـن مفاهيم الغـرب عن الإباحية الإجتماعية وإعلان عـدم فطريـة الأسرة وفطريـة الجريمة في آن واحـد .

ومن هنا كانت مقاومة الإسلام للترف والتحلل

المحتويات

نشاط الخوارج السياسي في العصر الأموي

بقلم الدكتور محمد مظهر عالم الندوي
قسم اللغة العربية وآدابها
جامعة عليكراه الإسلامية

انبثق أوّل شقاق سياسي خطير في الإسلام من النزاع على زعامة الأمة الإسلامية بين علي ومعاوية – رضي الله عنهما –، وفيما كان عليٌّ يهم بقطف ثمار النصر في معركة صفين سنة ٦٥٧م لجأ معاويةٌ إلى حيلة حملت علياً على إيقاف القتال والقبول بالتحكيم، ومن جراء ذلك تمرد فريق من جيش عليٍّ متذرعين بالقول إن قبوله بالتحكيم ألقى ظلالا من الشك على حقه الشرعي في الخلافة وعلقوا عودتهم إلى عليٍّ على أن يقر نفسه بالخطأ بل بالكفر لقبوله التحكيم وعلى أن يرجع عما أبرم مع معاويةٌ من شروط، ولكن علياً رفض ذلك وأبى، وسلك معهم كل وسائل الإقناع والمسالمة ففهم بعضهم ورجعوا، وتنكر بعضهم وذهبوا في تمردهم وأفكارهم ومعتقداتهم مذهبا بعيدا، وقال أحد زعمائهم الأوائل فروة بن نوفل معلنا [١] :

نقاتل من يقاتلنا ونرضى   بحكم الله لا حكم الرجال
وفارقنا أبا حسن عليا   فما من رجعة أخرى الليالي
فحكّم في كتاب الله عمرا   وذاك الأشعرى أخا الضلال

وإنما هؤلاء المتمردون عُرِفُوا في التاريخ الإسلامي بـ " الخوارج" لخروجهم على علي بن أبي طالب، أومن الخروج اعتمادا على قوله تعالى "ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله " [٢].

وأداهم اختلافهم في أمر التحكيم إلى البحث في الخلافة، فقالوا بصحة خلافة أبي بكر و عمر – رضى الله عنهما – وبصحة خلافة عمثانٌ في سنيه الست الأولى، وبصحة خلافة عليٍّ إلى ان حكّم، وحكموا بكفره لما قبل به، وطعنوا في أصحاب الجمل مثل طلحة والزبير وأم المؤمنين عائشة – رضى الله تعالى عنهم أجمعين – كما حكموا بكفر معاوية وأبى موسى الأشعرى وعمرو بن العاص – رضى الله عنهم – ، وفي هذا الصدد يقول أبو المصك الطائى الخارجى[٣]:

أبرأ إلى الله من عمرو وشيعته   ومن عليّ ومن أصحاب صفين
ومن معاوية الطاغى وشيعته   لابارك الله في القوم الملاعين

وقد عبر عروة بن اذينة أصدق تعبير عن هذه النظرية الخارجية حينما سأله زياد بن أبيه عن أبي بكر وعمر – رضى الله عنهما – فقال فيهما خيرا وسأله عن عثمانٌ، فقال: كنتُ أتولاه على أحواله في خلافته ست سنين، ثمّ تبرأت منه بعد ذلك للأحداث التي أحدثها، وشهد عليه بالفكر، وسأله عن عليٍّ فقال: كنتُ أتولاه الى أن حكم الحكمين ثم تبرأت منه بعد ذلك وشهد عليه بالكفر، وسأله عن معاوية فسبّه سبًّا قبيحا [٤]. وإنهم وضعوا نظريةً للخلافة خلاصتها: أن الخلافة يجب أن تكون باختيار حر المسلمين وإذا

الذي يحطم المجتمعات والشباب ويفرغ الامم من طاقات المقاومة والرباط وحماية الثغور .

ومن هنا كان رفض الإسلام للقوانين الغربية الخاصة بكل الموبقات والفسوق والفجور وقد تبين أن اعظم المجتمعات الغربية ثراء هي أكثرها إرتباطاً بتعاطي المخدرات وكثرة الإنتحار .

ومن هنا كانت حماية القيم الأخلاقية من ثوابت المجتمع التي يجب الدفاع عنها وحمايتها حتى لاتسقط والتي هي أساس " هوية الأمة " وخصوصيتها الذاتية.

ولقد قدم القرآن تصورا كاملا لسقوط الأمم التي تخرج عن طاعة الله تبارك وتعالى والتي تغرق في الترف والفساد الخلقي ولقد سقطت ثلاث حضارات كبرى قبل الإسلام نتيجة الإنهيار الخلقي والفساد الإجتماعي هي اليونانية والرومانية والفارسية .

وجاء الإسلام لتحرير البشرية من الرق الذي قامت عليه الحضارات السابقة وتحرير الإنسان من العبودية لغير الله تبارك وتعالى كذلك فقد دعا الإسلام إلى اخلاقيات العدل والرحمة والحق ورفض سيطرة المفاهيم الميكافيلية والبرجماتية .

ووجه الإسلام المسلم إلى الالتزام الأخلاقي والمسؤولية الفردية ورفض مفاهيم المجتمعات التي تستهين بقدسية الأسرة وكرامة العرض وأنكر كل عوامل الانحطاط الأخلاقي والإباحية الجنسية وحتم على المسلم المحافظة على ثوابت الإخلاق .

وجعل مفهوم التربية الإسلامية جامعا بين ملكات الجسم والعقل والروح ودعا الأمة الإسلامية إلى التعامل مع متغيرات العصر دون الخروج عن ضوابط الإسلام الأساسية .

وقد جمع الإسلام بين الوسطية والاعتدال بين الفرد والجماعة وأعطى للعقل :لمسلم مساحة للفهم واتخاذ القرار .

وجاء نظام الأسرة في الإسلام نموذجا كريما لم يسبقه سابق ولم يلحقه لاحق وأعطى للمرأة الحق في ادارة أموالها وتزويج نفسها والولاية الكاملة على ما تملك وكان أعظم معطيات الإسلام : الحكومة المدنية فلا يعترف الإسلام بما يسمى الحكومة الثوقراطية التي عرفتها أوربا في العصور الوسطى وليس للإسلام رجال دين ولكن علماء دين يوجهون ويصححون دون أن يتولوا مناصب الحكم كما رفض الإسلام الدولة العلمانية الوضعيـة والنمـوذج الثقافي الغربي باعتباره لا يعبر عن قيم الأمة الإسلامية .

وليس ما يطالب به المسلمون اليوم هو إحياء للتراث وإنما هو إحلال شريعة الإسلام الخالدة المنزلة في القرآن والسنة في مكانها الصحيح والأصيل قبل أن تحجبها القوانين الوضعية .

وإن في إمكان المتخصصين من المسلمين أن يقدموا منهجا مرنا يحقق ثوابت الإسلام ومتغيرات العصر .

إنّ مقولة أن الإسلام الذي ندعوا إلى تطبيقه من شأنه أن يكون عائقا دون التقدم والتنمية مقولة خاطئة فالإسلام يؤكد أنه كان العامل القوي والأكيد للتقدم على مدى العصور .

كما لا يمكن أن تقوم نظرية المعرفة الإسلامية إلا بالجمع بين الوحي والعقل واسلمة المعرفة والعلوم في

العصر الحديث توضح مكانة الوحي " أو النص " كمصدر للمعرفة وتكاملها مع العقل والتجريب فالوحي أساس مكين في قاعدة المعرفة .

ووفق هذا التصور فإن هناك فارقا راضعا بين الثقافة الإسلامية بوصفها منهجا ربانيا جامعا وبين قبضة الطين ونفخة الروح التي تشكل عليها الإنسان أساسا وبين مفهوم المعرفة التجريبية التي تتوقف مفاهيمها عند العقل والحس وحدهما . ولقد عمد المستشرقون والمنصرون إلى تقديم نظريات غربية تعارض هذا المفهوم الجامع الإسلامي الأصيل في محاولة لقصر المعرفة على مفاهيم العقل والعلم وحدهما كونها مصدراً للمعرفة .

والهدف هو محاولة تغيير " هوية الأمة " والقضاء على أصالتها .

كما أنه ليس صحيحا ما يدعيه الفكر الغربي من أن العقلية الإسلامية عقلية غيبية بشكل مطلق وكيف يمكن لعقلية غيبية أن تنتج علما ومنهاجا وتحليلا ونقدا على النحو الذي قدمه الإسلام " الذي هو صاحب المنهج التجريبي أساسا ومنهج المعرفة ذي الجناحين " .

لقد استطاع المسلمون أن يجمعوا بين ما قدمه القرآن من " غيب " قال تعالى : ﴿ الذين يؤمنون بالغيب ﴾ وما يسمى بالاستقراء فقد عرف المسلمون الملاحظة والتجربة والمشاهدة بينما عرف علماء الغرب مفاهيم الحس والعقل وحجبوا عن أنفسهم علوم الغيب التي اطلقوا عليها " ما وراء الغيب " أو الميتافيزيقيا وجاء زكي نجيب محمود - فيلسوف مصري معاصر - فكتب كتابا تحت عنوان " خرافة الميتافيزيقيا " .

إن الفكر الإسلامي لا يقر مقولة القول الثلاثة : " البياني والعرفاني والبرهاني " ولا يقر غلبة البرهان والعرفان فهي مقولة استشراقية حيث يقصد بالعرفان عندهم ما يسمى الفكر الباطني الذي كان يعرف قبل الإسلام بالفكر الوثني اليوناني " علم الأصنام " أما البرهان فهو عندهم الفكر العقلاني .

أما الإسلام فله منهجه الجامع القائم على بيان القرآن وبلاغته وارتباطه بالسنة النبوية وهو ما تم على حقيقة البرهان والتجربة والغيب .

ولقد تبين في الاخير أن هذه المقولة التي يحمل لواءها بعض التغريبيين هي مقولة استشراقية مضللة قالها الفيلسوف الفرنسي " التوسير " ورددها الجابري المغربي - فيلسوف عربي معاصر - الذي تأثر في كتاباته عن الفكر العربي بالفكر الفلسفي الفرنسي .

أما محاولــة إحيــاء الفكر الغنـوصي والــوثني والباطني تحت أسماء جديدة خادعة فنحن لا نقبله فالإسلام قد أقام فكره على أساس التوحيد الخالص وقدم منهجا كاملا في هذا الصدد أما سيطرة البيان أو العرفان في مرحلة من المراحل فقد جاءت لاسباب تأريخية وسياسية وغير مطلقة .

لقد استعلى الفكر العقلاني " المعتزلة " حثيثا ثم سقط كما استعلى الفكر الوجداني " التصوف الفلسفي " مرحلة ثم سقط أيضا وتأكد في العصور الأخيرة مفهوم أهل السنة والجماعة وقامت الصحوة الإسلامية على أساس منهج القرآن الجامع .

شرع الله السعي للدنيا مع العمل للآخرة

بقلم : معالي الشيخ عبد العزيز بن عبد الله السالم
الرياض / المملكة العربية السعودية

الإنسان في هذه الحياة مرتبط بدين سماوي ومقيد بواقع اجتماعي ، وهو في ارتباطه بالدين يؤدي واجب العبودية منه لمعبوده الحق الله تبارك وتعالى الذي حين خلق الخلق سبحانه ربطهم بعبادته: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ ، وبهذا التكليف فقد تعيّن للإنسان هدف يلزمه تحقيقه ورسالة عليه أن يؤديها ، وكما أن له حقوقاً فإن عليه واجبات ، وبين ماله وما عليه فإنه مطالب بأن يوازن بين الهدف الذي يسعى لتحقيقه إلى جانب الرسالة المطالب بتأديتها : فيعمل على التوفيق بين الأخذ والعطاء في مقابل الحقوق والواجبات ، فهو يأخذ ليعطي ويؤدي ما عليه من واجب ليتلقى ما له من حق .

هذه معادلة الحياة في صورتها الحقيقية سواء كان ذلك في الجانب الروحي أو الجانب المادي ، فطبيعة العيش في هذه الدنيا تقتضي هذا التوازن بين سائر البشر ولدى كافة المجتمعات – وهو توازن يسري على تكوين جميع المخلوقات الأخرى – ويترتب على ذلك أن يعرف الفرد منتهي علمه وحدود عمله ، فهو يعلم و يعمل في اطار يتسع لرؤيته لما حوله ولما يعايشه من أحداث وما يتكيّف معه من أوضاع ، بحكم أن له إدراكاً خاصاً به وعقيدة ينتمي إليها .

وفي ضوء هذه الحقيقة الواضحة يجب التعامل مع متطلبات الحياة الدينية والدنيوية ، والله تبارك وتعالى فتح منا دروب العطاء وفجّر فينا طاقات الابداع ، فعلينا أن نوظفها في مجالات الخير وأن نستثمرها في الارتقاء بذواتنا لنكون أهلاً لتحمل المسئولية الملقاة على عواتقنا وأداء الواجبات المطالبين بها ، وقد شرع الله السعي للدنيا مع العمل للآخرة فقرن أداء فريضة الصلاة بابتغاء فضل الله من الدنيا كما جاء في قوله تبارك وتعالى في الآية العاشرة من سورة الجمعة : ﴿ فإذا قُضيتْ الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله﴾ .. وقد وضح هذا المنهج في آيات عديدة من الكتاب العزيز وفي أحاديث كثيرة صادرة عن مشكاة النبوّة الهادية : مما يستوجب التبصر في التعامل مع الواقع الذي يحياه الإنسان وطبيعة الحياة التي يعيشها ، وذلك من خلال نظرة معتدلة يسودها الصدق مع النفس ومع الآخرين، وصفاء القلب في التوجه إلى الله ومعاملة عباده على أساس الوضوح والصفاء .

***

ومما لا ريب فيه أن الهزيمة النفسية تحوي في

مضمونها مساحة ضبابية تؤثر على الرؤية الواقعية الصادقة فتحيلها إلى مزيج من الألوان الرمادية : تستعير مفاهيمها من تصورات خارجية وافدة غير مستمدة من النهج الإسلامي ولا من التصور الصحيح للبُعْد الديني في حياة البشرية ، وذلك مما يفتح الأبواب مشروعة لتبنّي نظريات مستوردة والجنوح إلى اسقاط المفاهيم الغربية على الوقائع الإسلامية ، وهذا النهج ينتهي في واقعه إلى تخلخل في بنية المجتمعات الإسلامية وخفوت صدى الدين في الضميرالإنساني بصفته يحدد مظهراً له سمات مميزة وعلامات بارزة ومسارات واضحة : تستمد اشعاعها من مشكاة الإسلام ذاتياً وتنتمي إليه روحياً وتعود في جذورها إليه كما تمتد فروعها منه ، وفي ظل هذه الحقائق يستطيع الإنسان المسلم أن يحقق وجوده في اطار الإيمان الذي ينير قلبه ويملأ فؤاده وتنطق به جوارحه عملاً صالحاً وتشفّ عنه أخلاقه سلوكاً طيباً.

والفرد في الأمة المسلمة أساس في تمثيل الجماعة، فالمسلمون يسعى بذمتهم أدناهم وهم عون على مَنْ سواهم ، وبمواقفهم الايجابية يفرضون وجودهم في الساحة العالمية ، ويسمعون صوتهم للرأي العام العالمي ، وبذلك تتحقق لهم راية مرفوعة وكلمة مسموعة ، فهم ليسوا أقلّية مجهولة في التاريخ الإنساني ولا فئة تائهة في خارطة البشرية ، وإنما ينقصهم فهم هذا الدين القويم الذي يشرفون بالانتماء إليه والعقيدة التي يستمدون منها قوتهم الذاتية ، فإذا ساء التطبيق بالغلو أو التفريط ، وتلاشت العقيدة الدينية بالابتعاد عن الممارسة الإيمانية: صاروا غثاءً كغثاء السيل ، ومن أجل أن يواجهوا التحديات ويثبتوا للأعاصير التي تحاول اجتياحهم والقوى التي تقف في وجوههم : عليهم أن يتمثلوا واقعهم وأن يصححوا مواقفهم وأن يوحدوا مسيرتهم حتى تجتمع كلمتهم على هدف محدد وتلتقي آراؤهم عند رؤية معينة وتتفق أفكارهم في نهج واحد ينطلقون منه لمعالجة حاضرهم وبناء مستقبلهم ، ولعلهم بهذا المسلك الجديد يكون بمستطاعهم الخروج من مازق التخلف عن العالم المتقدم والتغلب على الأنانيات التي تفرّق ولا تجمع وتهدم ولا تبني ، وقد جربنا الجري خلف آمال براقة ووعود خلاّبة تحت مظلة هالة إعلامية قوية الأداء واسعة المساحة ، فرجعنا من المسيرة دون تحقيق ما نريد أو الوصول إلى ما نتمنّى ، وإنما هي أماني حالمين سطعت عليها شمس الحقيقة فتبخرت وتلاشت هباءً منثوراً .

إلى متى نظل معلقين بأطياف الأوهام واجترار أفكار مصنوعة في قوالب خارجية نستوردها أو تُصدّر إلينا لنعيش على أصدائها وندور في فلكها؟!، ولو عدنا نستنطق الواقع ونتحرّى الحقيقة لوجدنا أنه قد قطع العالم من حولنا مسافات طويلة ونحن نراوح في مكاننا . ذلك أننا اعتمدنا على سواعد غيرنا واتكلنا على انتاج سوانا ورضينا بالقعود في زمن تركض فيه الأمم وتتسابق الشعوب، في حين أننا لم نستطع أن نأخذ عن الغرب المتطور سوى سلبياته فقد تخلّى أكثر المعاصرين من المسلمين عن الالتزام بدينهم تقليداً للغربيين الذين تخلوا عن دياناتهم وانصرفوا عن القيم السلوكية التي كانت محل محافظة فيما سلف من مواريثهم الدينية ، ولكن جرفتهم الحضارة في تيارها العاصف وعنفوانها

الزاحف ، واكتسحت في طريقها الصاحب كل الحواجز الدينية والاقليمية وأنشأت حياة اجتماعية جديدة مظهرها التقدم ومخبرها التحول عن القيم إلى ممارسة محظورات لم تكن مألوفة في حياة المجتمعات السابقـة ، وقـد أدّى الانقيـاد غـير الواعي للتيار الحضاري إلى هذا الخلل في التوجّه والخطأ في الممارسة، فكان الانصراف عن الحقائق الايمانية لتحل محلها شكوك وارتيابات مبعثها الايمان بالحضارة القائمة في ظل الانبهار بالمنجزات المتحـقـقة .

***

ولو أنهم تأملوا في دواخلهم وعادوا إلى أنفسهم لأدركوا الحقيقة وآمنوا بالحق : ﴿ وفي أنفسكم أفلا تبصرون ﴾ ، فالذين يضعون المنجزات الحضارية فوق كل اعتبار ويعتقدون في أنفسهم أنها جنّتهم التي يحيونها وينسون آخرتهم التي سيتهون إليها ، فإنّهم في نظرتهم هذه يعتمدون على الإيمان بما هو مشاهد على حساب ما هو غيب ، فهم يضعون المحسوسات فوق المغيّبات ومقتضى ذلك أنهم لا يصدّقون بما لا يبصرون .. ولو جرى طرح سؤال محدّد عليهم : هل يبصرون أنفسهم التي هي ألصق ما تكون بهم وأقرب مساساً بهم؟ لما استطاعوا الاجابة على هذا السؤال مع أنهم يتحدثون عن أنفسهم الملازمة لهم والتي تمثل جزءاً من كيانهم، فإلى جانب احتواء أجسامهم لها وارتباط حياتهم بها فإنهم في منتهى العجز عن ادراكها وكيفيتها وتحديد مكانها في أبدانهم (١) إن مثل هذا التأمل الواقعي كفيل بأن يعيد الإنسان إلى الإيمان المطلق بالله تبارك وتعالى ، والإيمان هو أهمّ ما يُفترض أن يشغل ذهن الإنسان المتطلّع إلى الحق الباحث عن الحقيقة. أما الذي يقوده هواه ولا يهمه إن كان على صواب أو خطأ، فإنه يتجرد من الإيمان بالله تجرداً مطلقاً، ويتخلى عن الدين اتباعاً لهواه أو انقياداً لظن يدور في ذهنه بلا بيّنة والظن لا يغني من الحق شيئاً، وسوف ينتهي إلى غاية تُفضي به إلى دروب صعبة ، وربما انقطع به المسير فرحل عن هذه الدنيا وهو غير مزّود بايمان يؤهله للانضمام إلى مواكب المؤمنين في الدار الآخرة فتكون الحسرة الصارخة والخسارة الفادحة

وعلى الإنسان أن يدرك أن عمره محدود برمن معيّن مهما طال ، وأن نهايته تنتظر منه عملاً ايمانياً يحدّد مصيره الذي سينتهي إليه في رحلته الأخيرة من الدنيا التي لا تنتهي بالموت وفناء الجسم وإنما تبدأ بعدها الحياة الأبدية وهي أزلية خالدة، فإذا كانت الحياة المعتادة التي نشاهدها في واقعنا الدنيوي أشبه برحلة سفر يقف المسافر عند محطة وقوف محددة أو ميناء انتقال معيّن تمهيداً لانتقاله من مكان إلى آخر أو من بلد إلى بلد، تم ينتقل إلى المكان الذي يقصده وقد استعد لرحلته الدنيوية بما يحقق الراحلة والسعادة في رحلته: فإن الرحلة إلى الآخرة وإن كانت تشبه من بعض الوجوه رحلة السفر في الدنيا إلاّ أن النتيجة تختلف لأنها رحلة لا عودة بعدها ولا مكان آخر سواها، وهي تختلف في استقبالها للمنتقل إليها، فليس له حرية اختيار المكان الذي يقيم فيه ولا الأفراد الذين ينضم إليهم، وذلك بخلاف الحال في الدنيا التي يعيش فيها الناس حسب رغباتهم ووفق منظورهم لها أو التقاء مصالحهم فيها. لأن المرء يملك الاختيار في دنياه في حين أنه يتعذر عليه

(البقية على ص ٤٧)

الإسلام و العقلانية

[الحلقة ٥٢]

بقلـــم : الشيخ الجليل المربي الكبير العلاّمة أشرف علي التهانوي
المعروف بـ " حكيم الأمة " المتوفى ١٣٦٢هـ / ١٩٤٣م
تعريب أبـو أسـامة نـور

فيما يتعرض له القـرآن الكريم من قضايا العلم (Science) إنما يتعرّض له تبعاً لا رأساً، ولا ينجاوز تعرضُه له قدرَ الضرورة ؛ فلم يُفْرِدْ له سورةً ، و لم يطل الحديث عنه ؛ ولكن كل ما ذكره في هـذا الصدد صادق مائـة في المائـة ومطابق للواقـع ، ونـدعي شاعرين بكامـل المسؤوليّة أن ما ذكره القرآن الكريم من قضايا الكون والحياة ، كلّـه صحيح صادق تماماً ، لا يقدر أحد على تخطئته إلى يوم القيامة ، ولكن الشرط أن يذكره القرآن بألفاظ تدلّ عليه دلالة قاطعـة ، ولا تحتمـل معنـى آخر بشكل من الأشكال . كما جاء في بيـان بدايـة خلق الإنسان أن الله خلق آدم أبا البشر من تراب ، وتواصل منه نسله بالطريقة المألوفة ؛ ولكن عالماً (Scientist) اسمه دروين (Darwin) (١) يقول : إن الإنسان كان في الأصل قرداً ، ثم تطوّر فتحوّل إنساناً . فنقول إن خمسين " دروينا " مثله لا يستطيعون أن يثبتوا دعواهم ضد ما يقول القرآن مهما كان بعضهم لبعض ظهيراً ؛ حيث إنّ الدليل الذي ذكره " دروين " في هذا الشأن إنما هو ظنّ وتصرّف صبياني . ولو ثبت شيء بالظنّ والتخمين ، لأمكن لكل أن يثبت ما يشاء ؛ لأن ظنّ كل واحد يختلف عـن ظنّ الآخـر . وقـد رأينا الـذين كانـوا يسجـدون للقطار ويطأطئون رؤوسهم لـه ، وكانوا يعتقدون أن القاطرة لن تتحـرك مالم يُذْبَحْ طفل ويقـدم لها قربانـاً . وهناك أناس كثيرون يؤمنـون بالطيرة ولـديهم " دلائل " لا تقلّ " قوة " عن دلائل "دروين" فهل نعتبر هذه التصرفات جزءاً من البحث والتحقيق ؟

(١) دروين (Darwin) ١٨٠٩-١٨٨٢م إنكليزي عالم بالطبيعة ، صاحب نظريّة التطور في الأجناس الحيّة قال : إن ذلك نتيجة " اختيار طبيعيّ " لصالح الأجناس الأكثر أهليّة للبقاء [المترجم]

كلاّ ! إنّ ذلك كلـه ظنّ وتخمين ، والبحث والتحقيق يحتاج إلى دليل قاطع لا يقبل النقض؛ لأن الإسلام يؤمن بـ " إنّ الظنّ لا يغني من الحق شيئاً " .

فالدليل الذي يعارض القرآن ، دليل واهٍ ، لا يمكـن أن يثبت دليلاً يُسْتَنَدُ إليـه ويُعْتَمَدُ عليه ، ويظل القرآن صادقا في مقاله .

وقد يجوز أن لا يكون هناك تعارض في الواقع بين الدليل العلميّ والقرآن ، وإنما التعارض حصل لـوهمٍ واهـم اعترضت له شبهـة ، فلو أزيلت الشبهة ، ارتفع التعارض ، وبقي ما يقوله القرآن فوق كل شبهة .

وقد يحدث أن تحقيق العلم يبدو متعارضاً مع القرآن مع أن التحقيق العلميّ يكون بديهيًّا معضداً بالدلائل ؛ ولكنك إذا أمعنت النظر وجدتَ أن المعنى الّذي فُهِمَ من الآية القرآنية ، والذي أدّى إلى التعـارض ، لم يكـن قطعيًّا بالدرجة الأولى ، الّذي تحدثنا عنه سابقاً ، وإنما هو قطعيّ بالدرجة الثانية والذي يصطلع عليه العلماء بالظنيّ ، والظنيُّ يحتمل معنى آخر ؛ فتحديدُ المعنى الذي أدّى إلى التعارض ، بغضّ النظر عن معنى أو معاني أخرى محتملة ، تعنّتٌ ومحاولة لتحويل الظنيّ قطعيًّا . وإنّما ينبغي أن تُحمل الآية على معنى آخر تحتمله حتى يرتفع التعارض الذي حصل . إنّ أمثال هؤلاء الآيات كثيرة في كتاب الله ؛ ولكنه لا تُوْجَدُ فيه آية تنصّ على معنى بكلمات قاطعة يتعارض مع نتيجة قطعيّة وصل إليها العلم ؛ لأنّ صريح المنقول لن يتعارض مع صريح المعقول . فإن اطّلع أحد على مثل هذا ، فعليه أن يعرضه على العلماء ؛ فإنّهم قادرون على تخطئة الدليل الذي يعتمد عليه العلم في مثل هذه المناسبة ، حتى يتجلّى أن الآية القرآنية لا غبار عليها وأن معناها صادق كل الصدق مطابق للواقع كل المطابقة.

وتلك الخصيصة إنّما يتفرّد بها الإسلام ، ولذلك يسمّى " دين الفطرة " " فِطرَةَ اللهِ الّتِيْ فَطرَ النّاسَ عَلَيْهَا " (الروم / ٣٠) أي حدوا الدين الذي يوافق الفطرة التي فطر الناس عليها .

وجملـة القـول أنّ التحقيـق الإسلامي القطعيّ لا يتعارض مع التحقيق العلمي القطعيّ أبداً ؛ ولكن المشكلة تحدث عند ما لا يفرق إخواننا هؤلاء بين القطعيّ والظنيّ ، ويعتبرون كل تحقيق علميّ " قطعيًّا " مهما اشتهر عن طريق الشائعات أو كان كذبة غرّة أبريل . فقد شاع مرة أنّ عالماً قد وصل كوكب المريخ ، وأنه شاهد عليه أنهاراً من اللبن ، وثبت فيما

بعد أن ذلك كان كـذبـة أبريل التي تعودوا ممارستها [١]

بل إننا نعتقد أن إخواننا هؤلاء لا يعرفون حقيقة كل من القطعيّ والظنيّ ، وإنما يثقون كل الثقة بمقولات العلم ، ولا يثقون بحقائق الدين ثقتهم به . والواجب عليهم أن يعلموا الفرق بين القطعيّ والظنيّ أولاً ، وأن لا يثقوا بكل ما يقوله العلم هذه الثقةَ العشوائية الزائدة ، وأن يتأملوا فيما إذا كان ما يقول به العلم قطعيًّا أو ظنيًّا ، وإننا ندّعي أن ٩٠٪ من دعاوي العلم ظنيّة ، وإذاً فلا يجوز مقارنتها حتى مع ظنيّات الشريعة ، فضلاً عن مقارنتها مع القطعيّات الشرعيّة .

وقد أسلفنا صوراً من التعارض الذي يمكن أن يحصـل بين الدلائل الشـرعيـة والـدلائل العقليّة ، وأسلفنا بحثاً مبنيًّا على العدل في شأن هذه القضيّة.

وخلاصة البحث أن هناك صوراً أربعة للتعارض بين الدلائل العقلية والنقلية . الأول أن يكون كل من الدليل النقلي و الدليل العقلي قطعيًّا بالدرجة الأولى . والثاني أن يكون الدليل النقلي قطعيًّا بالدرجة الأولى، والدليل العقلي قطعيًّا بالدرجة الثانية . والثالث أن يكون الدليل النقلي قطعيًّا بالدرجة الثانية ، والدليل العقلي قطعيًّا بالدرجة الأولى . والرابع أن يكون كل من الدليلين النقلي والعقلي قطعيًّا بالدرجة الثانية .

وقد ادّعينا فيما يتعلق بالصورة الأولى أنّها لا تتحقق أبداً ؛ لأنّ من خصائص الإسلام وحده أن تحقيقاً من تحقيقاته لا يتعارض أبداً مع الدليل العقلي القطعيّ . أمّا في الصورة الثانية فإنّ النقليّ هو الذي يُقَدَّمُ على العقليّ ، لأن النقليّ ههنا قطعيّ والعقليّ غير قطعيّ ، وفي الصورة الثالثة يقدّم العقليّ على النقليّ ، لأن الدليل النقليّ ههنا غير قطعيّ بمعنى أنّه يحتمـل معنى آخـر ، فهـو يحُمل عليـه . أمّا الصورة الرابعة فإنّ حكمها ظاهر ، وهو أنّه إذا تساويا في المنزلة ، فلا داعي إلى اختيار العقلي وترك النقليّ .

[يتبع]

(١) وذلك لا يعني أن المؤلف رحمه الله ينكر احتمال وصول الآدميّ إلى كوكب المريخ (الكوكب الأحمر) وإنما يعني أنهم صدقوا الخبر دونما تحقيق ، وإلاّ فإن المؤلف صرّح ذات يوم في مجلسه أنه سيصليّ ركعتي الشكر عندما يعلم أن أحداً هبط على سطح المريخ ، لأن مثل هذا العمل الاستكشافي الجريء مما يؤيّد حادث الإسراء والمعراج الذي لا يزال الملحدون يكذبونه .

ولكن المؤلف رحمه الله توفي عام ١٩٤٣م ، وقد حدث أن المركبة الفضائية الأمريكية هبطت على سطح المريخ يوم ٤/ يوليو ١٩٩٧م الموافق ٢٨/ صفر ١٤١٨هـ يوم الجمعة ، وقد بلغت تكلفة المهمة ٢٦٧,٥ مليون دولار

وقد قدّروا أن المسافة بين الكوكب الأرضي وكوكب المريخ هي خمس مائة مليون كلومتر . [المترجم]

الالتزام بالمعاهدات الدولية والوفاء بشروطها

بقلم : الدكتور عثمان جمعة ضميرية

تعتبر المعاهدات والاتفاقات من أهم وسائل العلاقات الدوليّة في القديم والحديث ، فهي توطد فكرة السلام وتوجّه العلاقات السلميّة للمسلمين مع غير المسلمين خارج الدولة وداخلها . ويترتب على المعاهدات الدوليّة آثار كثيرة في العلاقات بين الأطراف المتعاقدة أصالة ، وقد يترتب عليها آثار على غير الأطراف تبعاً [١] ، وقد يتفق الأطراف في المعاهدة على ضمانات للالتزام بها . ونعرض فيما يلي لأهم أثر من هذه الآثار وهو الوفاء بالشروط والالتزامات التعاقدية والتحرز عن الغدر ، والقواعد التي تحكم ذلك .

(١)

والأصل في الوفاء بالعهد والتحرز عن الغدر : كثيرٌ من الآيات القرآنية الكريمة ، والأحاديث النبوية الشريفة ، التي ترسي هذا المبدأ الأصيل في العلاقات الدولية وغيرها .

ففي الوفاء بالعهد أو العقد [٢] ، يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾ [٣] . ووجه الاستدلال بالآية الكريمة : "أن العقد ما يعقده العاقد على أمر يفعله هو ، أو يعقد على غيره فعله على وجه إلزامه إياه .. والعهد و الأمان يسمَّيان عقوداً لأن معطيها قد ألزم نفسه الوفاء بها . والأيمان كذالك ، لأن الحالف قد ألزم نفسه التمام عليه والوفاء به ، والشركة والمضاربة تسمى أيضاً عقوداً ، لأنها تقتضي الوفاء بما شَرَطه كل واحدٍ من الربح والعمل لصاحبه ، وألزم نفسه بما شَرَطه في شيء يفعله في المستقبل ، فهو عقد كعقود البيوع والإجارات وغيرها . فقد اشتملت الآية الكريمة على إلزام الوفاء بالعهود والذِّمَمِ التي نعقدها لأهل الحرب وأهل الذمة والخوارج وغيرهم من سائر الناس .. وجميع ما يتناوله اسم العقود " [٤] .

ويأمر الله تعالى بإتمام العهود إلى مدتها ويحذّر من نقضها فيقول : ﴿ إِلا الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ [٥] .

ومنذ أن كان النبيُّ صلى الله عليه وسلم وأصحابه – رضوان الله عليهم – في مكة المكرمة والدعوةُ في مهدها لا تتجاوز أمَّ القرى ، يعلم الله تعالى أن المسلمين سيكون لهم دولة قوية .

وقد تحملُ القوةُ أهلَها على التهاون بالعهود والمواثيق ؛ تحقيقاً لمصلحة قريبة ، أو ثأراً لمظلمة سابقة، فكان من حكمة الله تعالى أن يأتي التأكيد على الوفاء بالعهد والتحذير من الغدر في التعامل مع الأمم الأخرى ، وكان ذلك أيضاً إرهاصاً بقيام دولة قوية عزيزة للمسلمين ينبغي أن تستشرف الحق

والعدل والوفاء ، فقال الله تعالى : ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ . وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ (٦) .

وقال تعالى : ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴾ (٧) .

وتواردت الآيات الكريمة في الوفاء بالعهد في مجالات العقيدة والعبادة والأخلاق وفي العلاقات الاجتماعية والدولية وفي المعاملات المالية وغيرها ، وسلك القرآن الكريم في ذلك مناهج شتى ، فقد أوجب الوفاء بالعهود بصيغة الأمر المباشر ، وبصيغة الخبر ، ثمّ بطريقة التحذير من عدم الوفاء أو التهاون بالعهود ، وجعل الوفاء بالعهد من صفات المؤمنين ...(٨)

ثمَّ عرضتِ الآياتُ الكريمةُ للصورة المقابلة للوفاء فحذَّرت من خيانة العقود ونقضها وعدم مراعاتها ، مع بيان ما يترتب على ذلك من الآثار ، فقال الله سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ . الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ . فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ (٩) .

وقال سبحانه : ﴿ أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (١٠) .

وقال سبحانه : ﴿ وَإِن نَّكَثُوا أَيْمَانَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ . أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (١١).

(٢)

أمّا الأحاديثُ النبويَّة فقد جاءت بتفصيلاتٍ أوسع في الوفاء بالعهود والنهي عن الغدر والخيانة والنقض ، حسبُنا أن نشير إلى طرفٍ منها :

عن عبد الله بن عمرو – رضي الله عنهما – قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أربعٌ من كُنَّ فيه كان منافقاً خالصاً ، ومن كانت فيه خصلةٌ منهنَّ كانت فيه خصلة من النفاق حتى يَدَعها: إذا اؤتُمِن خان ، وإذا حدَّث كذب ، وإذا عاهَدَ غَدَر، وإذا خاصَمَ فَجَر " (١٢).

وعن ابن عمرو – رضي الله عنهما – أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " إنّ الغادر يُنصب له لواء يوم القيامة ، فيقال : هذه غدْرَةُ فلان ابن فلان . وقال : " لكل غادرٍ لواء عند استِهِ يوم القيامة ، ألا ولا غادرَ أعظمُ غدراً من أميرِ عامَّةٍ "(١٣)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " أدِّ الأمانة إلى من ائتمنك ولا تَخُنْ من خانك " (١٤) .

وأخرج أبو عُبَيْد بسنده عن رجل من جهينة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " إنكم لعلكم تقاتلون قوماً فيتقونكم بأموالهم دون أنفسهم وأبنائهم ويصالحونكم على صلح – فلا تأخذوا منهم فوق ذلك ، فإنه لا يحل لكم " (١٥) . وفي هذا دليل على أنه لا يجوز للمسلمين بعد وقوع الصلح بينهم وبين الكفار على شيء أن يطلبوا منهم زيادة عليه ، فإن ذلك من ترك الوفاء بالعهد ونقض العهد وهما محرّمان بنص القرآن والسنة (١٦) .

اختير أحد لها فليس يصح له أن يتنازل أو يقبل بالتحكيم، وعلى الخليفة أن يخضع خضوعا تاماً لما أمر الله به وإلا وجب عزله، وليس بضروري أن يكون الخليفة قرشيا، بل يصح أن يكون من قريش ومن سواها، ولوكان عبدا، فخالفوا بذلك الشيعة التي لاترى أحدا أحق بالخلافة من عليّ وأبنائه من بعده، والحزب الزبيرى الذى يقول بأن الخلافة في قريش، والحزب الأموى الذى يعتقد أن الحلافة في بنى أمية، ويحسن بنا أن ننقل هنا خطبة أبي حمزة الخارجى في أهل المدينة، فإنها تلقى ضوءا واضحا على آراء الخوارج السياسية التي اتبعوها كما توضح وجهة نظرهم في الحزب الأموى والخلفاء الأمويين وفي التشيع، وتبين رأيهم في الخلفاء الراشدين وتشير إلى الصفات البارزة في الخوارج، يقول الخارجي بعد أن حمد الله وذكر الخلفاء الراشدين وأثنى على معظمهم وقد بلغه أن أهل المدينة يعيبون على الخوارج حداثة السن وخفة الأحلام (٥):

" ثم وُلّيَ معاوية بن أبي سفيان، لعين رسول الله وابن لعينه، فاتخذ عباد الله خَوَلا، ومال الله دُولا، ودينه دَغلا، ثم مضى لسبيله، فالعنوه لعنه الله، ثم ولى بعده ابنه يزيد، يزيد الخمور، ويزيد القرود ويزيد الفهود... الفاسق في بطنه ... فخلف القرآن واتبع الكهان ... وعمل بما يشتهيه حتى مضى على ذلك، فعليه لعنة الله وملائكته، ثم ولى مروان بن الحكم، طريد لعين رسول الله وابن لعينه، فالعنوه والعنوا آباءه، ثم تداولها بنو مروان بعده، طرداء رسول الله وآله، وقوم من الطلقاء ليسوا من المهاجرين والأنصار، ولا التابعين بإحسان، فأكلوا مال الله أكلا، ولعبوا بدين الله لعبا، واتخذوا عباد الله عبيدا يورث ذلك الأكبر منهم الأصغر، فيالها أمة ما أضيعها وأضعفها. ثم مضوا على ذلك من شيء أعمالهم واستخفافهم بكتاب الله تعالى، قد نبذوه وراء ظهورهم، لعنهم الله فالعنوهم كما يستحقون، وقد ولى منهم عمر بن عبد العزيز، فعجز عن الذي أظهره حتى مضى لسبيله، ثم ولى يزيد بن عبد الملك، غلام ضعيف صغير سفيه غير مأمون على شيء من أمور المسلمين، لم يبلغ أشده، ولم يونس رشده، وقد قال الله عزّ وجلّ: "فإن آنستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم" فأمر أمة محمّد في أحكامها ... ودمائها أعظم عند الله من مال اليتيم، غلام يشرب الحرام ويأكل الحرام ويلبس الحرام، يلبس بردين قد حيكتا له، وقومتا على أهلهما بألف دينار، وأكثر وأقل، وقد أخذت من غير حلها، وصرفت في غير وجهها بعد أن ضربت فيهاالأبشار، وحلقت فيها الأشعار، وهتكت فيها الأستار، واستحل مالم يحل الله لعبد صالح، ولا لنبى مرسل، ثم يجلس: حبابة عن يمينه، وسلامة عن شماله تغنيانه بمزامير الشيطان ويشرب الخمر الصراح المحرمة نصا بعينها، حتى إذا أخذت منه مأخذها، وخالطت روحه ولحمه ودمه، وغلبت سورتها على عقله، مزق حلتيه، ثم التفت إليهما فقال : أتأذنان لى فى ان أطير؟ نعم فطر إلى لعنة الله وحريق ناره وأليم عذابه، طر إلى حيث لا يردك الله" .

"أصابوا إمرة ضائعة ... لا يقومون لله بحق، ولا يفرقون بين الضلالة والهدى... بطشهم بطش الجبابرة، يحكمون بالهوى، ويقتلون على الغضب، ويأخذون بالظن، ويعطلون الحدود بالشفاعات ويؤمنون الخونة ... ويأخذون الفريضة من غير موضعها، ويضعونها في غير أهلها، وقد بين الله أهلها

(٣)

وإذا كان للوفاء بالعهد أثره في الالتزام بالمعاهدات الدولية واستقرارها فإنه كذلك يجعل المعاهدين عوناً للمسلمين ويزرع في نفوسهم الثقة بهم ، فقد أخرج القاضي أبو يوسف أنَّ ابا عُبَيْدَةَ بنِ الجرَّاحِ لَمَّا صالح أهل الشام واشترط لهم وعليهم شروطاً كان الصلح عليها ، قالوا له : اجعلْ لنا يوماً في السنة نُخْرِج فيه صلباننا بلا رايات ، وهو يوم عيدنا الأكبر . ففعل ذلك وأجابهم إليه ، فلم يجدوا بُدّاً أن يَفُوا لهم بما شرطوا ، فَفُتِحتِ المدن على هذا . فلما رأى أهلُ الذمة وفاءَ المسلمين وحسن السيرة فيهم صاروا أشدَّاء على عدوّ المسلمين وعوناً للمسلمين على أعدائهم ، فبعث أهلُ كل مدينة ممن جرى الصلح بينهم وبين المسلمين رجالاً مِنْ قِبَلهم يتحسَّسون الأخبار عن الروم وعن ملكهم وما يريدون أن يصنعوا ، فأتى أهلَ كلّ مدينة رسلُهم يخبرونهم بأن الروم قد جمعوا جمعاً لم يُرَ مثله ، فأتى رؤساء أهل كل مدينة إلى الذي خلّفه أبو عبيدة فأخبروه بذلك (١٧) .

(٤)

وقد كان الوفاء بالعهد والتحرز عن الغدر من المعالم البارزة والأصول الثابتة في منهج مؤسس القانون الدولي الإسلامي ، الإمام محمد بن الحسن ، نجده واضحاً في كتابيه " السِّير الكبير " وفي " الأصل " وغيرهما ، وكثيراً ما نجده يعلّل لما يذهب إليه بأن فيه وفاءً وتحرزاً عن الغدر . وإليك ما يدل على هذا :

(أ) – ينبغي رعاية العهد والميثاق مع الدولة غير المسلمة في كل الأحوال ، ويُقَدَّم هذا على واجب النصرة والمساعدة للمسلمين الذين لم يهاجروا إلى دار الإسلام إذا استنصرونا ، فإذا كان بين المسلمين وبين غير المسلمين عهد ، فلا ينبغي نقضه ، بل يجب الوفاء به حتى ينقضي العهد أو ينبذ إليهم على سواء (١٨) .

قال الله تعالى : ﴿ وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (١٩) .

وفي هذا يقرر الإمام محمد ضرورة تخليص الرهائن من غير المسلمين كلما كان ذلك ممكناً إلا إذا كانت هناك موادعة بين المسلمين وغيرهم فيقول : ".. وإن أبي الذين في أيديهم الرهن أن يعطوا الرهن إلى المسلمين إلا بقتال ، فلا بأس بقتالهم وقتلهم على ذلك، لأن الدين في أيديهم قوم أحرار من المسلمين يريدون أن يُدْخلوهم بلادهم بغير حق ، فلا يسعُ المسلمين إلا أن يقاتلوا لتخليصهم من أيدي الظالمين أذا قدروا على ذلك ... وإن كان الذين أخذوا الرهن قد انتهوا بالرهن إلى منعتهم وقد وادعهم المسلمون فليس ينبغي للمسلمين أن يقاتلوهم حتى ينبذوا إليهم . بخلاف ما قبل وصولهم إلى منعتهم ، لأن هناك إنما يقاتلون ليستردوا الرهن لا لنقض الموادعة ، وبعدما وصلوا إلى منعتهم ، القتالُ لا يكون على الرهن بل على نقض الموادعة . وقد صحّت الموادعة . فذلك يمنعنا من قتالهم حتى ننبذ إليهم" (٢٠).

وقال أيضاً : " لا بأس بأن يقاتل المسلمون من أهل العدل مع الخوارج المشركين من أهل الحرب .. إذا لم يكن فيه نقض عهد منهم . فأمّا إذا آمنوا قوماً ثمّ غدروا بهم فإنه لا يَسعُ القتال معهم لأهل العدل، لأن الوفاء بالأمان واجب " (٢١) .

(ب) – إلا أن وجود الميثاق المانع من نصرة المسلمين وعدم قتال المعاهدين يكون فقط بالنسبة للدولة الإسلامية ، أما الرعايا العادين فيمكنهم

تخليص الأسرى إذا كانوا مستأمنين في بلاد الكفر وقدروا على ذلك . قال الإمام محمد :

" قوم من المسلمين يكونون مستأمنين في دار الحرب ... إذا أغار أهل الحرب على دار الإسلام فأصابوا غنائم وسبايا كبيرة أحراراً مسلمين فأدخلوهم دار الحرب ، فمروا بهم على أولئك المسلمين المستأمنين ، هم أن ينقضوا عهدهم ويقاتلوا على ذراري المسلمين ، لا يسعهم إلا ذلك إذا كانوا يطيقون القتال " (٢٢) .

وقال أيضاً في " السِّير الصغير " : " وإن أغار أهل الحرب الذين فيهم مسلمون ومستأمنون على دار من المسلمين فأسروا ذراري المسلمين [فلا بأس أن ينقضوا الأمان ثمّ يقاتلوهم لاستنقاذ الذراري](٢٣) إذا كانوا يطيقون القتال ، لأنهم ما ملكوا ذراري المسلمين بالإحراز ، فهم ظالمون في استرقاقهم. والمستأمنون ما ضمنوا لهم التقرير على الظلم ، فلا يسعهم إلا قتالهم لاستنقاذ ذراري المسلمين من أيديهم بخلاف الأموال ، لأنهم ملكوها بالإحراز (٢٤) ، وقد ضمن المستأمنون ألاّ يتعرضوا لهم في أموالهم " (٢٥).

(جـ) – وعَرَض الإمام محمَّد لكثير من الشروط التي يجب الوفاء بها في الموادعة ليكون ذلك تحرزاً عن الغدر والخيانة ، وتأكيداً للوفاء بالمعاهدات وشروطها ، فمن ذلك:

ـ إذامرَّ عسكر المسلمين بمدينة من مدائن أهل الحرب فقال أهل المدينة : أعطونا العهد على أن لا تشربوا من ماء نهرنا ، فأعطيناهم ذلك ، فإن كان شربنا يضرُّهم في مائهم ، أو لا نعلم أيضرُّ ذلك بمائهم أو لا ، فينبغي أن نفي لهم بذلك (٢٦) .

– وإذا أعطوهم العهد على أن لا يتعرضوا لزرعهم وأشجارهم وثمارهم ، فليس ينبغي لهم أن يتعرضوا لشيء من ذلك ، سواء أضرَّ بأهل الحرب أو لم يضرَّ بهم ، لأن هذا مِلْك لهم ، ونفوذ تصرف الإنسان في ملكه بحكم المِلْك ، لا باعتبار المنفعة والضرر ... والتحرز عن الغدر واجب (٢٧).

(د) – وإن شرطوا في المعاهدة شرطاً وجب الوفاء به وبما هو أَوْلى منه حتى ولو لم ينصَّ على ذلك: فإن شرطوا علينا ألا نأكل من زروعهم ولا نعلف منها ، فليس ينبغي لنا أن نحرق شيئاً منها ، لأن الإحراق فوق الأكل في تفويت مقصودهم بالشرط ، فيثبت الحكم فيه بالطريق الأولى .

وإن شرطوا ألا نحرق لهم زروعاً فقدرنا على أن نغرقها بالماء ، فليس لنا أن نفعل ذلك ، لأن هذا في معنى المنصوص من كل وجه ، فإن كل واحد منهما إفساد . وإن شرطوا أن لا نقتل أسراهم إذا أصبناهم، فلا بأس أن نأسرهم ، لأن الأسر ليس في معنى ماشرطوا من القتل . وإن شرطوا أن لا نأسر منهم أحداً فليس ينبغي لنا أن نأسرهم ونقتلهم ، لأن القتل أشدّ من الأسر ، ومقصودهم بهذا الشرط يفوت بالقتل كما يفوت بالأسر " (٢٨) .

والأصل في جنس هذه المسائل والشروط : أن الأمان على الشيء أمان على مثله وعلى ما فوقه ضرراً ، ولا يكون أماناً على ما دونه ضرراً (٢٩).

(هـ) – وينبغي أن نشير هنا إلى أن الإمام محمداً – رحمه الله – يؤكِّد على وجوب الوفاء بالعهد والشروط في المعاهدات طالما أن المعاهدة لا تزال قائمة يلتزم بها الطرف الآخر . أما إذا نقضها بخيانة أو مخالفة للشروط المتفق عليها – كما سيأتي – فإن المسلمين عندئذ في حلٍّ من الالتزام بها والوفاء لها ، لأنها لم تعد قائمة فعلاً . وبهذا يضع قيداً على الوفاء بالعهد و يعاملهم بالمثل فيما هو سائغ جائز لنا . وهذا ما يفهم

من قوله آنفاً : " إن شرطوا أن لا نأسر منهم أحداً ، فليس ينبغي لنا أن نأسرهم أو نقتلهم إلا أن تظهر الخيانة منهم ، بأن كانوا التزموا أن لا يقتلوا منا أحداً ، ولا يأسروا منا أحداً ، ثمَّ فعلوا ذلك ، فحينئذ يكون هذا منهم نقضاً للعهد ، فلا بأس بأن نقتل أسراهم وأن نأسرهم ، كما كان لنا ذلك قبل العهد " (٣٠) .

والأصل في هذا : قوله تعالى : ﴿ إلا الَّذِيْنَ عاهَدتُّمْ مِنَ الْمُشْرِكِيْنَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِيْنَ ﴾ (٣١) .

وقوله تعالى : ﴿ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيْمُوا لَهُمْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِيْنَ ﴾ (٣٢) .

كما استدل على ذلك أيضاً بأن أهل مكة لما نقضوا العهد مع النبي صلى الله عليه وسلم في صلح الحديبية بمساعدتهم بني بكرٍ على خزاعة – وكانت خزاعة حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم – قصدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير نبْذٍ إليهم ، وسأل الله تعالى أن يعمّي عليهم الأخبار حتى يأتيهم بغتة (٣٣) .

(٥)

واتفق الفقهاء على أنه ينبغي على المسلمين أن يَفُوا بكل ما في المعاهدة من شرط صحيح ، طالما أنها لا تزال قائمة لم تنتقض (٣٤).

قال ابن حزم : " اتفق الفقهاء على أن الوفاء بالعهـود التي نصَّ القـرآن على جوازهـا ووجوبها وذُكِرَتْ فيه بصفاتها وأسمائها ، وذكرت في السُّنَّة كذلك ، وأجمعت الأمة على وجوبها أو جوازها ،فإن الوفاء بها فرض ، واعطاؤها جائز .

واختلفوا في الوفاء بكل عهد كان بخلاف ما ذكرنا ، أيَحْرُمُ إعطاؤه ويبطل إن عُقِد أم ينفذ؟" (٣٥).

هذا ، وبالمقارنة مع القانون الدولي الوضعي وواقع العلاقات الدولية المعاصرة من جهة وبين أحكام المعاهدات في الشريعة الإسلامية وواقع تعامل المسلمين مع غيرهم ، نجد البَوْن شاسعاً بين تأكيد الإسلام على الوفاء بالعهد وشروطه ومنع الغدر ، حتى غدا ذلك أصلاً عظيماً في العلاقات الدولية والاجتماعية ، وبين واقع غير المسلمين في القديم والحديث ، وتعاملهم مع المسلمين بالغدر وعدم الوفاء، حتى اعترف بذلك كُتّابهم ومنهم " فوشيه " الذي يقرر أن النبي صلى الله عليه وسلم قد أوصى أتباعه بمراعاة المعاهدات وتنفيذ نصوصها ، قبل أن تظهر في الغرب قاعدة احترام المعاهدات (٣٦) . بل في وقت كان الغرب يغطُّ فيه في دياجير الجهالة والظلمة، ولم يكن فيه أي احترام لذمةٍ أو عهد أو ميثاق ، وإنما كانت القاعدة هي الكذب والخديعة والغدر ، حتى ان الكنيسة الكاثوليكية في القرن السابع عشر قد قامت بإعفاء الأمراء الكاثوليك من الالتزام بالمعاهدات التي أبرموها مع الكفار وغير المؤمنين بالكاثوليكية ، ومنها المعاهدات المبرمة مع البروتستانت (٣٧) ، فكان ذلك شهادة لا يرقى إليها الشك – إذ هي شهادة من الأعداء – تدل على عظمة الإسلام وأحكامه وسموِّ مبادئه التي تقوم على الحق والعدل اللَّذين قامت بهما السموات والأرض (٣٨).

الهوامش :

(١) الآثار جمع لكلمة الأثر ، والأثر يأتي بمعنى الخبر ، وبمعنى العلامة ، وبمعنى النتيجة أو الحاصل من الشيء ، وبمعنى ما يترتب على الشيء ويدل على وجوده ، وهذا الأخير يسمى عند الفقهاء حكماً وعلى هذا ، فآثار المعاهدة هي ما يترتب عليها وما يحصل بسببها من نتائج وبين المعاهدة وآثارها علاقة تبادلية ، فالمعاهدة تترتب عليها آثارها حتماً ، والآثار تدل على بقاء المعاهدة وقيامها. انظر " التعريفات " للجرجاني، ص (٢٣) ، " كشاف اصطلاحات الفنون " للتهانوي ١/٩٥ ، " مفردات غريب القرآن " للراغب الأصفهاني ، ص (٩)

(٢) الوفاء مصدر وَفى و أوْفى ، وهو إتمام العهد على ما عقد عليه من شروطه وعدم نقضه انظر . " تفسير الطبري " ٩/٥٥٥ ، "المفردات في غريب القرآن " للراغب ، ص (٥٢٨) ، "بصائر ذوي التمييز " للفيروز آبادي ٥/٢٤٤-٢٤٥

(٣) سورة المائدة ، الآية (١) .

(٤) " أحكام القرآن " للجصاص : ٢/٢٩٣-٢٩٤ وأنظر "تفسير الطبري" ٩٠/٤٤٩-٤٥٤، "تفسير القرطبي" ١٠/١٦٩، " تفسير البغوي" . ٣/٥-٦، "تفسير ابن كثير" ٣/ ٤، "مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية " ٢٩/١٤٥-١٥١

(٥) سورة التوبة ، الآية (٤) .

(٦) سورة النحل ، الآيتان (٩١-٩٢) ، وأنظر "أحكام القرآن" للجصاص : ٢/١٩٠ .

(٧) سورة الإسراء ، الآية (٣٤) .

(٨) أنظر بالتفصيل : "العهد والميثاق في القرآن الكريم" ، د ناصر سليمان العمر ص (١٥٣) وما بعدها " في ظلال القرآن" ٤/٢١٩٠-٢١٩٣

(٩) سورة الأنفال ، الآيتان (٥٦ و ٥٧) .

(١٠) سورة البقرة ، الآية (١٠٠) .

(١١) سورة التوبة ، الآيتان (١٢-١٣)

(١٢) أخرجه البخاري في الإيمان ، باب علامة المنافق : ١/٨٩، ومسلم في باب خصال المنافق ١/٧٨

(١٣) أخرجهما البخاري في الجهاد ، باب إثم الغادر : ٦/٢٨٣ ، ومسلم في باب الأمر بالتيسير ٣/١٣٦١ .

(١٤) أخرجه أبو داود في البيوع ، باب في الرجل يأخذ حقّه . ٥/١٨٥، والترمذي في البيوع :٤/٤٧٩ . وقال : "حسن غريب"، والطحاوي في "مشكل الآثار" :٥/٩١ و ٩٢، والبغوي في "شرح السنة" :٨/٢٠٦ ، والدار قطني :٣/٣٥ ، والدارمي : ٢/٢٦٤ ، وصححه الحاكم في " المستدرك " : ٢/ ٤٦ ، والإمام أحمد في " المسند " :٣/٤١٤ ، والبيهقي في " السنن " ١٠/٢٧١ . واختلف فيه تصحيحاً وتضعيفاً . أنظر : " نصب الراية " ٤/١١٩ ، "تلخيص الحبير " ٣/٩٧ .

(١٥) "الأموال " لأبي عبيد ص (١٧٠ و ١٧١) ، وأخرجه أبو داود في الجهاد : ٤/٨١، والبيهقي : ٩/٢٠٤ ، ٢٢٣ ، وسعيد بن منصور ٢/٢٣١ ، ويحيى بن آدم في " الخراج " ص (٧٢) ، وابن زنجويه ١/٣٦٥ ، وعبد الرزاق : ٦/٩٢ و ١٠/٣٣١ ، وروى ابن ماجة بعضاً منه : ٢/١٢٦٩. وقال في الزوائد إسناده حسن

(١٦) أنظر : "نيل الأوطار" للشوكاني :٨/٦٩ . ونصّ على هذا من قبلُ الحافظ ابن عبد البر ثمّ قال : إلا أن ينقضوا ، فإن نقضوا ، فلا عهد لهم ولا ذمة ويعودون حرباً إلا أن يصالحوا بعد . أنظر : " التمهيد " : ٢/١٢٤.

(١٧) أنظر القصة كاملة في " الخراج " لأبي يوسف ص (١٤٩-١٥١)، وراجع فتوح البلدان للبلاذري : ١/١٦٢، مجموعة الوثائق السياسية د. حميد الله ص:٤٧٠، "تفسير المنار " للشيخ محمد رشيد رضا : ١٠/٣٤٩ ، " الدعوة إلى الإسلام" توماس أرنولد ، ص (٧٣) ترجمة حسن إبراهيم حسن وآخرين.

(١٨) أنظر : "شرح السِّير الكبير " : ٤/١٦٦٧ ، وراجع "أحكام القرآن " للجصاص ٣/٧٥-٧٦، "أحكام القرآن" لابن العربي ٢/٨٧٥ ، "تفسير الطبري" ١٤/٨٢-٨٣، "تفسير أبي السعود": ٢/٣٧٧

(١٩) سورة الأنفال ، الآية (٧٢)

(٢٠) "السِّير الكبير " مع شرح السَّرْخَسِيّ ٤/١٦٦٦-١٦٦٧ .

(٢١) المرجع السابق ٤/١٥١٥-١٥١٦

(٢٢) "الأصل " للإمام محمد بن الحسن - كتاب السِّير - ص (١٩٦) وأنظر . "المعاهدات الدولية في الشريعة" د. أحمد أبو الوفا ـ (١٤٧)

(٢٣) ما بين القوسين ساقط من الأصل واستدركناه من " اختلاف الفقهاء " للطبري ص (١٩٦) عندما نقل رأي أبي حنيفة وأصحابه في المسألة .

(٢٤) في "اختلاف الفقهاء" ص (١٩٦) أنهم يسترقون أسراء المسلمين وأموالهم وهو مخالف لنص الإمام محمد - رحمه الله - في كتابيه " الأصل " و " السِّير " وراجع فيما يـأتي ص (١٢٩١)

(٢٥) " شرح السِّير الصغير " ضمن " المبسوط " للسرخسي ١٠/٩٨ ، وبمعناه أيضاً في " السير الكبير" ٤/١٢٢٢ ، "اختلاف الفقهاء " للطبري ص (١٩٦) ، " البحر الرائق" لابن نجيم ٥/١٠٧، "فتح القدير" ٤/٣٤٨

(٢٦) " السير الكبير " مع شرح السرخسي . ١/٢٩٩ ، " الفتاوى الهندية" . ٢/٣٠٣

(٢٧) " السير الكبير" ١/٣٠٠-٣٠١، "الفتاوى الهندية" . ٢/٢٠٣ .

(٢٨) المرجع نفسه . ١/٣٠٢-٣٠٤، وأنظر أمثلة كثيرة في : ٢/٤٩٩، ٥٨٢-٥٨٣ و ٤/١٥٢٠-١٥٢١ و ٥/١٨٥٦ - ١٨٥٨

(٢٩) أنظر " الفتاوى الهندية " ٢/٢٠٣

(٣٠) " السير الكبير " ١/٣٠٣-٣٠٤.

(٣١) سورة التوبة ، الآية (٤) .

(٣٢) سورة التوبة ، الآية (٧) . وفي هذا يقول الدكتور حامد سلطان وهذا نص صريح في إقامة أساس القوة الإلزامية للمعاهدات على رباط الوفاء المتبادل بالالتزامات من جانب الطرفين المتعاقدين أنظر: "أحكام القانون الدولي في الشريعة" ص (٢٠٧) .

(٣٣) أنظر : سيرة ابن هشام: ٢/٣٩٤ و المصنف، لابن أبي شيبة. ١٤/٤٧٣.

(٣٤) أنظر " عقد الجواهر الثمينة " : ١/٤٩٨ ، " الدسوقي على الشرح الكبير " : ٢/٢٠٦، "الوجيز" : ٢/٢٠٤، "الغاية القصوى" . ٢/٩٦٢، "نهاية المحتاج" :٨/١٠٨، "روضة الطالبين": ١٠/٣٣٧ ، "تحرير الأحكام" ص (٢٣٣) ، "المغني": ١٠/٥١٣، "المبدع" ٣/٤٠١ .

(٣٥) "مراتب الإجماع" لابن حزم ، ص (١٢٣) .

(٣٦) نقلاً عن " آثار المعاهدات بالنسبة للدول غير الأطراف " ، د.محمد مجدي مرجان ، ص (٢٣) .

(٣٧) " تاريخ القانون الدولي " تأليف لوران ، المجلد العاشر ، ص (٤٣٢-٤٣٩) نقلاً من المرجع السابق .

(٣٨) أنظر بالتفصيل : "حضارة العرب " تأليف غوستاف لوبون، ترجمة عادل زعيتر ، ص (٣٣٠ - ٣٣١) ، " الشرع الدولي في الإسلام" د. أرمناري ، ص (٤٠-٤١) ، "منهج الإسلام في الحرب والسلام" عثمان ضميرية ، ص (٥٤-٥٥) ، "المعاهدات الدولية" د. أحمد أبو الوفا ص (١٢٤-١٢٥)، " آثار المعاهدات بالنسبة للدول غير الأطراف " د. محمد مجدي مرجان ، ص (٢٣) .

قراءة سريعة في كتاب

دراسة حديثية مقارنة لنصب الراية

مع لمحة موجزة عن

فنّ التخريج ونشأته ، والمؤلفات فيه

وترجمة للإمام الحافظ الزيلعيّ

إعداد الأستاذ محمّد رحمة الله حافظ محمّد ناظم النّدوي
الدوحة ، قطر

إن الحمد لله الذي خلق الإنسان وعلّمه البيان ، وأنزل لهدايته خير كلامه و أعظم البرهان ، على أفضل الأنبياء وأشرف المرسلين محمد النبي الأمي النذير العريان صلى الله عليه وسلّم ما دامت السماء والأرض والثقلان ، و وعد بحفظ كتابه قائلاً في محكم تنزيله "إنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَ إنَّا لَهُ لَحَافِظُوْنَ "(١) وقد تحقق هذا الموعود بكل معانيه وسائر دلالاته ، فله الحمد تعالى كما ينبغي لجلال وجهه و بأعظم سلطانه

وبعد . لما توفي الرسول صلى الله عليه وسلم ولحق بالرفيق الأعلى بعد تبليغ الدين وإقامة الحجة على سائر البشرية ، والدعوة إلى الحق المبين ، حلفه أصدق الأصحاب وأوفاهم لنبيهم ، وهم الرعيل الأول من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، الذين تحملوا عبء نشر الدعوة الإسلامية على كواهلهم في سائر أنحاء العالم ، وفعلاً قد قاموا بهذه الوظيفة أفضل و أتم و أكمل قيام لم يسبق له مثيل ولا نظير في تاريخ الأنبياء السابقين ، وحقا نزلت فيهم البشارة من فوق سبع سماوات في قوله تعالى " وَالسَّابِقُوْنَ الْأَوَّلُوْنَ مِنَ الْمُهاجِرِيْن والْأَنْصارِ وَ الَّذِيْنَ اتَّبَعُوْهُمْ بِإِحْسانٍ رَضِي اللّٰهُ عَنْهُمْ وَرَضُوْا عَنْهُ "(٢) وتم فيهم وعد الباري تعالى بدحولهم الجنة والنعيم المقيم تعويضاً لما أنفقوه من أنفسهم وأموالهم ، كما قال تعالى " إنَّ اللّٰهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِيْنَ أَنْفُسَهُمْ و أَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُوْنَ فِيْ سَبِيْلِ اللّٰه فيقْتُلُوْن و يُقْتَلُوْن وعْدًا عليْه حقًّا فِي التَّوْراةِ والْإِنْجِيْلِ والْقُرْآن ، وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللّٰهِ فاسْتَبْشِرُوْا بِبَيْعِكُمْ الَّذِيْ بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِك هُوَ الْفَوْزُ الْعظِيْمُ "(٣)

وصدق المصطفى صلى الله عليه وسلم حيث قال " حير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم" (٤) وقال صلى الله عليه وسلم · لا تسبّوا أصحابي فو الذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه "(٥)

وهكذا تتابعت الأجيال والأمم ومضت القرون المشهود لها بالحير ، وبعث الله تعالى على كل مائة

(١) سورة الحجر ، الآية · ٩ (٢) سورة التوبة ، الآية ١٠٠ (٣) سورة التوبة ، الآية ١١١ (٤) رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما ، انظر البخاري رقم ٢٦٥١ ، و مسلم في باب فضائل الصحابة (٥) رواه الإمام مسلم في باب تحريم سب الصحابة برقم ٢٢٢ و رواه الإمام ابن ماجة في سننه برقم ١٤٨ بتحقيق د مصطفى الأعظمي

سنة من يجدّد لهذه الأمة دينها مصداقاً لقول الرسول صلى الله عليه وسلم :

" حتى مضى زمن التابعين وأتباعهم ، وشاعت العلوم وراجت الثقافة الإسلامية ، وعمرت الأمصار ، وانتشر علم الحديث والفقه والتفسير ، حتى وصل الأمر إلى زمن الأئمة الأربعة وأنشئت مجمعات فقهية وحديثية لمقاومة الأفكار الهدامة للدين ، التي كانت تستهدف استيصال جذور الإسلام بإنفاق كل الطاقات المادية والمعنوية ، والقضاء على شريعة اللّٰه وتنفير الناس منها بمختلف الأشكال والأصناف ، ومن أبرز الفرق التي كانت تحمل هذه الأفكار السّامّة ، المعتزلةُ والخوارج والجمهمية والشيعة مع سائر طوائفها وقيّض اللّٰه تعالى لدحض هذه الأفكار العلماء الربّانيّين الغياري على دينهم و شريعتهم ، فقاوموها بكل الطرق والوسائل المتاحة لديهم ، ولم يَدَعوا ميداناً من ميادين الزيغ والضلال إلاّ هدموه ، وما من فكر زائغ و وجهة نظر مناقضة للإسلام والدين من الفلسفات القديمة والأساطير الباطلة التي تعتمد على الأوهام والتخيلات ، إلاّ قضوا عليها ، و دوّنوا الكتب ، وحرّروا الصحائف ، وبوّبوا العلوم ، وقرروا المناهج الأصولية لفهم الدين ، والاستفادة من منابعه ومصادره الأصلية وجعلوه سهل الأصول وبمتناول الجميع وحققوا نظرية رفع الحرج عن الأمة و تيسير الدين بمعنى الكلمة .

و ها نحن اليوم سعداء بذكرى أولئك الأسلاف والمحققين النجباء الجهابذة ، ونفتخر بذكرهم و نتشرف بدراسة سيرهم وتراجمهم ، ونقرّ أ عيننا بالنظر فيما خلّفوه لنا من التراث العلمي والديني والثقافي في مختلف العلـوم والفنـون ، إلا أن أغلب الكتب والمؤلفات التي وصلتنا من تراثنا الإسلامي الثري الرائع من سوءِ حظنا أنها لم تخدم كما هو حقها ، إلا عدد قليل منها فإنها نالت الصدارة من قبل المهتمين بالتـراث القـديـم ، وأولوها عناية فائقة واهتماماً بالغاً في سبيل إخراجها في حلة قشيبة و طراز جميل .

وكثيراً ما نعاني هذه المشكلة ونشتكي عدم التمكن من الاستفادة من هذه اللآلي النادرة والدرر القيمة إما لضعف وخلل في طباعتها و إما لكثرة الأغلاط والأخطاء المطبعية الواقعة فيها ، ونظراً إلى فتور الهمم وضعف النفوس والرغبة القليلة في العلم التي أصابت طلاب العلم والقائمين بأعمال البحث والدراسة والتي بسببها توقف الإنتاج العلمي وقلت المراجعة العلمية وانخفضت نسبة المسلمين بها ، قد شعر علماؤنا بهذا الواجب العظيم و لبّوا هذا النداء ، وبالتالي حاولوا تقديم التراث الإسلامي مخدوماً مصوناً من الأغلاط والتصحيفات والأخطاء ، ومطبوعاً على الأوراق الناعمة وفي المجلدات الفاخرة تلفت أنظار القــراء الكــرام ، وتستــرعــى انتبــاهــات الباحثين والدارسين .

ولا شك أن هذا الأمر قد سهّل على كثير منا تحقيق آماله وأحلامه نحو الدراسة إلى حد ما .

هذا و يطول ذكر قائمة الذين اهتموا بهذا الجانب وبذلوا قصارى جهودهم في هذا المجال ، ولست بصدد ذكرهم في هذه السطور الموجزة ، وهناك اسم بارز في عصرنا الحديث من قائمة أولئك العلماء وهو شيخنا الأستاذ المحقق محمـد عوّامـة حفظه الله تعالىٰ ورعاه لخدمة الإسلام والمسلمين ، وشخصيتــه غنيــة عن التعـريف في الأوســاط العلمية

والدينية ، خاصة في البلاد العربية لتحقيقاته الغالية ومؤلفاته القيمة ، وقد قام الأستاذ المذكور - حفظه الله وبارك في عمره - بإخراج وطبع كتاب " نصب الراية لأحاديث الهداية " مؤخراً ، بعد أن ضمّنه مقدمة علمية تحقيقية حافلة بالعلوم الحديثية والموضوعات الأخرى ، كما قام الأستاذ حسن عبجي حفظه الله بترتيب فهارس علمية دقيقة لنفس الكتاب في مجلد كامل ، فجزاهم الله تعالىٰ أحسن ما يجزى به عباده الصالحين ويتقبل منهم هذا الجهد العلمي ، ويجعله في ميزان حسناتهم ، إنه تعالى ولي ذلك والقادر عليه .

وحديثنا في هذه الصفحات القليلة يدور حول "قراءة سريعة في دراسة حديثية للأستاذ محمد عوامة لكتاب " نصب الراية لأحاديث الهداية " و بالمناسبة فنظراً إلى موضوع الكتاب ومحتوياته أعددت هذا البحث على المنهج التالي :

الف: ترجمة موجزة للإمام الحافظ الزيلعي رحمه الله مؤلف " نصب الراية "

ب : كلمات حول " التخريج " معناه و مؤداه ، و لمحة عن نشأة هذا الفن .

ج : ذكر بعض المؤلفات القديمة والحديثة في الموضوع .

د : أهمية فن التخريج ، و أصوله .

هـ : قراءة سريعة في " دراسة حديثية لكتاب نصب الراية " للأستاذ محمد عوامة .

وهذه تشمل :

١ - فكرة عامة عن كتاب " نصب الراية "

٢ - مصادر الإمام الزيلعي في كتابه .

٣ - خصائص و مميزات كتاب " نصب الراية "

٤ - استدراكات الأستاذ محمد عوامة على كتاب " نصب الراية "

نبذة عن مؤلف " نصب الراية " الإمام الحافظ الزيلعي

هو الإمام الحافظ العمدة جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن يونس بن محمد الزيلعي الحنفي، أحد كبار حفاظ الحديث في القرن الثامن ، ذكره الإمام السيوطي من حفاظ الحديث (٦)

ولادته : لم يحدد المترجمون سنة ولادته رحمه الله بالضبط ، لكن قرّبها بعض العلماء بمعاصريه ، والأقرب أن تكون ولادته في حدود سنة ٧٢٠هـ ، ومما يقرب هذا أن الحافظ العراقي كان يرافقه في مطالعة الكتب لتخريج أحاديث إحياء علوم الدين بل كان يفيد كل منهما الآخر ، وكانت ولادة الحافظ العراقي سنة ٧٢٥هـ .

وهذاما ذكره الحافظ ابن حجر رحمه الله فقال : ذكر لي شيخنا الزين العراقي أنه كان مرافقاً للزيلعي في مطالعة الكتب الحديثية لتخريج الكتب التي كانا قد اعتنيا بتخريجها ، فالعراقي لتخريج أحاديث الإحياء والأحاديث التي يشير اليها الترمذي في كل باب ، والزيلعي لتخريج أحاديث الإحياء والأحاديث التي يشير إليها الترمذي في كل باب والزيلعي لتخريج أحاديث الهداية والكشاف ، وكل منهما يعين الآخر (٧)

هذا وقد ذكر الأستاذ محمد عوامة أدلة على هذا مفادها : أن الزيلعي ملأ كتابه من النقول عن الإمام لابن دقيق العيد المتوفى سنة ٧٠٢هـ وعن السّروجي

(٦) حسن المحاضرة في تاريخ مصر و القاهرة ، ج ١ ص ٣٥٩

(٧) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ج ٢، ص ٣١٠

وكانت وفاته ٧١٠هـ ، ونقل عن عيون الأثر لابن سيد الناس المتوفى ٧٣٤هـ وعن الحافظين المزّي والذهبي كثيراً ، وكانت وفاة المزّي ٧٤٢هـ و وفاة الذهبي ٧٤٨هـ (٨)

وهذا كله يدل على أن ولادة الحافظ الزيلعي تقارب ولادة الشيخ العراقي وهي بداية القرن الثامن الهجري ، و أقوى دليل على هذا ما ذكره الحافظ ابن حجر رحمه الله .

شيوخه : قسّم العلماء شيوخ الحافظ الزيلعي إلى قسمين : شيوخه في الفقه ، وشيوخه في الحديث ، وفيما يأتي نذكر بعض شيوخه في كلا القسمين .

شيوخه في الفقه :

(١) الإمام فخر الدين عثمان بن علي الزيلعي المتوفى سنة ٧٤٢هـ شارح كنزل الدقائق المسمى بتبيين الحقائق .

(٢) شمس الدين محمد بن أحمد بن عدلان المتوفى سنة ٧٤٩هـ .

(٣) شهاب الدين أحمد بن محمد بن قيس الأنصاري المتوفى سنة ٧٤٩هـ .

(٤) بهاء الدين عبد الله بن عبد الرحمن بن عقيل المتوفى ٧٦١هـ .

شيوخه في الحديث :

(١) الإمام شيخ حفّاظ عصره أبو الحجّاج المزّي المتوفى سنة ٧٤٢هـ .

(٢) الإمام الحافظ شمس الدين الذهبي المتوفى سنة ٧٤٨هـ .

(٣) الإمام الحافظ علاء الدين المارديني المتوفى سنة ٧٥٠هـ .

تصانيفه :

(١) الإسعاف بأحاديث الكشاف .

(٢) مختصر معاني الآثار للإمام الطحاوي .

(٣) نصب الراية لأحاديث الهداية .

ثناء العلماء عليه :

قال العلامة الكوثري : تخاريجه شهود صدق على تبحره وسعة اطلاعه في علوم الحديث من معانيه ، و أسماء رجاله ومتونه وطرقه . (٩)

قال العلامة اللكهنوي : كان من أعلام العلماء برع في الفقه والحديث ، وتخريجه شاهد على تبحره في فن الحديث و أسماء الرجال ، وسعة اطلاع نظره في فروع الحديث إلى الكمال ، ولم في مباحث الحديث إنصاف لا يميل إلى الاعتساف . (١٠)

وفاتــــه :

قال ابن فهد رحمه الله : وكانت وفاته رحمه الله تعالى في اليوم الحادي عشر من المحرم الحرام سنة اثنتين و ستين وسبعمائة ، وكان ذلك بالقاهرة ، ولم يعين أحد مكان قبره .

يراجع لترجمته :

(١) دراسة حديثية لكتاب " نصب الراية " للأستاذ محمد عوامه، ص: ١٥٦-١٥١ .

(٢) الدرر الكامنة للحافظ ابن حجر العسقلاني .

(٣) الفوائد البهية للعلامة اللكهنوي ، ص: ٣٧٩-٣٧٨ .

---

(٨) دراسة حديثية لنصب الراية للأستاذ محمد عوامة، ص:١٥٢ (٩) التعليقات على ديول تذكرة الحفاظ، ص: ١٢٩ (١٠) الفوائد البهية للعلامة اللكهنوي ص: ٣٧٩-٣٧٨

(٤) ذيل تذكرة الحفاظ لابن فهد، ص: ١٣٠

(٥) حسن المحاضرة.

نظرة عابرة على فن التخريج ونشأته والمؤلفات فيه

أولاً: التخريج لغة:

ويطلق التخريج لغة على عدة معان منها:

- الاستنباط
- التدريب
- التوجيه. تقول. خرّج المسألة وجّهها أي بيّن لها وجهاً. (١١)

والمخرج. هو موضع الخروج. يقال خرج مخرجاً حسناً، وهذا مخرجه. (١٢)

ومنه قول المحدثين: هذا حديث عرف مخرجه، أي موضع خروجه، وهو رواة إسناده الذين خرج الحديث عن طريقهم. (١٣)

التخريج عند المحدثين:

(١) يرادف الإخراج، أي إبراز الحديث للناس بذكر مخرجه أي رجال إسناده الذين خرج الحديث عن طريقهم، مثلاً يقولون: هذا حديث أخرجه البخاري، و في هذا المعنى يقول الإمام ابن الصّلاح: وللعلماء بالحديث في تصنيفه طريقتان إحداهما التصنيف على الأبواب، وهو تخريجه على أحكام الفقه وغيرها، فالمراد بقوله " تخريجه " أي إخراجه، وروايته للناس في كتابه (١٤)

(٢) إخراج الأحاديث من بطون الكتب، وروايتها، قال السخاوي في فتح المغيث: " والتخريج. إخراج المحدث الأحاديث من بطون الأجزاء والمشيخات والكتب ونحوها وسياقها من مرويات نفسه أو بعض شيوخه أو أقرانه أو نحو ذلك، والكلام عليها، وعزوها لمن رواها من أصحاب الكتب والدواوين. (١٥)

(٣) الدلالة: أي الدلالة على مصادر الحديث الأصلية، وعزوها إليها، وذلك بذكر من رواه من المؤلفين.

قال المناوي في شرحه عند قول السيوطي "وبالغت في تحرير التخريج" أي اجتهدت في تهذيب عزو الأحاديث إلى مخرّجيها من أئمة الحديث من الجوامع والسنن والمسانيد، فلا أعزو إلى شيء منها إلا بعد التفتيش من حاله وحال مخرّجيه، ولا أكتفي بعزوه إلى من ليس من أهله وإن جلّ كعظماء المفسّرين (١٦)

يقول الدكتور محمود الطحان. والمعنى الثالث هو الذي شاع واشتهر بين المحدثين، وكثر استعمال هذا اللفظ فيه، لا سيّما في القرون المتأخرة، بعد أن بدأ العلماء بتخريج الأحاديث المبثوثة في بطون بعض الكتب لحاجة الناس. (١٧)

التخريج اصطلاحا:

" هو الدلالة على موضع الحديث في مصادره الأصلية التي أخرجته بسنده، ثم بيان مرتبته عند الحاجة (١٨)

لمحة موجزة عن تاريخ التخريج ونشأته

لقد تناول الدكتور محمود الطحان بذكر لمحة موجزة عن تاريخ هذا الفن العظيم ونشأته فيقول

---

(١١) أصول التخريج ص. ١٠ (١٢) لسان العرب، ج ٢، ص ٢٤٩ (١٣) أصول التخريج و دراسة الأسانيد، ص ١٠ (١٤) علوم الحديث للعلامة ابن الصلاح، ص ٢٢٨ (١٥) فتح المغيث للإمام السخاوي، ج ٢، ص ٣٣٨ (١٦) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ج ١، ص ٢٠ (١٧) أصول التخريج و دراسة الأسانيد، ص ١٢ (١٨) نفس المصدر، ص ١٢

حفظه الله

لم يكن العلماء والباحثون في القديم بحاجة إلى معرفة القواعد والأصول التي أطلقنا عليها إسم أصول التخريج ، لأن اطلاعهم على مصادر السنة كان اطلاعا واسعاً ، وصلتهم بمصادر الحديث الأصلية كانت وثيقة، فكانوا عندما يحتاجون للاستشهاد بحديث ما ، سرعان ما يتذكرون موضعه في كتب السنة ، بل وفي اي جزء من تلك الكتب ، أو يعرفون – على الأقل – مظانه في المصنفات الحديثية ، وهم على علم بطريقة تأليف تلك المصنفات وترتيبها ، لذلك يسهل عليهم الاستفادة منها ، والمراجعة فيها لاستخراج الحديث ، وقلّ مثل ذلك فيمن يقرأ حديثاً في مصنف من المصنفات غير الحديثية ، فإن لديه القدرة على معرفة مصدره ، والوصول إلى موضعه بسهولة ويسر .

وبقيت الحال على ذلك عدة قرون ، إلى أن ضاق اطّلاع كثير من العلماء والباحثين على كتب السنة ومصادرها الأصلية ، فصعب عليهم حينئذ معرفة مواضع الأحاديث التي استشهد بها المصنفون في العلوم الشرعية وغيرها كالفقه والتفسير والتأريخ ، فنهض بعض العلماء وشمّروا عن ساق الجد ، فخرّجوا أحاديث بعض الكتب المصنفة في غير الحديث ، وعزوا تلك الأحاديث إلى مصادرها من كتب السنة الأصول ، وذكروا طرقها وتكلموا على بعضها أو كلها بالتصحيح والتضعيف حسب ما يقتضيه المقام ، فظهر ما يسمى بكتب التخريج . (١٩)

أشهر كتب التخاريج :

لقد ذكر العلامة محمد بن جعفر الكتّاني ما يقارب أربعين كتاباً في التخريج أذكر بعضاً منه :

(١) تخريج أحاديث المهذب لمحمد بن موسى الحازمي ت : ٥٨٤هـ

(٢) تخريج أحاديث المختصر الكبير لمحمد بن أحمد عبد الهادي المقدسي ت : ٧٤٤هـ

(٣) الطرق والوسائل إلى معرفة خلاصة الدلائل لأحمد بن عثمان التركماني ت ٧٤٤هـ

(٤) نصب الراية لأحاديث الهداية لعبد الله بن يوسف الزيلعي ت ٧٦٢هـ .

(٥) تخريج أحاديث الكشاف للزيلعي نفسه .

(٦) الدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير لعمر بن علي بن الملقن ت ٨٠٤هـ

(٧) المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار للعراقي ت ٨٠٦هـ.

(٨) التلخيص الحبير في تخريج أحاديث شرح الوجيز الكبير للحافظ ابن حجر العسقلاني ت٨٥٢هـ

(٩) الدراية في تخريج أحاديث الهداية لابن حجر العسقلاني .

(١٠) تحفة الراوي في تخريج أحاديث البيضاوي لعبد الرؤوف المناوي ١٠٢١ هـ .

وقد حاول عدد كبير من العلماء المعاصرين في هذا الصدد خير محاولة وقدّموا لطلاّب العلم مجموعة كبيرة من الكتب التي ألفت في التخريج ، ومن أبرز هولاء المحدثين العلامة أحمد محمد شاكر رحمه الله المتوفى في العصر الحاضر ، وتخريجه لمسند الإمام أحمد بن حنبل وغير ذلك من الكتب خير دليل على

(١٩) نفس المصدر ، ص ١٢-١٣

فجعلهم ثمانية أصناف، فقال: "إنما الصدقات للفقراء والمساكين، والعاملين عليها، والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل اللّه" ، فأقبل صنف تاسع ليس منها فأخذها كلها، تلكم الفرقة الحاكمة بغير ما أنزل اللّه فالعنوهم لعنهم اللّه " .

ذهب الخطيب في خطبته هذه الى أن الأمويين هم فسقة طلقاء استحلوا ما حرم اللّه، وتتبع خلفاءهم وذكر كل واحد منهم سوى عمر بن عبد العزيز بنقائصه ثم نراه ينتقل إلى الشيعة فيقول فيهم :

"وأما إخواننا من هذه الشيعة، وليسوا بإخواننا في الدين لكن سمعت اللّه عز وجلّ يقول في كتابه "يا أيها الناس إنا حلقناكم من ذكر و أنثى وجعلناكم شعوبا و قبائل لتعارفوا"، فإنها فرقة تظاهرت بكتاب اللّه وأعلنت الفرية على اللّه، لا يرجعون إلى نظر نافذ في القرآن، ولا عقل بالغ في الفقه، ولا تفتيش عن حقيقة الصواب، وقد قلدوا أمورهم أهواءهم وجعلوا دينهم العصبية لحزب لزموه، وأطاعوه في جميع ما يقول لهم، غيا كان أو رشدا ضلالة أو هدى، ينتظرون الدول في رجعة الموتى، ويؤمنون بالبعث قبل الساعة، ويدعون علم الغيب لمخلوق لا يعلم ما في بيته، بل لا يعلم ما ينطوى عليه ثوبه، أو ما يحويه جسمه ... يصرون على الفتنة، ولا يعرفون المخرج منها ... قليلة عقولهم، قد قلدوا أهل بيت من العرب دينهم، وزعموا أن موالاتهم لهم تغنيهم عن الأعمال الصالحة، وتنجيهم من عقاب الأعمال السيئة، قاتلهم اللّه أنى يؤفكون، فأى هولاء الفرق يا أهل المدينة تتبعون، أم بأى مذاهبهم تعتقدون ؟"

وإذا كان الخارجى قد رمى الأمويين بالفسق والفجور وبالانحراف عن سنن الدين القويم فإنه رمى الشيعة بالغفلة والجهالة وبترك الهدى والتمسك بالضلالة، ثم أخذ يصف الخوارج فقال:

"وقد بلغنى أنكم تنقصون أصحابى، قلتم هم شباب أحداث وأعراب جفاة، ويحكم يا أهل المدينة! وهل كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا شبابا؟ أما والله إنى لعالمٌ بتتايُعكم فيما يضركم في مَعادِكم، ولولا اشتغالى بغيركم عنكم ماتركت الأخذ فوق أيديكم، شاب واللّه مُكتهلون في شبابهم، عضيضة عن الشر أعينهم، ثقيلة عن الباطل أرجلهم، أنضاء عبادةٍ، وأطلاح سهر، باعوا أنفسا تموت غدا بأنفس لا تموت أبدا، قد نظر اللّه اليهم في جوف الليل مُنحنية أصلابُهم على أجزاء القرآن كلما مرّ أحدهم بآية من ذكر الجنة بكى شوقا إليها، وإذا مرّ بآية من ذكر النار شهق شهقة كأن زفير جهنم بين أُذُنيه. قد أكلت الأرض رُكبهم وأيديهم وأنوفهم وجباههم، ووصلوا كلال الليل بكلال النهار، مصفرة ألوانهم، ناحلة أجسامهم من طول القيام وكثرة الصيام، ... فطوبى لهم وحسن مآب... ثم بكى وقال آه، آه، على فراق الإخوان، رحمة اللّه على تلك الأبدان، وأدخل اللّه أرواحهم الجنان" .

فهولاء هم الخوارج، إنهم يريدون سياسة أبي بكر و عمر - رضى اللّه عنهما -، ويعتبرون أعمالهما سنة تتبع، وسياستهما دستورا سياسيا، ويجعلون تقرير الأمور العامة وفقا لأوامر اللّه ونواهيه هدف سياستهم ويذهبون إلى أنهم على حق وغيرهم على باطل، يقول شاعر خارجى وهو حبيب بن خدرة (٦):

يا رب إنهم عصوك وحكّموا ... فى الدين كل ملعن جبار
يدعو إلى سبيل الضلالة والردى ... والحق أبلج مثل ضوء النهار

ثم إنهم مزجوا سياستهم بأبحاث لاهوتية وبالغوا في ذلك مبالغة شديدة، فإنهم قرروا أن العمل بأوامر

جهوده العلمية المشكورة التي بذلها في هذا السبيل ، ومنهم فضيلة المحقق العلامة عبد الفتاح أبوغده رحمه الله الذي أودع جُلّ مؤلفاته مغل هذه التحقيقات القيمة، والتخريج للأحاديث والآثار ، وجهوده رحمه الله غنية عن التعريف ، ومنهم من وقف حياته لمثل هذه الأعمال و برز على مسرح علم الحديث الشريف وملأ مكتبات العالم الإسلامي ودور الكتب الدينية بمساعيه الجليلة في فن التخريج خاصة واشتهر و ذاع صيته في سائر العالم لتخاريج الرائعه وإعطاء الموضوع حقه بغاية من الدقة والراعة والكمال وعلى مقدمة هؤلاء محدث الديار الشامية العلامة ناصر الدين الألباني رحمه الله وجزاه عن خدمته سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم والدفاع عن حياض المصدر الثاني للشريعة الإسلامية الغراء ، وكتبه – رحمه الله – ومؤلفاته في هذا الموضوع خير دليل و أروع نمودج لإنتهاجه منهج السلف الصالح في العكوف على خدمة الدين وشغفه الكامل بها ، وفيما يأتي أذكر بعض مؤلفاته في الموضوع يسلّط بعض الأصواء على مآثره الحديثية وخدماته الجليلة ·

(١) غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام في الإسلام .
(٢) تخريج أحاديث شرح العقيدة الطحاوية .
(٣) إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل
(٤) تخريج أحاديث كتاب " الإيمان " لابن أبي شيبة رحمه الله .
(٥) تخـريج أحاديث كتاب " الصيام " للإمام ابـن تيمية رحمه الله .
(٦) تخـريج أحـاديث مشكاة المصابيح للإمـام الحطيب التبريزي رحمه الله

هدا وغيرها من الكتب الحديثية الأخرى ، ومن الكتب غير الحديثية في محتلف الفنون كالفقه وغيره لكن يعلب عليه الطابع الحديثي

أهمية كتب التخريج :

لا يخفى على أهل العلم ما لكتب التحريج من أهمية بالعة و مرتبة جليلة على اختلاف تصيفها وتباين مقاصد مؤلفيها ، فقد شرع جماعة من العلماء في تحريج بعض الكتب الفقهية والأصولية والعقدية ، وبالتالي سنحت الفرصة لعطشى العلم وطلاب أحكام الشريعة أن يُرووا عليلهم في كلا المجالين والموصوعين ، وموصوع الكتاب ، وما يحتوى عليه من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولا شك أن هده الكتب التي بدل فيها مؤلفوها أقصى حهودهم تدفع المهتمّس بدراسة الشريعة والملمّين بها إلى أن يكونو، على بيّنة من أمر دينهم واطلاع واسع على سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم في جميع شعب الحياة وسائر محالاتها ، وأن لا يألوا أي جهد في سبيل اتباع ما صحّ وحسن من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، وعدم اقتفاء ما نسبه العضّاعون إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وليس منه في شيء ، وهذا كل ذلك إنما يتعرف عليه طلاّب العلم عن طريق معرفتهم لطرق الأحاديث المحتلفة وأسانيدها التي رويت بها ، ومن هنا تـزداد قيمـة كتب التخـريج و ترتفع مكانتها عالية حدًا .

نسأل الله العلي القدير أن يهدينا سبل السلام و يوفقنا لما يحب و يرضى

وصلى الله تعالى على خير خلقه و أفضل عباده محمد و آله وصحبه وبارك وسلّم تسليماً

قراءة سريعة في كتاب
" دراسة حديثية لنصب الراية لأحاديث الهداية "

لقد قام الأستاذ محمد عوامة بدراسة وافية حديثية مقارنة لكل من الكتب الثلاثة " نصب الراية " و " فتح القدير " و " منية الألمعي " ، وأول نقطة بدأ بها الأستاذ المذكور دراسة هو ذكر ترجمة موجزة للإمام أبي الحسن برهان الدين المرغيناني صاحب " الهداية " و أتبعه بذكر مخرّجي أحاديث الهداية .

يقول حفظه الله في مستهل حديثه عن " مخرّجي أحاديث الهداية " : " الهداية " أحد الكتب التي عنيت بذكر دليل كل حكم تذكره ، وقد توجهت عناية بعض الكاتبين عليه إلى تخريج أحاديثه ، سواء أ كانت في معرض الاستدلال لمذهبه الحنفي أم لغير مذهبه ، و من ثم صنّف الأستاذ هؤلاء المخرّجين إلى صنفين :

١ – صنف خصّص كتابه لتخريج الأحاديث .

٢ – صنف خرّجها ضمن شرحه الفقهي للكتاب .

وذكر في كل من الصنفين عدداً من العلماء وتراجمهم بشيء من الإيجاز ، مع سرد الكتب التي صنفت فيهما .

ثم بدأ الأستاذ الموصوف في صلب البحث وهو دراسة حديثية لكتاب " نصب الراية لأحاديث الهداية" واكتفى فيما يأتي بذكر ما كتبه الأستاد حفظه اللّه حول " نصب الراية " دون تطرق إلى دراسة " فتح القدير ، و منية الألمعي " و ذلك نظراً إلى الإيجاز والاختصار .

أولاً : فكرة عامة عن كتاب " نصب الراية "

لقد أطنب الأستاذ محمد عوامة الكلام في بيان منهج كتاب " نصب الراية " ودراسة أسلوب الإمام الزيلعي في تخريج أحاديث الهداية ، ووضّحه توضيحاً دقيقاً يتضمن سائر جوانب الكتاب العلمية والتحقيقية، وفيما يأتي أذكر فذلكة القول وخلاصته تسلّط الأضواء على المنهج المختار للعلامة الزيلعي رحمه الله في كتابه:

١ – من عادته رحمه الله أنه يرقم كل حديث يذكره المرغيناني ، وترقيمه له باللفظ لا بالعدد الحسابي ، ولا يرقم إلا ما يذكره المرغيناني حديثاً مرفوعاً ، ولو لم يكن كذلك في واقعه و حقيقته ، و أما ما يذكره موقوفاً على الصحابة ، أو مقطوعاً من كلام التابعين فيصدره "بمقولة " من غير ترقيم .

٢ – ينقل الحديث الذي ذكره المرغيناني دون التزام منه لنص المرغيناني بالحرف ، وكل الذي يحرص عليه أن يكون نقله له بجملة واضحة تؤدي مراد الإمام المرغيناني ثم يعقب ذلك بقوله " قلت " ويعطي حكما إيجابياً على الحديث فيخرجه ، وإما أن يعطي حكما سلبياً فيقول : " غريب جداً " أو " غريب " أو " غريب من حديث فلان " أو " غريب بهذا اللفظ " ، ويخرج ما وقف عليه مما ورد بمعنى الحديث الذي ذكره المرغيناني .

٣ – حينما يخرج الحديث قد يذكر سند مخرجه بكامله ، وقد يذكر قسماً منه ، وقد يقتصر على الصحابي فقط .

٤ – يورد الكلام على الحديث الذي ذكره جرحاً وتعديلاً صحةً وضعفاً .

٥ – يتكلم على رجال الحديث جرحاً و تعديلاً ، وهذا أمر بارز جداً في كتابه ، بحيث أن الكتاب أصبح يعد بين كتب نقد الأحاديث ، كما يعد بين الكتب التي تُعنى – أصالة – بتخريج الأحاديث .(٢٠)

(٢٠) دراسة حديثية لنصب الراية للأستاذ محمد عوامة ، ص ١٦٥ – ١٥٧

ثانياً : مزايا الكتاب وخصائصه

نصب الراية كتاب زاخر بالعلم ، غني بالفوائد ، جمع قدراً كبيراً جداً من أحاديث الأحكام مع بيان مخرّجيها بتوسع ، وذكر أسانيد قسم كبير منها ، وجرح رواتها وتعديلهم وبيان عللها و دخائلها وصحيحها وسقيمها مع الانصاف والاعتدال ، ولهذا كان لـ " نصب الراية " مزايا جعلته يكون في طليعة كتب التخاريج ، والدارس له المتتبع لمزاياه يقف على الكثير منها

بهذه الكلمات ذات المعاني البالغة التأثير بدا الأستاذ محمد عوامه في سرد مزايا هذا السفر العظيم والموسوعة الحديثية العظيمة التي هي من أجود ما وصلنا من كتب التخاريج وأشهرها وانفعها و اشملها ، وحصر مزاياها في النقاط التاليه

١ – كونه كتاب تخريج و رواية .

٢ – كونه كتاب تعليل و دراية

وكل مزايا هذا الكتاب وخصائصه لا تخرج من هاتين النقطتين

و من أهم مزاياه

١ – انه يخرج كل دليل من الماثور – مرفوعا أو غير مرفوع – يصرح به الإمام المرغيناني أو يشير إليه إشارة خفية

٢ – يذكر أحياناً مسائل فقهية لم يذكره المرغيناني في كتابه ثم يأتي على ذكر أدلتها

٣ – له في عزو الأحاديث إلى مصادرها الاولى طريقة حسنة جداً ، فإذا كان الحديث في مصدر مرتب على الأبواب ، وكان تحت باب يناسب الباب الذي اورده فيه المرغيناني نقله الزيلعي عن مصدره نقلاً مجرداً ، واكتفى بقوله مثلاً " رواه البخاري " وإن لم يكن كذلك ، حدّد الباب الذي هو في ذلك المصدر ، وإذا كان الحديث مكرراً فقد يشير إلى تكرره ، وإذا كان الحديث في كتاب غير مرتب على الأبواب ، قرّب موضعه للقاري قدر إمكانه

٤ – التوسع في تتبع الحديث وإخراجه من مظانه وغير مظانه من كتب الحديث المشهورة والنادرة كما لا يألو جهداً في ذكر طرقه ، واستخراجه من الكتب النادرة غير المتيسّرة لكثير من أهل زمانه

٥ – من مظاهر توسعه في التخريج ذكره أحاديث موافقة في الحكم للحديث الذي يخرجه أصالة ، ويسمه " أحاديث الباب "

٦ – يذكر أدلة المذاهب الأخرى ويرمز لهذه الأحــاديث " أحاديث الخصوم " ويذكر من أخرجها أيضا ، يفعل كل ذلك بمنتهى النزاهة ، وكمال الإنصاف من غير ان يميل به عن الحق تعصب مذهبي أو سواه

٧ – يلتزم الزيلعي رحمه الله في نقوله كلها نقل الحديث الشريف كما جاء في مصدره دون تصرف أو نقل بالمعنى ، وهذا إذا عزا الحديث إلى مصدر واحد ، أما إذا عزاه إلى عدة مصادر ، فإما أن يختار لفظ واحد منهم ويثبته ويسكت عن الباقين ، أو يختار لفظ واحد منهم ويقدّمه ثم ينبه على مغايرة الآخرين

٨ – ومن خصائص أنه كتاب نقد وتسبل ، حتى انه ليعدّ في علية الكتب التي تعنى بهذا

٩ – ومن خصائصه أيضاً أنــه كتاب تعقب واستدراك ، يراد به تحقيق الحق و تثبيت الصواب

" المصادر التي رجع إليها الحافظ الزيلعي رحمه الله أو نقل عنها بواسطة "

يقول الأستاذ محمد عوامه وقد يسّر الله تعالى

للحافظ الزيلعي رحمه الله مصادر نادرة ، وهي أصول ضرورية لمن يضطلع بهذا العبء الثقيل ، فجاء كتابه آية في بابه ، قلّ أن يصلها غيره ، والناظر إلى مصادره مجموعة يعجب جداً كيف وُفّق الزيلعي إلى إستخراج هذه الكثرة الكاثرة من الأحاديث – مع طرقها العديدة– من هذه المجموعة الكبيرة . إلا أن ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم

هذا وقد بلغ عدد المصادر التي استفاد منها ورجع إليها الإمام الزيلعي رحمه الله إلى مائتين وأربع و أربعين مصدراً ، وقد جمع هذه المصادر وحرّرها مع ذكر أسماء مؤلفيها بغاية من الدقة والبراعة الأستاذ حسن عبجي حفظه الله تعالى في آخر مجلدات نصب الراية وهو المجلد السادس ، ضمن الفارس العلمية الأخرى التي يشملها المجلد السادس .

وذكر الأستاذ محمد عوامة أنه اطلع على معظم هذه المصادر لكن حذفها من دراسته اكتفاءاً بما ذكره الأستاذ حسن عبجي ، غير أن هناك فائدة علمية . وهي أن الطابع الخاص الذي يغلب على مصادر الزيلعي تناول بذكرها الأستاذ قائلاً .

و واضح من النظر في مصادره أنها كتب رواية ، وكتب دراية ونقد ، وأكثر اعتماده بالنسبة لكتب النقد هي على " الإمام لابن دقيق العيد " و " بيان الوهم والإيهام لأبي الحسن ابن القطان " و " التنقيح " لابن عبد الهادي ، ومن ثم تحدث الأستاذ عوامة عن هذه الكتب الثلاثة المهمة باختصار ، مع بيان مزاياها وخصائصها وشيء عن تراجم مؤلفيها ، وذلك لكثرة نقل الزيلعي عنها ، ورجوعه إليها في أغلب الأحيان ، كما أشار إلى طريقة نقله منها ، مع ذكر نماذجه و أمثلته بالتفصيل . (٢١)

والله تعالى اعلم .

ما يستدرك به على "نصب الراية"

بدأ الأستاذ محمد عوامة استدراكاته على كاتب نصب الراية بعد كلمات تمهيدية هي بمثابة الأصول والمنهج الأساسي الذي ينبغي أن يترسخ في أذهان المستدركين ، والدارسين والباحثين ، كما هي نقطة أساسية للنقد ، لا بد من مراعاتها قبل كل شيء .

يقول حفظه الله : إن الجهد البشري مهما تسامى، لا يخلو من ضعف ، ولا يسلم إحكام الناس لعملهم مهما أتقن من خلل ، ولئن كان لمثل أهل زماننا أن يتتبعوا بنوات تلك الصوارم الماضية في ميادين العلم والتحقيق النافذة إلى أوج الإمامة بحق وصدق ، لئن كان لأمثالنا أن يذكر مأخذاً عليهم ، فإنما ذلك من إرشاداتهم لنا ، أخذوا بأيدينا إلى طريق التحقيق والتمحيص ، وعلّمونا ضرورة الرجوع بالنقول إلى مواردها الأصلية ، وقد قال الأوائل منهم مانقله إلينا الأواخر : ما منا إلا ردّ و رُدّ عليه ، إلا صاحب هذا القبر، صلى الله عليه وسلم ، وكم يتكفل الله تعالى بعصمة أحد من الخطأ والزلل إلا ما سبق منه تعالى لأنبيائه ورسله عليهم الصلاة والسلام

وخلاصة ما استدركه الأستاذ عوامه على نصب الراية كالآتي :

١ – التساهل في الكلام على الرجال جرحاً و تعديلاً سواء أ كان ناقلاً أم قائلاً وذكر له عدة أمثلة توضح هذا التساهل . (٢٢)

(٢١) يراجع لمعرفة المصادر المجلد السادس (الفهارس) ٣٩١ – ٣٨٦

(٢٢) يراجع نصب الراية ، ج ١، ص ١٢، ج ٣، ص ٤٢٢،٣٤٧،٦٥

٢- عدم استيفائه نقد الأحاديث و بيان ما لها و ما عليها تماماً . (٢٣)

٣- وقوع تناقض في النقد ، قائلاً و ناقلاً

ومثاله ما نقله عن البزار سماع الحسن من أنس ابن مالك رضي الله عنه (٢٤) ثم قال بعد صفحة واحدة · والحسن لم يسمع من انس بن مالك رضي الله عنه كما قال البزار . (٢٥)

٤- أوهامه في عزو الأحاديث إلى مصادرها من كتب السنة

مثاله حديث عائشة رضي الله عنها ان عليه الصلاة والسلام كان يقرأ سورة الأعلى والكافرون والإخلاص والمعوّذتين في ركعات الوتر الثلاثة ، قال رواه أصحاب السنن الأربعة (٢٦) بينما لم يخرجه النسائي ، وكذلك عزاه المنذري إلى الثلاثة فقط ، و مثله المزّي في تحفة الأشراف .

٥- قصوره عن مقتضى التزامه لتخريج أحاديث الهداية ، من حيث استيفاؤه تخريج أحاديته كلها ، وتتبعها ، وتخريجه للّفظ المذكور و ما إلى ذلك وقد نبّه على هذا واستدرك عليه المتقدمون من المعتنين بكتاب " الهداية " أمثال الإمام العيني وابن الهمام والعلامة قاسم بن قطلوبغا

٦- عدم التزامه بيان رتبة جميع الأحاديث التي يخرجها ، بل قد بيّن رحمه الله حكم كثير من الأحاديث ، ولكنه بقي عليه كثير ايضاً

هذا ما استدركه الأستاذ محمد عوامة على كتاب " نصب الراية " و أكثر من ذكر أمثلته ، حتى يتمكن القاريء والباحث من معرفته ، والاستفادة من هذه الجهود العلمية والتحقيقية التي قام بها مشكوراً علماؤنا رحمهم الله تعالى وحفظهم في سبيل خدمة تراثنا الإسلامي الثري الرائع

وقد ختم الأستاذ محمد عوامة حفظه الله هذا الموضوع بكلمات آتية

هذا ما رأيت أن نعثر ماخذا على الزيلعي الحافظ في نصب الراية ، أقول هذا و أنا اردّد المثل السائر "لا تعدم الحسناء ذاماً "(٢٧) و " كفى المرء نبلا ان تعدّ معايبه " (٢٨)

وبهذا اكتفي في هذا البحث الموجز دون التطرق إلى ما تناوله الأستاذ عوامة من دراسة " فتح القدير " و " منية الألمعي " حديثا مقارناً

داعيا المولى عز و جل أن يتقبل منا صالح الأعمال ويجعله في ميزان حسناتنا خالصاً لوجهه الكريم، إنه تعالى ولي ذلك والقادر عليه ، وصلّ اللهم على سيدنا و قائدنا و نبينا محمد و على آلـه وصحبـه و بارك وسلّم تسليماً كثيراً

☆ ☆ ☆

(٢٣) نصب الراية ، ج.٣، ص ١٢٥ (٢٤) نصب الراية ، ج ١، ص ٩٠ (٢٥) نفس المصدر ، ج ١ ، ٩٢ (٢٦) نفس المصدر ، ج ٢، ص ١١٩

(٢٧) قالوا . كانت حُبّى بنت مالك بن عمرو العدوانية من أجمل النساء فسمع بجمالها ملك غسّان . فخطبها الى أبيها ، وجعل له اختيار مهرها ، وسأله تعجيلها فرضي مالك وعجّلها إليه ، وذات يوم سمعته يتحدث عنها بأشياء أنكرتها ، وكانت تسمع ذلك من وراء الستر فقالت " لا تعدم الحسناء ذاماً " أي لا بد أن يوجد من يذم الحسناء ويشين جمالها وحسنها ، كمن لم يعجبه الورد فعابه بأنه أحمر الخدين (المنتخب من أمثال العرب ، ص ١٩٣ ، لعبد السلام العشري ، ط · نهضة مصر ،القاهرة)

(٢٧) مقدمة نصب الراية للأستاذ محمد عوامة ، ص ٢١٤ ، طبعة جديدة

المحطات الفضائية والدشوش وآثارها

بقلم : فضيلة الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله آل فريان
رئيس الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم
بمنطقة الرياض

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أمّا بعد :

فيآيها الإخوة المسلمون عليكم بالتمسك بالشريعة الإسلامية فإنها والله سبيل النجاة وطريق السعادة ونحن في هذه الحياة محاسبون عن جميع ما نقول ونعمل حتى السمع والبصر سيحاسب عنه يوم القيامة العبد كما قال الله تعالى ﴿إنّ السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً﴾ وقال النبي صلى الله عليه وسلم (العين تزني وزناها النظر والأذن تزني وزناها الاستماع واليد تزني وزناها البطش والرجل تزني وزناها المشي والقلب يزني وزناه التمني والفرج يصدق ذلك أو يكذبه) وربنا سبحانه يبين لنا الخطر لنتجنبه يقول تعالى لنبيه في محكم التنزيل في سورة النور ﴿ قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إنّ الله خبير بما يصنعون و قل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهنّ على جيوبهنّ ولا يبدين زينتهنّ إلا لبعولتهنّ .. إلى آخر الآية ﴾ وقال تعالى ﴿ يآيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهنّ من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين .. إلى آخر الآية ﴾ وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (أكثر ما يدخل الناس النار الأجوفان الفم والفرج) وفي رواية (من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة) والفتن الآن كثيرة وفظيعة نسأل الله العافية يجب على المسلم أن يحذر منها ومنها هذه الدشوش والمحطات الفضائية سواء كانت في مجتمعات عامة كالمقاهي والاستراحات أو البيوت السكنية وكذلك وسائل الاتصالات الأخرى مثل (الانترنت) وما يعرض فيها من القبائح والمناظر السيئة التي تقضي على الأخلاق ولا شك أن هذا غزو ومخطط رهيب وسلاح للأعداء على أهل الإسلام فأعداء الإسلام من اليهود والنصارى والفرس الشيوعيين إذا لم يقدروا على الحروب النارية ، وأخفقوا فيها سعوا في طرق أخرى منها الغزو الفكري والتيارات المنحرفة التي تهدم العقيدة الصحيحة والأخلاق المستقيمة وقد قال ربنا محذراً لنا من خطرهم (ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء) لمّا ضاعوا أرادوا أن يضيعوا أهل الإسلام كفانا الله شرهم فليس غزوهم للمسلمين من جهة الغزو الهوائي فقط بل هو أكثر و أكثر فعلى أهل الإسلام أن يتحرزوا منهم ويعرفوا خطرهم ، يلزم ولاة الأمور صيانة المسلمين وحمايتهم عمّا يضرهم في دينهم ودنياهم وهذه الدشوش والانترنت هي آلة تبث ما يوضع فيها من خير أو شر ولكن الغالب عليها الآن الشر فهي كالاسقية والاناءات إن وضع فيها شر كالمسكرات والمخدرات وجب إتلافها كآنية الخمر وإن وضع فيها ماء أو لبن صار فيها نفع للعباد وإذا كان فيها خير وشر والشر أكثر وجب منعها وأعداء الله يستغلون ما يضر المسلمين بأي وسيلة كما قال الله لنبيه الكريم (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم) ويجب على أهل الأسر وأهل الولاية على الأطفال والنساء أن يحموهم من خطر أعدائهم ويحوطوهم بالنصح والحماية كما قال الله تعالى ﴿ يآيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة ﴾ نسأل الله أن يكفي المسلمين شرهم ،،،

والسلام عليكم ورحمة الله و بركاته ،،،

العلامة الشيخ " محمود حسن الديوبندي " المعروف بـ " شيخ الهند "

حياتــه ومآثــره

بقلم فضيلة الشيخ السيد أصغر حسين ميان الديوبندي
أستاذ بالجامعة سابقاً المتوفى ١٣٦٩هـ
تعريب الأستاذ عبد الرشيد القاسمي

غاية حبه للنبي صلى الله عليه وسلم

كان فضيلة شيخ الهند يتناول عن رغبة بالغة الأطعمة التي تدل آيات الكتاب العزيز و أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم على فضلها وثنائها. وبما أن النبي عليه الصلاة والسلام أثنى على الخلّ واعتبره إداما أفضل فقال: "نعم الإدام الخلّ" (١)، فكان فضيلته يرغب كثيرا في الخلّ والكامخ ويلتفت إليهما أكثر مما يرغب في ما عداهما من المآكل الشهية اللذيذة إذا كانت المأدبة تتضمنهما ، وربما يشرب قدرا يسيرا منهما. ذات مرة تعرض للسوداء المتفاقمة التي سبّبت الدمامل والبثور في البدن كله، ونهاه الأطباء عن تعاطي الخلّ، ولكن سماحته كان يتناول في بعض الأحيان شيئاً يسيرا منه .

و وصف النبي صلى الله عليه وسلم اللحم بأنه "أطيب الطعام (٢)" ولأجل ذلك فكان شيخ الهند يحبّ اللحم كثيراً . وكان في أيام شبابه يصطاد بنفسه الطيور والحيوانات ويأكل من لحومها، ولما أدركه المشيب يأخذ من لحوم ما كان يصطاده الآخرون. وإن كان فضيلته لا يتناول إلا شيئا يسيرا، ولكنه كان يأكل من لحوم الأضاحي مراراً في يوم اعتبارا بأنها استضافة من رب العالمين، ويقدمها إلى من كان يحضره آنذاك. كما كان يقطع لحوم الأضحية قطعا صغيرة ويحشوها بالملح ويضعها في الشمس حتى تجفّ، فيصليها في المجمرة ويأكل منها حيناً، و حيناً آخر يستضيف بها طلاب الجامعة. وبعد أن سُجِنَ في "مالطة" لم يذق اللحم شهورا، فإن الحيوانات لم تكن تُذبح بها وفق توجيهات الشريعة. غير أن تلامذته و رفقته في السجن أحدوا يشترون الأرانب حيةً، ويذبحونها بأيديهم داخل السجن، ويطبخون ثم يأكلون.

وكان إذا أهدى إليه رجل العسل قبله مسروراً، ويتناوله في صور شتّى، ولم لا ؟ وقد قال الله سبحانه وتعالى في العسل : "فيه شفاء للناس"(سورة يونس/٥٧) كما كان يتقبّل ماء زمزم بفرح جمّ ملئ القلب ، ويعتني بالغاء بجلبه من "مكة المكرمة". ونظرا إلى رغبة شيخ الهند الأكيدة في ماء زمزم كان الشيخ "حسين أحمد المدني" أحد تلامذته الأبرار الأوفياء يُهدي إليه قدرا كبيراً منه بأيدي خدّامه الذين كانوا يقصدون الحجاز للحج والعمرة وكان شيخ الهند يشرب منه مرة بعد أخرى كل يوم عن رغبة صادقة وشوق جمّ، كما يعرضه على الحضور أيضا .

شجرة مباركة

وكذلك كان شيخ الهند يرغب كثيرا فيما يرغب في الخبز الذي صُنع في "مكة المكرمة" والسبب في ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان قد تناوله (٣) فالعلماء من تلامذته الذين كانوا يعرفون ما يحبّه من المآكل يرسلون قدرا كبيراً من الخبز إليه، وربما يأتون به لدى عودتهم إلى الهند. وقد قال الله جلّ وعلا في كتابه العزيز عن الزيتون: "شجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدُّهنِ وصبغٍ للآكلين "(سورة النحل) وقال في موضع آخر من الكتاب "شجرةٍ مباركةٍ زيتونةٍ"(سورة النور/٣٥). ومن

ميزات شجرة الزيتون أنها تثمر مئات من السنين، و أنها تُدِرُّ للناس نفعاً جمّا مثلما ينفع الإبل نفعا كثيرا من بين الحيوانات جميعا. ولأجل ذلك فنرى أنه سبحانه و تعالى أتى بذكرهما في كتابه على وجه أخصّ. فليس هناك شيء من شجر الزيتون لا يُدِرّ نفعاً، ويعود دونها فائدة. فالدهن يُستَخدَم للإضاءة، ويؤكل كالإدام ، ويوضع في الأدوية، ويُدّهن به البدن، وتُدبَغ به الجلود. أما ثفالة دُهنه فهي طعمة سائغة للحيوانات، وخشبه يكون وقوداً يُطْبَخُ به الطعام، حتى وإن رماده لا يذهب سُدًى دونما فائدة، بل وإنما يُستَخدم في غَسْلِ الحرير وتكريره. ونظرا إلى أهمية وقيمة الزيتون قال أهل التفسير: إن أول شجرة نبتت في الأرض هي شجرة الزيتون، وإن سبعين من الأنبياء الأجلة دعوا لها، حتى وإن نبينا صلى الله عليه وسلم دعا ربه مرتين قائلا: "أللهمّ ! بارك في الزيت والزيتون(٤).وجاء في الأحاديث الصحيحة أنه قال: "كلوا الزيت وادّهنوا به؛ فإنه من شجرة مباركة (٥)" فأنّى لفضيلة شيخ الهند أن يمتنع عن استعماله أو التقليل من الانتفاع به. أضف إلى ذلك أن الزيت كان متوفرا في "مالطة" فتباعُ عشر كيلو جرامات منه بثلاث روبيات فحسب . فكان شيخ الهند يشتري عشر كيلو جرامات بعد كلّ ثلاثة أيام أو أربعة. وكان يأكله من زيته هو و رفقته الأخرون، ويضعونه في الأرز المطبوخ مع اللحم، ويستخدمونه كإدام مكان المراق. وكان شيخ الهند يقول: إنّ بعضا من محبي وتلاميذي في الهند يرسلون إليّ بمالطة السمن الخالص، غير أنه لم يكن يطيب لي مثل ما يطيب الزيتون، وإن زيته يكون دائما عندي في كوب صغير، فكنتُ أدخل الأصبع فيه وألقي في الأذن حيناً، وحيناً آخر أضع في الأنف والرأس. وكثيرا ما كان يُرزَقُ فضيلته الزيتَ ولو قدراً يسيرا منه في الهند أيضا ؛ فكان يدّهن به الرأس مرةً ومرةً أخرى يضعه في الطعام. وبهذا فقد عَمِلَ تماماً بقوله صلى الله عليه وسلم "كلوا وادّهنوا" ومن شأن أوليائه سبحانه وتعالى أن الأمور الشرعية تصبح محبّبةً طبيعيةً لهم، يتلذذون بها .

نبذة من عادته في الأكل والشرب

لم يكن شيخ الهند متعودا على الشأي، غير أنه كان يشربه إذا قدمه إليه خدّامه في السجن. وكان الشيخ "حسين أحمد" قد اعتاد أن يطبخ شأياً لذيذاً ساذجا بدون الحليب، وبقي يلحّ على شيخ الهند إلى أن ينتهي من شرب عدة فناجين منه، كما كان يطبخ الشأي للخاصة من الضيوف بكل اعتناء، ويقدم إليهم وفق عاداتهم .

كان شيخ الهند موفور الصحة طوال مدة إسارته، ويغلبه دائما الإقبال على الله والدنيا الآخرة. ولما انتشرت الحمى في العالم كله أصيب بها رفقته في السجن أيضاً ، غير أنه سبحانه صان فضيلته. نعم ذاق مرارة الألم الشديد في النواجذ خلال إقامته بـ"سويسرا" عائدا من "مالطة" .

فضيلته يرتدي ملابس عادية مع سعته في المال

بلغني أن فضيلته كان في غرة شبابه يلبس ثيابا نفيسة غاليةً جدًّا، غير أنه لم يبق على هذا الهندام والزينة مدة طويلة وعاد يلبس أثواباً عاديةً مثل ما كان يلبسه طلاّب العلم ورجاله في الهند آنذاك. واتخذ في ذلك سبيل الاعتدال، فلم تكن ملابسه رثّةً باليةً للغاية بحيث يحسبه من رآه فقيرا معدما أو يكرهه ويستنكر، كما لم تكن فاخرةً غاليةً تؤدي إلى التفوق والرياء. وإذا كان هناك من يتمنى أن يزور شيخ فضيلته الإمام "محمد قاسم النانوتوي" فعليه أن يزور فضيلته ، فإن سماحته يسلك نفس المسلك الذي سلكه شيخه النانوتوي في خصوص الثياب، فإذا وَجَدَ ثوباً فاخراً في وقتٍ ما لبسه، وإذا عُرِض عليه ثوب خلقٌ رثٌّ للغاية لم يأخذه حياء في لبسه. وكان فضيلته قبل أن يُعْتَقَل ويُسْجَنَ بـ "مالطة " يحبّ الملابس التي نُسِجَتْ داخل البلاد، ولما عاد منها إلى الهند ازداد حبًّا فيها واعتناءًا بها. كما أَعَدّ ملابس وطنية بعناية بالغة ترغيباً للناس فيها وتحريضاً لهم عليها. وكان يلبس قميصا طويلاً ذاهبا إلى ما تحت الركبتين ، ويترك القميص مفتوحاً بدون زر في الصدر، وكان يلبس سروالاً صاعداً إلى ما فوق الكعبين جسما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم . وأما القلنسوة فكثيرا ما تكون طويلة ذات

جناحين. وربما تكون مدوّرة مثل قلانس العرب . وكان لا يعمّم إلاّ قليلاً. وكان بعد عودته من "مالطة" يلبس الصدرية البيضاء بجانب القميص. وكثيرا ما يلبس في أيام الشتاء عباءً قطنياً قصير الكمين، ويضع على رأسه قبعة من القطن ، ويتخذ اللحاف قطنيا من لون أخضر أو أصفر مشوباً بالبياض. وكان أحياناً يقول: إن ألحفتنا القطنية هذه نفعتنا جداً في أيام الشتاء بـ "مالطة" .

مدى توكله على الله

وكان مدى توكّله على الله وثقته بنصره بحيث إذا لم يكن يُرْزَق مرافق الحياة لم يأخذ فضيلته جزع ولا فزع. ولكن المرتب الذي كان يتلقاه من الجامعة على ما كان يقوم به من خدمة التدريس بها، وما ورثه من عقارات أبيه، كان كلّ منهما مكسباً له. غير أن استضافته كل يوم، ومساعدته المالية للفقراء والمحتاجين، وكفالته لكثير من أقاربه، ربّما يكلّفه نفقات باهظة تسبب الاقتراض. وكان لا يقبل الهدية إلاّ قليلاً ، وعلى إلحاح مستمر من محبّ مخلص له، ولذلك فكانت الهدايا لا تدر له المال إلا يسيراً. ولكن الله جلّ و علا زاد فضيلته موردًا مثل ما تفاقمت نفقاته قبل أن يغادر إلى مكة المكرمة لآخر مرة في حياته للحج وبعد أن عاد من "مالطة" .

إن فضيلتـــه لم تكن لــــه صلةٌ بشؤون تــدبير المنزل والدخل والصرف، فكان المرتب الذي تقدمه الجامعة يدفعه إلى زوجته الوفية، والكسب الذي تدره العقارات الموروثة، وهي التي كانت تنفق فيما تمس الحاجة إليه. وكذلك فكان أمر الدخل والصرف بتمامه بأيدي بعض رفقة شيخ الهند خلال سفره الطويل للحج، وفي مدة إسارته بـ"مالطة" وفي الأيام التي عاشها بعد أن أُفرجَ عنه إلى أن توفته رحمة ربه. وكان رفقته يأتون بكل حذر و حيطة في إنفاق المال، وكتابة الدخل والصرف، وذلك بالرغم من أن فضيلته لم يكن ليطلع على ما قاموا به من خيانة إذا شاؤوا.

يحكي بعض خدّام فضيلته أنه كان هناك رجال يهدون إليه نقوداً كثيرة ، ولكنه لم يكن ينظر فيها ليعرف قدرها. وكذلك فكان يضعها تحت وسادته حيناً، وحيناً ينادي بالشيخ "غزير غل" ويسلّم النقود كلها إليه. وكان من عادة سماحته أنه يجود بالأموال في سبيل الخير سواء كانت من دخله نفسه وسواء قدمها إليه رجل من أصحاب الخير للإنفاق في ذلك السبيل. وإذا تكلّم أحد معه في هذا الصدد وأشار عليه بالامتناع عن الإنفاق من أمواله كره ذلك وعبس وجهه.

الهوامش:

(١) والحديث بتمامه كالآتي عن عائشة رضي الله عنها إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم الإدام الخلّ قال عبد الله بن عبد الرحمن في حديثه : نعم الإدام ، أو الإدام الخلّ – روى الحديث الإمام مسلم بطرق شتى في صحيحه - (كتاب الشمائل للإمام الترمذي، باب ما جاء في صفة الإدام، ص ١٠، ط شركة سعيد، كراتشي، باكستان)

(٢) ما وجدت الرواية بهذه الألفاظ ولكن هناك روايات تشبه ما كتبه صاحب الكتاب، وإحداها بسندها ومتنها فيما يلي :
" حدثنا بكر بن خلف أبو بشر، ثنا يحيى بن سعيد عن مسعر حدثني شيخ من فهم وأظنه يسمّى محمد بن عبد الله أنه سمع عبد الله بن جعفر يحدث ابن الزبير وقد نحر لهم جزوراً، أو بعيراً أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال – والقوم يلقون لرسول الله صلى الله عليه وسلم اللحم " أطيب اللحم ، لحم الظهر "
(سنن ابن ماجة، كتاب الأطعمة ، باب أطائب اللحم، ص ٢٣٧، ط المكتبة التهانوية، ديوبند)

(٣) والحديث بنصه كما يأتي " حدثنا محمد بن يوسف أن عطاء بن يسار أخبره أن أم سلمة أخبرته أنه قرّبت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم جنباً مشويًّا، فأكل منه ثم قام إلى الصلاة وما توضأ "
(كتاب الشمائل، للترمذي، باب ماجاء في صفة الإدام، ص ١٠، ط شركة سعيد ، كراتشي)

(٤) قد أفرغت كلّ ما كان في وسعي لتخريج هذه الكلمات، غير أني لم أطلع فيما طالعت من كتب الحديث على رواية تضمّ هذه الكلمات أو تفيد بهذا المعنى وكلّ ما يُرْوَى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يفيد بأنه دعا بالبركة للخلّ فروى عن أم سعد قالت
" دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على عائشة وأنا عندها، فقال هل من غداء ؟ قالت عندنا خبز و تمر وخلّ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم الإدام الخلّ أللهم ! بارك في الخلّ، فإنه كان إدام الأنبياء قبلي ولم يفقر بيت فيه خلّ "
(سنن ابن ماجة، كتاب الأطعمة، باب الائتدام بالخل، ص ٢٣٨، ط المكتبة التهانوية، ديوبند)

(٥) (انظر كتاب الشمائل للترمذي، باب ما جاء في صفة الإدام، ص ١٠)

☆ ☆ ☆

بعض جوانب الجمال في اللغة العربية

(١/١)

بقلم : معالي الدكتور عبد العزيز عبد الله الخويطر
المملكة العربية السعودية

اللغة عند أي شعب مصدر فخر واعتزاز، لأنها جزء منه، تحمل مصادر ثروته المعنوية، ففيها مخزون تراثه، وفيها سجل بوارق ماضيه، وهواطل المجد عند آبائه، كل كلمة تستند إلى عضد لها من التأريخ، وما فيه من إنجازات، فهي الصورة الدقيقة الصادقة لما كانت عليه أمته، ولهذا حرصت الأمم على بقاء لغتها صافية نقية، تحميها من زحف الشوائب إليها من لغة أخرى، إلا ما ارتضته، ورأت فيه ثراءاً للغتها، وعضداً مفيداً لها، يقويها ويزيد مدلولاتها؛ أما ما لم يكن كذلك فهي تقف له بالمرصاد، إلا إذا كانت أمة ضعيفة غلبها غالب، وأصبحت تحته تئن تحت وطأة تسلط سياسي أو ثقافي أو اقتصادي أو غير ذلك مما لا تستطيع مقاومته، فإنها في هذه الحالة تتأثر لغتها بدخيل من لغة المتسلط يبدأ تدريجاً، ثم يزداد أحياناً إلى أن يغلب على لغة المغلوب، وقد يقضي عليها كلية، فلا يبقى منها إلا كالوشم في ظاهر اليد: كلمات هنا وهناك، وتعبيرات هنا وهناك، يستدل منها الباحث فيما بعد على ما كان لهذه الأمة من لغة وحضارة؛ وفي العالم، ماضياً وحاضراً، أمثلة على ذلك.

والأمة القوية، لا تكتفي بحماية لغتها، أو تبقيها جامدة، بل تسعى لتحسين أدائها، وقيامها بحمل الأفكار، والعبير عنها، قوة في البناء، وجمالاً في الأسلوب، ودقة في المدلول، وتأثيراً في القصد والهدف، وهذا مما يميزها عن غيرها، ويحميها من أن تُزاحَم، أو تضعب عن مسايرة حياة الشعب الذي يتكلمها .

واللغة العربية هذه صفتها، بقيت تتطور إلى ما قوي كيانها، فقاومت الزمن، وكانت مصدر رعاية الناطقين بها، واهتمامهم، لم يقتصروا على أن يجعلوا وعاءها لغة المخاطبة، والأحاديث العابرّة، بل رفعوها إلى أن تكون وعاء الخطب، والشعر، والحكم، والأمثال، فحملت أندر الأفكار، وأقوى المعاني، وأبهى الصور، وأجمل التركيبات، فاقتنصت الحقائق دقيقة متقنة، وقيدت أوابد الصور الخيالية، فجاءت بالسحر الحلال .

ودقة المعاني أوجبت كثرة الألفاظ، حتى صار لجزء صغير من الأمر مدلوله، وجاءت بالمترادفات لتضمن تحقق الفهم، ورسوخ الأفكار، واستقرار المعاني؛ ورفهوا أنفسهم ببذخ في التعابير، قد لا تجد لغة وصلت إليه، حتى أصبحت كتب التراث التي دونت اللغة وآدابها وتاريخها، تكاد لا تحصى عدداً، ولا يحاط بها تفنناً وإبداعاً .

ومن المظاهر التي لفتت نظري، ونظر كثيرين، حرص العرب على موسيقى الكلمة والجملة والتعبير، وأوْلَوا هذا عناية فائقة، وحرصوا عليه، بل أنهم أحيانا أسرفوا في هذا، فإذا كان الشعر أحد هذه المظاهر بوزنه الدقيق، وقافيته المعتبرة، فالسجع كان مظهراً فريداً، من فخرهم به، تفننوا فيه حتى المغالاة أحياناً. ولم يكفهم هذا بل عمدوا إلى وزن الجمل غير المسجوعة، فجاءت متناغمة في صورتها، وصوتها

الدين من صلاة وصيام وصدق وعدل جزءٌ من الإيمان، وليس الإيمان الاعتقاد وحده، فمن اعتقد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، ثم لم يعمل بفروض الدين وارتكب الكبائر فهو كافر وقال بعضهم وهو نافع رئيس الأزارقة: إنه لا يحل لأصحابـه المومنين أن يجيبوا أحدا من غيرهم من المسلمين إذا دعاهم للصلاة ولا أن يأكلوا من ذبائحهم ولا أن يتزوجوا منهم، هم في نظره مثل كفار العرب وعبدة الأوثان دارهم دار حرب يجوز قتالهم ويحل قتل أطفالهم ونسائهم، وكذلك إنه لا يجيز التقية في قول ولا في عمل ويستحل الغدر بمن خالفه، ويكفّر القعدة ممن كانوا على رأيه عن القتال مع قدرتهم عليه، أو عن الهجرة إليهم. ومنهم من يرى وهم أتباع نجـدة بن عامر أن دمـاء المسلمين واغتصاب أموالهم حرام إلا في حرب والتقية جائزة والقعود عن القتال للقادرِ عليه جائز. ويعتقد بعضهم وهم الإباضية أن الذين يخالفونهم هم ليسوا كافرين، إنهم كفار نعمة فقط، وبلاد مخالفيهم من المسلمين هي دار توحيد إلا معسكر السلطان فانه دار بغي(٧).

وبين أيدينا وثيقتان هامتان لزعيمين من زعماء الخوارج تبينان لنا كيف كوّن الخوارج آراءهم وبنوا معتقداتهم، الوثيقة الأولى كتبها نجدة إلى نافع بن الأزرق لما بلغه استعراضه للناس وقتله الأطفال واستحلاله الأمانة، ونص الوثيقة هو كما يلي (٨) :

"بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد : فإن عهدى بك وأنت لليتيم كالأب الرحيم وللضعيف كالأخ البرلا تأخزك في الله لومة لائم ولا ترى معونة ظالم، كذلك كنت أنت، وَأصحابك، أما تذكر قولك: "لولا أنى أعلم أن للإمام العادل مثل أجر جميع رعيته ما توليت أمر رجلين من المسلمين" فلما شريت نفسك في طاعة ربك ابتغاء رضوانه تجرد لك الشيطان ولم يكن أحد أثقـل وطأة عليـه منك ومن أصحـابك، فـاستمالك واستغواك فغويت وأكفرت الذين عذَرَهم الله في كتابه من قعدة المسلمين وضعفتهم. فقال جل ثناؤه وقوله الحق، و وعده الصدق: "ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حَرَج إذا نصحوا لله ورسوله"، ثم سماهم الله أحسن الأسماء، فقال : "ما على المحسنين من سبِيل" ثم استحللت قتل الأطفال، وقد نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن قتلهم، وقال عز ذكره: "ولا تزر وازرة وزر أخرى" وقال سبحانه في القعدة خيرا وفضل الله من جاهد عليهم، أو ما سمعت قوله عزوجل: "لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون في سبيل الله" فجعلهم الله من المؤمنين، وفضل عليهم المجاهدين بأعمالهم، ورأيت من رأيك ألا تؤدى الأمانة إلى من يخالفك، والله يأمرك أن تؤدى الأمانات إلى اهلها، فاتق الله وانظر لنفسك، واتق يوما لا يجزى والدٌ عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً فإن الله عز وجل بالمرصـاد وحُكمـه العدل، وقوله الفصل، والسلام".

أما الوثيقة الثانية فإنها جواب نافع بن الأزرق لنجدة ونصها كما يلي (٩) :

" بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد : فقد أتانى كتابك تعظنى فيه و تُذكّرنى ... وتعيب علي مادنتُ به من تكفير القعدة وقتل الأطفال واستحلال الأمانة، سأفسر لك ذلك إن شاء الله، أما هولاء القعدة فليسوا كمن ذكرتَ ممن كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأنهم كانوا بمكة مقهورين محصورين لا

ومعناها، فأصابت بهذا هدف التأثير، فحركت وأطربت وأبهجت .

وجاء القرآن الكريم ليضع التاج النبيل على هذه اللغة الكريمة ، فكان القدوة والمحتذى، والمقياس الأسمى للفصاحة والإعجاز، بسوره وآياته، وكلماته، وما تحمله من معانٍ، وصور، ومدلولات، وعبر.

ومن بين ما يلاحظ المتتبع لحرص العرب على اعتدال الجملة، وحسن وقعها على السمع، وما لا تستغني عنه من موسيقى، جرسها يطرب الأذن، ويبهج الروح، ما ابتدعوه من أسلوب التتابع، وهو فن في اللغة العربية فريد، فيه ما يؤكد معنى من المعاني، ومنه ما يأتي سنداً يَتِدُ الجملة، ويقيم أودها، ترتكز عليه كما ترتكز النبتة على خشبة توضع بجانبها تسندها، وتحميها من أن تميل، وتبقيها مستقيمة، تخلب الرائي، وتساعدها على النمو والطول، واشتداد العود .

وقد يمر القارئ للتراث بمثل للتتابع تختار رجله عنده، ويقف ليتدبر الحكمة منه، والسبب في وجوده، ووجوه التطور التي دخل على اللغة منها، ويظن أن الأمثلة قليلة قليلة – كما ظننتُ يوماً (١) – فيجد أن الأمر أوسع مما ظن، وأن هذا أسلوب متبع، له غرض، وله نهج، وله هدف وغاية، وبالاستقراء لبعض الأمثلة يجد المتتبع أن الحقل واسع، والأمثلة كثيرة لا تكاد تحصى، وقد حاول أحد المؤلفين(٢) أن يجمع ثروة من هذه الكلمات التي تكوّن هذا الأسلوب، ونجح في تأليف كتاب ثمين مفيد، صنف فيه ما جمعه، ورتبه حسب حروف الهجاء، فأخذ صفة كتاب لغة، وصفة معجم، وقراءته رحلة ممتعة في روض أغن، فيه من عبق الزهر ما يبهج النفس، ويدعو للفخر والاعتزاز .

ولعل المؤلف وهو يختار طريقة المعاجم قد لاحظ ثراء اللغة العربية في هذا، مما جعلها إحدى اللغات القليلة التي ركزت على هذا الجانب اللغوي، فأصبحت معاجمها متنوعة، فيها من الفن والإبداع ما لم يسبقها إليه أحد من قبل، بل اتُّخذت أسوة لمن جاء في العصر الحديث يسعى في تسهيل مراجعة الكلمات والمعاني في اللغات الاخرى.

ولعل من الفائدة أن نقوم برحلة مختصرة داخل هذا الكتاب لنرى جانباً من جوانب الجمال في اللغة العربية، وجانباً من جوانب العناية بها، وجانباً مما يبدو كأنه جانب من جوانب الترف الفكري المحبب.

والإتباع والمزاوجة أقرب أن يسميا المساندة، فهما بهذا أولى، لأن الكلمة التالية تسد الأولى، سواء بتأكيد المعنى، أو بتعصيد اللفظ، فإذا سندت المعنى فهي ذات معنى، ولو انفردت به لأجزت عن الأولى، وإن سندت اللفظ فهي مفيدة في الشكل مظهراً وموسيقى .

والسَّنْد أو الإتباع والمزاوجة كثيراً ما يأتي بتغيير حرف في أول الكلمة، وبعض الحروف يبدو أنه هو المفضل، وسوف نرى من الأمثلة بعض هذه الحروف، وتفضيلهم لها، حتى إن المتكلمين بالعامية تبعوهم في ذلك، مثل تفضيلهم لحرف الباء، ولعل قوة نطق الباء له دخل في هذا الاختيار.

وقد بدأ ابن زكريا معجمه في الإتباع والمزاوجة بحرف الباء في آخر الكلمة فساق أمثلة مما يعتبر تأكيداً لحمل المعنى نفسه للكلمة السابقة مثل:

" إنه لساغب لاغب " (٣)

الهوامش :

(١) أنظر إطلالة على التراث ١٦٨/٢

(٢) هو أحمد بن فارس بن زكريا وكتابه هو "الإتباع والمزاوجة"

(٣) الإتباع والمزاوجة: ٤٥.

رئيس وزراء الهند

يكشف النقاب عن وجهه ، ويعلن ولاءه لمنظمة آر. إيس. إيس

إعداد : أبو عفيفة القاسمي

إن الجالية الهندية في الولايات المتحدة الأمريكية نظّمت اجتماعاً بمناسبة زيارة المستر " أتال بيهاري فاجباي " لأمريكا مؤخراً. وحضر الاجتماع بجانب كبار زعماء " حركة بناء معبد راما" بمدينة " أجودهيا " أمثال : الناسك راما نندا ، قائد الحركة، وستيه مترا نندا ، وأشوكا سانغلا – الأمين العام للمجلس الهندوسي العالمي – وغري راج كشور – رئيس المجلس– وبورنما سيتي ، ونريندر مودي ، والناسك أويد نات ، وسنلر سينغ بنداري حاكم ولاية " غجرات " زهاء ثمانية ومائة ناسك وعالم هندوسي مرافق للمستر " فاجباي " في زيارته هذه ، وعدد لا يستهان به من أبناء الجالية الهندية في أمريكا الموالين للمنظمات الهندوسية المتطرفة التي لعبت دوراً بارزا في هدم "المسجد البابري " الأثري ، وأجّجت نار العداء والكراهية في الهند كلها قبل سنوات تحت هتاف إعادة بناء معبد راما على أنقاض المسجد .

وتحدث المستر " فاجباي " إلى الاجتماع وقال فيما قال دونما التواء وتعقيد :

* إني حضرت الاجتماعَ كعضو نشيط موالٍ لمنظمة "آر. إيس . إيس " وما حضرته كرئيس وزراء للهند .

* و إني أعد الجالية الهندية كلها وعدا مؤكدا بأني سأقوم بتحويل الهند دولة هندوسية محضة حسبما نحلم بها منذ مدة طويلة، وذلك إذا صوّت الهندوس لصالح حزبي في غالبية تساوي ثلثي مقاعد البرلمان .

* إني عضوٌ و فيٌّ لمنظمة " آر. إيس . إيس " في يومي هذا ، كما كنت من ذي قبل ، وسوف أعمل لها كعضو من أعضائها في الأيام القادمة أيضا .

كما صرّح سوف أبقى موالياً للمنظمة عاملا لتحقيق أحلامها القديمة وإن لم أعد رئيسا لوزراء الهند . وتحمّس قائلا – وكان يردّ على سؤال وجّهه إليه الموالون للمجلس الهندوسي العالمي – وي . إيج . بي – عن بناء معبد راما في أجودهيا – : إن ما كسبناه من نجاح وما قطعناه من مرحلة في هذا الخصوص مع أننا لا نفوز بأغلبية في البرلمان الهندي يدلّ على عزمنا الأكيد نحوه . واستطرد قائلا : إننا لن نتوقف ولو لساعة في تحويل الهند إلى دولة هندوسية كثيرا ما نحلم بها نحن والهنادك كلهم منذ أمد ، إذا فاز حزب " ب ج ب " بثلثي مقاعد من البرلمان .

ومما لا شك فيه أن الاجتماعَ عُقِدَ لتحقيق أغراض "المجلس الهندوسي العالمي " وأنه إنما جاء عقده كمحاولة يبذلها المجلس بهدف جمع شمل الهندوس الأثرياء من الجالية الهندية في أمريكا. وبالمناسبة يجدر بالذكر أن المجلس فاز بحصد بلايين دولارٍ تبرع به أبناء الجاليات الهندية في دول العالم ولا سيما في أمريكا ، وذلك خلال حركة قام بها لهدم المسجد البابري وبناء معبد راما مكانه في " أيودها " وقد سبق أن هُدِمَ المسجد بأيدي الهندوس المتطرفين في عام ١٩٩٢، حتى يجوز للمجلس أن يبرّر في خُصُوص هذه النقود الهائلة ، وساعدت المجلس على عملية الهدم الحكومتان . المركزية في دهلي ، والإقليمية بولاية " أترا برا ديش " .

وينبغي أن يُلْقَى ضوء على منظمة " آر. إيس. إيس " التي يدعي رئيس الوزراء مناصرته وموالاته لها ، فنكتفي بالمناسبة بإيراد مثالٍ واحدٍ . إن آلاف مدرسة منتشرة في أنحاء الهند تقوم على أمورها المنظمة قررت في منهاجها الدراسي في مادة التاريخ كتبا تحرّض الأطفال الصغار من الهندوس على الكراهية ضد المسلمين وسلاطينهم الذين حكموا الهند زهاء خمس مائة سنة ، وتدعو إلى الثأر من أبناء المسلمين . فتضم هذه الكتب فيما تحتضنه من أمور ثلاثة أسئلة جاء فيها :

* كم يبلغ عدد النّساك الهنادك الأولياء لراما الذين قُتِلُوا من رواء تحرير معبد راما خلال مدة ١٥٢٨م و ١٩١٤م .

* لما ذا لا يُعَدُّ المسجد البابري مسجداً ؟

* لما ذا سيُكْتَبُ يوم ٣٠/ أكتوبر لعام ١٩٩٠م بحروف سوداء في تاريخ الهند ؟

وهناك تساؤلات تثار بحقٍ عن خطاب ألقاه المستر "فاجباي" في الاجتماع . فمثلا كيف تكون الهند التي يحلم بها "فاجباي" ؟ والإجابة عن ذلك أنها للهندوس وحدهم، و أن أتباع الديانات الأخرى ما عدا الهندوسية ليس لهم أن يعيشوا في الهند إلاّ إذا تخلوا عن عقائد دينهم ، وانضموا إلى الديانة الهندوسية واعتنقوا طقوسها وتعاليمها، وتنازلوا عن شخصيتهم الدينية، ووضعوا في أعناقهم قلادة الولاء للهندوسية .

وإذا كان الأمر هذا، فأنّى للمستر " فاجباي" وحزبه الحاكم

في "دهلي" أن يهتف بالعلمانية ، ويدعي انتماءه إليه؟ وأنّى له أن يضع على وجهه نقاب الديمقراطية ؟ وكيف يجوز له أن يعمل وفق دستور البلاد العلماني ؟ وكيف جاز له أن يدلي اليمين لموالاته للدستور والعمل في ضوئه في خصوص إدارة شؤون البلاد؟ وكيف جاز له أن يظهر نفسه كزعيم يؤمن بالعلمانية؟ هذه أسئلة تحتاج إلى إجابات مقنعة من قبل المستر "فاجباي" وزعماء حزبه الآخرين

على كل ، فانكشف الغمام ، وتجلى الأمر وثبت أن هتافات العلمانية التي ما زال المستر " فاجباي" يرفع بها من على منصات الخطابة ومنابر البرلمان ، كانت خداعاً ماكراً ، وأنه ما زال ولا يزال مؤمنا بالهندوسية المتطرفة ومتمسكا بأهداف منظمة آر. إيس. إيس الخبيثة ، وموالياً لها وعضوا عاملا لترجمة أحلامها في خصوص تحويل البلاد دولةً هندوسية ، وتضييق الخناق على أبناء الديانات الأخرى، حتى اضطر و الاعتناق الهندوسية ، أو المغادرة إلى بلدان أخرى

محاولات خبيثة تبذلها المخابرات السرية لتشويه سمعة الجامعة الإسلامية بـ علي جراه

إن رجال شرطة مدينة " آغره " بولاية " يوبي " داهموا في مستهل شهر سبتمبر أحد أروقة طلابية بالجامعة الإسلامية بمدينة " علي جراه " يُعْرَفُ بـ " حبيب هال " دونما إذن مسبق من سلطة الجامعة ، وألقوا القبض على طالب في الصف الرابع من كلية الطب حان الطبية التابعة للجامعة يدعى بـ " عبد المبين " بتهمة أنه يعمل لصالح المخابرات السرية الباكستانية – آئي إيس. آئي – وادعى ضابط الشرطة بمدينة " آجره " تبريراً لعملية الشرطة هذه أن الشرطة حصلت على قدر كبير من المواد المتفجرة – ار دي. إيكس – من لدن " عبد المبين " .

وسبّبت خطوة الشرطة هذه غضب طلاب الجامعة وسخطهم، فخرجوا إلى الشوارع يرفعون هتافات ضد الشرطة وعمليتها العشوائية، ويحتجون على إلقاء القبض على زميلهم " عبد المبين " وأقاموا عقبات في بعض شوارع مدينة " علي جراه " وأضربوا طوال أربعة أيام متتابعة عن التعليم .

وثاروا سخطا عندما رأوا ضابطا في مصلحة المخابرات السرية الهندية يتجول في الرواق الطلابي نفسه في وضع يثير الشكوك والشبهات . ولما أحاط به بعض الطلاب وسألوه عن تجوله في الرواق ودخوله الجامعة دونما تصريح من أصحاب أمورها، طار عقل الضابط هلعا وحاول للفرار فزعاً . فبطش به الطلاب وجاؤوا به إلى السلطة حيث اعترف بذنبه في صورة كتابية فقال :

إني " راجش شرما " أعمل في مصلحة سرية تابعة للحكومة، وإني أكتب كلّ ما أكتب من عند نفسي بدون أي ضغط من أي جهة . واعترف بأن عبد المبين – الطالب الذي ألقت الشرطة القبض عليه – بريء، مؤتمن وشريف للغاية، وأن خطفه من داخل الرواق الطلابي إنما جاء تحت مؤامرة مدبّرة سبحها ضباط الشرطة بمدينة "آجره" ورجال المخابرات السرية – آئي بي– بهدف تشويه صورة الجامعة الإسلامية، وإساءة سمعتها، وبأن "عبد المبين" كان بريئا لم يكن لديه شيء من المواد الناسفة ، والوثائق التي تدل على أن له صلات مع رجال المخابرات السرية الباكستانية كما كتب الضابط "راجش شرما" أسماء الضباط الذين كانوا قد وضعوا المواد الناسفة عند طالب الجامعة وهي: سشي كانت شرما – إيس أو آغره – ، و آر. بي سينغ – إيس أني آغره– وجغديش شرما – سي. أو. آر– وبارانسا – إيس بي آئي بي– وأضاف "راجش" قائلا : إن هؤلاء هم الذين دفعوا بالطالب إلى "آغره" وادّعوا أنه كان يأتي بعمليات معادية للبلاد، وأن المؤامرة إنما تم تدبيرها لتشويه سمعة الجامعة الإسلامية ومسلمي الهند كما صرّح إني أري أن العملية استُهدف من ورائها إبادةُ الشعب المسلم الهندي وذهب "شرما" في بيانه الكتابي هذا قائلا أن المستر "راما بارابر" – ضابط الشرطة بمدينة آجره – أمرنا بأن نقوم بالتفتيش عن طالب فلان، ونقدم تقريرا عن نشاطاته إليه وإذا قدمنا إليه تقريراً يدلّ على أن الطالب لا يأتي بأية نشاطات معادية للبلاد ثار غضبا وأساء إلينا السلوك.

وبعد أن أزيح الستارُ عن هذه المؤامرة الخبيثة استشاط طلاب الجامعة وأساتذتها، وأبناء الشعب المسلم غضباً، وعقدوا ضد عملية الشرطة تظاهراتٍ حاشدة أدانوا من خلالها عملية الشرطة أشد إدانة، وطالبوا بالإفراج عن الطالب، وإلقاء القبض على الضباط الذين كانوا من وراء العملية ، واتخاذ خطوات رادعة ضدّهم، حتى لا يتجرأ ضابط على اعادة مثل المؤامرة ضد الجامعة وطلابها.

هذا وقد قدّم وفد من طلاب الجامعة مذكرة " إلى رئيس الجمهورية أعربوا فيها عن بالغ قلقهم على أن استغلال الأقليات وإرهاقها بشتى الصور قد أصبح عادةً للطبقة الحاكمة . وأكدت المذكرة أن عدوان الأغلبية الهندوسة أصبح خطرا كبيرا على وحدة البلاد وسلامتها، وأن الجامعة الإسلامية تعاني هذه الأيام خطرا فادحا من قبل القوى الفاشيد كمؤسسة تعليمية تسعى للارتفاع بمستوى أبناء المسلمين التعليمي، وأن المنظمات الطائفية تنسج مؤامرات خبيثة للأخذ من أهمية الجامعة وفصل الأقليات عن التيار الوطني للبلاد، وأن القوى الطائفية ألصقت بطلاب الجامعة تهما فارغة بأنهم أعداء للهند، نابعة من فكرها الفاشية هذه

وفي جانب آخر عقدت عدة جمعيات هندوسية متطرفة برعاية "لجنة احياء الهندوس" اجتماعا حاشدا في إحدى ميادين مدينة "علي جراه" طالبت فيها الحكومة المركزية بفرض الحظر على منظمة طلابية مسلمة تُدْعى بـ "إيس. آئي إيم" وإلغاء دور تقوم به الجامعة تجاه الأقلية المسلمة، ومعاقبة القائمين على أمورها، وإلغاء المساعدات المالية التي تفوز بها الجامعة كل سنة من الحكومة المركزية والتي تبلغ

ملايين روبية، وفرض الحظر على الزعماء والساسة الذين يزورون الجامعة حيناً لآخر، وإلقاء القبض على الطلاب الذين كانوا قد بطشوا بالمسمّ "راجن شرما" أحد ضباط مصلحة المخابرات الهندية .

وبهذا فقد انكشف ما كانت تخفيه مصلحة المخابرات من وراء إلقاء القبض على طالب بريء من الجامعة ، واتهمامه بامتلاك قدر كبير من المواد الناسفة، وباتصاله برجال المخابرات السرية الباكستانية . وبعد أن كشف "راجن شرما" الغطاء عن المؤامرة توافد على الجامعة زعماء وقادة الأحزاب السياسية، وندّدوا بعملية الشرطة، وطالبوا الحكومة المركزية بالقيام بالتفتيش عن الحادث، وتكوين لجنة تبحث عن الأمر تحت رئاسة أحد قضاة في المحكمة العليا. ولكن الحكومة المركزية لم تلتفت من بعد إلى هذه المطالبات، ولم تضعها في موضع الاعتبار. وذلك يدل على أن الحكومة هي الأخرى تحاول مسّ كرامة الجامعة، وتشويه سمعتها، والأخذ من دورها التأريخي الريادي .

***

منظمتــان هندوسيّتان تفرضان الحظر إجبارياً على دخول جماعة الدعوة والتبليغ قرية هنديّة.

إعداد : الأخ محمد أحمد السيتا مرهي القاسمي

منظمتان هندوسيتان متطرفتان "بجرانغ دال" و "شيف سينا -جنود شيف - (و "شيف " هو اسم إله من آلهة الهندوس) تفرضان الحظر على العمل بشعائر الإسلام بدون سبب، في قرية "كهركهوده" إحدى قرى مديرية "باني بت" بولاية هريانه الهندية، مما يجعل الظروف متفجّرةً.

وحسبما أفاد الخبر أن مسلمي قرية "كهركهوده" كانوا قد أقاموا مسجداً بشكل كوخ لأداء الصلاة المكتوبة وتعليم أطفال المسلمين القرآن الكريمَ، فلم يرض بذلك الهندوس المتطرفون، وبدؤوا يرفعون الأصوات ضد ذلك منذ أسبوعين، مطالبين بمنع جماعة الدعوة والتبليغ عن دخولها إلى القرية، وفرض الحظر على رفع الأذان بصوتٍ جهوريٍّ، وتعليم الأطفال المسلمين القرآن الكريم .

وحدث أثناء ذلك أن أعضاء "شيف سينا" المتطرفين اقتحموا ذلك المسجدَ وهدّدوا إمامه؛ مما أبقى المسجد مهجوراً، فلا أحد يؤدّي فيه الصلاة ولا طفل يتعلّم فيه القرآن الآن ، خشيةً على أنفسهم .

وانتهج أولئك المعادون للمجتمع طريقةً استفزازيةً ، وهي أنه لا يُسْمحُ لأحد أن يعيّن إماماً في المسجد إلاّ بإذن من المسؤول الحكومي. وفي ناحية أخرى بدأ يصيح أعضاء "بجرانغ دال" أنه يُلَقَّنُ في المسجد " التعليم الباكستاني" وذلك أمر لن نحتمله أبداً، يعنون بـ "التعليم الباكستاني" التعليم الإسلامي.

وقد سبق أن الذين ينتمون إلى "شيف سينا" قد أثاروا قضية استخدام مكبرات الصوت للأذان في قرية "راما ماجرا" التابعة للمديرية المذكورة بالولاية نفسها، وأنّ عشرات من الإرهابيّين المنتمين إلى المنظمة المشار إليها قد شنّوا الغارة على القرية؛ مما بَثَّ روح الذعر في قلوب مسلمي المنطقة .

وفي ناحية أخرى أفاد الخبر أن أعضاء المنظمة هذه حاولوا منع جماعة الدعوة والتبليغ عن دخولها مدينة "سرسا" بالولاية المذكورة متهمين بأن عملاء مصلحة " آي. إيس. آي" للاستخبارات الباكستانية يحتمون بها.

وشكا أولئك المسلمون المتخلفون المضطهدون إلى المنظمات الإسلامية البارزة في "دهلي" وأعضاء البرلمان الهندي من المسلمين عدمَ اهتمامهم بقضيتهم، مسترعين انتباههم إلى العذاب الذي يُصَبُّ عليهم في عهد الحكومة الحالية يعني حكومة حزب "ب ج ب" ذي الاتجاهات العصبية العمياء ضد المسلمين بل ضد كل شيء ينتمي إلى الإسلام وأبنائه .

(صحيفة "راشتريه سهارا" الأردية، دهلي الجديدة، العدد ٤٥٤، السنة ٢)

العالم الديني الشهير أحد أبطال التحرير الشيخ جليل أحمد السيوهاروي في ذمة الله

فوجئنا نحن العلماء والعاملين في الأوساط الإسلامية، اليوم الجمعة ، ٢٤/ جمادى الأولى ١٤٢١هـ، الموافق ٢٥/ أغسطس ٢٠٠٠م، بنبأ وفاة الشيخ "جليل أحمد" أحد ساكني قرية "سيوهارا" التابعة لمديرية "بجنور" بولاية أترابراديش (U.P.)

كان والد الشيخ الراحل الشيخ "بشير أحمد بهت" بطلاً مناضلاً من أجل تحرير الهند، وقد تكاتف مع كل من المجاهد الإسلاميّ الكبير الشيخ "حسين أحمد" المدني الهندي، والشيخ المفتي الكبير "محمد كفاية الله" الدهلوي ، و "المهاتما غاندي"، و "جواهرلال نهرو" رئيس الوزراء الهندي سابقاً في النضال والكفاح ضد الاستعمار الإنكليزي الغاشم لتخليص البلاد من ربقته .

وكان الشيخ المرحوم قد ساهم بنفسه أيضاً في نشاطات المقاومة والكفاح ضد الاستعمار مع أقرانه من الشبّان اليافعين. وظل الشيخ المغفور له عضواً في المجلس التنفيذي بـ "جمعية علماء الهند" المركزية مدة طويلة. كما كان رئيس "جمعية علماء الهند" لعموم ولاية يوبي. وكانت علاقته مع علماء ديوبند وأعلام "جمعية علماء الهند" عميقةً مخلصةً ووطيدةً . ولذلك عبّر رئيس "جمعية علماء الهند" ، عن أسفه البالغ وحزنه الشديد على وفاته .

(صحيفة "راشتريه سهارا" الأردية، دهلي الجديدة، العدد ٤٤٩، السنة ٢)

لا يُسْمَحُ بإثارة الضوضاء باسم الديانة / المحكمة الهندية العليا

إعداد الأخ فهيم الدين البجنوري القاسمي

أبدت المحكمة العليا اليوم سخطَها الشديد، تجاه استخدام مكبرات الصوت في المعابد . وذلك من خلال حكم بعيد المدى

أصدرته قائلةً : إنّه لا يمكن أن تُوْجَدَ ديانةٌ تؤيد هذه الظاهرة .

وأوضحت المحكمة ضمن هذا الحكم التاريخي : أنّه سوف لا تسمح أيّ ديانة باستخدام مكبرات من أجل أداء العادات في المعابد أو المساجد. علماً بأنّه يقضي على الهدوء وأمن الناس.

والجدير بالذكر أن هذا الحكم قد صدر عن هيئة القضاء المتكونة من قاضيين، ضد طلب رفعته إلى المحكمة منظمةٌ مسيحيةٌ تحمل اسم "Church of God" احتجاجاً ضد حكم المحكمة العالية بـ "مدراس". وتناولت مناقشات المحكمة سؤالاً حول السماح بشأن إثارة الضوضاء، احتماءً بالعمل بالديانة، وذلك في دولة تتوزّعها ديانات شتى وطوائف مختلفة.

وأضافت المحكمة : أنّ مجتمعاً مثقّفاً يأبى أن يُسْمَحَ لأحد بأن يقوم بنشاطات تفسد على الضعفاء والشيوخ نومَهم، وتخل بهدوء الأطفال والطلاب. ولا يخفى أنّ الضوضاء يعود على الأطفال بانعكاسات سلبيّة ، بينما يجب علينا الحفاظ على حقوقهم؛ بشأن المنام في أجواء هادئةٍ .

هذا وقد سبق أن أصدرت المحكمة العالية "بغربيّ بنجال" حكماً بفرض الحظر على استخدام مكبرات الصوت لرفع الأذان في المساجد وتلحين الترنيمة في المعابد .

ومن المفروض أنّ حكم المحكمة العليا هذا سيجعل المسؤولين في البلاد يتخذون خطوات لترجمته إلى الواقع .

والجدير بالذكر أنّه قد يُستخْدَمُ مكبرات الصوت في بعض المعابد أو في احتفالات دينية مما يثير ضوضاءً شديداً، وأنّ بعض الناس يستغلون التسهيلات الممنوحة لهم من قبل الدستور بشكل غير مشروع، يلحقون الأذى بعامة الناس.

(صحيفة "قومي آواز" العدد ٢٢٠، السنة ٢)

عبرة للمسلمين

قد سبق في الشهر الماضي أن قدم ثلاثة وزراء في الحكومة المركزية من المنتمين إلى منظمة "شيف سينا" استقالتهم من وزاراتهم المركزية . وذلك احتجاجاً ضد إلقاء القبض المرتقب على "بال تاكري" رئيس منظمة "شيف سينا". وكان المستر "أتال بيهاري فاجبي" رئيس الوزراء الهندي قد رفض الاستجابة لاستقالتهم .

وإنّنا لا تعنينا ههنا قضيّة رفض الاستقالات أو قبولها، وكذا لا نتعرض لما تنطوي عليه القضيّة من "المسرحية السياسية" وإنما نود أن نسترعي الانتباه إلى أن هؤلاء الوزراء الثلاثة قد أعلنوا شفوياً وكتابياً خروجهم من الوزارة، تحسباً لامتداد أيدي القانون إلى شرف زعيمهم، أو نظراً إلى أن يتعرض لإهانات مرتقبة. وكانت خطوتهم هذه في صالح زعيمهم وحزبهم.

وهنا ينبغي أن نقارن بينهم وبين الزعماء المسلمين؛ حيث حصلت كارثة هدم المسجد البابري وأعقبها حوادث الاضطرابات الطائفية في طول البلاد وعرضها والتي كانت قد دامت شهوراً. ونعتقد أن تفاصيل هذه الحوادث لا تزال مستحضرة في ذاكرة كل من يحمل ضميراً حياً وعقلاً واعياً .

ولكني أتساءل : كم مسلماً تخلى عن كراسي منصب "إيم إيل إي" و "إيم إيل سي" في مختلف الولايات؟ وكم من المسلمين استقالوا من الوزارة في الحكومات الإقليمية ؟ وكم منهم قدموا الاستقالة من عضويتهم في البرلمان ؟.

هل وجدت أحداً منهم صنع ذلك احتجاجاً ضد هدم المسجد البابري، وإبادة المسلمين الجماعيّة. لم يحصل ذلك لا في صورة "مسرحية" أي تظاهراً بحرارتهم، فضلاً عن أن يحصل بشكل جادّ.

وإذا لم يفعلوا ذلك، فأنتم الحكم – أيها الشعب المسلم – في أنّه من يستحق الثناء ومن يستحق الذم: الزعماء الهندوس أو الزعماء المسلمون

فاعتزموا منذ اليوم على أن لا تصوّتوا لصالح زعيم مسلم، ظلّ ملتصقاً بكرسيه، حتى في أصعب الظروف التي جعلت المسلمين يلحسون التراب؛ لأنّ المتقصّر في حب الله ورسوله لن يكون مخلصاً لدينه أو لأمته

(صحيفة راشتريه سهارا ، دهلي الجديدة ، العدد ١٥٥، السنة ٢)

الأمين العام للإمارة الشرعية يبدي غاية استيائه على الإساءة إلى القرآن الكريم

أبدى الشيخ "أنيس الرحمن" أمين عام الإمارة الشرعية لولايتي "بيهار" و "أريسه" غاية أسفه واستيائه على الإساءة إلى أوراق القرآن الكريم

وأوضح الأمين خلال حديثه إلى مؤتمر صحفي: أنّه لا تزال تحصل منذ مدة في كل من مدينة "دانا فور" و "مظفر فور" و "حقارن" و "غغريا" و "رهتاس" و حتى مدينة "باتنا" عاصمة ولاية "بيهار" من حين لآخر، حوادث صناعة الظروف والكراسات من أوراق القرآن الكريم

وذلك شيء مؤسف ومؤلم للغاية ؛ حيث إنّه يجرح مشاعر الأقليات ويتلاعب بقيم الديموقراطية العليا

جدير بالذكر أنّ الحوادث تستمر منذ شهور عديدة، ولكن الحكومة الإقليمية لم تتخذ بعد أيّ خطوة جادة تجاه هذه القضية الخطرة. كما أنها لا تتخذ إجراءات صارمةً ضد متولّي كبر هذه العمليات الاستهزائية المثيرة للمشاعر الدينية .

فينبغي أن تصدر الحكومة تحذيراً رسمياً، وأن تفرض الحظر على إعداد وتعاطي الظروف والكراسات المصنوعة من أوراق القرآن الكريم وأن تتخذ إجراءات قانونية ضد المرتكبين لهذه الجريمة، حتى لا يعودوا لمثلها .

☆ ☆ ☆

بقية " إشراقة " المنشورة على ص ٤٨

الأردية عن دهلي ، ولا سيّما قولها :

" قد مضى على طلوع الإسلام ١٤ قرناً ، وهو أصغر الديانات الكبيرة المتواجدة في العالم اليـوم ، ونخطئ مرات كثيرة في استخـدام كلمة " الديانـــة " ذلك أن الديانـة هي ما يقوم على مبادئ تتفق ومقياس الصدق في كل زمان وفي كل مكان وفي كل حال ، والإسلام لا يوافق هذا المقياس "

و قولها في ترديد الشائعة المشوهة التي دائما يرددها أعداء الإسلام :

" إن المسيحية و الإسلام كليهما قد انتشرا بالسيف و لا سيّما في الهند ، غير أن السيفَ عاد لا ينفع اليوم ، وإنما تنفع الروبيات ، والمسيحية والإسلام كلاهما يشـد ظهرهما من الـروبيات مالا يمكن إحصاؤه " .

إلا أنها في جانب آخر شمتت بالإسلام والمسلمين بنقطة ضعف هامة ، حق للأعداء أن يشمتوا بنـا من أجلهـا ، ولئن كانت هي قـد استخدمت في هذا الصدد أسلوباً بشعا و لاذعاً لايمت بصلـة ما إلى الموضـوعيـة ، وإنما يُمِدُّها العصبية الأعمى والحقد المكين والعداء الحنق ، فإنها أشارت إلى حقائق مرة نعيشها نحن المسلمين ودولنا الإسلامية والعربية بالذات .. إذ استبشرت بتمزقنا و تشتت شملنا واختلاف آرائنا ، وهواننا على الأعداء وكوننا لقمة سائغة و فريسة منقادة لعدو صغير – إسرائيل – و صرحت بأن هذا الوضع الأسوأ الذي يعيشه المسلون والدول الإسلامية ، فيه كل الخير للهنادك وللهند ، ويالها نعمى لو استمرت !.. إنها قالت :

" لو اتحدت هذه الدول – الدول الإسلامية والعربية – لشكّلت لنا أنواعاً من المشكلات ، ووقايتُنا أنّها متوزعة فيما بينها .. .

" وإنها نقطة ضعف في الإسلام ! إن ما ينشأ اليوم من السؤال حول مستقبل الإسلام ، إنما ينشأ لأن دولتين إسلاميتين لا يمكن أن تسيرا جنبا إلى جنب "

و وجهت الصدمة المؤلمة للغيرة الإسلامية والنخوة العربية والحمية التي كانت مرية المسلمين عبر أدوار التأريخ :

" وقـد أسلفتُ أن الإسلام قد انتشر بالسيف ، وأعود لأؤكد أنه سيقضى عليه بقوة السيف نفسه و أن هذا السيف لا يستخدمه غير المسلمين ضدهم ، وإنما هم الذين يتقاتلون فيما بينهم .

" و رغم جميع المحاولات لم تستطع البلاد العربية أن تكون لها جبهة متحدة ... و إسرائيل وحدها صارت لها صداعاً ... ولم تستطع هاتى الدول جميعا أن تقاوم إسرائيل .. ويمكن تقدير مدى مخافتهم من إسرائيل ، أنها لما أغارت على

الفلسطينيين في الأيام الأخيرة في لبنان[1] ، لم تواف أيّ من الدول العربية بمساعدة الفدائيين الفلسطينيين ، وطاردتهم ، أخيراً من لبنان .

" ومن ذلك كله يمكن أن نقدر مدى الوحدة التي يمكن أن تتوصل إليها الدول الإسلامية عن طريق الإسلام .. ولذلك فيقول بعض الناس إن مستقبل الإسلام لم يعد زاهراً .. " !.

و رغم أن الأسلوب لاذع ، فإنها حقائق نعيشها اليوم ، إننا قد بلغنا من وقاحتنا و فقدان غيرتنا وحميتنا إلى أن يشمت بنا أتفه أمة لم يكن لها قط من الماضي مادة يكمن الافتخار بها في العالم المتحضر الراقي ، حتى تمدنت بصحبة المسلمين منذ أكثر من ألف سنة ، ولا يزال يلجأ قطاع عريض منها إلى الإسلام ضارباً التفاوت الطبقي الظالم والهمجيّة والعنجهية التي هي مزية الهندوكية منذ القديم .. أما المستقبل فهي تجد في طريقه ضباباً متراكما لا تكاد تزيله إلا على حسر من الذوبان في حضارة أخرى ، أو التأقلم مع ديانة غير ديانتها ، والميوعة مع كل نظام ومنهاج من الأنظمة والمناهج الحياتية الوافدة : الاجتماعية والاقتصادية والفكرية بصفة خاصة .

☆ ☆ ☆

☆ ☆

(١) إشارة إلى ما صنعت إسرائيل في " صبرا وشتيلا " مع الفلسطينيين .

بقية المنشور على ص ١٥

أن يملك هذا الاختيار في أخراه، فهو لا يملك خيارين أحدهما في حياته والآخر بعد وفاته وإنما يملك الخيار الأول وليس له الخيار الثاني لارتباطه بحياة جديدة دائمة ليس فيها عودة ولا عنها محيد. ذلك أنها نهاية حقيقية ليس بعدها نهاية ولا مكان ثالث بين الدنيا والآخرة يخلّد فيه الإنسان.

***

وحين يمعن الفرد في الموقف الذي يمثل نهاية الحياة فإن عليه – لضمان حسن المستقر الذي يكون منتهاه – أن يوثّق علاقته التي تربطه بمولاه عز و جل. لأنه لا يدري متى تنطفئ شعلة حياته المتوهجة في كيانه، ولا متى ينتقل من هذه الدار إلى الدار الأخرى، وعندئذ لا يبقى له من دنياه سوى الأعمال الصالحة التي هي زاده الذي يُعوّل عليه في استئناف حياة جديدة، وسوف يرى مكانه بقدر ما لديه من إيمان وما قدمه من عمل . ولعل العجب يبلغ منتهاه من أولئك الذين لا يهتمون بالحقائق الإيمانية المطلوبة منهم والعبادات المفروضة عليهم والتي عليها المعوّل في مواجهة الرحلة الحتمية التي لا مفر منها ولا عدول عنها، ولعلهم يظنون أنها ستمتد بهم أسباب الحياة إلى أمد بعيد، وكأنما ينظرون إلى أنفسهم على أنهم باقون على هـذه الأرض لا تمتـد إليهم حتميـة الانتقـال و لا تنالهم يد الفناء ولا تخطر ببالهم دورة الزمان وأفول شمس الحياة وتبدل المكان، ومهما طال العمر وامتد الأجل فإن الرحيل واقع والجزاء بعد الانتقال متحقق، وهي حقيقة لا يدركها ويسعد فيها إلا الذين اتقوا والذين هم محسنون .

* * *

إشراقة

إسرائيل

وحدها صارت لها صداعاً !

منذ نحو ١٧ عاماً كنت قد كتبتُ هذا المقال الخفيف الذي يتحدث عن حقيقتين مرتين تتصلان بنا نحن المسلمين العرب والعجم ، وهما :

١ - كوننا لا نتحد بشكل من الأشكال حتى في القضايا المصيريّة التي تفرُّقنا فيها يجرّعنا الصاب والعلقم أو أشدّ منهما ، على حين إنّ أمّة على ظهر الأرض ، لا تملك من مقومات الاتّحاد والتضامن ما نملكها نحن ؛ فكتابنا واحد ، و قبلتنا واحدة ، ونبيناواحد ، وديننا جميعاً واحد ، ومقدساتنا واحدة ، وكلنا نحبّ لغة واحدة وهي اللغة العربية ، وقلوبنا جميعاً تخفق بحبّ النبيّ صلى الله عليه وسلّم وصحابته ومن تبعهم بإحسان .

٢ - وكون إسرائيل صداعاً لنا جميعاً ، رغمَ أنّنا بالمجموع أكبر منها بمرات كثيرة ، ولكننا لم نقدر أن نغلبها في قضيّة من القضايا ، والآن نخوض معها أكبر قضيّة في حياتنا كافّة وهي قضية القدس ، التي تحاول إسرائيل أن تكسبها وأن نتنازل عنها كلّيًا ، وأن نقبل عنها ثمناً بخسًا ، بخساً بكل المقاييس .

اقرؤوا المقال لتعرفوا ما أشبه الليلة بالبارحة ..

وهما حقيقتان كانت قد عيّرتنا بهما صحيفة أرديّة يصدرها في دهلي هندوس متعصبون ضد الإسلام والمسلمين ، وذلك هو الذي أثار غيرتي وألهمني هذا المقال .

[أبو أسامة نور]

اعتصرنا ألماً ما قرأنا من آراء وأفكار حاقدة مسومة ضدّ الإسلام و المسلمين ، تضمنتها افتتاحية أحد الأعداد الأخيرة لصحيفة " برتاب " السيارة إحدى الصحف اليومية الناطقة باسم الهنادك ، الصادرة باللغة

أبو أسامة نور

(البقية على ص ٤٦)

بسم الله الرحمن الرحيم

اُدْعُ إِلَى سَبِيْلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَة والْمَوْعِظة الْحسنة و جادلْهُمْ بالَّتِيْ هي أَحْسَنْ (القرآن الحكيم)

الداعي

مجلة عربية إسلامية شهرية

تصدر عن الجامعة الإسلامية دارالعلوم

ديوبند ، الهند

العدد : ٨

السنة : ٢٤

شعبان : ١٤٢١هـ

نوفمبر : ٢٠٠٠م

الاشتراكات :

ثمن النسخة : ١٥ روبية هندية

قيمة الاشتراك السنوي

في الهند ١٥٠ روبية هندية

وفي خارج الهند للأفراد : ٣٥ دولاراً

وللمؤسسات الحكومية : ٤٥ دولاراً

تحت إشراف :

فضيلة الشيخ مرغوب الرحمن

رئيس الجامعة

رئيس التحرير

نور عالم خليل الأميني

أستاذ الأدب العربي بالجامعة

المراسلات :

رئيس تحرير مجلة الداعي

دارالعلوم ، ديوبند (الهند)

الرمز البريدي ٢٤٧٥٥٤

الهاتف ، والفاكس ، والبريد الالكتروني :

Ph. : (00-91-1336) 22429 / 22332

Fax : (00-91-1336) 22768

Web: http://www.darululoom-deoband.org

E-mail : darululoom_deoband@yahoo.com

Chief Editor

AL - DAIE

Arabic Islamic Monthly

Darul - Uloom,

Deoband - 247554

(U.P.) INDIA

المحتويات

يجدون إلى الهرب سبيلا ولا إلى الاتصال بالمسلمين طريقا، وهولاء فقد فقهوا في الدين وقرأوا القرآن، والطريق لهم نَهَج واضح، وقد عرفت ما يقول اللّه فيمن كان مثلهم إذ قال: "إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا مستضعفين في الأرض، قالوا ألم تكن أرض اللّه واسعة فتهاجروا فيها"، وقد قال: "فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله "، وقال: "وجاء المعذرون من الأعراب ليئوذن لهم وقعد الذين كذبوا اللّه ورسوله "، وقال · "سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم"، فانظر إلى أسمائهم وسماتهم، وأما أمر الأطفال فإن نبي الله نوحا عليه السلام كان أعلم بالله يا نجدةُ منى ومنك ، فقال : "رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا، إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا"، فسماهم بالكفر وهم أطفال وقبل أن يولدوا، فكيف جاز ذلك في قوم نوح ولا يجوز في قومنا؟، وهولاء كمشركى العرب لا تقبل منهم جزية، وليس بيننا وبينهم إلا السيف أو الإسلام، وأما استحلال أمانات من حالفنا فإن اللّه أحلّ لنا أموالهم كما أحلّ لنا دماءهم، فدماءهم حلال طِلْق وأموالهم فيئ للمسلمين، فاتق الله يا نجدةوراجع نفسك..."

ذلك هو أسلوب تفكيرهم، غرقوا في عقيدتهم فعدوا مرتكب الكبيرة - واحيانا الصغيرة - كافرا، وافترقوا فرقا وشيعا بسبب يسير بل خرج بعضهم على بعض بأوهى الأسباب، كما خرجوا على أئمتهم للهفوة الصغيرة يرتكبونها، وتشدد كثير منهم في النظر إلى غيرهم من المسلمين فعدوهم كفارا بل عاملوهم أشد من معاملة الكفار حتى كان كثير منهم لا يرحم المرأة ولا الطفل الرضيع ولا الشيخ الفاني، أزهقوا آلاف الأرواح وقضوا باليتم والترمل والثكل على آلاف الأطفال والزوجات والأمهات، بل لم يرضوا من مخالفيهم أن يقولوا : "إن عليا رضى الله عنه أخطأ في التحكيم،وعثمان رضى الله عنه أخطأ فيما أحدث" بل لابد أن يقروا بكفرهما وكفر من ناصرهما، ولعل هذه النظرية الغالية وهذا التشدد هو أكبر ما شوه حركتهم وقضى عليها .

فالخوارج إنهم جماعة أرادوا بعث الجمهورية في الإسلام وناضلوا الأحزاب المعارضة في سبيل الحكم الجمهوري أشد النضال، بدأ نشاطهم السياسي العسكرى بمحاربتهم جند علي رضى الله عنه في نهروان، واشتد اشتداد عظيما في عهد بني أمية، لاعتقادهم أنهم جائرون غير عادلين، وأن شروط الخلافة كما أقروها لا تتوفر فيهم ، فلما ولى معاوية أمر الدولة الإسلامية كلها صرف الخوارج كثيرا من جهودهم لمحاربته واقتحام الأمصار الإسلامية، فتوالت ثوراتهم في عهده وخاصة في العراق، ولعل أول من ثار في عهد معاوية من الخوارج هو فروة بن نوفل الأشجعى، فقد هتف في الخوارج عقب تنازل الحسن رضي الله عنه لمعاوية ودخول هذا الكوفة قائلا : قد جاء الآن ما لا شك فيه، فسيروا إلى معاوية وجاهدوه، وقد أرسل إليه معاوية خيلا من أهل الشام فردها مهزومة، وحينئذ صاح معاوية في أهل الكوفة: لا أمان لكم عندى حتى تكفوا بوائقكم، فخرج أهل الكوفة يحاربون الخوارج، فقال لهم الخوارج: ويلكم ما تبغون منا؟ أليس معاوية عدونا وعدوكم؟ دعونا حتى نقاتله فإن أصبناه كنا قد كفينا عدوّكم، وإن أُصِبْنا كفيتمونا ولكن أهل الكوفة استمروا في قتالهم حتى هزموهم (١٠)، ولم تستطع هذه الهزيمة أن تثنى

كلمة المحرر

من منّا لم يَرَ ولم يقرأ عبر الصحف والتلفزيون صور البطولات الرائعة للأطفال والشباب الفلسطينيين، الذين قابلوا الحديد باللحم؛ والصواريخ والدبابات بالجسد؛ والآليات العسكرية الإسرائيلية الضخمة بالصدور المفعمة بالإيمان، والنفوس العامرة بالحبّ لله ولرسوله ﷺ.

أطفال أبرياء تلاحقهم جنود إسرائيليون، وتصب عليهم الرصاصات، وتفتح عليهم النيران فتحاً عشوائياً. وما ذنبهم إلاّ أنّهم أرادوا أن يذودوا بني الخنازير والقردة وعبدة العجل والطاغوت عن الأرض العربية الإسلامية التي تحتضن الأقصى أولى القبلتين ومسرى الرسول ﷺ.

شبابٌ متحمسون مشتعلون إيماناً، ملتهبون حماساً، ممتلؤون غيرة وإباءً سئموا الليل الطويل، والظلام الكثيف، وعطرسة العدو، وتخاذل الأصدقاء، وجبن الأقرباء، ومؤامرات الأعداء؛ فأرادوا أن يطاردوا هذا الموقف غير المرضي وهذه الحالة الكريهة وهذا الوضع المزري بأهل الإيمان وحاملي القرآن وأمة محمد عليه الصلاة والسلام، ولم يجدوا سلاحاً سوى الحجارة، ولم يجدوا ما يبذلونه لذلك سوى نفوسهم البريئة وأرواحهم الزكية؛ فضحّوا بها سخاء؛ لأنهم علموا أن شاطئ العزّ والكرامة لا يمكن الوصول إليه إلاّ بعد عبور بحور من الدماء الساخنة الفوارة، والتضحيات الجسيمة المغـــوارة.

أطفال لم يذوقوا حلو الحياة ومرها، ولكن ذاقوا حلاوة الإيمان، فقدّموا نفوسهم نذوراً في سبيل استرداد العزّ السليب، والمجد الفقيد، والكرامة المهانة، والعرض المضاع.

أطفال وشباب تصيب الرصاصات المسدّدة الغادرة المنطلقة من أفواه بنادق بني الخنازير والقردة قتلة الأنبياء، أفئدتهم، فيتمدّدون على الأرض، ليستريحوا للأبد، فتضمهم أذرع الملائكة، وتتساقط عليهم الحور العين، وتستقبلهم الأرواح المقدسة. وتعتز بهم الحياة الأبديّة، وتعانقهم جنات النعيم.

إن الصهاينة وأبناء العرب الموالين لهم لآخر الحدود، من أولي الحضارة المادّية، الذين يقيسون كلّ شيء بالمادة والمعدة، والمال والثراء، والأثاث والرياش، لن يدركوا اللذة التي يشعر بها هؤلاء الأرواح البريئة الطاهرة فورَ خروجها من أجساد هؤلاء المؤمنين المتسابقين إلى رضا الله تعالى.

مواقفُ مثيرة، ومشاهد إيمانية روحانية مؤثرة زرعها الفتية المؤمنون في فلسطين عبر الأسابيع العديدة، التي كتبوا خلالها عبارات المجد بالدم القاني واليقين الحاني، والحزن الإيماني .. عبارات لن تمّحى مهما امّحت الدنيا، وتلاشت النفوس .. عبارات لن يقرأها مؤمن إلاّ ويتجدد إيمانه، وينتعش فكره، ويتقوى يقينه، ويزداد حماسه، ويتعزز شعوره بأن الصهاينة الملاعين لن يفهموا إلاّ لغة القوة، ولن يرهبهم إلاّ صوت الجهاد، ولن يرغمهم على التنازل عن الحقوق التي اغتصبوها إلاّ الانتفاضة الشاملة، والثورة العارمة، والحرب الحاسمة الفاصلة التي تُراقُ فيها دماءُ الشباب العرب، فتتشبّع الصحارى العربية والأراضي الفلسطينية، ويغرق فيها بنو صهيون للأبد إن شاء الله. [التحرير]

الدرس الذي ينبغي أن نعيه من الانتفاضة الحالية

ربّما لم يكن بحسبان الصهيوني المتطرف أرئيل شارون زعيم حزب الليكود الصهيوني عند ما دنّس الأقصى المبارك برجليه النجستين يوم ٢٨/ سبتمبر ٢٠٠٠م في تحصين أمنيّ قوامه ثلاثة آلاف شرطيّ إسرائيلي وفّرتها له حكومة باراك اليهودي .. لم يكن بحسبانه أنّ الموقف يتفجّر بهذا الشكل الرهيب ؛ لأنّه يكون قد ظنّ أن الجيل الجديد من الفلسطينيين قد نشأ على ثقافة " التطبيع" والعلمنة والعولمة ، ومعاني الذل والاستسلام ، ومهازل اتفاقيات السلام .. ويكون قد تشبّع بالدسائس والمؤامرات ومحاولات التخذيل والتقعيس التي قام بها المخدوعون المغرورون عبر هذه السنوات العجاف التي لم تنبت سوى الخضوع والركوع والسجود للإلهة أمريكا ، وللإلهة إسرائيل .

أعتقد أنه لم يكن قد توقع أنه من خلال تدنيسه للأقصى يتعرض لخلايا الزنابير ، بل لأجمات الأشبال التي انقضّت على أوكار الصهاينة بأجسامها العارية وصدورها السافرة ، واتخذت من لحمها مخلباً ، ومن حجارتها رصاصاً، ومن إيمانها صاروخاً ، ومن بسالتها دبابة ، ومن عقيدتها الثابتة ثبوت الجبال مدفعيّة ، انهارت أمامها أسلحة

العدو وذخائرها المكثفة ، وأحدث زلزالاً عنيفا هزّ من تحت قدميه الأرض ، لا في فلسطين وحدها ، ولكن في العالم كله .

أثبتت الانتفاضة مـرّة حتى لكل أعمى وأصم وأبكم لا يرى إلا المصالح ، ولا يسمع إلاّ إياها ، ولا ينطق إلاّ بها ، أن الجماهير الفلسطينية والشعب المسلم العربي والعجمي في العالم كله ، ترفض جميع صور التطبيع ومهازل السلام التي خاضها الانهـزاميون مـن أبنـاء الأمّة ، الذين لم يثقوا بما قاله القرآن في اليهود الملعـونين ، ووثقـوا في الوقت نفسـه باليهـود ، وآمنـوا بأنهـم سيلتزمـون بالوعـود ، ويتقيـدون بالمـواثيق .

وأثبت أسلوب العدو في التعامل مع شباب وأطفال الانتفاضة أن إقامة اتفاقية معـه للأمن والسـلام ، سرابٌ خادع ، وسمّ ناقـع ، وحلـم لا يعـرف تأويـلاً ، وتيه بلا نهاية ، وجهد ليس له غاية .

أكّـدت الانتفـاضـة أن الشعب الفلسطيني – ولا سيّما شبابـه وأطفاله – لازال ولا يـزال مستعدًّا كل الاستعـداد لتقـديم التضحيـات الجسام إذا دعت الحاجـة من أجـل الحفـاظ على أرض المقـدسات ، أرض الإسـراء والمعـراج ، أرض القبلـة الأولى .

وأكّدت كذلك أن الزعماء والقادة والحكام مهما فرّطوا ولا يزالون يفرّطون في القضية ، وقدموا ولا يزالون يقدمون تنازلات تلو تنـازلات ، ويقبلون دنيات تلـو دنيـات ؛ فإنّ الشعب الفلسطيني والشعوب الإسلامية والعربيـة كلهـا لم ولن تفـرّط فيها ، وأن قرارهـا واضح حاسم ، وقولها فصل قاطع ، وعملها على مستوى رضـي الله تعالى إن شـاء الله ، وموقفها مشـرّف جليل ، وعزائمهـا لن تقهرها مؤامرات جميع الأعداء .

أكّدت الانتفاضة أن القادة والساسة

مهمـا تعاملـوا بالـتردد والتلكؤ ، وبلغة المصالح السياسيّـة الـرخيصـة ، وبمعاني " الاعتدال " و " التوازن " التي اخترعها الأعداء وزيّنوها في عقول القادة ؛ فإن الشعوب الإسلامية لا تعرف إلاّ موقفاً ثابتاً واحداً لن يتغير ولن يتبـدّل ، وهـو أن إسـرائيـل لن تؤمن بالصلح ، ولن تتعامل معــه ، ولن تصبر عليـــه ، ولـن يتخذه سلوكاً معمولاً به ؛ فلا يجوز معه الصلح ، ولا يجوز إضاعة الوقت والمال في هذه السبيل ، ولا يجوز لذلك التنازل عن كثير من الثوابت ، والتفريط بكثير من الحقوق التي توجب كلٌّ من الشريعة والغيرة والنخوة والإباء والوطنية والعربية الإصرار عليها .

أكـدت الانتفـاضــة أن الشـعب الفلسطيني إذا سـار خطوة نحو التضحية والفداء ، فإن الشعـوب الإسلاميـة مـن أقصى الأرض إلى أقصاهـا تتجاوب معه خطـوتين ، بكل مـا تملكــه مــن نفس ونفيس وغال و رخيص ، ولا يحول دونه ودونها - إن حال - إلاّ الثغور والحدود التي افترضها إنسان العصر الأخير ، وإلاّ العراقيل التي تزرعها القادة والساسة .

أكّدت الانتفاضة أن قلوب المسلمين كلهم عـرباً وعجمـاً تخفق حفقـة قلب رجل واحد ، وأن عقولهم جميعاً تفكر تفكيراً واحداً ، وأنهم في الشرق والغرب يقفون موقفاً واحداً ، موقفاً غنياً عن الاعتبـارات ، موقفاً نزيهاً عـن المصالح ، موقفاً لا تخترقه المؤامـرات والـدسائس ، موقفـاً صلبـاً لا تخـاف واشنطن ، ولا الاتّحاد الأوربيّ ، ولا التكتل الشرقي ، ولا تفتّ في عضده مخافة الآلية العسكرية الصهيونيـة الثقيلة التي صنعتها الولايات المتحـدة والغرب على حساب إضعـاف العالم العربيّ .

إنّ الإيمان الأصيـل الراسـخ الراسي

المخالـط شِغافَ القلب ، الجـاري في العروق ، الساري في وشائج اللحـم ، لا يعرف التخـاذل والانهزام ، والانكسار والاستسـلام ، والـتراجـع والتنـازل ، والضحالة والخوف ، والجمود والبرودة ؛ والخنـوع والخـضـوع ، والسجـود للأعتـاب ، إلّا السجـود لله الـواحـد القهار ، ولا يعـرف الجبن والفرار باسم المصالح ومقتضى الساعة والأمر الواقع ، إنّه لا يفهم فتوى العقل ، وإنما يؤثر قرار الحبّ ، و وصيـة الـولاء ، و وحـي الوفاء ، وإشارة الروح .

إنّ الشبـاب العـزّل في أرضنـا الإسلامية العربية فلسطين قد أعادوا إلى ذاكرتنـا فن صناعـة الموت التي حذقها الصحابـة و أتقنها المخلصون السائرون على دربهـم عـبر التأريخ الإسلامـي ، إن أطفال فلسطين أحيوا سنّة رافع وسمرة رضي الله عنهمـا ، أطفال صغـار لقّنوا قادتنـا وساستـا شرف الجندية وشرف حمل السـلاح ، علّمونا كيـف نحسّ بملمس الرصاص ، وكيف نعتنق الموت ونضمـه بين أذرعنـا باسمين باسلين ، طامحين شامخين ، فرحين مهتزين .

لقد أدرك هؤلاء الشباب والأطفال - الذين لم تؤثـر فيهم وسائل الإعلام وأساليب التعليم العلمـاني التي عملت علـى زرع الرضـا بالأمـر الـواقـع والاغتصاب الصهيوني لفلسطين - أنّ الحرّيّةَ ثمنُها غالٍ للغاية ، وأنّ طريق الإباء والاستقلال والعزّ مفـروشة بالأشواك بل بالتضحية القاسية .

الشعب الفلسطيني بـكل فئاتـه وأطرافه عبر تضحياتـه والمسلمـون في كل مـكان عـبر تظاهـراتهم ومساندتهم وتأييداتهم أثبتـوا أنهم يرفضـون حالـة الضعف والتخـاذل والهوان التي يُـرَادُ فرضها على الأمتين العربيـة والإسلامية

وعلى الشعب الفلسطيني خصوصاً .. إن الشعـوب الإسلاميـة لتـودّ من القـادة والحـكام أن يتحملـوا المسؤوليـة ، وأن يكـونـوا على مستوى إباء الضيـم ، وأن ينهضوا لأخذ الثأر من الخنازير والكلاب التي تحـاول أن تنهش عـرض الأمـــة ، وتغتصب أرضها المباركة ، وتدعها راكعة خاضعة تلعق أحذية الصهاينة التي تدوس بها كرامة الأرض التي بارك الله فيها .

يجب أن لا تـذهب الـدماء الزكية التي أُرِيْقَتْ عـبر الخمسين عامـا الماضية وفي الانتفاضـــة الحاليـــة مـن الأجســام البريئـة ، أجسـام أطفال مـا تحت ١٨ عامـاً ، هدراً .. يجب أن يأتـي الثـأر بشكل يـردّ الاعتبـار ، ويغتــاظ بــه الصهاينـة الكفـار ، ويلحسـوا الـتراب ، ويعضّوا بنـام النـدم ، ويسقطـوا في مهـاوي الـذل والهوان ، ويذوقـوا اللعن الذي سلّطه الله عليهم .

دمـاء رامـي محمـــد جمال الـدرة - ١٢ عاما - وزملاؤه الأقل سنّاً منـه أو الأكثـر منه بقليـل ينبغي أن تلاحق الظلام ، وتبـارك الصبـاح ، وتـدابر خفافيش الليلـة الـتي عـاثت الفساد ، وعكّرت الجو بنتنها المعهود .

ينبغي أن تنبت الاستقلال ، وتستأصل زرع الظلـم الخبيث ، وتقمع الظالمين ، وتنتصـر للمظلـومين ، وتـدافـع عن المسحـوقين ، وتفتـح الطـريق أمـام المجاهــدين ، الصابرين المحتسبين ، الـذين يعـرفـون لـذة المـوت في سبيل الله ، ويدركون الطعم الكريه للحياة مع الذل والعيش مع الهوان ، ويتبيّنون الفرق بين الملمس الناعم في جسم الحية والملمس الخشن في الرصاص الذي يميت الغازي من أجل رضا الله ، فيدخل جنّة ربّه راضياً مرضيًّا .

نور عالم خليل الأميني

الحضارة الإسلامية

بقلم الدكتور أحمد عبد الرحيم السايح ، القاهرة

إن الإسلام ينظر إلى الإنسان على أنه خليفة في الأرض قال تعالى في سورة البقرة : ﴿ إني جاعل في الأرض خليفة ﴾ وقد فضل الله الإنسان وكرمه . كما وضع ذلك في قوله تعالى في سورة الأحزاب : ﴿ ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً ﴾ .

وهذه الكرامة التي اختص الله بها الانسان ذات أبعاد مختلفة . فهي حماية إلهية للإنسان ، تنطوي على احترام حريته ، وعقله ، وفكره ، وإرادته .

وهذه الكرامة تعني في النهاية الحرية الحقيقة. وهي تلك الحرية الواعية المسئولة التي تدرك أهميه تحملها أمانة التكليف والمسئولية. التي أشار إليها القرآن في قوله تعالى في سورة الأحزاب: ﴿ إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان﴾.

وإذا كان الله اختص الإنسان بالتكريم، وجعله مكلفاً ومسئولاً. فإنه من ناحية أخرى قد خلق الله له هذا الكون بما فيه ليمارس فيه نشاطاته المادية والروحية على السواء.

يقول الله تعالى في سورة الجاثية : ﴿ وسخر لكم ما في السموات والأرض جميعا منه إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾. والتفكير الذي تنص عليه الآية هنا أمر جوهري لاينبغي أن يغيب عن الأذهان .

وإذا كان الله قد سخر للإنسان هذا الكون فلا يجوز له أن يقف منه موقف غير اللامبالاة. بل ينبغي عليه أن يتخذ لنفسه منه موقفاً إيجابياً . وإيجابيته تتمثل في درسه، والنظر فيه ، للاستفادة منه بما يعود على البشرية بالخير.

والاستفادة من كل هذه المسخرات في هذاالكون ، لا تكون إلا بالعلم والدراسة والفهم.

والنظر في ملكوت السموات والأرض على هذا النحو سيؤدي إلى الرقي المادي وفي الوقت نفسه ، إلى الرقي الروحي والحضاري .

والحضارة الإسلامية هي عمارة الارض، وترقية الحياة على ظهرها: إنسانياً، وخلقياً، وعلمياً، وأدبياً، وفنياً، واجتماعياً، وفق منهج الله وشريعته .

وبناء على هذا المفهوم ، فإن المجتمع الإسلامي - هو المجتمع الذي يطبق شريعة الله في كل جوانب الحياة - هو وحده المجتمع المتحضر

والمجتمع المتحضر هو الذي تكون القيم

الإنسانية ، والأحلاق الإنسانية التي تقوم عليها . هي السائدة فيه. وهذه القيم هي التي تنمي حصائص إساىية الإسان، وهي التي تميزه عن غيره من المحلوقات .

وهذه القيم إىما هي قيم إسانية دات ميزان تابت . وهي مقررة في الشريعة الإسلامية مند جاءت .

وما على الإنسان إلا أن يمضي في سائها وصيانتها في كل المجتمعات التي يقيمها حضرية كانت أم بدوية ؛ صناعية كانت أم رراعية .

فالمهم في كل الأحوال . هو الإرتقاء صعداً بالخصائص الإنسانية وحراستها من النكسة إلى الحيوانية التي تؤدي إلى التحلف .

إن الحضارة الإسلامية تقوم بهذه القيم، وبهده الأحلاق ، في كل مكان، وفي كل بيئة . أما أشكالها وصورها المادية ، فهي كثيرة ، ومتنوعة لأنها في كل بيئة تستخدم المقدرات والمعطيات الموجودة بها فعلاً ، وتنميها وفقاً لميزان الله الثابت ، وقيم الإنسان المقررة في شريعة الله.

فالإسلام حين يدخل المجتمعات البدائية ينشئ الحضارة المناسبة لهذا المجتمع. وحين يدخل المجتمعات المتقدمة صناعياً أو زراعياً أو غير ذلك. فإنه يستخدم كل ما لديها من معطيات. ويقيم حضارة هذه المجتمعات مستفيداً مما لديها .

وإذا كان هذا هو مفهوم الحضارة الإسلامية. فإن التخلف الحقيقي – في مفهوم المجتمع الإسلامي المتحضر – هو تحويل منجزات العلم الهائلة إلى قوى باغية للتدمير والتسلط ، وتسخير إمكانيات العلم غير المحدودة في نشر الفوضى والعادات غير الخلقية، بدلاً من استخدامها في إعلاء القيم الإنسانية ، وفي حدمة الإنسان دون بغي أو ظلم أو تحكم أو إبادة .

إن مهمة العلم في مفهوم المحتمع الإسلامي المتحضر ليست قهر الطبيعة أو الانتصار عليها. بل التلطف مع الطبيعة ، والجد في اكتشاف قوانين الله فيها .

وإذا كان هذا هو عمل الإسلام حيىما ينشئ حضارة . فإن هذه الحضارة التي دعا إليها الإسلام، تتمير بأنها مفتحة الحدود الفكرية ، والنفسية ، والمادية .

والنصوص الإسلامية التي تعلن هذه الحقائق كثيرة .

عن ابن مسعود قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لاحسد إلا في اثنين رجل أتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق ؛ ورجل أتاه الله الحكمة فهي يقضي بها ويعلمها) متفق عليه .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (الحكمة : الإصابة في غير النبوة) رواه البخاري. وقال صلى الله عليه وسلم : (الكلمة الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها) رواه الترمذي وابن ماجه .

وسير في ضوء هذا المنهج الإسلامي وجدنا العصور الذهبية للمسلمين تفتح صدورها لامتصاص المعارف الإنسانية المادية التي خلفتها في الأمم والشعوب حضارات سالفة .

الثقافة مرتكز الإبداع ومجال التقدم

بقلم : معالي الشيخ عبد العزيز بن عبد الله السالم
الرياض / المملكة العربية السعودية

للثقافة مفاهيم ظاهرة ومحددة وإنْ كانت متنوعة ومتعددة بحسبِ شمولية مسمّاها حيث يتسع مدلولها و معناها العام ليشمل ألواناً كثيرة من إنتاج الفكر وأنماط الحياة، وإن ظلت في المفهوم المتداول مرتبطة في الذهن بالفنون الفكرية والأدبية بنوع خاص وبسائر الفنون الاجتماعية والفنية بصفة عامة، وقد استقر في الأذهان مدلول الثقافة على أنه مصطلح لما ينطوي تحت مفهومه من فكر وآداب وعلوم، وعلى أساس هذه الرؤية ساد هذا المصطلح بصفته الثقافية المرتبطة بالإنتاج العلمي والأدبي المرتبط بالفكر، ومما لا ريب فيه أن الجانب الإنساني في الفرد أو الجماعة ينمو ويبدع بقدر ما يستقبله من روافد الثقافة التي تعددت مصادرها وتنوعت روافدها، وفي هذا العصر بالذات تعددت المناحي الثقافية والتوجهات الفكرية وفق البيئات والأجناس وهي في ذاتها عالمية المنهج والتصور والممارسة.

ولن أتوقف عند التعريف المعجمي لمصطلح الثقافة، فقد امتدت في الأعماق الإنسانية فشملت الصورة الفكرية والتصورات الأدبية على اتساعها إلى جانب النواحي الاجتماعية والتطورات المعاصرة، فهي مصطلح له عمومية الامتداد وسعة الشمول بحيث يعطي مساحة رحبة من العطاءات الواسعة على مستويات عدّة ومن جوانب متعددة فكرية واجتماعية وتقنية. كما يبدو ذلك من مدلول الثقافة بصفة عامة في هذا العصر خاصة .

☆ ☆ ☆

أما فيما سلف من عصور فقد كان المصطلح الثقافي مرتبطاً في الأذهان والتصورات بالعلوم النظرية والآداب العامة التي تنقسم في تلك العصور إلى نثر وشعر، والثقافة بذلك المفهوم تعبّر عن مشاعر العلماء والأدباء والشعراء، وقد كان أسلافنا العرب في بدايات حياتهم في العهود التي سبقت الإسلام يعتمدون في تسجيل محاوراتهم وأشعارهم على الحفظ والرواية، فليست لأشعارهم دواوين مكتوبة ولا لنثرهم سجلات محفوظة، فقد كان منهم شعراء بالسليقة وخطباء بالفطرة، وقد سجّل لنا تاريخهم الناصع في مجال البيان مواقف اعتزاز بأنفسهم مع ملوك الفرس وأباطرة الروم كانت مثار إعجاب لدى أمم متحضّرة في تلك العهود العابرة، وبما جبلوا عليه من خصال كريمة وأخلاق متسامية كان لهم حضورهم المرموق لدى الآخرين، وكانت معطيات ثقافتهم محصورة في نطاق الشعر والنثر لأن السمة هي أبرز خصائصهم الثقافية، ولأنهم كانوا يعتمدون على الحافظة وحدها فقد ضاع كثير من إنتاجهم وإنْ كان للرواية دور مهم في تسجيل ما بقي من آثارهم ومآثرهم .. وواقع حالهم كما صورهم الكاتب الكبير مصطفى صادق الرافعي في العبارات التالية :

" كان العرب أمة أميّة لا يقرأون إلاّ ما تخطه

الطبيعـة . ولا يكتبـون إلاّ ما يلقـون مـن معانيها فياحذون عنها بالحس ويكتبون باللسان في لوح الحافظة، فكان كل عربي على مقدار وعيه وحفظه : كتاباً أو جزءاً من كتاب، وكانت كل قبيلة بذلك كأنها سجل زمني في إحصاء الأخبار والآثار" (١)

☆ ☆ ☆

وللثقافة أهمية كبرى في حياة الأمم وارتقاء الشعوب، فهي مرتكز الإبداع ومجال التقدم ومطلق التصور وأساس النهوض، وأي أمة لاتهتم بفكرها ولا تنمي ثقافتها تعتبر متخلّفة في الوعي الفكري ومتأخرة في النمو الحضاري، ومنذ عهود الأمم السابقة كان يسودها التنافس على العلوم وبناء الحضارات وإقامة صروح العلم والثقافة، وبالتالي يمتد نفوذها لسيادة الشعوب التي لم تبلغ درجة النضج الفكري والمدّ الثقافي واستيعاب العلوم والإفادة من المعرفة.. وعلى هذا الأساس كانت الحضارات الأممية تُشرق في بلدان بعد أن تغرب شمسها في بلدان أخرى، ومن خلال مسيرات الشعوب وتطورها ونهوضها أو كبوتها: يجري تداول الحضارات بين الشعوب والأقاليم بحسب درجات الوعي وانتشار الثقافة ومدى احتضـان المعرفـة وتفعيـل العلـوم بالاستيعاب والتطبيق .

☆ ☆ ☆

ونحن نعايش عصراً يُطلَق عليه عصر ثورة المعلومات وتقدم المعرفة مما يستدعي حضور الوعي الذي ينتج عنه الابتكار وتتكشف عنه المخترعات: ذلك أن الثقافة محور الفكر الذي يمثل بدوره أهم مزايا الإنسان وأسمى خصائصه مما يسمو به فوق مستوى المخلوقات الأخرى، ولاشك أن أرقى مجالات الإبداع تتجسد في المضامين الفكرية والفنون الأدبية بحكم أنها بمثابة الغذاء الروحي والزاد الفكري للإنسان فهي تسمو بعاطفته وترتقي بروحه ليحلّق في آفاق عليا من سمو العاطفة ونبل المشاعر، وماذا يكون الإنسان إذا تجرّدّ من العاطفة والشعور ؟!.

☆ ☆ ☆

والثقافة تمتزج في مضمونها بالفكر وتحمل رسالته كما أن الفكر يقوم على مرتكزات مهمة فيؤدي دوره من خلال مقوّمات لابد من توافرها واجتماعها في شخص المفكر المثقف الذي تتحدد أهم منطلقاته في الموهبة الذاتية والاستعداد الفطري والتجربة الشخصية وقد تساندها عوامل أخرى جانبية لكن العوامل السالفة تظل أهم الدعائم في هذا المجال وعليها المعوّل في قيمة العطاء ومكانة الإنتاج بصفتهاعناصر فاعلة وعوامل أساسية تشكل بفاعليتها أدباً راقياً وفناً عالياً وإنتاجاً علمياً مرموقاً، وكما تتنوع المواهب وتتعدد المدركات وتتمايز الملكات كذلك يكون ارتقاء العطاء أو انحداره وتألقه في سماء الفنون الأدبية الجميلة أو عدم بلوغه المستوى الذي يدفع إلى التفوق و في دروب التقدم وميادين البروز.

☆ ☆ ☆

وارتكاز الإبداع الأدبي يكمن في الكلمة المجنّحة والعبارة المؤدية والأسلوب الجذّاب، والكلمة في ذاتها هي الوعاء الذي يحمل الفكرة ويرسم الصورة، فإذا كان هذا الوعاء شفّافاً أنيقاً مؤدياً للمعنى المراد وللتوجّه المقصود: فإن ذلك يحقق للكلام - المكتوب أو المسموع - شفافية منظورة ومزيّة محسوسة ، فالألفاظ ماهي إلاّ أوعية لنقل المعاني إلى القارئ والمستمع.

وللكلمة فاعليتها إذا استطاعت مخاطبة الوجدان بما تحويـه من رؤيـة صادقة تشفّ عن أبعاد إنسانيـة عميقـة المغزى، سامية المضمـون، وما توحي بـه في مدار الحركة الأدبية وفي موازين الثقافة العامة، فالكلمة الهادفة هي

الخوارج عن عزمهم وتثبط همتهم في الدفاع عما يعتقدون أنه الحق فسرعان ما قام فريق آخر بزعامة المستورد بن علفة وخرجوا، فأرسل إليه وإلى الكوفة المغيرة بن شعبة جيشا كثيفا من الشيعة بقيادة معقل بن قيس، واستطاع هذا الجيش أن ينتصر عليهم بعد معارك طويلة، وهكذا ضرب المغيرة رضى الله عنه خصمى معاوية رضى الله عنه بعضهما ببعض وتمكن من إضعاف الحزبين. ثم ولى معاوية زياد بن أبيه على البصرة سنة ٤٥هـ وأضاف إليه الكوفة سنة ٥١هـ، فأخذهم زياد بما في جهده من قسوة وصرامة، فقلم أظفارهم وأضعف شوكتهم، فلم تقم لهم قائمة مدة ولايته على العراق، حتى ولى البصرة عبيد الله بن زياد فظنه الخوارج سهلا لينا وتحركوا من جديد، فأخذهم عبيد الله بشدة وصرامة لا تقلان عن شدة أبيه وصرامته، وقتل منهم عددا كبيرا، وكان ممن قتلهم عروة بن أدية، أحد زعمائهم فغضب لقتله أخوه أبوبلال مرداس بن أدية وخرج إلى الأهواز في أربعين رجلا من الخوارج، فأرسل إليهم ابن زياد جيشا بقيادة اسلم بن ذرعة في ألفين من الجند، وانتصر ابوبلال على هذا الجيش الأموى وهزمهم، ولم يصبر ابن زياد على هذه الهزيمة، وبعث إليهم عبادبن علقمة في أربعة آلاف، واقتتل الفريقان حتى صار وقت الصلاة، فطلب الخوارج هدنة ليصلوا، فقال لهم جند ابن زياد: لكم ذلك فرمى الخوارج أسلحتهم وبدأوا الصلاة، وعندئذ هجم عليهم جند ابن زياد فقتلوهم عن آخرهم، ثم قتل الخوارج قائد الجيش عباد بن علقمة غيلة، فغضب بن زياد غضبا شديدا لقتل الخوارج قائده، وأخذ بالتنكيل بهم تنكيلا مريعا، حتى قتل منهم خلقا كثيرا، واضطر الخوارج إلى مغادرة البصرة فاتجهوا إلى مكة استجابة لزعيمهم نافع بن الأزرق، إذ قال لهم (١١): "إن الله قد أنزل عليكم الكتاب، وفرض عليكم الجهاد، واحتج عليكم، وقد جرد أهل الظلم فيكم السيوف، فاخرجوا بنا إلى هذا الذي قد ثار بمكة فإن كان على رأينا جاهدنا معه وإن لم يكن على رأينا دافعناه عن البيت"، وهناك انضموا إلى عبد الله بن الزبير وساعدوه ضد أهل الشام؛ ولما مات يزيد بن معاوية ظهر الخلاف بين موقف الخوارج وبين موقف بن الزبير وأصبح لديهم صديق الأمس عدو اليوم، فارتحلوا عن مكة متفرقين واتسعت حركتهم اتساعا خطيرا في إبان الاضطراب السياسي الشامل الذي نشأ عقب وفاة يزيد بن معاوية. قصد فريق منهم البصرة في قيادة نافع بن الأزرق، وأخرجوا من السجن إخوانهم الذين حبسهم عبيد الله بن زياد، وساعدهم على ذلك خروج اهل البصرة عليه وتفاقم الحركة الزبيرية، ولقى نافع نجاحا كثيرا بسبب اضطراب الدولة الأموية آنذاك، فدانت له الأهواز، واشتدت شوكته وكثرت جموعه، فقرر مهاجمة البصرة والاستيلاء عليها، وكان وقتئذ على ولاية البصرة عبد الله بن الحرث من قبل بن الزبير، فارتاع أهل البصرة وخرجوا في قيادة مسلم واقتتل الفريقان قتالا شديدا بدولاب، قتل فيه القائدان مسلم ونافع، وقتل بعدهما الربيع بن عمر أمير الجيش الزبيرى وعبد الله بن الماحوز الأمير الخارجي وانهزم أهل البصرة، ثم خرجوا في قيادة عثمان بن عبيدة فانهزموا أمام الأزراقة مرة ثانية، يقول عمران بن حطان مسجلا هذه الموقعة الهامة في تاريخ الأزراقة الحربى:(١٢)

فلم أر يوما كان أكثر مقعصا ... يمج دما من فائظ وكليم
وضاربة خدا كريما على فتى ... أعز نجيب الأمهات كريم
أصيب بدولاب ولم يك موطنا ... له أرض دولاب وديرحميم

المفتاح الرئيسي الذي يعتبر به العالم والمفكر والكاتب والذي من خلاله تُفتح الأبواب المعلقة لكي يُتاح للمثقف والأديب استقبال أضواء العلم وإشعاع الثقافة في مسار واضح من الفكر المستنير، فالكلمة هي الجسر الذي يربط بين العلوم والمعرفة وبين الفنون المتصلة بالمحاور الفكرية والمدارات الثقافية التي يزداد تعدادها مع مرور الزمان واتساع المدّ الثقافي، وهذا التعدد يُعتبر لوناً من ملامح التقدم وسماته الواضحة على الصعيد الثقافي والاجتماعي

ومما لا ريب فيه أنّ إجادة التصوير في التعبير كتابة أو حديثاً - تعود إلى موهبة الكاتب أو الشاعر أو المثقف بصورة عامة ، فهي تتوقف على يقظة إحساسه ومدى إدراكه للمعاني وقدرته على تطويع الألفاظ الملائمة لها. فالكاتب المثقف أو الشاعر المطبوع يختلف عن المجرّد من الموهبة، فالصياغة الأدبية تختلف من شخص إلى آخر، والذي يُحسن النظم غير الذي يجيد الشعر. والفرق بين الموهوب وغير الموهوب أن الأول يستطيع أن يُضفي على الموضوع الذي يتناوله صياغة بيانية تصقله وتخرج به عن دائرة الكلام العادي إلى كلام يُحلّق في آفاق المعاني ويستولي على الأحاسيس في حين يظل الآخر رهن مكانه لا يتجاوز نطاق المعنى المحدود ولا يتخطّى مظاهر الصياغة الشكلية المألوفة التي لا تؤثر في الوجدان ولا تتعمّق في المشاعر

☆ ☆ ☆

والمفكر الذي يعمل على تجسيد الفكرة فيمنحها الحياة لتبدو في صورة سويّة كأنما هي حيّة مجسّمة . يختلف عن الذي يدور في محيط الفاظ جوفاء فيحكي واقعة حدثت بمشاعر فاترة وعَرْض حيادي. أو الناظم الذي ينشئ قصيدة شعرية مهما كثرت أبياتها فإنها أشبه بمن يقوم بنظم قواعد علمية أو مسائل نحوية أو متون فقهية بقصد تقريبها للطالب في التحصيل العلمي.

وهي قد تكون مفيدة في مجالها لكنها لا تخاطب وجدان القارئ ولا تلتقي مع أحاسيسه ولا تلامس أوتار قلبه، فهي كلمات نثرية في نظم عروضي إنْ استوعبت إفادة المتلقي فإنها لا تستطيع استثمار عواطفه الإنسانية ونوازعه الوجدانية .

أما الشاعر الأصيل فإنه يُضفي على الصورة التي يرسمها في شعره لوناً من الخيال والشفافية ليخرجها من دائرة النظم البارد إلى آفاق الشعر المتوقد .

والمستوى الأدبي والثقافي الذي نتطلع نحوه ونتمنّى العمل على تحقيقه بين أدبائنا ومثقفينا : يتطلب عدم التقوقع في زوايا ضيّقة من عالم الفكر والمعرفة، وإنما سعي - كما هو المأمول - أن يمتد في ساحات واسعة، ولكل جيل من الأجيال مدى يمتد بحسب قابلية كل فرد واستعداده للتلقي والاستجابة وتكيّفه مع العطاء الفكري الذي يتزود به، وتوجيه العقل نحو الواقعية وترويضه على المنهجية. مما يحفز الفرد لأن يستوعب رياح التغيير التي تبدو في الأجواء من حوله، وأن يتعمّق في نظرته إلى الأحداث التي تمر بمجتمعه، فيسجل موقفه منها بصدق ويصورها في بيان بليغ، فلا ينداح في أمواج الأهواء، ولا تتأثر نظرته إلى الأشياء بظلال لا تبدو من خلالها الصورة الذهنية واضحة لا غبش فيها بحيث يتحول في ظلها إلى أحكام غير صائبة أو الانحراف مع هوى النفس على حساب رؤية العقل المدرك، وإنما يلزمه الاستقرار على حالة ذهنية من التوازن الذي تحكمه معادلة واقعية فينطلق من رؤية واعية لأهمية الثقافة في شتّى صورها وأبعادها ومدى أثرها وتأثيرها في حياة المجتمعات البشرية .

☆ ☆ ☆

الهوامش .

(١) تاريخ آداب العرب ٢٧١ ج ١

غاية الجهاد في الإسلام

بقلم : الدكتور عثمان جمعة ضميرية

القاعدة العامة في غاية الجهاد

إن القاعدة الأساسية التي ينبغي ألا تغيب عن أذهاننا أبداً هي أن الإسلام هو قاعدة الحياة البشرية، وهو ضرورة إنسانية فطرية، فإن الكون كلّه قد أسلم لبارئه، ولا بد للإنسان - حتى يكون متناسقاً مع نفسه ومع الكون من حوله - أن يخضع ويسلم لله سبحانه وتعالى ، وإلا عاش في حال من الاضطراب والتمزق والقلق . . وهكذا يصبح الإسلام منهجاً عاماً للبشرية في الأرض كلها ، ختم الله تعالى به جميع الدعوات وجعله مهيمناً عليها، وناسخاً لها، فلا يقبل من الناس ديناً غيره، ولا منهجاً سواه. ومن حق البشرية إذن أن تستمع لهذا المنهج وأن تتبيَّنه دون أن يقف أحد في طريقها يصدُّها عنه ويثير الشبهات حوله ، ولا بد أن تُتْرك البشرية بعدها في حرية تامة لاعتناقه، إذا أرادته، دون إكراه، وعندئذ يجب ألا تفتن عنه ولا تضطهد من أجله، وإن لم تفعل فهي تخضع لنظامه العام وتسالمه بعقد الذمة وأداء الجزية . وينشأ عن هذا أن واجب الجماعة المسلمة هو تحطيم كل قوة تعترض طريق الدعوة وإبلاغها للناس في حرية، أو تهدد حرية اعتناق العقيدة وتفتن الناس عنها ، ليكون الدين كله لله ، بمعنى استعلاء الدين ورفع كلمة الله وتبليغها ، لا بمعنى إكراه أحد على الدين إذ ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ .

ومن هنا حدَّد الإسلام غاية الجهاد بأن يكون (في سبيل الله) (١) لتكون كلمة الله هي العليا ، دون أن يشوب هذا المقصد غاية أخرى من حب الغلبة أو الشهرة أو الظهور أو التسلط ... أو ... أو ...

يقول الأستاذ أبو الأعلى المودودي : (لكن الجهاد ليس بجهاد لا غاية له، وإنما هو الجهاد في سبيل الله وقد لزمه هذا الشرط لا ينفك عنه أبداً ، وذلك أيضاً من الكلمات التي اصطلح عليها الإسلام لتبيين فكرته وإيضاح تعاليمه . وقد انخدع كثير من الناس بمدلوله اللغوي الظاهر، وحسبوا أن إخضاع الناس لعقيدة الإسلام وإكراههم على قبولها هو (الجهاد في سبيل الله)، وذلك أن ضيق صدورهم وعدم اتساع مجال تفكيرهم يعوقهم أن يَسْمُوا بأنفسهم فوق ذلك ويحلّقوا في سماء أوسع من سمائهم . لكن الحق أن (سبيل الله) في المصطلح الإسلامي أرحب وأوسع بكثير مما يتصورون ، وأسمى غايــة وأبعد مراماً مما يظنون ويزعمون.

فالذي يتطلبه الإسلام أنه إذا قام رجل أو جماعة من المسلمين تبذل جهودها وتستنفد ما عليها للقضاء على النظم البالية الباطلة وتكوين نظام جديد حسب الفكرة الإسلامية فعليها أن تكون مجردة عن كل غرض، مبرّأة من كل هوى أو نزعة شخصية ، لا تقصد من وراء جهودها وما تبذل في سبيل غايتها من النفوس والنفائس إلا تأسيس نظام عادل ، يقوم بالقسط والحق بين الناس، ولا تبتغي بها بدلاً في هذه الحياة الفانية، ولا يكون من همِّ الإنسان - خلال الكفاح المستمر والجهاد المتواصل لإعلاء كلمة الله - أن ينال جاهاً أو شرفاً أو سمعة أو حسن أحدوثة، ولا يخطرنَّ بباله أثناء هذه الجهود البالغة والمساعي العالية أن يسمو بنفسه وعشيرته ويستبدَّ بزمام الأمر ويتبوأ منصب الطواغيت الفجرة ، بعدما يعزل غيره من الجبابرة والمستكبرين عن مناصبهم)(٢)

وهذا البيان لغاية الجهاد وأنه في سبيل الله هو ما أوضحه القرآن الكريم والسنة النبوية أوضح بيان، قال

الله تعالى : ﴿ الّذِينَ آمَنُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالّذِين كَفَرُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطّاغُوتِ ﴾ (٣)

وقال تعالى : ﴿ وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ الله الّذِين يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إنّ الله لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِين﴾(٤)

وقال تعالى : ﴿ يَاأَيّهَا الّذِينَ آمَنُواْ هلْ أدُلّكُمْ على تِجَارةٍ تنجيكُم مّنْ عذابٍ أليم . تؤْمنون بالله ورسُوله وتجاهدُون فِي سَبِيل اللهِ بأمْوَالِكُمْ وأنفسكُمْ ﴾ (٥)

وفي الحديث الشريف عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : (سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حَمِيَّة ويقاتل رياء، أيُّ ذلك في سبيل الله؟ قال : من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، فهو في سبيل الله) (٦).

وعن أبي هريرة أن رجلاً قال (يا رسول الله رجل يريد الجهاد في سبيل الله وهو يبتغي عرضاً من الدنيا ؟ فقال . لا أجر له ، فأعادها ثلاثاً ، كل ذلك يقول لا أجر له) (٧).

أسباب إعلان الجهاد

ونريد غاية الجهاد إيضاحاً ببيان الأسباب التي يجاهد المسلم من أجلها وهي كلها مما ينضوي تحت شعار وكلمة (في سبيل الله) .

١ – نشر الدعوة الإسلامية : لأن الإسلام دعوة عامة عالمية ، وهو كلمة الله الأخيرة للبشرية كلها فيجب إبلاغ هذه الكلمة للناس جميعاً ليختاروا عن قناعة وإرادة هذه الدعوة فينضمُّوا تحت لوائها، أو يخضعوا لها محتفظين بعقيدتهم، وهنا تقف كل قوى البغي والشر والعدوان والباطل أمام حملة الرسالة الإلهية، كما تضع أمامها العقبات والعراقيل المادية والمعنوية، وتضغط على أصحاب الدعوة وتمنعهم منها – كما حدث فعلاً في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم – وعندئذ يجب الجهاد لتأمين حرية نشر الدعوة والتخلية بينها وبين من يريد اعتناقها ليكون الدين كله لله : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتّى لاَ تَكُون فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدّينُ للهِ فَإنِ انْتَهَواْ فَلاَ عُدْوَانَ إلاّ عَلَى الظّالِمِينَ ﴾ (٨).

﴿يسْألُونَكَ عَنِ الشّهْرِ الْحرامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وصدٌّ عن سبيلِ اللهِ وَكُفْرٌ بهِ والْمَسْجدِ الْحَرَامِ وإخْراجُ أهْلِهِ مِنْهُ أكْبَرُ عِندَ اللهِ والْفِتْنَةُ أكْبَرُ مِن الْقَتْلِ﴾ (٩).

يقول العلامــة الكاساني : (إن القتال ما فرض لعينه ، بل للدعوة إلى الإسلام . والدعوة دعوتان دعوة بالبنان وهي القتال ، ودعــوه بالبيان وهــو اللسان ، وذلك بالتبليغ) (١٠)

وهــذا البــاعث أو السبب هــو أول الأسباب وأهمها، وقــد جاءت الأحاديث النبويــة توضح ذلك وتفسِّر الآياتِ الكريمة السابقــة ، ومن ذلك ما رواه الإمام محمد بن الحسن – رحمه الله – عن سليمان بن بريدة عن أبيه قال . كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أمَّر أميراً على جيش أو سرية أوصاه وقال : (إذا لقيت عدوّك فادعُهُمْ إلى الإسلام فإن أجابوك فاقبل منهم، فإن أبوا فسَلْهم الجزية، فإن أبوا فاستعن بالله وقاتلهم) (١١)

وهذا الحديث واضح الدلالة في أن الجهاد مع العدو عندما نلقاه كان له هدف هو الدعوه إلى الإسلام أولاً فإنْ قبل ذلك وإلا فالجزية ، فإن أبى فالقتال

ويؤيد ذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه (أمرت أن أُقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة . فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقّ الإسلام وحسابهم على الله) (١٢).

وقد تقدم أن الجهاد فرض كفاية إذا لم يهاجم الأعداء ديار المسلمين أو يعتدوا عليهم ، وإذا لم يكن الجهاد في هذه الحال رداً للعدوان ودفعاً له، فلا بدّ أن يكون له غاية وهدف. وما ذاك إلا ما أشارت إليه الآيات والأحاديث وهو منع فتنة الكفر والشرك ، ودعوة الناس إلى الإسلام. وهذا يقتضي أيضاً أن تصبح ديارهم جزءاً من دار الإسلام صلحاً أو عنوة (١٣).

وغني عن البيان هنا أن هذا لا يعني أبداً إكراه الناس على الدين والعقيدة ، فإن الجهاد ليس لإكراه الناس على الدخول في الإسلام قهراً. كما سلف ، ولا

يحور أبداً أن يقع الخلط بين هذا وذاك ، فيسعي التفرقة بين الدخول في الدين الإسلامي عقيدةً وإيماناً ، وبين الخضوع للإسلام بالتزام نظامه القانوني ؛ فمن الجليّ أنه لا يقبل من مواطنٍ عدمُ الخضوع للنظام القانوني الذي يعيش في كنفه ، وإكراهُه على هذا الخضوع ليس إكراهاً في الدين عقيدةً وإيماناً ؛ إذ أن القرآن الكريم يقرر قاعدة أساسية في هذا بقوله تعالى: ﴿ لا إِكْـرَاه فِي الـدِّين قـد تَّبيّن الـرّشْـدُ من الْغيِّ﴾(١٤) . وهي تنفي حس الإكراه وتستبعد وقوعه. وقد تقدم أن الله سبحانه وتعالى جعل الحكمة والموعظة الحسنة سبيلاً للدعوة، وأن مهمه الرسول عليه الصلاة والسلام هي البلاغ والبيان والإقناع

ولو كان الإكراه جائزاً ، أو لو كان الجهاد لإكراه الناس على الدخول في الدين لما كانت الحرية مشروعة إذا لم يقبل الكفار الإسلام . وفي هذا يقول الإمام محمد بن الحسن : (إن الكفر وإن كان من أعظم الجنايات ، فهو بين العبد وبين ربه، فأمّا ما عُجِّل في الدنيا فهو مشروع لمنفعة تعود على العباد ...) (١٥)

٢- الدفاع لردِّ أي اعتداء وقع على المسلمين ، أو يتوقع أن يقع عليهم ، في ديارهم أو نفوسهم أو أعراضهم أو أموالهم . وذلك أن الإسلام وإن كان يدعو إلى السِّلم ويميل إليه إذا رغب فيه غير المسلمين بموادعة أو غيرها من الصلح ، فإنه في الوقت نفسه لا يقف موقفاً سلبياً أمام التحديات التي تجابه المسلمين، أو أمام الاعتداءات التي تقع على الضروريات الخمس للإنسان ، وهي الدين والنفس والعرض والعقل والمال. ولا يدعو الإسلام إلى السِّلم الرخيصة فيقف مكتوف اليدين أمام عدوان الآخرين. بل إنه ليدعو أتباعه هنا إلى الجهاد وردِّ العدوان بكل وسيلة مشروعة ، ويجعل من قُتِل دون دينه أو نفسه أو ماله أو عرضه شهيداً له أجر الشهداء.

ولذلك يجب الدفاع عن البلاد والأعراض والأموال، واستنقاذ ما يستولي عليه الأعداء. وفي هذا يقول الإمام محمد بن الحسن :

" إذا دخل المشركون دار الإسلام فأخذوا الأموال والذراري والنساء ، ثمَّ علم بهم جماعة المسلمين، ولهم عليهم قوة، فالواجب عليهم أن يتبعوهم ما داموا في دار الإسلام، لا يسَعُهم إلا ذلك ، لأنهم إنما يتمكنون من المقام في دار الإسلام بالتناصر، وفي ترك التناصر ظهور العدوِّ عليهم. فلا يحلُّ لهم ذلك والذين وقع الظهور عليهم صاروا مظلومين ، ويفترض على المسلمين دفع الظلم عن المظلوم، والأخذ على يدي الظالم. (١٦)

وهذه المسألة وقع الإجماع عليها عند العلماء، فقد تقدم أن الجهاد يكون فرض عين على كل قادر من المسلمين عند هجوم الأعداء وماعتتهم لديار المسلمين . - في مقال سابق في هذه الزاوية -

هذا ، ولا تقتصر مشروعية الجهاد هنا دفعاً عن المسلمين ورداً للعدوان الواقع عليهم. بل إن الجهاد أيضاً يكون لردِّ العدوان الذي يقع من الحربيين على أهل ذمة المسلمين والمستأمنين والمعاهدين في دار الإسلام واستنقاذهم من الظلم أو الأسر .

وقد تناول الإمام محمد بن الحسن هذه المسألة بالبحث وعقد لها باباً مستقلاً في (السِّير الكبير) هو (باب ما يجب من النصرة للمستأمنين وأهل الذمة) قال فيه :

(الأصل أنه يجب على إمام المسلمين أن ينصر المستأمنين ما داموا في دارنا، وأن ينصفهم ممن يظلمهم ، كما يجب عليه ذلك في حقِّ أهل الذمة ، لأنهم تحت ولايته ما داموا في دار الإسلام، فكان حكمهم كحكم أهل الذمة) (١٧)

وهذا الدفاع عن أهل الذمة يبيح للمسلمين أن ينقضوا العهد مع الحربيين الذين ظهروا على أهـل ذمتنا للدفاع عنهم كالدفاع عن المسلمين (١٨).

وقال في شأن المعاهدين : (لو أن قوماً من أهل الحرب لهم منعة دخلوا دارنا بأمان فشرطوا علينا أن نمنعهم مما نمنع منه المسلمين وأهلَ الذمة فعلينا الوفاء لهم بهذا الشرط، حتى إذا أغار عليهم أهل الحرب فعلينا

القيام بدفع الظلم عنهم، لقوله صلى الله عليه وسلم: (المؤمنون عند شروطهم)(١٩). وهذا لأن الالتزام بسبب الأمان التزام بالشرط)(٢٠).

وبمثل هذا قال الإمام الشافعي والحنابلة حيث جعلوا للذميين والمستأمنين حق الدفاع عنهم والقتال دون ذلك (٢١).

وقد تواردت الآيات القرآنية الكريمة في بيان هذا السبب من أسباب القتال كقوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (٢٢)

وقوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (٢٣)

وقوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ. الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ (٢٤)

وتشير الآيات الكريمة إلى شرطين في الدفاع الشرعي، (أحدهما): شرط اللزوم، أي لزوم فعل الدفاع لردّ العدوان. فقوله تعالى: ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾ يعني أن قتالنا لهم كان بسبب قتالهم لنا، والآية الثانية ﴿ فَإِنِ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ تعني ألا نقوم بقتال أو نستمر في قتال ما دام العدو قد كفَّ أيديه عنا. وهذا يتطابق مع شرط اللزوم الذي يتحدث عنه شراح القانون المحْدَثون.

(والشرط الثاني): هو شرط التناسب. بمعنى أن يكون ردُّ العدوان متناسباً مع الفعل الذي مورس به العدوان، ولا يجوز التزيُّد في هذا الصدد، وهو ما تشير إليه الآية الكريمة بوضوح: ﴿ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ (٢٥).

٣- ومن أسباب الجهاد والقتال أيضاً: حماية دار الإسلام وبلاد المسلمين، وإنقاذ المستضعفين من المسلمين في أي دولة كانوا، وذلك لأن الإسلام يعتبر بلاد المسلمين كلها داراً واحدة وبلداً واحداً يجب حمايته والجهاد دونه إن كان دار عدل بيد المسلمين، ويجب الجهاد لاسترداده إن كان مسلوباً.

ومما يدل على أن حماية دار الإسلام سبب لإعلان الجهاد ما رواه الإمام محمد بن الحسن عن عبد الله بن أُنيس: أن النبي صلى الله عليه وسلم بعثه سَرِيةً وحده إلى خالد بن سفيان بن نُبَيْح الهُذَليّ لما بلغه أنه يجمع الجيش لقتال النبي صلى الله عليه وسلم وغزو المسلمين قال رضي الله عنه: دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: (إنه قد بلغني أن خالد بن سفيان بن نُبَيْح يجمع لي الناس ليغزوني وهو بعُرَنة (٢٦)، فأته فاقتله) فقلت. يا رسول الله إني لا أعرفه. فقال: (إنك إذا رأيته هبْته)، وكنت لا أهاب الرجال، فخرجت متوشحاً سيفي حتى وقعت عليه وهو بعُرَنة مع ظعن يرتاد لهنّ منزلاً، فلما رأيته وجدت ما وصف لي رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، فأقبلت نحوه، فلما انتهيت إليه قال: من الرجلُ؟ قلت: رجل من العرب سمع بك وبجمعك لهذا الرجل فجاءك لهذا. قال: أجل، أنا في ذلك

قال: فمشيت معه شيئاً حتى إذا أمكنني حملتُ عليه السيف حتى قتلته، ثمّ خرجت فكنت أسير الليل وأتوارى النهار حتى جئت المدينة وقدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فرآني فقال: (أفلح الوجهُ) - وهذا لفظ يتكلم به العرب خطاباً لمن نال المراد وفاز بالنُصرة- فقلت. وجهك الكريم يا رسول الله. فأخبرته خبري، فدفع إليَّ عصاً وقال: (تخصَّر بهذه يا ابن أُنيس فإن المتخصّرين في الجنة قليل)(٢٧).

وكذلك يعتبر الإسلام المسلمين جميعاً أمة واحدة يجب حمايتهم والدفاع عنهم لاستنقاذ المستضعفين منهم في أي بلد كانوا، فقد يقع عليهم ظلم ويحيق بهم حَيْف في دولة جائرة. وعندئذ يجب على المسلمين أن يهبُّوا لنجدتهم والدفاع عنهم، ولا يجوز أنْ يتركوهم ليقاسوا أنواعاً من الضيم أو الذل والهوان والضياع يبتز له بهم أعداء الإسلام.

ويدل علي هذا : قوله تعالى : ﴿وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالْمُسْتَضْعَفِيْنَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَآءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَّنَا مِن لَّدُنْكَ نَصِيراً﴾ (٢٨).

ويدل عليــه أيضاً : مناصرة النبي صلى الله عليــه وسلم لحلفائه من خزاعة ، لما استنصروا بالرسول صلى الله عليه وسلم على قريش وبني بكر .

ولا يمنع من القيام بهذه النصرة والحماية والدفاع إلا وجود ميثاق بين المسلمين وبين الدولة التي ينتمي إليها هؤلاء المسلمون المستضعفون ، فقد قال الله تعالى: (وإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُم النَّصْرُ إلاَّ على قومٍ بينَكُمْ وبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ)(٢٩). ولذلك تقدم فيما سبق أنه يجب على المسلمين نبذ الميثاق أو المعاهدة من أجل استنقاذ المسلمين.

٤- المحافظة على العهود والمواثيق : فقد أمر الله المسلمين بالوفاء بالعهود والمواثيق لما لها من حرمة ، فلا يجوز التلاعب بها ولا نقضها كما لا يجوز أن تتخذ وسيلة لغدر أو خيانة ... لكن كثيرين ممن عاهدهم الرسول الكريم وعاهدهم المسلمون بدرت منهم مظاهر نقض المواثيق ونكثوا عهودهم وخرجوا عن مقتضياتها، فوجب جهادهم . وقد تقدم ما أشار إليه الإمام محمد بن الحسن في قتال النبي ليهود لما نقضوا الموادعة معه، وكذلك فعل مع كفار قريش لما نقضوا صلح الحديبية .

ولذلك يجب قتال كل من يفعل ذلك . قال الله تعالى : (أَلاَ تُقَاتِلُونَ قوماً نَّكَثُواْ أَيْمَانَهُمْ وَهَمّواْ بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ...) (٣٠).

٥- درء الفتنة ومنع البغي في الداخل والخارج : يشرع الجهاد أيضاً لمنع الفتن التي قد تحدث داخل المجتمع المسلم أو خارجه فتهدد أمنه وكيانه ونظامه الإسلامي ، ومن هنـا وجدنـا الإسلام يجاهدو يحارب لدفع هذه الفتن التي قد تحدث ، وهي ثلاثة فتن : الردة، والبغي ، وقطع الطريق (الحرابة) (٣١).

فإذا ارتدَّ قوم عن الإسلام - سواء ولدوا على فطرة الإسلام أو أسلموا عن كفر ، فالكل في حكم الردة سواء - وأصروا على ذلك ولم يتوبوا ، وجب جهادهم حتى يعودوا إلى الإسلام أو يُقتلوا، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من بدَّل دينه فاقتلوه) (٣٢).

وكذلك فعل أبوبكر الصديق رضي الله عنه حيث قاتل المرتدين وما نعي الزكاة (٣٣).

وكذلك يشرع الجهاد لردِّ البُغاة عن بغيهم، فإذا بغت طائفة وخالفت جماعة المسلمين وتحيزت بدار تميزت فيها ومنعت ما عليها من الحقوق أو بدأت بقتال فيجب عندئذ قتالها حتى تفيء إلى أمر الله . قال الله تعالى : ﴿ وَ إن طآئِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُواْ الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللهِ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُواْ إِنَّ اللهَ يُحِبّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (٣٤).

أما المحاربــون الذين يجتمعــون على قطع الطريق وإشهار السلاح وأخــذ الأموال والنفوس ومنع السابلــة فهم المحاربون الذي قــال الله تعــالى فيهم: ﴿إِنَّمَا جَزَآءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوْا أَوْ يُصَلَّبُوْا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ﴾ (٣٥).

وهؤلاء يجب منعهم من ذلك ولو بالقتال حسب حالهم وحسب ما فعلوه كما هو مبين في عامة كتب الفقه والتفسير .

هذا ، وقد توسَّع بعض المعاصرين في أسباب إعلان الجهاد وأدخل بعضهم فيها ما لا يساعد الدليل عليه تأثراً ببعض الاتجاهات المعاصرة. وأغفل بعضهم أسباباً شرعية لإعلان الجهاد والقتال كالجهاد لنشر الدعوة الإسلامية وإخضاع الكفار لحكم الإسلام وشريعته ، ظنًا منهم أن في ذلك إكراهاً على الدين ، مع أن بينهما فارقاً كبيراً كما تقدم آنفاً (٣٦).

☆ ☆ ☆

الهوامش :

(١) وردت كلمة في سبيل الله مرتبطة بالجهاد في القرآن الكريم أكثر من ثلاثين مرة

(٢) " الجهاد في سبيل الله " للمودودي ، (ص١٦-١٧) وانظر "في ظلال القرآن" لسيد قطب : ١٤٣١/٣ وما بعدها، "أهمية

الجهاد في نشر العقيدة الإسلامية" د. علي العلياني ، ص(١٥٨) وما بعدها .
(٣) سورة النساء ، الآية (٧٦)
(٤) سورة البقرة ، الآية (١٩٠)
(٥) سورة الصف ، الآيتان (١٠-١١)
(٦) أخرجه البخاري في الجهاد ، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا ٦/٢٧-٢٨، ومسلم في الإمارة ، الباب نفسه ٣/١٥١٢-١٥١٣
(٧) أخرجه الإمام أحمد ٢/٢٩٠ و ٣٦٦ ، وصححه الحاكم. ٢/٨٥ و وافقه الذهبيّ ، والبيهقي : ٩/١٦٩ وأخرجه بأطول من هذا : أبو داود في الجهاد ، باب فيمن يغزو يلتمس الدنيا ٣/٣٧٢ ، ومحمد بن الحسن في " السِّير الكبير" ١/٢٥، وابن المبارك في " الجهاد " ص (١٨٦-١٨٧) ، وصححه ابن حبان ص (٣٨٦) من "موارد الظمآن"
(٨) سورة البقرة ، الآية (١٩٣)
(٩) سورة البقرة ، الآية (٢١٧)
(١٠) انظر "بدائع الصنائع " للكاساني ٩/٤٣٠٥
(١١) وأخرجه أيضاً مسلم في الجهاد ٣/١٣٥٧
(١٢) أخرجه البخاري في الإيمان ١/٧٥، والبخاري في الإيمان ١/٥٣
(١٣) قال الماوردي في " الأحكام السلطانية " ص (٥٠) "وتصير بلادهم إذا أسلموا دار الإسلام ، يجري عليهم حكم الإسلام" وانظر . "السِّير الكبير" مع شرح السَّرْخَسِيّ ٤/١١٤٩ و ٥/٢١٨١ و ٢٢٣٥
(١٤) سورة البقرة ، الآية (٢٥٦) .
(١٥) " السِّير الكبير" ٤/١٤١٥ وانظر "منهج الإسلام في الحرب والسلام" ص (١٣٤-١٤٢) .
(١٦) انظر:"السِّير الكبير" مع شرح السَّرْخَسِيّ : ١/٢٠٧-٢٠٩
(١٧) "السِّير الكبير" مع شرح السَّرْخَسِيّ ٥/١٨٥٣
(١٨) المرجع نفسه ، ص (١٨٥٦)
(١٩) انظر تخريجه فيما سبق
(٢٠) المرجع السابق نفسه ص (١٨٥٧)، انظر أيضاً : ص (١٨٩١ - ١٨٩٢)
(٢١) انظر : " الأم " : ٥/٢٠٧ ، " المهذب مع تكملة المجموع" للنووي: ١٨/١٩٧ - ١٩٨ ، "أحكام أهل الملل" للخلال ، ص (٢٣٦-٢٣٧) ، "المغني" ١٠/٦١٣ .
(٢٢) سورة الممتحنة ، الآية (٩) .
(٢٣) سورة البقرة ، الآية (١٩٠) .
(٢٤) سورة البقرة ، الآية (١٩٣ و ١٩٤)
(٢٥) سورة البقرة ، الآية (١٩٤) . وانظر " القانون والعلاقات الدولية في الإسلام" د. صبحي محمصاني ص (١٩٤-١٩٥)
(٢٦) عُرَنَة : بضم العين وفتح الراء ، وادٍ في عرفات
(٢٧) " السِّير الكبير " : ١/٢٦٦-٢٦٩. والقصة أخرجها أبو داود في باب: صلاة الطالب . ٢/٧٢-٧٣، وابن إسحاق في "السيرة " ٢/٦١٩-٦٢٠، والإمام أحمد. ٣/٤٥١، وابن سعد في " الطبقات" . ٢/٥٠-٥١، والواقدي في " المغازي" ١/٥٣١-٥٣٣، وابن حبان ص (١٥٥-١٥٦) من "موارد الظمآن"، وأبو نعيم في "الحلية" ٢/٥-٦، والكلاعي في "الاكتفاء" ٢/٤١٧-٤١٨، وقال ابن حجر إسناده حسن انظر "فتح الباري" ٢/٤٣٧، "بذل المجهود في حلّ سنن أبي داود".٦/٣٦٩، "البداية والنهاية" لابن كثير ٤/١٤٠- ١٤١، "مجمع الزوائد": ٦/٢٠٣-٢٠٤
(٢٨) سورة النساء ، الآية (٧٥)
(٢٩) سورة الأنفال ، الآية (٧٢) ويستدل بعض الكاتبين بالآية الكريمة على إعلان الجهاد من أجل استنقاذ غير المسلمين ولو لم يكونوا من أهل الذمة أو المستأمنين ولا يصح لهم هذا الاستشهاد، لأن سياق الآية في المؤمنين الذين لم يهاجروا إلى دار الإسلام، قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا ما لَكُمْ مِّن وَلَايَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلاَّ عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِّيثَاقٌ ﴾
(٣٠) سورة التوبة ، الآية (١٣) .
(٣١) الردة : هي رجوع قوم حكم بإسلامهم عن الإسلام، والحرابة: هي اجتماع جماعة بقوة وشوكة يحمي بعضهم بعضاً لقطع طريق ومقاتلة المسلمين وأخذ أموالهم، والبغي: هو خروج طائفة من المسلمين على الإمام ومخالفة رأي الجماعة والانفراد بمذهب لهم. وقد كتب في هذه الثلاثة الماوردي في " الأحكام السلطانية" ص (٥٥-٦٤) وراجع "التشريع الجنائي الإسلامي" للشهيد عبد القادر عودة: ٢/٦٣٨ وما بعدها
(٣٢) أخرجه البخاري في استتابة المرتدين ، باب حكم المرتد ١٢/٢٦٧.
(٣٣) انظر "صحيح البخاري" مع " فتح الباري " . ١٣/٢٥٠ ، و "صحيح مسلم " ١/٥١-٥٢، "تفسير البغوي" ٣/٦٩-٧٠و ٤/١٦-١٧ وراجع "حروب الردة" للكلاعي رحمه الله.
(٣٤) سورة الحجرات ، الآية (٩) .
(٣٥) سورة المائدة ، الآية (٣٣) .
(٣٦) انظر تفصيلاً لهذه الاتجاهات وعرضاً لكثير من الآراء في "الجهاد والقتال في السياسة الشرعية" د. محمد خير هيكل : ١/٥٨٣ و ما بعدها، وراجع "أهمية الجهاد في نشر الدعوة" د علي العلياني، ص (١٥٨) وما بعدها ، "منهج الإسلام في الحرب والسلام" عثمان ضميرية، ص (١٢٦-١٤٢) .

☆ ☆ ☆

الإسلام و العقلانية

[الحلقة ٥٣]

بقلـــم : الشيخ الجليل المربي الكبير العلاّمة أشرف علي التهانوي
المعروف بـ " حكيم الأمة " المتوفى ١٣٦٢هـ / ١٩٤٣م
تعريب : أبــو أســامــة نــور

ما ذكره القرآن من قضايا العلم كلـه مطابـق للـواقـــع

ومجملُ القول أن ما جاء من ذكر لما يتعلق بالعلم (Science) في القرآن الكريم ، كلُّه صحيحٌ صادق مطابق للواقع ، لا يسـع أحــداً ليوم القيامة أن يثبت أن شيئا مما تعرّض له كتاب الله تعالى في إطار دلالة قطعيّة يصادّ بحثاً علميًّا قطعيًّا . غير أن ما تعرّض القرآن الكريم لذكره من أمور العلم ، إنما تعرّض له ضمن غرض حقيقيّ أي ضمن إثبات قضية إصلاح روحانيّ .. إثبات التوحيد والمعاد . ومن الخطأ الفاحش أن يُجْعَلَ التابع مساوياً للمتبوع ، أو يُتَّخَذَ غرضاً حقيقيًّا .

فقضايا العلم ليست من أغراض القرآن ، وإنما هي مقدمات للأغراض ، تساعد على إثبات الأغراض ، ولغرض الإثبات جاء ذكرها في القرآن . وذلك الأمر كشف عن خطأ آخر، بيانه يحتاج إلى مقدمة ، وهي أن هناك شيئين : دعوى ودليلها الذي تثبت به ؛ فالدليل هو الذي يثبت الدعوى ، والدليلُ يشتمل على أجزاء تسمى مقدمات . ومن الواضح أنّ الدعوى إنما تحتاج إلى الدليل ؛ لأن المخاطب لا يقبلها ، فالدّليل يجعله يقبلها . فالمقدماتُ يجب أن تكون مقبوله مسلمة لدى المخاطب ، وإلاّ فتنقلب هي دعوى تحتاج لثبوتها إلى دليل آخر ، وهذا الدليل أيضاً يجب أن يكون مكوَّناً من مقدمات مسلمة ، وإلاّ فتنقلب هي الأخرى دعوى تحتاج إلى دليل . فالمقدمات الدعويّة ينبغي أن تكون مسلمة لدى المخاطب ، إمّا لكونها بديهية مسلّمة لدى الجميع ، وإما لكونها قد أُثبِتَتْ بالدليل وسلّمها المخاطب .

فالقرآن الكريم عندما نزل ، أُثبِتَتْ للمخاطبين به قضايا التوحيد والمعاد والأمور الدينية الأخرى ، وجُعِلَتْ مسلّمة لديهم . وكانوا عرباً لا يعرفون العلم القديد ولا العلم الجديد ، فإن ذُكِرَ لديهم في الدليل مقدماتٌ لا يدركونها فكيف سلّموها ، وكيف ثبتت لديهم الدعاوي والأغراض ؟ . فمثلاً إذا خاطب أحد بالعربيّة رجلاً لا يفهم إلاّ الأرديّة ، فكيف يسلّم أمراً من الأمور التي ذكرها بالعربية . وهذا ما أشار إليه القرآن بقوله :

" وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآناً أعجميًّا لَقَالُوْا لَوْلاَ

فُصِّلَتْ آياتُهُ " (فصلت / ٤٤).

وذلك لأن المخاطب إنّما يقبل أمراً من الأمور ويأخذ به ، إذا فهمه وأدرك عرضه . فلو خُوْطِبَ العرب بأمور لم يفهموها لما وسعهم أن يقبلوها . ولا يخلو الأمر من حالتين : إمّا أنّ القرآن لم يَرَ أن يجعلهم مخاطبين ، وإمّا أن جعلهم مخاطبين مـرغمين على قبـول ما عُرِضَ عليهم فهموه أو لم يفهموه . وكلا الأمرين مخالف للعقل والنقل معاً .

أمّا كونه مخالفاً للعقل ، فلأن كل من يتحدّث أمام رجل ، فالأصل أنّه إنّما يتحدث إليه لجعله مخاطباً ، نعم قد يحدث أنّ الرجل يتّخذ من يتحدث إليه رسولاً ومبلغًا ، ليقوم بتبليغ ما تحدث به إليه رجلاً آخر يكون مخاطباً حقيقيًّا لديه . لكن القرآن إنّما خاطَبَ العرب رأساً وأصلاً . فإن قال أحد : إن القرآن أيضاً إنّمه نزل على العرب ليبلغوه من بعدهم . فسأقول له : إن الواقع يكذّب هذه الدعوى ؛ لأن القرآن نزل مُنَجَّماً حسبما اقتضت الضرورة ، ظلّت الحوادث تقع والقرآن يغطّي الحوادث بأوامره ونواهيه وتوجيهاته . والحوادثُ إنّما حصلت للعرب ، فالآيات إنّما نزلت لهم . ثم إن العرب إن لم يُخَاطَبُوْا ، فهل تُرِكُوْا غير مكلفين؟ على أنّ مدلولات القرآن ، إن لم يفهمها العرب ، وقد فهمها الناس اليوم ، وإن العرب إنما كانوا حاملين للقرآن وناقلين لهم إلى من بعــدهم الذين هــم علماء (Scientists) فمن المُشَاهَد أن العلم لا يزال يقطع أشواط التقدم ، وكثيرٌ من الاكتشافات تتـم بشكل مستمر ، فلـو تعـوّد الناس إقحام الاكتشافات العلمية في القرآن ، جاز لكل جيل من الأجيال اللاحقة أن يقول : إن القرآن إنما خُوْطِبَ به من بعدنا ، أمّا نحن فلسنا إلاّ حاملين له وناقلين إيّاه إلى من بعدنا ، وتستمر هذه السلسلة جيلاً بعد جيل ، وإذاً فإن مُخَاطَبي القرآن إنما يكونون في الواقع من لايكون بعدهم جيل بشري، أي الذين تقوم عليهم الساعة ، وينقطع عليهم تقدم العلم كذلك ، وهل هذا القول إلاّ من الجنون .

أمّا كونه مخالفاً للنقل ، فإنّه واضح لمن يتلو القرآن ، حيث تتعدد فيه أمثال الآية التالية:

" إِنَّا أَنزَلْنَـاهُ قُرْآنًـا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُـون " (يوسف/٢)

" وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّـةً لِلنَّاسِ بَشِيْـرًا وَ نَذِيْـرًا "(سبأ / ٢٨)

وقد دخل العرب في " كَافَّةً لِلنَّاسِ ".

أمّا عَدَمُ الإرغام ، واجتناب الإسلام من ذلك كليًّا ، فقد صرّح بذلك كتاب الله تعالى:

" لاَ إِكْـرَاهَ فِي الـدِّيْنِ قَدْتَبَيَّنَ الرُّشْـدُ مِنَ الْغَيِّ". (البقرة / ٢٥٦)

إنّ كلمة " تَبَيَّنَ " تؤكد أن كلاً من الرشد والغي امتاز عن الآخر امتيازاً لم يبق معـه أي التباس ، فإن كانت آيات القرآن بحيث لم يفهمها العرب ، فكيف تصحّ كلمة " تَبَيَّنَ ".

وقد صرّح القرآن في عدد من الآيات بهذا المعنى . فقال تعالى :

" أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُوْنُوْا مُؤْمِنِـيْـنَ" (يونس /٩٩)

ولا يجوز الاعتراض بالجهاد ، لأن الجهاد إنّما يُعْمَلُ به بعد " التبيّن " الذي نصّ القرآن في الآية المتلوة آنفاً ، وما إلى ذلك من الآيات .

العرب كان المخاطبين الأولين بالقرآن

فثبت بداهة أن القرآن تعمّد أن يتخذ العرب مُخاطَبين به ، بل كانوا مخاطبين أولين به، فكان من العبث أن تُعْرَض عليهم دلائل لا يفهمونها أو لا يقلون مقدماتها . فلا معدى لنا عن أن نسلّم أن مدلولات القرآن إنّما كانت تلك التي فهمها العرب الذين نزل عليهم القرآن ، وإلاّ فإنّ أسلوب استدلال القرآن يعود معيباً بشكل لا حاجة إلى بيانه . وهذه الحالة إنّما أدّى إليها التهالك على العلم (Seience) على حين إن القرآن خضع وظل يخضع له جميع الفصحاء والبلغاء والحكماء والعقلاء .

فالمفسدة الأولى الناتجة عن إقحام قضايا العلم في القرآن هي الإغضاء عن أصل الموضوع ، واتخاذ غير الموضوع موضوعاً أصليًّا للقرآن .

على أنه قد ثبت أن القضايا العلمية التي تعرّض لها القرآن هي كمقدمات ومن أجل الاستدلال على الأهداف الأصلية ، والاستدلال لا يصحّ إلاّ بالمقدمات المسلّمة . والقضايا العلمية المعاصرة لم تكن موجودة لدى نزول القرآن ، فلم يجز أن القرآن قد استدلّ بها.

ثم إنّ نتائج العلم الجـديد مُعَرَّضَـة للتغير ؛ فهناك كثير مـن النتائج ظلت مسلّمـة لمدة من الزمان لدى جميع العلماء ، لكنها اليوم عادت مغلوطة لديهم ، وعكسُها عاد صحيحاً . فمثلاً ظلوا يقولون : إن الشيء الذي يصدر عنه الصوء ينتقص شيئاً فشيئاً ، ولذلك سلّموا أن الشمس تنتقـص ، وقـد أكّـدوا ذلـك بـالتلسكـوب (Telescope) ، حتى قاسوا سرعة انتقاصها ، وتنبأ بعض عقلائهم بانقضاء جرم الشمس في مدة كذا ، وبما أنّ معظم أجزاء الكون حياتها تتوقف على الحرارة ، فبانعدام الشمس ينعدم الكون ، ويتلاشى العالم . وقد أقحم إخواننا المتهالكون على العلم هذه النتيجة العلمية في القرآن قائلين : القرآن ينصّ على قيام الساعة منذ قرون ، وهي تلك التي يقول بها العلم في ضوء بحثه والتوصل إلى نتيجته الحتمية . (١)

فكان من القضايا المسلم بها أن الشيء الذي يعطـي النـور ، ينتقص تدريجيًّا ؛ لكن اخـتـراع " الراديوم " (Radium) (٢) جعلهم يقولون بكون النتيجة العلمية المذكورة خاطئة ، لأنه قد ثبت أن الراديوم رغم إعطائه الضوء لا ينتقص .

فإذا كانت هذه حالة اكتشاف كبير مثل هذا ، فما بالك بالاكتشافات الأخرى ؟.[يتبع]

☆ ☆ ☆

(١) لا يعرس عن النال أن الساعة التي قال بها هؤلاء الإخوان المتهالكون على العلم ، هي غير التي أخبر بها الإسلام وكتابه ؛ حيث إنها تشتمل على الحشر والنشر ، والحراء والعقاب ، و ورن الأعمال ، والعىور على الصراط وما إلى دلك . أما هؤلاء فقد قالوا بفناء العالم مقتنعين بالبحث العلمي ، ولكنهم لم يقولوا بورن الأعمال والعىور على الصراط و ما إلى دلك ! ! . (المؤلف)

(٢) عنصر فلزّي إشعاعي النشاط تم اكتشافه عام ١٨٩٨م. (المترجم) .

فلوشهدتنا يوم ذاك وخيلنا   تبيح من الكفار كل حريم
رأت فتية باعوا الإله نفوسهم   بجنات عدن عنده ونعيم

وهكذا تفاقم أمر الأزارقة، فتولى عندئذ أمرهم البطل الكبير المهلب بن أبي صفرة من قبل بن الزبير رضي اللّه عنه انتصر عليهم وهزمهم ولم يزل يطاردهم حتى قرر ابن الزبير على حربهم عبيد اللّه بن معمر مكان المهلب، ولم يستطع عبيد اللّه بن معمر أن يملأ فراغ المهلب، إنهم جعلوا يهددون البصرة في زعامة قطرى بن الفجاءة من جديد، وقتئذ لم يجد ابن الزبير اى بد من إعادة المهلب فأعاده.

وفي جانب آخر استطاعت فرقة أخرى منهم في زعامة نجدة أن تحضع اليمامة والبحرين وعمان، وساعدها اضطراب شئون الدولة في عهد بن الزبير على أن يتسع نفوذها في اليمن وجزيرة العرب، وأوشك نجدة أن يبسط سلطانه على الجزيرة العربية كلها لولا أن انثق عليـه أصحابـه اذ نقموا عليـه أمورا كفـروه بسببها، وإنما كان الخوارج في هذه الحالة، الازارقة يحاربون المهلب والنجدات يتسع نفوذهم إذ انتصر عبد الملك بن مروان على مصعب بن الزبير، وبايعه أهل العراق كما بايعه القائد الزبيرى المهلب بن أبي صفرة، ووجه عبد الملك همه إلى إخضاع الخوارج وإخماد ثوراتهم فاستطاع جيشه الأموى أن ينتصر على النجدات، وسقطت بانهزامهم دولتهم في اليمامة والبحرين بعد أن استمرت سبع سنوات كادت تبسط سلطانها فيها على شبه الجزيرة العربية كلها، ثم دار دور، فجاء الحجاج بن يوسف الثقفي بكل شدته وقسوته على ولاية العراق، نحن نسمعه يقول لأهل الكوفة (١٣) : "إني لأرى رؤسا قد أينعت وحان قطافها وإني لصاحبها، وكأني أنظر إلى الدماء بين العمائم واللحى، واللّه لأحزمنكم حزم السلمة ولأضربنكم ضرب غرائب الإبل ... وإني واللّه ما أقول إلا وفيت ولا أهم إلا أمضيت وإن امير المومنين أمرني بإعطائكم أعطياتكم وأن أوجهكم لمحاربة عدوكم مع المهلب بن أبي صفرة، وإني أقسم باللّه لا أجد رجلا تخلف بعد أخذ عطائه بثلاثة أيام إلا ضربت عنقه"، واهتم الحجاج بمحاربة الخوارج حربا لاهوادة بها ولا رحمة، فأخذ يمد بجيوش المهلب الذى كان مأمورا على محاربة الخوارج من جانب الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان، فبدأت المعارك بين المهلب و بين الخوارج شديدة قاسية كالحة دامية، وبينما كان المهلب والأزارقة يقتتلان قتالا شديدا، ويعتركان اعتراكا سياسيا عنيفا ظهر شبيب الخارجي وجماعته الصفرية بكل قوتها فأصبح الحجاج أمام عدوين قطرى وأصحابه وشبيب وأنصاره، ولما كان المهلب يقف إزاء قطرى وجه الحجاج وجهته إلى شبيب وجماعته وأرسل الجيوش لمحاربتهم، ولكن الصفرية كانوا كشعلة تحرق ما يقف في سبيلها وكسيل جارف يذهب معه كل ما يأتي في سبيله، إنهم انتصروا على الجيش الأموى عدة مرات، وقتلوا خمسة قواد من الأمويين واحدا بعد واحد، فعظم شأنهم، واستولوا على كثير من مناطق الامبراطورية، حتى هاجموا الكوفة نفسها ودخلوها وقتلوا كثيرا من أهلها، ففزع الحجاج بثوراتهم المنتصـرة وهالـه ما يفعلون، فقال شاعـر خارجى صفرى وهو عمران بن حطان ساخرا منه(١٤):

أسد عليّ وفي الحروب نعامة   ربداء تنفر من صفير الصافر
هلا برزت إلى غزالة في الوغى   بل كان قلبك في جناحي طائر
صدعت غزالة قلبه بفوارس   تركت مدابره كأمس الدابر

ليلة النصف من شعبان بين الاتباع والابتداع

بقلم : الأستاذ محمد عارف جميل القاسمي المباركفوري

الشريعة الإسلامية عمادها أسس وقواعد راسية متينة، وعباداتها تقوم على الاتباع لأوامر الله تعالى وسنن نبيه عليه الصلاة والسلام وإن الحياد - قيد شبر - عما رسمته الشريعة الإسلامية لعباداتها من أوقات وهيئات يعد خروجا عنها وابتداعا في الدين وضلالة مصيرها إلى النار. والإفراط والتفريط في شيء من ذلك مما يعرّض المرء لغضب الله تعالى ورسوله ، ويحبط عمله.

ومن خير ما يتجلى فيه الإفراط والتفريط : ليلة النصف من شعبان ، فتجد الناس فيها بين مفرِط غلا فيها وأتى أنواعا من الخرافات التي ما أنزل الله بها من سلطان ، وذلك إيحاء عن عقله ووهمه ، وتسويلا من الشيطان : من الإكثار من الوقود ، والإضاءة والفوضى، وإحياء ليلتها في غير طاعة الله تعالى؛ وبين مفرِّط حُرم التوفيقَ للتعبد لله تعالى بما شرعه لعباده، وبما أمر به نبيه عليه الصلاة والسلام. وفي هذا البحث نتعرض لما استدل به على فضل هذه الليلة من آيات وأحاديث ، وما أحدث فيها من بدع وخرافات لم يعرفها الصدر الأول من الإسلام ولم يمتّ إلى الدين بسبب .

ما ورد في فضلها من نصوص شرعية

أولاً : كتاب الله تعالى:

استدل على فضل هذه الليلة بقوله تعالى : ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِيْ لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِيْنَ فِيْهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيْمٍ﴾ . (١)

واختلف في " ليلة مباركة هذه : فقيل : هي ليلة القدر ، وقيل : ليلة النصف من شعبان وهو قول عطاء، والقول الأول : قال النووي : هو الصواب، وبه قال أكثر العلماء (٢) وقال ابن كثير: ومن قال: إنها ليلة النصف من شعبان فقد أبعد النجعة ؛ فإن نص القرآن أنها في رمضان . (٣)

وقال القرطبي : واختار - أي صاحب كتاب العروس - أن الليلة التي يفرق فيها كل أمر حكيم ليلة النصف من شعبان ، وأنها تسمّى ليلة البراءة وقد ذكرنا قوله والرد عليه في غير هذا الموضع وأن الصحيح إنّما هي ليلة القدر على ما بيّناه .

ثم قال : قال أبو بكر ابن العربي : وجمهور العلماء على أنها ليلة القدر ، ومنهم من قال : إنها ليلة النصف من شعبان ، وهو باطل لأن الله تعالى قال في كتابه الصادق : ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيْ أُنْزِلَ فِيْهِ الْقُرآنُ﴾ (٤) فنص على أن ميقات نزوله رمضان ثم عيّن من زمانه بقوله : (فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ) فمن زعم أنه في غيره فقد أعظم الفرية على الله تعالى.(٥)

وقال في مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: لا نزاع في أنّ ليلة نصف شعبان يقع فيها فرق كما صرح به الحديث ، وإنما النزاع في أنها المرادة من الآية ، والصواب أنها ليست مرادة منها ، وحينئذ يستفاد من الحديث والآية وقوع ذلك الفرق في كل من الليلتين . إعلاما بمزيد شرفهما اهـ ، و يحتمل أن يقع الفرق في ليلة النصف ما يصدر إلى ليلة القدر، ويحتمل أن يكون الفرق في إحداهما إجمالا وفي الأخرى تفصيلا، وغير ذلك من الاحتمالات العقلية . (٦)

ثانيا : الأحاديث النبوية :

وقد ورد عدة أحاديث في فضل هذه الليلة منها:

ما رواه الترمذي عن عائشة رضي الله عنها قالت: فقدت رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرجت فإذا هو بالبقيع فقال : " أتخافين أن يحيف الله عليك ورسوله ؟ قلت: يا رسول الله ! إني ظننت أنك أتيت بعض نسائك .

فقال : إن الله عز و جل ينزل ليلة النصف من شعبان إلى سماء الدنيا فيغفر لأكثر من عدد شعر غنم كلب".

قال الترمذي : وفي الباب عن أبي بكر الصديق. وقال: حديث عائشة لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث الحجاج، وسمعت محمدا يقول: يضعف هذا الحديث ، وقال: يحي بن ابي كثير لم يسمع من عروة. قال محمد : والحجاج بن أرطاة لم يسمع من يحي بن أبي كثير . (٧)

وقال الشيخ النوري : وحديث الباب لم يبلغ درجة الصحة ، لأن في سنده الحجاج بن أرطاة مع انقطاعين بينهما الترمذي ، غير أن ابن معين أثبت اليحيي السماعَ من عروة ، والمثبت مقدم على النافي، فبقي الانقطاع في موضع واحد، قاله العيني في العمدة . (٨)

وكذلك قال النوري : ربما يكون أحسنها- أي أحسن الأحاديث الواردة في فضلها - حديث عائشة في الباب، وقد أخرجه ابن أبي شيبة وابن ماجة والبيهقي أيضا ، وهو مع ذلك منقطع ، ولم أقف على حديث مسند مرفوع صحيح في فضلها.(٩)

وحديث أبي بكر الذي أشار إليه الترمذي: رواه البزار والبيهقي بإسناد لا بأس به كما قال المنذري في الترغيب والترهيب . (١٠)

وقال الشيخ / أحمد عبد الرحمن البناء في حديث عائشة : أخرجه ابن ماجة ونسبه صاحب كنز العمال إلى الترمذي والبيهقي في الشعب . (١١)

وقال ابن الجوزي : وقال الدار قطني : وقد روي من وجوه ، وإسناده مضطرب غير ثابت.(١٢)

ومنها : ما رواه ابن ماجة من حديث علي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " " إذا كانت ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها، وصوموا نهارها، فإن الله عزوجل ينزل فيها إلى سماء الدنيا فيقول: ألا من مستغفر لي فأغفره ! ألا مسترزق فأرزقه ألا مبتلى فأعافيه ! ألا كذا ألا كذا حتى يطلع الفجر ".

وفي الزوائد : إسناده ضعيف لضعف ابن أبي سبرة ، واسمه : أبو بكر بن عبد الله بن أبي سبرة. قال فيه أحمد بن حنبل وابن معين: يضع الحديث.

وقال ابن حجر في تقريب التهذيب: أبو بكر بن عبد الله بن محمد بن أبي سبرة بن أبي رهم بن عبد العزى القرشي العامري المدني : قيل: اسمه عبدالله وقيل: محمد ، وقد ينسب إلى جده ، رموه بالوضع ، وقال مصعب الزبيري : كان عالما، من السابعة . (١٣)

وقال الشيخ حبيب الرحمن المحدث الأعظمي : إن الحديث الذي رواه ابن ماجة في سننه في فضل ليلة النصف من شعبان لم يَعُدَّه أحد من مهرة علم الحديث موضوعا مكذوبا ، والاستدلال على وضعه بما جاء في تحفة الأحوذي من الجهل بمكان . وزعم أن أحد رواته - وهو أبوبكر بن أبي سبرة - رمي بوضع الحديث ، إلا أنه لا يستلزم أن يكون الحديث عينه موضوعا فإنه لا يجوز أن نطلق على حديث أنه موضوع بمجرد وجود راوٍ رمي بالكذب في إسناده، وإنما يوجب ضعف الحديث سندا، ومن هنا لم نجد أحدا ممن صرح بالأحاديث الموضوعة في سنن ابن ماجة، يتعرض لهذا الحديث، وخير دليل على ذلك كتاب " ما تمس إليه الحاجة" ، فارجع إليه إن شئت.

وتجد نصوص غير قليلة في كتب أصول الحديث تصرح بأن مجرد تفرد الكذاب أو الوضاع بحديث لا يستلزم وضع الحديث ما لم ينضم إليه شيء آخر، وارجع - مثلا - إلى كتاب فتح المغيث ٢٥١/١ .

وقال البخاري : هذا مع أن مجرد تفرد الكذاب بل الوضاع - ولو كان بعد الاستقصاء و التفتيش من حافظ متبحر تام الاستقراء - غير مستلزم لذلك، بل لا بد معه من انضمام شيء مما يأتي. (١٤)

وقال في تحفة الأحوذي - بعد ما أورد الأحاديث الواردة في فضلها ، وحكى كلام ابن حجر في ابن أبي سبرة - : وقال الذهبي في ميزان الاعتدال: ضعفه البخاري وغيره ، وروى عبد الله وصالح - ابنا أحمد - عن أبيهما قال : كان يضع الحديث ، وقال النسائي : متروك .

فهذه الأحاديث بمجموعها حجة على من زعم أنه

لم يثبت في فضيلة ليلة النصف من شعبان شيء.(١٥)

فالشيخ / عبد الرحمن لم يعد الحديث موضوعا - رغم ما فيه من الصعب - وإنما اعتبره حجة تثبت فضل ليلة النصف من شعبان و قد سبقه بذلك الحافظ المنذري في الترغيب والترهيب فعده ضعيفا لا موضوعا .

فتبين مما سبق أن الحديث لا يمكن اعتباره موضوعا ، غير أنه لا شك في ضعفه ولا يخفى على من لديه إلمام بأصول الحديث أن الحديث الضعيف يعمل به في الفضائل. قال النووي: و يجوز عند أهل الحديث وغيرهم التساهل في الأسانيد، ورواية ما سوى الموضوع من الضعيف، والعمل به من غير بيان ضعفه في غير صفات الله تعالى والأحكام كالحلال والحرام ، ومما لا تعلق له بالعقائد والأحكام.

وقال السيوطي: ومن نقل عنه ذلك : ابن حنبل وابن مهدي و ابن المبارك قالوا: إذا روينا في الحلال والحرام شددنا ، وإذا روينا في الفضائل ونحوها تساهلنا . (١٦)

وقد نص على قبول الضعيف في فضائل الأعمال : أحمد بن حنبل ، وابن سيد الناس، و النووي، والعراقي، والسخاوي، والشيخ زكريا، وابن حجر العسقلاني، والسيوطي، وعلي القاري؛ بل ذهب ابن الهمام إلى أنه يثبت به الاستحباب، وأشار إلى ذلك النووى ، وابن حجر المكي والجلال الدواني. (١٧)

ومنهـا : مـا رواه ابن ماجـة عـن أبي مـوسى الأشعري رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن الله ليطلع ليلة النصف من شعبان فيغفر لجميع خلقه إلا لمشرك أو مشاحن.

وفي الزوائد : إسناده ضعيف لضعف عبد الله بن لهيعة ، وتدليس الوليد بن مسلم. وقال السندى: ابن عرزب لم يلق أبا موسى ، قاله المنذري كذا بخطه.

وذكره المنذري في الترغيب والترهيب من حديث معاذ بن جبل ، وقال : رواه الطبراني في الأوسط وابن حبان في صحيحه ورواه ابن ماجة بلفظه عن أبي موسى الأشعري ، والبزار، و البيهقي من حديث أبي بكر الصديق بنحوه بإسناد لا بأس به.(١٨)

ومنها : ما رواه الإمام أحمد في مسنده عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "يطلع الله عز وجل إلى خلقه ليلة النصف من شعبان فيغفر لعباده إلى لاثنين : مشاحن وقاتل نفس".

قال الشيخ : أحمد البنا : أورده الهيثمي في مجمع الزوائد وقال : رواه أحمد ، وفيه ابن لهيعة وهو لين الحديث، وبقية رجاله وثقوا . (١٩)

وقال الشيخ في تحفة الأحوذي : بإسناد لين.(٢٠)

وهناك أحاديث أخرى في فضلها سردها السيوطي في اللآلي المصنوعة، والبيهقي في الدعوات الكبير . (٢١)

الصلاة الألفية أو صلاة مائة ركعة في ليلة النصف من شعبان :

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : وصلاة الرغائب بدعة باتفاق أئمة الدين ... وكذلك الصلاة التي تذكر أول ليلة جمعة من رجب وفي ليلة المعراج وألفية نصف شعبان . (٢٢)

وسئل شيخ الإسلام ابن تيمية عن صلاة نصف شعبان فقال : إذا صلى الإنسان ليلة النصف وحده أو في جماعة خاصة كما كان يفعله جماعة من السلف فهو أحسن، وأما الاجتماع في المساجد على صلاة مقدرة كا لاجتماع على مائة ركعة بقراءة ألف (قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ) دائما فهذا بدعة لم يسبقها أحد من الأئمة . (٢٣)

وقال علي القاري : واعلم أن المذكور في اللآلي أن مائة ركعة في نصف شعبان بالإخلاص عشر مرات في كل ركعة مع طول فضله للديلمي وغيره ، موضوع . (٢٤)

الصلاة فرادى من غير عدد مخصوص في هذه الليلة:

وقال ابن عابدين : وفي " الإمداد" : ويحصل القيام بالصلاة نفلاً فرادى من غير عدد مخصوص.

وبقراءة القرآن، والأحاديث، وسماعها، وبالتسبيح، والثناء، والصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم الحاصل ذلك في معظم الليل وقيل: بساعة منه. (٢٥)

وقال ابن النجار الفتوحي : ولا يقوم أي الليل كله إلا

ليلة عيد . وقال البهوتي في شرحه: فطر وأضحى وفي معناها: ليلة النصف من شعبان للخبر.(٢٦)

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : أما ليلة النصف من شعبان فقد روى في فضلها أحاديث وآثار ونقل عن طائفة من السلف أنهم كانوا يصلون فيها، فصلاة الرجل فيها وحده قد تقدمه فيه سلف، وله فيه حجة فلا ينكر مثل هذا . (٢٧)

الصلاة فيها جماعة : أول حدوثها وحكمها:

أولا : أول حدوثها :

وقال أبو محمد عز الدين بن عبد السلام المقدسي: لم يكن ببيت المقدس صلاة الرغائب ولا صلاة نصف شعبان فحدثت في سنة ثمان وأربعين وأربع مائة أن قدم علينا رجل من نابلس يعرف بابن الحي، وكان حسن التلاوة فقام فصلى في المسجد الأقصى ليلة النصف من شعبان فأحرم خلفه رجل ثم انضاف ثالث ورابع فما ختم إلا وهم جماعة كثيرة، ثم جاء العام القابل فصلى خلق كثير، وانتشر في المسجد الأقصى، وبيوت الناس، ومنازلهم، ثم استقرت كأنها سنة إلى يومنا هذا. (٢٨)

ثانيا : حكمها :

وقال في البزازية: ولهذا كره الاقتداء في صلاة الرغائب، وصلاة البراءة، وليلة القدر ولو بعد النذر إلا إذا قال: نذرت كذا ركعة بهذا الإمام بالجماعة؛ لعدم إمكان الخروج من العهدة إلا بالجماعة، ولا ينبغي أن يتكلف لالتزام ما لم يكن في الصدر الأول هذا التكلف، لإقامة أمر مكروه وهو أداء النفل بالجماعة على سبيل التداعي، فلو ترك أمثال هذه الصلاة تارك ليعلم أنه ليس من الشعار فحسن - والدليل عليه ما قال الأئمة أن صوم الأربعين يكره مع أن صوم مطلق الأربعين مذكور في القرآن. (٢٩)

وقال في غنية المستملي: واعلم أن النفل بالجماعة على سبيل التداعي مكروه على ما تقدم عدا التراويح وصلاة الكسوف والاستسقاء، فعلم أن كلا من صلاة الرغائب - ليلة أو جمعة من رجب - وصلاة البراءة - ليلة النصف من شعبان - وصلاة القدر ليلة السابع و العشرين من رمضان بالجماعة بدعة مكروهة ... وهذا لأن حديث صلاة الرغائب والبراءة قد حكم عليهما الأئمة بالوضع .

ثم قال : وقد ذكروا لكراهتها وجوها: منها: فعلها بالجماعة وهي نافلة، و لم يرد به الشرع... ومنها: أن الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الأئمة والمجتهدين لم ينقل عنهم هاتان الصلاتان، فلو كانتا مشروعتين لما فاتتا السلف وإنما حدثتا بعد الأربع مائة . (٣٠)

وقال ابن عابدين: وفي " الإمداد": ويحصل القيام بالصلاة نفلا فرادى ... الخ .

قال : تتمة : أشار بقوله : فرادى إلى ما ذكره بعد في متنه من قوله : ويكره الاجتماع على إحياء ليلة من هذه الليالي في المساجد، وتمامه في شرحه، وصرح بكراهة ذلك في الحاوي القدسي، وقال: وما روى من الصلوات في هذه الأوقات يصلي فرادى غير التراويح. (٣١)

وقال الدردير من المالكية في الشرح الكبير على مختصر خليل: وكره جمع كثير لصلاة نفل في غير التراويح أو جمع قليل كالرجلين والثلاثة بمكان مشتهر خوف الرياء وإلا بأن كان المكان غير مشتهر والجمع قليل فلا كراهة مالم يكن في الأوقات التي صرح العلماء ببدعة الجمع فيها كليلة النصف من شعبان و أول رجب وليلة عاشوراء فإنه لا يختلف في الكراهة مطلقا . (٣٢)

وقال الشيخ محي الدين النووي: وهاتان الصلاتان - أى صلاة الرغائب والصلاة الألفية لليلة النصف جماعة - بدعتان مذمومتان منكرتان قبيحتان لاتغتر بذكرهما في كتاب قوت القلوب والإحياء، وليس لأحد أن يستدل على شرعيتهما بما روى عن عنه عليه الصلاة والسلام: " الصلاة خير موضوع"؛ فإن ذلك يختص بصلاة لاتخالف الشرع بوجه من الوجوه، وقد صح النهي عن الصلاة في الأوقات المكروهة . (٣٣)

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : إذا صلى الانسان ليلة النصف وحده أوفي جماعة خاصة كما كان يفعله طوائف من السلف فهو أحسن .

ثم قال: أما الصلاة فيها جماعة فهذا مبني على قاعدة عامة في الاجتماع على الطاعات والعبادات فإنه نوعان: أحدهما سنة راتبة إما واجب وإما مستحب كالصلوات الخمس والجمعة والعيدين، وصلاة الكسوف والاستسقاء، والتراويح فهذا سنة راتبة ينبغي المحافظة عليها والمداومة. والثاني: ما ليس بسنة راتبة مثل الاجتماع لصلاة تطوع مثل قيام الليل أو قراءة القرآن أو ذكر الله أو دعاء فهذا لابأس به إذا لم تتخذ عادة راتبة فإن النبي صلى الله عليه وسلم- صلى التطوع في جماعة أحيانا، ولم يداوم عليه إلا ما ذكر، وكان أصحابه إذا اجتمعوا أمروا واحدا منهم يقرأ والباقي يسمعون، وكان عمر بن الخطاب يقول لأبي موسى: "ذكرنا ربنا"، وهم يستمعون. وقد روي أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج على أهل الصفة ومنهم واحد يقرأ فجلس معهم ، وقد روى في الملائكة السارين الذين يتبعون مجالس الذكر الحديث المعروف. فلو أن قوما اجتمعوا بعض الليالي على صلاة تطوع من غير أن يتخذوا ذلك عادة راتبة تشبه السنة الراتبة لم يكره، لكن اتخاذه عادة دائرة بدوران الأوقات مكروه لما فيه من تغيير الشريعة وتشبيه غير المشروع بالمشروع . (٣٤)

وقال السيوطي: فرع : قال في شرح المهذب : من البدع المنكرة ما يفعل في كثير من البلدان من إيقاد القناديل العظيمة في ليالي معروفة من السنة كليلة نصف شعبان فيحصل بذلك مفاسد كثيرة:

منها مضاهاة جلوس المجوسي في الاعتناء بالنار، والإكثار منها .

ومنها : إضاعة المال في غير وجهه .

ومنها : ما يترتب على ذلك في كثير من المساجد من اجتماع الصبيان وأهل البطالة ولعبهم ورفع أصواتهم ولقربانهم المساجد، وانتهاك حرمتها، وحصول أوساخ فيها، وغير ذلك من المفاسد التي يجب صيانة المسجد من أفرادها . (٣٥)

وقال علي القاري: وفي بعض الرسائل: قال علي بن إبراهيم: ... وكان للعلوم بهذه الصلاة - أى الصلاة الألفية - افتتان عظيم التزم بسببها كثرة الوقيد، وترتب عليه من الفسوق وانتهاك المحارم ما يغني عن وصفه، حتى خشي الأولياء من الخسف وهربوا إلى البرارى ... و قد جعلها جهلة أئمة المساجد مع صلاة الرغائب وغيرهما شبكة لجمع العوام وطلبا لرياسة التقدم وتحصيل الحطام ثم إنه أقام الله أئمة الهدى في سعي إبطالها فتلاشى أمرها، وتكامل إبطالها في البلاد المصرية، والشامية في أوائل سني المائة الثامنة . (٣٦)

وقد عدّد الإمام التهانوي مفاسد كثيرة تسربت إلى المسلمين في هذه الديار وغيرها ويمارسها جهلة الناس على أنها من شرع الله تعالى :

منها : ما تعود الناس من صنع الحلاوي بمناسبة هذه الليلة متعللين بعلل واهية زائفة.

ومنها : كثرة الوقود والإسراف في الإضاءات التي أشبه ما يكون بالطقوس الهندوسية .

ومنها : الاهتمام بقيام ليلها على سبيل التداعي أكثر من الجمعة والأعياد والصلوات الخمس مع أن جمع الناس بهذا الاهتمام الزائد مما لا يرضاه الشرع الإسلامي.

ومنها : استبدال حوائج ، وأواني البيت وغير ذلك محاراة للكفار في بعض طقوسهم الدينية ومشابهة لهم ، ولا شك في منعه . (٣٧)

بم يحصل القيام في هذه الليلة ؟ :

قال ابن عابدين : وفي الإمداد : ويحصل القيام بالصلاة نفلا فرادى من غير عدد مخصوص، وبقراءة القرآن والأحاديث وسماعها، وبالتسبيح والثناء، والصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم الحاصل في معظم الليل وقيل : بساعة منه . وعن ابن عباس: بصلاة العشاء جماعة والعزم على صلاة الصبح جماعة كما قالوه في إحياء ليلتي العيدين، وفي صحيح مسلم: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل، ومن صلى الصبح في جماعة فكأنما قام الليل كله" . (٣٨)

وقال الشافعي : وبلغنا أن الدعاء يستجاب في

خمس ليال : ليلة الجمعة ، والعيدين وأول رجب، ونصف شعبان . (٣٩)

زيارة القبور في هذه الليلة :

وقال التهانوي : لم يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الليلة إلا ثلاثة أمور : زيارة القبور والاستغفار لأهلها ، وقيام ليلها، وصيام نهارها. (٤٠)

الهوامش :

(١) الدخان / ٢-٤ .
(٢) معارف السنن شرح سنن الترمذي للشيخ / محمد يوسف الحسيني السوري المتوفى عام ١٣٩٧هـ ٥/١١٩- ١٢٠ ط ديوبند الهند
(٣) تفسير ابن كثير ٤/١٤٠ ط الأولى دار الحديث مصر .
(٤) البقرة ١٨٥
(٥) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٦/٨٦ ط دارالكتب العلمية
(٦) المرقاة شرح المشكاة لعلي القاري ١/١٧٦، ط مطبعة أصح المطابع بومباي الهند
(٧) رواه الترمذي في الصوم باب ما جاء في ليلة النصف من شعبان ٣/١١٦ رقم (٧٣٩) بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ط دارالكتب العلمية
(٨) معارف السنن للسوري ٥/٤٢٠-٤٢١ .
(٩) معارف السنن ٥/٤١٩ ؛ وسنن ابن ماجة كتاب الإقامة باب ما جاء في ليلة النصف من شعبان ١/٤٤٤ رقم الحديث ١٣٨٩ بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ط دارالكتب العلمية بيروت
(١٠) راجع : جامع الأصول لابن الأثير ٩/٦٥ بتحقيق عبد القادر الأرناؤوط، ط مكتبة الحلواني عام ١٣٨٩ = ١٩٦٩ م
(١١) الفتح الرباني مع شرحه بلوغ الأماني للبنا ٢٣/٣٠٤ - ٣٠٥ ط دار الشهاب، القاهرة
(١٢) العلل المتناهية في الأحاديث الواهية لابن الجوزي ٢/٦٦ ط إدارة العلوم الأثرية باكستان .
(١٣) رواه ابن ماجة في إقامة الصلاة ١/٤٤٤ بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، وانظر. تقريب التهذيب لابن حجر ص ٣٩٥-٣٩٦ ط دار نشر الكتب الإسلامية باكستان .
(١٤) انظر مجلة المآثر ص ١٧ وما بعد العدد ٣ السنة ٢ الصادرة في مئو الهند .
(١٥) تحفة الأحوذي للشيخ / عبد الرحمن المباركفوري ٢/٥٣ ط حيدر آباد بريس دلهي؛ وميزان الاعتدال في نقد الرجال للحافظ أبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي ٣/٣٤٨-٣٤٩ ط السعادة .
(١٦) نفس المصادر ؛ وتقريب النواوي مع شرحه تدريب الراوي للسيوطي ١/٢٩٨ ط الثانية المكتبة العلمية .
(١٧) راجع : تعليقات الشيخ / عبد الوهاب عبد اللطيف على تدريب الراوي ١/٢٩٩ .
(١٨) راجع : سنن ابن ماجة إقامة الصلاة ١/٤٤٥ بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ؛ وتحفة الأحوذي ٢/٥٢ - ٥٣، والترغيب والترهيب للحافظ عبد العظيم بن عبد القوي المنذري ٢/١١٨ ط مصطفى البابي الحلبي .
(١٩) مسند الإمام أحمد ٢/٣٦٨ ط دار إحياء التراث، والفتح الرباني وشرحه بلوغ الأماني للبناء ٢٣/٣٠٤ - ٣٠٥.
(٢٠) تحفة الأحوذي ٢/٥٣ .
(٢١) راجع . اللآلي المصنوعة ص ٣٣٤ و ما بعد ، ومشكاة المصابيح للخطيب التبريزي مع مرقاة المفاتيح للقاري ٢/١٧٦ ط بومباى
(٢٢) مجموع الفتاوى له ٢٣/١٣٤ ط الأولى ١٣٩٨هـ .
(٢٣) نفس المصدر ٢٣/١٣١
(٢٤) مرقاة المفاتيح ٢/١٧٨ ، واللآلي المصنوعة للسيوطي ص ٣٣٣ و ما بعد.
(٢٥) حاشية ابن عابدين ١/٥٠٧ مكتبة ماجدية باكستان
(٢٦) شرح منتهى الإرادات ١/٢٣٤ نشر إدارة البحوث العلمية بالرياض
(٢٧) مجموع الفتاوى ٢٣/١٣٢
(٢٨) راجع . غنية المستملي في شرح منية المصلي للشيخ / إبراهيم الحلبي المتوفى ٩٥٦هـ ص ٤٣٢-٤٣٤ ط باكستان ، والمرقاة للقاري ٢/١٧٨ ؛ وتذكرة الموضوعات للشيخ / محمد طاهر ابن علي الفتني المتوفى ٩٨٦ هـ ص ٤٥ ط بومباي الهند .
(٢٩) الفتاوى البزازية للإمام محمد بن محمد المعروف بابن البزاز المتوفى ٨٢٧هـ ٤/٥٤ بهامش الفتاوى الهندية ط الهند
(٣٠) غنية المستملي ص ٤٣٢-٤٣٤ .
(٣١) حاشية ابن عابدين ١/٥٠٧ ، ٥٢٤ .
(٣٢) حاشية الدسوقي على الشرح الكبير على مختصر خليل ١/٣١٦ - ٣١٧، وشرح الزرقاني على مختصر خليل ١/٢٧٦ ، كلاهما طبعة دارالفكر بيروت
(٣٣) راجع . غنية المستملي ص ٤٣٢-٤٣٤
وحديث : الصلاة خير موضوع . رواه ابن ماجة بلفظ. "خير أعمالكم الصلاة "، من حديث ثوبان مرفوعا. وفي الزوائد: رجال إسناده ثقات أثبات إلا أن فيه انقطاعا بين سالم و ثوبان ولكن أخرجه الدارمي وابن حبان في صحيحه من طريق ثوبان متصلا. (سنن ابن ماجة ١/١٠١)
وحديث النهي عن الصلاة في الأوقات المكروهة · أخرجه مسلم في صحيحه بلفظ : ثلاث ساعات كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهانا عن الصلاة فيها . الحديث عن عقبة بن عامر مرفوعا . راجع صحيح مسلم ١/٥٦٨ -٥٦٩ ط الحلبي
(٣٤) مجموع الفتاوى ٢٣/١٣٢ .
(٣٥) شرح المهذب ٢/١٧٧-١٧٨ نقلا عن منتقى الينبوع فيما زاد على الروضة من الفروع للحافظ جلال الدين السيوطي مع روضة الطالبين للنووي ١/٩٩ ط دار الكتب العلمية .
(٣٦) المرقاة ٢/١٧٨ .
(٣٧) إصلاح الرسوم للإمام أشرف علي التهانوي ص ٧٢-٧٤ ط مطبعة بلالي أسالة ، الهند
(٣٨) ابن عابدين ١/٥٠٧
وأثر ابن عباس . ذكره النووي كذلك في روضة الطالبين ١/٥٨٢
وحديث إحياء ليلتي العيدين رفعه ابن ماجة في الصيام باب فيمن قام ليلتي العيدين ١/٥٦٨ برقم ١٧٨، عن أبي أمامة رضي الله عنه ، وفي الزوائد إسناده ضعيف لتدليس بقية، ورواه الدار قطني ووقفه على مكحول، وقال في المجموع · وأسانيد الجميع ضعيفة، وقال واستحبوا الإحياء مع أن الحديث ضعيف لأن أخبار الفضائل يتسامح فيها ، ويعمل بضعيفها راجع : روضة الطالبين ١/٥٨٢ بتحقيق الشيخ عادل أحمد و زميله
وحديث صحيح مسلم : رواه في كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب فضل صلاة العشاء والصبح في جماعة ١/٤٥٤ برقم (٢٦٠) ط الحلبي.
(٣٩) كتاب الأم للإمام الشافعي ١/٢٦٤ ط دار الفكر .
(٤٠) إصلاح الرسوم ص ٧٤ .

☆ ☆ ☆

التحذير من بدعة المولد

بقلم : فضيلة الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله آل فريان
رئيس الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم
بمنطقة الرياض

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إله الأولين والآخرين وأشهد أنّ نبينا محمداً الذي أرسى قواعد الملة والدين ومحا البدع والأباطيل صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر النبين والمرسلين وعلى آله وأصحابه أجمعين ومن تبعهم وسلك سبيلهم إلى يوم الدين أما بعد / فالسلام عليكم أيها المسلمون ورحمة الله وبركاته / إنّه من واجب المسلمين تعاونهم على البر والتقوى وتمسكهم بالعروة الوثقى وبعدهم عن الخرافات والبدع والأهواء وإنّه يقع من بعض الناس بعض البدع المنهي عنها مثل بدعة عيد المولد في الثاني عشر من شهر ربيع الأول ومع الأسف أنّ البعض من الناس يتعلقون بالبدع الواهية ويتركون السنن الواضحة ويعظمون الخرافات والخزعبلات والأباطيل ويهملون الأصول والنصوص الصحيحة الصريحة وكأن لسان حال المحدثين للبدع أنهم يقولون أنّ الدين غير كامل ويردون على الله سبحانه قوله (اليوم أكملت لكم دينكم) أو يعتقدون أنّ النبي صلى الله عليه وسلم ما بلّغ رسالة ربه أو أخفى بعضها فهم يكملونها مع أن المولد لم يكن له ذكر في القرون المفضلة ولا يعرف ولا يجيء على بال أهل السنة والجماعة وإنّما أحدثه بنو عبيد القداح. في خلافتهم وهم يهود لعنهم الله أبوهم / عبيد . صانع للقداح - أظهروا محبة أهل البيت فاشتهر أمرهم عند الناس فأحبوهم ثمّ غلوا في أهل البيت فعبدوهم وأظهروا الشرك والبدع، يقول فيهم شيخ الإسلام بن تيمية. رحمه الله - أنهم أظهروا الرفض وباطنهم الكفر المحض فأفسدوا في الأرض وأحدثوا الشرك والبدع والضلالة وملكوا المغرب ومصر والشام في زمانهم قال بن كثير : قطع الله دابرهم وأخزاهم وصار لهم شوكة وسلطة حتى أظهر الله عليهم السلطان / صلاح الدين الأيوبي. فقضى على شركهم وبدعهم ومحى ضلالاتهم من الأرض فقرر التوحيد ومحى الشرك والبدع والتنديد فاستقامت الأمور وصلحت الأحوال وقضى على البدع والخرافات جزاه الله خيراً عن الاسلام والمسلمين، لكن بعد موته قام مقامه وزيره / أبو سعيد الكوكبوري . فنشر البدع مرة أخرى وأحيا المولد وصار بعد له من دخول شهر ربيع و يبذل فيه الأموال ويظهرون فيه اللهو واللعب حيث أنّهم قلدوا النصارى في احتفالهم بمولد عيسى بن مريم عليه السلام فقلدوا اليهود والنصارى وضلوا عن سواء السبيل فأحيوا البدع وأماتوا السنن و أفسدوا في هذه الأمة عاملهم الله بعدله ومع الأسف أنّ بدعتهم بقيت إلى الآن في المغرب ومصر والشام وانتشرت في أفريقيا وآسيا ووصلت إلى الحجاز واليمن عند كثير من الناس ويحسبون ذلك خيراً وهو شر وبدعة وضلالة ولو كان خيراً لسبقنا من هم أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم وهم الصحابة والتابعون فلم تكن هذه البدعة موجودة لا في القرن الأول ولا في القرن الثاني ولا في القرن الثالث ولا في أول القرن الرابع وإنّما انتشرت في آخر القرن الرابع وما بعده فأي فائدة في البدع وما هي مصلحة أهلها منها إلا محاربة الله ورسوله ووجود الفساد في الأرض والله يقول (ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها) فإنّ الله أصلح الأرض بإرسال الرسل وإنزال الكتب كما قال تعالى (فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكري فإنّ له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى) نعوذ بالله من العمى بعد الهدى وليست البدع برمز لمحبة الرسول كما يدعيه أهل الباطل بل محبة الرسول الحقيقية تقتضي اتباع ما جاء به من الهدى والنور كما قال الله تعالى لنبيه الكريم (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم) لأنّه صلى الله عليه وسلم حذر من البدع وقال (إياكم ومحدثات الأمور فإنّ كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة) فعلى جميع المسلمين التحذير من البدع والتوبة إلى الله عزّ وجلّ لأنّ البدعة أحب إلى الشيطان من المعصية حيث أنّ المبتدع يحسب أنّه على هدى فهو في جهل مركب نسأل الله أن يهدينا وجميع المسلمين صراطه المستقيم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ،،،

العلامة الشيخ " محمود حسن الديوبندي " المعروف بـ " شيخ الهند "

حياته ومآثره

بقلم فضيلة الشيخ السيد أصغر حسين ميان الديوبندي
أستاذ بالجامعة سابقاً المتوفى ١٣٦٩هـ
تعريب : الأستاذ عبد الرشيد القاسمي

اتباعه للسنة في كل عمله

يُروَى أن عائشة الصديقة رضي الله عنها قد سألها رجل عن خلق النبي صلى الله عليه وسلم ، فأجابت بقولها : كان خلقه القرآن (١) وكذلك فكان خلق فضيلة شيخ الهند كلّ ما روته الأحاديث الصحيحة ودارت حوله السنن النبوية. فكان صَدره مستنيرا بأنوار معرفة الله جلّ وعلا ، كما كان قلبه ولسانه عامرا بمعارف وعلوم الكتاب والسنة. وأما البقية من أعضاء البدن فكانت طوع إشارة القلب وتبعا له . وكان لا تصدر عنه حركة إلا طبقا لما أمر الله به ، ولا يأتي بعمل إلاّ وَفق توجيهات السنة الثابتة الصحيحة . وسوف لن أغالي إذا أقول : إن سماحة شيخ الهند كانت قد تجسدت في شخصيته السنن النبوية الكريمة وأخلاقه الفاضلة ، وإنه يجدر بأن تُعَدَّ حياته صورةً حيةً وأسوةً متكاملةً للصحابة الأبرار وأتباعهم الأخيار في كل زمان .

جُبِلَ فضيلته على اقتفاء آثار النبي

وكان من غاية تمسكه بأذيال الشريعة الغراء لحد أنه ليس هناك رجلٌ ممن لازم فضيلته مدةً طويلةً يخدمه أن يقول : إن سماحته صدر عنه قطّ عملٌ مهما كان عاديا وبسيطا يخالف السنة الصحيحة، فضلا عن أن يكون يتنافي مع مبادئ الشريعة وفرائض الإسلام ؛ فإنه كان حريصاً على اقتفاء أثره عليه الصلاة والسلام واتباع سننه كل حين وأن في الليل والنهار ، في الصحة والمرض، في الحل والترحال ، وفي البيت والبيئة. فلم يكن أن يعمل وحده بسنة نبيه ، وإنما كان يرغّبُ محبيه وأتباعه في ذلك قولاً وعملاً . وقد أكرمه الله بفضل ذلك بأن أصبح العمل بالسنة أمراً طبيعيا له كأنه قد جُبِلَ عليه، ولم يعد يحتاج في سبيل ذلك إلى تحمّل كلفة أو حافزٍ . وكان يأتي بالسنن والأمور المستحبة بكل سهولة ، غير أنه كان يتجنب كثيراً رئاءَ الناس و جلب ثنائهم على ذلك ، ولأجل ذلك فلم يكن من دأبه - على عكس ما نشاهده اليوم معظم رجال الدين والدعوة - أن يقرأ على الحضور حديثا نبويا ثم يعمل به . بل وربما كان يعمل بسنة النبي الأكرم صلى الله عليه وسلم في خفاء وبساطة بالغة قلّما يتفطن إليه من يجلس إلى سماحته . فإذا قدّم إليه أحدٌ ثمرا طازجا، شَمَّ رائحته ووضعه حيناً ، وحيناً آخر مسحه بعينيه ، ثم نادى على طفل صغير، وأعطاه

إياه كما كان يخرج إلى الشارع يحتال بذلك ليرى أن المطرهل انقطع أم يستمر، ويأخذ قطرتين أو أربع قطرات منه، ودلك بها رأسه وجسمه يتلدد بالعمل بما جاء في حديث في هذا الخصوص مفاده: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يدلك بقطرات المطر رأسه وسائر جسده ويقول : إنها نزلت حديثة عهد من لدن ربي.(٢) ومما يُقْضَى منه العجب في هذا الشأن أن شيخ الهند كان يقوم بذلك بحيث لم يكن يشعر أحد ، غير أنه كان يصرّح ويكشف النقاب عن الأمر فرحاً مسروراً، إذا أحسّ أن الحضور قد أدركوا الأمر. وذات مرة قدم فضيلته يعودني – كاتب هذه السطور الشيخ أصغر حسين ميان – وأراد أن يرجع عقيب المصافحة ، فقلت له : يا سيدي ! ألم يبق لك إلاّ يومي هذا للعمل بالحديث النبوي الشريف الذي جاء فيه : "العيادة كفواقِ ناقة " (٣)

وفحوى الحديث أن كلّ ما كان يأتي به سماحته من المشي والسفر، والقعود والقيام، والأكل والشرب، والنوم واليقظة ، يأتي نابعاً من اتباع آثاره صلى الله عليه وسلم ، وذلك كله في صمت مطبق وخفاء بالغ . وإذا سافر مع رفقته شاطر أفراحهم وأطراحهم وجميع نشاطاتهم بحيث يتناسون متاعب السفر ، ويقصّ عليهم قصصاً لكبار مشايخ ديوبند وأعلام الأمة والصحابة ، ويشرح خلال ذلك الحكمة البالغة التي يتضمنه قوله صلى الله عليه وسلم: " لا سمر إلا لمصل أو مسافر " (٤)

حبّه للفقراء والعلماء

كان يسرّه جمّا إذا وجد نفسه فيما بين ظهران علماء الدين وطلاب المدارس الإسلامية الأهلية، ويؤلمه كبيراً وسائل الترف ومرافق الحياة الفتانة والزينات الفاخرة وزخارف الدنيا. وذهب مرة في إحدى المناسبات إلى إمارة "رامفور" المسلمة بولاية "أترا براديش" ودخل بمرافقة رجل من وجهاء الإمارة غرفة عاهل الإمارة المزدانة بكل نوع من أفخر الرياش والأثاث، ينجذب إليه القلب وتميل إليه النفوس، كما كانت قد عُلِّقَتْ بحيطانه صور ورسوم ملونة بألـوان مختلفـــة خلابــة ، وفُرِشَتْ أرضها بالسجاجيد العالية ، والبسط الثمينة الفاخرة ، و نُثِرَتْ هنا وهناك وسائد مريحة ؛ فتألم فضيلته من ذلك كله لحد أن كادت تفيض روحه احتباساً .

وكان يقول : خرجت من الغرفة من ساعتي ، ولم أتملك الإقامة بها ولو دقائق. فإنه لم تكن له رغبة في الثروة والأثرياء، غير أنه كان لايعرب عن كراهيته لهم، ولا ينالهم بسوء القول ورداءة الخلق، وإنما كان يعطيهم حقهم من الإكرام، ويلقاهم بوجه طلق. وإذا كان أحد منهم ينتمي إلى مشايخ فضيلته و أولياء الله الآخرين بالغ في احترامه .

وذات مرة عُقِدَت بالإمارة نفسها مناظرة وُجِّهَتْ الدعوات للحضور فيها إلى سماحة الشيخ "أحمد حسن الأمروهوي" – أحد تلامذة الإمام النانوتوي النابغين – وآخرين من كبار رجال العلم والدين . وتلقى فضيلته هو الآخر برقية في خصوص المناظرة فاعتذر. فقال له الحضور: سترد برقية أخرى إذا اعتذرت ، فقال: إذن أردّ عليها بأني لستُ مستعدا للمساهمة في المناظرة . وبذلك فيدرك القائمون على أعمال المناظرة ضآلتي في العلم ويقولون : لماذا ندعو عالماً يحتاج إلى مطالعة الكتب

في المناظرة ؟ وإذا ظنّوا أني لا أملك ثيابا فاخرة تليق بالعلماء الكبار فخير من ذلك .

لم يعد ابتغاء لوجه الله

وتوجّه مرةً على إصرار أكيد من "حكيم الأمة أشرف علي التهانوي " - المتوفى ١٣٦٢هـ - ١٩٤٢م صاحب كتب كثيرة يبلغ عددها زهاء ألف كتاب - إلى مدينة " كان فور " بولاية "يوبي" حيث ألقى موعظة بليغة إلى احتفال كان قد عقدته " مدرسة جامع العلوم " بالمدينة بمناسبة إناطة العمام بخريجيها . وكان يتناول مادةً قيمةً للغاية تغلبها العلوم العقلية، إذ حضر الاحتفال حلال كلمته الشيخ "لطف الله عليجراهي " - وكان من أبرز علماء المنطق والفلسفة الذين يشار إليهم بالأصابع- فما أن رآه سماحة شيخ الهند، حتى ترك كلمته مدبورةً ونزل من المنصة . ولما قال له رميله في الدرس "الشيخ فخر الحسن الكنكوهي" لبئس ما فعلتَ الآن ، فإن الفرصة الذهبية قد سنحت لك الساعةَ ، حتى يعرف الشيخ " لطف الله " مدى اطلاعك على العلوم العقلية وطول باعك فيها، أجابه قائلا: قد سوّلت لي نفسي الأمر الذي تسوسوس به نفسك ، ولأجل ذلك قطعت الحديث، فإن ذلك بيان وادّعاء للعلم ، و لم يعد ابتغاءً لوجه الله .

وكان يعتني بالغاء بإراحة الضيوف ، ويأتي بوجبات الغداء والعشاء لهم بنفسه ، ويضعها لهم. وكان من عادته أن يدخل إلى الضيوف إثر صلاة العشاء ويسأل كل أحد منهم عما يحتاج إليه ، ويحمل لهم البسط والألحفة بنفسه ، الأمر الذي يجعلهم إياهم وخدّام سماحته يندمون كثيراً. وبعد أن عادَ من "مالطة" وأنهكه الصعف ، ازدحم الناس عليه، ولكنه كان مع ذلك كله يسأل كلاً منهم عن إقامته وأسباب الراحة الأخرى. ويأمر بإعداد الطعام لكل من كان يعزم على السفر، قبل أن يأتي موعده من السفر بساعة. وكان يصبر على ما يلقاه من أذى يسببه السفهاء من الضيوف، هذا وكان لايشكو قط ولا يعاقب أحداً من الضيوف إذا عرض على فضيلته حاجة في غير وقتها .

المسلم الفقير أحبّ إليّ من الهندوسي الثري

وكان يَعُدُّ نفسه أحقر مَن في الأرض وأدناهم من المسلمين ، وكان ذلك نابعا من قرارة قلبه، غير مدفوع بالتواضع المزعوم وهضم النفس على شاكلة كثير من رجال عصرنا الذين يتظاهرون بالورع والصلاح والتواضع، بظاهر من القول ويأبى قلبهم، كما كان يعتبر مواهبه بأسرها بسيطة ضئيلة انطلاقا من عبوديته . وكان يلتقي بالفقراء المعدمين أولي ثياب رثّة وأوضاع بالية بطلاقة وجه تملأ قلوبهم فرحا وسروراً . وكان قد نال كل واحد من خدمه ومعتقديه ، عطفا بالغا وحبّا شديداً مِن فضيلته ، ما يجعل كل رجل منهم يحسب أن سماحته يعطف عليه أكثر من غيره. ومع هذا كان قد جُبِلَ على الكراهية من الكفّار والفسّاق الفجّار، وعلى المحبة الأكيدة والشفقة البالغة على المؤمنين المتمسكين بأهداب الشريعة. وقد حدث أنه أُتِيَتْ إليه عربة ثيران مزدانة ركبها " الشيخ مسعود أحمد الكنكوهي" - نجل الفقيه الرباني رشيد أحمد الكنكوهي - إلى وطنه. وبما أن صاحب العربة كان هندوسيا، فتفكر شيخ الهند في طعامه ، ولما أكّد له الحضور بأنهم دفعوا إليه

فإنه استمد من الحكومة المركزية واستطاع بعد معركة دامية أن ينتصر عليهم ويمزق جمعهم في سنة ٧٧هـ، وفي هذه السنة نفسها كللت جهود المهلب بالنجاح أنه استمر يحارب الأزارقة في شدة ممزوجة بالسياسة والفطنة حتى دبّ الشقاق بينهم، فقد صنع الأزارقة مع زعيمهم قطرى صنيع النجدات مع النجدة، فثار فريق منهم وخلعوه، وولوا عليهم عبد ربه الكبير وبقي فريق منهم مع قطرى ابن الفجاءة، وتحارب الفريقان حتى ارتحل عنهم قطرى مع أتباعه إلى طبرستان، عندئذ كتب المهلب إلى الحجاج أن يوجه جيشا في إثر قطرى، وهو بنفسه حمل على اتباع عبد ربه الكبير حملة شعواء وانتصر عليهم انتصارا حاسما كما قضى على قطرى وأتباعه الجيش الذي وجهه الحجاج إليهم قضاء مبرما. وبذلك انتهت حروب الأزارقة التي استمرت نحو أربعة عشر عاما وخفت أصواتهم. هذأ الخوارج في آخر عهد عبد الملك بن مروان وشمل هدؤهم إلى حد كبير عهدى الوليد وسليمان. وثم إنهم تحركوا من جديد في عهد عمر بن عبد العزيز في زعامة شوذب، ولكنه لم يسلك معهم مسلك عمه عبد الملك، بل عاملهم باللين وحاول إزالة الخلاف بين الفريقين عن طريق الإقناع بالحجة والبرهان، فكان لمحاولته البارعة ومعاملته الطيبة اللينة وسياسته الحسنة أثر بالغ في نفوس الخوارج، إنهم امتنعوا عن الثورات في عهده ونصبوا أنفسهم حماة للضعفاء والمضطهدين بالعراق، ولكنهم عادوا من جديد ورفعوا رؤسهم مرة أخرى، عند ما تصدعت الحكومة المركزية، وأشد فتن هذا العهد هما الفتنتان اللتان قام بإحداهما الضحاك بن قيس الشيباني في العراق وقام بالأحرى يحى الملقب بطالب الحق وأبو حمزة في جزيرة العرب، وانتهت كلتاهما بالهزيمة أمام جيش مروان، فلم يشغله تفكك عرى دولته عن الضرب على أيديهم.

كذلك نرى أن نشاط الخوارج السياسي في العصر الأموى لم يكن إلا عبارة عن ثورات متعددة متفرقة منعزلة بعضها عن بعض، لم يحاربوا حكومة معينة أو حاكما مخصوصا بقدر ما حاربوا كل من خالف معتقدهم وكان على خلاف رأيهم ، فإنهم لم يوفقوا لا إلى فرض مذهبهم السياسى ولا إلى إقرار حكومة حاصة بهم بعيدة الأثر في التاريخ، بيد أنهم أعانوا العباسيين على التسلل في يسر إلى قلب الدولة الأموية .

هوامش :

(١) احسان عباس، شعر الخوارج ٦
(٢) سورة النساء، الآية ١٠٠
(٣) احسان عباس ، شعر الخوارج
(٤) الملل والنحل ١/١٧٨
(٥) البيان والتبيين ٢/١٣٩، ١٤٤، والعقد الفريد ٢/١٦١، الطبرى ٩/١١٠، والأغاني ٢٠/١٠٥
(٦) شعر الخوارج ٧٩
(٧) انظر للتفصيل الملل والنحل: ١/١٧٠ وما بعدها، والفرق بين الفرق ٥٦-٩٥، والخوارج في الإسلام ١٠٣-١١٠
(٨) العقد الفريد ٢/٣٩٧، ٣٩٨
(٩) العقد الفريد ٢/٣٩٧-٣٩٨
(١٠) الطبرى ٤/١٢٦
(١١) المصدر نفسه ٤/١٦٠
(١٢) الكامل للمبرد ٢/١٨٢
(١٣) المبرد، الكامل ١/٢٣٤، والبيان والتبيين ٢/١٤٥، والطبرى ٧/٢١٠، ومروج الذهب ٢/١٢٥
(١٤) خزانة الأدب ٢/٤٤١

☆ ☆ ☆

النقود اطمأن ، ولكن قال: عربة ثيران قديمة يملكها رجل مسلم أحبّ إليّ من عربة فاخرة للهندوس .

كراهيته للطبيعيين

كان هناك رجل عالم يُعْرَف بـ " السيد ممتاز علي الديوبندي " الذي ألّف كتبا وترجم كتبا أخرى ، والذي كان يدير أعمال دار للإشاعة ، بمدينة لاهور – باكستان حاليا – كان أبوه – ذوالفقار علي – سميًّا لوالد شيخ الهند – أديب العربية الكبير الشيخ ذوالفقار علي الديوبندي – وكانت بين أبويهما صلات وطيدة . ولأجل ذلك فكان " الشيخ ممتاز علي " كلما يقدم " ديوبند" يزور فضيلة شيخ الهند . وبالرغم من أن عقائد شيخ الهند كانت تختلف عما يعتقده " الشيخ ممتاز" اختلافا واسعا يساوي الفرق فيما بين السماء والأرض، ولكن فضيلته كان يوليه عناية كبيرة نظرا إلى هذه الصلات ، وإلى حبّه العميق للعلم وأهله . وذات مرة زاره "الشيخ ممتاز" يصحبه شابّان يلبسان المعطف الإنجليزي والنطلون والقلنسوة التركية على رأسهما، فلم يلتفت إليه فضيلته التفاتا ما، وجلسوا على سرير متكسّر. وكان يقول بنفسه: إني كنت أظنّ أنّ الشابين ممن يؤمنون بالطبيعة . غير أن الشيخ " ممتاز علي " عند ما شرح له وقال : إنهما من تركيا، جاءا إلى الهند أخيرا، قام من ساعته وأكرمهما وأتي لهما بكراسي من داخل البيت وأجلسهما عليها.

وفي هذه القصة كفاية لمن يدّعي ويزعم أن فضيلته قد قامت بينه وبين الذين يؤمنون بالطبيعة علاقات . نعم ! إذا لقيه رجلٌ يرتدي هذه الأزياء من حملة عقائد طيبة والقائمين بأعمال صالحة المتألمين للإسلام والمسلمين يقدره حق قدره اعتقاداً منه أنه لؤلؤ فاخر في كومة المهملات ، ويرجو أن الرجل سيسدي خدمات جليلة للإسلام وأبنائه. وبما أن هذه العجالة لا تسمح لأن أسجّل بالمناسبة أمثلةً كثيرةً تنبئ عن شخصية شيخ الهند، وحبّه لكل مَن يخدم الإسلام وأهله أو يتألم على الأوضاع الخطرة الراهنة، وعن كراهيته وبغضائه لمن كان يحمل عقائد باطلة ويأتي نشاطات معادية للدين الحنيف ، فأكتفي بهذه القصة فحسب .

الهوامش :

(١) والحديث بنصه كما يلي :
" عن سعد بن هشام قال: أتيتُ عائشة ، فقلت : يا أم المؤمنين! أخبريني خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت: كان خلقه القرآن، أما تقرأ القرآن " وإنك لعلى خلق عظيم" أخرجه ابن ابي شيبة وعبد بن حميد و ابن المنذر والحاكم وابن مردويه.
(الدر المنثور في التفسير المأثور، ٣٨٩/٦، سورة القلم. وفي تفسير هذه الآية روايات أخر عن عائشة في هذا المعنى. ع ر. قاسمي)

(٢) ونصّ الحديث كالآتي :
"عن أنس قال: أصابنا ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مطر قال: فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فحسر ثوبه عنه حتى أصابه ، فقلنا . يا رسول الله ! لم صنعتَ هذا ؟ قال: إنه حديث عهد بربّه " .
(مصنف ابن أبي شيبة ، ٢٩٠/٥، من كان يتمطر في أول مطرة، الحديث رقم : ٢٦١٧٠، ضبط و تصحيح. محمد عبدالسلام شاهين، ط: دارالكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٦هـ– ١٩٩٥م. وفي الباب أحاديث وآثار عن أنس وعثمان وعلي وابن عباس رضي الله عنهم أجمعين. انظر المصدر نفسه ، الأحاديث رقم: ٢٦١٦٦-٢٦١٦٩. ع. ر. قاسمي)

(٣) " عن أنس بن مالك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: العيادةُ فُواقَ ناقةٍ" (شعب الإيمان، للبيهقي، ٥٤٣/٦، الحديث رقم:٩٢٢٢)

(٤) "عن عبد الله بن مسعود يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا سمر بعد الصلاة إلاّ لمصلّ" أو مسافر" (السنن الكبري للبيهقي، ٦٦٤/١، الحديث رقم ٢١٢٨)
وفي كنز العمال أحالةً إلى مسند أحمد بن حنبل عن ابن مسعود قال: لا سمر بعد العشاء إلاّ لرجلين: لمصلٍّ أو مسافرٍ" (كنز العمال ، للهندي، ٧/ رقم الحديث ٢١٤٨٢)

* * *

بعض جوانب الجمال في اللغة العربية

(٢/٢)

بقلم : معالي الدكتور عبد العزيز عبد الله الحويطر
المملكة العربية السعودية

فالساغب : الجائـع ، واللاغب المُعـي الكالّ ، أو: الجائع التعب .

والمساندة جاءت من تغيير السين في الكلمة الأولي باللام بالكلمة الثانية ، وهذا أدي إلي إضافة معني جديد يختلف عن المعني الأول ، ولكنه يضيف إلي الإطار العام لمعني الجملة ، فيصف حالة الكرب التي عليها الموصوف ، فهـو معنى مقصـود ، ورفـد الكلمة الأولي بالثانية معني صاحَبَه سَنَدُها صوتاً وموسيقى بالثانية، فكملت فصاحة الجملة بأن جاء المعنى المقصود وافياً، تحمله جملة مختصرة، ذات مظهر جذاب، وموسيقى مشنفة للأذن.

ومن أمثلة الإتباع ما رواه الأصمعي إذ قال:

" رجل خيَّابٌ تيَّاب ". (١) .

فالخياب من لازمته الخيبة، فهي كلمة مشتقة من معنى معروف متداول، أما تيّاب فلا معنى قريب لها، وهي إذن زينة للنظر عند القراءة، وموسيقى جميلة في السمـع ، وهي التي ينطبق عليهـا ما قيل مـن سَنْد الجملـة، ووقـوفها وتداً، يثبت الكلمـة الأولى حتى لا تبدو بتراء .

وكما رأينا اختيرت التاء للمغايرة طلباً لنجاح الموسيقى في اللفـظ، وقبــول ذلك في السمـع، لأنـه لم يكن بالإمكان الإتيان بالباء بعد الباء، فيكون هناك من الثقل ما يحبط العمل، ويقصر دون الهدف، أو يدغم الباء في الباء نطقاً .

ومن الكلمات المنتهية بالتاء القول الآتي:

" مُعْفِتٌ مُلْفِتٌ " . (٢) .

والثاني مؤكد للأول، فكلاهما بمعنى اللَّيّ الشديد، أو الدق، وكونه مؤكداً فإن بالإمكان أن يحل الثاني محل الأول دون إخلال بالمعنى، ولو أسقط أحدهما لأغنى الثاني عنه إلا أن ذلك يخل بانسجام الجملة بهما تقر عينها، والأذن يشنف بهما سمعها، والمعنى يقوى بالعنصرين أكثر من التعبير بعنصر واحد؛ فالمتابعة في المثل شكلاً، وبالتأكيد معنى.

ومما جاء في باب حرف التاء من المتابعة القول الآتي:

" إنَّهُ لعِفْريت نِفْريت " (٣) .

وربما قالوا :

" عِفْرِيَةٌ نِفْرِيةٌ للدَّاهِيَة " (٤) .

والعفريت معروف ، والعفريت من الرجال النافذ في الأمر، المبالغ فيه مع خبث ودهـاء، كما شرح محقق الكتاب، أما النفريت فهو إتباع، لا يبدو أن له معنى ؛ وفي هذا المثل كما رأينا، أبدلت اللام نونا، والنون أحد الأحْرف التي تحظى بالقبول عند الإتباع .

وفي حرف الثاء يأتي مثل هو أقوى في اعتباره متابعة ، وقد اختيرت الباء فيه لتكون الوسيلة لجر المتابعة بتؤدة وقبول ، فقيل :

" تَرَكَتْ خَيْلُنَا أرْضَ بَنِيْ فُلاَنٍ حَوْثاً بَوْثاً، إذا

أثارتها " . (٥)

فالحوث كما يبدو هو الحامل للمعنى الأصل، وهو الإثارة ، أما البوث فلا يبدو أن له معنى إلا ما اتخذه بالمجاورة للحوث ؛ فهو كسب معناه منه ، وتساندا ليقوي التعبير ، وتسلك الموسيقى المسلك المرضي للمتكلم والسامع .

وفي الجيم تأتي وسيلة المتابعة أو المزاوجة في القول الآتي :

قال اللحياني: "هو سَمِيْجٌ لَمِيْجٌ، وسَمِجٌ لَمِجٌ"(٦).

والسمج أو السميج : القبيح ، أو الذي لا ملاحة له، واللميج : الكثير الأكل . ولاشك أن اختيار اللام لتحل محل السين في هذه المتابعة، أو هذا التأكيد، اختيار صائب فهي أقرب الحروف في هذا التركيب لوزن الصوت عند النطق بالجملة ، وحسن استقبال الأذن له .

وقد لا تسمح الكلمة بتغيير الحرف الأول عند التأكيد أو المتابعة ، أو قد تسمح ، ولكن ذلك ليس هو الأفضل ، وإنما هناك ما هو خير منه، وأفضل وقعاً، وهو أن يكون الإبدال في حرف آخر، يأتي موقعه في وسط الكلمة أو قريباً من وسطها مثل القول الآتي :

قال اللحياني : " مَا عِنْدَهُ عَلَى أَصْحَابِهِ تَعْرِيْجٌ ولا تَعوِيْجٌ ، أيْ إقامة" . (٧)

ويفرح العربي عندما يأتي معنيان متماثلان ، ولفظاهما متقاربان، ويعتبر أن هذا صيد ثمين، لما في المتابعة من تحقيق أهدافه في التأثير وحسن القبول، فحينما يرى أن معنى "عاج" قريب أو مماثل تماماً لكلمة "عرج" لا يتعدا هما دون أن يزاوج بينهما في كلامه .

وإذاً "الحاجة" يمكن أن يصاغ منها حوجاء، لتكون في معناهـا مثل "لـوجاء" ، فيمكن أن تأتي مرادفة لها، أو مؤكدة، أو لمن لم يعلم بذلك، متابعة لها؛ ولأن العربي مغرم بالملاحة فإنه يمكنه أن يملح هذا النطق ، فيأتي به مصغراً في شطريه فيقول :

" مـاَ لِيْ فِيْـهِ حَـوْجَـاءُ وَلاَ لَوْجـاءُ ، ومـا لي فيه حُوَيْجَاءُ ، وَلاَلُوَيْجَاء" . (٨)

ونأتي إلى قول في هذا المجال مما يعتبره العربي الحريص على جمال لغته، وحسن تعبيره بها، فنجد التعبير الآتي :

" رَجَعَ إلَى حِنْجِهِ وَبِنْجِهِ : أي أصله " (٩).

وفي هذا نلاحظ أن كلمة بِنْجه قد حظيت بالباء التي ترجح في كثير من الأحيان على غيرها في المتابعة؛ وهو ما يجعلنا نشعر أحياناً أن ما يكون الإبدال فيه بالباء هو في الحقيقة والأصل إتباع، كسب مع الوقت المعنى في مجاورته للأصل، وإنه في مثل هذا المثل يرجح عندنا أن "الأصل" "حِنْجة" وأن "بِنْجه" وإن وردت في المعاجم اللغوية تعني الأصل، وإنه بالامكان الإتيان بها، على هذا، وحدها، فإنها في بادئ الأمر جاءت لتكون وتداً يثبت الكلمة الأولى، سرت إليه عدوى "الأصل" مع الزمن فحققت فيه هذا المعنى !

الهوامش :

(١) الإتباع والمزاوجة ٤٦
(٢) الإتباع والمزاوجة : ٤٩، الأمالي : ٢١٨/٢.
(٣) الإتباع والمزاوجة : ٤٩، والأمالي: ٢١٧/٢ .
(٤) الإتباع والمزاوجة .٤٩.
(٥) الإتباع والمزواجة :٥١.
(٦) الإتباع والمزاوجة : ٥٣.
(٧) الإتباع والمزاوجة . ٥٣ .
(٨) الإتباع والمزاوجة : ٥٣ .
(٩) الإتباع والمزاوجة : ٥٤ .

☆ ☆ ☆

صدى انتفاضة الأقصى المبارك

الصهاينة .. منذ مقدمهم إلى فلسطين تاريخهم مليء بالمجازر الوحشية

لم تكن مذبحة الأقصى الأخيرة أول المذابح التي شهدتها المدينة المقدسة طوال تاريخها تحت الاحتلال الصهيوني، فسجل المذابح الصهيونية لأهلنا الأبرياء في فلسطين مليء بالدماء.. فمنذ مقدم العصابات الصهيونية إلى هناك ، والمجازر متواصلة بوحشية وخسة تؤكد همجية هؤلاء الصهاينة ، ولم يردعهم عن ذلك توصلهم إلى اتفاقات ما يسمى بالسلام مع أطراف عربية.

السجل حافل ومُكلّل بالعار ومن الصعب حصر ما فيه من مذابح لكننا سنحاول التوقف أمام أبرز تلك المجازر :

– في ٣١ ديسمبر ١٩٤٧م ، القوات الصهيونية ترتكب مجزرة في بلدة الشيخ ، نوقع ٦٠٠ قتيل فلسطيني.

– في ليلة ١٤–١٥ فبراير ١٩٤٨م ، قامت العصابات الصهيونية بنسف ٢٠ منزلاً مكتظة بمن فيها من النساء والأطفال في قرية سعسع في الجليل .

– في ٣١ مارس ١٩٤٨م، قتلت القوات الصهيونية أعداداً كبيرة من المدنيين في مجزرة قامت بها في قرية أبو كبير بعد أن اقتحمتها .

– في ٩ أبريل ١٩٤٨م، قتلت العصابات الصهيونية ٢٥٤ فلسطينياً من النساء والشيوخ والأطفال في قرية ديرياسين القريبة من مدينة القدس . وباتت هذه المذبحة رمزاً لظلم ووحشية الصهيونية . وقامت مجموعات مشتركة من القيادة الصهيونية الرسمية وعصابتي شتيرن وأرغون بعمليات القتل البشعة ودمرت ما يزيد على ١٥ منزلاً فلسطينيا بالمتفجرات.

– في ١٤ مايو ١٩٤٨م، سقط ٥٠ فلسطينياً على أيدي القوات الصهيونية في مجزرة قرية أبو شوشة .

– في ليلة ٢٣ مايو ١٩٤٨م، قتل الجنود الصهاينة ٢٠٠ مدني فلسطيني بدم بارد في قرية الطنطورة الواقعة على بعد ٣٠ كم إلى الجنوب من حيفا ، وتمت عمليات القتل المروعة للضحايا بسوقهم مجموعة إثر أخرى للإعدام الجماعي. ولم يجر الكشف عن هذه المجزرة وبشاعتها إلا في العام ٢٠٠٠م عندما نشر الباحث اليهودي تيودور كاتس وقائعها التي بقيت حتى ذلك الحين في طي الكتمان. ويسود الاعتقاد بأنّ ما جرى في الطنطورة قد تكرر في العديد من المدن والقرى الفلسطينية، دون أن يبادر الكيان الصهيوني بالاعتراف بذلك.

– وفي ١١ يوليو ١٩٤٨م، ارتكبت المجموعات الصهيونية المسلحة مجازر دموية في مدينة اللد، سقط فيها ٤٢٦ قتيلاً، من بينهم ١٧٦ قتلوا في مسجد دهمش في المدينة المحتلة .

– وفي ٣٠ أكتوبر ١٩٤٨م، جمعت القوات الصهيونية سكان قرية عيلبون في ميدان القرية العام ، وأمطرتهم بالرصاص من الجهات الأربع. وفي اليوم التالي قتلت إسرائيل أعدادا من الشبان الفلسطينيين في قريتي البعنة ودير الأسد.

– وفي ١٤ أكتوبر ١٩٤٨م، ارتكبت القوات الصهيونية مجزرة مروعة في قرية قبية راح ضحيتها ٦٧ فلسطينيا .

– وفي ٢٨ مارس ١٩٥٤م، قتل الصهاينة ١٣ فلسطينياً وجرحوا ١٧ آخرين في مجزرة ارتكبوها في بلدة نحالين القريبة من بيت لحم ، وكانوا قد قتلوا في القرية ذاتها ٥ من الشبان وجرحوا أعداداً أخرى في مجزرة ارتكبوها فيها في ١٣ أبريل ١٩٨٩م ، أي بعد ٤٥ عاماً .

وفي ١٠ أكتوبر ١٩٥٦م، قتل الجنود الصهاينة أكثر من ٧٠ فلسطينيا في قلقيلية. وفي ٢٩ من الشهر ذاته ارتكب اليهود جريمة وحشية في قرية كفر قاسم المحتلة عام ١٩٤٨م قتلوا فيها ٤٩ فلسطينياً بدم بارد بزعم أنهم خرقوا حظراً للتجول .

– وبعد ذلك بخمسة أيام قام جيش الاحتلال بتنفيذ مجزرة واسعة النطاق في خان يونس بقطاع غزة، مما أودى بأرواح ٢٧٥ فلسطينيا .

– وفي الثلاثين من مارس ١٩٧٦م، قتلت السلطات الصهيونية ستة فلسطينيين رداً على مظاهرات قام بها المواطنون الفلسطينيون في فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨م احتجاجاً على اغتصاب أرضهم، وهو ما عرف بيوم الأرض .

– وفي ١٨ سبتمبر ١٩٨٢م، قامت القوات الصهيونية والمليشيا المتعاونة معها بقتل نحو ٣٥٠٠ فلسطيني في مخيمي صبرا وشاتيلا جنوبي بيروت ، وذلك بتورط مباشر لكبار القادة الصهاينة وعلى رأسهم ارئيل شارون ، زعيم حزب الليكود حاليا، الذي تسبب بتدنيسه للمسجد الأقصى في الانتفاضة الأخيرة .

– وفي ٢٠ مايو ١٩٩٠م، ارتكب الصهاينة مجزرة مروعة بحق العمال الفلسطينيين في عيون قارة بفلسطين ٤٨، أوقعت ثمانية قتلى وعشرات الجرحى.

– وفي الثامن من أكتوبر ١٩٩٠م، قتل الجنود الصهاينة ٢١ فلسطينياً وجرحوا ١٥٠ آخرين في مجزرة بشعة ارتكبوها بين المصلين في باحة الحرم القدسي الشريف .

– وفي ٢٥ فبراير ١٩٩٤م، أي بعد خمسة شهور من التوصل إلى اتفاق أوسلو للسلام، أقدم مستوطن يهودي على فتح النيران على الساجدين الصائمين في المسجد الإبراهيمي المحتل في الخليل. وقتل ٢٩ فلسطينيا على الفور برصاصات استقرت في ظهورهم وأعناقهم ، وقام الجيش الصهيوني الذي تغاضى عن المجزرة ، التي وقعت في مكان مقدس في شهر رمضان الذي يعظمه المسلمون ، باستكمالها بعد أن قتلت قواته أكثر من ثلاثين فلسطينياً في الساعات الأولى بعد المجزرة المروعة.

– وفي ١٨ أبريل ١٩٩٦م، قام الجيش الصهيوني بقصف تجمعات مكتظة بالمدنيين اللبنانيين بالقنابل، وما أدى إلى مصرع ١٦٠ لبنانياً من النساء والشيوخ والأطفال على الفور في بلدة قانا.

– ومن ٢٥ إلى ٢٧ سبتمبر ١٩٩٦م، فتح الجنود الصهاينة النيران بكثافة لقمع الغضب الجماهيري الفلسطيني الذي اندلع في أعقاب افتتاح نفق تحت المسجد الأقصى، وأودت الصدامات بحياة ٧٠ فلسطينيا على الأقل .

– وفي العاشر من مارس ١٩٩٨م، قتل جيش الاحتلال ثلاثة من العمال الفلسطينيين بدم بارد في بلدة ترقوميا .

– وفي ١٤ مايو ١٩٩٨م، قتل الجنود الصهاينة ٩ فلسطينيين وأصابوا المئات من المدنيين بجراح في محاولة عنيفة لتطويق مظاهرات نشبت في الذكرى الخمسين لنكبة فلسطين .

– وفي ٢٩ سبتمبر ٢٠٠٠م، قام الجنود الصهاينة بفتح النار على نطاق واسع في ساحات الحرم القدسي الشريف وقتلوا سبعة فلسطينيين وجرحوا ٢٣٠ آخرين على الأقل، جراح بعضهم خطرة ، وامتدت المجزرة أياماً عدة ، فيما بلغت حصيلتها حتى كتابة هذه السطور ٣٥ شهيدا وألف جريح .(مع الشكر للشقيقة المجتمع الكويتية)

جبهة علماء الأزهر .. الجهاد هو السبيل

أهابت جبهة علماء الأزهر في بيان شديد اللهجة رداً على مذابح المسلمين في الأقصى بزعماء وحكام العرب والمسلمين أن يسارعوا بتلبية رغبات شعوبهم في جهاد عدوالله وعدو الجميع، وأن يعملوا صادقين على تمكين تلك الشعوب من حقوقها في الحرية والتعبير المهذب المنضبط تجاه السياسة الأمريكية الرامية إلى إذلال العرب والمسلمين أمام الاعتداءات الإسرائيلية ، لأنه في مقدور هذه الشعوب إن مُكنت من حقها أن تصنع المعجزات.. وأوضح البيان أن جبهة علماء الأزهر– تعلن تمسكها بقرارات مجمع البحوث الإسلامية وكل ما صدر عن المجامع الفقهية بشأن القدس والمسجد الأقصى، وتدعو الأمة إلى أن تتخذ من هذه القرارات ورقة عمل تحكم كل تصرفاتها بشأن النزاع الإسلامي مع الصهاينة المجرمين... وتمنى البيان على زعماء الأمة بأنه حتدا لو لوّح

مؤتمر القمة المزمع عقده في أقرب وقت(١) باتخاذ موقف حاسم من سياسة أمريكا المساندة لإسرائيل وعدوانها المتكرر، إذا لم تقف أمريكا موقفاً محايداً من نزاعنا مع هؤلاء الصهاينة المجرمين، ولن نعجز عن مقاطعة بعض سلعها التي تروّج في أسواقنا ، وبمقدورنا أن نحجّم التعامل معها على جميع الأصعدة والمستويات؛ لأنه لولا أمريكا وحلفاؤها ما كانت إسرائيل.. كما تتوجه الجبهة بنداء خاص إلى رئيس السلطة الفلسطينية السيد ياسر عرفات ومعاونيه بأن يتوقفوا تماما عن حضور جلسات المفاوضات مع العدو الإسرائيلي الذي برهن مئات المرات على أنه ليس أهلاً للوفاء واحترام الغير، وأنها تملك من كنوز الغدر والخيانة وخساسة المعدن ولؤم الطبع ما يجعلها بكل جدارة أهلاً لعزلة عالمية في حاضرها ومستقبلها، مثلما عزلت دول أوروبا اليهود- خاصة أمريكا - في معسكرات نائية عن العمران أثناء وبعد الحرب العالمية الثانية، ثم تخلصوا منهم بتوجيههم إلى أرض فلسطين بمقتضى وعد بلفور المشؤوم.

وأكد البيان على أن استخلاص فلسطين كلها وليس القدس وحده ولا الحرم الإبراهيمي وحده واجب مقدس على المسلمين كلهم، وليس على أبناء الديار الفلسطينية وحدهم، ولا على العرب فحسب، بل هو واجب الأمة كلها، وأي شهيد في هذا الميدان إذا أخلص النية هو عند الله تعالى مع شهداء بدر وأحد، كما أن التنشئة العامة بين جميع أفراد الأمة وفصائلها وتوحيد الصفوف وتنشيط الإيمان ليؤتي ثماره، لهو الطريق إلى تحرير الأمة، ولن تتحرر الأمة حتى تتحرر فلسطين والقدس والمسجد الأقصى، الذي بارك الله حوله حيث سار على هذا الطريق عماد الدين نور الدين زنكي، وبهذا استمسك صلاح الدين، وهم يعدون الأمة والعدة لتحرير المسجد الأقصى والقدس.

القـــرضـــاوي:

أي اتفاق أمني لوقف الانتفاضة الفلسطينية .. خيانة

وصف الدكتور يوسف القرضاوي الاتفاق الأمني الذي تواترت الأنباء عن توقيعه بين بعض المسؤولين الفلسطينيين والإسرائيليين بمساعدة وكالة المخابرات الأمريكية، والذي يقضي بالعمل سويا لوقف انتفاضة الأقصى المباركة بأنه مخالف للشرع، ويمثل درباً من دروب الخيانة... وطالب القرضاوي - عبر برنامج " الشريعة والحياة " بقناة الجزيرة القطرية الأحد ٨-١٠-٢٠٠٠- الجماهير الإسلامية باستمرار مظاهراتها المعبرة عن غضبها حتى لا تجهض هذه الثورة التي انطلقت من المسجد الأقصى، ووصف من يموتون من جراء هذه المظاهرات في أي بلد عربي أو إسلامي بأنهم شهداء ... كما وصف المظاهرات نفسها بأنها باب من أبواب الجهاد لا يجوز التقاعس عنه، خاصة بعد أن أصبح الجهاد الآن فرض عين على المسلمين جميعاً، بعد أن ثبت أن الفلسطينيين وحدهم غير قادرين على حماية مقدساتهم وأعراضهم .

وبرر القرضاوي عدم استجابة بعض الفضائيات العربية لمشاعر الأمة الإسلامية - التي ينزف دمها على أرض الأقصى - واستمرارها في إذاعة برامجها ومسلسلاتها العارية والهابطة- على حد وصفه - بأن ذلك ينبع من توجهات سياسية لدى الأنظمة العربية التي تمتلك هذه الفضائيات، بهدف إخماد جذوة الغضب لدى الرأي العام حتى يخف الضغط الشعبي عليها باتجاه اتخاذ قرارات سياسية لا تريدها، في إشارة منه إلى قرارات المقاطعة الاقتصادية وطرد السفراء والممثلين التجاريين الإسرائيليين وفتح أبواب الجهاد .

فزع إسرائيلي من تفاعل

الجماهير العربية والإسلامية مع الانتفاضة

أبدى عدد من كبار المثقفين الإسرائيليين استغرابهم من مظاهر التأييد والتضامن العارمة التي عبرت عنها الجماهير العربية والإسلامية مع الشعب الفلسطيني إلى جانب العربية والإسلامية مع الشعب الفلسطيني إلى جانب الحساسية الكبيرة التي يبديها العرب والمسلمون إزاء أي ممارسة إسرائيلية تتعلق بالقدس والمسجد الأقصى. فخلال برنامج أذيع الجمعة (١٣-١٠-٢٠٠٠) في راديو "صوت إسرائيل" خصص لمناقشة رد الجماهير العربية والإسلامية على أحداث انتفاضة الأقصى، وشارك فيه عدد من كبار المفكرين والمثقفين الإسرائيليين.

قال المفكر الإسرائيلي ميرون بنفنستي : إن أخطر ما ميز ردة الفعل العربية والإسلامية إزاء ما يحدث أنه يكشف إلى أي حد حجم المعارضة داخل العالم العربي والإسلامي لقبول الأفكار الإسرائيلية والأمريكية بشأن حل قضية القدس .

أما الشاعر والمفكر حاييم غوري الذي يحرص باراك على مجالسته أسبوعيا ويتباهى بحفظ عشرات القصائد من شعره عن ظهر قلب، فقال : ما حدث يظهر الخطأ في الاعتقاد بأنه يمكن أن يتم التوصل لسلام شامل مع العالم العربي. ويضيف غوري " عندما نظرت في شاشة التلفاز ورأيت أن أكثر من مليون متظاهر في المغرب خرجوا للتعبير عن عدائهم لنا عرفت سريعا أن سلاما لن يتحقق، فالمغرب الذي قلنا دوما إنه أكثر البلدان العربية المرشحة لتطبيع علاقاته معنا تخرج منه كل هذه الجماهير لتهتف ضدنا !" .

الدين يوحد العرب والمسلمين

وأضاف غوري : لا داعي لجلد ذاتنا حول مدى مسؤوليتنا فيما حدث، لكن علينا أن نستعد لمواجهة حاسمة أمام المسلمين والعرب، لقد عملنا على فصل القضية الفلسطينية عن بعدها الديني والقومي، لكن خاب أملنا؛ فالدين وليس غيره هو الذي يوحد كل هذه الجبهة العريضة أمامنا، وما دمنا نصر ونحن على ضرورة الاحتفاظ بالقدس، فإن علينا أن نتخلى عن حلم التوصل للسلام؛ فالشعوب العربية لن تدع زعيما مهما كان قادرا على التنازل عن القدس .

وقد وجد (دان مرجليت) الصحافي ومقدم البرامج الإخبارية الشهير في أحداث انتفاضة الأقصى مناسبة لكي يهاجم حكومات كل من رابين وباراك على الرغم من أنه صديق شخصي للأخير؛ لأنها - حكومة باراك - بنت برامجها على عقد اتفاقيات سلام مع الأنظمة العربية الحالية، وتساءل مرجليت عن أهمية التوقيع على معاهدات سلام مع أنظمة نعلم نحن مسبقاً أن شعوبها ستبقى تكن لنا كل هذا القدر من الحقد والكراهية، وأضاف. " على الرغم من أنني من أولئك الذين كانوا يعارضون منطلقات نتنياهو السياسية، فإنني أعترف بأن هذا الرجل استند إلى قاعدة موضوعية تقول: " إن السلام مع الأنظمة العربية الحاكمة لا يستحق أن تقوم إسرائيل بأي تضحية من أجله؛ لأن هذه الأنظمة لا تمثل الشعوب العربية، وكل ما في الأمر أنها تحكمها بالنار ، ففي الوقت الذي تنقلب فيه هذه الشعوب على هذه الأنظمة، فإنها ستنقلب أيضا على الاتفاقيات الموقعة بيننا وبينها ، وأضاف انظروا إلى البون الشاسع بين مواقف الشعوب العربية وحكوماتها حتى تعلموا المأزق الذي ينتظر إسرائيل في حال الرهان على السلام مع هذه الأنظمة .

الشعوب تتصدى لأعوان إسرائيل

وقد أكد (يوآف شتيطيغليتس) الباحث في الشؤون الاستراتيجية أن الجماهير العربية الإسلامية لا تكن العداء لإسرائيل فقط ، بل لكل جهة دولية تبدي تعاطفا معها، ويشير الباحث الإسرائيلي إلى ما تعرضت له المدمرة الأمريكية على سواحل اليمن، مؤكدًا أن الشعوب العربية والإسلامية في حال وقفة مع الذات لن تدع أن تدفع أمريكا فاتورة علاقاتها الخاصة مع إسرائيل، وتوقع أنه في حال تواصل هذه العمليات، فإن دول العالم ستعلم أن التعامل مع إسرائيل يعتبر مخاطرة كبيرة ولن تقدم عليه.

(مع الشكر لرسالة الإخوان اللندنية)

☆ ☆ ☆

(١) وقد انفضت القمة يوم ٢٢/ أكتوبر ٢٠٠٠م = ٢٥/ رجب ١٤٢١هـ بالقاهرة دون أن تتخذ أي موقف مثل هذا تجاه أمريكا التي تقف وراء إسرائيل مساندة قويّة و راعية ومربية كما هو المعلوم لدى العالم كله (الداعي)

أين الغضب أيها العرب !

شعر : سعد خضر

عَهِدْنا المرءَ يَغضبُ إنْ أُهينَا … فَمَا للعُرْبِ ليسوا غاضبينا !
وإنْ غضبوا فَغَضْبَتُهُمْ كلامٌ … وَما جَدْوَى الكلامِ لِمَنْ أُهِينا ؟
فَتاةُ الجِسْرِ إنْ لاكتْ هواناً … شَكَتْ وَأَطْلَقَت الدَّمْعَ السَّخينا
فَهَلْ يَتَساوَيانِ دُمُوعُ أُنثى … وَأفعالُ الرِّجالِ الغاضبينا ؟
يَعيثُ بِأَرْضِنا قِرْدٌ حَقيرٌ … وخنزيرٌ تَذَأّبَ مُسْتَهينا
يَدُوسُ القدسَ وا أسفاً جِهاراً … وَحَوْلَ رُبُوعِها قومي عرينا؟
ولكنْ لا ترى منهم غَيُوراً … كأنَّ القومَ صاروا مَيِّتينا
وَلَمْ المسجدُ الأقصى يُنادِي … وَيَصْرُخُ في جُمُوعِ المسلمينا
ولكن لا ترى إلا نُؤُوماً … تَغافَلَ عَنْ نِداءِ الصَّارخينا
ولا تلقى سوى لاهٍ ضَحُوكٍ … كأنَّ القومَ مِنْ سُكْرٍ عَمُونا
فَحَتَّامَ نُداسُ ولا اعتراض؟! … وحتَّامَ الكلابُ تَعيثُ فينا؟!
وإنْ ثارتْ حفيظةُ ذي شُعورٍ … فَمَدَّ يَدَيْهِ يقْتُلُ قاتلينا
يُطارَدُ مِثْلَ أهلِ الحَزْمِ فينا … وَأهْلُ الحَزْمِ فِينا يُكرَمونا
جُمُودٌ ما له أبداً نظير … كأنَّ القومَ أحْجارٌ سُكُونا
بَلِ الأحْجارُ بالزِّلْزالِ تُبْدِي … تَحَرُّكَها ، وهم مُسْتَسْلِمُونا
ألا غَضَبٌ يُفَجِّرُنا لَهيباً … ونيراناً تُبيدُ المعتدينا؟
أحِلْمٌ والخنازيرُ اعتدتنا؟! … أصَبْرٌ والحقارةُ تَزْدَرينا؟!
هُنالِكَ يُصْبِحُ الحِلْمُ انكساراً … ويُمسِي الصَّبْرُ مُرْذُولاً مَهِيناً
وَيَحْيي العِزَّةَ الشَّمَّاءَ ليثٌ … غَضُوبٌ هائجٌ يَغْزُو الحُصُونا
لماذا ذلك الصمتُ المُهانُ … ونحن رجالُ خيرِ المُرْسَلينا؟!
أ شاخَ سِلاحُنا فغدا حكيماً … يَرى في الصَّمْتِ إحْساناً مُبينا؟!
فلازمَ شَأْنَ رُهبانِ النصارى … حياةَ الناسكين الزاهدينا؟!
سِلاحُ جيوشنا صَدِئٌ ، لأنَّا … تركناهُ بِخَيْمَتِهِ سِنينا
أليسوا الناقضين لكل عهد … وَعَبْرَ الدَّهْرِ كانوا المُعْتَدينا؟!
ألسنا عُصْبَةَ الحقِّ المُفَدَّى؟ … ألَسْنا للدِّيارِ المالكينا؟!
ألستُمْ بالأمين وبالمُثَنَّى … وسَعْدٍ القادسية تفخرونا؟
إذا كُنتُمْ بهمْ أهْلَ افتخارٍ … فما لَكُمْ بِهِمْ لا تقتدونا؟!

☆ ☆ ☆

رامـــي

شعر : عبد الرحمن صالح العشماوي

" رامي جميل الدرة، الطفل الفلسطيني الذي قتله الصهاينه بين يدي والده الجريح .. صورة مأساوية ما تنسى "

يا رامي اِختبئ يا ولدي … وتجنَّبْ قصفهمُ الدَّامي
يا رامي اختبئ من خلفي … ولتَرْشُقْ منهم بعظامي
اختبئ يا ولدي من خَلْفي … لا تنهضْ فالموتُ أمامي
طلقاتُ رصاصٍ ، يا ويحي … ادخل في جسمي يا رامي
احذرْ فالأرض بما صنعوا … تتزلزلُ تحت الأقدام
طلقاتُ رصاصٍ يا ابني … أُسكتْ – يا ولدي – يا رامي
أَفديكَ بروحي يا ابني … اسكتْ – يا ولدي – يا رامي
أحميك بجسمي يا ابني … أُسكتْ – فالله – هو الحامي
احذر يا ولدي قد فتحوا … رشَّاشَ الحقدِ المتنامي
طلقات رصاصٍ صَرخاتٌ … ترسم خارطةَ الآلام
طلقاتُ رصاصٍ وسكونٌ … يتحدَّثُ عن موت غُلام
طلقات رصاصٍ يا ويلي … يا فِلْذَةَ كبدي يا رامي
طلقاتُ رصاصٍ ما بالي … لا أسمع صوتك يا رامي
يا فرحةَ عمري يا ولدي … يا سِرَّ صفائي يا رامي
ما بالُ يديكَ قد ارتختا … ما بالك تجمد يا رامي
هيا يا ولدي لا تسكتْ … لا تقتلْ زهرةَ أحلامي
أنفاسُكَ يا رامي سكتت … سكتتْ أنفاسُك يا رامي
يا أهلَ النَّخوةِ من قومي … مِنْ يَمَنِ العُرْبِ إلى الشام
يا أهلَ صلاةٍ وخشوعٍ … يا أهلَ لباس الإحرام
يا كلَّ أبٍ يرحم ابناً … يا كلَّ رجال الإسلام
يا أهلَ الأبواقِ اجيبوا … يا أهل السَّبْقِ الإعلامي
يا هيئةَ أممٍ مُقْعَدَةً … تشكو آلافَ الأورام
يا مجلسَ خوفٍ أجْنِحَتُهُ … أصبحَ مأجورَ الأقلام
يا أهلَ العولمةِ الكبرى … يا أخلصَ جندِ الحاخام
يا من سكِرتم مأساتي … ورفعتم شأنَ الأقزام
يا أهلَ النَّخوةِ في الدنيا … أو لستم أنصارَ سلام؟
أ سلامٌ أن تُسْرَق أرضي … أن يُقتل في حضني رامي؟
ما بالي ، يتلاشى صوتي … لم أبصرْ جبهةَ مقدام
طلقاتُ رصاصٍ أشلاء … نارٌ كالجمرةِ الإضرام
طلقاتُ رصاصٍ . صُبُّوها … إنْ شئتم في قلبي الدامي
صُبُّوها في هامة رأسي … وجميع عروقي وعظامي
فالآنَ تشابه في سمعي … صوتُ الرشَّاشِ وأنغامي
والآن سيمكث في قلبي … لن يَرْحلَ من قلبي رامي
لن أنسى نظرته العَطْشى … لن أنسى بَسْمَتَهُ الدَّامي
لن أنسى الخوفَ يعلِّقه … بذراعي اليُمنى وحزامي
حاولتُ استجداءَ الباغي … وبعثتُ نداءَ استرحام
لكنَّ ندائي اصطدمت … بجمودِ قلوب الأصنام
هل قتلوا رامي ما قتلوا … فحبيبي مصدَرُ إلهامي
ما زال حبيبي يَتْبَعُني … ويسير ورائي وأمامي
سأجهِّزُ إخوته حتى … يتألَّقَ فجرُ الإسلام

☆ ☆ ☆

درة الأقصى

شعر : د. عدنان علي رضا محمد النحوي

ضُمَّني يا أبي إليكَ! فإنّي ... خائفٌ والرصاصُ حولي شديدُ
ضُمَّني! واحمني! فما زالَ يَنصـ ... ـبُّ علينا رصاصُهُمْ ويزيدُ
لا أرى في يَدَيكَ أيَّ سلاحٍ ... لا ، ولا في يَدي سلاحٌ يُفيدُ
كيف نلقى عدوَّنا عُزَّلاً وهْـ ... ـوَ لديه سلاحُه والحشودُ
أنا من أُمّةٍ نَماها رسول اللـ ... ـه والوحي والكتابُ المجيدُ
غيرَ أنّ الهوانَ رُغْتَ فيه ... نُذُرٌ وَلْوَلَتْ وفيه وَعيدُ
نَزَعَ الذُّلُّ عن مُحَيّايَ آما ... لاً وغابَتْ مَعَ الفضاءِ الوعودُ
ها هم المجرمون! ويحي! وحوشٌ ... نَفَرَتْ وَلْوَلَتْ وفيه وَعيدُ
أقبلوا يا أبي! صبراً! فإنّ اللـ ... ـه يقضي منْ أمره ما يُريدُ
وخذَلنا نحنُ يا بُنيَّ! فصبراً ... كلُّ ركبٍ نَرجو حِماهُ بعيدُ
كيف جئنا هنا وكيف حُصِرنا ... لا أرى ملجأً إليه نعودُ
إنّهُ الله وحدهَ ملجأ الخا ... ئفِ يأوي إلى حماه الشريدُ
عجباً يا أبي لديهمْ سلاحٌ ... فاتكٌ نارهُ لظى ووقودُ
جَرَّدونا نحنُ منه! رَمَوْنا ... ثمّ دارتْ بنا ليالٍ سُودُ
قلتَ لي يا أبي ملايينُ هُمْ في الـ ... أرض، نحنُ المليارُ أو قد نزيدُ
هل يرانا الأرحامُ في الأرضِ؟ هل هـ ... ـنّ أبيٌّ أو مُشفقٌ، أو نجيدُ
أين إخواننا؟! وأين بنو العمْـ ... ـمِ؟! وأين الأخوالُ؟! أين الجدودُ؟!
وتوالى الرَّصاصُ! والموتُ دفّا ... قٌ ودوّى نداؤه المفؤودُ
شدَّهُ خَلْفَ ظهرِهِ واستغاثتْ ... أضلعٌ أو حاجرٌ أو زنودُ
يا أبي! يا...! وغاب منه نداءٌ ... وطوتهُ عنّا فيافٍ وبيدُ
أسكتَتْهُ رصاصةٌ ورَماهُ ... في ذراعَيْ أبيه قلبٌ حقودُ
ضمّه ضمّة المودّع! والدمْـ ... ـعُ لهيبٌ على الهوان شهيدُ
أسكتتهُ رصاصةٌ ثُمّ أخرى ... وطوى صوتَهُ النديَّ حدودُ
رجّعَتْهُ كلُّ الروابي دويّاً ... وصداهُ على الزمان جديدُ
غيرَ أنّ الآذانَ صُمَّتْ فأغفَتْ ... أعيُنٌ دونها ونامتْ جهودُ
ضمّه ضمّةً إلى الصدرِ يَنْسـ ... ـكُبُ فيها حنانُه ويجودُ
الحنانُ الندي! والأملُ الضا ... نعُ ! نبةٌ أمامه ممدودُ
كلُّ ساحٍ مع الضجيج خلاءٌ ... كلُّ دربٍ أمامهُ مسدودُ
أفرغَ الشوقَ قولَهُ فجرتْ ... بالشوق منهُ دماؤه والوريدُ
وابلٌ من رصاصهم صُبَّ! لكن ... رَمَقٌ لم يَزَلْ لديه يجودُ
مالَ للخَلْفِ وارتخى ساعِداهُ ... وارتخى منهُ عزمُه المشهودُ
همَّ! لو يستطيع ضمَّ فتاه ... ودمٌ فائرٌ وشوقٌ يزيدُ
أفلتَ الطفلُ من يديـ ... ـهِ! فضمّتهُ قلوبٌ وفيّةٌ وكبودُ
الشعاراتُ كلها سَقَطَتْ في الأرْ ... ضِ وأهوتْ مزاعمٌ ووعودُ
والليالي تحفّزت لوثوبٍ ... بالمنايا وجُنّ فيها الرعودُ
والرياحُ الهوجاء تَعصِفُ بالأرْ ... ضِ فتهوي شوامخٌ وسدودُ
انهضي! أمّتي! أفيقي ففي الدَّرْ ... بِ دواءٌ يَشيبُ منها الوليدُ

☆ ☆ ☆

حوار في ساحة الأقصى

شعر : د. سعيد شوارب

قد أورقتْ في مدى عينيكِ أسئلتي ... واغرورقتْ في مدى عينيكِ مأساتي
ناديتُها ، وهي بالأحزان ذاهلةٌ ... عنّي ، أذوبُ في أحزانها ذاتي!
من ألف عامٍ وخطواتي مُعذّبةٌ ... كأنّما أنا تاريخُ المعاناة!!
لا تصمتي وأجيبي، من يُغنّي لي ... هذي الصِّحاحَ على كلّ الممرّات
كفّي، ولا تذكري الخنساء سيدتي ... قد كان "صخرٌ" لها، عند الملمّات
لا تخدعيني بصخرٍ أو معاويةٍ ... شتّان ما بين فرّاشٍ وفرّات

☆ ☆ ☆

شتّان ما بين رأيٍ ليس يُغمِدُهُ ... دهرٌ، وما بين تلفيق العلاقات
لو اطّلعتِ علينا حين يأخذنا ... ولّيتِ عن حدَثٍ منّا وفلّات
إذا تبارى، تبارى في مُراوغةٍ ... فاستَغْرَبَ النّاسَ تزييفُ العباراتِ
عجيبةٌ نحن، لا نُحصي مواجعنا ... كأنّنا عقلُ حُسّادٍ وشُمّات
دماؤنا تتلوّى مثل أضحيةٍ ... سخيفةٍ في تواريخ الخُرافاتِ
نمضي إلى الذلّ أعناقاً مطأطأةً ... وفي الكلام، بأعناق الزّرافات

☆ ☆ ☆

أسيرةٌ أنتِ؟ حزني لا يُطاوعني ... مكسورةٌ بينَ ذُلّ الأمس والآتي
فكيف ألقى أبي إن جاء لي أجلٌ ... وكيفَ أحكي لأولادي حكاياتي؟
وكيف ألقى صلاح الدين أو عُمراً ... وكيف أنثُرُ ذُلّي وانكساراتي
أقولُ ملءُ ربوع الأرض مسلمةٌ ... تخطّفَتْها يهودٌ ملءُ حاراتِ
أقولُ مليونُ بئرٍ أترعتْ ذهباً ... مُصِراً ، بين زرّاعٍ وربّات
وكلّها كلّها أو كلّنا اخترقتْ ... عقولَهُ ، فغرقنا في النّفايات
"كم حنّتْ ليلى بأسباب مُلفّقة ... ما كان أكثر أسبابي وعلّاتي!!"
على قميصي دماءٌ منك نازفةٌ ... وفي فمي منك ماءٌ ملءُ باقاتي؟
واسيتُ واسيتُ لو واسى أخو ندمٍ ... وهل ستخدعك في السّلوى مُواساتي
كفّي دموعك ماتَ السيفُ من عللٍ ... حربيةٍ، زادها سخفُ الزحافات
والحرفُ، ما الحرفُ؟ ولّى الحرفُ من زمنٍ ... وأصبح الفنُّ تزييفَ البُطولات
فجاء أشعر فنّانٍ أبو لهبٍ ... تبّتْ وأمُّ جميلٍ في الحكيمات
كلُّ الحكايا عن الإسلام قد سقطتْ ... في القُدسِ، وانكشفتْ كلُّ الرّواياتِ

☆ ☆ ☆

صُوغي نشيدكِ من نارٍ ومن غضبٍ ... فأنتِ أشعرُ مَن في الأرضِ، مولاتي
أمَّ المدائن، يا أمَّ الأُلى زرعوا ... في جَبهة الدّهرِ يوم الفتحِ راياتي
على مآذنها كلُّ العصورِ صحتْ ... وفي هُداها التقتْ كلُّ النّبوّاتِ
رسالةٌ لكِ يا أمّي ويا أملي ... يا قدسُ . يا قدسُ يا أمَّ الرّسالاتِ
قومي إلى الحجر القدسي سيّدتي ... وكبّري، ودعي وهمَ الشّعاراتِ!
يا طفلةً ملأتْ بالصخر حُجرتها ... لأنتِ أمّي، وأمُّ المجد لبّاتِ
خُذي حزامَك للأحجار أوردتي ... وصيحةَ الغضب المكظوم آهاتي!
صارتْ حجارتُكِ الشمّاءُ عاصمتي ... وصرتِ عاصمةَ الإبحار في ذاتي
ضُمّي عيونَك في آمالهم شُهُباً ... زُرقاً، وقولي لأصحاب الحداثات
إنّي لأبصرُ خلفَ الليل ألويةً ... خُضراً، وما كذبتْ يوماً نبوءاتي!!
من كان يا سادتي منكم بلا خطأٍ ... فليرمِ لي حجراً في يوم مأساتي!!

☆ ☆ ☆

شهداء

شعر : شريف قاسم

طاب الجنى فتنفّسي الصُّعداءَ
واسقي الجهادَ دماً جرى، شهداءَ
ياقدس يا مهوى القلوب تهللي
بشراً فما ردُّ الفخارُ فداءَ
والوعدُ – يا صيد الأباة – نبيّه
أرجاه وحياً صادقاً يتـراءى
فاسقيها قيماً تتيهُ ورفعةً
تسْمُ الدروبُ بقدسها إسراءَ
ودع الرصاص مغردًا لم يثنه
عصفُ النواح على القتيل مساءَ
ها هم يشمُّون الطيوب فلم تجدْ
في صدر كوكبة الفدا أشذاءَ
نادوا وزمجرةُ الوحوش عواصف
لبيك حيث وحدتنا أنواءَ
تسقي الربيع قلوبنا فلعلنا
نجد البساتين الجواءَ رجاءَ
تطوي مناحلنا الأذى وتردُّ عن
ظلِّ القباب سيفنا الأعداءَ
كبّرْ وقل للمجرمين بأننا
لم نرضَ إلا للجهاد ولاءَ
ملّتْ حناجرُنا الهتاف وكم علت
أصواتُ من جنعوا لهم جوفاءَ
فالموت أحلى من حياة لم ترد
منهجاً خلت في التيه إلا داءَ
فاخرج بنا لحياضه إذ لم نرد
في ظلّ تبر يهودها استرخاءَ
لم يطفئ وهج الجهاد ولم يمت
فرسانه فاستعتهم أشلاءَ
قُتلوا على باب المصلى إنهم
باتوا يمدون الرجاءَ رجاءَ
في غرة الشهر المحرم أحرموا
فخراً على ابن النبي واستعلاءَ
يتتنسرُ الجبناءُ إن خلت الربا
يغدون في جنباتها سفهاءَ
و لم البنادق أم أفاعي حقدهم
ظهرت على أكتافنا رقطاءَ
من ذا يردُّ عتوَّهم لهلاكهم
ويسوقهم يوم اللقا تعساءَ
قد قيل: ناموا، ثم قيل : تفرقوا
وتخاذلوا واستسلموا أنصاءَ
واستدبروا في العصر كلَّ كرامة
واستقبلوا التهريج والغلواءَ
حتى شبعنا من مقالات الونى
وتفجر البركانُ لما ناءَ
الله لا يرضى لنا إلا الهدى
والعزَّ بالإسلام والعلياءَ
فلتلتهبْ في القدس ملحمة الفدا
وليرتوِ الأقصى دماً إرواءَ

☆ ☆ ☆

أمانة في أعناق المسلمين

شعر : محمد أمين أبوبكر

دماءُ جراحنا في كلِّ نادي ... على الغبراء تعصفُ في فؤادي
تطوفُ على بطاحِ الحزنِ نهراً ... تضج له الحواضرُ والبوادي
فكمْ في غابةِ الآلام ثكلى ... تولول بين أطلال العمادِ
براق المصطفى في القدسِ نادى ... من الأعماق حيَّ على الجهاد
ومسرىً سيِّد الثقلين فيها ... تصارعه أعاصيرُ العوادي
بكت حطينُ لعلع في رباها ... نداءٌ يصطلي نار الأعادي
وفتشت البلادَ لعلَّ فيها ... هماماً جاز سور الانقياد
وعادت والأسى في مُقْلَتَيْها ... تصوغ حروفه سود الأيادي
أبعد وثيقة الفاروق تغدو ... مراتع كلِّ شُذَّاذِ البلاد؟
ونزعم أننا نمضي أسوداً ... إلى الهيجاء في يوم التنادي
وفينا الصارمُ البتّارُ دوماً ... يقود البلق شامخة الهوادي
ولكن الأباة اليوم عميٌ ... عن الأقصى المغطَّى بالسوادِ
وصمٌّ عن رصاص الموت فيه ... يزمجر بالسواري والغوادي
فلولا الموتُ لم يعرف سوه ... هدوءَ النوم أو طعم الرقادِ
فكم ألفوا معاقرة المنايا ... وكم ناموا على شوك القتادِ
ونحن اليوم نرمقه بعين ... خلاياها من الصم الصلادِ
ترى في كل شبر من ثراه ... مزارع للنوازل والنآدِ
تـرى أشلاء أمتنا حُطاماً ... يُباع هناك في سوق الكسادِ
يضجُّ الكونُ بالمأساة ذرعاً ... وتسهل بين أشباه العباد
فراعنة العوالم لن يبالوا ... إذا الحاخام أمعن في التمادي
ومجلس "رعبهم" يحنو عليها ... مع البلوى بداهية دآدِ
وشامير تبجّح في حمانا ... وطالبنا بإلغاء الجهادِ
فهل ثارت سيوفُ الحقِّ فينا ... وهل صهلت بنا بلقُ الجيادِ
وهل أدمى القلوب على ثرانا ... أنين ممزق ونداء صادِ
ترى أبناء أمتنا لهيباً ... على العربي إن نادى المنادي
إذا إخوانُهم عطسوا بليل ... أصابعهم تنام على الزنادِ
يسوقون الجحافل والمنايا ... إليهم مثل أسراب الجرادِ
وإن حُمّت على الأقصى الرزايا ... ونادى القوم نوحي بالجهادِ
دماء القدس وا حزناه فينا ... على الغبراء تملأ كل وادِ
فأين كتائبُ الفاروق عنها ... تصبِّحها بعمرو أو زيادِ
وأين النخوةُ الشمّاءُ فينا ... وأين خيولُ بكرٍ أو إيادِ؟!

☆ ☆ ☆

الأوضاع تعود إلي طبيعتها في مدينة " مئو ناث بانجن "
بعد أن بقيت تلتهب نيران الاضطراب الطائفي فيها طوال أسبوع

إعداد : أبو عفيفة القاسمي

انفجر الاضطراب الطائفي في ٨/ تشرين الأول الغابر في مدينة " متوناث بانجن " المعروفة بصناعة الملابس القطنية والحريرية بولاية " أترا براديش " وذلك عندما تفجرت مادة ناسفة في إحدى الشاحنات التي كانت تحمل تماثيل آلهة الهندوس ولا سيما تماثيل "درغا ديوي" زوجة أحد آلهتهم ، والتي كانت تتوجه بها إلى نهر يجري بالقرب بالمدينة حيث كان من المزمع أن يتم طقوس تبريد التماثيل وطرحها في النهر. وأدى الانفجار إلى إصابة ولد هندوسي بالجروح. وما إن تفجرت المادة في الشاحنة حتى ساد المدينة كلها جوّالعنف الطائفي وثار الهندوس المساهمون في المسيرة غضبا على المسلمين ونهبوا عديدا من دكاكين المسلمين وأحرقوا كثيرا منها وقد سبق ذلك بثلاثة أيام أن وضع أبناء الطبقة المنبوذة الهندوس تمثالاً في ظلمات الليل في أرض لأحد أحفاد المحدث الكبير "حبيب الرحمن الأعظمي رحمه الله " ولما أصبح هو و الآخرون من مسلمي الحيّ أبلغوا الأمر السلطة المحلية التي سارعت إلى إزالة التمثال. فأشاع أبناء الطبقة المنبوذة من الهندوس دعايات مكثفة ضد المسلمين بأنهم هدموا تمثالاً لآلهة الهندوس وحالوا دون وضعه في مكانه، ما جعل الجوّ متوترا للغاية. ولّما انتشر نبأ التفجير في إحدى شاحنات المسيرة تحولت المدينة إلى أتون نيران الاضطراب المتأججة وأسرعت السلطة إلى فرض حظر التجول على كافة أحياء المدينة، وانتشر رجال الشرطة في شوارعها وأزقتها باسم الحفاظ على أمن المدينة، والحيلولة دون اشتعال نيران العنف ، وحطموا بوابات عديد من الحوانيت ونهبوا كل ما كان فيها .

ثم جاءت نوبة الاعتقالات العشوائية وانتهزت الشرطة الفرصة لتحقيق أحلامها القديمة فداهمت بيوت المسلمين ليلا وهم نائمون وألقت القبض على خمسين شاباً مسلما من شتى أحياء المدينة والحارت تماما للهندوس علىعادتها المعروفة في مثل هذه الاضطرابات، فلم تعتقل منهم إلاّ خمسة رجال لتتمكن من إلقاء الستار على عمليتها العدائية للمسلمين ، كما شددت الرقابة على أحياء تسكنها أغلبية المسلمين ، ولم تسمح لأحد منهم بالخروج من البيت ، مهما مسته حاجة أكيدة ، بينما أغمضت العيون عن أحياء الهندوس، وتركتهم يتجولون في الشوارع ينهبون دكاكين المسلمين فيها . وحسبما صرح أبناء المدينة بأنفسهم بأن العناصر المشاغبة الطائفية من الهندوس وضعوا تماثيل في بعض الأماكن ، ثم هدموها بأيديهم بهدف تشويه سمعة المسلمين وإثارة السخط في قلوب الهندوس ضد الأقلية المسلمة ، وذلك كله على مرأى ومسمع من الشرطة التي لم تتخذ خطوة ضد الهندوس ، وإنما سمحت لهم بهذا كله وساعدتهم على هذه العمليات الاستفزازية .

وبالرغم من أن السلطة المحلية اعتقلت أكثر من خمسين رجلاً معظمهم من المسلمين تفيد المصادر الحكومية بأن المشاغبين الذين كانوا من وراء الاضطراب لم يتم اعتقالهم من بعد، غير أنها لم تذكر أسماء الذين تعدهم عناصر إجرامية ولكن يبدو من عمليات إلقاء القبض على المسلمين وحدهم أن الشرطة تأتي بما تأتي به في ضوء ما يوحي إليها رجال يحملون نظرية خاصةً ويحلمون بعاقبة سيئة للمسلمين

وبعد أن رفعت الشرطة قانون حظر التجوال عن المدينة تتابعت تصريحات الزعماء والساسة وأتهمّ زعماء حزب "ب ج. ب." الهندوسي الحاكم في الولاية بأن مصلحة المخابرات السرية الباكستانية هي التي أشعلت نيران الاضطراب الطائفي في المدينة بمساعدة فعّالة من بعض المنظمات الطلابية الإسلامية ، على حين اعترفت السلطة المحلية بأن المساهمين في المسيرة كانوا يحملون معهم مواد متفجرة بينما يرى زعماء حزب "سماج وادي بارتي " الذي يرأسه "ملايم سينغ يادو" أن زعماء الحزب الهندوسي الحاكم والعناصر المعادية للمجتمع كانوا يسعون منذ مدة خطة خبيثة للتلاعب بأمن المدينة والقضاء على الانسجام الطائفي فيما بين أبنائها على شتى طبقاتهم ودياناتهم.

وقالت المنظمات والجمعيات الإسلامية والهندوسية العلمانية بكلمة واحدة إن العناصر الطائفيين من الهندوس هم الذين كانوا من وراء إشعال الفتنة وكانوا قد وضعوا المادة المتفجرة لنفس الغرض في احدى الشاحنات التي كانت تذهب بتماثيل آلهة الهندوس إلى النهر. ومن بين العلماء والقادة المسلمين الذين ندّدوا بالهندوس المتطرفين فضيلة الشيخ "السيد أسعد المدني" رئيس جمعية علماء الهند الذي بعث برسائل إلى كلّ من حاكم ولاية أترا براديش، ورئيس الجمهورية ، ورئيس لجنة الأقليات لعموم البلاد ، وطالب من خلالها بأن تفرض الحكومة الحظر على العمليات والنشاطات التي يقوم بها الطائفيون بإيعاز ورعاية من أسرة "آر. إيس. إيس"، وأن تراقب على كافة نشاطاتهم ، وتأتي بخطوات لازمة لإعادة الأمن والسلام إلى المدينة المنكوبة بالاضطراب الطائفي ، والإبقاء عليه في البلاد كلها

ومن جهة أخرى اشتعلت نار الاضطراب الطائفي في مدينة أخرى تُعرف بـ " بهار شريف" بولاية "بهار" التي يحكمها حزب "جاناتا دل " الذي يرأسها الزعيم العلماني الشهير " لالو براشاد يادو" وتفجر الاضطراب عندما حاول المتطرفون من الهندوس وضع حجر الأساس لمعبدهم في قطعة أرضية تملكها هيئة الوقف الإسلامي بالولاية ، فحالت الشرطة دونهم وحاولت إقناعهم ، ولكنهم بدل أن يقتنعوا بموقفهم الخاطئ ويرجعوا عن إرادتهم أخذوا يرمون رجال الشرطة بالحجارة ، وهجموا على المقر الحكومي الذي يسكنها قاضي المدينة . فأطلقت الشرطة الرصاص على الهندوس تبديدا لجمعهم . ما أدى إلى هلاك رجل وإصابة آخرين بجروح . وبما أن الحكومة الإقليمية اتخذت موقفا حازما ضد المشاغبين ، وأصدرت إلى السلطة المحلية

أمرا باتخاذ عمليات رادعة ضدهم إبقاء على أمن المدينة وصيانة لأرواح وممتلكات الأقليات فأخمدت نار الفتنة قبل أن تشتعل اشتعالا عنيفا ، وقُضيَ على الشر قبل أن يستفحل .

الجمعيات والمنظمات الإسلامية تستمر في عقد تظاهرات شعبية ضد الاعتداءات الإسرائيلية ضد الفلسطينيين

منذ أن تفاقمت عمليات إسرائيل التعسفية الوحشية التي تسببت في هلاك أكثر من مائة وإصابة عدد لا يستهان به من الفلسطينيين الأبرياء الذين يعيشون في أرضهم التي وُلدوا بها ووطنهم الذي ترعرعوا فيه غرباء، تحولت الأحزاب والجمعيات المسلمة في البلاد احتجاجاً عنيفا وتظاهرة ثائرة ضد اعتداءات إسرائيل الغمية، ونددت بها أشد تنديد. وكانت في طليعتها " جمعية علماء الهند " التي نظمت تظاهرة شعبية حاشدة في مقرها الرئيس بمدينة "دهلي" تحت إشراف رئيسها فضيلة الشيخ "أسعد المدني" الموقر عضو البرلمان سابقا، وذلك في ٢٣/ تشرين الأول الماضي، حضرها جمع كبير من مسلمي "دهلي" و شتى أحيائها. وقال فضيلة الشيخ المدني – وهو يتحدث إلى التظاهرة –: إنه قد آن الآوان لاتخاذ خطوات عملية صارمة في سبيل إيجاد حلّ دائم للقضية الفلسطينية. وتابع قائلا: إن الخمسين عاما الماضي مليء بخداع إسرائيل وتمزيق الثقة المتبادلة ، وإن التكلان في ضوء هذه التجربة المريرة على أمريكا وإسرائيل في خصوص القضية يُعَدُّ خداعاً للمسلمين أنفسهم. وأضاف متحدثا : أن قضية فلسطين لا تزال تبقى كقضية هامة أساسية في أفق السياسة العالمية منذ نصف قرن غابر، وإن شجيرة الظلم والاعتداء التي تم غرسها في أرض فلسطين قبل اثنين وخمسين عاما تحولت شجرةً متشعبة الفروع والأغصان في شكل الحكومة الإسرائيلية الغاشمة.

هذا وقد قال فضيلة رئيس الجمعية : إن إقامة حكومة إسرائيلية في أرض فلسطينية ليس أنها ألحقت أضراراً لا تُعَوَّضُ بالنسبة للفلسطينيين وحدهم، وإنما تضررت بها الدول والإمارات العربية كلها واهتزت أعمدة سياستها واقتصادها وحضارتها اهتزازاً عنيفا، يذهب بقوى الدول العربية في مواجهة سرطان إسرائيل العضال ذهاب السيل الجارف بالأعشاب . واستمر قائلا: إن هناك ناحية مؤلمة تجدر بكل تنديد و استنكار وهي أن الولايات المتحدة الأمريكية تقف بجنب الحكومة الإسرائيلية في كل ما تقوم به، أضف إلى ذلك الدور المؤسف الذي لعبت به " الأمم المتحدة" في خصوص القضية . فإن الأمم المتحدة التي تسارع لأحل أتفه أمر إلى فرض القيود على الدول الأخرى لم تُرْزَقْ لاتخاذ أية خطوة فعالة ضد إسرائيل من بعد . وذهب قائلا : إن أمريكا هي التي كانت قد مارست سياسة الضغط للتوصل إلى اتفاقية خلال حرب الخليج في عام ١٩٩١م أكدت أن حكومة فلسطينية حرة سوف تقوم إثر مدة خمسة أعوام موقتة ، ولكن الوضع ليس أنه يبقى كما كان بعد مرور سبعة أعوام وإنما تشهد أرض فلسطين سلسلة مريرة من الاعتداء والقتل والفتك .

كما طالب رئيس الجمعية القوى العالمية الخاضعة للإسلام والمحبة للأمن كافة بأن تدين باعتداءات إسرائيل على الفلسطينيين، وأن تضغط عليها حتى تمتنع عن الاعتداء وتعمل بالاتفاقية، ومن جهة أخرى طالب الحكومة الهندية بأن تتبنى من جديد السياسة القديمة الخارجية التي مازالت البلاد متمسكة بها قبل أعوام في خصوص القضية، وتناصر الفلسطينيين في قضيتهم العادلة .

وقد اتخذت التظاهرات قرارات وتوصيات هامة طالب من خلالها الدول العربية بأن تتبنى موقفا متحدا صارما، وتقطع عن إسرائيل علاقاتها الاقتصادية والدبلوماسية وقال الشيخ "محمود المدني" نجل رئيس الجمعية ، والأمين العام لها: إن إسرائيل تقوم بهذه الاعتداءات ضد الفلسطينيين بإيعاز من الولايات المتحدة الأمريكية، ونحن إذ نُدين بالسياسة الأمريكية الوحشية هذه نطالب من جديد بأن تُجعل فلسطين دولة مستقلة تضم المسجد الأقصى وبيت المقدس. وأعرب – وهو يثني على الموقف الذي تبنته الدول العربية تجاه إسرائيل – عن يقينه بأن إسرائيل سوف تُضْطَرّ لأن ترجع إلى عشّها القديم إذا استمرت الدول العربية في سياستها هذه .

وكان من المزمع من ذي قبل أن الجمع الحاشد سيتوجه إلى مكتب الأمم المتحدة بمدينة دهلي الجديدة، غير أن الشرطة فرضت الحظر ونفّذت بند ١٤٤ الذي يقضي بأن لا يجتمع في مكان أكثر من ثلاثة رجال، فبقي الجمع في مقرّ الجمعية، وتوجه فضيلة رئيس الجمعية برفقة نجله الأمين العام للجمعية إلى المكتب، وقدّم إلى ضابط الأمم المتحدة الإقليمي مذكرة تضمّ التنديد بإسرائيل .

☆ ☆ ☆

في تصريح لأحد زعماء حزب " ب ج ب "

قضية بناء معبد راما في مدينة " أجودهيا " تبقى حيّةً اليوم كما كانت أمس

قد أعلن في ٣٢/ سبتمبر المنصرم المستر " وِني كتيار " عضو البرلمان والأمين العام لحزب " ب ج ب" أن قضية بناء معبد راما في "أجودهيا" تبقى في جدول الأعمال للحزب كقضية هامة جذرية للغاية وأكّد أنه ينبغي أن يُوجدَ حلٌّ لها خارج المحكمة ، حتى تيسر للهندوس بناء المعبد. كما صرح أن قضية المعبد لن تفقد أهميتها أبداً مهما كانت الأوضاع ومهما تبنّت الأحزاب السياسية حلولا سياسيا لها ، ولا سيما لولاية أترابراديش ، فإن القضية يوليها حزب "ب ج ب" بالولاية مكانةً هامّةً في هذه الأيام كما كانت تعدّها هامّة في الأيام الخالية . وأوضح دونما التواء أنّ تنازل الحزب عن القضية مدفوعاً بضغوط الأحزاب الأخرى التي تتحالف مع الحزب لا يعني عن أنه قد تناساها أو رمى بها وراء ظهره .

وهنا يجدر بالذكر أن زعماء في الحزب قد سبق أن أدلوا بتصريحات مرة بعد أخرى ولا يزالون يعيدونها حيناً لآخر يحاولون من خلالها إقناع البلاد ولاسيما الأحزاب المتحالفة مع الحزب في الحكومتين : المركزية والإقليمية بأن قضية المسجد البابري ومعبد راما لا تتصل بالحزب في قليل ولا كثير. وبجانب ذلك يصرّح زعماء له آخرون بأن الحزب متقيد بإيفاء وعده الذي أعطاه الشعب الهندوسي خلال الانتخابات البرلمانية الماضية في خصوص بناء معبد هندوكي على أنقاض المسجد البابري، وبأن الحزب زعماءً وأعضاءً خادم وفيّ لأسرة آر. إيس. إيس يعمل لصالحها ولتحقيق أهدافها وأحلامها في شأن تحويل الهند دولةً هندوسيةً . وقد تحدث رئيس الوزراء المستر باجباي إلى مناصري المجلس الهندوسي العالمي – V.H.P. – في " نيويارك" أخيرا، أكّد على أنه خادم للأسرة أوّلا وقبل كل شيء. وهذه كلها تنبئ عن سياسة الحزب المزدوجة لتضليل الرأي العام في الهند وخارجها .

☆ ☆ ☆

الأدب وعلاقته بالبيئة ..

(٢/١)

بقلم . معالي الشيخ عبد العزيز عبد الله السالم
الرياض – المملكة العربية السعودية

يرتبط الأدب بالبيئة عبر وشائج متينـة وصور عديدة، فالمنطلقات الأدبية شعراً ونثراً: تعكس لون البيئة التي من المعلوم أن لها تأثيرها المباشر في حياة الأفراد والجماعات وفي جميع عناصر الطبيعة التي تطبعها بطابعها وتضفي عليها لونها وطبيعتها، ويمتد هذا التأثير شاملاً كل العناصر ابتداء من الجماد حتى الإنسان، ولذلك نلمس الفوارق الكبيرة بين البيئات العربية والبيئات الشرقية.، كما نرى الاختلاف الواضح في الطباع والسلوكيات والتوجهات بحسب بيئة كل أمة وكل بلد، وإذا كان تأثير البيئة ينسحب على كل هذه الأصناف أو العناصر فإنه ينسحب كذلك على ما يصدر عن الإنسان الذي سخّر الله له ما في الكون وعلّمه مالم يعلم، فإنه يتأثر بالعوامل البيئية في مجالات حياته كلها، وأهم هذه المجالات مايتصل بالثقافة العامة والآداب في شموليتها، وعلى أساس هذا التصور نلمس التاثير المباشر للبيئة متمثلاً بصفة خاصة في السلوكيات الاجتماعية والفنون الأدبية.. وإن كانت هناك عوامل مشتركة تنتظم صور الأدب بحكم عالميته. إلاّ أنه في واقعه يمثل البيئة التي يصدر عنها تبعاً لتأثر المبدع بما يحيط به من مظاهر بيئية تتمثل في إطار المكان كما هي كذلك في إطار الزمان، فإذا كان لكل عصر همومه وطابعه ومستوياته الفكرية والعلمية والثقافية، وتطوراته التقنية والحضارية والاجتماعية، فإن للمكان – الذي يمثل البيئة – أثره في تلوين الإنتاج الأدبي في مجالاته المختلفة وحسب ألوانه المتعددة من نثر وشعر على أي صورة من صور الإبداع وعلي أي نوع من أنواع العطاء. سواء ما يتمثل في بناء رواية أو إنشاء قصيدة أو كتابة مقالة أو أي وجه آخر من وجوه الكتابة في عمومها وعلى إطلاقها في نطاق الآداب العامة وفي نسقها العام.

والأدب في مفهومه الشامل كما أنه يدل في أسلوبه ومنحاه على ارتباطه بالزمان في عصر من العصور فإنه كذلك يدل على المكان الذي انطلق منه بما ينطوي عليه من سمات وملامح لها اتصال بالبيئة التي عاش فيها الكاتب أو الشاعر أو الروائي أو أي فرد كان الأدب أحد همومه أو أحد مقاصده واهتماماته على أي لون من ألوانه المتنوعة، ويأتي الأسلوب أيضاً مستمداً من البيئة نفسها حيث تترك الانطباعات النفسية ظلالها ومؤثراتها على الصورة المنطبعة في الذهن والتي تتشكل منها روافد العطاء حينما يتجه لإبداع فن من الفنون القولية أو التشكيلية مهما كان تباين مضامينها وتنوع غاياتها.

☆ ☆ ☆

وقد جاء تقسيم الأدب العربي – وأظهر أنواعه

بقيـة " إشـراقـة " المنشـورة علـى ص ٤٨

الإيمان ، تابعنا أنباء الاشتباك الدائر بين الصهاينة الفجرة الكفرة الفسقة أراذل البشر وبين الفتية الذين آمنوا بربّهم وزادهم ربّهم هدى .

وا لله العظيم ، غلى الإيمان في قلبي ، وانهمرت الدموع من عينيّ ، و لامتني نفسي آلافَ المرات ، وعيرتني حقًّا بأني لا أقدر إلاّ على رصف هذه الكلمات المتقطعة المنثورة المتكسرة ، قابعاً في حجرة آمنة ، بعيدة آلاف الأميال عن أرض المعركة ، وساحة الوغى ، وموقف الموت الزؤام ، ومشهد الملحمة الإيمانية ، ومعمل الفرز البشري ، ومختبر العقيدة والغيرة ، والمحكّ القائم لوضع الفرق بين المعادن الإنسانية والهمم الدينية.

صغار الإسلام يتسابقون إلى الموت بأسرع مما كانوا يتسابقون إلى اللعب الثمينة والدمى الزاهية الأشكال الصارخـة الألوان .. يتسابقون إلى الشهادة ، إلى الحياة الأبدية ، إلى المرضاة الربانية ، إلى الحورالعين ، إلى جنـة عرضها السماوات والأرض ، إلى شراء أنفسهم ابتغاء رضي ا لله الذي لا تعدله قيمة على وجه الأرض مهما غلت وعلت .

لقد أكّد د . رياض الزغنون وزير الصحة الفلسطيني أنّ التحاليل والدراسات التي أُجْرِيَتْ على نوعية وتركّز الإصابات التي نتجت عـن إطلاق الصهاينـة الرصاص على الفلسطينيين ، بيّنت أن نسبة إصابة الأطفال تحت سن ١٨ تتراوح ما بين ٥٢٪ إلى ٦٠٪ .

من الذي علّم هؤلاء الصغار درس الغيرة والإيمان ، والتسابق والتدافع للموت في سبيل الدفاع عن الدين ، عن المقدسات ، عن الأرض المباركة ، أرض الإسراء والمعراج .. من الذي أشعل قلوبهم بجمرة اليقين وجذوة الجهاد .. من الذي عمر صدورهم بالحسّ الإسلامي الفاعل ، والقوة الإيمانية الدافعة ، في العصر الذي أُعْمِلَتْ فيه جميعُ حيل العلمنة والعولمة لتفريغ قلوبهم وعقولهم من جميع شحنات العقيدة ، حتى يعودوا باردين لا يحرّكهم حادي الإيمان وداعي الإسلام ومنادي الجهاد .

إن ربّ رافع بن حديج وسمرة بن جندب ومعوذ و معاذ ابني عفراء رضي ا لله عنهم هو الذي أفعم قلوبهم بالإيمان ، وزيّن في قلوبهم الرغبة في الجهاد من أجل الدفاع عن أرض الإسلام ، وكرّه إليهم التقاعد والتقاعس رغم جميع محاولات المطبّعين و المطبّلين من عشاق الجاه والكرسي وطالبي العزّ الزائل على أشلاء الأبرياء من بني جلدتهم .

* * *

إن استشهاد أطفال ١٨، و ١٢ عاماً ، و ٩ أعـوام ، أعاد إلى ذاكـرة الأمة الإسلامية أيام المجد والفخار التي ظلت تعايشها في فترات من الزمن ، عندما خاضت الجهاد الصادق ، وقدّمت فيه نذور الدم الزكي ، من أجل الدفاع عن المشاعر والشعائر و حرمات الدين .

شباب وأطفال فلسطين خاضوا عبر أيام وليالي الأسابيع الماضية معركة اللحم ضد الحديد ،

والحجارة ضد الدّبابات والطائرات والصواريخ والآلية العسكريّة الضخمة .

إنّ الحجارة لا تُقَاوِم الرصاصَ المُسَدَّد إلى الصدر العاري البريء ، ولكنه حيلةُ العاجز ، حيلةُ المؤمن الغيور على عرضه الذي حاول أن يسطو عليه فاسق مسلّح ماكر خبيث ، وقعد عن نصرته " الكبار " الذين بأيديهم جميع إمكانيات الردّ بالمثل أو بأكثر منه .

☆ ☆ ☆

وإذا كان استشهاد أكثر من ١٢٠ فلسطينياً ، في هده الانتفاضة المباركة ، لحد كتابة هذه السطور ، أمراً خطيراً ، جعل الأمة تشتعل حماساً واتحاداً وتضامنًا وترابطاً – ما عدا القادة والساسة الذين تحجرت قلوبهم وعقولهم وأفكارهم ، والذين دائماً يعيشون في واد غير الذي يعيش فيه الجماهير المسلمة في العالم – فإنّ القتل المتعمد للطفل " رامي محمد جمال الدرة "– ١٢ عاماً – كان الأصرخ دلالةً على العقلية الصهيونية الإجرامية ، و الوحشية النادرة التي يمتاز بها قتلة الأنبياء هؤلاء الذين لعنهم الله وغضب عليهم وجعل منهم القردة والخنازير .

ذلكم الطفل البريء الذي قتله الصهاينة في حضن والده الذي روى بنفسه لحظات القصة الدامية المبكية بما يلي :

" كنت أنا ومحمد ذاهبين لمعاينة سيّارة كنت أنوي شراءها ، وخلال مرورنا في الشارع فُوْجِئْنَا بإطلاق نار يأتي علينا ، فركضت أنا ومحمد ، واختبأنا خلف الكتلة الاسمنتية ، هرباً من الرصاص الذي يُطْلَقُ علينا ؛ حيث كانت الرصاصات تُطْلَقُ علينا من قبل جنود إسرائيليين كانوا قاصدين إصابتنا. حاولتُ خلالها حماية محمد رافعاً يدي ، مستغيثاً بوقف إطلاق النار نحونا ، فلم يُجْدِ ذلك نفعاً . واستمر الجنود في إطلاق النار نحونا ، فاضطررتُ لاستعمال الهاتف النقّال ، واتصلت بصحفي أعرفه لإرسال سيارة إسعاف لإنقاذنا ، وعند وصول السيارة قام الجنود بإطلاق النار عليها ، مما أدّى إلى إصابة السائق ، مما اضطرّني إلى أن أحمي محمداً تلقي الرصاص بيدي وبجسدي ، ولكن إحداها نفذت إلى جسدي وأخرى نفذت إلى قلب محمد .

وتابع والد الطفل رامي محمد جمال الدره وهو يحاول التغلّب على إصابته :

" ضاقت الدنيا بي ، و لم أدرِ ماذا أفعل ؟، فابني بين يدي وهو مصاب ويحتاج إلى إسعاف ، والطلقات الناريّة مستمرة باتحاهنا ، فرفعتُ يدي لمصدر النيران ، وصرختُ عليهم بالتوقف وأن ابني سيموت ؛ لكن لم يتوقف ذلك ، بل زادت النيران باتّجاهنا ، حينها قال لي ابني : يا أبي اِحْمِ نفسك ، وأنا سأكون بخير ، قل لأمي أنا بحبها.

قال جمال الدرة والد الطفل :

" لم أتحمل ذلك ، وناديتُ عليه ، غير أنه استُشْهِدَ بين ذراعي، وبعدها فقدت الوعي ، و لم أعرف ماذا حدث " .

وقال مراسل التلفزيون الفرنسي الذي وفّقه الله أن يتمكـن من التقـاط صورة المشهـد التي أفزعت العالم كلـه ، وشكّلت دلالـة حيّة على وحشية قتلـة الأنبياء .

" كانت المنطقة فارغة تماماً ، وكان من الواضح لكل من ينظر أن هناك طفلاً ومعه شخص ، ولكن كما يبدو ، كان الهدف إبادة كل من في المنطقة " .

سائق الإسعاف الفلسطيني بسّام فايز البليبسيّ – ٤٥ عاماً – شاهَدَ الطفل ووالده ، يستصرخان الجنود الإسرائيليين عدمَ إطلاق النار باتّجاههما ، وتوجّه نحوهما لإنقاذهما ، ولكن رصاص القناصة الإسرائيليين عَاجَلَه ، فاخترق نافذة سيارته الأماميّة ، وقتله على الفور . (رسالة الإخوان اللندنية) .

لقد رأيتُ أنا كاتب " إشراقة " هذه ، صوراً توضح مشهد استشهاد الطفل البريء ، كيف يختبيء وراء ظهر أبيه منتحباً ، ثم يلوذ بذراعيه ، ثم يموت في مهده .. مشهد لن يراه ذو قلب إلاّ ويبكي دماء لا دموعاً ، ولن يشاهده مسلم يؤمن بالله وبمحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلاّ ويفور الدم في عروقه وتغلي الغيرة في صدره ، ولا يسعه إلاّ أن يلعن الصهاينة ومن يساندهم قولاً أو فعلاً أو بهما معاً ، أو بأيّ طريقة من طرق المساندة – لعن الله اليهود ومن يقف وراءها ولاسيما أمريكا التي لا تستحيي من الوقوف بجانبهم بشكل عليّ مكشوف ، ولن تستحيي مهما أبادوا جميع الفلسطينيين والعرب !!

إن المصوّر المغوار الذي صوّر المشهد ، طلاّل أبا رحمة ، وهو مصور التلفزيون الفرنسي – القناة الثانية – قال في تصريح له :

" إنّه كان لا يبعد عن الطفل ووالده سوى أربعة أمتار ، لكن وابل الرصاص الذي كان يتطاير قريباً منه ، منعه من تقديم المساعدة لهما ، إن الأب ظلّ يحمي ابنه بيديه وجسده أكثر من ٤٥ دقيقة ، وظلّت الكاميرا مُسَلَّطَةً على الطفل الذي كان ينتحب ، لتصوّر فيلماً أشهد العالم على جرائم اليهود و قبحهم.

" وحين تقدمت سيارة الإسعاف لإنقاذ الأب وطفله ، رشقها الجنود الصهاينة بالرصاص ، فقتلوا السائق على الفور .

" أعتقد – لا يزال الكلام للمصور أبي رحمة – أنـه ينبغي علـى المفـاوضين الفلسـطينيين والصهاينة مشاهدة الفيلم عندما يلتقون في المرة القادمة ؛ لأنّ عدداً كبيراً من المدنيين قُتِلُوْا من أجل لا شيء" . (المجتمع الكويتية) .

هذا المشهد المؤلم أثار سخطاً عالميًّا ، وجعل صحيفة " الإنديدي بندت " البريطانية تصف المشهدَ بأنه "صورة ستظلّ تسيطر على مخيلة العالم باعتبـارها مؤلمـة و مؤثرة " أمّا المذيعة المشهورة " كارول سيمسون " من تلفزيون A B C الأمـريكي فقـد عـرضت مشهـداً من الفيلم في نشرتها الأخبارية قائلة لمشاهديها في مقدمة الخبر : " إن ما سيشاهدونه بعد قليل " لقطات صعبة ".

* * *

وإذا كان الشباب والأطفال الفلسطينيون بكل فئاتهم سجّلوا صـوراً حيّة ونماذج بطوليّة نادرة ومشاهد فدائيّة فذّة تركت الشيوخ والكهول في العالم كله حيارى ، فإنّ استشهاد الطفل ذي الربيع الاثني عشر : " رامي محمد جمال الدرة " ، لم يكن الموقف الوحيد الذي أثار اهتمام العالم وترك للجميع درساً لا يُنْسَى ، وعبرة لا تمّحي ؛ وإنما النماذج كثرت واطّرت خلال هذه الانتفاضة المباركة :

فمحمد أبو عاصي ابن التاسعة ، مشارك عنيد في كل الهبات السابقة مـن أجل الأقصى ، لم يُرْهِبْه الرصاص عن اقتحام أسلاك العدو الشائكة ؛ فحرق الإطارات ، وفتح الطريق أمام زملائه لثكنات العدو ، فكان نصيبه رصاصات غادرة في القلب أسقطته شهيداً ، وتلقّفت روحه الزكيّة أيدى ملائكة الرحمن مضمّخمة بأريج الجنة وعرف الفردوس وريّا النعيم الذي لا ينفد.

والبراء محمود ابن الاثني عشر عاماً ، عبّأ حقيبته بالحجارة ، وحمل مصحفاً وزجاجة ماء وسكيناً ، وتوجّه في الصباح الباكر من الأردن قاصداً أرض فلسطين للجهاد ، طالباً السماح من أمه وأبيه في رسالة تركها إليهما ، وسار في طريقه صاعـداً عـدة مرتفعـات حتى سقط من فـوق إحداها، ولم ينقذه إلاّ بعض الأعراب . يقول لوالده في الرسالة : أنا ذهبتُ إلى فلسطين للجهاد في سبيل الله ، وأرجو أن تسامحني ؛ لأني أخذت بعض الأغراض والعشرة دنانير .

والشاب محمود سبيتة يتسابق إلى الشهادة مع المتسابقين ويوفّر لأسرته قوت العام ، ويسلم زوجته كل ما لديه من مال ، وعندما تلح عليه في الرجاء أن يراجع نفسه قائلة له : لمن تتركنا ؟ . قال : لله ! ثم مضى شهيداً .

فتى في الرابعة عشر من عمره يسقط شهيداً على أرض "نابلس" في ٣٠ من سبتمبر وآخر في الثانية عشرة يمضي شهيداً في "غزة" في ١/ من أكتوبر.

وفي " أم الفحم " وحدها يصاب يوم ٢/ أكتوبر ٦٥ عربيًّا ويستشهد مواطن فلسطيني شاب ، وشابّ غض الإهاب عمره سبعة عشر عاماً (١٧) في الضفة الغربية .

في الرابع من أكتوبر يرتفع عدد الأطفال المستشهدين عشرين طفلاً .

وذاك الطفل " وليد محمود بهلول " البالغ من العمر ٩ سنوات ، المصاب بتمزق في أمعائه، وقطع في شريان الفخذ الرئيس من جراء العدوان الصهيوني على أبطال الانتفاضة .

يقول من فوق سريره في قسم العناية المكثفة في مستشفى ناصر بـ "خان يونس" :

" أتمنى أن أقف على قدمي ، وأعود لمدرستي ، وألعب مع أصدقائي ".. قالها بصوت منخفض و حسم يرتعش وبراءة حزينة وطفولة لا تكذب أبداً.

أصيب وليد برصاصة مكتومة الصوت ، محرمة دوليًّا ، فيما كان يجلس فوق كتلة اسمنتية

يتابع بشغف الشبان الفلسطينيين وهم يزيلون العلم الإسرائيلي عن الأسلاك الشائكة على صفي الشريط الحدودي الفاصل بين فلسطين ومصر في مدينة "رفح" قبالة مخيم "يبنا" الذي يسكنه . وفجأة صرخ وليد : " أي " وارتمى على ظهره ، واصطبغت ملابسه بالدماء .

* * *

إنّ الانتفاضة بما انطوت عليه من صور رائعة للاندفاع للجهاد والاستشهاد من قبل الفتية الذين ازدهر الإيمان في قلوبهم ، وترعرع اليقين في صدورهم ، وبرق الأمل في عيونهم ، وعذب نشيد الصدق والولاء لسيدنا محمد ﷺ على أفواههم ، وعظم البراء في قرارة نفوسهم من المتقاعدين المتخاذلين ، المطّعين المخدوعين ، المخادعين السادرين في أضغاث أحلام ، قد أكدت مرة أخرى بما لا مزيد عليه كالمرات السابقة الكثيرة ، أن الشعب الإسلامي والشعب الفلسطيني كليهما لا يري طريقاً إلى تحرير فلسطين وإنقاذ الأقصى من مخالب العدو اللعين إلاّ طريق الجهاد ، وأن العدو الصهيوني لا يفهم لغة إلاّ لغة القوة ، ولا يبالى بعهد و ذمة إلاّ إذا رأى العصا تقع عليه .

الدماء البريئة التي أُرِيْقَت سخاء عبر نحو شهر يجب أن تعلّم رجالنا كيف يموت الشهداء ، يجب أن تقلق مضاجعنا ، وتطير النوم من أحداقنا ، وأن تحفر في مخيلتنا مشاهد المأساة التي عاشها الأطفال والشبان فداء للأرض المباركة والأقصى الأسير والمسرى النبوي الحزين ، يجب أن تلقننا كيف نحب الموت ، ونؤثره على الحياة في سبيل استرداد العزّ واستعادة المجد ، يجب أن تعلّم قادتنا وسادتنا المتربعين على عروش الحكم وكراسي السلطة أن يتأكّدوا أنّ العز المؤثل والمجد العريق لا يبقى بمنجاة من الأذى ما لم يراق على جوانبه الدم ؛ وأن العزّ لله ولرسوله وللمؤمنين ، وليس للمنافقين المستجدين السؤلَ من أمريكا وبريطانيا أو فرنسا ؛ وأن الذئب - وهو ههنا بنو صهيون - لن يغيّر طبعه ، ولن ينحرف عن سيرته ، ولن يشذّ عن سريرته ، مهما تِهْنا في الأحلام وشرّقت بنا الأماني وغرّبت .

هل تقيّد الصهاينة بأيّ وعد من الوعود التي أُلْزِمُوْا بها عبر الاتفاقيات المُبْرَمَةَ من أوسلو إلى مدريد إلى كامب ديفيد إلى شرم الشيخ إلى عدد من المنتجعات التي صارت رمزاً لإخضاع العرب أمام الصهاينة ؟ لم يلتزموا به ، لأنهم تناولوا جميع الاتفاقات بالتأويل الذي يُحَقِّقُ مطامعهم ونواياهم الشريرة ، ويجنبهم الاضطرار لتحقيق أي مطلب يخصّ الفلسطينين .

فلماذا لا نزال نرضى بالذلّ والدنية ، لماذا نخاف أمريكا ، ولا نخاف الله ؟ لماذا لا نرضى الجهاد ونرضى التردد على أعتاب الشرق والغرب اللذين يتربّصان بالإسلام والمسلمين الدوائر ، ويشمتان بنا كلّما أصابتنا خسارة ؟!. .

***

إشراقة

تحية دموع ودعاء
إلي أطفال الدماء والأشلاء

كان تدنيس رعيم حزب الليكود اليميي الصهيوبي أرئيل شارون الخبيث المهين وريث أسلافه الخنازير والقردة وعبدة العجل والطاغوف وقتلة الأنبياء ، للمسجد الأقصى وسط ثلاثة آلاف شرطيّ صهيوبيّ في الثامن والعشرين (٢٨) من سبتمبر : أيلول ٢٠٠٠م الموافق ٢٨/ رجب ١٤٢١هـ : الخميس ، بمثابة جسّ نبض الأمة الإسلامية واستعلام مدى العصب لديها حيال هذه الجريمة النكراء والجراءة الخرقاء ، ضمن خطوة مكشوفة لتمهيد سافر لهدم الأقصى وبناء الهيكل المزعوم عليه .

وقد واجه الفلسطينيون – وهم أصحاب الدار والمُستَهْدَفُونَ المباشرون للعدو الصهيوبي اللعين – خصوصاً والمسلمون في العالم كله عموماً ، هذه الجراءةَ الشارونيةَ الصهونيةَ الشنعاءَ بغضبة عارمة ساحقة.. هَبَّ الفلسطينيون ولا سيّما الشباب للردّ على هذه الزيارة بالاستنكار العمليّ – لا القوليّ المجرد الذي تعوّده زعماؤنا وقادتنا وملوكنا وحكامُنا .

وهَبَّ المسلمون العرب والعجم على السواء يقفون بجانب إخوتهم الفلسطينيين بالقلوب والقوالب ، وبإبداء الغضب ، وبالمظاهرات الصارحة ، والمطالبات الواضحة بمقاطعة الصهاينة على جميع الأصعدة وبمقاطعة حليفتهم الاستراتيجية والعسكرية والاقتصادية والسياسية والدبلوماسيّة : أمريكا التي هي اليوم العدو رقم واحد – كإسرائيل تماماً – للمسلمين والعرب أجمعين . وذلك حقيقة إن لم نعترف بها حالاً ، فسعترف بها مستقبلاً بعد ما يفلت منّا الزمام كليًا ، ولات حين مناص ، ولات ساعة مندم ! .

بقلب حزين حزناً لا يكاد يصفه تعبير بليغ ، وعين دامعة دمعةً لا تكاد تستوعبها أيّ صياغة بارعة للأسلوب والأداء ، تابعتُ وتابع معي ملايينُ ملايين المسلمين في العالم عبر الأسابيع الماضية التي أثبت فيها الشباب والأطفال الفلسطينيون : أشبال الإسلام وأبناء أمة محمد عليه الصلاة والسلام ، غيرتهم الدينية وبسالتهم الإيمانية ؛ فواجهوا رصاصات الصهاينة بصدور مكشوفة ، ورؤوس مُعَمَّمَة بالأكفان ، وقلوب مُدَجَّجَة بأسلحة

(البقية على ص ٤٣)

أبو أسامة نور

بسم الله الرحمن الرحيم

اُدْعُ إِلَى سَبِيْلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَ جَادِلْهُمْ بِالَّتِيْ هِيَ أَحْسَنُ (القرآن الحكيم)

مجلة عربية إسلامية شهرية

تصدر عن الجامعة الإسلامية دارالعلوم

ديوبند ، الهند

[illegible]

فضيلة الشيخ مرغوب الرحمن

رئيس الجامعـــــــة

[illegible]

نور عالم خليل الأميني

أستاذ الأدب العربي بالجامعة

الهاتف ، والفاكس ، والبريد الإلكتروني :

Ph. : (00-91-1336) 22429 / 22332

Fax : (00-91-1336) 22768

Web : http://www.darululoom-deoband.org

E-mail : darululoom_deoband@yahoo.com

[illegible]

[illegible]

رمضـــان – شـــوال : ١٤٢١هـ

ديسمبر ٢٠٠٠م – يناير : ٢٠٠١م

[illegible]

ثمن النسخة : ٣٠ روبية هندية

قيمة الاشتراك السنوي

في الهند : ١٥٠ روبية هندية

وفي خارج الهند للأفراد : ٣٥ دولاراً

وللمؤسسات الحكومية : ٤٥ دولاراً

[illegible]

رئيس تحرير مجلة الداعي

دارالعلوم ، ديوبند (الهند)

الرمز البريدي ٢٤٧٥٥٤

Chief Editor

AL - DAIE

Arabic Islamic Monthly

Darul - Uloom,

Deoband - 247554

(U.P.) INDIA

المحتويات

كلمة التحرير

يهلّ علينا الشهر المبارك هذا العام ، والأطفالُ والشباب الفلسطينيون يخوضون الانتفاضةَ المباركةَ ضد الصهاينةِ ، أبناءِ الخنازير والقردة ، وعبدةِ الطاغوت ، قتلةِ الأنبياء ، ناقضي المواثيق ، آكلي السحت ، الملعونين من قبلِ الله العزيز المنتقم الجبار .

يخوضون الجهادَ المقدس ضدَ محتلّي الأرض المقدسة ، غاصبي التراب العربي الإسلامي ، مدنّسي الأقصى المبارك ، مُشَرِّدي أبناء الوطن الفلسطيني الأُصَلاَء ، شُذَّاذ الآفاق الدُخَلاَء الغُرَبَاء على هذه الأرض العربية ، الذين لم تقبلهم أرض من أراضي الله ، فزرعهم الخبثاءُ الأعداءُ من أبناء الغرب الذين قالوا : إنّ الله ثالث ثلاثة ، في أرض التوحيد ، أرض الإسراء والمعراج ، أرض اتّصال السماء بالأرض ، أرض التواصل بين مكة قبلة المسلمين النهائية وبين المسجد الأقصى قبلتهم الأولى ، أرض الأنبياء والنبوات .. زرعوهم فيها غرساً خبيثاً ، نكدًا نحساً ، ذا ثمار مرّة ، قبيح ظاهرُها وفاسد باطنها بكل المقاييس .

إنّ القادةَ والساسةَ أولي الأنفاس الباردة ، والقلوب الفاترة ، والإرادة المهزوزة ، والقرارات المترددة ، لم يرتقوا – عبر قممهم التي عقدوها منذ أن تفجرتِ الانتفاضة – بعد جميع " الركلات " و "اللطمات" و " التأديبات " بل الإهانات التي تُغْضِبُ الحليم و تسخّن البارد من كل ذى كبد رطبة والتي تعرض لها من قبل الصهاينة العربُ الفلسطينيون المسلمون أولاً ، والعرب المسلمون ثانياً ، وبالتالي المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها ثالثاً ، عبر نحو شهرين خصوصاً ، ومنذ أن زُرِعَتْ بذرة إسرائيل النجسة في هذه الأرض الطيبة عموماً وباستمرار ، لم يرتقوا إلى مستوى الخطوة العمليّة الفاعلة التي قد فرضته الظروف . وتطلّبه الإباء الإسلامي العربي بإلحاح لا إلحاح بعده .

ولكن السماء والأرض قد شهدتا أن الشعب الفلسطيني والشعوب العربية والإسلامية في الدنيا كلها ، قد أكّدت بقولها وفعلها أن قضيّة فلسطين لن تَحَلّ إلاّ بالجهاد ، وأنّ الدماء الزكية الساخنة التي أُرِيْقَتْ وتُرَاقُ وستراق بسخاء على هذه الأرض المباركة هي وحدها التي تنبت الاستقلال ، وتحررها من نير الاستعمار الصهيوني الصليبي الوثني العلماني ، المُنْصَبَّةِ على ترسيخه وتعميقه في هذه الأرض الإسلامية ، جهودُ قوى الأعداء كلهم .

إن أطفال الحجارة وشباب الانتفاضة ، وشعب فلسطين الصامد المرابط ، الصابر المتطوع ، قد صنعوا ولا يزالون يصنعون ما بوسعهم من البذل السخي للنفس ، والإراقة المستمرة للدماء ، وتقديم نذور متصلة للأرواح ، واستعذاب متواصل لصنوف المعاناة والعذاب التي لا يعلم مداها إلاّ الله .

وقد بقِي بعدُ أنِ يتوحّد قادتنا ، ويتضامن ساستنا ، ويتحرك أو الأمر بيننا ، ويكونوا على قلب رجل واحد في اتّخاذ ما يؤكدون به – ويسجله التأريخ في شرف وافتخاز واهتزاز – أنّهم أكثر غيرةً على دينهم ، وأسرع خطوة إلى الاستجابة لدواعي الإباء الإيماني والضمير الإسلامي ، من القادة والجنود والجماهير الصهيونيّة التي أصبحت كلمةً واحدةً على الإبادة الجماعيّة للفلسطينيين ، وتشريدهم وتهجيرهم و تقتيلهم ، وتفجير القذائف الأمريكية في صدور وروؤس الأطفال الأبرياء الفلسطينيين ، وتخلية أرض فلسطين عنهم ، حتى يحققوا فيها مطامعهم التوسعيّة الرهيبة ، ضاربين عرض الحائط جميع القرارات الأممية ، والمواثيق الدولية ، والدعوات العالميّة ، بين سكوب رهيب غريب من جميع قوى الكفر وإخوان الشيطان .

إن هذه الساعة لتنتظر بفارغ الصبر من أولي الأمر المسلمين والعرب خطوة حاسمة عاجلة واعية آتية في وقتها وقبل فوات الاوان ، تغير مجرى التأريخ ، وتردع الصهاينة عن شرّهم ، وترغم أولياءهم عن الإقلاع عن غيّهم . فهل هم فاعلون ؟ إنّا لمنتظرون .

[التحرير]

الصيامُ في الأصل هوَ الانتصار على النفس

أهلّ علينا شهر رمضان ، كما ظل يهلّ علينا من قبل ، بمدرسته الروحانية التربويّة القرآنية ، وأجوائه المُعَطّرة بريّا الإيمان ، والبركة والخير والسعادة ، والكرم والسخاء ، و البر والمواساة ، والعطف والحلم ، والمسابقة إلى الحسنات ، والإقلاع عن السيئات ، والمبادرة إلى التوبة ، والاطّراح على عتبة الربّ الرحمن الرحيم ، الذي يحبّ العفو ؛ فيعفو عن كل مُسِيْءٍ أخلص في الإنابة إليه .

أهلّ الشهر الذي أيامُه ولياليه تفيض بقدسيّة وإشراقة ونور و بهاء ، لا تتمتع به غير هذه الأيام والليالي . هكذا أراد الله لها ، وذلك قسم قسمه لها ، ليجعلها عرساً روحانياً ، ومناخاً إيمانيًا ، ومُنْتَجَعاً تربويًا ؛ ليصهرنا في بوتقة الإنسان السوي المرضيّ لديه ، حتى نعود مغفورةً ذنوبُنا ، مضمونةً مقاعدُنا في جنّة عرضها السماوات والأرض.

ذلك لأنّ " كل عمل ابن آدم له إلاّ الصيام " فيما يرويه النبي ﷺ عن ربّه تعالى الذي وعد : " فإنّه لي وأنا أجزي به " (متفق عليه).

ولكنّ ذلك إنّما يتأتّى عند ما نتخذ الصيامَ وقايةً للنفس من جميع المخاطر وأنواع العبث والهذر ، وبالمبادئ الأخلاقية الصياميّة التي تفصّلها وتوضحها وتؤكّد عليها السنّة النبوية الشريفة ، إذ تقول :

" الصيامُ جُنّةٌ ؛ فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث (١) ولا يصخب (٢) فإن سَابَّهُ أحد أو قاتله ، فليقل : إني صائم " (متفق عليه) .

لنتأمّل في هذا الأدب النبوي الشريف ؛ حيث إنّه لم يكتفِ بالأمر بالتزام الصائم بطهارة النفس والفعل ، ولكنه تعدّى ذلك إلى عدم ردّ السيئة بمثلها ، وأكّد على التسامح مع المسيئين ، حتى يكون الصائم منّا نموذجاً عاليًا لغيره ، فيسهل عليه سلوك طريق التقليد

(١) الرفث : الكلام الفاحش ، من (نصر ينصر)
(٢) الصخب : من (سمع يسمع) شدة الضجّة واضطراب الاصوات للخصام .

في القديم الشعر – إلى عصور لكل منها سمات خاصة به ومظاهر تدل عليه بحكم واقع البيئة وطبيعة العصر، فكان التمييز بين الآداب (شعراً ونثراً) في العصر الجاهلي ومن بعده صدر الإسلام ثم العصر الأموي ويليه العصر العباسي بقسميه الأول والثاني، وما تبع تلك العصور فيما بعد ذلك من عهود التخلّف التي أصابت العرب وانطبعت بها بيئاتهم، وبالتالي انعكست على أفكارهم وتراثهم في تلك الفترة المتخلّفة التي أُطلق عليها عصور الانحطاط التي كانت فيها الأمة العربية فقيرة في علومها وآدابها وتراثها لم تترك وراءها صوراً مشرقة لأعمال فكرية أو اجتهادات علمية، فقد أهملت تراث أسلافها وتخلّت عن المسيرة العلمية التي كانت منارةً للعالم فانطفأت شعلتها وتلاشت أضواؤها وجمدت نصوصها وتحجّرت أفهامها فأصابها الركود الذي انتهى بها إلى الجمود.. وعلى حساب الأمة العربية انتهزت المبادرة أمم أخرى بنتْ نفسها في غفلة من العرب الذين طالت غفلتهم وامتد غيابهم عن التقدم، وحشدت تلك الأمم في دروبها أضواء العلم وأشادت منارات المعرفة وجندت قواها للإبداع والابتكار، فانحسرت حضارة وحلّت محلّها حضارات أخرى بحكم سنن تداول التطور والارتقاء تصديقاً لقوله عز وجل: ﴿وتلك الأيام نداولها بين الناس﴾ .

☆ ☆ ☆

وإذا حاولنا العودة لاستعراض بعض صور العهود السالفة التي مرّت بالأمة العربية منذ تفتح وعيها واكتسابها زاداً أدبياً عاش على مدى القرون، فإننا في البداية نلتقي بالعهد الجاهلي ومدى ارتباطه بالبيئة وتأثره بها وتأثيرها فيه. حيث تنداح في آفاق هذا العهد صور شعرية ونثرية تجسد حياة الصحراء التي عاش فوقها العربي بما تحمله من شجون وشؤون وما تضمه من مظاهر كونية فيها وضوح: كما في إشراقة الشمس وبزوغ القمر وأضواء النجوم وامتداد الأفق وانفساح الأرض، وفي الجانب الآخر تسعد رؤية العربي بتكوّن السحب وهطول الأمطار وما يتلوها بعد ذلك من مظاهر الحياة المتجددة بنبات الأعشاب التي ترعاها الإبل وسائر الأنعام وما تخرجه الأرض من أزهار معطرة ونباتات جميلة وتجاوباً مع جمالها تمرح في جنباتها قطعان الظباء والغزلان وفصائل عديدة من الوعول وبقر المها وحُمر الوحش مما يهيئ للعربي الصيد منها مما يمشي على الأرض أو يطير في الجو من الأطيار السابحات في السماء حيث يعمل كثير من أفراد المجتمع على صيدها بوسائل مختلفة، ولهم في ذلك أشعار تشير إلى أشكالها وتحدد صفاتها وتروي المهارات في طريقة صيدها.. والعربي الذي يحيا في الصحراء ينطلق في جنباتها يسير وحده منفرداً في لياليها الحالكة السواد وطريقها الصعبة الموحشة وما تحتفظ به من أسرار الليل وما تبديه بعد طلوع النهار، وما تحفل به أرضها من كهوف ومغارات وأودية وشعاب ورمال ناعمة وجبال شامخات، ويتعايش العرب مع الوحوش في فلواتها والرياح في زئيرها وعواصفها علماً بأنه ليس لهم مساكن من بناء محصّن الأسوار وإنما هي خيام أو بيوت من الشّعر ليس لها أبواب توصد ولا عليها قفال تغلق، وهي لا تردّ الرياح العاصفة ولا الوحوش الكاسرة وإنما هي سهلة الولوج إليها والخروج منها، ومع كل

والاحتــذاء . إنّ هــذا الأدب العــالي جديــر بالملاحظة والوقفة المتأنية الطويلة ؛ حيث لم يقتصر على التأكيد على الصائم بضبط النفس والأعصاب والانتصار على العطواطف السلبية مقابلَ السبّ والشتم والمكروه من القول فقط ، وإنّما أكّد عليه الالتزام بالصبر و الامتناع عن ردّ السيئة بالسيئة حتى وقت القتال . إنّ التقيّد بالامتناع حتى عن ردّ الشرّ بمثله شيء صعب على النفس البشريّة ؛ ولكنه الأخلاقيات الصيامية الإسلامية الرائعة التي جاءت السنة تلقّنها الصائمَ المؤمنَ المحتسبَ الذي "لخُلُوْفُ (٣) فيه أطيب عنـد الله مـن ريح المسك" (٤)

إنّ المطايا على قدر البلايا كما يقول الأئمة ، فإذا كان الصيام جزاؤه موفوراً بحيث إن " كل عمل ابن آدم يُضَاعَفُ : الحسنةُ بعشر أمثالها إلى سبع مائة ضعف " قال الله تعالى : "إلاّ الصوم فإنّه لي وأنا أجزي به : يدع شهوته و طعامــه من أجلي " (٥) فلا بدّ أن تكــون الالتزامات المفروضـة في شأنـه ثقيلـة على النفس ، لكنها ليست بثقيلة على المؤمنين الخاشعين الذين يسهل الله عليهم التقيد بها بتوفيقه و تأييده .

وفرقٌ شاسع جدًّا بين الصيام الإسلامي الذي شرعــه لنا رسولنا صلوات الله وسلامه عليه ، وبيّن لنا مبادئه وأخلاقياته وآدابه ؛ وبين الصيام الذي تعارفنا عليه نحن المسلميـن اليوم. والفرق يعود إلى أننا قد ابتعدنا عن الصيام الذي جاء به التشريع في الكتاب والسنة ، إلى صيام آخر ابتدعناه لأنفسنا وارتضيناه لحياتنا .

إنّــه يوجــد بيننا من يلتـزم في الصيام بالأخلاقيات التي أمرنا بها الدين ، ويطّبقة على نفسه ؛ ولكن العدد الكبير من الجماهير صنعت باسم الصيام نوعاً غريباً من الصيام يمارسه مع كثير من الأعراف والطقوس التي ما أنزل اللّه بها من سلطان . فالملتزمون بالصيام المشروع الصحيح يَتُوْهُوْنَ (٦) في زحام الكثرة الكاثرة التي تغري بالعبث بكل ما هو نبيل وسامٍ وأصيل في الدين الإسلامي الحنيف .

فالإسراف الزائـد في اتّخـاذ الزينات

(٣) خُلُوْف : تغير رائحة الفم . (٤) رواه مسلم . و لفظ البخاريّ : " لخلوف فم الصائم " .

(٥) رواه مسلم . ولفظ البخاريّ : " يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلي " .

(٦) يتوهون : يضيعون . من (نصر ينصر) .

والزخارف، ومواد الأكل والشرب، والإضاءة، واتخاذ الثريات الثمينة والقناديل الفخمة ، ودق الطبول والصراخ في الأبواق ، وإحياء اللّيالي في غير ما أمرنا الله به وشرعه لنا رسول الله ﷺ ؛ وكذلك عدم احترازنا من أي من نواقض الصيام وخوادشه أو نواقصه ، إلى جانب اهتمامنا البالغ بالمظاهر ، وتقصيرنا الفاحش في المخابر ، و ازدحام النساء والرجال على المحلات التجاريّة لشراء الكماليات دون مبالاة منهنّ بالحجاب الإسلامي .. كلُّ ذلك مما يشوّه وجه الصيام ويحوّله طقساً يشابه طقوس غير المسلمين في شتى جوانبها ، ويفقده التأثير .. التأثير السحري الخارق ؛ حيث يقدر على قلب الصائم ظهراً لبطن، وعلى تغييره تغييراً جذريًا ، ينسلخ به عن ماضيه المؤسف إلى حاضره الزاهر ومستقبله المبشّر بكل خير .

إنّ الصيام في التشريع الإسلامي إمساك عن الطعام والشراب وشهوات النفس مع النية، ومعنى ذلك أن نتعلم نحن المسلمين الاعتدال والتوسّط حتى في ممارسة ما يُبَاحُ لنا في الوقت الذي يُبَاحُ لنا فيه . نعتدل في السلوك ، وفي التعامل مع الناس ، وأن نكون خلال الصيام وبعده أكثر اتزاناً في السيرة ، وفي التعاطي ومعاشرة المجتمع ومخالطة الناس ومعايشة الأهل والأقارب ، وأن نكون أكثر عفواً وتسامحاً وكظمَ غيظ ، وأكثر حلاوةً في المنطق ، وليناً في الجانب ، وطلاقةً في الوجه ، وتواضعاً أمام الخلق ، ونبلاً في جميع أنواع الاتصال بأفراد المجتمع ، وتجنّباً من الخشونة والقسوة والغلظة في جميع مناشط الحياة ؛ ولكنّ المُشَاهَدَ من أحوالنا أنّنا نظلّ نخرج خلال الصيام وبعده على قوانين الصيام وآدابه؛ فأخلاقنا تبقى هي هي ؛ فنضيق عن ابتسامة في وجه مسلم ، وعفو و تسامح عن أخ ، وتجاوز سيئة بدرت منه إلى حسنة نصنعها معه فتذيبها فيه للأبد ؛ لأنّ التسامح مع الإنسان في ذنب صدر منه يكون دائماً أقوى في تهذيبه من مقابلته بمثله . ونظلّ نجهل على أفراد المجتمع ، بل قد نجعل الصيام علة لممارسة الجهل ؛ حيث نبرره للمجهول عليه بأنّ الجهل إنما صدر إليه منا لأننا صائمون . وكأنّ الصيام يبعث على الجهل ! .

إنّ الصيام في الأصل هو الانتصار على

النفس والقهر لشهواتها . ومن ينتصر على النفس، ويتغلّب على شهواتها، ينتصر في كل معركة في الحياة، ويتغلّب على كل عدوّ ظاهر ومستور . وقد انتصر المسلمون في شهر الصيام : رمضان على قريش في غزوة بدر وفتح مكة وما إليهما من المعارك الفاصلة الحاسمة، حتى عُرِفَ رمضان في التأريخ الإسلامي بشهر الانتصارات التي توالت فيما بعد .

إنّ هذا الانتصار يجب أن يسود المجتمع الإسلامي ، يجب أن يسود جميع أعمالنا ، فنرتقي بها من السيء إلى الحسن ، ومن الحسن إلى الأحسن ، و نسمو فوق جميع المآيات السلبيّة والعواطف الشهوانية ، فنقطع مدارج الكمال الإنسانيّ ، ونكون قد صاغنا الصيام كما يحبّه الله ورسوله ﷺ . يجب أن يكون الانتصار على النفس شعار الشعب والحكام لدينا ، وشعار العامّة والخاصّة ، وشعار الرعيّة وولاة الأمر ، وشعار العلماء والدعاة والمشايخ وذوي العمائم ، وشعار الجماهير كلهم . وبذلك نكون قد ضبطنا سلوكنا وتصرفاتنا وجميع حركاتنا وسكناتنا لمنهج الصيام الذي جاء بيانه في كتاب الله تعالى وشرحه في سنة سيدنا ونبينا محمد ﷺ .

وهنا نكون قد تخلينا عن جميع الأقذار والأكدار التي تلحقنا وأعمالنا في مشوار الحياة الطويل ودرب المسيرة العملية التي تبتدئ منذ التكليف وتنتهي بلفظ الأنفاس الأخيرة .

إنّ الصيام غسيلٌ مباركٌ يتطهّر به و يتنظّف الإنسان من كل نوع من الخبث والأدران والأوساخ ، التي قد يتلوّث بها ، ويعود بها قبيح المنظر ، وقذر المخبر ، يتغير ظاهره وباطنه عما فطره الله عليه من النظافة والطهارة .

من استثمر الصيام ، وصام نهار رمضان ، وقام ليله ، وعمر أوقاته بالذكر والعبادة والتلاوة ، وتجنّب من كل ما يخدش وجهه الصبيح المليح الوضّاء ، وراعى آدابه التي سنّها النبي ﷺ ، سعد في الدنيا والآخرة ، وفاز في العاجلة والآجلة ، وحظي بالحسنيين ، وعظم عند ربّه في الدارين:

" للصائم فرحتانِ يَفْرَحُهُما : إذا أفطر فَرِحَ بفطره ، وإذا لقي ربّه فَرِحَ بصومه " (٧) .

(٧) متفق عليه ، وهذا لفظ البخاريّ . وأما لفظ مسلم ، فهو: " للصائم فرحتان : فرحة عند فطره ، وفرحة عند لقاء ربّه " .

و " ما من عبد يصوم يوماً في سبيل الله، إلاّ باعد الله بذلك اليوم وجهه عن الناس سبعين خريفاً" (٨) .

و " من صام رمضان إيماناً و احتساباً ، غُفِرَ له ما تقدّم من ذنبه" (٩) .

لا يقدر أحد منّا أن يحصي حسنات رمضان ؛ لأنها تشمل الحياة كلها ، وتفعل فعلَها في الداخل والخارج . إن الصيام لا ينظّف الإنسان من الظاهر ويزكّيه من الداخل فقط ، وإنّما يحوّله كذلك كثير البر والإحسان إلى أخيه الإنسان . فقد قال ابن عبّاس رضي الله عنهما :

" كان رسول الله ﷺ ، أجود الناس . وكان أجودَ ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل . وكان جبريل يلقاه في كل ليلة من رمضان ، فيدارسه القرآن ؛ فلَرسول الله ﷺ ، حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة" (١٠) .

ومن هنا يكثر المسلمون – على علاّتهم – من فعل الخير فيه إكثاراً لا يتعودونه في غيره.

وفي شهر رمضان أُنزِلَ القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ؛ فهو كتاب الرشد والهداية والسعادة في الدنيا التي فيها معاشنا ، وفي الأخرى التي فيها معادنا ؛ فهو مربوط ربطاً مُحْكماً بشهر رمضان وله صلة وطيدة خاصّة به . وما أعظم الشهر الذي نزل فيه آخر كتاب من كتب الله تعالى ، مهيمن على الكتب السماويّة كلها ، ومن هنا يتعلّق الصائم فيه بالقرآن ما لا يتعلق به في غيره ، تلاوةً ، وحفظاً ، وتدبراً ، وقراءةً في قيام الليل ، ومدارسةً له في شتى أوقات الليل والنهار ، فيكون لهم بذلك دويّ كدوي النحل .

ولكن الإسلام يود أن يرى منّا مظاهر الخير كلّه في الحياة كلّها . ولا نجعل الصيام مناسبة عاجلة ، نمارس فيها الخير ، ثم نعود أدراجنا إلى العادات السيئة التي كنّا متورطين فيها . لو صنعنا ذلك لكنا خاسرين ومن حسنات الصيام محرومين . وفقنا الله جمعياً دائماً لما يحبه ويرضاه ويجعلنا بفضل رمضان مغفورين ولجنته مستحقين . والحمد لله رب العالمين .

نور عالم خليل الأميني

(٨) متفق عليه . خريفاً : أي مدة سير سبعين عاماً .

(٩) متفق عليه . احتسابا : أي راجيًا أجره من الله وحده .

(١٠) متفق عليه .

الإسلام وحده هو منقذ البشريّة

بقلم : الكاتب الإسلامي الكبير الأستاذ أنور الجندي
جمهورية مصر العربية

جاء الإسلام خاتماً لرسالات السماء من أجل تحرير البشرية من العوامل التي دمرت الحضارات والأمم السابقة ، وردها إلى التوحيد الخالص وإلى عبوديتها لله تبارك وتعالى (خالقا ورازقا) وتحطيم أوثانها وأصنامها من عبادة المال أو الطاغوت وتدمير المقولات المبطلة المضللة التي تناقلتها الحضارات الوثنيــة والماديــة من يونانيــة ورومانيــة وفارسيــة وفرعونية والكشف عن زيف هذه النظريات والرؤى التي ورثتها من أجل الخروج على منهج الله تبارك و تعالى ، وكيف سقطت هذه الحضارات ودمرت لانحرافها عن منهج الله .

ولعل من أبرز معطيات الإسلام في العصر الحديث هو : سقوط النظرية الإلحادية وبروز الإسلام عقيدة وحضارة كمنقذ للبشرية مما وقعت فيه من أزمات ما تزال تحيط بها من جميع أقطارها وتدمر وجودها وتذيقها من ويلات الحياة ما يحول بينها وبين الأمن النفسي والسلام الاجتماعي الذي لا يتحقق إلا بالعودة إلى منهج الله تبارك وتعالى .

ولقد إنهارت أخيراً النظرية الماركسية الشيوعية بعد سبعين عاماً من التوسع والانتشار والادعاء الباطل بقدرتها على أن تحل محل الدين الرباني في إصلاح البشرية وإسعاد الإنسانية وقد حملت حملة واسعة على الدين الحق وأنكرت وجود الإله الواحد الحق، وحاولت أن تضع منهجاً لتطبيقه في مختلف مجالات الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية قائماً على الاستبداد والسيطرة وإبادة الخصوم وتدمير القيم وفرض المفاهيم بالقوة في معارضة شاملة للفطرة والعلم وواقع التاريخ وسنن الحياة وقوانينها التي رسمها الحق تبارك وتعالى.

وقد استطاعت أن تغــري الكثيــرين وتخــدع بعض المتصــدرين في أوطانهم ثم تكشفت في الأخير عن أنها ليست إلا ضــلالة كبيــرة سرعان مـا انهدمت وانهارت.

لقد استطاع الإسلام أن يقدم خلال المرحلة الأخيرة ضوءاً كاشفاً عم البلاد غير الإسلامية واتصل بالعقليات الفلسفية والعلمية العريقة في العلمانية والإلحاد، فكشف لهم عن مدى الاضطراب والفساد والحيرة الذي تعانيه البشرية نتيجة بعدها عن منهج الله تبارك وتعالى ومن إسرافها في الاندفاع نحو الشهوات والأهواء والمطامع خاصة بعد أن علت صيحة الإباحية

بعد أن استشرت مفاهيم فرويد ودور كايم وسارتر وذهب عشرات من المغرر بهم ضحايا هذا الخطر الماحق الذي ارتبط كثيراً في العقود الأخيرة بالمذهب الماسوني ورسمت خططه بروتوكولات صهيون في التغرير بالجويم (غير اليهود) وتدمير مجتمعاتهم .

لقد عجز سارتر ودوركايم وفرويد أن يخدعوا البشرية بتقديم دين يحل محل الدين الحق .

كما استطاع الإسلام أن يقدم للمسلمين مفهومه الأصيل من جديد بعد أن سقط المسلمون في هوة (التخلف) نتيجة الخطر الذي حدث في بلادهم بعد أن سيطر عليها الاستعمار والنفوذ الأجنبي وحجب منهجهم الرباني في المدرسة والمحكمة والمصرف حين فرض مفاهيمه في الليبرالية والربا والعلمانية واستباحة الزنا والفساد وحطم الحدود التي أقامها الإسلام لحماية المجتمعات .

ومن خلال منهج التعليم الوافد ومن خلال برامج الإعلام والبث التلفزيوني و أدوات الترفيه أمكن أن تسرب مفاهيم كثيرة خاطئة خاصة في حوار المسلسلات الذي بعد بعداً شديداً عن قيم الإسلام وأخلاقياته وآدابه وروحه المتعالية على الخطيئة والإثم والفاحشة .

لقد أوغل العلمانيون والتغريبيون ومن ورائهم قوى كبرى من أجل فرض مفهوم مضطرب للإسلام يختلف عن جوهره الأصيل.

ولكن استطاعت القوى الإسلامية المتجددة أن تعلن الإسلام [منهج حياة و نظام مجتمع] من جديد بعد أن ظن أصحاب النفوذ الغربي أنهم سيسوا الإسلام وقادوه إلى مفهومهم الخاطيء .

فاستعلنت الشريعة في عدد من دساتير البلاد العربية وأمكن تقنينها في نظم حديثة وعرفت الدنيا كلها أن الإسلام نظام حكم كذلك فقد كشف الإسلام عن فساد نظام الربا و أسلوب الفائدة وظهر المصرف الإسلامي فقضى على السيطرة الربوية العالمية الطاغية على المال والاقتصاد .

أما المرأة المسلمة فقد اكتشفت مؤامرة تحريرها فعادت إلى الله تبارك و تعالى و عرفت الحجاب الإسلامي وعرفت مهمتها في تربية الأجيال ورعاية الأبناء وبناء السكن للزوج والأسرة وعرفت أن العمل يحل لها إذا كانت في حاجة إليه وفي حدود الشرع بعيداً عن الاختلاط والاضطراب وتبخر المفهوم المدمر الذي حاول الغرب فرضه على مجتمع المسلمين .

وفي مجال الفكر والثقافة كشف الإسلام عن زيف نظرية دارون التي حاول الفكر الغربي تقديمها لهدم مفهوم التوحيد الإسلامي وتعين من خلال الحفريات: أن الإنسان وجد منذ اليوم الأول تاماً و مستقلاً عن الأجناس وله قامة قائمة ولم يكن في يوم من الأيام من سلالة القرد أو غيره وتكشفت هذه الحقيقة حتى بالنسبة لأهل الغرب أنفسهم الذين طالبوا بمنع نظرية دارون من دراسات التلاميذ .

كذلك فقد تكشف فساد نظرية الجنس التي قال بها فرويد والتي لم تكن صادرة عن علم صحيح بل عن

هوى رحل يهودي يؤمن بالتلمود والماسونية المنطلقة لتدمير الإنسان من الحويم (غير اليهود)

وكانت هده النظرية بالإضافة إلى مفاهيم أخرى من الفلسفة المادية عاملة على هدم القيم الأخلاقية الثابتة في المحتمعات ومحاولة الادعاء بارتباط الأخلاق بالمحتمعات والعصور وتحولها، فقد ثبت فساد ذلك على الأقل في أفق الفكر الإسلامي الدي كانت الأخلاق فيه قيمة أساسية من الثوابت كالعقيدة تماماً .

ولقد كانت تجربة الأمة الإسلامية مع المداهب العربية حدثاً فريداً إد كشف فساد هده المداهب وعجرها عن العطاء في أمة أعطيت منهجاً ربانياً فريداً قادراً على العطاء في محتلف الأزمنة والبيئات. ومن هنا فقد كشف المسلمون فساد الأيدلوجيات العربية من العلمانية إلى الليبرالية الشيوعية جمعاء ولقد استطاع الإسلام في العقود الأخيرة من القرن الرابع عشر والعقد الأول من القرن الخامس عشر تقرير دلك كله في إطار ما اطلق عليه (الصحوة الإسلامية) ودحل المسلمون أوروبا (اسبانيا و فرنسا و انحلترا) سلماً بعد أن طرد منها المسلمون حين طردوا من الأندلس وبدأت كلمة الله تبارك و تعالى في القارات الخمس جميعاً .

ولكن لا تزال للإسلام قضايا أساسية لم يفصل فيها قد أشار إليها القرآن الكريم منها قضية التوحيد الخالص في مواجهة التعدد والتثليث ومنها قضية الأساطير التي يروجها يهود من أحل دعوى حق قديم مدعى في أرض فلسطين حسبما يحاول مؤرخوها وكتابها إشاعة هده الدعاوي والعمل على ترويدها وحداع بعض العناصر بقبولها والاداعة بها.

وما تزال هنـاك دعاوي مطلة كثيـرة يتكشف كل يوم زيفها سـواء عـن طـريق الحفـريات الأثريـة أو عـن طـريق حقـائـق العلـم ومايزال أصحـابها المطلون متشبثون بها في عناد لا يقبلـون الحـق ولا يطيقونه .

إن القرآن الكريم قد وضع الفكر البشري الوثني كلـه (اليونـاني والفـارسي والباطني) جميعاً موضع الشك وكشف زيفه وفساد مقولاته فتحطمت مقوماته مهما عمل البعض على إحيائه وخلطه بالفكر الإسلامي فقد ظل هدا الفكر قاصراً وعاجزاً، حتى جاءت الفلسفة الماديـة الحديثـة لتتساقـط مقـولاتها الاجتماعيـة والاقتصادية جميعاً .

وقد أحس الناس بعد تهاوى تلك المقولات بعجزها عن العطاء فدهبوا ليبحثوا عن روافد أخرى تقدهم وتعيد إليهم السكينة والأمن وقد قدم القرآن عشرات الحقائق الدامعة التي مهما أنكرها المنكرون فإن مناهج العلم قـد أكدتها وصدقتها وشهـدت لها سـواء في خلـق الإنسـان أو تكوينـه البيولـوجي والاجتماعي .

وقد قدم القرآن الكريم حقائق في خلق الإنسان لم تستطع أي حفريات أن تكدبها ، بل لقد كذبت الحفـريات المقولات المضللـة التي ادعتها الوثنيـة والداروينية .

وصدق الدكتور بوكاي حين قال إن القرآن الكريم قـدم حقائق علميـة قبل ألف وأربعمـائة سنة

لم يكـن أحد يعرفهـا وقت نزول القـرآن مما يؤكد أنها جاءت من مصـدر أكبر من الإنسان هـو الله تبارك و تعالى .

وكان المنهـج العلمي التجـريبي الـذي شكل الحضارة القائمة الآن ثمـرة من ثمار القرآن ودعوته إلى النظر والاعتبـار وتقديم الدليل والبرهـان كما قدم تصوراً ميتا فيزيقياً للكـون كان من شأنه تحطيم كل الأساطير القديمة التي لاكتها البشرية ورددتها مئات السنين كذلك فإن التصور الإسلامي القرآني للإنسان وخلقه ومسؤوليته الفردية والتزامه الأخلاقي وجزاءه الأخروي وقيام هذا التصور على قاعـدتيـن هما الغيب والواقع أساساً لمفهوم (الثوابت) تكشف فساد العلـوم الإنسانية والإجتماعيـة الحديثة القائمة على العنصر المادي وحده دون عالم الغيب (الذيـن يؤمنون بالغيب) ومـا تـزال البشريـة في اضطـراب وانحـراف طالما تنكـر عالم الغيب مكملاً لعالـم الشهادة وطالما تنكـر الالوهيـة والنبـوة والوحـي والبعث والجزاء .

☆ ☆ ☆

لقد استطاع الإسلام خلال أربعة عشر قرناً أن يقدم للبشرية مجموعة ضخمة من الحقائق التي يمكن أن يتحول بها إلى مجتمع رباني أصيل من خلال بناء الإنسان مع أساس جديد مختلف عن مفاهيم الفكر البشري يكون فيه الإنسان ربانياً ينتقل من الفردية إلى الاجتماعية ومن الأنانية إلى الغيرية ومن الصراع إلى التعاون كذلك فقد أقام لكل قضايا المجتمع الأساسية والتي ما تزال مصدر اضطراب عالم وسائل العلاج في أربع مقررات أساسية :

أولاً : حماية الأمة والفقير واليتيم والضعيف من العوز فإنه جعل لهم حقاً في المال العام وحال بينهم وبين سيطرة أصحاب رؤوس الأموال ﴿ في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم ﴾ سورة المعارج آيات ٢٤، ٢٥ .

ثانياً : حماية المجتمع من الفساد والانحلال والفاحشة .

﴿ والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلاً عظيماً ﴾ سورة النساء آية ٢٧. وهو ما ينفرد به الإسلام من بناء المجتمع على قاعدة الأخلاق والقيم والحدود والضوابط .

ثالثاً : حماية الرقيق وتحريره بالمكاتبة وغيرها من الوسائل .

رابعاً : حماية المرأة من اضطهاد الرجل لها وإقرار حقها في بيتها ومالها وتقدير دورها الكامن في بناء أسرتها وحماية أولادها وتحذيرها من المغريات التي تخـرجهـا عـن مسؤوليتها الأساسيـة وإذ تتهـاوى الايدلوجيات والمناهج البشريـة الوافدة واحدة بعد الأخرى فهي تفسح الطريق إلى منهج الإسلام الذي تتطلع البشرية إليه اليوم كمنقذ لها من جميع الدعوات الهدامة والمشكلات التي تخلقها الحركات التي تنقّ هنا وهناك بدعوى إسعاد البشرية الذي لن يتأتّى في غنـى مـن النـور الربّاني والهـدي النبـوي والتعليم الإسلاميّ .

☆ ☆ ☆

☆ ☆

معالم إسلامية

بقلم : الدكتور أحمد عبد الرحيم السايح
الأستاذ في جامعة الأزهر

الصراع بين الأحياء من طبيعة الحياة، وقد ثبت بالتجربة، أنه أمر لابد من وقوعه بين الناس، مهما ارتقت أفكارهم، أو تقدمت وتطورت معارفهم وحضارتهم، والدليل الواضح على ذلك، ما يقع بين الأمم من الحروب العالمية، وهذا التسابق المحموم في أسلحة الفتك والدمار والخراب، رغم ما توصلوا إليه من العلم والحضارة المادية والتقدم .

فالحرب لايمكن أن تزول من الدنيا، أو تخف حدتها، أو تنحصر ويلاتها، ذلك أنها بكل ما فيها من مرارة وآلام، وبكل ما تنطوي عليه من قسوة، وبطش، وإحلال بالأمن والسلام، سر من أسرار الحياة، وجوهر من جواهرها .. لأن الحياة هي الحركة، والحركة هي التي تحول المادة وتغيرها، بما تحدثه من احتكاك وصدام، وصراع مستمر ...

وما كان الإنسان ليشذ عن هذه القاعدة، وهو أرقى صور الحياة وأملها، غير أن العقل والأديان، قد نظمت قواه ، وحدت من غرائزه، التي تدفعه للقتال، دائماً وأبداً .. لكنها لم تقض على هذه الغريزة . وإلا لقضت على الحياة في أساسها، فبقيت غريزة القتال كامنة في النفوس، لاتلبث أن تحتدم، متى وجدت دواعيها ، وتهيأت أسبابها.. وما أكثر الأسباب والدوافع، التي تفضي إلى المنافسة بين أبناء البشر

والإنسان حين يفقد سلامه النفسي في داخله، يفقد سلامه الاجتماعي والعالمي في خارجه، ويعدم الراحة، والهدوء والانبساط، ويتلفت عن يمين وشمال، فلا يرى إلا حيونة الأهواء والنزوات، وغيلان الأثرة والمطامع تدق طبولها، معلنة، على قراره الذاتي، وسلامه النفسي حرباً ضروساً، لا تلبث إلا ريثما يضيق بها ميدان وجدانه، ومجال مشاعره، لتمد ألسنتها، حامية الوطيس، مشتعلة الأوار، خارج هذه النطاق، لتأتي على الأخضر واليابس، من علائق الأفراد والجماعات، والأمم، ومقدراتها، وممتلكاتها، ومناطق نفوذها، وما سطرته يراع الإنسانية من معالم الحضارة، ومشاهد التقدم، ووسائل المدنية، التي ترمي إلى ترقيه الحياة ، وتهذيبها

والويل كل الويل ، يوم يذر قرن الفتنة، وتتنزى الأهواء النافرة، والنزعات الشاردة، والمطامع الفاغرة، معلنة إصرارها على طمس الحق وأهله. لهذا كان حرص الإسلام البالغ، على أن يتصف أهل الإيمان بالقوة، على أن يكونوا دائماً على استعداد، لمواجهة أهل الباطل، مهما تكن التضحيات في النفس، والأهل، والمال والتحفظ الوحيد الذي وضعه الإسلام على قوة المسلمين، هو أن تكون قوتهم في خدمة العدل، والسلام ، وأن تنأى عن البغي والعدوان

قال تعالى في سورة الحج : ﴿ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز﴾ (الحج ٤) ذكر القرطبي في تفسيره : أنه لولا ما شرعه الله تعالى للأنبياء والمؤمنين من قتال الأعداء لاستولى أهل الشرك، وعطلوا ما بنته أرباب الديانات، من مواضع العبادات، ولكنه دفع بأن أوجب القتال، ليتفرغ أهل الدين للعبادة .. فالجهاد أمر متقدم في الأمم ، وبه صلحت الشرائع .

حقاً إن الإسلام حين يضطر إلى القتال، فإنما يمارس أشرف أنواع القتال و أنبلها، ذلكم الذي لم ولن تعرف الدنيا له عـدلاً ولا نظيراً ، من قريب أو بعيد، من حيث أسبـابه ، وأهدافـه ، وغاياته ، وملابساتـه وظروفه ..

إن أسباب القتال جميعاً تلتقي عند درء العدوان، ورد الهجوم، واسترداد الحق السليب، والكرامة المهيضة، والأمل الشريد، واقتلاع جذور الظلم، وكسر حدته، وانحسار موجته ..

ولولا أن يغرى الله به المؤمنين، لاعتلت المفاهيم، واختلت الموازين، واضطرب أمر الحياة، ولخلا وجهها من الحق وحده .

وتلتقي أيضاً بواعث القتال عند درء الفتنة، إذا ذر قرنها، واستفحل شررها، وتطاير شررها، فإن طاقات النفس محدودة ، وقـدراتها تحت مطارق الفتن، وصروف الهون قاصرة، يخشى حائد أن تلين، أوتهون، أو تتشتت، فتعطي خصمها الدنية في ذاتها، ويقينها ..

إن التلويح والتلميح، والمساومة، والإلحاح، والترغيب ، والرهبة ، من أخطر الأساليب التي تمس أغوار النفس ، في ظروف التعسف ، والقهر ، والبغي ، والطغيان .. فيلين عودها، و يتبخّر ريها ، وتأتي على ما في قرارها من يأس وأخصر ..

ومالم يتدارك هؤلاء تحت العذاب والفتن ، ومعاول الهدم .. فإنهم لا يلبثون إلا ريثما تضيق على أعناقهم قبضة الفتن، فإذا هم ساقطون ..

إن القتال حينئذ حبل إنقاذ، ينقذ المحطومين، ويمنع المتآمرين ، من التوسع والمزيد.. ولاملام في هذا، فمن أشعل الفتنة صلي نارها، ومن سل سيف البغي صرع به .

وإن القتال في الإسلام كما يكون لأهل العدوان والإضطهاد والفتن، يكون أيضاً ، لمن يهددون الأمن، ويقلقون السلم.. ويكون لمن يدسون الدسائس، ويزرعون الوقيعة، ويبثون الخدع، وينشرون الأراجيف، وينفثون السموم، ويرحون لأساليب الهدم والدمار، من المذبذبين، وذوي الضمائر الفاسدة، والذمم الخربة، وأهل النكث، والخيانة، ومن لديهم الاستعداد إلى الإنسلاخ من كل مبدأ، والتلون بكل لون، وتغير جلودهم، حسب الملابسات والظروف .

وما كانت أسباب القتال في الإسلام راجعة يوماً ما إلى عدوان منه، أو بغي أو تسلط أو قسر، أو إكراه . وما كانت أيضاً معادية ولا باطلاً، وإنما كان الأمر معه على العكس.. فالمسلمون كانوا على مر العصور ضحايا القسر، والتعذيب، والطغيان، والقهر.. ولذا لجأ المسلمون لمحاربة القوة بالقوة، لأنه لا تحارب القوة بالحجة، ولكن بمثلها فلا يفل الحديد إلا الحديد، فكانت حروبه جميعاً لاتقاء هجوم مبيت، من قبل طغاة متجبرين، لايألون جهداً، في مباغتة الإسلام بالهجوم

كلمة المحرر

يوم السبت ٢٧/ ذو القعدة ١٤٢٠هـ الموافق ٤/ مارس ٢٠٠٠م، عقدت رابطةُ المدارس العربيّة في الهند، التي ترأسها وتقودها الجامعة الإسلاميّة الأمّ في شبه القارة الهنديّة : دارالعلوم / ديوبند، اجتماعاً هامّاً في الساعة التاسعة صباحاً في مضيف الجامعة، دعت له مندوبين من معظم المدارس الإسلاميّة الكبرى في أنحاء البلاد .

وذلك للاحتجاج ضدّ مشروع قانون، وافق عليه في الأيام الأخيرة المجلس التشريعيّ الإقليمي بولاية أترابراديش، يقضي بمنع المواطنين – ولا سيّما المسلمين الذين هم الهدف الأساسي للقانون – عن إنشاء مبنى دينيّ بما فيه المساجد والمدارس، وعن ترميمه بشكل من الأشكال وعن استخدام مكان ما للعبادة إلاّ بعد الحصول على إذن رسميّ .

وجاء هذا القانون نابعاً من تفكير السلطة الرسميّة الهندوسيّة في الولاية بأنّ هناك تصاعداً خطيراً للنشاطات الإرهابيّة التي تقوم بها المدارس الإسلامية التي تقام في أرجاء الهند بشكل متزايد .

والنشاطات الإرهابيةُ تعني عندهم النشاطات الإسلاميّة والتحركات التي تهدف إلى إبقاء المسلمين على دينهم وعقيدتهم وشعائرهم وهويّتهم .

وقد قام المسلمون ولا يزالون ضدّ هذا القانون العدواني الأسود من تظاهرات الاحتجاج بما لم تشهد الهند مثله إلاّ قليلاً . فلم تبق مدينة أو قرية لم تشهد احتفالات احتجاج كبيرة شاركها المسلمون ولا يزالون على اختلاف قطاعاتهم ومدارس فكرهم ومذاهب فقههم.

ولكن المؤسف للغاية أنّ وسائل الإعلام الهنديّة لا تهتم بأنباء الاحتجاج اهتماماً لائقاً ولا تغطّيها تغطية كافية؛ لأن القائمين عليها في الأغلب إمّا هندوس متطرفون وإمّا هندوس علمانيّون يرون أنّ المدارس حقّاً تُخَرِّجُ علماء يعملون على صياغة المسلمين في الهند صياغة إسلاميّة صحيحة تجعلم لا يقبلون "الإسلام العلماني الحكوميّ المتقلقل المائع" .

وقد أجمع المجتمعون من ممثّلي المدارس في رحاب جامعة ديوبند على تصعيد تظاهرات الاحتجاج، وتقديم مذكرات احتجاج من شتى أنحاء الهند إلى رئيس الجمهوريّة الهنديّة .

والواقع أنّ هذا القانون إذا نُفِّذَ فإنّه سيشكّل أقوى ضربة للمسلمين فيما يتعلّق بدينهم، فيما بعد استقلال الهند. وإعراضُ وسائل الإعلام الهنديّة عن تغطية أنباء الاحتجاج ضد القانون، وسكوتُ الأحزاب العلمانيّة عن إطلاق كلمة ضده، يمثّلان مخاوف شديدة. والله وحده هو وليّ المسلمين في هذه البلاد وفي كل مكان . "وَاللهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُوْنَ" . (يوسف/٢١) [التحرير]

المصاعب فقد كان العرب يعيشون تلك الحياة الصعبة وينشأ أفرادهم على الجسارة والشجاعة فلا يرهب الفرد منهم وحشاً كاسراً ولا عدواً غادراً، فقد ولد على أرض صلبة وتلقته أياد خشنة وربته طبيعة قاسية ودرج في أجواء يعايش السباع ويقاتل العدو ويبيت وحده في المناطق المسبعة خلال الليالي المظلمة: إن كان راكباً توسد يد جمله وان كان ماشياً توسد يده ونام قرير العين في فلوات تصفر فيها الريح وتجوس فيها الوحوش التي تبحث عن فريستها متى أظلم الليل ونام الناس.. هل يستطيع ابن هذا العصر من العرب أن يفعل كما فعل سلفه الأول في أرض الجزيرة العربية ينام لا يخاف عادية السباع من حوله ولا غوائل الزواحف كالعقارب والحيّات وسائر مادبّ على الأرض من القوارض أو مشى عليها من أكلة اللحوم؟.. وإذا كان الإنسان كما يقال: ابن بيئته فقد تربى العربي منذ طفولته على أنه لا يخشى أحداً إلا اللّه الذي خلقه ورزقه: يستحضر في ذهنه نعمه عليه حين يهطل المطر وتسيل الأودية وتتحول الأرض إلى ساحة خضراء مطرزة بالأزهار لتبرج في أزيائها الرائعة وتبدي مناظرها البديعة وتسخو بثمارها اليانعة، وتكتمل الصورة الجميلة حين تغرد الطيور في جنبات الشعاب وفوق الغصون وعلى رؤوس الأشجار، ويعمّ الفرح والغبطة جميع قاطني الصحراء سواء من البشر أو الأنعام وسائر أنواع الحيوان والأطيار. كل فصيلة تعبر عن فرحتها بما وهبها اللّه تبارك وتعالى من حس طبيعي يتناسب مع طبيعتها وما زوّدها به اللّه تعالى من غريزة تدرك بها ما يفيدها وما يضرّها لذلك تتجلى عندها مظاهر الخوف أو الألفة في حالة الرهبة أو الرغبة بحسب ماركّب في طبعها من غرائز تستوحيها عند الحاجة إليها .. ومعلوم أن الإنسان من بين سائر الكائنات هو الذي يعبر عن فرحه أو حزنه قولاً باللسان أو كتابة بالقلم أو مشاركة بالجوارح. حيث يرصد مشاعره ويترجم ما تضمّه جوانحه من معالم السرور والاغتباط، وقد عمل العرب على تسجيل مفاخرهم العربية وخصالهم الطيبة كالكرم والشجاعة وإغاثة الملهوف والنخوة ورعاية الجار وحماية اللاجئ والدفاع عن المظلوم وما سوى ذلك من مكارم الأخلاق وكرائم السجايا.

☆ ☆ ☆

وتصوير المشاعر المرتبطة أحاسيسها بالمعالم البيئية والتي يحتفل بها الشاعر أو الناثر في إنتاجه يختلف بحسب طبيعة العصر وبيئته وما توحيه لصاحب العطاء من توجّه وما يستبطنه من انفعال بحدث أو تأثر بمشهد. حيث تختلف طرق التعبير ووسائله في توصيف العلاقة التي تبدو خلالها معالم البيئة أو بعض مظاهرها. كما يختلف تصوير الخوالج الإنسانية بين الفترة الجاهلية وفترة صدر الإسلام، وكذلك يكون الاختلاف بطبيعة الحال بين ما سبق ، وبين العصر الأموي من جانب والعصر العباسي وما بعده من جانب آخر، فلكل عصر سماته الواضحة وأثر بيئته وانعكاسها على الأجيال المعايشة للفترة التي عاشت خلالها والبيئة التي نبتت فوق أرضها على أساس تكوينها الجغرافي والسكاني وطبيعة طقسها وظلالها وأضوائها وما تعكسه على الفرد الذي ولد بها ودرج فيها ونشأ في جنباتها وانطبع بطابعها وتكيّف مع أجوائها.

☆ ☆ ☆

عليه، والإيقاع به، وفض الناس عليه .

إذن حتمية المواجهة تستدعي من المسلمين - أمة، أو مجموعة من المجتمعات- ضرورة التهيؤ ، والاستعداد .

وليس شرطاً أن ينتظر المسلمون، حتى يروا أمارات السوء، والشر والعدوان، من عدو معروف لهم، فيبدأون في أحد وسائل الدفاع . إنما عليهم أن يدركوا طبيعة الحياة في هذه الزاوية الهامة، التي تحكم بوجود الصراع، تجربة، وتاريخاً ، وواقعاً، بين الناس، فيبذلون قصارى جهدهـم، في إعداد القوة، حتى ولو لم يكن أمامهم عدو معروف، معلوم لهم .

وإلى هذا المعنى يوجه القرآن الكريم المؤمنين، فيقول تعالى في سورة الأنفال : ﴿ واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم، وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون ﴾ (الانفال: ٦٠)

فالله سبحانه وتعالى أمر المؤمنين بالاستعداد للحرب التي لابد منها لدفع العدوان وحفظ الأنفس والحق، والفضيلة .. ويكون ذلك بأمرين:

الأمر الأول : إعـداد المستطاع من القوة، ويختلف هذا باختلاف الزمان، والمكان، والواجب على المسلمين في هذا العصر، صنع المدافع والطائرات والدبابات وإنشاء السفن الحربية، والغواصات ونحو ذلك. كما يجب عليهم تعلم الفنون والصناعات، التي يتوقف عليها صنع هذه الأشياء وغيرها من قوى الحرب

والأمر الثاني : مرابطة الفرسان في ثغور البلاد وحدودها.. إذا هي مداخل الأعداء ومواضع مهاجمتهم للبلاد .. والحكمة في هذا ، أن يكون للأمة الإسلامية جند دائم ، مستعد للدفاع عنها، إذا فاجأها العدو على غرة ﴿ ترهبون به عدو الله وعدوكم ﴾ أي أعدوا لهم المستطاع من القوة الحربية ، ومن الفرسان المرابطة، لترهبوا أعداء الله الكافرين به .

فالكفار - إذا علموا استعداد المسلمين، وتأهبهم للجهاد واستكمالهم لجميع الأسلحة والآلات، خافوهم، وإلى هذا يشير أبو تمام يقول :

وأخافكم كي تغمدوا أسيافكم
إن الـــدم المغير يحرســـه الدم

وهذا الخوف يفيد المسلمين من وجوه :

١- يجعل أعداء هم لا يبغون عدواناً آخر عليهم .
٢- يجعلهم يؤدون الالتزامات المطلوبة منهم.
٣- ربما حملهم ذلك على الدخول في الإسلام والإيمان بالله ورسوله .

والخلاصة . إن تكثير آلات الجهاد، وأدواته ، كما يرهب الأعداء الذين نعلم أنهم أعداء، يرهب كذلك الأعداء، الذي لا نعلم أنهم أعداء. ﴿ وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم ﴾ فالاستعداد للحرب يرهبهم جميعاً، ويمنعهم من الإقدام على القتال.. وهذا ما يسمى في العصر الحديث (السلام المسلح) .

ولعل الباحث يعرف أن إعداد القوة في الإسلام، والذي جاء الأمر به ، ليس المقصود به إعداد قوة مماثلة لقوة الأعداء، لأن فريضة الجهاد في الإسلام، لا تنتظر حتى يتم إعداد قوة مماثلة لقوة العدو، لأن ذلك قد يطول لو انتظر المسلمون في غزوة بدر الكبرى،

حتى تتكافأ قوتهم، وقوة عدوهم، ما قامت للإسلام والمؤمنين قائمة .

إنما القلة المؤمنة بالله ، والمعتزة بعقيدتها، اعتزازاً يفوق كل اعتبار، استعدت بقدر ما استطاعت، ثم خاضت المعركة فكان فيها الفرقان .

والآية الكريمة التي أمرت بإعداد القوة، فيها كلمة (ترهبون) وقد جاءت بصيغة الفعل المضارع، وتشير إلى الغرض من إعداد القوة وهو إلقاء الرهبة في قلوب أعداء الله، وأعداء الإسلام، والمعلومين منهم للمسلمين والمجهولين .. وكم للإسلام والمسلمين من أعداء لو يفقه المسلمون .

والآية الكريمة (واعدوا) على اختصارها جمعت أنواع الإعداد للجيوش التي تتلاءم مع كل عصر وزمن، كالإعـداد المـادي، والإداري ، والفني ، والمـالي، والتخطيط ، والـدراسـة ، الموضوعيـة لمقتضيات الأحوال

ولقد فرض الإسلام على الأمة الإسلامية الإعداد بكل ما تشمله كلمة (إعداد) من معنى، وأن تبذل الأمة فيه أقصى الجهود الصادقة، ولم تغفل الآية الإعداد وقت السلم ، ووقت القتال، حتى تكون الجيوش الإسلامية أشد فعالية، وأكثر قدرة قتالية .

والقتال في الإسلام مجرد من كل غاية أرضية، ومن دافع شخصي ليتمحض خالصاً لله لتحقيق كلمة الله ، وإقامة العدل ، ابتغاء رضوان الله .

قال تعالى في سورة آل عمران : ﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ﴾ .

والإسلام في هذه الآية الكريمة ، يربط الغاية المرجوة - دخول الجنة - بالسلوك العملي في الحياة الدنيوية ، بحيث تصبح المقياس الميزان ، الذي يدل على صحة الارتباط بالدين نفسه .. وقال تعالى سورة التوبة : ﴿ قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين، ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب اللّه على من يشاء والله عليمٌ حكيم. أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة والله خبير بما تعملون ﴾ .

فكلمة (بأيديكم) في الآية تنفي تماما معاني التواكل ، والإهمال ، والكسل، وتؤكد حظ الجهد البشري في المواجهة لأهل الظلم والباطل، كما تفيد المسلمين، أنه لا أمل لهم إلا في أنفسهم .. وكلمة (أم حسبتم أن تتركوا) في الآية ، فيها الدلالة الواضحة على أنه لا يجوز أن يتصور أهل الإيمان قيام الحياة ونظامها، على الحلو من معاناة الجهاد، والصبر، والبذل، والتضحية، وأن أي تصور يجنح إلى تجربة الحياة من غير هذه الخصائص ، وهم باطل ، لابد من محاربته، حتى يكون المؤمن مستعداً استعداداً واقعياً، يتمشى مع طبيعة الحياة .

والله سبحانه وتعالى لا يرضى أن يكون حملة الإسلام، وحمـاة الدعـوة الإسلاميـة من الجامدين الكسالى، الذين ينتظرون النصر، لمجرد أنهم مسلمون.

والأمة الإسلامية في أشد الحاجة إلى استيقاظ كل الخلايا فيها ، واحتشاد كل القوى، وتوفر كل استعداد، وتجميع كل الطاقات، كي يتم النمو، ويتكامل البناء، لأن تحركات الأعداء لا تتوقف،

(البقية على ص ٢١)

رمضان .. ارتبط بكل رسالات الرسل للبشر على الأرض

بقلم : سيف النصر المحلى
كبير المستشارين للعلوم الشرعية والعربية بالأزهر الشريف

يدلّنا التاريخ اللغوى لكلمة "رمضان" على أن لهذا الشهر - مكانة خاصة في نفوس الناس منذ فجر الحياة ومطلع التاريخ - وأن تسميته " برمضان" لها ارتباط بهذه المكانة - لما للفظة "رمضان" من دلالة اسمية قديمة في الجاهليتين : الأولى ، والثانية ..

والذي يتتبع تاريخ العقائد والأديان . يجد أن "رمضان" قد ارتبط واقترن بكل رسالات الرسل للبشر على الأرض ففى خلال هذا الشهر نزلت صحف ابراهيم، توراة موسى وانجيل عيسى وزبور داوود وقرآن محمد ﷺ وعليهم جميعا وسلم .

روى الثعالبي بإسناده عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنّه قال : "أنزلت صحف ابراهيم لثلاث مضين من شهر رمضان وفي رواية الواحدى - في أول ليلة منه - وانزلت توراة موسى لست مضين من شهر رمضان وأنزل انجيل عيسى لثلاث عشرة ليلة خلت من رمضان وأنزل زبور داوود لثماني عشرة ليلة من رمضان . وأنزل الفرقان على محمد لأربع وعشرين من شهر رمضان " . وهذا بعينه ما رواه العياشى عن أبي عبد الله عن آبائه عن النبي ﷺ .

ولا شك . أن اصطفاء شهر رمضان - على مر العصور برسالات الرسل - قد جعل له في نفوس الناس - قبل أن يصيبها انحراف العصبية العقائدية - مكانة روحية خاصة جعلته يمتاز بها عما عداه من الشهور - بل إن نزول الكتب المقدسة على الرسل في هذا الشهر بالذات - يدل على أن الله سبحانه - قد اختصه من دون شهور العام - بمكانة عظمى - جعلت الناس ينظرون بها إليه بالإكبار والإجلال - ثم ازدادت هذه المكانة في نفوس المسلمين - تقديسا وتعظيما - للشهر الكريم حين فرض الله تعالىٰ عليهم صيامه .

وإذا كان اختصاص شهر "رمضان" بإرسال الرسل ونزول الكتب السماوية فيه - يوحى بما له من مزيه فضل ميزه الله بها على غيره من الشهور. فإنه يوحى أيضا بمزايا أخرى لا تخفى على من أوتى من ربه نور البصيرة وجلاء النظر

فما هى هذه المزايا التي خص الله تعالى بها هذا الشهر المبارك شهر "رمضان " على غيره من الشهور..؟ وما هي خصائص هذا الشهر التي جعلت أيامه هي أفضل الأيام في الشهور على مرّ الشهور . .؟

سنة الله في خلقه

الذى ينظر إلى سنة الله سبحانه وتعالى في خلقه يجد أنه جلّ شأنه قد فضل أناسا على أناس، وأزمنة على أزمنة وأمكنة على أمكنة وأوقاتا على أوقات ، بل

إنه سبحانه وتعالى قد جعل هذا التفضيل في الإنسان والحيوان - كما جعله في الجمادات وسائر المخلوقات.

ومخلوقات الله تعالى الكثيرة منها ما هو منظور مرئى، ومنها ما هو غيبى لا يرى. فمن الغيبيات: الملائكة والجن وما خفى من عوالم خلقه سبحانه وتعالى، ومن المنظور المرئى - الإنسان والحيوان وسائر ما تقع عليه العين ويدركه الحس بالسمع والبصر.

والله - جل شأنه - قد جعل الإنسان أفضل المخلوقات على الإطلاق سواء ما كان منها مرئيا أو غيبيا . يقول الله تعالى جل شأنه في هذا التفضيل :

وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ آدَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً . (سورة الإسراء، اية ٧٠)

ولكن هذه الأفضلية - لا ينالها الإنسان أو يفضل بها الملائكة مثلا - وهم أجسام نورانية يعبدون الله في سائر أوقات الليل والنهار وعن عبادة الله سبحانه - لا يفترون - إلا إذا كان الإنسان مسلما مؤمنا جامعا لكل صفات المؤمن التي أمره الإسلام باتباعها والتحلّي بها - ومن لم يكن جامعا لهذه الصفات فلا أفضلية له على غيره من المخلوقات التي كلفها الله تعالى بعبادته - كالملائكة وصالحي الجان - كما أنه لا أفضلية للصالحين من المؤمنين على رسل الملائكة والصالحين من رؤسائهم - كجبريل - عليه الصلاة والسلام - لاصطفائه - تعالى - له وجعله للمصطفين الأخيار من خلقه مقاما معلوما عند ربه . فلكل عند ربه مقام معلوم .

وقد اصطفى الله - سبحانه و تعالى - بعض الخلق وفضل بعضهم على بعض - فجعل لكل منهم مكانة من الاصطفاء حسبما اقتضته إرادته ، وتم عليه اختياره يقول جل شأنه :

وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَايَشَآءُ وَيَخْتَارُ . (سورة القصص، اية ٦٨)

فالأنبياء والمرسلون مصطفون من سائر الخلق على الناس :

إِنَّ اللّٰهَ اصْطَفَىٰٓ آدَمَ وَنُوْحاً وَ آل إِبْرَاهِيمَ وَآل عِمْرَانَ عَلَى الْعَٰلَمِيْن . (سورة آل عمران، اية ٣٣)

اَللّٰهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ. (سورة الانعام، اية ١٢٤)

يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى اَصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى. (سورة الاعراف، آية ١٤٤)

وَهُوَ الَّذِىْ جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ الْأَرْضِ ورفع بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ (سورة الأنعام، اية ١٦٥)

وأما تفضيل بعض الأمكنة على بعض - فذلك قائم منذ خلق - سبحانه وتعالى جل شأنه - الأرض، وجعلها مستقرا و مقاما للناس .

فقد فضل - سبحانه و تعالى - بعضها عن بعض - فمنها ما جعله مهابط للوحى، ومنها ما جعله مثابات للذكرى، ومنها ما جعله مكانا للتقديس والعبادة .فهو -جل شأنه - قد اصطفى "بيته الحرام" وجعله أفضل "البيوت" على الإطلاق . واختصه بالفضل فجعله مثابة للناس وأمنا ، وجعل أفئدة من الناس تهوى إليه : إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِين ○ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيْمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِناً وَلِلّٰهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيْلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللّٰهَ غَنِىٌّ عَنِ الْعَالَمِيْنَ . (سورة آل عمران، آية ٩٦-٩٧)

وهو سبحانه قد اصطفى وادى موسى. وفضله

على سائر الأودية : فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَىٰ o إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى o وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ o إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي . (سورة طه، آية ١١-١٤)

واصطفى المسجد الأقصى - أعاده الله إلى المسلمين ووجه قلوبهم إلى افتدائه والحفاظ عليه بأرواحهم ودمائهم - فجعله أحد المساجد الثلاثة المباركة، وهى المساجد التي تشد إليها الرحال :

سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ . (سوره الإسراء، آية ١)

ويقول المصطفى رسول الله ﷺ فى حديثه النبوى الشريف : "لا تشدّ الرحال إلا إلى ثلاث . مسجدى هذا، والمسجد الحرام، والمسجد الأقصى".

والأزمنة - مع كرّ الليل والنهر، وتتابع الأيام والأعوام فى تشابه وتناسق صيفا، وشتاء ، وربيعا، وخريفا - قد اصطفى الله تعالى منها أياما وليالى، وأوقاتا وساعات - جعلها الله سبحانه وتعالى - مواسم لرحمته، ومواقيت لرضوانه - .

فمن هذه الأوقات وقت "الفجر" ومن هذه الليالى "الليالى العشر" والليلة المباركة التي هي "ليلة القدر" .. وقد أقسم الله تعالى - بالأوقات والليالى - إعلاء لقدرها وإعلاما بجلال شأنها فقال سبحانه وتعالى :

وَالْفَجْرِ o وَلَيَالٍ عَشْرٍ . (سوره الفجر، آية ١)

وقال جل شأنه في سبيل الحث على تلاوة القرآن الكريم أو في الحرص على صلاة الفجر قرآنا لأن القراءة ركنها من باب تسمية الشيء باسم جزئه. كتسميه الصلاة ركوعا أو سجودا أو قنوتا - يقول الله تعالىٰ :

وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا. (سورة الإسراء، آية ٨٧)

ويقول عن ليلة القدر :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ o وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ o لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ o تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ o سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ o . (سورة القدر، آية ١-٥)

ويقول سبحانه جل شأنه : إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ o فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ o أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ . (سوره الدخان، آية ٣-٥)

فضل شهر رمضان

ومن الأيام والشهور. التى فضلها الله على غيرها- "شهر رمضان" و "أيام العيدين"، "ويوم عرفة" .. "والعشر الأواخر من رمضان" .. "والعشر الأوائل من ذي الحجة" .. يقول جل شأنه :

شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ . (سوره البقره، آية ١٨٥)

فقد فضل الله تعالى في هذه الآية الكريمة "شهر رمضان" على سائر شهور العام - بإنزال القرآن الكريم فيه، وبفرض صيامه على المسلمين . وعلى أمم وأديان أخرى سبقتهم في الزمن القديم، كما تحكي هذا كتب العقائد والتاريخ والديانات السابقة على الإسلام كما

فضّله اللّٰه تعالى بأن جعل فيه "ليلة القدر" التى هى خير من ألف شهر وبأن جعل سبحانه و تعالى خاتمة صيامه من بداية الشهر التالى - يوم عيد - يحمد فيه المسلمون اللّٰه تعالى - فيهللون ويكبرون ويحمدونه - سبحانه - على ما هداهم إليه من نعمة "الصيام" والقدرة على أدائه .

ولعل هذا هو السرّ فيما أطلق على "رمضان" من أسماء فى الحديث الشريف فقد جاء فيه . أنه "شهر عيد" فقد ورد في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : "شهرا عيد لا ينقصان ، رمضان وذو الحجة" مع أن العيد في أول يوم من شوال - لكن يبدو أنه لما كان يوم العيد هو أول ما يلى شهر الصيام من أيام - سُمِّى به رأطلق عليه - إظهارا لفضله على سائر الشهور من العام..

فإذا أضيف إلى هذا الاصطفاء لرمضان - اصطفاؤه تعالى - له عن سائر الشهور الأخرى - بما أنزل فيه من صحف إبراهيم وتوراة موسى وانجيل عيسى - قبل الإسلام - فقد زاده اللّٰه - تكريما وتفضيلا حين اصطفاه في الإسلام - وجعل منه شهرا ظاهر الاختصاص بالفضل منذ وجوده في الزمن. فجعله مشرق الهداية ومطلع النور في كل دورة فلك على الإنسان . .

ولعل نزول الكتب المقدسة في هذا الشهر المبارك وابتداءها بصحف "إبراهيم" أبى الأنبياء، واختتامها "بقرآن" محمد خاتم الأنبياء والمرسلين - فيه إشارة إلى ما يتصف به هذا الشهر الكريم من خصائص وخواص روحية - بجانب الإشارة إلى وحدة "الدين والعقيدة التى جمع اللّٰه تعالى - رسله وأنبياءه - عليها - فيما أرسلهم به من "رسالات، وما أنزله عليهم من "كتب و صحف و زبور وقرآن كريم".

وحــــدة العقيـــــــدة

وليس "الإسلام" دينا جديدا - كما يظن بعض الناس أو الكثير منهم ، ولكنه كما ينص "القرآن الكريم" - دين اللّٰه إلى الناس كافة . أوحاه اللّٰه إلى جميع رسله فأرسل به أول رسول إلى الناس، وأرسل به آخر رسول إليهم . .

والإسلام .. هو هو "الإسلام" على يد كل رسول فى عقائده وأعلى شرائعه - يزداد كلما ازدادت حاجة الإنسان إلى هداية السماء .. وكلما ارتقت وتقدمت عقلية الإنسان كلما تقبلت ما يأتى به الدين اللاحق على الدين السابق من زيادات حتى جاء "الإسلام" وافيا بكل الزيادات التي يحتاجها الإنسان في مستقبل حياته والتي تهديه سبيل الرشاد في نظم الحياة ونواميس العمران .

فدين "آدم" هو دين "نوح" وهو دين "إبراهيم" فالأنبياء من بعده حتى "محمد" عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام .. فإن "دينه، ودين" سائر الأنبياء والمرسلين هو "الإسلام" يقول الله تعالى:

شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّيْنِ مَاوَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِىَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ ، إِبْرَاهِيْمَ وَمُوسَى وَعِيسَى، أَنْ أَقِيمُوْا الدِّيْنَ وَلاَ تَتَفَرَّقُوْا فِيْهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِيْنَ مَا تَدْعُوْهُمْ إِلَيْهِ اللّٰهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ . (سورة الشورى، اية ١٣)

ويقول الرسول ﷺ : "مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى دارا فأكملها وأحسنها إلا موضع لبنة ، فجعل الناس يدخلونها ويتعجبون ويقولون : "لولا موضع هذه اللبنة ، فأنا اللبنة ، وأنا خاتم النبيين".

ويقص علينا – القرآن الكريم – أن الله تعالى – قد أخذ العهد والميثاق على كل نبى أو رسول يرساه – أن يُصدق من يأتى نعده ، ويؤيد من حاء قبله – حتى يتحقق من الجميع .. القيام بنصيبه في المهمة الواحدة.

فيقول تعالى :

وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَآ آتَيْتُكُمْ مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ، قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَا، قَالَ فَاشْهَدُوْا وَأَنَاْ مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِيْنَ ٥ فَمَن تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَـٰئِكَ هُمُ الْفَسِقُوْنَ ٥ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُوْنَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَوٰتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَإِلَيْهِ يُرْجَعُوْنَ ٥ قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وإِسْحَٰقَ و يَعْقُوبَ والأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وعِيْسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُوْنَ ٥ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلَامِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ ٥ (سورة آل عمران، آية: ٨١–٨٥)

وصدق الله تعالىٰ :

يَـٰٓأَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِيْنَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ٥ (سورة البقرة، اية: ١٨٣)

وصدق القائل عز وجل :

شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوْا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوْا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ .

(سورة البقرة، آية: ١٨٥)

☆ ☆ ☆

بقيـــة المنشـور علـــى ص ١٦

وتكالب الأعداء يزاد شراسة وسعاراً، ولاجرم، فإن الحق الأعزل ضائع.

ولما كانت طاهرة الصراع تتعلق باستمرار داتها، كان للاستعداد لها، والاعتراف بها، المكان المقدم في الإسلام. ولدلك حاءت مقاييس التفاصل بين الأعمال، لتصع الجهاد في قلب المؤمن ونفسه ، في المكان المتفوق على عيره من سائر الأعمال .

قال تعالى في سورة النساء : ﴿ ولا يستوى القاعدون من المؤمنين عير أولى الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم. فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلاً وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً، درجات منه ومغفرة ورحمة، وكان الله غفوراً رحيما﴾ .

والخلاصة : التي نفهمها من المنهاج القرآني والسوي، أخدا من الآيات والأحاديث ، التي حاءت في ميدان الجهاد ، والقتال .. أن واجب الأمة الإسلامية أن تهيئ نفسها بصفة دائمة ومستمرة إلى ضرورة الاستعداد.. حيث أن هدا الاستعداد والإعداد ، جزء من العقيدة ، وركن من العبادة، وقد ربط الله بتحقيقه سعادة المسلمين في الدنيا، ونجاتهم في الآخرة، وإن الأمة الإسلامية تملك من الطاقات البشرية، والعقول المفكرة، والإمكانات المادية، والمواقع الاستراتيجية، ما يمكنها من أن تكون أعظم قوة في الأرض .. لا لتضرب في عتو وتجبر، ولكن لتحفظ نفسها ، ومجتمعاتها ، وتقيم العدل بين الناس، وتنشر الأمن والإطمئنان .

العشرة الأخيرة من شهر رمضان

(معرب من الأردية)

بقلم : الشيخ الجليل المربي الكبير العلاّمة أشرف علي التهانوي
المعروف بـ " حكيم الأمة " المتوفى ١٣٦٢هـ / ١٩٤٣م

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله نحمده و نستعينه ونستغفره ونؤمن به و نتوكل عليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا . من يهده الله فلا مضلّ له ، ومن يضلله فلا هادي له . ونشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لاشريك له . ونشهد أن سيدنا ومولانا محمدا عبده و رسوله صلى الله عليه وعلى آله و أصحابه و بارك و سلّم . أما بعد ! فأعوذ بالله من الشيطن الرحيم ، بسم الله الرحمن الرحيم . " شَهْرُ رَمَضَانَ الذِىْ أُنْزِلَ فِيه القُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَ بَيِّنٰتٍ مِّنَ الهُدٰى وَالْفُرْقَانِ " (البقرة / ١٨٥)

فضل شهر رمضان

هذا جزء من آية أودعه الله سبحانه و تعالىٰ إحدى الفضائل التي يحظى بها شهر رمضان . وقد سبق أن شرحت لكم من خلال الكلمة التي ألقيتها أمامكم يوم الجمعة الماضي ما يتطلبه الشهر من آداب وحقوق واجبة ، وأما الآن فأضع نصب عيني أن أتناول بالحديث جزءا خاصاً من رمضان يتصل بالأيام العشرة الأخيرة منه . والآية في ظاهرها لا تتصل بالعشرة الأخيرة ، ولكنّك إذا أمعنت النظر فيها بدا لك مالها من علاقة مع العشرة الأخيرة؛ فإنك إذا فكّرت في فضل شهر رمضان الذي تضّمه الآية عرفتَ أن العشرة الأخيرة أولى وأجدر بهذا الفضل . فكان سبحانه و تعالى يقول: إن شهر رمضان الذي أنزلتُ فيه القرآن وأفردته بكذا و كذا من الفضائل والبركات . فدلّت الآية على أن القرآن إنما أُنزِلَ في رمضان . ومن بداهة الأمر أن رمضان عبارة عن مدة تستوعب ثلاثين يوما . والآية لا تدل على أن إنزال القرآن كان في أي جزء من هذه المدة الطويلة؟ إلاّ أننا إذا وصلناها بآية أخرى اتضح لنا بفحواهما موعد نزول القرآن . فقال تعالى في الآية الأخرى : " إنا أنزلنٰه في ليلة القدر " (سورة القدر/١) فعُلِمَ بموجب هاتين الآيتين أن القرآن جاء إنزاله في ليلة القدر من شهر رمضان .

وأما ما يقال من أنه يمكن أن ليلة القدر لا يضمها رمضان ، فيكون ضمّ الآية الثانية غير مجدية . فنقول إجابةً على ذلك : إنه قد ثبت في حديث صحيح أن ليلة القدر في رمضان ، إضافةً إلى أننا إذا استعملنا التفكير عرفنا بهاتين الآيتين أن ليلة القدر لا يحتويها إلا شهر رمضان .

نزول القرآن الكريم

وذلك لأن القرآن أُنزِلَ بنوعين : أحدهما تدريجيّ. وذلك في ٢٣/ سنة وفق ما اقتضته الحاجة . ويدل على ذلك بجانب كتب السيرة القرآن نفسه

الذي يقول : " لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيه القرآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً . كذلك لِنُثَبِّتَ به فؤادك ورَتَّلْنَهُ ترتيلاً " (الفرقان/٣٢) نزلت عندما ادعى النصارى وقالوا : إذا كان محمد نبياً فلماذا لم يُعْطَ كِتاباً من السماء جملةً واحدةً ، مثلما أُعْطِيَ موسى وعيسى . فردّ الله جلّ وعلا على إيرادهم بقوله " كذلك لنثبت به فؤادك " الذي يعني أي إنما نَزَّلْتُ القرآن قطعةً قطعةً وسورةً سورةً تدريجيًّا لأجل تثبيت قلبك يا أيها النبي ، ولأن تيسر لك حفظه وإدراك معانيه.

والحق أننا إذا فكرنا علمنا أنه لن يتأتي تثبيت الفؤاد وضبط العبارة وفهمها لو كان القرآنُ أُنْزِلَ مرةً واحدةً مثل ما يتأتى كل ذلك إذا نُزِّلَ متفرقا تدريجيًّا . وكان يصعب على الأمة إدراك أحكام الأمور الفرعية بإنزال القرآن جملةً واحدةً ، لأن إنزاله جملةً يتطلب أن أحكامه أمور كلية يلزم ردّ الأمور الفرعية عليها . فما دام النبي حيًّا يتمكن من تعليم الأمة تلك الأمور الكلية وردّ الفرعية عليها بسهولةٍ . وأما إذا توفته المنية فبما أن ردها عليها إنما يقتصر على اجتهاد الأمة وحده فمن البديهي أن تتورط في أخطاء كثيرة فاحشة ، كما تورط اليهود والنصارى فيها من قبل .

ومثال هذا الفرق كمثل مريض يدخل على طبيب ويصف له ما به من مرض ويرجوه المريض قائلا : بما أنني لا يمكنني أن أمكث عندك ، ولا أن أختلف إليك حيناً بعد حين أخبرك بما أتعرض له من خفة وشدة في المرض، فمن فضلك أن تكتب لي وصفات عديدةً حتى يمكنني استعمالها نظرا إلى تفاقم المرض أو تحسن فيه، فلا أحتاج إلى الحضور لديك كل يوم. ومن المعلوم أن الطبيب مهما كان بارعا و مهما كتب الوصفات بدقة و إمعان ولكن هذا المريض لن يساوي المريض الذي يدخل على الطبيب كل يوم ، ويصف له ما به من مرض، ويعرض عليه ما كان قد كتب له أمس ، ويقوم الطبيب كل يوم بزيادة أدوية إلى الوصفة الماضية أو التقليل منها . والسبب في ذلك أن الطبيب وإن كتب وصفات في خصوص كل ما يطرأ عليه من حال، ولكن إدراك التغير وتعيينه إنما كان مقتصرا على رأي المريض وحده ، الذي من شأنه أن لا يُعْتَدَّ به ؛ لأنه رأي رجل مصاب بالعلة والسقم . فإنه من الممكن أن تردد في جسمه الصفراء ويحسبها السوداء ، وأن يمسّه شيء من النشاط الذي عبارة عن تحسّنٍ قبَل الموت ، فيظنه تحسنا في المرض ونقصا فيه .

وبهذا المثال قد اتضح جليًا أن تعليم الأمور الكلية لن يجلب فائدة تامّةً قدر ما يجلبه النظر في الأمور الفرعية وإدخال التعديلات في ضوئه . فقد مَنّ اللّه علينا جزيلاً إذ نزّل القرآن جزءً جزءً ، واستطاع علماء الأمة أن يدركوه حق إدراكه ، و ينظروا في أسبابِ نزوله ، ويعوه في قرارة نفوسهم .

نزول الكتب السماوية السابقة

وبالمناسبة تثار شبهتان : إحداهما أن التنزيل التدريجيّ إذا كان يتضمن فائدة جليلة كما قلتم آنفا، والإنزال جملةً واحدةً تجرّ خسارةً فادحةً فلما ذا أنزل الله سبحانه و تعالى الكتب السماوية الأخرى ما عدا القرآن الكريم مرةً واحدةً ؟ الأمر الذي ينبئ عن شيئين: إما أن يقال : إن هذا الفرق فيما بين الإنزال جملةً والتنزيل تدريجياً يبنى على خطأ ، وإما أن الله سبحانه لم يعتن بمراعاة مصالح الأمم السالفـة . والإجابة عن هذه الشبهة أن الشرائع الماضية بما أنها كانت موقتة

ومحددة بزمان، وكان يكون فيما بين تلك الأمم في غالب أيـام ذلك الـزمان أنبيـاؤهم أو صحابتهـم وحواريوهم ، الذين كانوا يأتون بحلول تامة للمسائل الفـرعيـة التي كانت تهمهم ، فما كان إنزال الكتب جملةً واحدةً ليصر بأبناء تلك الأمم .

ومفاد الشبهة الثانية أن العلماء يخطئون في عصرنا هذا أيضاً في فهم الكتاب العزيز وإدراك معانيه بالرغم من أن القرآن جاء إنزاله تدريجيًّا ، كما يتجلى ذلك من خلال آراء المجتهدين التي تضاربت كثيرا فيما بينها . فنقول إجابة عن هذه الشبهة : إن هناك فرقاً كبيرا فيما بين هذا النوع من الاختلاف والخطأ في فهم معاني الكتاب العزيز، وبين الأخطاء التي تورطت فيها الأمم السالفة ؛ فإنها اقترفت أخطاءً فادحةً ألحقت أضراراً جذريةً ، على حين إن الأمة المسلمة لم تصدر عنها قط مثل هذه الأخطاء الفاحشة . والسبب من وراء ذلك أن أسباب النزول في حقيقة الأمر تفسير لنصوص الكتاب ، وأن لها دخلاً كبيراً في تعيين مراداته. ومما لا يخفى على أحد أن الخطأ لا يصدر بعد أن تمّ تعيين المراد إلاّ قليلاً ضئيلا ، ويكثر إذا لم يتمّ تعيينه .

وهناك لا يقال : إن الأوامر الإلهية كيف توجهت إلى الأمم السالفة دونما تعيين المراد ؟ فإن التعيين كان يتمّ بتصريحات وأقوال الأنبياء والمرسلين ، ولكنهم – أبناء الأمم السابقة – لم يهتموا بصيانة أقوال أنبيائهم والحفاظ على بيانهم ، إضافة إلى أن البيان لا يتأتّى إلا في موضع السؤال ، وكانوا أحراراً مأذونين بتوجيه الأسئلة في كل مكان ، ولكنهم لم يتيسر لهم ذلك لأجل قلة اعتنائهم به . وأما الاختلاف الذي نراه فيما بين كبار أئمة الأمة المسلمة بعد أن تعينت المرادات، فكان يحتوي في طياته حكمةً بالغةً ظهرت في مذاهب فقهية عديدة جلبت رحمةً كبيرةً للأمة . فانكشف الغبار وتجلى الفرق فيما بين اختلاف أبناء الأمم السابقة وعلماء هذه الأمة .

وخلاصة الحديث أن القرآن أُنزِلَ على نوعين : أحدهما إنزالٌ يُعَبَّرُ عنه بالإنزال التدريجي. ومن الواضح أن هذا النوع من النزول لن يمكن أن يراد بقوله تعالى : " شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن " فإن النزول التدريجي لم يكن في رمضان فحسب أو في ليلة القدر وحدها ، وإنما استغرق ٢٣ سنةً .

سعةُ عَالَم الغيب

والنوع الثاني من نزول القرآن، إنزاله جملةً واحدةً ، وهو الذي تتضمّنه الآية . ولكن هذا النوع من الإنزال لم يكن في عالم الدنيا هذا ، الذي جاء فيه إنزاله تدريجيا ، بل وكان ذلك في عَالَم الغيب ، ويُعْنى بذلك الإنزالُ من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا ، وهما جزءان لِعالَم الغيب . وليس لأحد أن يستحيل كونه مشتملا على أجزاء ، فإن عَالَم الغيب يضمّ سعةً كبيرةً، وإن عالَمنا هذا ليس منه إلاّ كقطرة في إبرة من بحرٍ .

ولأجل ذلك فقال أصحاب الكشوف من العلماء الربانيين : إن الفرق فيما بين عالَم الغيب وعالم الدنيا يساوي الفرق فيما بين أرحام الأمهات وعالَم الدنيا. إن الطفل يعيش أولاً في رحم أمه ، ويعدّ الرحم له عالماً يألفه ويأنس به لحد أن لو سئل عن رأيه في إخراجه من رحم أمه إلى عالَم الدنيا لن يرضى بذلك أبداً ، غير أنه إذا تمّ إخراجه منه بصورة أو أخرى ، كما هو معتاد في العالم ، ويرى ما في هذه الدنيا من رونق و بهاء ،

المشيب وصوره

(٢/١)

بقلم معالي الدكتور عبد العزيز عبد الله الخويطر
المملكة العربية السعودية

المشيب مرحلة تأتي في آخر حياة الإنسان، يصلها من أعطاه الله عمراً مديداً؛ وهي من المراحل في عمر الإنسان التي يشعر بها شعوراً واضحاً، يحس بكل لحظة منها، لأن له في كل لحظة معاناة، أما قبل ذلك فنعم الصحة والقوة تنسيه نفسه ووقته، يمر الوقت دون أن يشعر، ويمر سريعاً، خلافاً للمشيب الذي يمر بطيئاً، لأنه يأخذ طبيعته من طبيعة صاحبه

والشيخ، وهو يدب دبيباً، لا يكفيه معاناة من مشيبه: بطء الحركة، وقلتها، وصعوبة القيام والقعود، ولا كثرة السهر، وقلة النوم، ولا شكوى المفاصل، وضعف السمع والبصر، وسوء الهضم، وكثرة الصداع، وقلة تحمل الحر والبرد، ولكن المعاناة تزيد عندما يقارن حاضره بماضيه، فلا يصدق أنه كان في يوم من الأيام يصعد الدرج ركضاً، ويمشي المسافات الطويلة ركضاً أو شبه راكض، ويقفز على ظهر الحصان، وهو يجري، ويأتي مما يحتاج إلى قوة بما لا يستطيعه الحصان.

والمقارنة بين حاضره، وما فيه من ضعف، وماضيه وما كان فيه من فتوة، أو بين حاله وحال الفتيان حوله، يجد معها أنه أصبح من سقط المتاع، وكأنه بعد الأيام لنهايته، وما يتوقع من ضعف بعد ضعف، وشكوى إثر شكوى؛ فإن كان ممن هيأ لهذه المرحلة ما يسليه من مهنة سهلة، أو عمل فكري، فإن هذا يخفف وطأة المشيب، وينسي المرء بعض ما به.

وقد وجد بعض الشيوخ راحة في التنفيس عما في أنفسهم مما جاء به المشيب، فصبوا في الشعر شعوراً دافقاً، راحوا بالشكوى فيه نفوسهم، وعروها به، وبسبكه، عما في المشيب من نقص إذا قورن بالشباب، وأيامه ذات الذكريات الحلوة الممتعة

وما قيل في الشيب من شعر يفوق تصور من لم يتتبع ذلك في الكتب، أو في الفصول منها، وفيها من الإبداع ما يدهش المتابع، ففيها أفكار مكررة، ولكن فيها أفكاراً جديدة، وآراء طريفة، تدل على فكر عميق، وإحساس متغلغل في نفس الشاعر؛ ويأتي الشاعر أحياناً بصور جميلة براقة، يلبسها لباس المادة، وطبيعتها معنوية فكرية، فيخرجها من محيطها إلى محيط مستعار، وهذه الاستعارة هي التي تعطيها عنصر الإعجاب، وسبب القبول.

ولا بد أن من قال شعراً في الشيب سبق له أن سمع من آخرين قبله ما قالوه فيه، فهو إن لم يقلد، أو يتمثل، فإنه يبحث عن شيء جديد، يبز به الآخرين، ولأن الشعر كثيراً ما يكون نبضاً صادقاً، فإن ما يأتي في هذا المجال ينال الفخر من قائله، والإعجاب من سامعه

من الصور المألوفة في وصف ذهاب الشباب، ومجيء المشيب، أن الذهاب موقف توديع، وكأن هناك ضيفاً حل ثم ارتحل، أو زائراً طل، وما أقام؛ وهذا المعنى يرد كثيراً في الشعر الذي يتحسر الشاعر فيه

ورحال و نساء ، وزينات وزخارف ، ويشاهد المعمورةَ يبدو له رحم الأم شيئا حقيرا و صئيلا بل و عدماً بالنسة إلى هذه الدنيا . وكذلك أهل هذه الدنيا الذين بمثابة سجناء وأسارى في هذا العالم ، والذين لم يُرْزَقُوْا لِأن يتشاهدوا بأعينهم منذ أن ولدتهم أمهاتهم إلى أن توفتهم الملائكة عالَماً غير العالم الذي وُلِدوا و نشأوا وترعرعوا و شبوا و شابوا فيه ، يتألمون بالغا و تحقق قلوبهم هلعا عند ما يؤمرون بمغادرة هذا العالم إلى عالَم غيره ، ولا يرضون بأن يفارقوا دنياهم هذه في صورة أو أخرى . أللهم : إلاّ الذين أعطاهم الله علم المكاشفة عيناً أو ذوقاً ، وكان لهم أن شاهدوا العالم الآخر لا يؤلمهم الفراق ولا يحزنهم ، وإنما يتمنون لأن ينتقلوا إليه في أسرع وقت .

المكاشفة والولاية

ولا يغيب عن البال بالمناسبة أن المكاشفة لا تعني الولاية والقبول عند الله ، فإن أساسها على المجاهدة والرياضة البدنية وحدها . ولذلك فيحظى بها الهندوس أيضاً إذا استمروا في الرياضات البدنية مدةً من الزمن . هذا في دنيانا هذه ، وأما المكاشفة فيما بعد الموت فتحصل لكل أحدٍ . وبعد أن اطلعتم على حقيقة المكاشفة انكشف لكم خطأ من يتصدى للتمتع بالمكاشفة ، ويحسبها أمراً جللاً . بل وإذا فكّرنا اتضح لنا أن رجلاً إذا أتى بأعمال صالحة مع أنه لا يحظى بالمكاشفة ، كان أفضل ممن يأتي بها بعد أن حصل عليهـا ، فيقـول سبحانـه وتعـالى : " الذين يؤمنـون بالغيب" . (البقرة/٢)

وقد جاء في حديث مفاده أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لصحابته سائلا : أي الخلق أعجبهم إيمانا ؟ قالوا : الملائكة يا رسول الله ! فقال : ماذا يمنعهم أن يؤمنوا، وهم يتشرفون كل حين بكلام الله وأحكامه ! قالوا: الأنبياء ، فقال : وكيف لهم أن لا يؤمنوا ، وينزل عليهم الوحي كل حين ؟ فقالوا : ثم إيماننا ، فقال : وأنىَ لكم أن لا تؤمنوا ، وإنكم ترونني كل وقت ، وتسمعون كلامي ؟ فقالوا : فمن هم يا رسول الله ! قال : هم إخواننا الذين يأتون من بعدي ، لم يروني ، ولم يروا نزول القرآن ، وإنما يؤمنون برؤية أوراق مكتوبة ، فهم أعجب الخلق إيمانا . (١)

فخلاصة الكلام أن الذين لم يتجلَّ لهم عالَمُ المكاشفة ، يحزنون ويتألمون عندما يفارقون هذه الدنيا . ويقال عن "جالينوس" الحكيم الفيلسوف الشهير : إنه كان يتمنى قبيل موته أن يكون في قبره ثقب يدخل منه الريح . إلاّ أن المؤمنين الصادقين في إيمانهم الذين لا يحصلون على المكاشفة تكره طباعهم مفارقة هذا العالم ويخافون الموتَ كما قالت عائشة الصديقة : " كلّنا يكره الموت " (٢) غير أنهم إذا توفتهم المنية وانتقلوا إلى عالم الغيب ، ويسيرون فيه ويشاهدونه و سعته بأم أعينهم يمتلئوون فرحاً وسروراً مثل الطفل الذي يسرّه هذا العالَمُ بعد أن فارق رحم أمه و خرج إلى عالم الدنيا و رأى زخارفها وملذاتها ، وينسى رحم أمه ويعدّه ضئيلا حقيراً .

ليلة القدر

فإذا ثبت أن عالم الغيب له أجزاء وأبعاض ، وأن نزول القرآن جملةً واحدةً إنما كان من جزء منه إلى جزء منه آخر ، و أنه هو الذي قال فيه القرآن في موضع "شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن" وقال في موضع آخر "إنا أنزلناه في ليلة القدر " وأن المراد في الآيتين

كلتيهما هو إنزال القرآن مرةً واحدةً . كما عُلِمَ بما ذكرتُ آنفاً ، أن ليلة القدر في رمضان دون غيره.. وذلك لأن ليلة القدر لو كانت في غيره لتضاربت آيات الكتاب العزيز فيما بينها بأن أفادت آية منه بأن القرآن أُنْزِلَ جملةً واحدةً في شهر رمضان ، ودلّت آية أخرى على أنه أُنْزِلَ في غيره ، والتضارب بين أي الذكر الحكيم أمر مستحيل ، فلزم أن تتحلل ليلةُ القدر شهرَ رمضان . هذه من ناحية ، ومن ناحية أخرى تدل أحاديث صحيحة على أن ليلة القدر في العشرة الأخيرة من رمضان . فإذا ثبت نزول القرآن في ليلة القدر ، ثبت نزوله في العشرة الأخيرة دونما تكلف . وهذه هي العلاقة التي تربط الآية بالعشرة الأخيرة . والآية إذ دلّت على فضل رمضان ، دلّت على فضل العشرة الأخيرة منه أيضاً . وفضل رمضان هذا أعظم شيء ينفرد به رمضان؛ فإن القرآن كتاب جليل وله مكانة سامية لا تدانيها مكانةٌ . فإذا كان هذا شأن القرآن، فلزم أن يكون الشهر الذي نزل فيه مباركاً وجليلاً . ولْيُسْأَلْ عن مكانة وأهمية هذا الفصل رجلٌ هائمٌ يتلقى رسالةً من حبيبه في يوم ، كم يعدّه مباركاً وسعيداً . وكذلك القرآن، كلام الله سبحانه جلّ وعلا الذي هو حبيب حقيقي لكل مؤمن ، فكيف لا يكون الزمان الذي نزل فيه كتاب الحبيب الحقيقي ، مباركاً مكرّما ؟ وهناك أصل يفيد بأن شرف المظروف ، يوجب شرف الظرف أيضاً . وإذا سرحنا النظر وفكرنا في أشياء مباركة تجلى لنا أنه ليس هناك زمان يحظى بشرفٍ إلا ويحظى به بفضل شرف المظروف .

فضل يوم الجمعة

وهذا هو السبب في أن يوم الجمعة سيد الأيام وأفضلها ، فإن فيه مظروفاً ليس في غيره من الأيام. ونرى كثيرا من الناس في عصرنا يثيرون شبهات حول فضل يوم الجمعة ويقولون : ما هو السبب في أن يوم الخميس لا يتمتع بفضل يمتلكه يوم الجمعة ؟ مع أن يوم الخميس عبـارة عن اثنتي عشرة ساعةً نفسهـا يتكون منها يوم الجمعة ، و أن الشمس التي تضيئ يوم الجمعة ، تضيئ يوم الخميس أيضاً . ولكن شبهتهم هذه شيء مهمل وأمر لغو ؛ فإن الاشتراك في الساعات، والتشابه في الظاهر لا يستلزم أن يتحد الأمران في كلّ شأنهما وحالهما . ألا ترون أنه لوكانت هناك لرجل أختٌ تشبه زوجته حسناً وجمالاً ، وجهاً ويداً ، رِيبةً وحرفاً ، فهل يتجرأ أحد على أن يقول : إن التفريق بينهما حرمةً وحلّةً مع تشابههما في ما ذُكِرَ آنفاً شيء لاينسجم مع العقل؟ وهل يجعلهما هذا الرجل سواسيةً في العشرة والسلوك ؟ وهل يحمل في قلبه حبًّا من نوع واحد لهما ؟ وهل تربط بينه و بين أخته و أمه نفس العلاقة التي تربط بينه وبين زوجته ؟ نعم ! وإن الرجل يحبّ أمه وأخته أيضاً البتة ، ولكن هل لا يوجد فيما بين حبه لامرأته وحبّه لأمه وأخته فرق كبير؟ ولذلك فليس هناك رجل يتلاعب بأمه مثل تلاعبه بزوجته أو يرغب في أن يتأبط أخته مثل زوجته ، بل و إن كل رجل يستنكر ويكره بأمر طبيعته حتى الخواطر من هذا النوع. و إنه لو رأى في المنام أنه يجامع أمه أقلقه بالغاً إذا استيقظ ، ولام نفسه لوماً شديداً ، مع أن تعبير رؤياه هذه ليس شيئاً ينبئ عن شروسيئته ، وإنما يفيد بأن الرجل يتحلى بالتواضع وهضم النفس . ولهذا السبب جاء في حديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا تحدّث إلا لبيبا أو حبيباً" (٣) فإن اللبيب لا يعبّر إلاّ

بدقّةٍ ، والحبيب يسكت إذا لم يطلع على التعبير .

فَعُلِمَ بهذا التفصيل أن حبّ الرجل لأمه يغاير تماما حبّه لزوجته . ومن هنا عرفنا مكمن الاختلاف الذي يُرى في بادئ الرأي في أحاديث تدلّ على حبّه ﷺ الجم . فهناك حديث يقول : إن عائشةؓ كانت أحبّ إليه ، يراد به أنها كانت أحبّ إليه من أزواجه كلهن ، والحديث الذي يصرح أن الصديقؓ كان أحبّ إليه ، أنه كان أحبّ إلى النبي من أصحابه الآخرين .

فعصارة الحديث أن الاشتراك في الساعات لايوجب التساوي من كل وجه، بل ويمكن أن يحتوي شيء على فضل في ذاته بالنسبة لغيره من الأشياء المشتركة في الساعات ، ولا سيما إذا كان هناك سبب آخر لازدياد البركة، بمثابة الفضل لغيره. وكما قد أسلفت من أن شرف الظرف يقتصر على شرف المظروف . وتفصيل ذلك أن المظروف الذي أصبح الظرف مشرّفا لأجله إما أن يكون فعلاً له سبحانه و تعالى، و إما فعلا لعبد من عباده . وإذا كان فعلا لله جلّ وعلا فبما أن أفعاله تعالى بعضها نافع وبعضها أنفع ، فيؤدي هذا التفاوت إلى التفاوت في الأزمنة التي تتحقق فيها هذه الأفعال . فإنزال التوراة هو الآخر فعله تعالى وهو نافع أيضا، وإنزال القرآن أيضاً فعله ، ولكن ذلك أنفع بسبب أن القرآن أنفع ، فيوجد فيما بين زمان إنزال التوراة وإنزال القرآن، تفاوت مثل تفاوت فيما بين التوراة والقرآن الكريم . وأما إذا كان ذلك فعلاً للعبد ، فشأنه كذلك؛ فإن كل ما يقوم به العبد من أفعال ، إما أن تكون معصيةً وإما عبادةً ، وكل منهما ينقسم إلى نافع وأنفع ، وضار و أضرّ . فأي نوع من فعل يتحقق في زمان، تحقق له مثله من الصفات . فإذا صدرت هناك عبادة نافعة تحققت في زمانها مثلها من البركة.

أهمية تلاوة القرآن الكريم

إخوتي ! هل يُعَدُّ من الإنصاف أن يكون زمان تكلم الحبيب المجازي وتلقي رسالته مُحَبَّبًا على حين لا يُعْتَبَرُ الزمان الذي نزل فيه كلام الحبيب الحقيقي مباركاً و متحلّياً بالشرف والبركة ؟؛ وهذا مع صرف النظر عن أن القرآنَ كلامٌ للربّ سبحانه وتعالى ، وأن له انتماءً إلى ذاته الجليلة . كما علينا أن ننظر في أنّ نور شمس القـرآن كم نَوَّرَ قلوبَنـا وفي مـدى حـالـة الاضطراب والضغطة التي أنقذنا منها ، فكم يجدر بأن يكون أنفع لنا، وإلاّ إذا كانت لهذا الكلام الربّاني علاقة معه تعالى وحده ، ولم تكن أية علاقة له معنا فأنّىٰ لنا أن ننتفع به . وما بالنا إذا احتجبت شمس الدنيا عن أعينكم لمدة أيام ، وكنتم مصابين بالأمراض خلالها ، أو تتابع نزول المطر طوال مدة شهر ، ولم ينقطع السحاب الكثيف ولو لحظة .

وقلقنا هذا كله لأجل أن الله حرمكم لمدة أيام قليلةٍ النور الذي كان قد أعطاه إيانا . ثم لننظر في فضل الله أنه أعطانا النور من شمس تبعد عنا بمئات ألف كيلومتر ، ولكن أشعتها تنوّر لنا كل شيء ، نتمتع بفضلها بفوائد متنوعة . وإذا كانت الأشعة لا توجد، فبالرغم من أن النّور بقيت له علاقة بالشمس ، و لكن نورها لم يكن ليصل إلينا ، وبقينا لا نحظى بضيائها . وكذلك فكلام الله سبحانه صفة قديمة ، وهي مثل الشمس ، ولهذا الكلام أشعة تنعكس علينا يقال لها الكلام اللفظي .

إن كانت الشمس تستنير في السماء ، ولم تكن هذه الأشعة فكيف كان لنا أن نتمتع بها ؟ وكذلك لولم

تكن للكلام النفسي أشعة الكلام اللفظي فأنّى لنا أن نقتبس من بركاتها . وبما أن القرآن له علاقة خاصة به سبحانه فيرضى بتلاوته للغاية ، سواء في ذلك أن يُقْرَأَ بفهم أو بدونه ، على عكس غيره من أعمال اللسان مثل الدعاء والذكر ، فإنه لا يحظى إذا جيئ به بدون فهم بقبول يحظى به القرآن .

ويُحْكَى عن الإمام "أحمد بن حنبل" أنه رأى الله جلّ وعلا في المنام فسأله عن أن أي عمل أكبر وسيلة للتقرب منك ؟ قال : قراءة القرآن. فقال الإمام : بفهم أو بلا فهم ؟ قال : بفهم أو بلافهم . وليس الأمر مقتصرا على المنام وحده ، بل وإن هناك أحاديث نبوية تفيد بذلك . فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ما معناه أن العبد ينال بكل حرف من القرآن عشر حسنات . (٤) ومن الواضح أن الحروف ، كلمات وحدها ، وتكون تلاوتها تلاوة القرآن الكريم ، فَعُلِمَ أن تلاوة القرآن بدون فهم تحظى بقبُول تام لدى سبحانه وتعالى، وإن كانت أتَمَّ قبولاً بفهم معانيه .

وبهذا التفصيل ظهر خطأ المتنورين في عصرنا الذين كثيرا ما يقولون : إن الإنسان إذا لم يدرك معاني القرآن ، فأيّ فائدة تتحقق له بتلاوة كلماته وحدها ؟ فإن تلاوته لا تتضمن فائدةً واحدةً هي أن نفهم معانيه ، وإنما من أجلّ فائدة أن يرضى بنا ربّنا بفضل تلاوته .

أجر قراءة القرآن

كنت أتحدث إليكم عن أن رجلاً إذا قرأ كتاباً لرجل ولو بدون فهمٍ لمعانيه يسرّ بالغا صاحب الكتاب، ولذلك فلمّا رأى الحاج "إمداد الله التهانوي المهاجر المكي" رحمه الله رجلاً يقرأ كتابه المعروف بـ "دردنامه" فرح فرحاً شديدًا. وكذلك فإذا نقرأ القرآن الكريم يرضى بنا سبحانه و تعالى كثيرا . وليس أن نقرأ كتابه ولو إسراراً والله سبحانه لا يسمع فإنه يقول بنفسه : " ما يكونُ مِن نَجْوَى ثَلٰثةٍ إلاّ هُوَ رابِعُهُمْ ولا خمسةٍ إلاّ هو سَادِسُهُمْ" (المجادلة/٧) ويقول : "ما تكونُ في شأنٍ وما تتلو منه من قرآنٍ ولا تعملون من عمل إلاّ كُنّا عليكم شهوداً إذ تُفِيضون فيه" (يونس/٦١) ويقول : "وما يعزُبُ عن ربِّكَ مِن مثقالِ ذرّةٍ في الأرضِ ولا في السماء " (يونس/٦١) وجاء في حديث معناه : أنه سبحانه و تعالى لا يلتفت إلى طاعةٍ التفاته إلى قراءة القرآن.(٥)

ولعل هناك أحداً يرتاب في ذلك ويقول : إن المسلمين في عصرٍ نزل فيه القرآن، كانوا كلهم يقرأونه بفهم ، ولم يقل النبي هذا إلاّ وفقاً لذلك العصر، وإن الحديث لا يفيد بأن الله يلتفت إلى قراءة القرآن ولو جاءت بدون فهم ؟ فنقول له : إن القرآن ما أنزله الله للعرب وحدهم ، ومن المعلوم إن العالم كله لا يتكلم بلغة الضاد ولا يفهمها ، وإنما لكل منطقة لغة تختلف عن غيرها، كما أن الحديث المشار إليه لم يخصّ العرب بالبشرى هذه . أضف إلى ذلك كله أنه قد جاء في حديث مفاده : إنه كان سبعة أو ثمانية رجال يتلون القرآن ذات مرّة، منهم عربي ومنهم عجمي لا يُحسن القراءة فدخل عليهم النبي ﷺ وقال : اقرؤوا ؛ فكلٌّ حسنٌ " (٦) فلما أتى عليه الصلاة والسلام على قراءة كلٍّ منهم وجعلها حسناً فَدَلَّ هذا على أن قراءته لا تحتاج في كونها حسنا إلى أن توافق قراءة العرب تماماً، بل و إن المرأ يؤجر عليها ولو فاتته الآداب وقواعد التجويد . ومعلوم أنه لا يوجد فيما بين الخطأين : اللفظي والمعنوي تفاوتٌ كبير يُعْتَدُّ به .

وقد سبق أن ذكرتُ لكم حكايةً للإمام أحمد بن حنبل رحمه الله الذي رأى سبحانه و تعالىٰ في المنام، وسأله عن طاعة تجلب مرضاتك أكثر من غيرها؟ فقال: قراءة القرآن. فقال الإمام: بفهم أو بلا فهم، قال: بفهم أو بلا فهم. فثبتَ أن قراءة القرآن مهما كانت مجلبة للنفع ومرضاة للرب. وإذا رضي سبحانه عن طاعةٍ أعطى من أتي به ثواباً من عنده.

فاطلعتم على أن تلاوة القرآن الكريم ما لها من أجر وفضل، ولكن الذي يؤسفنا جميعا أن هناك رجالاً من عبدة الأهواء، اتخذوا القرآن وسيلة لكسب ملذات الدنيا بدل أن يبتغوا بها رضا الله ووجهه، فيقرأون القرآن في صلاة التراويح وفي مناسبات أخرى عوضاً عن دراهم معدودة. مع أن ذلك اشتراء بآيات الله وبيع بها.

الأجرة على التعليم

غير أن تعليم القرآن يختلف عن ذلك، فإنه يجوز أن يتقاضى المرأ المرتب على تعليمه، وللجواز عند الحنفية وجهان: أحدهما أن الإمام الشافعيّ قد جوّز أخذ الأجرة على تعليمه، وأفتى به الحنفية للضرورة، ولكن هذا الوجه ضعيف للغاية، فإننا لسنا – نحن الحنفية – في حاجة لأن نترك تقليد الإمام أبي حنيفةؒ و نعمل بما ذهب إليه الشافعيّ دونما حاجة شديدة. والوجه الثاني أن يقال: إنه قد تقرر لدى الحنفية أن نفقة المحبوس على من حبسه، فإذا حبس الرجل نفسه لخدمة الدين تجب نفقته على المسلمين جميعا، وكذلك نفقة كل من اشتغل بخدمة دينيّة. وإذا دفع إليه النفقة بعض منهم كفا غيرهم من المسلمين.

وأما ما يقال: إذا كانت نفقة المعلّم والمشتغل بخدمة الدين تجب على الأمة المسلمة، فلماذا يتمّ تعيين المرتب شهريا مع أن النفقة عبارة عن مؤنة تكفي المرأ؟ فنقول: إن الصواب ما قلتم، ولكن ذلك يتسبب كثيرا في إثارة اختلاف فيما بين مَن يقوم بخدمة دينيّة وبين مَن سواه. فيقول القائم بخدمة الدين: اضْطُرِرْتُ خلال هذا الشهر لإنفاق خمسين روبية تغطية لحاجياتي، على حين يدعي غيره أنه لم يتمّ إلاّ إنفاق عشرين روبية. وهلمّ جرًّا، ما يؤدي إلى الإخلال بالتعليم والقضاء عليه أخيرا. ونظرا إلى ذلك أجاز الفقهاء تعيين الأجرة شهريا. ومثل ذلك مثل الماء، فإن الأصل في طهارته أن يكون كثيرا، غير أنهم حدّدوا لذلك قدر عشرة في عشرة تسهيلا للناس. وهذا الحديث يتفق تماما مع أصول الحنفية

ولكن لا يجوز ذلك لكلّ من هبّ و دبّ من المعلمين، وإنما لمن كان يقوم بالتعليم ابتغاء لوجه الله وخدمةً للدين الحنيف. والفاصل فيما بين نوعي المعلم أن المرتب الذي يتعاطاه المعلم يكفيه إياه وأهله، ثمّ فوجيء بنبأ يفيد بالزيادة إلى المرتب في مدرسة أخرى، ولم تكن هناك مصلحة غير ذلك فيقدم استقالته، وينتقل إلى المدرسة الأخرى، فهذا دليل صارح على أنه لم يكن يعلّم خدمةً للدين. وأما إذا بقي في مدرسته يستمر في التعليم، فهذا دليل على أنه يقوم بالتعليم ابتغاء لوجه الله مخلصا له النية، وعلى أن الغرض الذي يتوخاه من وراء التعليم هو تزويد المسلمين بالدين وعلومه. وعلى هذا فيجوز أخذ الأجرة لمعلم دون معلّم. فظهر أن الأجرة على التعليم لا يأتي في إطار الحرمة.

الأجرة على الإمامة بالناس في الصلوات

ولكن ما نراه اليوم من حملة القرآن الكريم

يتفاضون النقود عوضا عن قــراءة القرآن في صلاة التروايح يدخل في إطار الحرمة ، وكذلك أخذ الأجرة على قراءتــه إيصالاً لأجــره إلى الأمـوات ، فإن ذلك اشتراء بالقرآن. وليس لأحد أن يقيس ذلك على أخذ الأجرة على تعليم القرآن، فإن تعليمه من شعائر الإسلام، فيجلب الانقطاع إليه وحبس النفس في سبيله الأجر. و أما قراءة القرآن في التروايح وقراءته إيصالاً للأجر، ليس أحد منها من الشعائر، وإن كان طاعةً . نعم إن صلاة التراويح والصلوات الخمس مع الجماعة من الشعائر . وجاز تعيين الأجرة على الإمامة للصلوات الخمس إذا لم يكن هناك رجل يقوم بها مجّاناً .

وخلاصة الكلام أنه قد ثبت بهذا الحديث كله أن القرآن الكريم يحظى بشرف ومكانة لا يحظى بهما غيره . فإذا أُنْزِلَ مثل هذا القرآن شرفاً و مكانةً في شهر رمضان فمن الأولى أن يتشرف رمضان نفسه ويعظم مكانته . ومما يمتاز به القرآن من بين الكتب أنك كلما ازددت قراءةً له ازددت علماً ومعرفةً ، فجاء في حديث نبوي : " لا تنقضي عجائبه " (٧) ومن عجيب الأمر أنه لا يلتذ بتلاوته من يدرك معانيه ويمتلك براعة في اللغة العربية وحده، وإنما يشعر بحلاوة لا تدانيها حلاوة من كان يجهل العربية أصلاً .

تلاوة القرآن وحلاوتها

وجاء في هذا الحديث أنه : " لا يخلق بكثرة الردّ" وهذا ما جربناه طول حياتنا أن القلب لا يملّ القرآن مهما سمع قراءته، وإنما يشعر بلذة جديدة كل مرة . فإذا قيل : إن هذه اللذة إنما أساسها الصوت و تزيينه ، قلنا : إذا كان الأمر كما قلت ، فلماذا لا تتلذذ القريحة بالأشعار والقصائد إذا تَغَنّى بها شاعر و تفنّن في تحسين صوته . وأما إذا كان هناك رجل لا يشعر بحلاوة في تلاوة القرآن فعليه أن يكثف مساعيه لإصلاح إدراكه ، ثم يقارن بين حاله السابقة وحاله فيما بعد. إخوتي ! مِن إخوتنا من يقول : إني لا أقرأ القرآن إلا بعد أن أصبح أتلذذ بقراءته، فليعلم أن ذلك مما تسول له الشيطان. مثاله كمثل رجل قيل له: عليك أن تعتني بتعاطي الأدوية المقوية ، حتى تبلغ الحلم في أسرع وقت، فتلتذَّ بما يلتذ به الرجالُ ، فيقول: أريد أن أشاهد ملذات الحلم أولاً وبعد ذلك أتخذ التدابير لذلك. فهل لأحد منا أن يُرِيَ مثلَ هذا السفيه ملذاتِ الحلم ؟ وإنما كل ما نقول له : هو أنه سوف يعرفها إذا بلغ الحلم ، وأنه ليس هناك تدبير آخر للتمتع بها .

وكذلك يقال لمن يقولون : كيف نقرأ القرآن، ولا نشعر بحلاوة فيها؟ : إنه ليس هناك تدبير للتمتع بالحلاوة إلاّ أن تدأبوا على قراءته، فإذا بقيتم على ذلك أياماً وخرجت قلوبكم من الطفولة إلى الحلم تمتعتم بأنفسكم بها ، غير أن هذا التلذذ لن يتأتى إلاّ إذا أتى المرأ بتلاوة القرآن و الأعمال الصالحة الأخرى مخلصاً نيته ، غير مبتغ بها الدنيا وزخارفها .

الترغيب في ذكر الله

ويتعرض للخطأ نفسه أصحاب السلوك، فإنهم يرغبون في أن يتلذذوا بالذكر في البداية ، وإذا فقدتهم اللذة يقلقون جداً وربما يمتنعون عنه . مع أن ذلك خطأ فاحش، فإنه ليس هناك تدبير يجلب اللذة في الذكر إلاّ أن يكثر الرجل منه، فكلما ازداد ذكرًا للّه ازداد قلبه خضوعاً وامتثالاً للأمر، وتأخذ الظنون الأخرى تتضاءل ويتمتع باللذة دونما مشقة .

مثال ذلك أن الرجل إذا امتلك ناصية البراعة في

الشعر امتلأ قلبه سروراً عند ما يسمع شعرا جيّداً . ولكن ذلك لا يتحقق إلاّ بعد أن يعيش مدة من الزمان يطالع الأشعار وينظر في خلفياتها ومعانيها ويتدرب على قرضها. وأما في بداية الأمر فلن يمكنه ذلك، بل وإنما يعاني من مصائب ومشقات . فإنا أولاً نُرسل الطفل إلى الكُتّابِ، حيث يتعلم اللغة الفارسية ويتدرج في تعلمها يصبر على ما يعانيه من زجر المعلم و ضربه حتى نراه بعد أعوام قد امتلك ملكة في اللغة والأدب تجعله يمتلئ فرحا و سروراً ولذةً وحلاوةً إذا سمع شعرا جيدًا وكلاما بليغاً . فهل رأيتم رجلاً امتنع عن التمرن على الشعر والأدب تدرعاً بأنه لا يتمتع بلذة كان يحظى بها كلّ من الشاعر البليغ "أسد الله خان غالب" و "مؤمن خان مؤمن" ؟ ، أم قال لأستاذه إنـه لا يقرض الشعر ولا يستده إلاّ إذا تلذذ بالشعر تلذذكم به؟ فيا إخوتي ! فهل لا تلزمنا تلاوة القرآن ، ولا نرغب فيها مثل ما نرغب في اللغة الفارسية وعلم الشعر ؟.

الهوامش :

(١) ومتن الحديث بكامله كما يلي

"عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم جالساً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتدرون أيّ أهل الإيمان أفضل إيمانا؟ قالوا: يا رسول اللّه ! الملائكة قال هم كذلك ويحق ذلك لهم وما يمنعهم وقد أنزلهم الله المنزلة التي أنزلهم بها، بل غيرهم قالوا يا رسول الله ! فالأنبياء الذين أكرمهم الله تعالى بالنبوة والرسالة قال هم كذلك ويحق لهم ذلك، وما يمنعهم وقد أنزلهم الله المنزلة التي أنزلهم بها، بل غيرهم قال : قلنا : فمن هم يا رسول الله ؟ قال أقوام يأتون من بعدي في أصلاب الرجال فيؤمنون بي ولم يروني ، ويجدون الورق المعلق فيعملون بما فيه، فهؤلاء أفضل أهل الإيمان إيماناً " (مستدرك الحاكم، ٨٦/٤، كتاب معرفة الصحابة ، الحديث رقم: ٢٥٩١/٦٩٩٣)

(٢) الحديث بتمامه فيما يأتي :

"عن عائشة ، قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أحبّ لقاء اللّه ، أحبّ الله لقاءه . ومَن كره لقاء الله ، كره الله لقاءه فقلت : يا نبي الله ! أكراهيةُ الموت ؟ فكلنا نكره الموت ، فقال ليس كذلك ، ولكن المؤمن إذا بُشّر برحمة الله ورضوانه وجنته ، أحبّ لقاء الله ، فأحبّ الله لقاءه. وإنّ الكافر إذا بُشّرَ بعذاب الله وسخطه ، كره لقاء الله، وكره الله لقاءه"

(صحيح مسلم، بشرح النووي ٩/٩، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار)

(٣) والحديث كما يلي

"عن أبي رزين العقيلي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءً من النبوة وهي على رجل طائرٍ ما لم يُحدّث بها، فإذا تُحدّث بها سقطت قال . وأحسبه قال ولا تحدّث إلا حبيباً أو لبيباً (سنن الترمذي، ٥٣/٢، أبواب الرؤيا، باب ما جاء في تعبير الرؤيا، ط: ايچ ايم. سعيد كمپنى، كراتشي)

وفي رواية لأبي داؤد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرؤيا على رجل طائر مالم يُعبّر ، فإذا عُبّرتْ وقعت وأحسبه قال ولا تقصّها إلاّ على وادّ أو ذي رأي (سنن أبي داؤد، ٦٨٥/٢، باب في الرؤيا، كتاب الأدب، ط أصح المطابع، دلهي، ١٤٠٠هـ)

(٤) ونصّ الحديث كما رواه الحاكم في مستدركه

"عن عبد الله رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إن هذا القرآن مأدبة الله ، فاقبلوا من مأدبته ما استطعتم إن هذا القرآن حبل الله والنور المبين والشفاء النافع ، عصمة لمن تمسّك به، ونجاة لمن تبعه ، ولا يزيغ فيُستعتب ، ولا يعوج، فيُقوّم ، ولا تنقضي عجائبه ، ولا يخلق من كثرة الردّ اتلوه ، فإن الله يأجركم على تلاوته كل حرف عشر حسنات. أما إني لا أقول الٓمٓ حرف ، ولكن ألف حرف، ولام، وميم" (المستدرك على الصحيحين ، ٥٥٦/١، كتاب فضائل القرآن، رقم الحديث ٢١/٢٠٤٠)

(٥) لم أطلع على رواية في معنى ماذكره العلامة التهانوي رحمه الله وقريب منه ما رواه الإمام البخاري في صحيحه.

"عن أبي هريرة أنه كان يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يأذن الله لنبي ما أذن لنبي صلى الله عليه وسلم يتغنّى بالقرآن "

(صحيح البخاري ، ٧٥١/٢، باب من لم يتغن بالقرآن، كتاب فضائل القرآن، ط أصح المطابع ، دلهي)

(٦) والحديث بكامله فيما يأتي : "عن جابر قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم و نحن نقرأ القرآن، وفينا العجمي والأعرابي ، فاستمع، فقال: اقرؤوا، فكلٌّ حسنٌ ، سيأتي قوم يقيمونه ، كما يقيم القداح يتعجّلونه، ولا يتأجّلونه " (كنز العمال ، للهندي، ٣٢٠/٢، الحديث رقم ٤١٢٤، فصل في آداب التلاوة)

(٧) قد أثبت الحديث بكامله في الهامش رقم: ٤

☆ ☆ ☆

الصيام .. من العبادات ذات التميز التربوي

بقلم : الدكتور السيد رزق الطويل

خفاء الحكمة في أي عبادة من العبادات ، أو عجز الفكر عن استيعابها ، أو بعبارة أدق التغافل عنها يعد في تقديرى ركيزة للتهافت في الاداء ، والوصول إلى صورة شائهة في التطبيق، وبالتالي لا تثمر العبادة ثمرتها ، أو تحقق النتيجة المرجوة منها .

ولكل عبادة فرضها الله حكمة سامية، ظاهرة أو خفية، لكنها على الحالتين موجودة وقائمة، وعقل المؤمن مطالب بالوصول إليها، وتحقيق المتعة الإيمانية بإدراكها ، إذ إن إدراك الحكمة له المردود الإيجابي في التطبيق .

والصيام وهو من العبادات ذات التميز التربوى في بناء الأفراد والجماعات أراه قد افتقد هذا التميز في المجتمعات الإسلامية المعاصرة، ولم يعد له الدفع القوي في تحريكها نحو الفضائل والقيم التي شرع لأجلها ، وفي مقدمتها فضيلة التقوى التي نصت عليها الآية الأولى من آيات الصيام إذ يقول سبحانه :

يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ . (سورة البقرة ـ آية:١٨٣)

وسر ذلك تحول العبادة إلى كيان هامد، وسلوك تقليدى يؤديه الفرد تلقائياً، تحت ضغط الإحساس بالمشاركة الوجدانية، واتقاء اللوم الاجتماعى، ومن هنا لا يشعر الفرد بأنه يعيش تجربة خاصة من تجارب العبادات تستهدف آثاراً سلوكية، وتسعى لغايات شريفة محدودة، هى في حقيقتها جزء من المهام الرئيسية للدين الحق الذي اصطفاه الله منهاجاً للبشر، يقود حياتهم ، ويهديهم للتي هى أقوم ، ولذا انصرف اهتمام الجمهرة من المسلمين إلى الالتزام بالجوانب المادية للصيام أو قل الجوانب الشكلية، التي هي في حد ذاتها ليست ثمرة، وإنما هي وسائل موصلة إلى الثمرة ويدرك هذه العلاقة إدراكاً صحيحاً أولو الألباب من الناس .

تحذير من الشكليات

ولأجل أن هذا الانحراف في فهم هذه العبادة، وفي وظيفتها التربوية المؤثرة وارد على عقول الناس رأينا النبي عليه الصلاة والسلام يحذر تحذيراً تاماً من التعويل إلى هذه الجوانب الشكلية مبيناً أن الصيام بهذه الصورة شكل بلا مضمون ، وكيان بلا روح ، وعبادة بلا يقين .

يقول عليه الصلاة والسلام: " من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه " .

والحديث الآخر : " ليس الصيام من الطعام والشراب وحدهما وإنما الصيام من الكذب

والباطل واللغو".

وفي توجيه ثالث يشرح الحديث أهمية الصيام ويـؤكـد للصائم ضـرورة الصلابـة في مـواجهـة الانحرافات ، وشهوات النفس ، وإغراءاتها الباطلة ، يقول الحديث : " والصيام جنة فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث، ولا يصخب ولا يجهل فإن سابه أحد أو قاتله ، فليقل : إني صائم ، إني صائم " .

إن كثيراً من الكاتبين يتصورون أن الصيام شرع من أجل أن يذوق الأغنياء ألم الجوع ومرارة الحرمان فيعرفوا أن هناك من إخوانهم فقراء يعانون مرارة الحرمان طول العام فيتجهوا إلى مساعدتهم والتصدق عليهم درءاً لغائلة الجوع عنهم .

وهذا في تقديري أسلوب وعظي يفيد في تحريك المشاعر دعماً لهذه العبادة، لكنه لا يعالج الحكمة الرئيسية المعول عليها في التربية وبناء الانسان، إذ لو كانت الحكمـة كذلك فإن هناك سؤالا يواجهها يصعب على هؤلاء المتحدثين الإجابـة عنـه، وهذا التساؤل : لماذا يصوم الفقراء إذن في رمضان ، وهم يعانون الجوع طول العام؟

وإني لأتصور أن حاجة الفقراء إلى الصيام أشد من حاجة الأغنياء ، لأن القضية ليست قضية جوع أو شبع ، أو قضية سعة أو حرمان ، وإنما القضية قضية عزيمة تسهم في عون الإنسان على مواجهة أحداث الحياة ، ومتغيراتها المستمرة ، وسنة الحياة كما وصفها الله دول :

﴿ وتلك الأيام نداولها بين الناس ﴾

سورة آل عمران ، آية ١٤٠

فمن عاش يوماً في ضيق سيأتيه في آخر سعة، ومن ألَمَّ به إعسار سيواتيه حتماً يسار، ومن هنا نقول إذا احتاج الغنى إلى الصوم في غناه ليعينه على شكر النعمة بتوظيفها في مرضاة ربه فإن الفقير في حاجة أشد إلى الصوم ليمنحه عزيمة قوية تساعد على الصبر، فالصبر عبادة الصابرين الشاكرين .

وبناء العزيمة، وتربية الإرادة الصلبة في ضمير الإنسان المسلم، هو التقوى التي ذكر الكتاب العزيز أنها الغاية التي يرجى أن يصل الصائم بصدقه إليها .

ثمرة العزم القوى

وفهـم المسلمين الأوليـن لمهمـة الصيـام ، واستحضارها في عقولهم وهم يؤدون هذه العبادة العظيمة كان له مردود واسع على مستوى الفرد والجماعة، فالإنسان المسلم تعلم من الصيام الصلابة في الحق، وقوة العزم في مواجهة أي إغراء أو إغواء، فلا يمكن لعوامل التأثير مهما عظم مداها أن تنجح في اختراق جنة الصيام، الأمر الذي يترتب عليه عجز الشيطان وفشله في مهمته الضالة التي حمل وزرها منذ الأزل ، أو منذ بداية خلق البشر .

والمجتمع المسلم أيضاً في عصر الالتزام اكتسب من الصوم التفاني، ونكران الذات، ودعم الشعور الأخوى ، وتوثق روابط المحبة ، المودة ، والقدرة الفائقة على مواجهة التحديات وما أكثرها في هذه الآونة من عمر الأمة المسلمة .

وفي ظل هذه العبادة والفهم الواعى لحكمتها توالت انتصاراتها على التحديات وعلى مواجهـة الأعـداء المتـربصين بها الذين جاهـروا بعداوتهـم ،

وأعلنوا الحرب عليها ، كما أرهبوا بقوة الإيمان صلابة العزم آخرين من دونهم لا يعلمونهم ، الله يعلمهم .

فحققوا النصر العظيم في بدر، يوم السابع عشر من رمضان في العام الثاني للهجرة، وتحقق لهم الفتح الكبير لمكة في رمضان أيضاً بعد ثماني سنوات من الهجرة .

وتوالت انتصاراتهم الرمضانية لتؤكد لهم الدور العظيم لهذه العبادة في صناعة النصر، ومنها على سبيل المثال لا الحصر ، فتح الأندلس ، وهزيمة الصليبيين في حطين، واندحار التتار في عين جالوت ، وحرب رمضان في الأمس القريب، والتي هزت كيان إسرائيل.

صيام .. وصيام

والسؤال المطروح الآن : ألسنا نصوم ؟ أليست المجتمعات المسلمة تتهيأ لهذه العبادة وتستعد لها، وتتوفر على احترامها حتى إن منهم من أصدر تشريعات لتعزير من يجاهرون بالفطر في رمضان ؟ فما بالنا إذن نصوم ولا ننتصر ؟

والجواب عن هذا التساؤل ليس بالأمر العسير، إن صيامنا غير صيامهم واستعدادنا لرمضان يختلف تماماً عن استعداداتهم .

صيامهم كان يعني البذل والعطاء، وحمل النفس على ما لا تحب ، والتصدي للشهوات التي تضعف أمام إغراءاتها النفوس ، فنجحوا في الانتصار على النفس، وسهل عليهم بعد هذا هزيمة عدوهم ، وإن كان كثير العدد والعُددَ .

ونحن تصورنا شهر الصيام فرصة متاحة لمزيد من المتاع بشتهى الطعام وطيب الشراب نشرب منه ونسهل، ويسيل اللعاب شوقاً إلى ألوان من الطعام لا يفكر في الحصول عليها طول العام ولا يشتد الشوق إليها إلا في رمضان . وإذا أردنا أن نتهيأ لهذه العبادة الكريمة فاستعدادنا محصور على توافر المواد التي نصنع منها هذه الأطعمة ، ومن هنا هزمنا هزيمة نكراء أمام شهوات النفس وتطلعاتها، وبالتالي فشل صيامنا في أن يوصلنا إلى الأهداف الكبرى التي يرجوها أولو الألباب من عبادة الصيام .

وكانت النتيجة كما قلنا نصوم ولا ننتصر .

ولذا نبه النبي عليه الصلاة والسلام وحذر من صيام لا ثمرة له، إذ قال عليه الصلاة والسلام : "رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش" كما قال أيضاً محذراً من صيام لا يتسامى بالسلوك "من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه" وقال أيضاً في هذا الصدد محدداً المفهوم الصحيح لعبادة الصيام: "ليس الصيام من الطعام والشراب و إنما الصيام من الكذب والباطل واللغو".

لقد غابت عنا عبادة الصيام بتأثيراتها العظيمة ، وآثارها الكبار ، وذلك حين غابت عن عقولنا الحكمة الصحيحة لها والغاية المرجوة منها .

والطريق لاستعادتها واضح ميسور، والمطلوب قدر من الفهم الواعي ، والالتزام الصادق والحرص على استرداد أمجاد الأوائل، وكما قال رب العالمين :

﴿ إنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَ إنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ﴾ سورة الإسراء - اية ٧

☆ ☆ ☆

☆ ☆

على شبابه، ويتغنى بما فيه من مباهج، ويرد بعدة أوجه أحدها الوجه الآتي، وهذان بيتان مأخوذان من أبيات منسوبة إلى أحد المعمرين، واسمه رُبيع بن ضُبيع، يقول فيهما عن ذهاب الشباب

"أصْبَحَ مِنّي الشَّبابُ قَدْ حَسَرا
إنْ يَنْأَ عَنّي فَقَدْ ثَوَى عُصُرا
وَدَّعَنـا قَبْـلَ أنْ نُـوَدِّعَـهُ
لَمّا قَضَى مِنْ جماعِنا وطَرَا" (١)

ولم يكتف بالصورة البيانية التي رسمت التوديع، ورسمت الشباب، وكأنه إنسان يستعد للفراق، ولكنه سبق هذه الصورة بصورة أخرى، تبين الشباب وكأنه ظل قد انحسر، أو ماء بحر أو نهر، فيه مد وجزر، وأنه الآن في طور انحساره وجزره

ويأتي آخر من المعمرين، وهو سيف بن وهب، ليقترب من المعنى السابق، ويبرز الشباب المفقود، وكأنه ثوب يلبس ويبلى، وصاحبه ماشاه لفترة ثم فارقه، فيقول :

لَبِسْتُ شَبَـابِـي فَـأفْنَيْتُـهُ
وأدْرَكَنِـي القَـدَرُ الغـالِـبُ
وَصَـاحَبَنِي حقْبَـةً فَـانْقَضَى
شَبَابي وَوَدَّعني الصَّاحِبُ" (٢)

والنابغة يبتدع صورة لذهاب الشباب، فيقول

"أكَلْتُ شَبَـابِـي فَـأفْنَيْتُـهُ
وأمْضَيْتُ بَعْـدَ دَهْـرٍ دُهُـورا

وهذه صورة فريدة جاء بها النابغة، ولا يبدو أنه مسبوق إليها، وقد لا يلحقه لاحق، فيأتي بصورة مثلها؛ فتعبيره فيها متقن، فالآكل يأخذ من طعامه قليلاً قليلاً، والشباب يمر بالإنسان، ويبتعد قليلاً قليلاً، حتى يتلاشى ولا يرى.

وإذا كان الثوب يلبس، فيرث، ويبلى فإن الإنسان في نظر هاجر بن عبد العزى الخزاعي، يبلى كذلك، ويفنى في يوم ما، يقول:

"بليتُ وَأفْنَاني الزَّمَانُ وَأصْبَحَتْ
هُنَيْدَةُ قَدْ أنْضَيْتُ مِنْ بَعْدِها عَشْرا" (٣)

والهنيدة : المئة سنة

ويقول معمر آخر، هو عبد يغوث بن كعب، ذاكراً البلى

"بَليتُ وقَدْ كُنْتُ دَهْراً جَدِيْدَا
وقَدْ عِشْتُ دَهْراً أبِيًّا جَلِيْدَا" (٤)

ويبدو أن البلى كان أقرب صورة لذهاب الشباب، يقول عباد بن سعيد بن أحمد بن ثور:

"بليْتُ وأفْنَتْني السُّنُونُ وأصْبَحَتْ
لِدَاتِي نحوْمَ اللَّيْلِ وَالقَمَرُ البَدْرُ" (٥)

ويقترب شاعر من المعنى الأصل، فيصف شبابه بأنه أودى، وبهذا يبتعد قليلاً عن الصورة البيانية، وعن هذا يقول ربيعة بن عبد الله البجلي:

أمَيْمَ، أمَيْـم، قَـدْ أوْدى شبـابي
وأخْلفَـني البطالَـةَ والتَّصابي" (٦)

وكلمة أودي يختارها شاعر معمر آخر، هو عوف ابن الأدرم بن غالب؛ فيقول.

أوْدى الشَّبَابُ وَحُبُّ الطَّلَةِ الخَبلَه
وقَدْ برئتُ فمَا فِيْ الصَّدْرِ مِنْ قَلَبَهْ" (٧)

ومرحلة المشيب لها صورها وأوصافها، وأبرزها نتائج المشيب، ومظاهره على الشيخ، ودلائل فقد القوة بعد الفتوة، والعجز بعد القوة، والانزواء بعد الظهور، والاستعانة بالناس، بعد إعانتهم؛ وهذا كله له زوايا رسمت بإبداع في كثير من الأحيان، وجاءت الصور معبرة، وافية بالغرض، تأتي بالتأثير المراد؛ ولا شك أن الصور الحسية للأمور المعنوية، من الوسائل الناجحة في نقل الصور من المتكلم إلى المخاطب.

من الصور التي رسمها أحد المعمرين في شعره الصورة الآتية قالها رُبيع بن ضُبيع، وهي تبين مدى العجز عما كان قادراً عليه، ومدى الضعف فيما كان قوياً فيه، وتصف الحسرة التي يشعر بها

نفحة الإيمان

شعر: محمد عايش عبيد

بشرى تزف إلى بني الإنسان   قدسية في القلب والوجدان
تأتي لنا في كل عام مرة   تغزو القلوب بنفحة الإيمان
هي عوْد شهر الصوم بعد غيابه   عاماً مع الأفلاك في الأكوان
فيه السماء تزينت أرجاؤها   وتطاولت فخراً على الأزمان
وتعطرت بالمسك في عليائها   وترنمت طرباً من الألحان
وملائك الرحمن أيضاً هللت   وتمايلت في رقة وأغان
صار العوالم يسألون تعجباً   ماذا نرى هل مفصح ببيان؟
وإذا لسان الحال قال يجيبهم   أفما علمتم ملتقى الأقران؟
هذى السماء تمد حبل ودادها   للأرض في ودّ وفي تحنان
عاد التواصل بين قطبى كوننا   بعد التباعد تواصل وتدانى

☆ ☆ ☆

هذا أمين الوحي ينزل مسرعاً   في زنده آى من القرآن
يأتى الأمينَ وكان يعبد ربه   في الغار نأيًا عن بني الإنسان
جبريل ضم محمداً في قوة   في التو أرسله لضمٍّ ثان
من ثم قال له لتقرأ يا أخى   اقرأ بأمر الواحد الديان
فأجابه الهادى فلست بقارئ   لم أذهبن لمعلم الصبيان
لا أستطيع قراءة وكتابة   لكنّ عقلى صنعة الرحمن
في ضمة أخرى وأخرى مثلها   ضمّاته كالموت للأبدان
ويقول " اقرأ باسم ربك " يا أخي   أنت النبي لإنسها والجان
أنت النبي ولا نبي بعده   للخلق طرّاً خاتم الأديان
في الحال ردّدها محمد بعده   من قلبه المعمور بالإيمان

☆ ☆ ☆

جبريل فارقه وعاد محمدٌ   للبيت يرجف قلبه ويعاني
بل قال هيا زملوني إنني   أخشى على نفسي من الخسران
لكن خديجة أدركت بذكائها   فضل الإله على الفتى العدنان
قالت له يا ابن العمومة لا تخف   كلّا، فلن يُخزيك ربّ جان
أنت الذي تعطي الحقوق لأهلها   في قوة أيضاً تكف الجاني
أنت الذي تقري الضيوف بشاشة   وتعين ذا ضعف بغير توان
هذى النبوة قد أتتك فكن لها   أهلاً لتمحو مظهر الطغيان
فانثت رعاك الله يا خير الورى   واصدع لأمر الله في إذعان

☆ ☆ ☆

يا عرب

شعر: محمد عبد الرحمن صان الدين

يا بني عدنان أو قحطان أين اليوم أنتم؟(1)
من زمان فيه فوق الأنجم الزهراء كنتم
حينما أتحفتمُ الدنيا بعلم قد علمتم
يوم كان الأمن والإيمان ظلا حيث سرتم
يوم ساد العدل بين الناس في شعب حكمتم

☆ ☆ ☆

كان هذا حين كان الدين غضًا في القلوب
حين كان العلم نورا في البرارى والدروب
حين كان الحب بين الناس يمحو كل حُوب(2)
حين سار العرب بالإسلام عتقًا للشعوب
يوم كان البر بالإنسان حتى في الحروب

☆ ☆ ☆

ما الذى يا عُربُ أوْدى بالذى كالطوْد كانا(3)
في ثبات والتئام قاوما منه الزمانا
أين عزم طالما قد ذاد عن حوض وصانا(4)
آه من شعب عزيز صار نهبًا للهوانا
آه من مجد تليد هار نسيانا وشانا!(5)
في فجاج الأرض كانت دعوة الاسلام تسرى
كالشراب العذب كالأنسام تسبى كل فكر(6)
ماله قد صار كالأطلال يلقى كل عذر؟
وحماة المجد ولّوا عنه في لهو وسكرٍ
عزكم يا عرب فيه لا (بترول) ودُرّ

☆ ☆ ☆

هل نسيتم أنكم بالدين كنتم خير أمّة
واحتضنتم دعوة الإسلام في عزم وهمة
فصعدتم واستويتم في المعالى فوق قمة
ما الذى يا عُرْب أقصى فكركم عن كل حكمة؟
فغدوتم لعبة في كف باغٍ دون عصمة

☆ ☆ ☆

أمة القرآن والإيمان والفصحى أفيقى
وادرئى في عزم حزم هجمة الشر المحيق(7)
واجمعى أشتات شمل حول ميثاق وثيق
وارجعى من غير إبطاء إلى قصد الطريق(8)
أمة من غير لون تتوارى في سحيق(9)

توضيح المفردات: (1) عدنان وقحطان = جدا العرب (2) حوب = عيب (3) أودى = أهلك. الطود = الجبل (4) ذاد = دافع. حوض = حمى ووطن (5) تليد = قديم. هار = سقط وتهدم

المفردات اللغوية: (6) تسبى = تأسر (7) ادرئى = ادفعى وردى. المحيق = المحيط (8) قصد الطريق = اعتدال الطريق (9) سحيق = عميق وبعيد

الإسلام و العقلانية

[الحلقة ٥٤]

بقلـــم : الشيخ الجليل المربي الكبير العلاّمة أشرف علي التهانوي
المعروف بـ " حكيم الأمة " المتوفى ١٣٦٢هـ / ١٩٤٣م
تعريب : أبو أسامة نور

ينبغي للعلماء والمتهالكين على العلم أن يتأملوا

وهنا يجب يقف العلماء والمتهالكون على العلم وقفة متأنية، ليدركوا أنه إذا جُعِلَتِ النتائج العلمية جزءًا من القرآن، وسُجِّلت ضمن تفسيره باعتبارها ثابتة بالقرآن، كما يصنع اليوم كثير من الناس، وثبت خطؤها في زمن لاحق، فإن المعارضين للإسلام يسهل عليهم أن يقولوا: إن تحقيق القرآن هذا خاطئ. وإذا أُثبتَ خطأ أو خطآن في القرآن. يجوز إثبات القرآن كله خاطئاً؛ لأن مجموع الخطأ والصواب يكون خطأً، وهذا أمر لا يمكن هؤلاء المتهالكين على العلم إلاّ أن يعودوا في شأنه ساكتين واجمين.

ولكن ما أذكى بعض هؤلاء! حيث قد توصّلوا إلى الإجابة عن ذلك أيضاً؛ حيث قالوا: إن من فضل القرآن وإعجازه أن كلماته تعود موافقة لكل ما يتم في عصر من العصور من الاكتشافات والنتائج العلمية.

فنريد أن نسائل هؤلاء: ما معنى ذلك؟ هل يحتمل كلام ما السلبَ والإيجابَ في وقت واحد؟ إنّه اجتماع النقيضين صريحاً، وهو مستحيل عقلاً. وقد تعوّد إخواننا هؤلاء أن ينادوا: مستحيل مستحيل إذا وجدوا موقفاً يحتمل استبعاداً ما، فكيف ساغ لهم أن يقبلوا اجتماع النقيضين. إن هذه النقيصة يتنزه منها حتى كلام أيّ عاقل عاديّ، فصلاً عن كلام الله تعالىٰ.

فمثلاً: إن العلماء اليوم يقولون: إن الأرض متحركة، وقد أثبت إخواننا هؤلاء هذه القضيّة بقوله تعالىٰ: " وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ " (النمل/٨٨)، وبما أنهم يقولون بكون آيات القرآن كلها قطعيّة، فزعموا أن حركة الأرض قضية قطعيّة. فلو تغيّر رأي العلماء غداً، وثبت أن الأرض ساكنة، أي ثبت نقيض هذه القضيّة، فهل هناك طريق لتغيير معنى هذه الآية، ولإثبات السكون بدل الحركة بهذه الآية بالذات. إني ما اهتديت إلى طريق، ولا سيّما لأن الآية لا تحتمل تأويلاً، ولهذا الوجه زعموا القضية قطعيّة، وأثبتوها بها. والثبوتُ لا يكون قطعيًّا، إلاّ إذا كانت الدلالة قطعيّة، والدلالةُ – كما سبق – لا تكون قطعيّة إلاّ إذا لم يحتمل اللفظ معنى آخر. فإذا أثبتوا بالآية حركة الأرض، سلّموا أنّها لا تحتمل معنى آخر، فإذا تغيّر رأي العلم، فكيف تعود محتملة لمعنى آخر. فلا يجوز إثبات سكون الأرض بالآية بوجه من الوجوه. نعم، قد يجوز أن يُسْتَعَانَ بآية أخرى، وهي الآية التالية التي يثبت بها أنصاف العلماء قضيّة سكون الأرض:

" اللَّهُ الذِيْ جَعَلَ لَكُـمُ الأرْضَ قَرَارًا " (غافر/٦٤) أي مُسْتَقَرًّا ومكانَ قرار. ومن الواضح أن مكاناً لقرار

يجب أن يكـون قارًّا بدوره ، فثبت بذلك سكون الأرض ! وصارت القضية قطعيّة حَسَبَ زعم المعزمين بالعلم . وسلمنا أن قضيّة سكون الأرض قد ثبتت ، ولكن ذلك أدّى إلى التعارض بين الآيتين ، ولا يرتفع التعارض بشكل من الأشكال ؛ لأن الحركة والسكون لا يجتمعـان . وكلما قلنا بكون أحدهما حقًّا ، وجب القول بكون آخرهما باطلاً . ولا ندري إذاً ما معنى قولهم : إن إعجاز القرآن وفضله أن ألفاظ القرآن تجاري كل قضية تثبت في كل عصر من العصور . وقد رأيتَ أن الآية الأولى لم تسعف في إثبات سكون الأرض بدل حركتها ، نعم قد وجدوا آية أخرى لجأوا إليها لإثبات سكون الأرض . ولو صحّ ما زعموه ، لكان معنى ذلك أن القرآن يشتمل على مقال ذي نقيضين ، فهو ينفي الشيء في مكان ويثبته في مكان . وتلك نقيصة لا تحتاج إلى بيان ، لا ينطوي عليها حتى كلام عاقل عاديّ ، فضلاً عن كلام الله العليم الحكيم الذي تنزّه عن كل عيب .

وبغض النظر عن هذا التعارض ، إذا سُلِّم أن آية ما تدلّ على معنى و نقيضه ، فإنه يعود القرآن كله متشكوكاً فيه ، ولا يجوز تحديد معنى لآية ما ، لأنها تحتمل ضدّه أيضاً .

وليتأمّل إخواننا عاقبة هذا التفكير الذي هم منصرفون إليه ، إن حديث الصبيّ لا يحتمل مثل ذلك فضلاً عن الحديث الذي قال فيه الربّ تعالى : "فَلْيَأْتُوْا بِحَدِيْثٍ مِثْلِهِ" (الطور / ٣٤) إنّ الإخوان جعلوا كلام الله المعجز مثل كلام مُنَجِّمٍ ذكيّ إذا سُئِلَ : هل يُوْلَدُ لنا ذكر أو أنثى ؟ أجاب ذكر لا أنثى ، فلو وُلِدَ ذكر ، قال : أما قلتُ لكم : يولد ذكر و لا يولد أنثى . وإذا وُلِدَتْ أنثى ، قال : أما قلت لكم : ذكرٌ لا ، أي لا يولد ذكر وإنما تولد أنثى !! ولو لم يولد أي من الذكر والأنثى ، قال : أما قلت لكم : ذكر لا أنثى ، أي لا يولد ذكر و لا أنثى !! تعـالى الله عن هـذه الألاعيب والأغلـوطات علوّاً كبيراً .

إن كلام الله تعالى نزل للهداية ، والهدايةُ هي إراءة طريق حق ، فلو كان بحيث لا يتحدد مفهومه ، لما قدر على الدلالة على شيء وعلى إراءة حق .

الأخطاء التي يرتكبونها فيما يتعلق بالحديث

قد سبق أن ذكرنا أن الدلائل الشرعية التي يثبت به الأحكام أربعة : كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وإجماع الأمة والقياس . وقد تورّط في شأن كل منها مسلمو العصر في أخطاء . وقد أشرنا فيما سبق إلى الأخطاء التي يتورطون فيها فيما يتعلق بكتاب الله تعالى . وسنتحدث فيما يلي عن الأخطاء التي يرتكبونها في شأن الحديث .

والخطأ الأول في شأنه أنهم يشكّون في كونه جديراً بالاستدلال ؛ حيث يقولون : إنه من المسلم به أن تعليمات الرسول صلى الله عليه وسلم التي تسمى أحاديث لم تكن تُسَجَّلُ بالكتابة في حياته ﷺ ، وإنما كان يسمعها السامع ويعيها ، وكان السامع الواعي هو الصحابيّ ، وقد بلّغها الصحابيُّ مَنْ بعده ، وهو التابعي ، و معظمُ التابعين لم يقيِّدوها بالكتابة ، وإنما حفظوها في الصدور ، كما ظلت العادة تجري بذلك منذ العهد السابق ، وبلّغوها منْ بعدهم وهم أتباع التابعين ، وقد راجت الكتابة في هذا العهد .

وخلاصة القول أن كتابة الحديث إنما حصلت في القرن الثالث ، فلو قيل : إنها سُجِّلَتْ بالكتابة بعد نحو خمسين عاماً لما كان ذلك مخالفاً للصواب . وكون الألفاظ محفوظةً عبر هذه المدة الطويلة

مستحيل عادةً وطبيعةً . ولما ثبت كون الألفاظ غير محفوظة فكيف بمعانيها ، لابدّ أنها تكون قد عادت غير محفوظة .

فيجوز أن يقال : إن ما بلغ أتباعَ التابعين من أقوال الرسول ﷺ ، إنما بلغ بأنّ الرواة السابقين نقلوا بألفاظهم إلى من بعدهم المعانيَ التي فهموها من الكلمات التي بلغتهم ، وقد كانت هذه الألفاظُ غيرَ التي بلغتهم ، وكذلك صنع من بعدهم حيث نقلوها إليهم بغير الألفاظ التي وصلتهم . إذاً حصل التغيّر في الألفاظ مرتين .

فيجوز أن يقال : إن أقوال الرسول ﷺ لم تبقَ على ألفاظها ولا على معانيها . فكيف يجوز إثبات الأحكام الإسلامية بها ، وكيف يجوز الثقة بها لحد أن تُعْتَبَرَ فرضاً و واجباً ، وأن تُطْلَقَ على منكريها شتى الفتاوى .

ذلك هو بيان الشك الذي يبديه المتحررون اليوم، فهذا هو السيّد أحمد خان (١٢٣٢هـ - ١٣١٥هـ / ١٨١٧-١٨٩٨م) مؤسس جامعة " علي جراه " يصرّح في موضع (١) أن الأحاديث لا عبرة بها ؛ لأنها "وُضِعَتْ " بعد عهد النبوة بقرون وذلك هو الأساس الذي يعتمد عليه " الفرقة القرآنية " التي تقول : إن أحكام الإسلام لا يجوز إثباتها إلاّ بالقرآن ، فهم يقولون بركعة واحدة للصلاة ويصومون يوماً واحداً فقط !!.

والحقّ أنهم قاسوا السلف بأنفسهم ، فما شاهدوه من حالة روايتهم و نقلهم ، ظنّوها لهم ، على حين إنّ هُناك بعدَ السماء والأرض بيننا وبينهم . ونودّ أن نميص لحد ما في هذا الموضوع ، لأن أصلاً كثيراً من أصول الشرع يتوقّف عليه .

حفظ الرواية يتوقف على أمرين

لِيُعْلَمْ أن حفظ الرواية بالصحة يتوقف على أمرين: قوة الذاكرة ، والعلاقة مع المرويّ عنه . والأصل الأصيل في هذا الشأن هو الأمر الثاني ؛ حيث إذا وُجِدَ قويت الذاكرة مهما كانت ضعيفة .

والعلاقة مع المرويّ عنه تتأتى بأحد الوجهين : بالاحترام أو بالحبّ . إن الرجل لن ينسى حديث من يحترمه ويُعْجَبُ به ، أو يحبّه . وليجرّب ذلك من شاء متى شاء . مثلاً : جنرال عسكريّ يأمر أحداً وقت الحرب ووقت تمهيد حالة الطوارئ ، أن يبلغ رسالته المحدّدة الشفويّة فلاناً ، وحذّره : إذا غيّر فيها شيئاً كان عقاب ذلك الإعدام ؛ فهل يجوز لأحد أن يقول : إنّه يغير في رسالته شيئاً ما، أو ينسى كلمة منها . إن المخافة شيء كان قد أنشأ عيناً للأعمى الذي كان قد قال له " نادر شاه " : إذا لم تُصْلِحْ عيناك لدى رجوعي لقتلتك !! كان من مخافة وإكبار الملك أن الأعمى دعا الله متضرعاً جدًّا ، فأصلح الله عينيه . وكذلك إذا طلب من أحد حبيبه الذي يفديه بنفسه ويؤثره على حياته ، أن يبلغ رسالته فلاناً ، وحذّره : أن لا

---

(١) وضع مؤلف مسيحي رسالة باسم " أمهات المؤمنين " طعن فيها على الأرواح المطهرات رضي الله عنهن ، و استدلّ في ذلك بالأحاديث لبًّا بها . وقد وضع المسلمون في الردّ عليها ١٩ رسالة، فندت جميع الشبهات التي أثارها المسيحي وألّف السيد أحمد خان أيضاً رسالة ، صرّح فيها بأنّ الأحاديث تدل على ما قاله المسيحي في رسالته- لكن الأحاديث لا عبرة بها وقد " وُضِعَتْ" بعد عهد النبوة بقرون ، فالاعتراضات التي أثارها المؤلف المسيحي لا يُعْتَدُّ بها، وإنّما ينبغي أن تُدْرس سير الأرواح المطهرات التي إنما تدل على عفتهن ونزاهتهن جدًّا ، ولا يجوز أن تُقْبَلَ فيهن هذه الشبهات ، ثم أفرد ترجمة لكل منهن ولسائل أن يسائل السيد أحمد خان ٠ أن الأحاديث إذا كانت غير جديرة بالاعتبار ، فكيف يجوز الثقة بروايات التأريخ التي هي منقطعة الأسناد أو عديمة الأسناد. (المؤلف)

يرجونّ في لقائه إذا غيّر منها حرفاً . فهل يجوز لقائل أن يقول : إنه يمكن أن يغيّر فيها شيئاً أو ينسى منها حرفاً . إن كلمات الحبيب ستنطبع في ذاكرته للأبد ، ويعيدها كالورد .

اقرأ التاريخ تعلم نوعيّة علاقة الصحابة رضي الله عنهم مع نبيهم الحبيب ﷺ ، ومدى توقيرهم له ، ومدى حبهم له ، حتى إننا نستطيع أن نصارح أن المحبين والموقرين كلهم في الدنيا ، لن يبلغوا معشار ما بلغه الصحابة من توقيرهم وحبهم لنبيهم ﷺ . إن الحب القائم بين الفراش والنور وبين العندليب والأزهار لا يحمل إلاّ نسبة الظلّ من الأصل والصدى من الصوت .

إن حبّ امرأة عزيز مصر لسيدنا يوسف عليه السلام مشهور و مضرب المثل ، ولكنه عندما عادت تكاد تكون مُتَّهَمَةً بالذنب ومُدانَةً بالجريمة ، حتت قدرآها سيدها متابعة ليوسف عليه السلام ، نسيت الحبيب ولم تبالِ به ، و عدت تقول :

" ما جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوْءًا إِلاَّ أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيْمٌ " (يوسف / ٢٥)

نماذج رائعة من نوادر حبّ الصحابة للنبي ﷺ

وقابِلْ ذلك بحبّ الصحابة رضي الله عنهم للنبيّ ﷺ ، فهذا طلحة بن عبيد الله التيميّ ، ينهزم المسلمون عن رسول الله ﷺ يوم أحد ، وكان ﷺ يصعد هو ومن معه في الجبل ، فلحقت به عصبة من المشركين تريد قتله ، فقال عليه الصلاة والسلام : من يردّ عنّا هؤلاء وهو رفيقي في الجنّة ؟

فقال طلحة : أنا يا رسول الله .

فقال عليه الصلاة والسلام : لا ، مكانك ، فقال رجل من الأنصار : أنا يا رسول الله . فقال : نعم ، أنت .

فقاتل الأنصاريّ حتى قُتِلَ ، ثم صعد الرسول عليه الصلاة والسلام بمن معه ، فلحقه المشركون . فقال : ألا رجل لهؤلاء ؟! . فقال طلحة : أنا يا رسول الله . فقال عليه الصلاة والسلام : لا ، مكانك . فقال رجل من الأنصار . أنا يا رسول الله . فقال : نعم ، أنت ، ثم قاتل الأنصاريّ ، حتى قُتِلَ أيضاً .

وتابع الرسول ﷺ صعوده ، فلحق به المشركون ، فلم يزل يقول مثل قوله ، ويقول طلحة : أنا يا رسول الله ، فيمنعه النبي ، ويأذن لرجل من الأنصار ، حتى استشهدوا جميعاً ، ولم يبق معه إلاّ طلحة ، فلحق به المشركون ، فقال لطلحة :

الآن ، نعم ..

وكان الرسول ﷺ قد كُسرتْ رباعيته ، وشُجَّ جبينه ، وجُرحتْ شفته ، وسال الدم على وجهه ، وأصابه الإعياء ، فجعل طلحة يكرّ على المشركين ، حتى يدفعهم عن رسول الله ﷺ ، ثم ينقلب إلى النبيّ فيرقى به قليلاً في الجبل ، ثم يسنده إلى الأرض ، ويكرّ على المشركين من جديد . ومازال كذلك حتى صدّهم عنه . قال أبوبكر رضي الله عنه : وكنت أنا وأبو عبيدة بن الجراح بعيدين عن رسول الله ، فلما أقبلنا عليه نريد إسعافه ، قال : أتركاني انصرفا إلى صاحبكما ، يريد طلحة . فإذا طلحة تنزف دماؤه ، وفيه بضع وسبعون ضربة بسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم ، وإذا هو قد قطعت كفّه ، وسقط في حفرة مغشيًّا عليه . فكان ﷺ يقول بعد ذلك : من سرّه أن ينظر إلى رجل يمشي على الأرض قد قضى نحبه فلينظر إلى طلحة بن عبيد الله . وكان الصديق رضوان الله عليه إذا ذكر أحداً يقول : ذلك يومٌ كلُّه لطلحة .

وهذا أبو طلحة الأنصاريّ ، ينتصب يوم أحد أمام رسول الله صلوات الله عليه كالطود الراسخ ، بينما

يقف النبيّ ﷺ خلفه يَتَتَرَّسُ به . ثم يتر أبو طلحة قوسه التي لا تُفَلُّ ، ويُركِّبَ عليها سهامه التي لا تخطئ ، ويعود يدود بها عن رسول الله ﷺ ، ويرمي جنود المشركين واحداً إثر واحد .

و النبي ﷺ يتطاول من خلف أبي طلحة ليرى مواقع سهامه ، فيردّه خوفاً عليه ، ويقول له :

بأبي أنت وأمّي ، لا تشرف عليهم فيصيبوك ، إنّ نحري دون نحرك ، وصدري دون صدرك ، وجُعِلْتُ فداك .

ومازال أبو طلحة ينافح عن رسول الله ﷺ ، حتى كسر ثلاث أقواس ، وقتل ما شاء الله أن يقتل من جنود المشركين .

وقد جاء في حادث الهجرة أنّه ﷺ أمر عليّا رضي الله أن يرتدي بردته اليمانية وينام في فراشه ، وكان الكفار قد حاصروا المنزل تلك الليلة ، ليثبوا عليه وثبة رجل واحد فيقتلوه ، ويتفرق دمه في القبائل ، ولا يستطيع بنو عبد مناف أن يثأروا له .

وقد التحف عليّ رضي الله عنه ببردته ﷺ ونام في فراشه دونما تردّد مُحْدَقًا بهذا الخطر المحتم والجوّ المفعم بمخافة التعرض للقتل ، ولم يبالِ بحياته ، ولم يَخفْ على نفسه امتثالاً لأمر الحبيب المصطفى ﷺ .

وهناك مئات من القصص لفداء الصحابة وحبّهم المريد للنبي ﷺ .

فهذا وحشي بن حرب رضي الله عنه ، قاتلُ سيدنا حمزة بن عبد المطلب سيد الشهداء رضي الله عنه يوم أحد ، يسلم بعد الفتح بين يدي النبي ﷺ في المدينة ، ويحدثه ﷺ قصة قتله لحمزة رضي الله عنه على طلب منه ﷺ .

فيُشِيْحُ النبي ﷺ عنه بوجهه ، يقول له :

ويحك يا وحشي ، غَيِّبْ وجهك عنّي فلا أرينّك بعد اليوم . فظلّ وحشي منذ ذلك اليوم يتجنّب أن يقع بصره ﷺ عليه ، فإذا جلس الصحابة قبالته ، كان يأخذ مكانه خلفه ﷺ . وبقي على ذلك حتى قُبِضَ رسول الله ﷺ إلى جوار ربّه .

وذلك لئلاّ يتأذّى النبي الكريم برؤية وجهه وتذكُّر قتل عمه الحبيب حمزة رضي الله عنه الذي حزن عليه النبي ﷺ حزناً لم يحزن مثله على أحد .

أُرِيْدُ وِصَالَهُ وَيُرِيْدُ هَجْرِيْ فَأَتْرُكُ مَا أُرِيْدُ لما يُرِيْـدُ

هل يسع فراشاً أن لا يقع على النور ؟ كلّا ! ولكن الصحابي قدر على أن يمتنع عن مواجهة الرسول الحبيب ﷺ عندما منعه عنها رغم حبّه الشديد الذي يفوق حبّ الفراش للنور بكل المقاييس .

وقد دلّت على حبهم المريد للنبيّ ﷺ الآية الكريمة التالية :

" وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُوْرَةٌ نَظَرَ بَعْضُهم إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انْصَرَفُوْا " (التوبة / ١٢٧).

والآية تبيّن كيفية مجلس النبي ﷺ ، وتدلّ على أن الصحابة كانوا يستمعون وينصتون للوحي لحدّ أنّ المنافقين كانوا يسلّون من المجلس ، وكانوا لا يشعرون بذلك لشدة انصرافهم إلى الاستماع للوحي . وقد كان الصحابة يتحدثون بدورهم عن كيفية تعاملهم مع مجلسه ﷺ بقولهم : " كأن على رؤوسنا الطير " . بعضُ الطير يُصَادُ بأنّ المصطاد يجلس متثبّتاً ساكناً ساكتًا ، والطير تقع على رأسه ، فيضبطها . و لو تحرّك شيئاً في هذه الحالة لطارت الطير . فوصفوا مجلس النبي صلى الله عليه وسلّم بأنهم كانوا يجلسون فيه منضبطين ساكتين ساكنين ، جلوسَ من يتعمّد اصطياد الطير تقع على رأسه . [يتبع]

التربية الإسلامية تتذوق الجمال

بقلم: الدكتور مصطفى محمد الطحّان
الأمين العام لاتحاد المنظمات الطلابية/ الكويت

اهتمت التربية الإسلامية بالجمال .. قال النبي ﷺ : (إن الله جميل يحب الجمال)(١).. وأوصى أصحابه بأن يكونوا شامة جميلة بين الناس .. والمتجول في رياض القرآن يرى بوضوح : أنه يريد أن يغرس في عقل كل مؤمن وقلبه الشعور بالجمال المبثوث في أجزاء الكون، من فوقه ومن تحته ومن حوله : في السماء، والأرض والنبات، والحيوان، والإنسان (٢).

قال تعالى : ﴿ يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد ﴾(٣). وقال أيضا : ﴿ قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق ﴾(٤).

وتذوق الجمال من أسمى ما يمتاز به الإنسان، والتربية الإسلامية تهدف إلى أن يكتسب الإنسان من بيئته كل ما يحمله الذوق والجمال من أبعاد ومستويات .

ولتربية الذوق الجمالي في تربيتنا مثيرات دائمة في الكون والأرض والإنسان .

فالكون وما فيه من تناسق . والسماء وما فيها من زينة .. ﴿ إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب ﴾(٥)، ﴿ ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للناظرين ﴾ (٦).

والأرض وما تضم من جبال ووديان وبحار وغابات وأنهار وبحيرات .. ﴿ إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها ﴾ (٧).

﴿ وترى الأرض هامدة، فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ﴾ (٨).

﴿ وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء، فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا، ومن النخل من طلعها قنوان دانية، وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه، انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه ﴾ (٩)

فالدعوة إلى النظر إلى الثمر اليانع وإلى خضرة النبات دعوة إلى سياحة فكرية في رحاب الجمال. وحين يتحدث القرآن الكريم عن الأنعام . ينبه إلى عنصر الجمال فيها . قال تعالى : ﴿ والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون ﴾ (١٠).

قال تعالى : ﴿ وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا، وتستخرجوا منه حلية تلبسونها ﴾ (١١). فلم يقصر فائدة البحر على العنصر المادي المتمثل في اللحم الطري الذي يؤكل . بل ضم إليه الحلية التي تلبس للزينة، فتستمتع بها العين والنفس

والإنسان الذي خلقه ربه في أحسن تقويم وصوره فأحسن تصويره . قال تعالى : ﴿ وصوركم فأحسن صوركم ﴾ (١٢).

والتناسب الدقيق بين الكتابين المسطور والمقروء كما أراده رب العزة ﴿ أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت، وإلى السماء كيف رفعت ، وإلى الجبال كيف نصبت، وإلى الأرض كيف سطحت ﴾ (١٣)

هل يستطيع أحد أن يرى أي خلل في التنسيق بين

هذه المخلوقات ؟ ﴿ فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير ﴾ (١٤).

القرآن معجزة جمالية (١٥).

والقرآن الكريم آية الإسلام الكبرى، ومعجزة الرسول العظمى، ويعتبر معجزة جمالية، فقد أعجز العرب بجمال بيانه، وروعة نظمه وأسلوبه، وتفرد لحنه وموسيقاه ، حتى سماه بعضهم : سحرا. ومن المطلوب في تلاوة القرآن أن ينصم جمال الصوت والأداء إلى جمال البيان والنظم، قال تعالى : ﴿ ورتل القرآن ترتيلا ﴾ (١٦).

وقال ﷺ : (زينوا القرآن بأصواتكم) (١٧)

وقال ﷺ : (ما أذن الله لشيء، ما أذن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن، يجهر به) (١٨).

الجمال مبثوث .. والتفاعل معه يعطي التربية لونها المميز :

☆ تربية تدخل إلى العقيدة من باب جمال الكون ودقة نظامه . عندما سمع أعرابي قوله تعالى : ﴿فاصدع بما تؤمر﴾ (١٩) سجد فقيل له : لم سجدت؟

قال : سجدت لجماله .

☆ وتدخل في صلب العبادة .. فالطهارة شرط من شروطها ..

☆ وتنتج السلوك الحسن والفضائل الخلقية(٢٠). قال تعالى : ﴿ إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا ﴾ (٢١).

فالنظافة التي تصل إلى درجة الطهارة .. والثوب الحسن النظيف .. والرائحة الزكية التي كان يحرص عليها رسول الله ﷺ .. ويوصينا بأن لا نرد الطيب.. والصوت الجميل .. كل ذلك الجمال يطبع شخصية المؤمن .. ويتحول إلى سلوك حسن نظيف زكي جميل .. يتلقاه الناس كما يتلقون الرائحة الزكية .

هذا السلوك الحسن النظيف الجميل .. ينبغي أن يتحلى في أسلوب وشكل الداعية المسلم .

☆ فوجهه حين يلقى الآخرين بتشوش .. يقول ابن القيم : إن الناس ينفرون من الكثيف ولو بلغ في الدين ما بلغ، ولله ما يجلب اللطف والظرف من القلوب .. فليس الثقلاء بخواص الأولياء .. (٢٢).

☆ ورائحته حسنة .. يتجنب أن يلقى إخوانه في مجلس أو مسجد تفوح منه روائح الثوم والبصل..

☆ واللباس النظيف الجميل للرجل .. واللباس الساتر السابغ للمرأة مما أوحت به تعاليم الإسلام .. (والزينة حلال للمرأة، تلبية لفطرتها ، فكل أنثى مولعة بأن تكون جميلة، وأن تبدو جميلة . والزينة تختلف من عصر إلى عصر، ولكن أساسها في الفطرة واحد، هو الرغبة في تحصيل الجمال أو استكماله وتجليته للرجال. والإسلام لا يقاوم هذه الرغبة الفطرية، ولكنه ينظمها ويضبطها، ويجعلها تتبلور في الاتجاه بها إلى رجل واحد (هو شريك الحياة) يطلع منها على ما لا يطلع أحد سواه (٢٣).

☆ وحديثه جميل عذب مهذب .. ومن ذلك الشعر الصادق .. والبيان الذي يأخذ بالألباب.. قال النبي ﷺ : (إن من البيان سحرا، وإن من الشعر حكمة)(٢٤) . ومن هذا النوع الفن المنضبط بقواعد الإسلام وما فيه من جمال، وسيلة هامة من وسائل التربية الإسلامية .

☆ والحياء من الإيمان وهو أعظم صور الجمال.. فقد كان رسول الله ﷺ أشد حياء من العذراء في خدرها ..

وكان ﷺ يمهد التمهيد اللطيف الرقيق ، إذا شاء أن يعلّم أصحابه ما يُستحيا من التصريح به .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : (إنما أنا لكم مثل الوالد لولده أُعلمكم، إذا أتيتم

الغائط ، فلا تستقبلوا القبلة ، ولا تستدبروها ، وأمر بثلاثة أحجار، ونهى عن الروث ، والرامة ، ونهى أن يستطيب الرجل بيمينه) (٢٥).

وكان ﷺ في بعض الأحيان يكتفي بالإشارة لما يستحيا منه . في الحديث عن عائشة رضي الله عنها : أن أسماء بنت شكل ، سألت النبي ﷺ عن غسل المحيض فقال : تأخذ إحداكن ماءها وسدرتها فتطهر بها، فتحسن الطهور، ثم تصب على رأسها،فتدلكه دلكا شديداً حتى تبلغ شؤون رأسها ، ثم تصب عليها الماء، ثم تأخذ فرصة ممسكة فتطهر بها. فقالت أسماء: وكيف تطهر بها ؟ قال : سبحان الله تطهرين بها . فقالت عائشة: (وكأنها تخفي ذلك) تتبعي أثر الدم (٢٦).

☆ ويتجنب هجر القول ومستقبح الكلام . فالجمال ظاهر و باطن .. ومن جمال الباطن، نظافة الروح والنفس والعقل . قال الشاعر :

ولا خير في حسن الجسوم وطولها
إذا لم تزن حسن الجسوم عقول

☆ ومن الجمال إحياء المجاملة المنضبطة، قال الماوردي : (البر هو المعروف و يتنوع نوعين قولا وعملا، فأما القول فهو طيب الكلام، وحسن البشر، والتودد بجميل وهذا يبعث عليه حسن الخلق ورقة الطبع ، ويجب أن يكون محدوداً كالسخاء، فإن أسرف فيه كان ملقا مذموما، وإن توسط واقتصد فيه كان معروفا محموداً) (٢٧). ومن المجاملة :

☆ السؤال عن حال الناس ..

☆ وإنزال الناس منازلهم ..

☆ والاهتمام بالمظهر .

☆ ومراعاة المناسبات ..

☆ ومن الجمال أن ترطب الأجواء بالمزاح البريء الصادق .. ورسولنا المعلم يوصينا بأن نروح القلوب ساعة أو بعض ساعة .. فإنها إذا كلت عميت .. مزاح مع الصغير والكبير .. بين الرجل وزوجته .. بين الرجل وأبنائه .. بين المعلم وتلامذته . ولهم في رسول الله أسوة حسنة .

☆ عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : (كان رسول الله ﷺ يدخل علينا، ولي أخ صغير يكنى أبا عمير، وكان له نغرٌ يلعب به . فمات، فدخل عليه النبي ﷺ ذات يوم فرآه حزينا، فقال: ما شأنه ؟ قالوا : مات نغره ، فقال : يا أبا عُمير ما فعل النُّغير؟) (٢٨)

☆ وفي الحديث عن أنس رضي الله عنه أن رجلا استحمل النبي ﷺ فقال له رسول لله : إني حاملك على ولد الناقة، فقال الرجل: يا رسول الله ، ما أصنع بولد الناقة ؟ فقال ﷺ : وهل تلد الإبل إلا النوق ؟ (٢٩)

الهوامش :

(١) مسلم
(٢) ملامح المجتمع المسلم يوسف القرضاوي، ص ٢٤٧
(٣) الأعراف ٣١ (٤) الأعراف ٣٢ .
(٥) الصافات ٦ (٦) الحجر ١٦
(٧) الكهف ٧ (٨) الحج ٥
(٩) الأنعام ٩٩ (١٠) النحل ٥-٦
(١١) النحل ١٤ (١٢) التغابن ٣
(١٣) الغاشية ١٧-٢٠ (١٤) الملك ٣
(١٥) ملامح المجتمع المسلم - القرضاوي، ص ٢٤٨ .
(١٦) المزمل ٤٠ (١٧) مسلم
(١٨) أحمد والشيخان (١٩) الحجر ٩٤
(٢٠) الرسول العربي المربي (المرجع السابق، ص ٣٧٠
(٢١) الكهف ٧ (٢٢) الفوائد - ابن القيم
(٢٣) في ظلال القرآن سيد قطب ٤ . ٢٥١٢ .
(٢٤) أحمد و أبو داود
(٢٥) مسلم، أبو داود والنسائي وابن ماجة
(٢٦) الشيخان
(٢٧) أدب الدنيا والدين الماوردي
(٢٨) البخاري ومسلم و أبو داود والترمذي، ابن ماجة
(٢٩) أبو داود، الترمذي

حقوق الإنسان ..
في المنظور الإسلامي والمنظور العالمي

بقلم : الأستاذ عيسى بن عبد العزيز الشامخ

تمهيد : ترتبط معايير حقوق الإنسان في الإسلام بأحكام الشريعة الإسلامية من حيث الإطلاق والتقييد، كما ترتبط معايير حقوق الإنسان في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان بالفكر الغربي وفلسفته الديمقراطية مما يفقده صفة العالمية في نظرنا. واذا رجعنا للجذور التاريخية لكليهما لوجدنا حقوق الإنسان في الإسلام تعتمد على ما جاء في القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة التي سبقت ظهور الإعلان العالمي لحقوق الإنسان بما يقارب ألف وثلاثمائة وسبعين عاما .

بينما يرجع الإعلان العالمي لحقوق الإنسان في صيغته الموجودة إلى عام ١٩٤٨م .. أي بعد الحرب العالمية الثانية ومآسيها .. هذا من حيث الزمان .. اما من حيث المصدر فلا مقارنة بينهما .. فمصدر حقوق الإنسان ومعاييرها في الإسلام الكتاب والسنة النبوية.. فالمصدر إلهي وهو الاعلم بما يصلح عباده . قال تعالى: ﴿ إنا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلاً ﴾ (الإنسان-٢٣) وقال تعالى: ﴿ وما ينطق عن الهوى. إن هو إلا وحي يوحى﴾ (النجم -٣-٤)

اما حقوق الإنسان في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان فمصدرها البشر وفلسفاتهم وثقافاتهم وبرلماناتهم. وبناء على ذلك فان الدول التي تطبق أحكام الشريعة الإسلامية نصا وروحا في جميع مجالات الحياة ملتزمة بتطبيق معايير حقوق الإنسان في الإسلام والمملكة العربية السعودية ينطبق عليها هذا القول لان دستورها الكاتب والسنة بنص المادة . (١) من النظام الإساسي للحكم وقررت ذلك بنص المادة (٢٦) من ذات النظام . فكيف تطالب الدول التي دستورها الكتاب والسنة بتطبيق معايير حقوق الإنسان التي تخالف دساتير ها ؟!. إن هذا المطلب بحد ذاته انتهاك لحقوق الإنسان ؟! هذا من جانب ومن جانب آخر هل تطبق الدول التي تطالبنا بتطبيق معايير حقوق الإنسان ذلك ؟! أم ان وراء ذلك مآرب أخرى؟!

أما عن مفهوم الحقوق الرئيسية لحقوق الإنسان فأقول لسنا بصدد كتابة تاريخ عن تطور حقوق الإنسان، ولكن اهم حدث أولى حقوق الإنسان، العناية، هو ظهور الإسلام، فمنذ بدء الرسالة، والرسول محمد صلى الله عليه وسلم يدعو الناس الى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وبالقدر خيره وشره، وأن يكون الناس بنعمة الله إخوانا. ونزول الوحي مؤكدا

"أصْبَحْتُ لاَ أحْمِلُ السِّلاَحَ وَلاَ
أمْلِكُ رَأسَ البَعِيرِ إنْ نَفَرا
وَالذِّئْبَ أخْشَاهُ إنْ مَرَرْتُ بِهِ
وَحْدِي وَأخْشَى الرِّيَاحَ والمطَرا"(٨)

والنسر من أقوى الطيور بنية، ولكنه إذا شاب فقد هذه القوة، وتبين ضعفه، وانتقاله من حال إلى حال، ولقوته قيل إن هامان اختياره، في بعض الروايات، ليحمل فرعون في محفة ليطلع إلى إله موسى، ولكنه وما معه من النسور خابوا، وعادوا مهيضي الجناح، وفي ضوء قوته، وبدانته يحمل النسر أكثر مما يحمل أي طائر آخر، ويمزق الجيفة، وقت قوته، ويقضي عليها في دقائق، بعض كبار السن يمثل نفسه بالنسر بعد أن يضعف، وتهين شدته؛ ويبدو أن هذه الصورة محببة للشعراء المعمرين، وتتكرر في أشعارهم، ومن بين من استفاد منها ابن حممه الدوسي، حيث يقول:

"وَأصْبَحْتُ مِثْلَ النَّسْرِ طَارَ فِرَاخُهُ
إذَا رَام تِطْيَاراً يَقُلْنَ لَهُ: قَعِ"(٩)

وفرخ النسر وهو صغير لم تفتح عيناه ضعيف، وضعفه هذا يغري الشيخ بتشبيه نفسه به، يقول سمعان بن هبيرة:

"وَعَادَ كَفَرْخِ النَّسْرِ أعْمَى عَنِ الَّتِي
يُرِيْدُ، طِوالَ الدَّهْرِ يَهْذِي وَيَهْذِرُ"(١٠)

ومن مظاهر ضعف فرخ النسر طول جيده، وضعفه عن حمل رأسه حتى يكبر ويشتد، ويقول عوف بن سبيع بن عميرة في هذا:

"وَصَارَ كَفَرْخِ النَّسْرِ يَهْتَزُّ جِيْدُهُ
يَرَى دُوْنَ شَخْصِ المَرْءِ شَخْصًا إذَا رَأى"(١١)

وصورة أخرى يرسمها مسافع بن عبد العزى له ولأصحابه من الشيوخ:

"جَلَسْتُ غُدَيَّةَ وَأبُو عَقِيْلٍ
وعُرْوَةُ ذُو النَّدَى وَأبُو رِيَاحِ
كَأنَّا مَضْرِ حِيَّاتٌ (١٢) بِرَضْوَى
يَنُوْنَ إذَا يَنُوْنَ بِلاَ جَنَاحِ"(١٣)

وفرخ الطائر، أيا كان، هزيل ضعيف، ولهذا يكون أقرب إلى ذهن المتمثل بالضعف، وعلى هذا قال هاجر بن عبد العزى الخزاعي:

"وَأصْبَحْتُ مِثْلَ الفَرْخِ لاَ أنَا مَيِّتٌ
فأُسْلَى ولا حَيٌّ فأُصْدِرُ لِيْ أمْرا"(١٤)

والنسر إذا شاخ أصبح جسماً بلا قوة، يقع فلا يطير، ويكفيه من الطعام اليسير؛ وهذه هي الصورة التي أرادها حارثة بن مرة بن حارثة حين يقول:

"فَكُنْتُ كَالنَّسْرِ عَلَى الجَذْيْرَةْ
بُرَاضَةً مِنْ عُمُرٍ يَسِيْرَةْ"(١٥)

(الجذيرة: أصل الحائط، أو البناء والبراضة القليل).

ولأن المعمر يكون عادة حبيس البيت أغلب الوقت، فمن المتوقع أن يكون هذا من أسباب شكواه ومصدراً لقلقه، ومدعاة لملله؛ وأن يحرج ذلك في شعره صارخاً منوعاً، ومن صور ذلك ما قاله دريد بن الصمة الجشمي:

"رَهِيْنَةُ قَعْرِ البَيْتِ كُلَّ عَشِيَّةٍ
كأنِّي أُرَقِّي أوْ أُصَوِّبُ فِي المُهَدِ"(١٦)

وجلوس المرء في بيته في شيخوخته أمر يرعب، ولهذا أُتُّخِذَ منه، ومن غيره من صور الشيخوخة وأتعابها، وسيلة للحث على الاستماتة في الحرب، فهي أكثر قبولاً، لأن في الموت في الميدان شرف لا يضاهيه الموت، بعد المشيب الطويل، في البيت؛ يقول عروة ابن الورد، مبرراً استماتته عندما أصاب الجدب قومه، وكادوا يهلكون من الجوع والعوز، فأغار على إبل قتل فارسها، واحتاز هو وقومه الإبل، وتبدلت بذلك حالهم:

"ألَيْسَ وَرَائِيَ أنْ أدِبَّ عَلَى العَصَا
فَيَأْمَنَ أعْدَائِي وَيَسْأمَنِي أهْلِي

على كرامة الإنسان والمساواة بين بني آدم في الكرامة الإنسانية بقوله تعالى: ﴿ ولقد كرّمنا بني آدم.. ﴾ (الاسراء - ٧٠) وتأكيده على أن التمييز بين الناس لا يقوم على اللون أو الجنس أو اللغة أو الدين أو غير ذلك من التمايز العنصري وإنما يقوم على التقوى والصلاح التي بين العبد وربه قال تعالى : ﴿ يا أيها الناس إنّا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم .. ﴾ (الحجرات: ١٣) وقول الرسول صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع : (.. أيها الناس ! إن ربكم واحد وإن أباكم واحد آدم و آدم من تراب، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، ليس لعربي على عجمي فضل إلا بالتقوى ... الخ)

والمسلمون إذا رجعوا إلى مصادر أحكام الشريعة الإسلامية في كل شيء لن يعانوا من مشكلة انتهاكات حقوق الإنسان .. وكلما ابتعد المسلمون أفرادا أو جماعات أو حكومات عن تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية نصا وروحا .. كان هناك انتهاك صارخ لحقوق الإنسان، لأن الشريعة الإسلامية قد ضمنت حقوقا أكثر من حقوق الإنسان التي تطالب بها الفلسفات المعاصرة .

أما عن حقوق الإنسان في منظور الفكر الديمقراطي الغربي أو الإعلان العالمي لحقوق الإنسان وما ألحق به من اتفاقيات تفصيلية لهذا الإعلان .. فإنه لا يحقق للأمة الإسلامية حقوقها التي تصون كرامتها وعزتها وتحفظ للمسلم الضرورات الخمس (الدين، والنفس ، والعقل، والنسل، والمال) والتي لا قوام للحياة الكريمة إلا بها .. وذلك لتجاهلها لأديان وعقائد وقيم الشعوب .

ومن الجدير ذكره أن الإعلان العالمي لحقوق الإنسان يشترك مع الشريعة الإسلامية في كثير من حقوق الإنسان الرئيسية كحق المساواة وحق الحرية، وحق العدالة، وتقرير الحقوق الأساسية.. ومرجع الاختلاف بينهما في هذه الحقوق المرجعية التي يعتمد عليها كل منهما.

ويمكن أن نتناول مفهوم هذه الحقوق في الإسلام والإعلان العالمي لحقوق الإنسان على النحو الآتي :

مفهوم الحق وأنواعه

لا بد لنا قبل الكلام عن معايير حقوق الإنسان ومفهوم الحقوق الرئيسة للإنسان أن نوضح مفهوم الحق في إعلان حقوق الإنسان في الإسلام والإعلان العالمي لحقوق الإنسان لأن معايير حقوق الإنسان في كليهما تبنى على مفهوم الحق فيهما ومصدره .

مفهوم الحق في الفقه الإسلامي وأنواعه .

يعرف الحق في "مصلحة مقررة شرعاً" .

كما يعرف بأنه "اختصاص يقرر به الشرع سلطة أو تكليفا".

ويعرف الحق في البيان العالمي عن حقوق الإنسان في الإسلام بأنه "التعبير المضاد أو ذو العلاقة المتبادلة مع تعبير الواجب " أي إن ما يعتبر حقا لشخص يشكل واجبا على شخص آخر .

كما يعرف أيضا بأنه "شيء مقرر (معتمد) بالقانون للإنسان أو لله سبحانه و تعالى تجاه شخص أو أكثر.

وتقسيم الحقوق في الإسلام يحتلف عنه في القوانين الوضعية التي تعتمد على الفكر الديمقراطي الغربي والتي تعتبر الإطار الذي استقى منه الإعلان العالمي لحقوق الإنسان نصوصه ..

فالحقوق في الإسلام ثلاثة أنواع

النوع الأول : حقوق لله تعالى كالحدود الشرعية وهي الحقوق التي لا يجوز للعبد إسقاطها .. متل حد الرنى، وحد الشرب، وحد الردة، وحد الحرابة، وحد السرقة .. الح وهده الحدود لا يجور إسقاط او تعديل عقوبتها او العفو عنها حتى من قبل ولي الامر .

النوع الثاني : حقوق العباد : وهي كل حق يصح للعبد إسقاطه او العفو عنه مثل القصاص او الدين، وعيره من الحقوق الحاصة.. وهده الحقوق لا يجور لولي الامر إسقاطها او العفو عنها .

النوع الثالث : حقوق مشتركة وهي ما فيها حق لله تعالى (عام لحماية المجتمع) وفيها حق حاص لحماية حقوق الفرد .

وعموما ما يعلب فيه حق الله عدا الحدود يجور لولي الامر العفو عنه. وما يعلب فيه حق العباد فللعبد الحق في دلك .

مفهوم الحق وأنواعه في القوانين الوضعية : عرف الحق في القوانين الوضعية بانه : الشيء المقرر للإنسان في القانون تجاه شحص او اكثر .

وأما أنواع الحقوق في القوانين الوضعية فهي نوعان:

النوع الأول : الحقوق السياسية : وهي التي تهيئ للفرد فرصة الإسهام في حكم وطنه . كحق الانتحاب، وحق الترشيح ، وحق تولي الوظائف العامة ..

النوع الثاني : الحقوق عير السياسية : ويطلق عليها الحقوق المدنية ، او الحقوق الحاصة .. وهدا النوع يقسم إلى نوعين هما :

أولهما : حقوق عير مالية : وهي ما كان الهدف منها إشباع حاجات الإنسان عير الاقتصادية، سواء كانت هده الحاجات ادبية ام حاجات اجتماعية ..

وهذه الحقوق إما ان تكون ملازمة للشحصية : حق الإنسان في سلامة جسمه او حقه في العمل ، او حقه في الرواج .. الح .

وإما ان تكون حقوق في نطاق الاسرة : كحق النسب ..

ثانيهما : حقوق مالية : وهي ما كان الهدف منها إشباع حاجات الإنسان الاقتصادية : كحق التملك .. الح.

مما تقدم يتضح الاحتلاف بين تقسيم الحقوق في الإسلام والقوانين الوضعية حاصة القوانين التي اتحدت من الفكر الفلسفي الديمقراطي إطاراً لها .. ويبنى على هدا الاحتلاف احتلاف في معايير الحقوق في كليهما والمتمعن في نصوص الإعلان العالمي لحقوق الإنسان يدرك اعتماد هدا الإعلان على الفكر الفلسفي الديمقراطي الغربي في نصوصه.. وهدا بدوره أدى الى تصادمه مع أديان وعقائد وقيم وفلسفات بعض الشعوب.. مما جعل بعض نصوصه مستحيلة التطبيق .. بالنسبة لها .

☆ ☆ ☆

☆ ☆

نصيحة مهمة للمرأة المسلمة وأوليائها

بقلم : فضيلة الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله آل فريان
رئيس الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم
بمنطقة الرياض

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه أما بعد :

فقد اطلعت على النصيحة المباركة المتعلقة بالنساء وأوليائهن التي كتبها صاحب الفضيلة الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله آل فريان فألفيتها نصيحة جيدة جديرة بالعناية والسير على ضوئها لما اشتملت عليه من الأدلة والذكرى وتوجيه النساء إلى أسباب العفة والكرامة . فنسأل الله أن يجزي كاتبها الشيخ عبد الرحمن خيراً و أن ينفع بها المسلمين إنه جواد كريم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه .

عبد العزيز بن عبد الله بن باز
مفتي عام المملكة العربية السعودية
ورئيس هيئة كبار العلماء وإدارة البحوث العلمية والإفتاء

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين واشهد أن لا إله إلا الله الاله الحق المبين واشهد ان نبينا وإمامنا وقدوتنا محمد بن عبد الله رسول رب العالمين صلى الله عليه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين أما بعد/

فيا أيها المسلم لعلك معي تسمع بعض النصوص الواردة في الكتاب والسنة عن ربنا عز وجل وعن نبينا محمد عليه الصلاة والسلام في بيان حقوق المرأة في الاسلام وما أعطاها الله من الحقوق وما منحها من المصائل إذا هي أطاعت ربها ، ونعلم أولاً أنّ الله خلق الخلق ليعبدوه ويوحدوه ويطيعوه قال تعالى " وما خلقت الجنّ والإنس إلا ليعبدون ، ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون إنّ الله هو الرزاق ذو القوة المتين " وهو سبحانه غنيٌّ عن خلقه لا تنفعه طاعة المطيع ولا تضره معصية العاصي بل هو النافع الضار قال تعالى في الحديث القدسي الذي رواه مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم عن ربه عزّ وجلّ أنّه قال " يا

عبادي إنّي حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا .. . إلى أن قال .. يا عبادي إنّكم لن تبلغوا ضري فتصروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني .. إلى آخر الحديث " ثمّ إنّه سبحانه وعد من عبده وأطاع رسوله بجنات النعيم وتوعد من عصاه بعذاب الجحيم فقال تعالى لمّا ذكر بعض حقوق الخلق في المواريث من المال الذي بقي بعد الميت وقسمه سبحانه بنفسه وأوصى الأولياء باعطاء كل ذي حق حقه وبينها ما للذكور والاناث فقال " يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين فإن كن نساء فوق اثنتين فلهنّ ثلثا ما ترك وإن كانت واحدة فلها النصف " وذكر حق الابوين وحق الاخوة وحق الزوج وحق الزوجة وتنفيذ الوصايا قال بعد ذلك " تلك حدود الله - أي هذه القسمة من الله وهذا شرع الله وهذه فريضة اللّه لايجوز لأحد أن يتصرف فيها برأيه لأنّ اللّه تولى قسمتها بنفسه لم يكل ذلك إلى ملك مقرب ولا إلى نبي مرسل بل هو تولى ذلك سبحانه و تعالى لأنّه أحكم الحاكمين وهو العليم الخبير بمصالح عباده فلم يضيع المرأة بل أمر باعطائها حقها من الميراث والنفقة بخلاف الذين يتصرفون بأهوائهم فيظلمون المرأة فيقطعون حقها أو يحمّلونها فوق طاقتها كما تفعل الجاهلية يحرمونها من الميراث ولا يجعلون لها تصرفاً في نفسها أو يكلفونها ما لا تطيق كفعل الماديين الجاهليين الذين يقحمونها في العمل ويبيحون لها مزاحمة الرجل ، في تصرفهم هذا اعتراض على الله في شرعــه وديــه وحكمــه حيث يقـول في تعليم النساء " وقــرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى " فالعلمانيون والبعثيون يريدون أن تشاركهم المرأة في الأعمال ويتمتعون بها في مجتمعاتهم لمطلبين الأول: حتى تقوم بالعمل معهم وتقوم ببعض النفقة عنهم فهم ماديون ، والثاني : أن يشبعوا رغبتهم الجنسية منها فتكون ألعوبة في أيديهم ، وقد منع الإسلام هذا كله بقوله تعالى في النساء " بما فضل اللّه بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم " وفي الستر والصيانة قال تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم " يأيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهنّ ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين " لأنّ الله أرحم بعباده منهم بأنفسهم ولكنهم يظلمون أنفسهم فما فائدة هؤلاء من اخراج المرأة من بيتها هل هذا رحمة منهم بها أو محافظة عليها بل بالعكس فلماذا يعترضون على الله في حكمه فهل يسوغ لمخلوق أن يعترض على الخالق؟ وقد أعجبتني كلمة قالها سمو وزير الداخلية الامير / نايف بن عبد العزيز . وفقه الله - للصحفيين في سنة ماضية قال " السيء الذي قد حكم فيه الشرع لا مجال للكلام فيه ولا اعتراض لأحد عليه" جزاه الله خيراً على هذه الكلمة الطيبة والقول العدل . ومحاولة الطائفيين خروج المرأة مع الرجال للعمل ولأجل قيادة السيارة هو ظلم لها ألا يعتبروا بالمرأة الغربية تنادي الآن بالويل والثبور وتقول " يا ليتني كنت مسلمة فإنّ المسلمة حفظت لها عزتها وكرامتها " والسعيد من وعظ بغيره فلعلنا أن نذكر بعض ما ورد من الحقائق التي هي حكاية الواقع مما شهد به الاعداء من ضياعهم وما أقروا به من عدالة الإسلام بالنسبة لما وصل إليهم وما خفي عليهم أكثر و قد قالت الكاتبة الشهيرة " آني رورد " في جريدة الاسترف ميل عدد ١٠ مايو ١٩٩١م " لأن تشتغل بناتنا وأخواتنا في البيوت خادمات خير من اشتغالهن في المعامل مع الرجال " حيث أصبحت البنت ملوثة بأدران تذهب

بروبق حياتها إلى الأبد إلى أن قالت " ألا ليت بلادنا كبلاد المسلمين فيها الحشمة والعفاف والطهارة وإنّه لعار على بلاد الانحليز أن نجعل بناتنا مثالاً للرذائل بكثرة مخالطتهنّ للرجال ، وقالت فتاة إيطالية تدرس الحقوق في جامعة اكسفورد " إنّي أغبط المرأة المسلمة وأتمنى أن لو كنت مولودة في بلاد الإسلام " ويقول " جو لسمولي " يجب أن تكون المرأة امرأة فإنّها بهذه الصفة تجد سعادتها وتهيأ لزوجها الشرعي ونتحدر من قلبهنّ رجالاً لأنهنّ بذلك يفقدن خيراً كثيراً ونفقد نحن منافعنا منها" ويقول الاستاذ شفيق جبري (في كتابه أرض السحر) إن المرأة في أمريكا أحدث تحرج عن طبيعتها في مشاركتها للرجال في أعمالهم إنّ مشاركتها للرجال في أعمالهم لا تلبث أن تضعضع قواعد الحياة الاجتماعية (وعلقت سلمى الحمار الكريـري حين زارت أوربا وأمـريكا مرات عديدة) قالت : يلاحظ الاديب الرحالة أنّ النساء أصبحن يمارسن أعمال الرجال في مصانع السيارات وتنظيف الطرقات فيتألم لشقاء المرأة العربية في ضياع شبابها وعمرها في غير ما يتناسب مع الأنوثة والطبيعة والمزاج وأنا أرثى لحال المرأة التي صرفها تيار المساواة الأعمى فأصبحت شقية في كفاحها المر لكسب العيش فيا ليتنا نعيش عند أهل الإسلام ، وهنا جواب سؤال وُجّه إلى (عفيفة شماسي شجة) التي عملت عشر سنين في مدارس اعدادية في بيروت وحماة وبغداد السؤال ما هي الصفات التي يجب أن تتوفر في المرأة المثالية ؟ قالت : أن تبقى موضع وحي وإلهام لزوجها فتجعل حياته نغمة روحانية سامية ، ويقول الشيخ محمد (رشيد رضا) في كتابه (نداء الجنس اللطيف) يقول الفيلسوف هـربـرت سبنسر في كتابـه علم وصف الاجتماع : إنّ الزوجات كانت تباع في انجلترا من القرن الخامس إلى القرن الحادي عشر (قصة مؤثرة في مجلة الحضارة الاسلامية صفحة ١٠٧٨ حصل في ايطاليا أن أقدم رجل على قتل آخر وعند التحقيق اعترف أنّه اتفق مع الرجل على بيعه زوجته بخمسمائة وسبعين جنيهاً استرليني ودفع له أربعمائة جنيها وتهرب عن الباقي فقتله . انتهى . (كثرة الانتحار في بريطانيا للنساء من ضياعهنّ) نشرت المجلة في المجلد الثاني صفحة ١٢٠٤ تقريراً نشرته مجلة طبيب العائلة تصدرها الجمعية الطبية البريطانية بلندن انّ عدد النساء المنتحرات في إحدى السنوات الأخيرة يبلغ عددهنّ ألفين ومائة وواحد وتسعين امرأة تقريباً فيقال للخصم المخدوع المغرور هل تصدق بما أقربه من تقلدهم وتحتج بهم فيما قالوا هنا وفي مجالات أخرى وهم قدوتك وهم أعداء الإسلام لكنهم حكوا الحقيقة وكما قيل (الحق ما شهدت به الاعداء) لأنهم أعداء الإسلام ولكنهم حربوا فأقروا للإسلام بالفضل والكرامة لمن اتبعه وهناك مقالات أخرى من كُتّاب وكاتبات فرنسيات وامريكيات وايطاليات يحذرن من مشاركة المرأة للرجل في العمل ولا نحب الإطالة بذكر مقالاتهنّ، ثمّ إنّ الله جعل السعادة والفلاح لمن امتثل أمره فقال تعالى " ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم " ثم قال "ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين" ألا يكون الانسان يحب لنفسه الخير ... هل يصبر على النار ...؟ هل هو يؤمن بربه ويصدق بوعده ووعيده .. وأيضاً ربنا سبحانه حفظ لكل حقه ولا يضيع على أحد أجره من الخلق كلهم من الذكور والاناث قال تعالى

في حق الذين يذكرون الله قياما وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ويسألون ربهم أن يقيهم عذاب النار فآمنوا بالله وصدقوا رسله ودعوا ربهم بالدعوات الطيبة قال تعالى " فاستجاب لهم ربهم أنّي لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض " وقال تعالى " ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة و لايظلمون نقيراً " وقال تعالى "من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون " وقال النبي صلى الله عليه وسلم في ثواب المرأة الصالحة " إذا صلت خمسها وصامت شهرها وحفظت فرجها وأطاعت زوجها خيرت تدخل الجنة من أي أبوابها الثمانية شاءت " وقال صلى الله عليه وسلم في المرأة المتهتكة " صنفان من أمتي من أهل النار لم أرهما بعد - نساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رؤوسهنّ كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها ، ورجال معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس " الحديث - فوصف قسماً من النساء بهذه الصفات الرديئة وتوعدهن بالنار وذلك لبروزهنّ أمام الرجال ومخالطتهنّ لهم وتبرجهنّ عندهم قيل في معنى قوله "كاسيات" من نعم الله ، عاريات من شكرها ، وقيل كاسيات عليهنّ لباس، عاريات لأنّه قصير وهنّ سافرات وقيل كاسيات عليهنّ لباس عاريات لأنّه ضيق يبين حجم أعضائها ، وقيل كاسيات عليهن لباس، عاريات لأنّه شفاف تبين من وراءه البشرة ولون الجلد، كل ذلك يشمله الحديث النبوي والنص الشرعي، أما علم هؤلاء المغرورون أنّ المرأة عورة من شعرها إلى ظفرها أما علم هؤلاء العلمانيون أنّ النبي الكريم قال أيما امرأة خرجت من بيتها بغير إذن زوجها لعنتها الملائكة حتى ترجع ، هل يريدون أن تخرج المرأة من البيت تقود السيارات متى شاءت وأنّى شاءت وإذا تعطل عليها أحد الكفرات تذهب إلى صاحب البنشر، أما علم هؤلاء أنّ الاسلام منعها من السفر إلا ومعها محرم يحافظ عليها من أيدي العابثين أما علموا أنّ الاسلام حرم عليها الخلوة مع الرجل الأجنبي من هو الذي يحافظ عليها في تلك الحال الله أكبر ما أحلم الله على من عصاه ألم يعلموا أنّ الله سبحانه أمرها بغض البصر عن الرجال الأجانب في كل حالاتها فقال سبحانه معلماً للرجال والنساء على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم في سورة النور " قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إنّ الله خبيرٌ بما يصنعون " ثمّ قال تعالى في حق النساء "وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهنّ ويحفظن فروجهنّ ولا يبدين زينتهنّ إلا ما ظهر منها " يعني والله أعلم إلا ما ظهر منها أي ظاهر ثيابها وطولها وقصرها الذي لا حيلة لها في إخفائه وهذا للمحافظة عليها، ثمّ قال تعالى "وليضربن بخمرهنّ على جيوبهنّ" يعني حتى لا يبين شيء من الوجه أو الصدر أو الحلق مع العلم أنّ الزينة للمرأة على قسمين : قسم خلقها الله فيها كطول شعرها ولون جلدها والقسم الثاني من الزينة التي أمرت باخفائها ما تعملها هي من طيب ولبس جديد وذهب وحرير وغير ذلك فهي مأمورة باخفائه عن الرجال الاجانب عناية من الله بالمرأة عن الفتنة ، أمّا ذئاب الأفرنج وأتباع اليونان فهم يريدون للمرأة الفتنة ، أمّا الزينة التي أعطاها الله إياها فيشرع لها ابداؤها أمام زوجها حتى يرغب فيها ويكتفي بها عن غيرها ونسأل الله الهداية لنا ولجميع المسلمين.

والصنف الثاني المذكور في الحديث " ورجال معهم سياط " يعني : الظلمة الذين لا يرحمون الخلق بل يؤذونهم ويضربونهم وإنّ الاسلام لا خيرَ إلا دلّ الأمّة عليه ولا شر إلا حذرها منه يقول تعالى " ما فرطنا في الكتاب من شيء " ويقول تعالى " لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين " فالاسلام أنقذ المرأة من رق الجاهلية وهمجية الوثنية وهؤلاء الجهلة يريدون أن يردوها إلى جاهليتها الأولى أو أسوأ فإنّ نساء الجاهلية الأولى يسترن الساقين والدراعين قال الله تعالى في ملكة سبأ فلما رأته يعني "الصرح " ظنت أنّ فيه ماء فكشفت عن ساقيها كذلك نساء الجاهلية يسترن الساقين أحسن من نساء الأفرنج الآن اللآتي يكشفن الساقين والدراعين والوجه والرأس والصدر وبعض المحدين فلا حول ولا قوة إلا بالله وحسبنا الله ونعم الوكيل فعلينا جميعاً أن نتمسك بتعاليم دين الاسلام التي فيها الرحمة والهدى وكان المفروض علينا جميعاً أنْ نكون دعاة إلى الهدى ونرغب الناس في التمسك بالدين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا نكون دعاة إلى الرذيلة بأقوالنا وأفعالنا ولا نكون عوناً لأعدائنا على هدم ديننا وأخلاقنا نسأل الله أن يهدي الجميع لطاعته ولننظر إلى ما نالت حكومتنا وفقها الله من العز والمجد والذكر الجميل في الداخل والخارج تمسكت بالاسلام لكن الاعداء من اليهود والنصارى وغيرهم يحسدون المسلمين على ما عندهم من الأمن والإيمان حسداً من عند أنفسهم كما قال تعالى " ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم " وقال " ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم " فعلينا الرجوع للحق وترك الباطل والله الهادي إلى سواء السبيل وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .

☆ ☆ ☆

الوحي رائد العقل

كنت أتعجب من أهل الجاهلية الأولى كيف يصنعون الأصنام بأيديهم ثم يعبدونها من دون الله عزَّ وجل .. حتى رأيت " الأجهزة العلمية الحديثة " يصنعها الإنسان بيديه ويعبدها بعد ذلك فكأنها هي التي صنعت الإنسان وعقله .

وهنا زال عجبي وحلّ إشكالي ... فالوحي وحده - وليس العقل بمفرده - هو الذي يحررنا جميعاً وأبداً ؛ من رق الجاهلية .

فالعقل بلا وحي رباني - المتمثل في القرآن الكريم : خاتم الرسالات السماوية - إنما هو خادم مجاني مخلص لكل جاهلية وغباء . وهو (أي العقل) مع الوحي المقدس .. صديق وفيٌّ بصير يفتح مغاليق أبواب الحياة ويقود الناس إلى آفاق الحرية والحق والخير . بل العقل وحده من دون الوحي - ذلك الرائد الأمين - جبّار مهلك صال أو لعبة صبيانية في يد الشيطان الماكر الخبيث .

(التربية الإسلامية العراقية)

من سموم الحياة الفاضلة

بقلم : الأستاذ محمّد عارف جميل أحمد القاسمي المبارك فوري

إن الدين الإسلامي الحنيف دين متكامل يلم بجميع حوانب الحياة من آداب و أخلاق و سلوكيات، وعقائد و عبادات، ومعاملات، ولم يترك صغيرة ولا كبيرة تخص جانبا من هـذه الجوانب الحيوية إلا أحصاها ، ورسم لها ما يناسبُها من أحكام، وأخلاق، وسلوكيات ألزم بها المسلمُ ، وفصّل كل ذلك تفصيلا دقيقا شاملا يغني عن أي نظام أو منهاج أو دين. فإن القواعد التي يتبناها الإسلام قواعد راسية راسخة رسوخ الجبال، ولا غرو فهو الدين الدي ارتضي به الحكيم الخبير ، و هو الدين الذي شرعه لعباده و وصّى به أنبياءه، فقال : شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّيْنِ مَا وَصّٰى بِهٖ نُوْحاً وَ الَّذِيْ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهٖ إِبْرَاهِيْمَ وَمُوْسٰى وَعِيْسٰى أَنْ أَقِيْمُوْا الدِّيْنَ وَلاَ تَتَفَرَّقُوْا فِيْهِ(١).

ولا يخفى أن من قوام الحياة الفاضلة محاسن الأخلاق ، ومن سموم الحياة الفاضلة مساوئ الحلاق، ولذا حض الإسلام - كثيرا - على مكارم الأخلاق و رغب فيها ، وكرّه إلى المسلم مساوءها ، ومذمومها ، ومنبوذها ؛ إذ سوء الخلق يجعل المرأ طريدا ذليلا ممقوتا عند الله و رسوله وملائكته والناس أجمعين .

وإن سوء الخلق داء مزمن عضال يورث الخلل والوهن في المجتمع الإسلامي المتماسك المتين، ويفتّ في عضده ، ويجعله ينهار عشية أو ضحاها. ولأمرٍ ما نجد الرسول صلى الله عليه وسلم يكثر من التعوذ بالله من مساوئ الأخلاق . روى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو ويقول : اللهم ! إني أعوذ بك من الشقاق ، والنفاق ، وسوء الأخلاق . (٢)

وكان صلى الله عليه وسلم يسأل الله تعالى محاسن الأخلاق ويتعوذ به من مساوئها فقد روى علي بن أبي طالب رضي الله تعالى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إدا افتتح الصلاة كبر وقال : ... واهدني لأحسن الأخلاق لا يهدى لأحسنها إلا أنت ، واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت "(٣)

وإن الأخلاق هي عماد الأمم فإدا دهبت الأخلاق وانهارت ، ذهبت الأمم، ولم يبق لها أثر بعد عين ، وهي كاللحاء للأعواد فإنها تبقى ما بقي اللحاء ، فإذا ذهب اللحاء لم يمسكها شيء، وإن الأمم لا يصاب بأعظم من مصابها في أخلاقها ، ولذا عظّم الاسلام شأن الأخلاق الفاضلة ، وقبح الأخلاق الرديلة، والساقطة ومثّلها في أقبح صورة تشمئز عنها النفوس ، و تنفر منها القلوب . وسوء الخلق قرين البخل وهيهات أن يجتمعا في مسلم .روي أبو سعيد الخدرى رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : "خصلتان لا يجتمعان في مؤمن : البخل وسوء الخلق" . (٤)

وإن سوء الخلق مما يبعد منزلة المرء يوم القيامة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ويبغضه إليه، روى الإمام أحمد عن أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن أحبكم إلي وأقربكم مني في الآخرة : محاسنكم أخلاقا، وإن أبغضكم إلي و أبعدكم مني في الآخرة : ومساوئكم أخلاقا، الثرثارون المتفيهقون المتشدقون . (٥)

وإن سوء الخلق فتنة – أي فتنة – بليت بها الأمم، وإنه يحول رجالا طيبين وحوشا ضارية تعيش في الغابات والأحراش ، وتقتات الحشرات ، وإنه يحوّل المرء ذئبا فاتكا وأسدا زئيرا ترى بزى الإنسان ، وتحلى بأنفس الأردية والأقمشة .

وإننا نسمع ونرى ونقرأ عبر وسائل الإعلام المتنوعة ظاهرة التخلف العقلي والضيق النفسي الذي يعاني منه كثير من المجتمعات الإنسانية ، وإن الإنسان – اليوم – أصبح ينظر إلى أخيه نظرة ملؤها الخوف والإشفاق ، لا يأمن بوائقه ، ويترقب منه الأذى ينال من عزه وشرفه ، ويتربص به الدوائر ، هل يرجع كل ذلك إلا إلى سوء الأخلاق ، لو ذهبنا نتتبع أسباب انهيار الأمم العاتية الجبارة ، و الأمم الراقية اقتصادا وعلماً ، لوجدنا الضعف والانهيار الخلقي عاملا قويا وسببا من أهم الأسباب .

وإن سوء الأخلاق لولم يكن له هذه العاقبة الوخيمة ، والمفعول الكبير في انهيار الأمم والجماعات وسقوطها من عليائها ، لم يكن ليتّجه هذا التحذير الأكيد ، والمنع الشديد إلى النبي صلى الله عليه وسلم المتمثل في قول الله عز وجل : " وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ" (٦)

فالفظاظة وغلظة القلب من أكبر دواعي انفضاض الناس ، وتفرق الجماعة ، وانتشار الشمل واختلاف الكلمة ، كما أن حسن الخلق مدعاة للاجتماع و تأليف الكلمة والقلب .

وقال عطاء بن يسار : لقيت عبد الله بن عمرو رضي الله عنه فقلت أخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة . قال : أجل ! إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن " إنا أرسلناك شاهدا و مبشرا ونذيرا وحرزا للأميين وأنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل ، ليس بفظ ولا غليظ ، ولا سخاب في الأسواق . (٧)

وإن انهيار الأخلاق يرجع إلى ضعف الإيمان أو فقدانه حسب تفاقم الشر، وإن سوء الخلق يؤدي بالمرء في نار جهنم وإن صلى و صام و تصدق . روى أبو هريرة رضي الله عنه أن رجلا قال : يا رسول الله ! إن فلانة يذكر من كثرة صلاتها ، وصيامها ، وصدقتها غير أنها تؤذي جيرانها . قال : هي في النار . قال : يا رسول الله ! إن فلانة يذكر من قلة صيامها ، وصدقتها ، وصلاتها وإنها تصدق بالأثوار من الأقط ، ولا تؤذي جيرانها بلسانها . قال : هي في الجنة . (٩)

والرجل السيئ الخلق يعافه الناس ويهابون مخالطته ومعاملته فالتاجر السيئ الخلق سرعان ما تكسد تجارته ، وتبور ، ويقل ربحه ، ويجد الناس في معاملته غصاصة ، و يتحاشون عنه اتقاء فظاظته ، وغلظته ، وسوء خلقه .

والرجل السيئ الخلق لا حظ له ولاخلاق في الإسلام ، وهل ينفعه انتسابه إلى الله ورسوله وادعاؤه العبودية لربه عز وجل ، وهو يسعى في الأرض فسادا، ويهلك الحرث والنسل ويعبس في وجوه الناس ويقطّب ويبدو عبوسا قمطريرا ، لا يرحم صغيرا ، ولا يوقر كبيرا، ولا يحنو على يتيم ، ولا يكسب معدوما، ولا يقري ضيفا، ولا يعين على نائبة من نوائب الحق .

وهل ينفع الرجل صلاته وصومه وزكاته وحجه

وسائر مبراته ، وهو يكذب إذا حدث ؛ ويخون إذا اؤتمن ؛ لا يسلم أخوه من لسانه ويده ، يغمط الناس ، ويصعد خده ، ويمشي في الأرض وصدره ضيق حرج كأنما يصعد في السماء ... لا والله لن ينفعه شيء من هذا أو داك حتى يلج الجمل في سم الخياط .

وان سوء الخلق يثمر التباغض و ذلك مما حذر منه الرسول صلى الله عليه سلم المسلمين تحذيرا بليغا فقال : لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا ، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام . (١٠)

الهوامش :

(١) سورة الشورى /١٣ .

(٢) حديث اللهم أني أعوذ : رواه أبو داؤود في الصلاة باب في الاستعاذة ٣/١٩١ بتحقيق عزت عبيد دعاس برقم (١٥٤٦)

(٣) حديث كان إذا افتتح الصلاة : شطر من حديث رواه النسائي في الافتتاح باب نوع آخر من الذكر والدعاء بين التكبير والقراءة ٢/١٣٩ ط الأولى دار الفكر سنة ١٣٤٨هـ .

(٤) حديث خصلتان لا تجتمعان رواه الترمذي في البر والصلة باب ما جاء في البخيل ٤/٣٠٢ (١٩٦٢)

(٥) حديث أن أحبكم : رواه أحمد في المسند ٥/٢١٥ (١٧٢٧٨) ط الحديثة المرقمة دار إحياء التراث ، والترمذي في البر والصلة ٤/٣٢٥ (٢٠١٨).

والثرثار : هو الكثير الكلام ، والمتشدق : الذي يتطاول على الناس في الكلام ويبدو عليهم . والمتفيهق المتكبر

(٦) آل عمران/١٥٩ .

(٧) حديث إنه لموصوف : شطر من حديث رواه البخاري في البيوع باب كراهية السخب في الاسواق ٤/٣٤٢-٣٤٣ (٢١٢٥)

(٨) حديث بعثت روه الإمام مالك في الموطا ص ٣٦٤ ، وأحمد في المسند ٣/٨٠/ (٨٧٢٩) من حديث أبي هريرة بلفظ . "صالح الأخلاق " .

(٩) حديث أن فلانة : رواه أحمد في المسند ٣/١٨٤ (٩٣٨٣) .

(١٠) حديث لا تباغضوا : رواه البخاري في الأدب باب ما ينهى عن التحاسد ١٠/٤٨١ (٦٠٦٥)

يا طلاب العالم ... اتحدوا

يتابع العالم أجمع ما يحدث على أرض فلسطين الطاهرة من أحداث جسام، ويرى رصاص العدو اليهودي يحصد أرواح المسلمين لا يفرق بين طفلٍ و شيخٍ وامرأةٍ. لقد كشفت هذه الأحداث الوجه القبيح لإسرائيل ، وأكدت أن اليهود هم اليهود .. يقتلون الأبرياء ، ويخونون العهود ، وعرف زيف ادعاءاتهم بحب السلام والسعي إليه . بل وأكدت للمسلمين كافة أن لا طريق إلى تحرير القدس إلا بالجهاد . وإن ما أُخذ بالقوة لا يُسترد إلا بالقوة

إن اتحاد المنظمات الطلابية (وهو يتحدث باسم مئات المنظمات الطلابية في العالم):

☆ ليقدم تحية إكبار وإجلال للشعب الصامد في فلسطين، يحيي كفاحه، ويبارك جهاده، ويشدّ على يد كل طفل وشاب ترمي المعتدي بحجر، تدافع به عن كرامة الأمة وشرفها .

☆ ويدعو قيادات الأمة المسلمة الرسمية والشعبية، أن يتحملوا مسؤولياتهم تجاه دينهم وشعوبهم، فيحيوا في الأمة روح الجهاد، ويرفعوا رايته ليحققوا للأمة عزتها و كرامتها

☆ ويحيي الشعوب المسلمة في كل مكان، التي لبّت نداء القدس، وقامت تعلن رفضها الاستسلام، وتقف بكل قوة مع إخوانها في فلسطين، تطالبها بالجهاد وتحرير المقدسات

☆ ويناشد المنظمات الطلابية في أنحاء العالم، أن تهبّ لنصرة الحق والدفاع عن المقدسات، وتعلن مؤازرتها لانتفاضة الأقصى المباركة بكل طريق ممكن.

﴿ يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض؟ أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة !! فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل. إلاّ تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم، ولا تضروه شيئا والله على كل شيء قدير ﴾

﴿ انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله .. ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون﴾

صدق الله العظيم

اتحاد المنظمات الطلابية

٥/ رجب ١٤٢١هـ / ٣/ أكتوبر ٢٠٠٠م

رَهِيْنَةُ قَعْرِ البَيْتِ كُلَّ عَشيَّةٍ
يلاَعِبُنِي الوِلْدَانُ أَهْدَجَ كَالرَّأْلِ
أقِيْمُوا بَنِيْ لُبْنَى صُدُوْرَ رِكابِكُمْ
فإنَّ مَنَايَا القَوْمِ شَرٌّ مِنَ الهَزْلِ"(١٧)

ويرسم مصاد بن جناب صورة مؤثرة لبقائه في البيت، مراقباً لا يستطيع أن يتعداه، ويخشى منه إذا تعدى عتبة داره، أن يسيء إلى أهله بفعل قد لا يكون تحكم فيه العقل بعد أن ضعف صاحبه، ويصور نفسه، وهو يُرد عن هدفه، بفرخ الطائر الذي يعاد إلى الحظيرة خوفاً أن يضل أو يتعرض لأذى، فيقول

مَا رغْبَتِيْ فِيْ آخِرِ العَيْشِ بَعْدَمَا
أكُوْنُ رقِيْبَ البَيْتِ لاَ أتَغَيَّبُ
إذا ما أرَدْتُ أنْ أقُوْمَ لحاجةٍ
يقُوْلُ رقِيْبٌ حافِظٌ أيْنَ تَذْهَبُ
فيُرْجِعُهُ المُرْمى بهِ عن سبِيْلِهِ
كما رَدَّ فَرْخَ الطَّائِرِ المُتَرَبِّبُ"(١٨)

ويصف هبل بن عبد الله بن الكلبي بقاءه في البيت، ملقى غير مأبوه به،لا حول ولا قوة، ضعفه واضح، وقلة حيلته بيّنة، فهو مثل فرخ النعام، واهي القوة، لا يستطيع لنفسه تدبيراً، ولو تلمس وصفاً آخر لنفسه لوجد أنه مثل القرد في حركته، مُنْحَنٍ، متكور، في دبيبه في المكان الذي يقيم فيه .

"وأنْتَ لَقًى فِي البَيْتِ كَالرَّأْلِ مُدْنَفٌ
وقَدْ كُنْتَ سَبَّاقاً إلَى غَايَةِ المَجْدِ
ولَلْمَوْتُ خَيْرٌ لامْرِيءٍ مِنْ حَيَاتِهِ
يدبُّ دَبِيْباً فِي المَحَلَّةِ كَالقِرْدِ"(١٩)

وفرخ النعام مصدر تشبيه يغرم به الشعراء فهذا أنس بن مدرك الخثعمي، يرسم بأداته صورة شبه نفسه فيها بالرأل، في ضعفه، وفي انحنائه، وفي اعتماده على من حوله، وفي حدود المكان الذي لا يستطيع أن يتجاوزه بأمان: يجتر أخبار السابقين، الذين وردوا حياض الموت قبله، ويبعد في تخيله لمن سبقه، ويستطيل حياته، حتى كأنه ذو القرنين والتابعة، يقول.

"وَيَأْذَى بِهِ الأدْنَى وَيَرْضَى بِهِ العِدَا
إذَا صار مِثْلَ الرَّأْلِ أحْدَبَ أخْضَعَا
رَهِيْنَةَ قَعْرِ البَيْتِ لَيْسَ يُرِيْمُهُ
لَقًى ثاوِيًا لاَ يَبْرَحُ المِهْدَ مُضْجَعَا
يُخبِّرُ عمَّنْ مَاتَ حَتَّى كَأنَّمَا
رأى الصَّعْبَ ذَا القَرْنَيْنِ أوْ راءَ تُبَّعا"(٢٠)

ويصف عامر بن حوين ضعفه بسبب الكبر، وصفاً يأتي به من زاوية تصف واقع حاله بدقة، وهي صورة معبرة، أحاطت بجانب من جوانب الضعف المتناهي؛ يقول :

"ماذَا أُرَجِّيْ مِنَ الفَلاحِ إذَا
قُبِعْتُ وَسْطَ الظَّعَائِنِ الأُوَلِ
مُسْتَعْنِزًا أطْرُدُ الكلاب عَنِ الـ
ـظِّلِّ إذا مَا دَنَوْنَ لِلْحَمَلِ"(٢١)

(الظعائن: جمع ظعينة وهي المرأة في هودجها، والاستعناز التنحي).

وسمعان بن هبيرة معمر عانى من الكبر، وقال أبياتاً يصف فيها حاله وقت القوة، وما آلت إليه من الضعف عن المشيب، ويذكر بقاء الشيخ عادة في البيت، ملقى، لا يستطيع أن يبرح مقامه، تخيم عليه الكآبة، ويخضع للوقار، فلا حركة ولا نشاط.

"فَكَمْ مِنْ صحِيْحٍ عَاش دهْراً بِنِعْمةٍ
فحَلَّ بِهِ يَوْمٌ أغَرُّ مُشَهَّرُ
فصار لَقًى فِي البَيْتِ لا يَبْرَحُ الفِنَا
رذِيًّا عَلَيْهِ كَآبَةٌ وَتَوَقُّرُ"(٢٢)

ويمثل بحر بن الحارث بن امرئ القيس نفسه بسقط المتاع في البيت، ملقى جانباً، لا يأبه له أحد، وكأنه لا وجود له، لا يُلتفت إليه، ولا يؤخذ رأيه، لا يأمر ولا ينهى، ولا يتدخل في أمر، يقول بحر مشيراً إلى هذا، وإلى ملله من الحياة، وملل أهله منه:

"وَصَارَ فِي البَيْتِ مِثْلَ الحِلْسِ مُطَّرَحًا
لاَ يُسْتَشَارُ وَلاَ يُعْطِي وَلا يَذَرُ

العلامة الشيخ " محمود حسن الديوبندي " المعروف بـ " شيخ الهند "

حياته ومآثره

بقلم فضيلة الشيخ السيد أصغر حسين ميان الديوبندي
أستاذ بالجامعة سابقاً المتوفى ١٣٦٩هـ
تعريب : الأستاذ عبد الرشيد القاسمي

موقفه من السياسة الهندية والعالمية ودوره الريادي فيها

كان " شيخ الهند " بطبيعته عالما زاهدا في الدنيا راغبا عن ملذاتها منعزلا عن مغرياتها وراغبا إلى الآخرة منقطعا بقلبه وقالبه إليها . عاش حياته كلها في إصلاح الخلق وإرشادهم إلى ما فيه صلاحهم وذلك عن طريق تدريس الكتب ، وشرح الأحاديث ، وتزكية الباطن وتلقين الأذكار و الأوراد . لم تصدّ قط لتبني الوسائل التي كان من شأنها أن تكسب له الشهرة والسمعة الطيبة ولم يرغب فيها ، كما لم يتدخل في الشؤون السياسية ، ولم يخطر بباله أن الخوض في السياسة يليق بمكانته العلمية الرفيعة ، وأدى انقطاعه عن السياسة إلى أن بقي آلاف من مريديه ومحبيه و أتباعه وتلاميذه في ناحية عنها . وكان لا يحبّ أحداً ولا يبغضه إلاّ تابعا من تعاليم الشريعة وعملاً بما جاء " أن الحبّ في الله والبغض في الله " (١)

إن حكومة غير إسلامية مهما كانت متمسكة بمتطلبات العدل وملتزمة بأهداف القسط يصعب على مؤمن صادق أن يعيش تحت مظلتها ، فإن ذلك مصيبة فادحة بالنسبة للدين ، وذلك لأن هناك كثيرا من أوامر شرعية لن يأتي تطبيقها إلا بيد حاكم مسلم ، وكم من حوائج دينية وقضايا مهمة لن يحكم فيها إلاّ قاض يتمتع بصلاحيات من قبل الحكومة في هذا الخصوص، غير أن فضيلة شيخ الهند بقي مدةً من عمره في الهند صابرا على قضاء من الله وقدر منه راضياً بما يفعل بعباده بكل صمت ، وإن كان يتألم بالغاً لا يوصف على ما كان يجرى في البلاد، ولكن مما يشهد به الزمان أنه لم يعرب عن ألمه وكراهيته قط قولاً أو عملاً ، تنظر إليه الحكومة بنظرة مشحونة بالشك والارتياب . ولما فرض عليه ضباط الحكومة الإنجليزية الصريبة على دخله الضئيل لم يتخذ عملية قانونية ضده ، وإنما كان يدفعها دونما تأجيل إذا طولب بها . وهنا يجدر بالذكر أن الفتاوى التي كانت قد نُشِرَتْ قبل أعوام كثيرة منذ اليوم نظرا إلى حاجة شرعية أكيدة باسم الفقيه الرباني " رشيد أحمد الكنكوهي " والتي كانت تصم أن الغدر بالمعاهدين وقتلهم حرام لا يجوز ، كان قد وقّعها وصدّقها فضيلة شيخ الهند .

آلام المسلمين تثقله

ولكنه بجانب ذلك كان يحمل في صدره قلبا سليما متألما للأمة المسلمة وروحاً معامرة بنفسها في

سبيل الإيمان ، فكانت أنباء آلام المسلمين و مصائبهم تجعله يتململ تململ من لدغته حيّة داهية ، ولم يكن له أن يشاهد اعتداءات الأعداء هادئ البال مطمئن الجانب ، وكان يضع نصب أعينه في مثل هذه الأوضاع ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم من أن المؤمنين كرجل واحد إن اشتكى عينه اشتكى كله ، وإن اشتكى رأسه اشتكى كُله (٢) و " المؤمنون يدٌ على من سواهم " ولما بلغته أنباء الحرب الرومية الروسية المعروفة ، أقلقت فضيلته وشيخه الفقيه الرباني ، مع أنها كانت تدور على بعد آلاف كيلو متر من الهند. وكنا نرى الذين كانوا لا يهمهم إلاّ تعليم الكتاب والسنة في انتظار شديد للصحف إثر صلاة الفجر. وكان أحد الخدام يسرع إلى مكتب البريد ، ويرجع بالصحف التي كانت تكون مليئة بأنباء ضعف المسلمين وهزيمتهم وغلبة الروم الملحدين ، فكان فضيلته والآخرون من عباد الله الصالحين ما إن يطالعوا الصحف حتى جرت الدموع من عيونهم وابتلت لحاهم الطاهرة . فنهض ومعه عدد من كبار علماء الإسلام وكل سلاحهم التوكل على الله ، وأتى بكل تدبير كان في وسعه . فكان في النهار يحضر الجامعة ويجلس مع طلابها و أساتذتها يقرأ الجامع الصحيح للبخاري ويردّد الأدعية المأثورة عنه صلى الله عليه وسلم في مثل هذه الأوضاع الحرجة ، ثم يرفع هو والصالحون من عباد الله أيديهم إلى السماء يتضرعون إلى الله سبحانه بقلوب خاشعة ونيات مخلصة . وكان أولياء الله يصلون ويسجدون له في ظلمات الليل ، ويعمرون الحجرات المظلمة بأنوار الدعاء ، وكانت تصل أصواتهم في الدعاء ـ ياربي ! يا ربي ! إلى العرش . هذا وقد رأيت بأم عيني هاتين الخاصةَ من عباد الله الذين كانوا ايعتقدون التفوه بكلمة سؤال ومدّ اليد إلى غيرهم نوعاً من كفر ، خرجوا من بيوتهم يحملون بأيديهم كؤوس المسئلة ، وقبلوا عن رضىً كلّ ما دفعه أحد من حبوب ونقود قليلة أو كثيرة ، وفازوا بجمع ألوف روبية أرسلوها إلى الإخوة المسلمين المنكوبين بالحرب .

مساعيه المكثفة في تقديم المساعدات إلى تركيا

وتعرضت الخلافة العثمانية في " تركيا " لحرب دامية في منطقة " البلقان " في عام ١٣٣٠هـ فوفى فضيلته وأتباعه مرة أخرى بحق الأخوة الإسلامية ، وقدّم مساعدات مالية ومادية إلى الأتراك الجياع المشرّدين المنكوبين بويلات الحرب بالإضافة إلى التضرع إلى الله جلّ وعلا في ساعات الليل الهادئة ، ورَغَّبَ المسلمين بكل نوع إلى مساعدة الأتراك ، ونظّم لنفس الغرض اجتماعات واحتفالات في شتى أنحاء الهند المتحدة تحدث إليها بنفسه خلافاً لعادته. كما قامت " الجامعة الإسلامية دارالعلوم ، ديوبند " بإنشاء مجلس يحمل اسم " الهلال الأحمر " يدأب على جمع التبرعات وتقديمها إلى الأتراك ، وقام رئيس الجامعة بطبع فتوىً و إعلانٍ في عدد الملايين في هذا الخصوص ووَزَّعها في كلّ ناحية من أنحاء البلاد . وتعطلت نشاطات التدريس في الجامعة لمدة أيام ، فتوجه الأساتذة إلى المدن وعقدوا اجتماعات للمسلمين، وشرحوا لهم مدى حاجة مساعدة الأتراك في هذه الأوضاع ، بالإضافة إلى أن تلامذة شيخ الهند طلاب الجامعة تجولوا في الهند كلها و نشروا شبكة هذه الحركة الدينية في كل قرية ومدينة . وبلغوا في حميتهم الدينية وغيرتهم الإسلامية غايتها بأن تبرعوا بجانب ما قدمت إليهم الجامعة من جوائز غالية بمرافق حياتهم وحاجياتهم لصالح الأتراك .

الجامعة ترسل مائة ألف روبية إلى تركيا

ومع أن المسلمين في معظم المناطق كانوا قد

أرسلوا ما توفرت لهم من تبرعات إلى " القسطنطينية " عاصمة تركيا بطرق موثوق بها ، غير أن الجامعة بعثت بمائة ألف روبية تقريباً قدمها بعض المسلمين وتبرع بها طلبة الجامعة عن طريق "البنك الوطني" بمدينة "بومباي" وبالرغم من أن الجامعة خسرت كثيرا في ميزانيتها السنوية لأجل هذه التبرعات للأتراك ، ولكنها لم ترض بتقصير أو إهمال في القيام بواجب إعانة الإخوة الأتراك الذين كانوا يضحون بأنفسهم في سبيل الدين .

فإن لم يستطع فبقلبه

وإذا كانت الحكومة تأتي بخطوة خاطئة عن تعمد منها أو بدون تعمد وكذلك إذا حدثت واقعة ولو بصورة مفاجئة تؤدي إلى إهانة للمسلمين والإساءة إليهم أو تشويه سمعتهم تألم فضيلته كثيرا مدفوعا بالأخوة الإسلامية ، شفّ وجهه عن نوع كراهية لضباط الحكومة وموظفيها ، إلا أنه لم يتخذ في مثل هذه الأمور كلها خطوة عملية قط ، وإنما اكتفى بالإعراب عن عواطفه ومشاعره القلبية عملاً برخصة شرعية يفيد بها الحديث النبوي الذي يقول : " فإن لم يستطع فبقلبه " (٣) ولذلك فلما تعرض مسجد أثري بمدينة " كان فور " بولاية " أترا برا ديش " لعملية الهدم على أيدي الحكومة الإنجليزية ، تألم فضيلته شأن المسلمين بأجمعهم ألما بالغاً لا يوصف ، وبقي في تلك الأيام يعرب عن شديد أسفه وبالغ حزنه ، ولكنه لم يأت ضد ذلك بعملية ولم يقم بحركة ، وإنما التزم الصمت ظنًّا منه أن لا يستطيع أن يأتي بتدابير نافعة لازمة في خصوص القضية ، مع أنه كان هناك رجال من كبار العلماء والقادة ألفوا كتبا وألقوا خطبا ضد خطوة الحكومة .

وعود كاذبة تعطيها الحكومة الهندية البريطانية

ونشبت في عام ١٣٣٣هـ حرب عالمية أبادت أوربا وأخذت الخلافات السياسية فيما بين بريطانيا وألمانيا تتفاقم يوما فيوماً ، وبدأت نيرانها تشتعل حينا فحيناً وآل الأمر إلى أن رضيت بريطانيا بمحاربة الأتراك إبقاءً على علاقاتها التي قامت حديثاً مع دولةٍ كانت من أخطر أعداء لبريطانيا وأقواها في مامضى من أيام قليلة ، ولم تبال في هذا الصدد بمشاعر وعواطف المسلمين في الهند الذين كان قد بلغ عددهم آنذاك ثمانين مليوناً . و ما إن خاضت بريطانيا الحرب مع تركيا حتى عيل المسلمون تصبُّراً وثاروا غضبا على الحكومة الإنجليزية البريطانية في الهند وبما أن "بريطانيا" هي التي كانت تحكم الهند فسُدّتْ على المسلمين المسالكُ في خصوص تقديم المساعدات المالية والمادية للدولة التركية المسلمة ، واضطُرّ المسلمون في الهند لأن يتجرعوا غضبهم وثائرهم . إن الصبر والثبات والصمت المطبق الذي تذرّع إليه علماء المسلمين وقادتهم الثائرون ، والطمأنينة التي التجأ إليها الشعب المسلم الهندي آنذاك في مثل تلك الأوضاع المريرة المضطربة ، ثقة منهم بما أعطتهم الحكومة الهندية من وعود خلاّبة بالحفاظ على المشاعر المقدسة ، وصيانة الخلافة العثمانية في تركيا ، مهما يكن من عذر مقبول استناداً إلى ضعف المسلمين سياسيا وعسكريا وقتئذ ، ولكن التأريخ في المستقبل ينظر إلى هذا الموقف نظرة كلها حيرة وعجب ، إذا لم تضعه في ميزان الكراهية واللعنة .

الكراهية ضد بريطانيا تتأصل في قلبه

وكان فضيلته حينئذ في الهند ساكتا صامتا مكتوف الأيدي ، ولكن روحه كانت تزداد تألماً ، وكراهيته تتضاعف ، ولكنه بقي يصبر على ذلك كله لايتدخل في الشؤون السياسية في قوله ولا في نشاطاته ، وكأنه كان يترك المجال السياسي للآخرين ظنًا منه أنهم يتمتعون بمواهب لازمة في هذا الشأن

فإنه كما قلتُ آنفا أنه كل ما كان يأتي به من حبّ لأحد أو إبغاض له ، إنما يأتي به انطلاقا من توجيهات الشريعة، وكان يحسب أنه يجوز له السكوت والصبر على الأوضاع في ضوء الشريعة الغراء . وكان يعزم على زيارة الحرمين الشريفين من ذي قبل ، فجاءت أوضاع الهند المؤلمة زادته شوقا وحنينا ، وتأهب للرحيل . ومما لا يدع مجالا للشك أن كراهيته للحكومة الإنجليزية وسياستها كانت قد تضاعفت للغاية ، ولذلك نراه لا يحضر الحفلة التي كانت قد عقدتها الجامعة بمناسبة زيارة " سر جيمس " نائب حاكم المناطق المتحدة - ولاية أترا برا ديش حاليا - للجامعة، وإنما قبع في داره . وكانت هذه الزيارة قد تمت بعد أن صمّم فضيلته العزم على المغادرة إلى الحرمين الشريفين - زادهما الله شرفاً - بستة أشهر.

فضيلته يتعرف أول مرة على اعتداءات بريطانيا

ولما غادر الهند ووصل إلى الحجاز شاهد عن كثب و بأم عينيه خروج " شريف حسين" - أمير " مكة المكرمة " من قبل الخلافة العثمانية - على تركيا ، وتزويد بريطانيا له بكل نوع من المساعدات المادية والمالية والعكسرية . وبعد أيام أُلقِيَ عليه القبض دونما جريمة اقترفها و أُرْسِلَ إلى مدينة " القاهرة " أسيرا ومنها إلى "مالطة" حيث رأى عددا كبيرا من كبار الضباط في الخلافة العثمانية سجناء مصفّدين بالأغلال والسلاسل ، الأمر الذي جدّد آلام فضيلته ، وجرح مشاعره من جديد. وفي هذه الأيام التي كان يعيش فيها سجينا في "مالطة " مع الضباط الأتراك ، تعرّف عن مباشرة على الموقف المخزي المعادي الذي اتخذته "بريطانيا" تجاه الخلافة العثمانية ، وعلى أمور لم تكن تخطر قط ببال من كان يعيش في زاوية من الهند خاملة. وكانت هذه الأمور وحدها تضمن تأجيج نار الغضاء والكراهية في قلب رجل مؤمن ضد بريطانيا إذ تعرض هو الآخر خلال إسارته لمصائب فادحة وزادت من ألمه للغاية . ولأجل ذلك فلم يعد فضيلته الآن في صفّ الرعايا الخاضعة لسياسة بريطانيا والخائفة من عذابها التي كانت تَعُدُّ الأمور التي تكرهها الحكومة الإنجليزية حراما على نفسها ، وتضعها في ميزان المحرمات الأبدية.

الهوامش :

(١) وتمام الحديث كما يلي .

"عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي ذرٍّ ! أي عُرَى الإيمان أوثق ؟ قال : الله ورسوله أعلم . قال : الموالاة في الله ، والحب في الله ، والبغض في الله "

(شعب الإيمان للبيهقي ، ٧/ ٧٠ ، باب في مباعدة الكفار والمفسدين ، فصل في مجانبة الفسقة والمبتدعة ، تحقيق · محمد سعيد زغلول ، ط. دارالكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م وفي الباب روايات أخر عن كل من البراء بن عازب ، وأنس بن مالك وأبي ذر.

(ع ر. قاسمي)

(٢) نصّ الحديث يأتي :

"عن النعمان بن بشير قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمنون كرجل واحد إن اشتكى رأسه اشتكى كله ، وإن اشتكى عينه اشتكى كله "

"وعنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : المؤمنون كرجل واحد إن اشتكى رأسه تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى" (كنز العمال للهندي ، ١/ ١٤٣، الفصل السابع في صفات المؤمنين، نشر إدارة تاليفات أشرفيه ، ملتان ، باكستان)

وعنه رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : مثل المؤمنين في توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى له عضو، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى (المصدر نفسه، ص.١٤٩)

(٣) والحديث بسنده ومتنه فيما يأتي :

"حدثنا محمد بن مثنى ، قال · ثنا محمد بن جعفر ، قال · ثنا شعبة كلا هما عن قيس بن مسلم عن طارق ابن شهاب وهذا حديث أبي بكر قال : قال : أول من بدأ بالخطبة . فقال أبو سعيد أما هذا فقد قضى ما عليه ، سمعت رسول الله صلى الله يقول · من رأى منكم منكرا فليغيّره بيده ، فإن لم يستطيع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان "

صحيح مسلم ، ١/ ٥١ ، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان ، وأن الإيمان يزيد و ينقص، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان، ط· أصح المطابع، دلهي الهند)

* * *

بعض جوانب الجمال في اللغة العربية

(٣/٣)

بقلم : معالي الدكتور عبد العزيز عبد الله الخويطر
المملكة العربية السعودية

ونجد "طريقة" في حرف الجيم ، تأتي من بين الأمثلة التي جاء بها المؤلف لما يبدو عليها من مظهر المتابعة ، ولكنه لم يبين المعنى لا في الكلمة الأولى، ولا في الثانية، حتى المحقق للكتاب لم يأت بما يؤكد معنى لها ، والقول هو :

"ويقولون للصبي في الترقيص : خَدارِجْ بدارِجْ"(١) .

ولقد صدق المؤلف فيما قال عندما أشار إلى أنها للترقيص ، فالنساء في زمننا إلى وقت قريب، ولعله إلى اليوم، يرقصن أولادهن على قول مُسهب يبدأ بشيء قريب من هذه الكلمة ، فيقلن :

خَدارْجَا بِدَارْجا ، مِنْ كُلِّ عِيْنٍ دَارْجَا ، والحبّة حبّة اللُّولُو ، وتْلالَيْ مَضْرِطَ الدِّيك ، يا دِيْكٍ حسْن الأَدْيَاك، طَارَ الشُّقَّحْ مَعَ اللُّقَّحْ ، لِقِيْت غْرِيْبيْس ، يَاْكلُونْ نْقْمِتِيْس ، أَكَلْتُ مَعْهِمْ رَدِّتِيْس ، وقِلْتْ يا عمّي يا بَاخْسِيْنْ ، كَمْ عَلَى عِيْدْ رمضانْ ، سَبْعَةْ أَيَّامٍ تَمَامْ ، وِحادِيْهَا ، وبَادِيْهَا ، وَضْربْ القُوْسْ يعدّيْها ، إخْدف قُوْد إِبْنْ قَنُّوْنْ ، عَرِيْتْ لَلسَّامْ ، وجِتْ صبيّ وكلَّتْه بِيْ ، وحانْ الدِّيْتْ ، حَمَرْ مَنْعورْ ، يتِبِدّ الكُوْرُ على الباكُوْرْ"

إلى آخر هذه الجمل المتتابعة ، المتشابهة المتنافرة ، التي كلما ظن السامع أو القارئ أنه مسك طرف خيط المعنى فيها وجد أنه طُوّح به بعيداً عنه ، فتاه في مفازة من الألفاظ ، لا تتناسق فيها المعاني ، ولا تتجانس فيها المدلولات .

وهذه الصيغة صيغة من الصيغ المختلفة في بعض مناطق المملكة ، ولعلها لو جمعت ، باختلافها ، وعدم تماثلها ، فقد يركب من بينها ما يدل على أصل معناها، الذي لا بد أنه تحرف مع الزمن ، فكل راوٍ يحرج بالقول إلى صيغة من المعنى الذي يكون أقرب إلى فهمه ، دون مراعاة للأصل الذي قد يكون غير واضح له، فحوره إلى ما ظن أنه أقرب إلى المعنى وإلى مفهوم السامع ، فزاد الغموض غموضاً ، واللبس إبهاماً .

ويلاحظ أن :: "خدارج بُدارجْ " التي ساقها ابن زكريا جاء الإبدال فيها بالنون ، في حين أنه في اللغة العامية جاء بالباء ، وهو ما يحصل في اللهجة العامية ، عند محاولة صوغ كلمة متابعة .

ويلاحظ أيضاً في الصيغة العامية ، فيما بعد البدء، جاءت كلمتا : " طار الشُّقَّعْ معَ اللُّقَّحْ" ومن المؤكد أن الكلمة الثانية كلمة تابعة ، خاصة و أن الأولى لا يتبين لنا ما معناها، ، هما كلمتان تمهدان للعب بالكلمات فيما بعد مثل . نقمتيس وردتين ، و حاديها وباديها ، والكور والباكور ، هذا عدا السجع ، والحرص على اصطياده .

وفي باب الخاء يأتي اتباع في القول الآتي :

"هو مليْخٌ قريْخٌ " . (٢)

والإبدال في هذه المرة جاء في حرف القاف.

وتمويديت الحروف الأخرى ، خوفاً من اللبس بمعنى آخر، أو ثقل في النطق ، ونُبُوّ في السمع، فبزيح ثقيلة ، وبزيح معاها بعيد عن مليح .

وعندما تفودي الثقل على اللسان ، والنبو على السمع ، قالوا فيما جاء بيه المؤلف في حرف الحاء :

" شَحِيْحٌ نَحِيْحٌ " . (٣)

فالتشحيح معروف ، والنحيح لا يبدو أن لها معنى، و أتي بها للمتابعة فقط ، ولا شك أنها سندت الكلمة التي سبقتها ، وفيها وحي بأن الموصوف بالشح قد وضع عليه حمل من البخل مع حمله الذي جاءت به الكلمة الأولى .

ومثل من حرف الحاء يقول اللحياني فيه :

"سَلِيْخٌ مَلِيْخٌ " للذي لا طعم له ، وأنشد :

سَلِيْخٌ (٤) مِلِيْخٌ كَلَحْمِ الحِوَا

رِ، فَلاَ أَنْتَ حُلْوٌ وَلاَ أَنْتَ مُرّ(٥)

ورغم أن اللحياني دل على أن المعنى للكلمتين إلا أن تباعد السلخ عن الطعم يوحي بأن الكلمة جيء بها للمتابعة ، أما مجيؤها في الشعر ، فلأنها ملازمة لهذا الوزن الذي أتت عليه صفة السلخ .

ويرجح قول ابن سيده على غيره عند التبصر في مثل جاء به المؤلف على الدال ، فقال : قال اللحياني :

"هُوَ وَحِيْدٌ قَحِيْدٌ . (٦)

وكلمة وحيد واضحة المعنى، صريحة المدلول، أما قحيد فإن تلمسها في السنام فيه تكلف ، ولا يبدو أنها تتماشى مع الوحدة ، والأقرب أن تكون إتباعاً ، جيء به ليؤنس وحدة البدء في الجملة ، ولقد زالت عنها بهذا الوحدة والوحشة !

ومثله في رجحان الإتباع قولهم :

"جَاءَ مُسْتَمْغِدًا مُسْتَمْيِدًا". (٧)

" أي غضبان قد تورم وجهه من الغضب ".

وهو وزن من أوزان المتابعة ، له نغمة خاصة ، به، فمكان الحرف مختلف ، ووزن الكلمة مع أختها مختلف .

ومما يأتي موحياً بالمتابعة قولهم :

"ما عِندَهُ نَدَى وَلاَ سَدَى . النَّدَى مَا كَانَ مِنَ السَّمَاءِ بِالنَّهَارِ" . (٨)

والشارح أعطى معنى السدى بأنه : "ندى الليل، وهو حياة الزرع " ، فإذا صح هذا فالأمر ليس بمتابعة وإنما هو معنى جديد أريد به تأكيد الاتجاه المقصود، وهو وصف الشخص مثلاً بعدم القدرة بالإتيان بشيء.

وفي نجد كلمة تقال، فيها روح التأكيد، وفيها صيغة الإتباع ، فأنت إذا سألت أحداً عن الدنيا، أو عن حال من الأحوال قال : "سُهُودٌ وَمُهُودٌ" .

وهذا يعني أن الحال جميلة ، وكل شيء يسير على ما يرام، وتوحي الجملة بالإطمئنان ، وكأن الحال ممدَّدَة على سهل من الأرض منبسط ، ليس فيه نتوء أو حشونة ، وقد وجدت في حرف الدال من الكتاب الذي بين أيدينا عن الاتباع والمزاوجة ما قد يكون الأصل في الجملة التي يلجأ إليها العامة في نجد عندما يسألون عن حال أمر من الأمور ، والجملة هي :

قال أبو عبيدة : "هُوَ سَهْدٌ مَهْدٌ ، أَيْ حَسَنٌ ".(٩)

وتكاد الجملة تنطق ، ومعها شهودها، أنها الأصل فيما نسمعه بيننا .

ومما ساقه المؤلف في باب الإتباع في حرف الدال قوله :

"نَقْلٌ نَعْدٌ مَعْدٌ : إذَا كان غَضّاً . (مَعْدٌ) إتباع"(١٠)

وكلا الكلمتين من الغريب ، وإذا كانت الأولى دائماً هي صاحبة المعنى الأصل الذي سيقت من أجله

الجملة ، فإن "معد" عند المؤلف إتباع لا شك فيه ؛ وقد حملت مظهراً من مظاهر الإتباع وهو قلب التاء إلى ميم، والميم من الحروف التي يُعرم بها أسلوب الإتباع، وتكاد تتساوى مع الباء في هذا ؛ والعامة تعشق الميم في المتابعة ، فيقول أحد الناس: "بَلاَ صياحْ بَلاَمْيَاحْ".

ومياح من المؤكد أنه لا معنى لها ، ولكن من ابتدأ الجملة بصياح رأى ألا يتركها وحدها دون حارس أو معضد يثبتها بوتد ، وليس عليه عناء ، ولن يبذل جهداً ، في إيجاد هذا الحارس ، فعنده من حرف الميم معين لا ينضب، والأمر سهل بحيث وجد أنه من المستحسن أن ينفق ما عنده من محزونه ، حتى لا تتكدس في مستودعه البضاعة ، فهو سريع إلى قول:

" بَلاَ كَلاَمْ بَلاَ مَلاَمْ " .

" بَلاَ شُرنَهْ بَلاَ مُرْنَهْ " .

" بَلاَ دُجَاجْ بَلاَ مُجاج " .

و "مجاج" هذه قد يكون لها معنى في القاموس، ولكنه لم يُستَحْضر في الذهن عندما نُطق بالكلمة ، وإنما جيء بها للسَّنْد والتعضيد ، مثلما يقول أحد الناس:

" بَلاَ شَرْطَهْ بَلاَ وَرْطَهْ " .

عندما يقترح أحد أن يستعين بالشرطة في أمر ما ، ويرد عليه آخر بهذا الرد ، وكلمة "ورطة" لها معنى، ولكن القائل لم يقصده ، ولم يأت في ذهنه أن في استدعاء الشرطة ما يورطه ، ولكنه جاء به ليؤكد أن الأمر لم يصل إلى الحد الذي يستوجب ازعاج الشرطة، وأن بالإمكان حله بدون هذا الاستدعاء .

ويأتي الأمر مضحكاً أحياناً ، لأن القول في مثل هذا يسبق التفكير ، والقول إذا سبق التفكير عرضة للزلل، فلو أن شخصاً قال لآخر ، ما رأيك في أن نتغدى اليوم بطاً ، فرد عليه الآخر رافضاً هذا الاقتراح بقول :

" بلاَ بطّ بلا مطّ " .

ليس هنا علاقة بين البط والمط ، مما يجعل القول يبدو مضحكاً ، وربما أدى إلى الضحك حقاً .

ولحرف الراء نصيب من أسلوب المتابعة، وأحد الأمثلة التي جاءت تحت باب هذا الحرف، قولهم :

"عَيْنٌ حَذْرَةٌ بَذْرةٌ ؛ الحَذْرةُ : المُمْتلئةُ ، وكذلك البَذْرةُ" (١١)

وللقارئ العادي "حذرة" و "بذرة" كلاهما مجهولة المعنى، ولكن المعاجم تفسر الكلمة الأولى ثمة ، أما الكلمة التابعة فتبقى فيما رجح من الأقوال إتباع، وإن قال بعضهم أن معنى "بذرة" : يبادر بطرها بطر الحيل. وبعد هذا المعنى فإننا نشعر بارتياح لاعتبار بذرة إتباع لحذرة .

ولا نجد حرجاً إذا اعتبرنا بعض الكلمات التي جيء بها بعد غيرها، دالة على معنى مؤكد، أو قريب من معنى الأولى . لأننا نحس بأن نية المتابعة في ذهن القائل أقوى من نية تأكيد المعنى ، خاصة إذا وجد أن تأكيد المعنى بكلمة أخرى هو أقرب للفهم ، وأوفى في المعنى مثل :

"تفرَّقُوا شغر بغر ، وشذر مذر " (١٢)

فلولا أن هذا أصبح كالمثل ، لما عرف معناه بالاستدلال عليه باللفظ ، لأن ظاهر النص لا يوحي بالمعنى المراد، "فشغر" إذا صُرِّفت ، وأعيدت إلى أصولها، لا توصل إلى معنى معروف، وكذلك "بغر" ؛ ومثلهما : "شذر مذر" ، وإن كانت شذر قد يستدل على معناها عند التدبر، بمقارنتها بما يعرف عن أن الشذر هو القطع المتناثرة من إناء زجاج مكسر إلى

عدد من القطع الصغيرة ؛ ولكن إذا أمكن حل معنى الكلمة الأولى فإن "مدر" تستعصى من الدخول في مثل هدا التصريف ؛ ويبقى الرجحان للإتباع في هذين المثلين .

ولعل أوضح من المثل السابق فيما قلناه القول الآتي :

" هُمْ أَكْثَرُ مِنَ الطَّرَى وَالثَّرَى . والطَّرَى : النَّبَاتُ، والثَّرَى : التُّرابُ ". (١٣)

لولا أن الإتباع مقصود هنا لما لجئ إلى كلمة "الطرى" وهي مجهولة المعنى إلا لمن له إلمام جيد باللغة ، وأقرب من هدا القول " النبات والتراب"، ولكن هدا القول يفقد التناسق في المظهر، والموسيقى في الصوت، وإذن فالقصد الإتباع ، وإن كان هناك ضمناً ما يؤكد المعنى .

ومثله القول الآتي :

" جَاءَ بِالعَوْرِ وَالمَوْرِ . العَوْرُ : المَاءُ ، والمَوْرُ : التُّرابُ . (١٤)

وتتأكد الرغبة في الإتباع ، ويتبين الحرص عليه في مثل القول الآتي :

"وهُــو كَثِيرٌ بَثِيــرٌ ، وبَذِيــرٌ . وَهُوَ إتْبَاعٌ وَبَحِيرٌ أَيْضًا.(١٥)

فلم تكف كلمة واحدة ، بل أتي بثانية ، وثالثة ، وفي الثلاث كلمات "الباء" هي البديل للكاف ، مما يؤكد أن الإتباع هو المقصود .

ولا يستبعد أن تكون بعض الصيغ المتعارف على أنها للتأكيد ، بل هي التأكيد نفسه ، هي في الحقيقة تحمل في طياتها روح الإتباع ، ويراد في جنباتها صدى المزاوجة ، ويدب في عروقها الإسنادُ والتعضيد:

"جاؤا أجمعين أكتعين أبصعين " . (١٦)

هذه صيغة في التأكيد مكررة لتثبيت المجيء لمن جاؤوا جميعهم ، دون أن ينقص منهم أحد، ومع هدا احتفظت كلها بصيغة واحدة في وزنها ، مما طعمها بروح الإتباع والمزاوجة .

وفي حرف الراء يأتي إتباع وسيلته الباء ومعها حرف آخر ، وهو قولهم في رواية أبي عبيدة :

" مَكانٌ عَمِيْرٌ بَحِيْرٌ ، مِنَ العِمَارَةِ ، وَهُوَ إتْبَاعٌ.(١٧)

ورغم أن "بحير" لا معنى لها، ورغم أن المؤلف والمحقق ، وما استشير من معاجم تؤكد أنه إتباع، إلا أنه من الإتباع المستوفي لغرضه ، وهو يؤكد أن المكان عامر عمراناً تاماً ، وبدون "بحير" تبقى الجملة قلقة .

ومثله المثل الآتي ، وقد غُير فيه الحرف الثاني، وأبقي الحرف الأول ، ولعل دلك لقوة الألف في أوله:

قال الفراء :

"هُوَ أَشِرٌ أَفِرٌ ، وأَشْرانٌ أَفْرانُ ". (١٨)

ويقول الشارح أن معنى أشر : مرح وبطر، ونحن نعرفها من القرآن الكريم (١٩) ، أما "أفر" فهي إتباع .

وفي مثل آخر للإتباع يعطي المؤلف قولاً في حرف الراء، وهو من أكثر الأبواب أمثلة في التأكيد وفي الإتباع والمزاوجة ، ولم نأت إلا بقليل مما جاء به في هدا الباب :

" إنَّهُ لَهَدِرٌ مَدِرٌ " . (٢٠)

وفي هذا المثل حَظيت الميم بالإبدال ، ولا غرابة، فهي مثل الباء في كثرة الاستفادة منها في الإبدال في الإتباع .

"والحار باز " في إحدى اللهجات العامية في نجد دمامل تخرج تحت الحنك ، و تسمى أحياناً الحارير، ولكنها في اللغة العربية ذات معنى مختلف،

ويقول المحقق إنهما اسمان جعلا اسماً واحداً وبنيا على الكسر في النصب والرفع والجر، والمثل هو:

وروى أبو عبيدة عن الأحمر:

" الخَازِ بَازِ : صوت الذباب " .

وهو تركيب عجيب ، وإذا كان هذا التركيب اعتبر اسماً واحداً، فإن مظهر الإتباع فيه مسيطر ، فالفكر يأخذه على أنه إتباع بدليل أن المؤلف جاء به في مجال الإتباع .

وفرق كبير بين المعنى العامي لخاز باز والمعنى الفصيح ، ولا صلة بينهما إلا أن قرب الذباب من وجه مس في وجهه خاز باز يقيم قيامته ويقعدها، لشدة أذاه له، وعناده في الوقوع على هذه الدمامل، وإصرارهِ الملح .

وفي حرف السين يسوق المؤلف مثلاً تتوالى فيه كلمتان ، تعبيراً عن شيء واحد ، ويتغير في الكلمة الثانية الحرف التابي ، وتحظى الميم بالاختيار، والمثل:

"رَجُلٌ أَخْرسُ أَمْرَسُ ". (٢١)

ويرجح الإتباع هنا رغم أن "أمرس" لها معنى، وهو أن المَرِس هو من عالج الأمور وزاولها، لأنه لا يتجانس بين ذهاب الكلام عيّا أو خلقة ، ومعالجة الأمور، ومزاولتها .

وفي حرف السين أيضاً يأتي مثل للإتباع له صورتان ، قد تكونان في الأصل مختلفتين ، أو أن إحداهما دخلها التحريف ، والمثل هو :

" تَاعِسٌ وَاعِسٌ ، من التَّعَس (عثور الحظ) ، وَقَدْ يُقَالُ: نَاعِسٌ وَاعِسٌ، مِنَ النُّعَاسِ، والوَاعِسُ إتْبَاعٌ".(٢٢)

وفي حرف الشين يأتي بإتباع صريح ، ووسيلة الإتباع فيه النون، وهي من الحروف المفضلة عند الإبدال في الإتباع ، يقولون :

" عَطْشَانُ نَطْشَانُ . إتباع ". (٢٣)

وإذا كان من السهل علينا أن نعرف معنى عطشان فإن نطشان لا معنى لها، ولا تستطيع أن تقف وحدها على قدميها ، وإنما هي دائماً مستندة استناداً كلياً على قوة جارتها "عطشان" .

ولعل المتكلم ابتعد عن الباء حتى لا يفقد الإتباع الذي أراده، فلو قال : "عطشان بطشان" لصار لبطشان معنى يتنافر مع معنى الكلمة الأولى، وبطشان ثقيلة، لهذا كانت الكلمة التي أتبعها أقرب إلى ذوقه ولسانه .

وفي المثل الآتي قُصد إلى الإتباع قصداً :

" فُلاَنٌ ذُو هَشَاشٍ وأَشَاشٍ " . (٢٤)

والهشاش النشاط والارتياح، وإذا رجعنا إلى استقبال الضيف، وقلنا أنه هش في وجهه أي ابتسم ورحب، أما أشاش فإتباع، ولو لم يرد القائل الإتباع لاختار غير الألف التي حرمت الكلمة من المعنى، إلا ما تتصل به الكلمة السابقة عليها ؛ وكان بإمكان القائل أن يختار الباء فيكون القول :

" فُلاَنٌ ذُوْ هَشَاشٍ وبَشَاشٍ " .

فيكون البشاش من البشاشة، ويكون المعنى تأكيداً لهشاش، وكأنه مفصل له، ومخصص؛ إلا أن إغراء الإتباع كان أقوى، فاختاره على تأكيد المعنى ، خلافاً لآخر اختار كلمتين متصلتي المعنى ، متقاربتي اللفظ ، فيهما لمحة من الإتباع ، إلا أن التأكيد أقوى، وقد قصد القائل إليه قصداً :

" هُوَ أَعْمَشٌ أَرْمَشٌ " . (٢٥)

ويقال هذا وصفاً لعلتين تصيبان العين ، ومحقق الكتاب في شرحه يقول :

رجل أعمش : في عينيه ضعف بصر، مع سيلان الدمع، ورجل أرمش : في عينه حمرة ، مع سيلان

الدمع.

ويبدوا أن العامة تتفق مع هذا خيال الأعمش ، ولكنها تختلف معه في الأرمش ، فالكلمة آتية من الرِّمْش ، فعليه : الأرمش هو من سقط رمش عينه، وهو عيب قد يكون فيه أذى كبير للعين ، يتسبب في ضعفها، وسيلان الدمع، والتعرض للغبار والأتربة، وبرودة الجو، وحرارة الشمس ؛ لهذا لم تعتبر كلمة أرمش إتباعاً، لأن لها معاني قائمة بذاتها، وقد تفوق الكلمة التي جاءت تسندها فالسيد أقل أهمية من الخادم .

وفي حرف الصاد يأتي المثل الآتي :

" لَهُ مِنْ فَرَقِهِ أَصِيْصٌ وَكَصِيْصٌ " : أَيْ ذُعْرٌ وانْقِبَاضٌ . (٢٦)

هذا مثل يخرج بعض الشيء عن القاعدة، فكان المتوقع أن تكون الكلمة التي فيها الكاف هي المتقدمة، فيقال : له من فرقه كصيص وأصيص، فهذا هو المعتاد في الإتباع أو شبهه ، وهذا يجعلنا نرجح أن هذا إتباع لغرابة الكلمتين ولقلب الأوضاع فيهما .

وهناك المثل الذي لا يكاد يجهله أحد، لأنه دارج على الألسنة ، ولا تكاد تجد أحداً لا يعرفه، أو لم يستعمله في حديثه مرات ومرات ؛ فله جاذبية عجيبة، لما فيه من موسيقى مشمة ؛ وله تصريفات كثيرة، أوردتها المعاجم وكتب اللغة، ورغم أنّ كل كلمة منهما أعطيت معنى ، إلا أن الإنسان يطغى عليه شعور أن الكلمة الثانية إتباع ، كسبت معناها مع مرور الزمن، أما في الأصل فهي خالية من أي معنى ، ودورها أن تسند أختها التي سبقتها ، والجملة هي :

" تَرَكْتُهُ فِي حَيْصَ بَيْصَ ، وحِيْصَ بِيْصَ : أَيْ ضِيقٍ شَدِيْدٍ " . (٢٧)

وقد وردت به لغات عددها الشارح ، وزاد عما ذكر :

حِيْصٍ بِيْصٍ ، وحِيْصٍ بِيْصٍ ، وحَيْصًا بَيْصًا وحِيْصًا بِيْصًا .

الهوامش :

(١) الإتباع والمزاوجة . ٥٤

(٢) الإتباع والمزاوجة ٥٥ ، والأمالي ٢/٢١١ .

(٣) الإتباع والمزاوجة ٥٥ ، والأمالي . ٢/٢١١ .

(٤) في مجالس ثعلب " مسيح " ص ١٩٨

(٥) الإتباع والمزاوجة ٦١ ، والأمالي . ٢/٢١١

(٦) الإتباع والمزاوجة . ٦٣ ، والأمالي ٢/٢١١

(٧) الإتباع والمزاوجة ٦٣

(٨) الإتباع والمزاوجة ٦٣

(٩) الإتباع والمزاوجة ٦٥

(١٠) الإتباع والمزاوجة ٦٥ ، والأمالي ٢/٢١٦

(١١) الإتباع والمزاوجة ٦٩

(١٢) الإتباع والمزاوجة ٧٠

(١٣) الإتباع والمزاوجة ٧٠

(١٤) الإتباع والمزاوجة . ٧١

(١٥) الإتباع والمزاوجة ٧٢ ، والأمالي ٢/٢١٠

(١٦) انظر الأمالي ٢/٢١٧ .

(١٧) الإتباع والمزاوجة ٧٨

(١٨) الإتباع والمزاوجة ٧٨ ، والأمالي : ٢/٢١٢

(١٩) سورة القمر ، آية ٢٦

(٢٠) الإتباع والمزاوجة . ٧٨ ، والأمالي . ٢/٢١٢

(٢١) الإتباع والمزاوجة . ٨٣

(٢٢) الإتباع والمزاوجة : ٨٧ .

(٢٣) الإتباع والمزاوجة . ٨٧ ، والأمالي ٢/٢٠٩

(٢٤) الإتباع والمزاوجة ٨٧ .

(٢٥) الإتباع والمزاوجة ٨٧

(٢٦) الإتباع والمزاوجة ٨٩

(٢٧) الإتباع والمزاوجة ٨٩

مَلَّ المَعَاشَ وَمَلَّ الأقْرَبُوْنَ لَهُ
طُوْلَ الحَيَاةِ، وَشَرُّ العِيْشَةِ الكَدَرُ"(٢٣)

وقطري بن الفجاءة يصور من أمهل في عمره، ولم يمت، فيسمه بالملل والسأم، ويصبح من سقط المتاع حقاً، ويقول إنه لا لذة للحياة حينئذٍ:

"وَمَنْ لاَ يَغْتبطْ يَسْأَمْ وَيَهْرَمْ
وتُسْلِمُهُ المَنُوْنُ إلى انْقِطاع
وَمَا لِلْمَرْءِ خَيْرٌ فِيْ حياةٍ
إذَا مَا عُدَّ مِنْ سِقْطِ المتَاعِ"(٢٤)

وقال شاعر آخر يصف حالة الهرم المتناهي، ويرى أن مثل هذا حيّ ميت :

"مَـنْ شَـابَ مَـاتَ ، حـيٌّ
يمْشِي عَلَى الأَرْضِ مشْيَ هَالِكْ"(٢٥)

وامرؤ القيس بن حُمام يأتي بصورة يراها ثابتة للمعمر، فيصف ثقل الشيخ على أهله في حلهم وترحالهم، فهو عبء في كل الأوقات .

"إنَّ الكَبِيْرَ إذَا طَالَتْ زَمَانَتُهُ
فإنَّمَا حَمْلُهُ جنَازَةَ عَارُ
وَمَنْ يَعِشْ زَمِناً فِيْ أَهْلِهِ خَرِفًا
كَلاًّ عَلَيْهِمْ إذَا حَلُّوا وَإنْ سَارُوا
يَذُمُّ مَرَارَةَ عَيْشٍ كَانَ أَوَّلُهُ
حَلْوًا وَلِلْدَّهْرِ إحْلاءٌ وإمْرَارُ"(٢٦)

وهو بهذه الحالة من الضعف يُشْبه الجنازة في ضيق أهلها بها، ورغبتهم في التخلص منها؛ وهو بهذه السن لا يفيدهم بعقله، بل إنهم يضيقون بآرائه، التي يكون فيها من النقص ما يوحي به الخرف؛ فيصبح عالة عليهم في كل الأوقات، يعوقهم عن أداء عملهم، ويقف حجر عثرة عن سهولة تحركهم، ويأخذ من وقتهم ما هم في حاجة إليه في معاشهم؛ وهو يعاني عندما يتذكر ما كان عليه في شبابه من المشاركة، والمبادرة.

ويرسم عباد بن شداد اليربوعي صورة له، وهو قعيد بيته، ويصف بحرقة نظرة زوجته له، وهي نظرة متدنية، تدل على احتقار واستهانة، وهذا فيه من الألم ما لا مزيد عليه، وهي تعيره بما رماه به الزمان من احديداب جسمه، ولا رد عنده إلا تذكيرها بما كان عليه في يوم من الأيام من القوة و الفتوة، فيقول:

"وَتَهْزأُ العِرْسُ مِنِّيْ أنْ رَأَتْ جَسَدِي
أحْدَبَ لَمْ تَبْقَ مِنْهُ غَيْرُ أجْلاَدِ
فَإنْ تَرَيْنِي ضَعِيْفًا قَاصِرًا عُنُقِي
فَقَدْ أُكَعْكِعُ عَنِّي عَدْوَةَ العَادِي"(٢٧)

هوامش :

(١) كتاب المعمرين ١٥، المعمرون والوصايا ٩
(٢) كتاب المعمرين ٦١، المعمرون والوصايا ٥٣
(٣) كتاب المعمرين ٩٩، المعمرون والوصايا ٩٢
(٤) كتاب المعمرين ١٠١، المعمرون والوصايا ٩٣
(٥) كتاب المعمرين ١٠٦
(٦) كتاب المعمرين ١٠٤، المعمرون والوصايا ٩٨
(٧) كتاب المعمرين ١٠٧، المعمرون والوصايا ٩٨
(٨) كتاب المعمرين ١٥، المعمرون والوصايا ٩
(٩) كتاب المعمرين ٣٧، المعمرون والوصايا ٢٩
(١٠) كتاب المعمرين ٧٣، المعمرون والوصايا ٦٥
(١١) كتاب المعمرين ٧٩، المعمرون والوصايا ٧١
(١٢) المصرحيات السوريكون يحاحها شبه طرف ذنب الناقة
(١٣) كتاب المعمرين ٩٩، المعمرون والوصايا ٩٢
(١٤) كتاب المعمرين ١٠٣، المعمرون والوصايا ٩٥
(١٥) كتاب المعمرين ٣٦، المعمرون والوصايا ٢٧
(١٦) شرح الحماسة للتبريزي ٢/٣٧، بهجة المجالس ٣/٢٣٩
(١٧) كتاب المعمرين ٣٨، المعمرون والوصايا ٣٠
(١٨) كتاب المعمرين ٤٦، المعمرون والوصايا ٣٧
(١٩) كتاب المعمرين ٥١، المعمرون والوصايا ٤٢، بهجة المجالس ٦/٢٢٦
(٢٠) كتاب المعمرين ٦٢، المعمرون والوصايا ٥٣
(٢١) كتاب المعمرين ٧٣، المعمرون والوصايا ٦٥
(٢٢) كتاب المعمرين ٧٨، المعمرون والوصايا ٧٠
(٢٣) الحماسة ١/٩٧
(٢٤) أحسن ما سمعت ١١٥
(٢٥) كتاب المعمرين ٧٩، المعمرون والوصايا. ٧١
(٢٦) كتاب المعمرين ٨١، المعمرون والوصايا ٧٣
(٢٧) كتاب المعمرين ٨١، المعمرون والوصايا ٧٣

العلاّمة الشيخ حمد الجاسر رحمه الله تعالى

بقلم : رئيس التحرير

عند ما قرأتُ في الصحف السعودية الشقيقة نبأ وفاة علاّمة الجزيرة العربيّة الشيخ حمد بن محمد الجاسر رحمه الله عن عمر يناهز ٩٣ عاماً، في وقت مبكر من صباح يوم الخميس ١٤/ سبتمبر : أيلول ٢٠٠٠م الموافق ١٤/ من جمادى الأخرى (بالتقويم الهندي) و ١٦/ من جمادى الأخرى (حسب التقويم السعودي) ١٤٢١هـ، بعد عشر (١٠) ساعات من العملية الجراحية التي أُجْرِيَتْ له في مستشفى " ما ساشيوستس " العام بالولايات المتحدة الأمريكية؛ لأنّه كان يشكو من تَكَلُّسات في الرقبة تعيقه عن الحركة.

ثارت في ذاكرتي جميعُ الذكريات التي اختزنتها في شأن العلاّمة منذ أن تعرّفت عليه خلال رحلتي الأولى إلى الرياض عام ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

وُلِدَ العلامة عام ١٣٢٨هـ / ١٩١٠م في قرية "البرود" في إقليم " السرّ " بمنطقة نجد؛ ولكنه وُلِدَ في معرفتي به منذ نحو ١٨ عاماً. ومنذ أن عرفتُه لم أزل أقرؤه عبر مؤلّفاته الموسوعيّة في فنون اللغة والأدب والتأريخ والأنساب والتراث والجغرافيا والبلدانيات والرحلات، وعبر مئات المقالات والبحوث التي طلت المجلات والصحف العربية ولا سيّما السعودية تنشرها بعناية وافتخار.

ظلّ العلاّمة الاسم البارز والعنوان الشامخ لإبراز الكثير من الصور الرائعة الزاهية للماضي الثقافي العربي وإزاحة الغبار الكثيف المتراكم عليها .. غبار الإهمال والنسيان.

كان ملء سمع الكُتّاب والمثقفين وبصرهم، يسأمون القراءة إن لم يكونوا صبورين على مزاولة الحرف والكلمة واستقاء مزيد من المعارف والمعلومات؛ ولكن العلاّمة لم يكن ليسأم الكتابة والبحث وعناء القراءة والاطلاع ومواصلة مشوار التجوال المتصل في سراديب المكتبات والمخطوطات المتناثرة في شتى بقاع العالم.

لم يكتسب اسم " العلاّمة " الذي كان يُطْلَقُ عليه وحده عن حقّ وجدارة في العالم العربي كله، حتى صار علامةً على شخصه .. لم يكتسبه من فراغ، ولم يُضْفِهِ عليه المثقفون والجماهير العربية كترف ثقافي، وموضة عرفيّة. وإنّما اكتسبه ووصفه له الناس بعد عناء ثقافي وجهد دراسيّ كتابي فكريّ موسوعي صحفي متواصل قام به منذ عهد كان فيه الاشتغال به حقًّا ريادة ثقافية بمعناها الصحيح؛ حيث لم يكن بالمملكة تلك النهضة الثقافية التي يعايشها اليوم الجيلُ الذي اختص " الدال " و لكن لم يعرف بعــد كيف يَتْعَبُ ويسهر على خدمــة لغة " الضاد " مثل العلامة حمد الجاسر و أمثاله المعدودين على الأصابع.

وقد حدث لشخصه منذ أن وُلِد مواقف غريبة تدلّ على أنّه سيكون - إذا تمتع بالحياة - رجلاً غير عاديّ: نشأ طفلاً عليل الجسم، ضعيف البنية، وبقي أربع سنوات لا يستطيع التحرك والمشي، حتى حفر له أهله قبراً أربع مرات يأساً منهم من حياته. ولم يتيسّر له الانصراف إلى التحصيل العلمي وهو ابن أسرة فقيرة تعيش على الفلاحة،

إلاّ لأنّ والده وحده لا يقدر على مساعدته في الزراعة والفلاحة ؛ فأدخله الكُتّابَ . وكأنّ هزاله وضعفه وعدم قدرته على مواصلة العناء والكدّ في طلب لقمة العيش في وهج الشمس من الحقول ، هو الذي همس في أذني أبيه أن يصرفه إلى " عمل فصوليّ " : معرفة الحرف وكتابته . فلو كان " مُؤَهَّلاً " للقيام بأعمال الفلاحة ، لكان أبوه قد دفعه إليها ؛ لأنّ المؤشرات والعادة الجارية في الأسرة كانت تدلّ على ذلك ؛ فكان من حسن حظّ الحركة الفكرية في الجزيرة العربية أن وُلِدَ حمد الجاسر على الهزال والنحافة والضعف ، الأمر الذي جعله ينحو من أن يعيش فلاحاً جاهلاً لا يعرف نفسـه وبما حوله فضلاً عن أن يوزّع المعارف في المجتمع ، وينشر النور في الدنيا التي يعيش فيها .

تعلّم حمد الجاسر ، فعلّم الدارس والطالب والعالم والباحث والمثقف والأديب كيف يصبرون ويثابرون على الدراسـة والتوصّل إلى الحقيقـة الناصعة والمعلومـة الصحيحة.. الصبرُ على القراءة المتأنية وإجلاءُ الغبار عن الحقيقة في قضايا العلم سمتان بارزتان في حياة العلاّمة حمد الجاسر رحمه الله ؛ فصارت أبحاثه وأفكاره موضع اهتمـام المثقفيـن أجمعين من العـرب والعجـم ومـن المسلمين والمستشرقين على السواء ، حتى أصبح مرجعاً يُعْتَمدُ عليه كليًّا في تصحيح الكثير من أسماء الأعلام و المواقع الأثريّة والتأريخية الواردة في الأشعار وكتب الأخبار والسير ؛ حيث حدّد رحمه الله هذه المواقع تحديداً علميًّا دقيقاً ، ووضع بحوثاً قيمة نادرة عن بعض المعالم ، مثل سوق عكاظ ، وطريق الهجرة ، ودروب الحج ، و معاجم التعدين العربية القديمة.

لقـد وَاجَـهَ حمـد الجـاسر الشابُّ صـدمتين لا يتحمّلهما إلاّ الذي صنعه الله لعمل جليل و غاية مثلى ، كما وَاجَهَ حمد الجاسر الطفل معاناة شاقة شادة وضعته على درب العلم والفكر .

وهما : وفاة ابنه البكر محمد في انفجار الطائرة التي جاء على متنها إلى بيروت ، بعد أن أنهى الدراسة الجامعيّة في أمريكا. إنها كانت صدمة قاسية للغاية ؛ حيث تحوّل فرح اللقاء بقدومه مأتماً لوفاته المفاجئة من أجل صاروخ طائش قضى على الطائرة في هبوطها وعلى من فيها من الركاب . وذلك أيام الحرب الأهلية في لبنان .

والصدمة الثانية أنه أُحْرِقت مكتبته القيمة في بناية العزّاريّة وسط بيروت من قبل الفوضويين المشاغبين ؛ حيث كان مكتبه ومقر عمله لمجلة " العرب " التي كان يصدرها هناك آنئذٍ .

صدمتان كافيتان لانتزاع كل رأس مال الصبر لدى الإنسان ، ولكنّ حمداً الجاسر المطبوع على الشغف بالعلم والصبر الفذّ في سبيله لم ييأس ولم يتزعزع ، ولم يجعل الجرح الغائر يرف إحباطاً ونكوصاً عن الطريق الذي اختطّه لنفسه بتوفيق الله عزّ وجل ، كما يصنع الرجال العاديّون بل كثير ممن يُصَنَّفُوْنَ ضمن " غير العاديين " .

ذلكم هو الشيخ العلاّمة حمد الجاسر نديم الحرف والكلمة ، جليس العلم والمعرفة ، عاشق البحث والدراسة، محبّ اللغة والثقافة ، المجبول على الأناة وتحمل المعاناة في سبيل خدمة العربية والتراث ، وتتبع المخطوطات العربيّة في مظانّها في شتى بقاع الأرض ؛ فلم يدع مكتبة فيها ضالّته إلاّ ارتادها مراراً ، ولا معهداً وجامعة ودار علم إلاّ وطرق أبوابها في لحاجة لا يعرفها إلاّ من يعرف لذة العناء في طريق العلم بغية الوصول إلى معلومات منشودة .

وظللتُ أتابع الجاسر في مقالاته وكتاباته وبحوثه وأنا قابع في الهند عبر مؤلّفاته وعبر الصحف والمجلات السعوديّة التي يتفضّل بها عليّ أصحابها الكرام ، وقلّما تخلو من مقالة له أو دراسة أو تعقيب منه على بحث أو

دراسة . فأجده أشبه مثقّف باحث بالبحاثة الهنديّ الكبير القاضي أطهر المباركفوري (المتوفّى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م) في العكوف على الدراسة والبحث والانقطاع للكتابة والتأليف ، والبساطة في العيش وفي التعامل مع ذوي العلم وعامّة الناس ، والاهتمام بجانب الآخرة ، والحلم والأناة والكرم ، والزهد في الدنيا والرغبة عن جعلها أكبر همّه ومبلغ علمه ومنتهى آماله ، كما يصنع كثير ممن يصطنعون العلم و ينتسبون إليه .

ولو كان فيه ميلٌ إلى شيء من هذه الأماني الرخيصة واللذّات الفانية ، لما قدر على تحقيق تلك المشاريع العلمية ، و البرامج الثقافية ، والخطط المعرفية ، ذات القيمة الممتازة و الأهميّة القصوى ، التي جعلته شامًّا بين الأقران والمعاصرين كلهم ، وجعلته يمتاز عنهم امتيازَ القمر عن جميع الكواكب .

موجز من ترجمته

وُلِدَ عام ١٣٢٨هـ / ١٩١٠م في قرية " البرود " في إقليم " السرّ " بمنطقة نجد الزهراء . والتحق بكتاب قرية " حرمية " حيث بدأ مشوار العلم بقراءة القرآن الكريم كاملاً. ثم انتقل إلى الرياض عام ١٣٤١هـ ، وتلقى العلم عن أشهر علمائها آنذاك ، من بينهم المشايخ : سعد بن حمد بن عتيق ، وصالح بن عبد العزيز آل الشيخ ، ومحمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ .

وترك الرياض بعدئذ قاصداً مكة المكرمة عام ١٣٤٨هـ ، حيث التحق بالمعهد الإسلامي السعودي ، وتخرج منه قاضياً شرعيًّا عام ١٣٥٣هـ .

مشواره العملي

ثم تقلّب الشيخ الجاسر بين التدريس والقضاء ؛ فعمل مدرساً في الفترة ما بين ١٣٥٣هـ و ١٣٥٧هـ ، وعمل قاضياً في " ظبا " عام ١٣٥٧هـ ، ثم سافر عام ١٣٥٨هـ إلى القاهرة بنية الالتحاق بكلية الآداب ؛ ولكنه لم يتمكن من إكمال الدراسة من أجل نشوب الحرب العالمية الثانية .

وعاد إلى المملكة ليتنقّل بين عدد من المناصب التعليمية والتربويّة والصحفيــة ؛ فدرّس في مناطق مختلفة في المملكة ، وشغل مناصب تربويّــة ، منها : العمل رئيسَ مراقبة للتعليم في الظهران ، والعمل مديراً للتعليم في نجد عام ١٣٦٩هـ ، و مديراً لكليتي الشريعة واللغة العربية في الرياض .

وأنشأ أثناء إدارته للتعليم عام ١٣٦٩هـ مكتبة لبيع الكتب باسم " مكتبة العرب " وكان موقعها بجوار المسجد الجامع بمدينة الرياض من الناحية الشرقية و كانت أول مكتبة عُنِيَتْ بعرض المؤلّفات الحديثة .

في مجال الصحافة والنشر

بعد تحرّكه سنوات في إطار العمل الوظيفي أدرك الشيخ حمد الجاسر أن هذا المجال الضيق ذا التقيدات والالتزامات التي تحدّ من الانطلاق و تقص من أجنحة التحليق في فضاء رحب شيئاً كثيراً ، لا يجاري طموحاته وآماله العلمية والدراسيّة الكبيرة العريضة ؛ فسلك طريق الصحافة التي اختارها رسالةً ، أكثر من اختيارهـا مهنة أو ترفاً عملياً كما يختارها كثير من الكتاب والمثقفين .

فأصدر عام ١٣٧٢هـ " اليمامة " أوّل صحيفة في الرياض ، واستكتب فيها عدداً من ذوي الأقلام الرشيقة والكتابة الناصحة . منهم الأساتذة سعيد عبد الله الكردي ، وعلى حسن فدعق ، وعبد الرزاق الريس ، و عبد الله بن خميس ، و إبراهيم الهاجري ، ومحمد سعيد باعقّار ، وسعد البواردي ، و عبد الكريم الجهيمان ، وإبراهيم الحجي ، و عبد المحسن التويجري ، وعبد الله بن محمد الحميد ، وعلي العدامي .

وإثر صدور نظام المؤسّسات الصحفية الأهلية عام

١٣٨٣هـ ، بادر الشيخ الجاسر إلى طلب إنشاء مؤسسة صحفية باسم " مؤسسة اليمامة الصحفية " لإصدار صحيفة يومية باسم " الرياض " وأخرى أسبوعية باسم " اليمامة " الاسم الذي ظل يعيش معه منذ ١٣٧٢هـ ، أي منذ عشر سنوات ، ورأس تحريرها لدى صدورها على طلب من الجمعية العمومية للمؤسسة .

ثم أصدرت المؤسسة في مستهل عام ١٣٨٥هـ " الرياض " اليومية ، ورأس تحريرها أيضاً لمدة شهرين ريثما تمّ اختيار رئيس التحرير من بين المؤسسين .

وهنا تقرر رأي الشيخ حمد أن يتخلّص من مسؤولية الصحافة اليومية والأسبوعيّة ، ليتفرغ كليًّا للبحث والدراسة والتحقيق ؛ فأنشأ عام ١٣٨٦هـ مجلة " العرب " فكانت مجلة متخصصة في تأريخ وآداب الجزيرة العربية وتراثها الفكري .

وأسس عام ١٣٧٤هـ أول مطبعة في نجد باسم " مطابع الرياض " وأسس فيما بعد حوالي عام ١٣٨٦هـ " دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر " التي عُنِيَتْ بنشر الشيء الكثير من المؤلّفات المتعلقة بالجزيرة العربية ضمن سلسلة أطلق عليها " نصوص و أبحاث جغرافية و تأريخية عن جزيرة العرب ".

نشر العديد من الدراسات التأريخية في مجلات وصحف " أم القرى " و " المنهل " و " المدينة " و " البلاد " . ومن أقدمها مقال له نُشِرَ في العددين ٦٨٣ و ٦٨٤ من جريدة " أم القرى " عن العلاء بن الحضرمي الصحابي المعروف .

وله مؤلّفات والبحوث ومقالات منشورة تجاوزت في مجموعها ١٢٠٠ مادة .

أهمّ مؤلفاته :

أمّا أهم مؤلّفاته ، فهي :

سوق عكاظ ؛ مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ ؛ بلاد ينبع .. لمحات تأريخية وجغرافية وانطباعات خاصّة ؛ أبو علي الهجري وأبحاثه في تحديد المواضع ؛ في شمال غرب الجزيرة .. مشاهدات ، نصوص ، انطباعات ؛ المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية .. شمال المملكة ؛ المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية .. المنطقة الشرقية ؛ معجم قبائل المملكة العربية السعودية ؛ المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية .. أسماء المدن والقرى وأهم موارد البادية ؛ الإيناس في علم الأنساب (تحقيق) ؛ رحلات للبحث عن التراث (صدر منها ثلاثة أجزاء) ؛ مع الشعراء .. مختارات ومطالعات ؛ أصول الخيل العربية الحديثة ؛ التعليقات والنوادر عن أبي علي هارون بن زكريا الهجري ؛ مقتطفات من رحلة العياشي ؛ باهلة .. القبيلة المفترى عليها ؛ نظرات في كتاب تاج العروس من جواهر القاموس ؛ مختلف القبائل ومؤتلفها (تحقيق) ؛ المناسك و أماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة (تحقيق) ؛ الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة (تحقيق) ؛ البرق اليماني في الفتح العثماني (تحقيق) ؛ بلاد العرب (تحقيق) ؛ جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد ؛ ملخص رحلتي ابن عبد السلام الدرعي المغربي (تحقيق) ؛ في سراة غامد وزهران .. نصوص ، مشاهدات ، انطباعات ؛ المعالم المطابة في معالم طابة (تحقيق) ؛ الجوهرتين العتيقتين المائعتين الصفراء والبيضاء (تحقيق) ؛ الأماكن (تحقيق).

ترحاله المستمر

وقام برحلات مستمرة من أجل التأكّد من المواقع والمناطق التي تناولها بالدراسة ، كما قام بالترحال المستمر من أجل الوقوف على المخطوطات ، التي قد يجد فيها ما يقدمه جديداً نافعاً للقراء ، أو يصحّح بها

معلومات عن الجزيرة العربية .

أمّا رحلاته العلمية التي قام بها من أجل زيارة المكتبات ودور الكتب في بلدان كثيرة ، فقد أشار إليها في أكثر من موضع ولا سيّما في مجلة " العرب " ، وقد ذكر أهمّ ما اطّلع عليه من الكتب والمخطوطات . كما تحدث أحياناً عن رحلات البحث عن الكتب والمخطوطات في مجلة " اليمامة " الأسبوعية .

عضويته في المجامع اللغوية

نظراً للمكانة العلمية المرموقة التي اعتلاها العلاّمة الجاسر بين الكتاب والمثقفين في الوطن العربي العريض ، اختاره مجمع اللغة العربية بدمشق عضواً فيه عام ١٣٧٠هـ ، و انتخبه المجمع العلمي العراقي عضواً لديه عام ١٣٧٤هـ ، وانتخبه مجمع اللغة العربية في القاهرة عضواً فيه عام ١٣٧٨هـ . هذا إلى عضويته في مؤسسات علمية و أدبية أخرى داخل المملكة و خارجها

أوسمة وتقديرات

تقديراً لسهره على خدمة العلم والثقافة والتراث ، مُنح أوسمة وجوائز تقديرية عديدة في داخل المملكة وخارجها .

فنال جائزة الدولة التقديريّة للأدب عام ١٤٠٤هـ . ونال التكريم من قبل قادة دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية خلال انعقاد القمة العاشرة في سلطنة عُمان عام ١٤١٠هـ .

وجائزة سلطان العويس الثقافية للإنجاز العلمي والثقافي عام ١٤١٦هـ . وجائزة الملك فيصل العالمية للأدب العربي عام ١٤١٦هـ ، عن موضوع " أدب الرحلات في التراث العربي : تحقيقاً و دراسةً " . ومنحته جامعة الملك سعود درجة الدكتوراه الفخريّة عام ١٤١٦هـ . وأكرمته المملكة بوسام الملك عبد العزيز من الدرجة الثالثة في مهرجان الجنادرية عام ١٤١٧هـ .

وفـــاتــــه

بعد معاناة مع المرض ، تنقّل فيها من ألمانيا إلى الولايات المتحدة الأمريكية للعلاج ، انتقل رحمه الله إلى جوار ربّه الكريم ، في مستشفى " ماسا تشوستس " العام بأمريكا . وذلك صباح الخميس ١٤٢١/٦/١٤هـ الموافق ٢٠٠٠/٩/١٤م ، إثر عملية جراحية أُجريتْ له . فإنّا للّه و إنّا إليه راجعون .

وبعد إعلان نعي المملكة له رحمه الله تعالى رسميًّا برقيات العزاء والمواساة من خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز ووليّ العهد سمو الأمير عبد الله بن عبد العزيز والنائب الثاني سمو الأمير سلطان بن عبد العزيز - حفظهم الله تعالى - تتابعت كتابات الصحف والمجلات السعودية والعربية وتلاميذه رحمه الله وزملائه ومعارفه في تأبينه ، كلها تقطر حزناً عميقاً ، وأسفاً بالغاً على فراق هذا الخادم المخلص لدينه وثقافته وتراثه وتاريخه ولغته ووطنه العزيز الغالي لدى المسلمين كلّهم

بوفاة علاّمة الجزيرة رحمه الله طُويتْ صفحة من صفحات العلم والبحث الذي كان من فرسانه في المملكة هو وأمثاله من الباحث الأديب المتمكن عبد القدوس الأنصاريّ (١٣٢٤-١٤٠٣هـ / ١٩٠٦ - ١٩٨٣م) والأستاذ الكبير عبد اللّه بلخير وغيرهم . ولكن اختصاص العلاّمة في موضوع التراث وجغرافية الجزيرة العربية ومنافع القبائل وما إلى ذلك يميزه عن أقرانه وزملائه . جزاهم اللّه جميعاً عن خدمة دينه ولغته وخدمة العلم والثقافة

أدخله الله فسيح جنانه مع الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين . وألهم أهله وذويه ومعارفه وتلاميذه و محبّيه كلهم الصبر والسلوان ، وعظّم الله فيه أجرهم جميعاً ، ولا حرمنا الأجر ، ولا فتنا بعده .

زيارتان إلى ربوع "غجرات"

بقلم : رئيس التحرير

ثلاثــــة أيّــــام
في جامعة علوم القرآن بـ "جمبوسر"

على دعـــوة ملحة مخلصـــة من أحد كبار علماء "غجرات" فضيلة الشيخ المفتي محمد أحمد الديولوي مؤسس و مدير جامعـــة علـــوم القـــرآن الكريم بمدينـــة "جمبوســـر" بمديرية "بروص" بولاية "غجرات" بالهند ، زرتُ الجامعـــةَ لرعاية المسابقة الكتابية الثالثة التي أقامتها الجامعة فيما بين طلاّبها ، والقيام بالاحتكام فيها ، أيامَ ١٧-١٩جمادى الأولى ١٤٢١هـ الموافق ١٨-٢٠ أغسطس ٢٠٠٠م: الجمعة - الأحد .

وقبلتُ الدعوة بعد لأي و تردد ، رغم صلة الحبّ الوطيدة التي تربطني بالشيخ حفظه الله ، منذ سنوات طويلة . ذلك لأنّ داء السكّري وماسبّبه من عوارض المرض المتكاثرة جعلني أجتنب مغادرةَ ديوبند إلاّ لحاجة لا تتم إلاّ بانتقالي منها للموضع الذي تتعلق به .

وبما أنّ الداعي الكريم ظلّ يلحّ عليّ لقبول الدعوة لزيارة جامعته منذ ثلاث سنوات متتاليات ، وظللتُ أعتذر إليه بمرضي و بهاكتي ؛ فعُدْتُ هذه المرة خَجِلاً من تتابع الاعتذار . ومن طبيعة الاعتذار أنّه ينهار في يوم من الأيّام لدى لجاجة المخلص وإصرار المحبّ الصادق ، ولا سيّما إذا تأكّد المعتذر المدعوّ أنه سيجد لدى الداعي أهلاً بأهل وجيراناً بجيران ، بل قد يجد لديه من تسهيلات وأسباب راحة ، ما لا يجده عموماً لدى الأهل ، علاوةً على الحفاوة والتكريم ودقّة الملاحظة لكلّ صغير و كبير يحتاج إليه لإمضاء الوقت في رتابة مريحة ولتغطية الحاجات التي أدّى به إليها المرض الملازم .

وذلك ما حصل لي من قبل المضيفين الكرام المنتمين إلى منطقة معروفٍ أهلُها بالكرم والنّدى ، ومعجونةٍ طينتُهم بالأريحية والسماحة . وهي منطقة "غجرات" عموماً ، والجزء الجنوبيّ منها خصوصاً .

ومن هنا لم أسافر إلى مناطق الهند كلّها ، قدرَ ما سافرتُ إلى ذاك الجزء من "غجرات" وحده .. أكثر من عشر مرات إذا أضفتُ إلى الأسفار السابقة الزيارتين اللتين قمتُ بهما مؤخّراً ، إحداهما تلك التي أتحدث عنها أولاً ، وأخراهما سأتحدث عنها في الصفحات اللاحقة ثانياً ، حَسَبَ الترتيب الّذي حَصَلَتْ به كلّ منهما .

ومن هنا أقول دائماً : مهما كان الإنسان عزوفاً عن الأسفار ، لا يبرح مكانَه إلاّ لحاجة مُرْغِمَة ، فإنّ المخلص اللجوج في دعوته لأحد للزيارة والرحلة ، يستطيع أن يضطرّه للخروج من العزلة ، ومغادرة مقرّه إلى أماكن أخرى ؛ إذا كان صادقاً في الدعوة ، مخلصاً في الإلحاح ، مُكَرِّرًا عليه الطلبَ ، معيداً به الاتصالَ ، مُذَكِّرًا له بالوعد السابق ، مُسْتَخْدِماً في ذلك اللباقة

والتحمّلَ اللذين يرغمان كلَّ ذي مروءة على الاستجابة مهما كان مُكبَّلاً بالأعذار .

والمضيف الكريم من شدّة مراعاته لكل شيء يضمن الراحة ، ويجنّب الانزعاجَ و يشوّشَ التفكير ، لم يكلّفني هو بشراء التذكرة والحجز في القطار أو الطائرة ؛ كما هو دَأْبُ معظم الداعين من المسؤولين عن المدارس والجامعات الإسلامية في الهند . وإنّما كلّف بذلك أحدَ معارفه في دهلي ، الذي بذل كلّ ما يستطيع من الجهد لحجز مقعدين في القطار لي ولرفيقيّ في السفر فلم يفلح ، فجرّب الحظَّ في الطائرة ، فوجد فيها مكانين حجزهما ليوم ١٧/ أغسطس ٢٠٠٠م لمدينة "بروده " التي تقع على نحو مسافة ساعة ونصف من مدينة " جمبوسر " محط رحلتي . بينما حجز للإياب في قطار " أغسطس كرانتي " المعروف بـ "Duplicate Rajdhani Expres" ليوم الأحد ١٩/ جمادى الأولى ١٤٢١هـ الموافق ٢٠/ أغسطس ٢٠٠٠م . وذلك لمعرفته بأنّي أوثر السفر بالقطار على السفر بالطائرة ، إذا كانت خدمة القطار متوفرة ؛ حيث أجد في الأوّل من الراحة والسهولة ما لا أجده في الثاني، ولا سيّما إذا كان القطار سريعاً مُكَيَّفاً ذا عربات مُحصَّنَة ضد الزحام المؤذي ، ولا يكون هناك فرق استغراق الوقت إلاّ قليلاً ، إذا قِيْسَ بالإجراءات الطويلة المملّة ، التي يجتازها الركاب في رحلة الطائرة ، بدءاً من دخول مطار المغادرة ، وانتهاء بخروج مطار الوصول ، وما يجده من الأذى من الانتظار لاستلام العفش في مطار الوصول ؛ حيث قد يستغرق ذلك ساعة أو أكثر .

☆ ☆ ☆

على كلّ ففي الساعة العاشرة من يوم الخميس : ١٦/ جمادى الأولى ١٤٢١هـ الموافق ١٧/ أغسطس ٢٠٠٠م غادرتُ ديوبند لدهلي بالقطار و وصلت إليها في نحو الساعة الواحدة والنصف ظهراً ، وبعد ما استقر بي المقام في مقر جمعيّة علماء الهند بدهلي الجديدة ، قضيت بعض الواجبات التي من أجلها وصلت دهلي سابقاً لأوان السفر بنصف يوم تقريباً .

وقضيت الوقت فيما بين الساعة الرابعة عصراً والساعة السابعة مساءً في التجوال في معرض الكتاب الذي أقامته حكومة الهند في " برغتى ميدان " في رفقة بعض الإخوة العاملين في مقر الجمعية من خريجي جامعة ديوبند ، وعلى رأسهم الأخوان الأستاذ عبدالحميد النعماني والأستاذ معز الدين القاسمي . واشتريت عدداً من الكتب ولا سيّما مجموع خطابات (رسائل) الشاعر الإسلامي الدكتور محمد إقبال في أربعة مجلدات ضخمة .

ومن عادتي أنه إذا كان السفر باكراً في الصباح الباكر ولا سيّما قبل صلاة الفجر ، فإن عينيّ لا تكتحلان بالنوم ؛ فقضيتُ الليلة : ليلة الجمعة ١٨/ أغسطس مستلقياً على الفراش أتقلّب عليه ساهراً ؛ لأن ميعاد إقلاع الطائرة كان الساعة السادسة صباحاً . وغادرتُ المقر أنا ورفيقي الأخ محمد يوسف البروصيّ - طالبٌ في دورة الحديث الشريف بجامعة ديوبند - في الساعة الرابعة والربع بسيارة أجرة ، ودخلنا المطار فبدأنا بأداء صلاة الفجر ، ثم قمنا باتخاذ إجراءات مطاريّة لازمة تسبق ركوب الطائرة . ثم ارتمينا على بعض الكراسي المصفوفة ننتظر ظهور الإعلان التلقائي على الشاشة بتقدم ركاب الرحلة ذات

الرقم (IC817) المتجهة لمدينة " بروده " (Vadodra) لتجاور المحص الأمنيّ ثم الصعود للطائرة . وتمّ دلك كله ، وصعدنا الطائرة ، وأحدتُ أنا المقعد 8F وأحد الأخ محمد يوسف مقعداً آحر بحنبي حَسَبَ المصرح في بطاقتي صعـود الطائرة التي أقلعت متأخـرة عـں ميعادها بنحو ١٥ دقيقة .

هبطت الطائرة على مطار " بروده " متأخرة بنصف ساعة تقريباً ؛ لأنّها تأخّرت بنحو ١٥ دقيقة مزيدة على مطار " أحمد آباد " عاصمة ولاية غجرات. بعد النزول من الطائرة قصدنا قاعة العفش رأساً ؛ ولكن العفش لم يصل إلاّ بعد نحو ساعة إلاّ ربعاً ، وخرجنا من " قفص " القاعة فوجدنا فضيلة الشيخ المفتي محمد إسماعيل شيخ الحديث بجامعة علوم القرآن المذكورة و الأستاذ محمد شقيق الشيخ المفتي أحمد الديولوي وأحد كبار أساتذة الجامعة ينتظراننا بفارغ الصبر ؛ حيث جاءا بسيّارة من " جمبوسر " يستقبلانني.

وما إن وقع نظري عليهما حتى نسيتُ جميع السلبيات التي سبّبتها لي السآمة الناشئة عن التأخّر الشديد لظهور العفش على الشريط ؛ حيث إنّ الأستاذ محمد قد قرأ عليّ منذ نحو ١٣ - ١٤ عاماً بعض الدروس في اللغة والأدب في أيّام تحصيله بجامعة ديوبند ، و منذئذ يحبني بإخلاصه المعهود ، وهو رجل لا تفارق الابتسامة شفتيه في عامّة المواقف ، عهدته دائماً هشّا بشّا ضحوكاً ، لا يعرف عبوس الوجه إليه سبيلاً ، فيفرح كلُّ أحد بلقائه ، و ينسى كل حزن اعترض له بوجهه من الوجوه .

أمّا فضيلة الشيخ المفتي إسماعيل المشار إليه ، فهو رغم تعمقه في دراسة الكتاب والسنة ، وتضلّعه من عدد من العلوم الشرعيّة ، وتذوّقه للاطلاع والمعرفة ؛ رجل يتصفّ ببساطة الرجل الصالح ، وجديّة العالم ، ووقار المثقف الواعي ، وتواضع الداعية المخلص ، وإطالة السكوت التي إنّما يتمتع بها من عَرَفَ قدر العلم وأهلَه ؛ ولكن وقاره وجديّته لم يقدرا أن يحوّلاه جافًّا خشناً ، لا يتفتّح للظرافة ، ولا يَهَشُّ لمعسول القول ، ولا يعرف طلاقة الوجـه ، وحسن الاستقبال ، وقيمة إدخال السرور على قلب مسلم ، كما يحدث لعامة الوقورين الجادّين المتصنعين للعلم من أدعياء المعرفة والدراسة. إن الشيخ لا يراه أحد إلاّ و يُضْطَرُّ أن يحبّه ويتصل به بآصرة لا تنقطع ، وكأنّه خُلِقَ للحبّ والمداراة . جزاه اللّٰه عن كل صفاته الإيمانية ، وزاده إخلاصاً ، وشكر حبّه لي بهذا القدر الذي لا أكاد أوفّيه حقّه من الثناء والشكر ولو أطلتُ الحديث وأَسْأَمْتُ القراء .

وبعـد ما تبادلنـا السلام والتحيّـة واستخبـارَ الأحوال ، وتصافحنا وتعانقنا ، ركبنا السيّارة لنتجه توًّا إلى " جمبوسر " ولم نعرّج في الطريق على شيء سوى عشر دقائق بذلناها في الاتصال الهاتفي بديوبند بأنني قد وصلت بخير ، و بجمبوسر بأننا متجهون لها ، وسنصلها بعد ساعة ونصف إن شاء الله .

وقطعنا الطريق بين " بروده " و " جمبوسر " في نحو ساعة ونصف ، فوصلنا جامعة علوم القرآن والساعة عاشرة ونصف .

وكان في طليعة المستقبلين لي في رحاب الجامعة المؤسسُ المديرُ فضيلة الشيخ المفتي أحمد الديولوي ونائبه الشيخ محمد إقبال الفلاحي الخانبوريّ وغيرهما من الأساتذة والمسؤولين ، الذين

أنزلوني منزلاً طيباً في غرفة واسعة نظيفة مُنَسَّقَة تنسيقاً يسرّ الناظرين ويُطْرِب المُهَذّبين ذوي اللباقة المُغْرَمين بحسن الترتيب في شؤون الحياة كلها ؛ فطابت نفسي، وانتعش قلبي ، وصفا تفكيري ، وزال كل ما يشعر به المسافر من التعب والإرهاق جسديًّا أو فكريًّا .

وبعد ما أخذنا نصيباً من الاستجمام الذي يرضاه المضيف عادةً للضيوف مهما غَنُوْا عنه ، مُدّتْ سفرةُ الفطور الحافلة بألوان الأطعمة الخفيفة اللذيذة التي يتناولها العلماء والمثقفون عادةً . وسرّني بصفة خاصّة في جلسة الإفطار هذه وجميع الجلسات الإفطاريّة وحفلات الشاي المقامة من حين لآخر ، تَوَفُّرُ الحليب الخالص الذي نَدَرَ أن نجده في منطقتنا مهما بذلنا من الجهد وأنفقنا من المال ؛ فقلت للإخوة : حبّذا لو اتخذتم نظاماً مستقلاً لإيصال الحليب الخالص هذا إلينا في " ديوبند " فنتحفكم بشأي لذيذ عبر قناة مستقلة بين " ديوبند " و " جمبوسر " ؛ لأنّ لديكم حليباً خالصاً ولدينا ذوقاً بارعاً للشأي ننتقى أجود ما نتوصل إليه من أنواعه .

ثم تجهّزتُ لأداء صلاة الجمعة التي شنّف فيها آذانَ المصلين المقرئُ العذبُ الصوت ، الحَسَنُ التلاوة ، الجيِّدُ الترتيل . وما أعجب جمالَ القرآن إلى جمال التلاوة ، إلى فخامة المسجد وروعة بنائه ، والاهتمام اللائق بصيانته و تنظيفه . و قد أعجبتني العنايةُ الجيدة بالتنظيف وفرش المسجد بالسجادات الخضراء ، السارة للأنظار ، المفرحة للقلوب ، الجالبة للارتكاز الفكري والهدوء النفسيّ للمصلين . كما أُعْجِبْتُ عبر الأيام الثلاثة التي قضيتُها في الجامعة ، بانصراف جميع الطلاب حتى الصغار إلى تلاوة القرآن والتدبّر فيه قبل الجماعة ؛ فلم أَرَ أحداً منهم يتشاغل باللّهو واللعب واللفتات العابثة والحركات المرعجة التي يتعوّدها الطلاب عموماً – بمقتضى طبيعتهم – في معظـم المدارس والجامعـات التي أُتِيْحَ لي أن أزورها . وإن دلّ ذلك على شيء فإنّما يدل على اهتمام المسؤولين و الأساتـذة بالقـرآن الكريم وبتلاوتـه وتجـويـده ، كما يدلّ على أخذهم الطلاب جميعاً بالتربية الواعية والآداب الإسلامية أخذاً مثمراً . وذلك شيء جدير بالتقليد . أما الاهتمام بصيانة المساجد وتنظيفها فالتقصير فيه غالبٌ في المناطق الشمالية والشرقية في الهند ، حتى إن المصلين يتأذون لدى السجود والقعدة من كثرة الغبار المتراكم على فرش المسجد و سجاداته والكناسات المتناثرة في جنباته .

☆ ☆ ☆

والوقتُ فيما بين العصر و فيما بعد صلاة الفجر من يوم السبت ١٨/ جمادى الأولى ١٤٢١هـ حتى الساعة الثامنة ، قضيتُه في النزهة ، والجولة في محيط الجامعة الفسيح الذي يربي أراضيَه أشجارٌ و أزهار متنوعة ، و أعشاب مخضرّة ، وأحواض منسقة تُشَكِّل حديقةً رائقة تُمَثِّلُ جمالَ الذوق والتفكير السليم لدى القائمين على الجامعة .

وتعرفْتُ من جديد – وكان ذلك زيارتي الثالثة للجامعة – على مسيرة عملها ومنهج إدارتها ، وما شيد فيها من مبانٍ جميلة ، وما أُحْدِثَ من أقسام عديدة ، وما أُدْخِلَ على القائم منها من قبلُ من تعديل و تغيير.

وكلُّ شيء شاهدتُه سرّني سروراً بالغاً ؛ لأني وجدتُ الجامعةَ سريعةَ التقدم جدًّا ، و وجدتها ليست هي عملاً مُعاداً و وحدةً مضافة فقط إلى قائمة المعاهد و

الجامعات الإسلامية الأهليّة. وإنّما هي نوع جديد من التفكير و طور بكر من العمل وقع في روع فضيلة الشيخ المفتي أحمد الديولوي ثم تمثّل حقيقةً ماثلةً على أرض الواقع ، عندما صاحبته عزيمةٌ قوية وإرادةٌ صادقة ، ورافقه توفيقٌ إلهي ، فتهيأتْ له الأسباب ، وتوفّرتْ له الإمكانيات، وتعاون معـه فاعلو الخير من هذه المنطقـة الطيبـة ، الساكنـون كجاليات في عـدد من البلاد الأفـريقيـة والأوربية ، أو القاطنون في داخل الهند .

تقع الجامعة خارج مدينة "جمبوسر" - التي هي بدورها ليست كبيرة - وسط المزارع والحقول في جوّ صافٍ مُلْهِمٍ لم تُكدِّره كثافةُ السكان وتتابعُ البنيان وزحام الإنسان ؛ فمبانيها تلوح كصفحة الكف من جميع الجوانب ، ولا تزاحم عظمتَها الظاهرة أيضاً ناطحاتُ السحاب التي تكثر في المدن الكبيرة. وموقعُها هذا يُضْفِي عليه مسحةً من الجمال الساحر والروعة الأخّاذة ، فضلاً عن الذوق الطيب اللطيف للمسؤولين الذي تجلّى في إنشاء المباني و مراعاة التناغم بين مبنى وآخر . الأمر الذي جعلها قطعاً فنيّة هندسيّة معماريّة رائعة ، لا يسع زائراً أن لا يُعْجَبَ بها ولا يُشِيْدَ بفضل المسؤولين ، إلاّ أن يكون الزائر سيء الذوق لا يعرف أيّ فرق بين الجواد الأصيل والحمار السخيف .

أمّا المباني فكلُّها شامخةٌ رائعةٌ لافتةٌ للأنظار إلى جانب المتانة والصلابة التي اهتم بها المسؤولون اهتماماً خاصًّا . تدخل بوابة الجامعة الرئيسة فيُطَالِعُك محيطٌ واسع الأرجاء وأراض ممتدة الأكناف ، وتتجاوزها فيستقبلك من الجانب الأيمن مبنى ذو أدوار تعلوه منارات صغيرة وأبراج كثيرة تشكّل علامةً شاخصةً للبناء الإسلامي والمبنى الجامعي ، تُزَيِّنُ أروقتَه حنايا كثيرة وأعمدة جميلة ، تم إنشاؤه عام ١٩٩٧م ، هو مبنى الفصول الدراسيّة . ويُوَاجِهُك من الجانب الأيسر مبنى يشابهه في الطراز البنائي ويماثله في الشمـوخ والجمـال والجلال ، وهو مبني السكن الطلابي . ويتوسّطه بجنب البوابة على الجانب الأيسر مسجدٌ كبير ذو دورين و ذو رواقين ، عالي البنيان ، موطّد الأركان ، فخمٌ ظاهرُه ، هادئٌ داخلُه . وفي الجانب الأقصى الشمالي مبنيان أحدهما لمؤسسة التدريب المهني ، وثانيهما مبنى تعليم الحاسوب ، ومبنى المدرسة الثانوية العالية المُوَافَق عليها من قبل الحكومة الهندية ، وبجنبه مبنى تحت البناء لمؤسسة تعليم الاتصالات الإعلاميّة والتكنولوجيا المعلوماتية (Technology of information Scince) المسجلة لدى الحكومة . وتتجول في المحيط فتجد في الجانب الشرقي الشمالي مبنى قصيًّا مُفْرَداً ، وتسأل المسؤولين عنه ، فيقولون : إنّه يتوزّع بين قسمين شمالي وجنوبي . أما الشمالي فهو غرفة المعاسل الأوتوماتيكية الكبيرة لصالح غسيل ملابس الطلاب مجاناً من قبل المدرسة ، والقسم الجنوبي مكان مُخَصَّصٌ لتربية المواشي ولا سيما الجاموس . أما قلت لكم آنفاً : إنّهم يجدون من الحليب الخالص ما لا نتصوره في منطقتنا . والسرُّ يرجع إلى مباشرتهم لتربية المواشي . وتميل عن هذا المبني الجانب الجنوبي قليلاً فتجد برجاً شامخاً ذا أدوار ، وبعد السؤال تعلم أنه خزان ماء يزوّد الجامعة كلها بضرورتها من الماء . و تتزحـزح عنـه قليلاً فتمرّ بمبنى صغيـر هـو كـراج (Garage) سيارات الجامعة . وتتجاوزه إلى الجانب

صاحب كتاب "فقه السنة"
الشيخ سيد سابق إلى رحمة الله

شيّعت الأمّة الإسلاميّة يوم الإثنين ٢٣ / ذو القعدة ١٤٢٠هـ الموافق ٢٨/٢/٢٠٠٠م العالم والفقيه الكبير الشيخ السيّد سابق صاحب كتاب "فقه السنّة" الذي انتقل إلى رحمة الله تعالى بالقاهرة عن ٨٥ عاماً حافلاً بالجدّ والركض والجهاد في سبيل العلم والدين وخدمة الأمّة

وقد كان الفقيد من العلماء الأعلام في الأمة . الذين استضاءت منهم في دياجير العصر الحاضر. وقد أثرت مؤلفاته المكتبة الإسلاميّة ولا سيّما كتابه "فقه السنّة" المعروف في أرجاء العالم كلها، الذي كان ولا يزال من المصادر الرئيسة التي يرجع إليها العلماء والطلاب والعامّة والخاصّة

وكان رحمه الله قد ألف كتابه هذا في الخامسة والعشرين من عمره، وما زال هذا السفر - كما يقول د توفيق الواعي في العدد ١٣٩١ - ٢/ دو الحجة ١٤٢٠هـ = ٣/٧/ ٢٠٠٠م - تتقاصر أمامه المؤلّفات، وتصغر عنده الجهود والأفعال

﴿ والشيخ السيد سابق هو صاحب كتاب "فقه السنة" الذي يعدّ واحداً من أشهر المؤلفات الوافية والميّسرة في الفقه الإسلامي وقد توفي العالم الجليل عن عمر يناهز ٨٥ عاماً قضاها حتى سنواته الأخيرة بين كتب الفقه وبين طلاب العلم الذين كانوا يجتمعون في دروسه بمسجده بمدينة نصر، وهو من مواليد عام ١٩١٥م بقرية اصطنها بمحافظة المنوفية بمصر، وقد تعلّم في الأزهر حتى حصل على العالمية، ثم اشتغل بالتدريس في المعاهد الأزهرية، ثم عيّن في وزارة الأوقاف مديراً للمساجد والثقافة الإسلامية، ثم وكيلاً لوزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، وفي خلال هذه الفترة كان يعمل أستاذاً بجامعة الأزهر، ثم أعير إلى المملكة العربية السعودية رئيساً لقسم الدراسات العليا الشرعية بجامعة أم القرى

وقد سافر الشيخ السيد سابق إلى جميع دول العالم محاضراً في مراكزها الإسلامية ومساجدها، كما ذهب إلى الاتحاد السوفيتي ليكون أول عالم أزهري يتفقد أحوال المسلمين في جمهورياتها. وقد حصل الشيخ على جائزة الملك فيصل العالمية عام ١٩٩٤م عن كتابه "فقه السنة"، وهو الكتاب الذي يجد فيه كل مسلم ضالته، وقد تمّت ترجمته إلى جميع لغات العالم. كما تم إخراجه مؤخراً على أسطوانة ليزر مضغوطة باستخدام وسائط العرض، ووجد قبولاً واستحساناً من جميع الهيئات العلمية والشعبية، ويدرس في كثير من الجامعات في العالم الإسلامي

وقد صنّف الشيخ كتابه الأشهر " فقه السنة " في الأربعينيات من هذا القرن عندما كان شاباً يافعاً بتكليف من الشيخ حسن البنا - مرشد ومؤسس جماعة الإخوان المسلمين - ليجمع فيه ما تفرّق في كتب المذاهب، وليأخذ فيه منهجاً وسطاً يقوم على التخفيف عن المسلمين، وتناول القضايا المعاصرة التي استجدّت في القرن العشرين ولم يتناولها الفقهاء السابقون، وتميّز الكتاب أيضاً بالعودة في جميع الفتاوى والأحكام إلى المنبع الأصلي للفقه الإسلامي، وهو القرآن الكريم، وسنة النبي - صلى الله عليه وسلم - دون الإنحياز والتعصب لمدرسة فقهية معيّنة وقام الشيخ حسن البنا بكتابة مقدمة هذا الكتاب الذي ما يزال يحظى بشهرة واسعة وقبول كبير حتى الآن.

وبخلاف ذلك الكتاب. فقد قام الشيخ السيد سابق بكتابة العديد من الكتب، من أشهرها كتابه المتميز حول "العقائد الإسلامية" الذي قام فيه بشرح وتبسيط العقيدة الإسلامية دون أن ينجرف إلى المجادلات حول القضايا الشائكة التي انجرف إليها علماء الكلام، وله كتب كثيرة في معظم القضايا المعاصرة التي تهمّ المسلمين، وطبقاً لوصية الشيخ. فقد اكتفى أبناؤه بتشييع جنازته دون إقامة سرادق للعزاء.﴾

(العبارة التي هي بين الهلالين مقتبسة من مجلة "رسالة الإخوان" اللندنية عدد ذو القعدة ١٤٢٠هـ)

☆ ☆ ☆

الجنوبي الغربي فإذا أنت أمام مبنيين هما مساكن عائلية لأساتذة الجامعة .

وتُعْجَبُ إذا علمتَ أن ذلك كله تم في نحو أحد عشر عاماً فقط ، حيث أُسِّسَتِ الجامعة عام ١٩٨٨م، ووُضِعَ حجر الأساس لأول مبنى لها يوم ٢٨/٦/١٩٨٩م ، وهو مبنى الفصول الدراسية بينما وُضِعَ حجر أساس مسجد الجامعة يوم ٢٥/١/١٩٩١م .

وكأنّ عفريتاً من الجن أنبت هذه المباني من داخل الأرض في ظرف هذه المدة القصيرة . وذلك كله يرجع إلى إخلاص القائمين عليها وجدّهم المتصل ، وعلى رأسهم فضيلة الشيخ المفتي أحمد الديولوي الذي صاغ الله تفكيره صياغة خاصّة ، فهو دائماً يفكر في أعمال مُبْتَكَرَة تُخَرِّج النشءَ الإسلامي تخريجاً لائقاً ، ويؤهّله لأداء دوره في الحياة كمسلم واع عارف بدينه في جانب ، وعارف بأحدث ما توصّل إليه التقدم العلميّ والمهني والحرفيّ بجانب آخر .

☆ ☆ ☆

وسرّتني عنايتُه باللغة العربية التي لا تزال تشكو إهمالاً من قبل المسؤولين في هذه المدارس التي تُلَقَّن فيها العلوم كلُّها باللغة العربية ؛ ولكن نقيصة المنهاج الدراسي وطريقة التعليم تجعل الطالبَ لا ينطق بها ، ولا يكتب فيها ، ولا يتخذها وسيلةَ تعبير في حياته ، بل يظلّ ينظر إليها نظرةً فيها شيء من العداء ، أو على أقل تقدير ، شيء من اللامبالاة أو الظنّ بكونها غير مجدية بالنسبة للعلماء والدعاة في ديار العجم . إنّها نظرةٌ قاصرة ، نظرةٌ أساسُها ضيقُ الفكر ، وعدمُ فهم رسالة الإسلام فهماً شاملاً ، وعدمُ الوعي بأنّ العالِمَ لا يمكن أن يتعمق في علوم الكتاب والسنة ما لم يتعمق ويتذوق اللغة العربية . إنّها قضيةٌ مسلّمة لا تحتاج إلى دليل أو إبانة . ومن السذاجة بل البلاهة المتناهية أن يتساءل عالم متخرّج من مدرسة أو جامعة مُخَصَّصَة لتعليم العلوم الدينية : ما هي فائدة اللغة العربية ؟ . والإجابةُ عن السؤال بسيطة ، وهي : فائدتها فهم الكتاب والسنة . وقد جرّبتُ بنفسي – وأنا منصبٌّ على التدريس منذ ثلاثة عقود متتالية ، منذ أن كنتُ غضّ الإهاب في عنفوان الشباب – أنّ الطالب الضعيف في اللغة العربية هو الذي يتخرّج عالماً ضعيفاً في العلوم الشرعيّة ؛ فيعطف الجارّ على المنصوب وبالعكس ، أو يصل المرفوع بالمنصوب ، مهما أبى ذلك السياق ، ومجته طبيعة اللغة .

فشكراً لجامعة علوم القرآن هذه وغيرها من الجامعات والمدارس التي تُعْنَى باللغة العربية عناية تدلّ على حبّ القائمين عليها للغة الكتاب والسنة ولغة النبي العربي ﷺ الذي حبُّنا له لن يتمّ مالم نحبّ لغته أيضاً مع حبّ كلّ شيء آخر يتصل به ﷺ . على أن القضية ليست قضية الحب فقط ، وإنما تعلّمُ اللغة العربية فرض على المسلم لأن العمل بالدين فرض ، وفهم الدين يتوقف على فهم العربية ، وما لا يتم الواجب إلاّ به فهو واجب ، كما صرّح بذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه " اقتضاء الصراط المستقيم " .

كما سرّني سيرُهم مسيرَ إقامة المسابقات بين الطلاب على المستوى الداخلي وعلى مستوى عموم الولاية ؛ لأن المسابقات تدفع الطلاب إلى التنافس ، والتنافسُ في أعمال الدراسة والكتابة والبرامج الثقافية ينشئ فيهم روحَ الاندفاع إلى حيازة قصب السبق ومغالبة الزملاء والأقران ، وتحقيق الغاية القصوى ، والوصول إلى أبعد المرامي ، فيتخرّجون علماء أكفاء

تحتاج إليهم الأمة ، وتستفيد منهم الدعوة ، وتنتفع بهم العقيدة والرسالة ، ويتقدم بهم الوطن ، ويعمّ بهم الخير، وتسعد بهم الإنسانيّة . ذلك أنّ غير المؤهلين وغير الأكفاء لا يقدرون على خدمة أنفسهم فضلاً عن أن يخدموا غيرهم .

☆ ☆ ☆

وفي سياق المسابقات هذه ، عقدوا المسابقة الثالثة الكتابية بعنوان " شخصية أعجبتني " يوم ١٨/ جمادى الأولى ١٤٢١هـ = ١٩/ أغسطس ٢٠٠٠م : السبت في الساعة الثامنة والنصف ، وقد استمرت لليوم التالي الأحد ١٩/ ٥/ ١٤٢١هـ ، حيث أُعْلِنَتِ النتائج ووُزِّعَتِ الجـوائز ، وأُكْرِمَ المبـرِّزون ، وأُثْنِيَ على المجدّين ، وشُجِّعَ جميعُ المساهمين .

وكانت الأبحاث التي أعدّها الطلاب كما يلي:

السلطان محمود الغزنوي : الأخ سليمان أحمد . السلطان فتح محمد تيبو : الأخ نعيم يعقوب . الشيخ أحمد بن عبد الأحد السرهندي المعروف بـ " مجدد الألف الثاني " : الأخ جاويد سليمان . الحاج إمداد اللّه المهاجر المكي : الأخ أيوب محمد . الشيخ الجليل المجاهد السيد حسين أحمد المدني : الأخ إلياس قاسم . سيدنا عثمان بن عفّان رضي الله عنه : الأخ جاويد أحمد . الإمام الترمذي : الأخ عرفان محمد . الإمام الأعظم أبو حنيفة : الأخ إقبال عباس . الشيخ المقرئ صديق أحمد الباندوي : الأخ جاويد عبد الله . المفتى محمـود حسن الكنكـوهي : الأخ عاصم يوسف . الفقيـه الكبيـر المحـدث رشيد أحمـد الكنكوهي : الأخ أرشد أشرف . الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله : الأخ فيروز يونس . الإمام محمد قاسم النانوتوي مؤسس جامعة ديوبند : الأخ إلياس علي . شيخ الإسلام الحافظ ابن تيمية : الأخ عبد القادر . العلامـة الجليـل أشـرف علي التهانـوي المعروف بـ" حكيم الأمة " : الأخ أسعد أشرف . المحدث الجليل الشيخ محمد زكريا بن يحيى الكاندهلوي : الأخ ذاكر علي . السلطان صلاح الدين الأيوبي : الأخ طلحة صادق . سيدنا أبوبكر الصديق رضي الله عنه : الأخ شاكر محمد . الخواجه معين الدين الجشتي الأجميري : الأخ عمران عبد الله . الإمام البخاري أميرالمؤمنين في الحديث : الأخ إقبال يعقوب . سيدنا عمـر بن الخطاب رضي الله عنـه : الأخ أحمـد عبـد الستار . سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه : الأخ ساجد غلام .

☆ ☆ ☆

وإن فاق بعضُ الطلاب بعضَهم في جودة الكتابة، وروعة العرض ، وجمال الأسلوب ، وغناء المادة ؛ فإنهم جميعاً أثبتوا من خلال عرض حصيلة مجهوداتهم أنهم لم يقصّروا في الجدّ ولم يهملوا في الإكثار من القراءة ولمّ شتاتِ الموادّ ، وجمع كل ما يُثْرِي الموضوعَ ، ويجعل البحثَ أكثرَ جدوى . ولذلك قلت : يوم ١٩/ جمادى الأولى ١٤٢١هـ : الأحد في خطابي – الذي أعقب خطابَ الشيخ المفتى إسماعيل شيخ الحديث بالجامعة ، الذي أجاد الخطاب ، وأفاد الطلاب ، وأغلى النصيحة ، وأجلى الأمور التي ينبغي أن يتقيّد بها الطلاب خلال مشوارهم السباقي و رحلتهم العلميّة و تحرّكهـم ضمـن التنافس في المواضيع الثقافية : الكتابية والخطابيّة – قلت فيه :

إنّكم جميعاً – أيها الطلاب الأعزّاء ! – ناجحون في هذه المسابقة ، لأنّ أصل النجاح أن وُفِّقْتُمْ للمساهمة في هذا العمل الخيّر الطيب ، فقرأتم الكتب

والأبحاث التي تتحدث عن هؤلاء الأعلام الذين مجرّدُ ذكرهم يقوّي الإيمان ، و يشحـذ الأذهـان ، و يدفع للعمل ، وينعش الأمل . إن التوفيق للقيام بعمل حسن هو النجاح الأوّل الأصيل الذي يكسبه القائم به ؛ لأنّه لم يُوَفَّقْ له إلاّ إذا أراد اللّه به خيراً ، وقدّر له فلاحاً ، وحاز له سعادة . إن الإيمان بأنّ التوفيق لعمل من أعمال الخير إنما هو النجاح الطيب الذي يحققه الإنسان ، يجعل المرأ متفائلاً ، مندفعاً إلى الإمام ، مجتنباً من الإحجام ، مصونا من اليأس والإحباط ، والقعود عن العمل . ولا سيّما إذا وضعنا في الاعتبار – ويجب أن نضع – أنّ النجاح في المسابقات أو الامتحانات ليس علامة حقيقية قاطعة على كون الناجح هو الفائق في الموضوع الذي نجح فيه ؛ فقد يجوز أن ينجح من هو الأقل كفاءة ، وأن يفشل أو ينجح بالدرجة الثانية أو الثالثة من هو الأكثر أهليّة . ولكننا نحن الإنسان نحكم بالظواهر ، واللّه وحده يعلم السرائر . والحكمُ بالظواهر هو الشيء الذي هو مقدورنا . من هنا جعلنا الحصولَ على العلامات الأكثر ، علامةً على التفوّق ، على حين إنّه يجوز أن يحصل العلاماتِ الأكثرَ من هو الأدنى أهلية ، وأن يتخلّف في الحصول عليها من هو الأرفع كفاءة .

وأضفتُ قائلاً : إن دراسة السيرة النبوية وسير الصحابة والتابعين وسير العلماء والصالحين تهذّب الأخلاق ، وتـؤدب النفس ، وتصـوغ الإنسان في القالب المرضي لدى الإسلام ، وتنحته إنساناً مطلوباً لدى الله . كان النبي ﷺ وسلم أسوة حسنة ، وما دام حيًّا ظلت الأمة متمثلة في الصحابة رضي الله عنهم تقتدى به ﷺ في جميع طرائقه في الدين والدنيا وفي جميع حركاته وسكناته ، وبعد لحاقه بالرفيق الأعلى كان المتخرجون في مدرسة النبوة : الصحابة قدوة للأمـــة ، وبعـدهم التابعـون والأئمة المجتهـدون والمحدثون والصالحون . وهؤلاء وإن لم يكونوا أحياء اليوم في أشخاصهم فإنهم أحياء في تراجمهم وسيرهم المُدَوَّنة في الكتب ، المُسَجَّلَة في المؤلفات . ودراستُها، والتشبّعُ بها ، والصدورُ عنها في الأقوال والأعمال يضمن الصلاح ، ويكفل السعادة و يهيئ للمسلم المناخ الملائم الذي إذا عاش فيه تخرّج عبداً مستقيماً وإنساناً سويًّا ؛ لأن سيرهم وتراجمهم سير الإنسان في مشواره الطويل ، ورحلته المتصلة في الفقر والغنى ، وفي السرّاء والضراء ، وفي الامتحان والإكرام، وفي قرّ الحيـاة وحـرّها ، وفي المواقف الكثيـرة ، والمنعطفات العديدة ، والمجريات المتنوعة ، التي قد تسبب اليأس وقد تنعش الأمل ، وقد تشجع وقد تثبّط ، وقد تشرق إشراقة النهار الباسم ، وقد تظلم إظلام الليل البهيم . فيتعلم الإنسان كيف يتعامل مع هذه الأحوال في إطار المنظور الإسلامي ، وكيف يعبر الأشواك والقتاد دون أن يتورّط ذيله في شوكة ما .

إنّ دراسة هذه السير مع دراسة الكتاب والسنّة ، كافية لتكوين الإنسان الصالح ، وتقويم الأخلاق ، وتصحيح المسار ، وتعديل كل معوجّ في الحياة الفرديّة والجماعيّة . وحبّذا لو تمتع الإنسان إلى جانب ذلك بصحبة رجل عالم صالح مصوغ في قالب هذه السير ؛ فإنّه إذاً يزداد نوراً على نور ، وصفاء على صفاء، وعفافاً على عفاف ، ويتقدم في سمو القيم تقدماً قد تغبطه عليه الملائكة .

ومن هنا فإنّ النماذج المشوّهة من البشر التي حاولت ولا تزال عبر التأريـخ الإسلامي أن تشـوّه سيرهم ، وتكدّر صفو عظمتهم ، وتقرّر أن أبا بكر وعمر

كانا صنمي قريش ، وأنهما – ونعوذ بالله من ذلك – لم يسلما قط ، وأنهما إنّما تعلّقا بركب النبي ﷺ من أجل الحصول على كرسي الحكم والمنصب والجاه ؛ أو الـذين حاولوا – ولا يزالـون – أن يقزّموا قامات العمالقـة من الأئمـة الأعلام حتى يبرزوا هم فارعي القامة .. هؤلاء وأولئك كلهم جديرون بالرفض ، جديرون بالاستنكار ، والإلقاء في القمامة .. قمامة التأريخ أو سباطته . وقد ألقاهم التأريخ فيها قبل أن نلقيهم فيها نحن ؛ لأنّ الذي يبصق في وجه الشمس فإن البصاق لن يصيبها وإنّما يصيبه هو ، ذلك هو منهج اللّه فـي الحيـاة ، وسنتـه في البشر ، وطريقتـه في إدارة الكون .

فكونوا – أيها الإخوة الأعزّاء ! – على انتباه دائم وحذر مستمر من أن تكونوا فريسةً لهؤلاء الأشقياء الذين يُسْخِطُهم ما أكرم اللّه به صحابة نبيه ﷺ من العظمة التي دونها عظمةُ من بعدهم مهما علا وعلا في الدين والدنيا ، أو الذين يُغْضِبُهم ما خصّ اللّه تعالى به بمشيئته كثيراً من عباده المؤمنين ، من التابعين والأئمة والمحدثين ، والفقهاء والصالحين وخَدَمَة الدين ، من شتى النواحي ، من المكانة الرفيعة ، والذكر الحسن ، والمحبوبية لدى الخلق ؛ فيطعنون فيهم ، ليشتفوا مرضاً من أمراضهم ، أو يشبعوا غرضاً من أغراضهم . زادهم الله مرضاً على مرض ، وأمهلهم يسدرون في أغراضهم وآمالهم العريضة في هذه الدنيا التي هي ظل زائل ، وحسرتُها قائمة باقية أبداً .

هؤلاء وأولئك يودّون أن نعود سَيِّئِي الظنّ بهؤلاء البررة الأخيار ، حتى نعود أشقياء في الدنيا والآخرة ، وحتى لا يبقى لنا من الماضي الزاهر الزاهي سندٌ نستند إليه ، ومنوالٌ ننسج عليه ، وقدوة نحتذيها ، ولا يعود لنا إمكان لنكون على مستوى خير أمة أُخْرِجَتْ للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر و تؤمن بالله .

إنّه لمن من حسن حظّنا ورحمة اللّه بنا وخياره في شأننا نحن أمة محمد ﷺ أن أوجد تعالى فينا أمثالَ هؤلاء الأخيار من الصحابة والتابعين والأئمة والأعلام والصلحاء – الذين يُوْجَدُوْنَ في الأمة باستمرار – الذين تغبطهم الملائكة وتحسد نجومَ الأرض هؤلاء نجومُ السماوات . يوجدون فينا ولا يوجد مثلُ واحد منهم في غيرنا مهما ادّعوا . فلنفتخربهم ، ولنقدّرهم حق قـدرهـم ، ولنَحْـذُ حذوَهم ، ولنستضيء بسيرتهم ، ولنحاول – قدر المستطاع – أن نكون مثلهم في القول والعمل .

☆ ☆ ☆

قبل صلاة الظهر انتهت الحملة بدعاء أخينا الفاضل الشيخ المفتي إسماعيل ، وبعد تناول الغداء وصلاة الظهر ، تركوني مُفْرَداً في الغرفة ، لآخذ حظيّ من القيلولة والاستجمام ؛ ولكنّي ظللتُ مشغولَ التفكير والجوارح لاتخاذ استعداد لرحلة العودة التي كان لا بدّ لي أن أقوم بها بعد صلاة المغرب مباشرة ، حتى أصل إلى " بروده " فأركب منها القطار المتّجه لدهلي في نحو الساعة الحادية عشرة ليلاً .

وقد غمرني فضيلة الشيخ المفتي أحمد الديولوي وإخوانه الأساتـذة المتخلّقـون بأخلاقـه وعدد من الطلاب المُرَبَّيْنَ تربيةً إسلامية صالحة ، بالحفاوة والحبّ البالغين اللذين تركا في نفسي انطباعاً لا يمحّى وذكرى لا تزول .

وقد قالت نفسي : إنّهم إذا بَقُوْا على ماهم عليه مـن الجهـد و العزيمـة والحماس وروح التضامن والاتحاد وحبّ العلم وأهله عن إخلاص ؛ فإنّ هذه

الجامعة لا تلبث أن تكون مثاليّة في المنطقة الواسعة ، وسيُتَاحُ لها أن تخدم الدين وعلومه بشكل مُبْتَكَر يتطلبه العصر ، وتقتضيه الساعة ، ويفرضه الوعي الإسلامي الصحيح ، وتستوجبه قراءةُ الظروف قراءةً تمليها الفراسة الإيمانية والألمعية الدينية . ويعني ذلك هو الجمع حقًّا بين القديم الصالح والجديد النافع ، الذي تتبناه الجامعة منذ اليوم الأول .

فيما بعد صلاة المغرب من ليلة الاثنين : ١٤٢١/٥/٢٠هـ تناولنا عشاءً جميعاً على إلحاح من فضيلة الشيخ أحمد الديولوي ، ثم وَدَّعنا هو وزملاؤه وعلى رأسهم الأخ الشيخ المفتي إسماعيل ، وركبتُ السيّارة وركب معي عدد من الإخوة من بينهم نائب الشيخ أحمد الديولوي : الشيخ إقبال الفلاحي الخانبوري و النجل الأكبر للشيخ أحمد : الأخ العزيز الأستاذ أسجد القاسمي ، وغيرهما من الإخوان الذين إن نسيتُ أسماءهم فلن أنسى حبهم وأنسهم ، ومهما نسيتُ منهم فإن ربهم الشكور لن ينساها .

وصلنا " برودة " قبل موعد القطار بوقت كاف ، فقصدنا أولاً المسجد الجميل المجدد البناء المجاور للمحطة ، وأدينا صلاة العشاء ، وكان إمام المسجد – الذي أخبره الشيخ المفتي أحمد بقدومنا إلى " برودة " في ساعة مُتَوَقَّعَة – في انتظارنا ، ليكرمنا بالشاي وماجرت معه العادة عليه في ديارنا من البسكويت وأمثاله . فجزاه الله خيراً وشكر حبّه .

ثم اتجهنا إلى المحطة التي كانت على علوة من المسجد ، وقد بقي نحو نصف ساعة في موعد القطار . وودّعني الإخوة على الرصيف رقم ٢ ، ولم يتركوني إلاّ بعد ما ركبتُ القطار ، وتحرّك متجهاً لدهلي .

☆ ☆ ☆

ثلاثـــة أيّـــام

في رحاب جامعة إشاعة العلوم بـ"أكل كوا"

وكذلك على إلحاح متصل منذ ثلاث سنوات من قبل فضيلة الشيخ غلام محمد الوستانوي مؤسس و مدير الجامعة الإسلامية إشاعة العلوم ببلدة " أَكَّلْ كُوَا" (Akkal Kuwa) بمـــديـريّـــة " نَنْــدُورْبَــارْ " (Nandurbar) بولاية " مها راشترا " زرتُ الجامعةَ في الفترة ما بين ١٩- ٢١/ رجب ١٤٢١هـ الموافق ١٨-٢٠/ نوفمبر ٢٠٠٠م : الأربعاء-الجمعة ، كضيف شرف في الحفلة السنويّة للنادي العربي بالجامعة ، التي عُقِدتْ في صباح يوم الخميس : ٢٠/ رجب ١٤٢٠هـ فيما بين الساعة التاسعة والساعة الواحدة ، برئاسة الشيخ الوستانوي وحضور جمع كبير من أساتذة الجامعة والعلماء المدعوين من شتى مناطق "غجرات" و " مها راشترا " وعلى رأسهم الأخ الفاضل الشيخ محمد إقبال الفلاحي الندوي المدني كبير أساتذة جامعة فلاح الدارين ببلدة " تركيسر " بمديرية " سورت " بولاية " غجرات " .

وبدأتُ السفر من ديوبند يوم ١٨/ رجب ١٤٢١هـ بالقطار السريع المتحرك منها لدهلي في الساعة العاشرة صباحاً ، في صحبة الأخ الأستاذ المقرئ عبد الرؤوف القاسمي – أحد أساتذة قسم التجويد والقراءات بالجامعة الإسلامية دارالعلوم / ديوبند – وتلميذه الأخ ناصر محمود البربي . ووصلنا دهلي في الساعة الواحدة والنصف ، ونزلنا في مقر جمعيّة علماء الهند بدهلي لدى الأخ الأستاذ معزّ الدين القاسمي العوندوي أحد المسؤولين في المقر . وشرينا بعض الحوائج اللازمة للسفر من السوق القريبة .

وتناولنا وجبة غدائية خفيفة حملتُها جاهزةً من بيتي . وخلال ذلك أظلّتِ الساعة الرابعة ، فركبنا سيارةَ أجرة طلبناها من موقف سيارات الأجرة المتصل بالمقر ، ووصلنا محطّة " حضرة نظام الدين " بدهلي الجديدة . ودخلنا بوّابة المحطة فعلمنا من خلال شاشة الإعلان الأتوماتيكية أن قطار " أغسطس كرانتي " المحجوزة مقاعدُنا في إحدى عرباتها ذات الرقم A1 سيتحرك من الرصيف ٣ ، فقصدناه توًّا بحقائبنا الخفيفة حتى ننتظر في اطمئنان مجيئَه عليه ، دون أن نتحرّى موعدَه جالسين في غرفة الانتظار (Waiting Room) في الرصيف ١ ، كما كان رأي الأستاذ عبد الرؤوف . في الساعة الرابعة والنصف جاء القطار يتهادى ووقف على الرصيف ، وكنّا نتحرى عربتنا التي تجاوزت قليلاً المكانَ الذي كنا ننتظرها فيه ، فبادرنا إليه بعفشنا . وبما أن القطار جميعُ عرباته مكيَّفَة محكومة بمراقبة مسؤولين متخصصين ، فلا يركبه أحد من الطفيليين المسببين للزحام المؤدي ، كما يحدث مع معظم القُطُر في الهند ؛ حيث أصبح السفر صعباً مرهقاً للغاية رغم الحجز المسبق حتى في العربات المكيفة التي تكالُيفها باهظـة حدًّا ، حتى لم يعد إلاّ نوع أو نوعان من القُطُر يجوز أن يُسْتَثْنَيَا من هـذه الظاهـرة المؤلمـة ، وفي المقدمة قطار "راجدهاني إكسبريس" (Rajdhani Express) وما يماثلـه .

في الساعة العاشرة انتهينا من العَشَاء و من صلاة العِشَاء ، ثم استلقينا على مقاعدنا ، لنقصي الليل . ورغم كون القطار سريعاً مريحاً ، وكون العربة هادئة ، لم أستعرق أنا في النوم كعادة معظم الناس ؛ لأني رجل حدُّ حساس ، ومن عادتي أن أظلّ في الأسمار بين النوم واليقظة ، تحسّباً للأحوال المفاجئة المتوقعة في الرحلات . ومهما تكن عندى ساعة منبهة ، أو ضَمِنَ العامـل المخصص لإيقاظ الـركاب قبيل منـازلهـم بسويعـات ، أنّـه سيوقظني في المحطة المطلوبة ؛ فإني مضطر من أجل ما فُطِرْتُ عليه من التأهب المبكر جدًّا لكل وظيفة في الحياة ، أن أظلّ نائماً ساهرًا ، أنظر في ساعة يدي من وقت لآخر ، ولا سيّما إذا قرب الموعد .

ففي الساعة الثالثة من الهزيع الأخير من الليل ، استيقظتُ ، وانتهيتُ من الحوائج البشرية ، وتوضأتُ ، لأكون على استعداد مسبق لأداء صلاة الفجر ، وما إن أظل ميعاد الفجر حتى انتهيتُ من الصلاة ، ثم طلتُ أتحرّى كل محطّة يقف فيها القطار ، أراقب الأمكنة التي يتهادى فيها وتخفّ سرعتُـه ، حتى لا أتجاوز محطة مدينة " بروص " (Bharuch) التي كان من المقرر أن ننزل عليها . وقد ظلّ رفيقاي في سفري هذا غاطّين في نوم عميق مرتاحي البال ، لم يشغلهما التفكير في شيء مما طلتُ أضعه في الاعتبار ؛ حتى أيقظتُهما في الساعة الخامسة إلاّ ربعاً . وكان ميعاد وصـول القطار إلى محطـة " بروص " الخامسة والنصف ؛ ولكنه وصله متأخراً في الساعة السادسة والربع . ونزلنا من القطار فوجدنا من حسن الحظ المستقبلين من أساتذة الجامعة أمام باب عربتنا ، كان من بينهم الأخ افتخار أحمد القاسمي و الأستاذ محمد آدم أحد المقرئين الأستاذ بالجامعة الذي كدتُ أنسى اسمه ؛ حيث أنسى الأسماء عموماً ، ولكن يظلّ حبُّ الأشخاص محفوراً في الذاكرة ؛ والطالب محمد زكريا السورتي .

وخرجنا من المحطة وركبنا سيّارة " سفارى " المريحة ، وكان الوقتُ بهيجاً يفيض روعةً وسحراً ،

ويوحي بالفرح والسرور ؛ حيث لازال الجوُّ ملبداً بسواد شاحب من الليل يكاد جيش أضواء النهار يطارده ، وتكاد الشمسُ يطلع قرصُها الذهبيّ ، وكان النسيم العليل يداعب الجوّ بلمسات ناعمة خفيفة . وسرنا خطوات إذ قال لنا الأساتذة المستقبلون : ها نحن أولاء لم نصلّ الفجر ، أ فأنتم صليتموه ؟ قلنا : نعم ، قد انتهينا منها في القطار في أول الوقت . فهرعوا إلى المسجد المطل من مرتفع على الشارع الذي بدأنا نقطعه ، وكان المصلّون يخرجون منه بعد ما صَلّوها جماعة .

ثم سرنا على بركة الله تنهب بنا السيارةُ الشارعَ نهباً ، وقد فتحنا نوافذها لنتمتع بالمنظر الجديد علينا ، الخلاّب في معظم المراحل ؛ ولكن سرعة السيّارة جعلت الريح تهبّ علينا مزعجةً تضرب وجوهنا بقساوة ، وتهز أشعار لحانا بشدة ، وتقذف علينا من الغبار ما تستطيعه ؛ فأغلقنا النوافذ ، وشغّلنا المكيّف على أدنى درجات السرعة .

وهذه المنطقة الممتدّة فيما بين " عجرات " و "مهاراشترا " ليست بمخصبة تصلح للزراعة كما تصلح لها أراضي ولايات يوبي – ولا سيّما منطقتها الغربية – وهريانا والبنجاب ؛ ولكنها عامرة بالمصانع المتنوعة التي تجلب لها من الرفاهية والرخاء ما لا تجلبه الزراعة في المناطق الأخرى . كما أن كثيراً من أراضي هذه المنطقة المهاراشتية صالحة جدًّا لزراعة الموز الذي شُجيراتُه الخضراء قائمةً في الحقول تُشَكِّل مُسَطَّحات خضراء فاتنة الجمال يُؤْخَذُ بها الناظر بحيث تظلّ عيناه عالقتين بمنظرها الجذّاب . وقد قابلتنا حقولُ الموز هذه في كثير من المواضع بين جانبي الشارع الذي سلكناه من "بروص " إلى " أكَلْ كُوَا " بطلعتها المخضرة المحبوبة السارة . والخضرةُ تسرّ الناظرين ولاسيّما في المناطق الجافّة التي تشكو قلة المياه ، وتكثر فيها الأراضي السبخــة ، وتقل فيها الأمطار، وتندر فيها الأنهار . فإذا وجد الإنسان فيها بقعة خضراء وواحة معشبة ، فكأنّه يجد فيها ما يناقض ذلك الجوّ ويضادّ تلك الأراضي ، فهو يُسَرُّ بالخضرة في أرض جافّة ، وبالعشب في منطقة قاحلة جرداء . ومن طبيعة الإنسان أنّه يُسَرُّ و يُعْجَبُ بالنقيضين إذا اجتمعا .

كما سرّنا في بعض هذه المناطق المرتفعات التي تخلّلتها منخفضات ، وكلتاهما مُحلاّة بأشجار الساج التي تشكّل عبر مساحة طويلة على جانبي الشارع غابةً غنّاء ، ظلالُها كثيفة ومناظرُها مطربة ، وجوُّها هادئ رهيب ، يتحوّل فيها النهارُ ليلاً متوحّشًا ، اللهم إلاّ بعض المارة يطلع أحياناً من بعيد فيستأنس به السالك على هذا الطريق ، أو بعض الشاحنات والحافلات التي تمرّ بك في فترات متباعدة ، فتشعر أنك لست وحدك تطأ هذا الشارع المتوحش الذي يوهم المسافرين في كثير من الأحيان ، كأنّ عصابةً لقطاع الطريق جالسةٌ بمرصادهم ، وتكاد تهجم عليهم بمجرد تأتّي الفرصة ، أو كأنّ الجنّ السود والسعالي المتجولة في مثل هذا الخلاء العراء تكاد تجعلهم لقمة سائغة .

ولم تكن هذه المناظر البديعة وحدها التي جعلت رحلتَنا ممتعةً ، وإنّما زادتنا متعةً نفسيّةً ولذّةً روحيّةً الأحاديثُ المتنوعة التي كان قوامُها جمةُ الروح والفكاهةُ ، والحكمة والكياسة ، والعفويّة والانفتاح ، الأمر الذي يتأتّى عندما تستحكم الثقة بين الرّفاق ، ويغلب الطبع على التطبّع ، والعفوية على التصنّع ، ويزول كلّ طلّ من التحفّظ الذي يتقيّد به الرفيق نحو الرفيق ما دام نوع من الأجنبية قائماً بينهما . ذلك أنّي

قد وجدت رفيقيّ اللذين صاحباني من ديوبند والإخوة الدين جاؤوا يستقبلوننا من " أكل كوا " ليسوا بإذن الله إلاّ مُصَافِيْنَ .

وكما نتجاذب أطراف الحديث المكاهي والعلمي والثقافي والدعوي ، إذ طلعتْ من الجانب الأيسر سلسلةٌ من الجبال لم تنتهِ حتى عندما وصلنا " أكل كوا " حيث وجدناها داهبةً إلى مسافة تعيب عن أنظارنا وتحسر عنها أبصارنا . وقال لنا الإخوة : إنّها تُعْرَفُ بـ " جبال سَتْ پُرْوَا " (Satpurwa) وهي ممتدة من هذه المنطقة إلى مناطق ولاية " مدهيا براديش " .

وإذا كانت الجبال والسهول كلُّها من مخلوقات الله ، فإنّ الجبال بالنسبة إليّ ظلّت آيةً عجيبة من آيات الله ، فهي تقر العين ، وتفرح القلب ، وتدعو العقل لتفكير طويل وتأمل دائم ، وتؤكّد الإيمان بأنّ الله أقوى من كل شيء ، وأكبر من كل شيء ، وأجلّ من كل شيء ؛ حيث إن هذه الجبال الشامخات الراسيات الهائلات الوقورات أيضا ، جزء من خلقه البديع . إنّ خالقها أجلّ منها بالتأكيد .

قد تكون الجبال للجبليين شيئاً عاديًا لا يُلْقُون إليها بالاً ؛ لأن الأشياء مهما كانت غير عاديّة ، تصبح عاديّة لدى الإنسان إذا عايشها طويلاً ، و تَعَامَلَ معها ليلَ نهارَ ، وكانت ممنوحةً له دونما كلفة ، يتمتع بها كيفما يشاء . ولكن الجبال بالنسبة إلينا نحن السهليين ليست فقط مصدر روعة وجمال ، وصفاء وإلهام ، وتذكّر و تدبّر ، وإنّما هي بصلابة سيتها ، وشموخ قممها ، وبشعابها الملتوية ، وقعورها العميقة المخيفة، ووديانها الجارية بمياه صافية كالمرآة ، وأحجارها الوعرة ذات أطراف حادّة ، وأشجارها الهائلة الرهيبة لأنّها نبات الجبل وبنات الحجر .. تستقطب حقًّا اهتمامنا وتفكيرنا ، وتجعلنا نتابع فيها النظر ، ونسّرح عليها البصر ، ونطيل فيها التأمّل ، ونقارن بينها وبين الفضاء البسيط الرحب أمامها ، فيُعجبنا شموخها وشهوقها كما يعجبني تواضعه وبساطته . وسبحان من خلقها وخلقه ، وجعلهما آية ناطقة بكبريائه وجبروته .

دخلنا " أكل كوا " فعرفتُ أنّها هي ؛ لأنّه قد سبق أن زرتُها مرتين من قبل على دعوة مخلصة من فضيلة الشيخ الوستانوي . ودخلنا بوّابة الجامعة والساعة تاسعة ونصف ، وأنْزَلَنا الإخوة في غرفة الدور الثاني من دارالضيافة ، وما إن استقر بنا المقام ، حتى حضر الشيخ الوستانوي إثر علمه بوصولنا ، وقد كان يرعى حفلة شتى المسابقات التي ابتدأ انعقادها منذ الساعة الثامنة من هذا اليوم : الأربعاء ١٩/ رجب ١٤٢١هـ في شتى الموضوعات الإسلاميّة . فرحّب بنا أيّما ترحيب وأبدى غاية سروره بوصولنا وتواجدنا في رحاب الجامعـــة .

ورغم أننا قد تناولنا الشأي في بعض المقاهي الصغيرة على الطريق بين " بروص " و " أكل كوا " حيث أصرّ لذلك علينا الإخوة المستقبلون ، ونزلنا عند إصرارهم ولاسيّما لأن شأي الصباح يتعوّده الكتّابُ والمثقفون أمثالنا عموماً . ولا يمكنهم تأخيره لوقت أطول ؛ حيث إن الاستيقاظ من النوم لا يتمّ بدون شأي الصباح وأنّ الطبيعة لا تجاري عملاً من الأعمال ، حتى لا تتهيّأ للحديث العادي فضلاً عن التفكير في موضوع.

ولكنّ الشيخ الوستانوي المضياف ذا الأريحيّة ، ابنَ غجرات المطبوع مسلموها على الكرم والجود ، لم يَرْضَ بالشأي والفطور اللذين تمّ تناولهُما في غيابه ، فأمر الخدم بإحضار مائدة حافلة بأنواع موادّ الفطور

تحلّق حولها ضيوف آخرون بالإضافة إلى رفيقيّ : الأستاذ عبد الرؤوف والأخ ناصر محمود .

وجلس بجنبنا يحرضنا على الإكثار من الفطور، وما لبث أن زهّدنا فيه قائلاً : إن هناك اليوم مأدبة غدائية شهية دسمة خاصّة دُعِيَ إليها جميع الضيوف والأساتذة والطلاب وأُعِدّت من قبل أحد فاعلي الخير المخلصين ، فحبّذا لو لاحظتم ذلك في فطوركم هذا . وما إن سمعتُ ذلك - ولم أدر موقف الإخوة الضيوف الآخرين - حتى جعلتُ أتباطأ في الإصابة من الفطور ، حتى أُشْبِع نهمتي في لذيذ الطعام ، وأُرْضِي شهيتي في هذا الطبق الفذّ الذي لا يعرفه الناس عندنا في المناطق الشمالية والشرقية . ولكنّه عندما مُدّت السفرة بعد صلاة الظهر مباشرة في بعض القاعات الدراسيّة المجاورة لدار الضيافة ، وذهبتُ إليها على جناح الشوق خفيفاً مسرعاً ، وأخذتُ مكاني منها أُمنّي نفسي الأماني ، وهجمتُ على الرزّ المطبوخ مع لحم الغنـــم الوفير ، فما إن قذفتُ في فمي لقمةً أو لقمتين ، حتى احترق جميــع مــا بين الفم و الأمعـــاء والمعدة ، من كثرة الفلفل الأحمر والتوابل الحرّيفة التي استخدمها الطهاة ليجعلوا الطبقَ أكثر لذّةً . وفعلاً كان لذيذًا جدًّا للإخوة أبناء المنطقة ؛ حيث وجدتُهم انهمكوا في تناوله بشكل لم يلتفتوا معه إلى شيء حتى أتوْا على آخر لقمة كانوا قد وجدوا لها مجالاً في معدهم . ومن هنا أعلن الشيخ الوستانوي أن نتهيّأ نحن الضيوف لمواجهة موقف الطبق الشهيّ هذا ، لأنّه قاسَنَا بنفسه وبأبناء منطقته فيما يتعلّق بالغرام بالفلفل الحارّ والتوابل " المدمــرة الفتاكــة " . غفر اللّه له هذه " الزلّة " وجميع الزلاّت في الحياة .

بعد الفطور تَرَكَنا الشيخ الوستانويّ نتخلّص من تعب السفر ، ولكن الإخوة الأساتذة ما سمح لهم حبّهم لنا أن يتركونا وحدنا ؛ فدخلوا علينا أفواجاً حتى غصّت بهم الغرفة . كان بعضهم من المعجبين بالأخ الأستاذ عبد الرؤوف ومعظمهم من معارفي أنا ، وعلى رأسهم الإخوة الأستاذ محمد أسلم القاسمي والأستاذ افتخار أحمد القاسمي والأستاذ صدر الحسن القاسمي والأستــاذ المفتي محمـــد إسحاق مـن ساكني مدينة " ناكبور " الذي كدت أنسى اسمه نسياني لأسماء آخرين من الأساتــذة والطلاب وحفظت ابتسامتــه وخلقه الطيب وتعامله السار - و قد ظلّ هؤلاء عبر إقامتي بالجامعــة مدة ثلاثة أيام يلازمونني ملازمة الظلّ ، ولا يفارقونني إلاّ عند موعد المنام في الليل أو لحاجة ماسّة أخرى - و كذلك الأستاذ وليّ اللّه البستوي الذي حبّه " الضّاغط " لم يدعني أعتذر إليه من حضور حفلة الشأي التي أقامها على شرفنا بعد صلاة عصر يوم الخميس ٢٠/ رجب ١٤٢١هـ ، رغم امتلاء البطن وكثافة الطبع . ومهما يُؤْدي الحبيبُ من المقة ، كما نصّ على ذلك الشاعر الخالد المتنبيّء ؛ فإنّ الحبّ له مقتضياته وله حقوقه التي يجب على الحبيب أن يخضع لها .

قضيت الوقت فيما بعد صلاة المغرب من ليلة الخميس وكذلك فيما بعد صلاة فجره مباشرة في التّجوال في رحاب الجامعة مع عدد من الأساتذة ، لأتعرّف على ما تمّ إنشاؤه من مباني الجامعة ؛ فدُهِشْتُ من المباني الكثيرة ذات الأغراض العديدة التي كأنّها نبتت من داخل الأرض خلال الأعوام الثلاثة التي سبق لي أن زرت الجامعة قبلها ، فكانت هناك مباني تحفيظ القــرآن ، والــدراسات العربيــة الشرعيــة ، ودار الضيافـــة ، وقاعــة الطعــام ، وســوق السلام ،

ومستشفى السلام ، و وحدة قصر خديجة السكنية ، وعدد من الوحدات السكنية العائلية للأساتذة .

أمّا الآن فقد بقيتُ حيرانَ أمام المباني الشامخة الهائلة ذات الأدوار والقباب والأبراج ؛ فهذا مبنى كبير فريد يلفت الأنظار بجلاله ووقاره ، وبوابته العريضة الطويلة ، يشمخ على الأرض شموخ الجبل . وهو مبنى دار القرآن الكريم الذي يكاد يتمّ بناؤه ، يسع ١٥٠٠ طالب تحفيظ و تجويد سكناً ودراسةً وصلاةً جماعة ومطعماً وكلّ ما يحتاجون إليه للانصراف إلى الدراسة في هـــدوء وفـي جـوّ كلّــه علمي تـربـويّ يجعلهـم يتخــرجـون حفّاظـاً ومجــوّدين بَرَعَــة في القراءات ومتضلّعين من هذا الفن الشريف . قلت للإخوة : إن المبنى جليل يليق بعظمــة القــرآن وسمــوّه ؛ حيث تتصاءل أمامــه جميعُ المباني الجـامعيّة تصاءلَ كل كلام في الكون أمام كلام اللّه سبحانه وتعالى .

وهذا مبنى آخر رائع مبنيّ على قاعدة مرتفعة ذو أدوار ثلاثة أيضا ، يجمع بين الطراز البنائي الإسلامي القديم وبين الأسلوب المعماريّ العربي الحديث ، يبدو كأنّه قُلِعَ عن بلد عربيّ من البلاد الخليجية وأُثْبِت في هذه البلدة العجميّــة النائيــة . وهـو مبنى كلية أحمد غريب للطب اليـوناني الذي تم إنشاؤه على نفقة من فاعل للخير من الكويت .

وعمّا قريب سيتمّ افتتاح الكلية هذه التي حصل الشيخ الوستانوي لها على الموافقة والترخيص من قبل الحكومة الهنديّة ، حتى تكون شهاداتها مقبولة لديها ويكــون المتخرجــون من الشباب المسلم حاملين مؤهلات معتبرة تعينهم على العمل في مجالات الخدمات الطبيّة ، و على كسب لقمة العيش ، وعلى عيش حيـاة كريمــة ، وعلى خدمــة الشعب المسلم عن ثقــة .

وعلى الجانب الآخر مــن الشارع وهــو الجانب الشرقي أيضاً حصلت الجامعة على أراض واسعة ، وأعدّوا لها مُخَطّطًا رئيساً . وقد رأيت في جانب منها أعمدة ترتفع بالإسمنت المسلح بالحديد ، وجدراناً تصاحبها ، وسقوفاً وُضِعَتْ عليها ، وتكاد تبرز مبنى متكاملاً ذا أدوار. قالوا لي : إنّه مبنى كليّة الصيدلة (Pharmacy College) .

أما السكن العائلي ، فقد كنت رأيته منذ ثلاث سنوات وحدة أو وحدتين ، أمّا الآن فقد صار ذا وحدات كثيرة ، كلها تشتمل على شقق عديدة . وصار قريةً متكاملة بل قد يفوق عددُ سكانها عددَ السكان في قرية عاديّة .

ألقيتُ نظرةً على المحيط الواسع الطويل الذي يقع في نحو كلو متر واحد ، فقلت في نفسي : إنها حقًّا مدينــة جامعــة ، وهي حقًّا جامعة إسلاميّة متكاملة بمبانيها الكثيرة ، وبأقسامها الشرعيّة ، و أقسامها للعلوم العصريّة التي فعلاً يحتاج إليها المسلمون ليتقدم شبابهم في جوّ إسلامي مفعم بالحرارة الإيمانية والنشاطات الإسلاميّة ، كما تقدم غيرهم ؛ فإن نسبة التعليم لدى المسلمين في هذه الديار أيضاً منخفضة جدًّا بالقياس إلى غيرهم من الهندوس والمسيحيين حتى المنبوذين ، ولن يمكنهم أن يزاحموهم في هذه الدولة العلمانية التي أغلبيةُ سكانها هندوس ، كثيرٌ منهم متعصبون حاقدون عليهم ، عاملون على تفشيلهم في جميع مجالات الحياة ، إلاّ إذا فاقوهم في التعليم العصري بجميع أنواعه ، إلى جانب التعليم الإسلامي الذي لن يَحْيَوْا بدونه حياةً دينيةً .

وقد ظلّ اهتمام الشيخ الوستانويّ منصبًّا منذ اليوم الأوّل على خدمة القرآن الكريم بشتى أشكاله ، فقسم

بقية " إشراقة " المنشورة على ص ٤٨

والمهج، ويتذوّقون حبّهم ، ويعتزّون بالإعجاب بهم، ويرون الاتّصال بهم ضماناً للاستمراريّة في التقيّد بالحياة الإسلاميّة. ومن تعلّق بهم مرة، ازداد مع الأيّام توطّداً في العلاقة ، ومتانة في الاتصال ، وزيادة في الحبّ والإعجاب، ورأى الاحتراق في النهار أهون عليه من الانقطاع عنه والجفاء معه وصرم حبل الوفاء الذي يصله به .

فإذا جمع الرجل إلى العلم الغزير الصلاحَ الكثير؛ وإلى الذكاء الباهر الفضل الظاهر في الذكاء والنبوغ؛ وإلى الرصيد الثر من الدراسة والاطّلاع السيرةَ العطرة والسريرة النزيهـــة ؛ وإلى كثرة الأعمال الكتابيّة والخطابيّة، والدعويّة والعقديّة، القدر المطلوب من الأعمال الخيرية، والخدمات الإنسانية، والنشاطات المليّة، والتحركات الاجتماعيّة، والقلبَ الرؤومَ ، والنفسَ الرقيقةَ، والصدرَ السمحَ الرحبَ، والأخلاقَ الواسعةَ التي تسع الناسَ باختلاف أذواقهم وميولهم؛ وإلى الحزم والعزم، وعلوّ الهمّة واليقظة، والشهامة والإباء، الحلمَ والتواضع ، وإنكارَ الذات، والخبرةَ الزائدةَ بدسائس النفس، وغوائل الشيطان، وحيله الماكرة في الخداع؛ وإلى المحافظة على الفرائض والعبادات، والنوافل والمستحبات، المواظبةَ على أداء حقوق العباد على اختلافها وتنوعها، والاجتنابِ من إيذاء الناس بأيّ من موقفه ولسانه وبنانه، وقلمه وبيانه؛ وإلى ذلك كلّه عاش يخدم الدين والدعوة، والعقيدة والأمّة، والوطن والمجمتع لآخر لحظة من حياته، زاهداً في حطام الدنيا، نائرا ما يترامى إليه منه ، مؤمناً بأن اليد العليا خير من اليد السفلى.

إذا جمع الرجل بين هذا و ذاك؛ فإنّه يُجْمِعُ الناس على حبّه، وتهفو إليه القلوب، وتنجذب إليه النفوس، ويتملكُ هو القلوب، ويفرش له الناسُ أفئدتهم وعيونهم، ويخضع له الملوك، ويتواضع له الجبابرة، ويحافه الأعداء، ويتنافس في حبه الأصدقاء، ويتسابق الخاصّة والعامّة للاستفادة منه والتمتع بإشراقات سيرته.

إنّ السماحة والمروءة، والتألم للغير، والتحرق لصالح الإنسان، صفات عظيمة جدًّا، هي المقياس الأعظم للإنسان الصحيح المطلوب في دين اللّه الإسلام. كل من اتصف به عاد محبوباً لدى الخلق ولدى رب الخلق تعالىٰ معاً

وإنّ هذه الصفات ، صفات لازمة للعالم الديني، والداعية الإسلامي، والمصلح الاجتماعي، والقائد الوطني، ولكل من يتبنّى رسالة، ويحتضن دعوة. إنّ الداعية والمصلح والقائد بدون ذلك شجرة غير مثمرة، ودوحة بدون ظل، وطعام بدون ملح، ومزيّة بدون فائدة، وسيف لا يقطع، وذهب لا يلمع .

إنّ حرمان العالم والداعيه والقائد والمصلح من هذه المزايا الأصيلة والمحاسن النبيلة، أكبر عيب فيه، وأعظم سبّة له، وأشنع علامة عليه .

لا يحتاج العالم الداعية إلى شيء بمثل ما يحتاج أن يكون إنساناً سويًّا يستوفي المعاني الإنسانيّة؛ لأنّه بذلك وحده يكسب القلوب، ويخطب الودّ، ويفتح أقفال نفسيّة الإنسان المعقّدة، وينفذ في الأفئدة، ويتطرق إلى داخل النفوس، ويطّلع على أسرارها وأغوارها، ويخاطب كلّ شخص بأسلوب يسيغه، وبلهجة يفهمها؛ فيحقق الانتصارات، ويجني النجاح، ويقطف ثمار جهده يا نعة حلوة .

لا يسيء إلى العلم وإلى الدعوة وإلى رموز الإصلاح والقيادة شيء إساءة تجرد العالم والداعية ومن يتبنّى الإصلاح والقيادة من معاني السماحة

التحفيظ والتجويد والقراءات لديه في جامعته هذه أكبر اليوم – لحـدّ علمي – من هـذا القسم في جميع المدارس والجامعات الإسلامية في الهند . كما أنّه بدأ يُعْنَى منذ سنوات بعقد مسابقات القرآن الكريم على الصعيد المحلي وعلى مستوى عموم الهند ، لكي يشجّع بذلك النشء الإسلامي على الحرص على كتاب الله قراءةً وحفظاً وتجويداً ، وتفسيراً وتدبّراً ، فعملاً به و نشراً له .

ولا شكّ أنّ عنايته البالغة بهذا الجانب الأهم هي التي باركت في جهوده التعليميّة بشكل يقطع اليوم نظيره في شبه القارة الهنديّة ؛ فهو إلى جانب تأسيسه وإدارته لجامعته المركزيّة هذه التي أتحدث عنها ، والتي تشتمل على المراحل الابتدائية والثانوية والعالمية والفضيلة ، وتضمّ المدرسة الثانوية العصرية وكلية الطب اليوناني و مركز التدريب الصناعي والمهني وتنمية المهارات ، إلى جانبها يتولى لحد كتابة هذه السطور نحو ألف مدرسة وكتاب ما بين صغير و كبير في أرجاء الهند كلها ، بما فيها المدارس والمعاهد ذات المراحل الثانوية العالية والسكن الطلابي المتكامل مع تكفّل كافة حاجيات الطلاب . وعددُ أمثال هذه المدارس يبلغ أربعين . وعدد الكتاتيب والمدارس غير ذات السكن هو ٩٥٠ كتاباً ومدرسة . وكأنّ إقامة المدارس والكتاتيب القرآنية و الدينية أُلاَنَها الله له كما أَلاَنَ لسيدنا داؤود عليه السلام الحديد . وسبحان من يفعل ما يشاء وهو فعّال لما يريد . فقد يصعب على عالم وداعية مهما كان ذا علم وفضل تأسيسُ وإدارة مدرسة واحدة وكتاب واحد ، بشكل مثمر لائق ؛ ولكن الشيخ الوستانويّ قد سهّل الله له عملية إقامة المدارس والكتاتيب وإدارتها وتمويلها وإنشاء قنواتِ مساعدات وتبرعات لها ، لأنّ الله العلي القدير قد عطف عليه قلوب عباده المحسنين وفاعلي الخير في داخل الهند وخارجها ولا سيّما الجالية الإسلامية الغجراتيـة التي اقتطنت عـدداً من الـدول الأوربيّة والأفريقيـة . ومع توسّع عملـه التعليمي والتربوي والدعوي تزداد ثقة المتبرعين به . ويجوز أن يقال : إنّه رجل وحيد نال من ثقة المحسنين والمتبرعين في هذه السنّ المبكرة مالم ينله عالم عامل في مجال التعليم والتربية في هذه الديار ، وكأنّ الله لحكمة يعلمها – وهو حكيم في كل ما يفعل – قد خصّه بتوفيق خاصّ في هذه الناحية ؛ حيث يخصّ من عباده من يشاء بما يشاء . يخص منهم من يشاء بالتوفيق للتعمق في العلم، أو للقيام بالدعوة ، أو للتاليف والكتابة ، أو لينفع الخلق بالخطابة وبالجولات الدعوية ، أو للتفكير في مصالح كبيرة تهمّ الأمة ، أو لإيجاد حلّ ناجع لمشكلات تواجه الشعب المسلم ، أو يكرمـه بهمة وعزيمـة وطموح يفتح بها أمام الأمة طريق تقدم مدهش في شتى مجالات الحياة .

وهو رجل بسيط مظهراً ، معروق اللحم ، نحيف الجسم ، لا يتمتع بكبير بسطة في العلم والجسم ، ولا يبدو ذكيًّا كبيراً ، ولا يمتاز في الظاهر عن أقرانه في الملابس والشعار ، ولا يكبّر العمامة ، ولا يتصنّع الفخفخة ، كما يصنع كثير من ذوي العلم بحجّة جلب الاحترام للعلم ، ولا يحاول أن يترفّع على أحد ، وإنّما يتوسّد دائماً التواضع والحلم والابتسامة وطلاقة الوجه ولين الجانب .. الصفات التي هي سلاحه الأمضى في جميع الانتصارات التي حققها ولا زال وسيظل إن شاء الله يحققها في حياته . وكلما كثرت انتصاراته كثر حبّ الناس له وإعجابهم به و دعاؤهم للتوفيق لمزيد

من أعمال الخير وتحقيق المشاريع التعليمية والدعويّة . ولا أزكيه على الله ، وأرجو الله أن يعصمه من الفتنة فكلُّ حيّ مُعَرَّضٌ للفتنة إلاّ من عصمه ربّنا الكريم .

وهو دائم الرحلات والزيارات في شتى ربوع الهند ، يتحسس حاجات المسلمين الدينية والدعوية ، ويقيم المدارس والكتاتيب في كل منطقة متعطشة لها ، كما يقوم بحفر الآبار وإقامة نظام الحصول على المياه العذبة في المناطق ذات الجفاف وشحّ الماء . وكل ذلك مُيَسَّرٌ له وسهلٌ عليه بفضل الله تعالى ، وصعبٌ على الكثير من أمثالنا المنقطعين إلى القرطاس والقلم ، الذين سهّل الله عليهم العكوف على التجوال في دروب الكتب وسراديب المؤلّفات .

وأوّل انتصاره المدهش حقًّا الّذي حقّقه في سبيل التعليم والتربية هو أنه زرع بذرة العلم والثقافة في هــذه القــرية النائيــة المعمــورة المهجــورة من قرى " بدورنا " (" دهوليا " سابقاً) بولاية مهاراشترا ، ذات الاسم الغريب الثقيل على اللسان ، البعيدة عن قوافل العلم والحضارة والثقافة والمدنية ، فحوّلها مدينةً للعلم شهيرةً تتوافد إليها قوافل ناشدي العلم وطالبي التعليم الديني والحريصين على الثقافة العصريّة المتنوعة . وبفضل النشاطات التعليمية المكثفة جدّا أوّلاً ، وبفضل كونه واسع اليد في الإنفاق على المدارس والكتاتيب وإنشاء واستكمال بناء المساجد ، صارت هذه القرية ذات العنوان الملتوي والطريق الملتف المبهم ، محطَّ الضيوف المتتابعين من العلماء والأساتذة والدعاة ومديري المدارس والمعاهد .

صدِّقوني أنّي كلّما زرتُ هذه القرية الجامعة ذات الثقافة العربية ، واللغة العجيبة ، القاحلة في كل شيء يمت إلى المدنيّة بسبب ، التي لا يُوْجَدُ بها عدد كبير للمسلمين ؛ أقمتُ مقارنةَ تعجّب شديد بينها وبين هذه النشاطات العلمية التي تتم في جنباتها ، و تتفجّر فيها منابعها ، حتى تجري إلى الأنحاء البعيدة من الهند ، فتسقيها وتجعلها محصرّةً مُزَيَّنَةً . اللّهُ وحده يعلم حيث يجعل خيره وفضله ، إنّه حكيم عليم . فقد يسهل على الطموح أن ينفّذ مشاريع خيريّة تعليمية وإصلاحيّة في مراكــر العلم والثقافــة والحضـارة أمثال " دهلي " و " كلكتا " و " لكهنؤ " و "حيدر آباد " و " بتنه " و ما يدانيها قليلاً أو كثيراً من المدن ؛ ولكنه من الصعب العسير أن يبدأ أحد عمله من قرية مفلسة في كلّ شيء يمت إلى الحضارة والثقافة بصلة ، ويجعلها وحده محطَّ الأنظار ومنزلَ القوافل . ولكن ما بالُك برجل قَيَّضه اللّه لتحقيق رسالة وإنجاز غاية ، فيحالفه بتوفيقه ويشاركه بتأييده .

☆ ☆ ☆

يوم الأربعاء : ١٩/ رجب ١٤٢١هـ ، بعد صلاة العصر جمع الشيخ الوستانوي في ناحية من فناء المسجد جميع أساتذة الجامعة والضيوف المدعوين للمشاركة في حفلات المسابقة التي جرت يومي الأربعاء والخميس متتابعةً . وكلّفني مفاجأة أن أتحدّث إليهم بما يشرح الله به صدري . فتحدثتُ إليهم – والحديث إلى العلماء عسير على مثلي لأسباب يطول ذكرها – بتوفيق الله عزّ وجلّ حول الإخلاص ، وقلت فيما قلت :

" ... إنّ الإخلاص أيّها الإخوة العلماء ! – كما تعلمون – شرط قبول كلّ عبادة ، ولن يقبل الله عملاً مُوْرِسَ فيــه المــراء ، وابْتُغِيَ فيــه التظاهر ، وإبراز الشخصيــة ، وفــرض العظمــة ، وإحداث الشعور بالمكانة. فإن العبادة إذاً تتحول مَعْصِيةً ، وإن كانت

صلاة وصياماً وحجًّا وزكاةً ، وهي عبادات محصة فرضها الله علينا ، فما بالُك بعبادات أخرى نافلة . قد يجوز للمفتي أن يفتي بكون الصلاة صحيحة إذا أدينا أركانها وقمنا وقعدنا وركعنا وجلسنا كما يصنع المصلي ؛ ولكنها تكون مردودة لدى الله تعالى إذا صاحبها منّا الرياء ، فأطلناها مثلاً ليقول المشاهد : إنّ المصلّي قوّام ، وأنه خاشع خاضع في صلاته ، منصرف إليها عن الدنيا كلها ؛ فنزداد في نظره قيمةً ومكانةً في هذه الدنيا الفانية ، ونزداد عنده أهميّة واحتراماً ، لأنه بشر مثلنا ، لا يعلم السرّ وأخفى ، ولا يعلم الغيب والمستور فخدعناه بظاهرنا ، ولكن لن نخدع الله العليم الحكيم الذي يعرف دبيب النمل .

" كل عمل بدونه ضائع تائه ، ولو أُفنِيَت فيه النفوس وأُنفِقَت من أجله الأموال وبُذِلَت النفوس ؛ فقال تعالى : "وَمَا أُمِرُوْا إلاَّ لِيَعْبُدُو اللّٰهَ مُخْلِصِيْنَ لَهُ الدِّيْن " (البيّنة /٥) و قال: " إنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللّٰهُ مِنَ الْمُتَّقِيْنَ" (المائدة /٢٧) وقال : " وَلَوْ أَشْرَكُوْا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوْا يَعْمَلُوْنَ " (الأنعام /٨٨) وقال : " وَلَقَدْ أُوْحِيَ إلَيْكَ وَإلَى الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُوْنَنَّ مِنَ الْخَاسِرِيْنَ بَلِ اللّٰهَ فَاعْبُدْ وكُنْ مِنَ الشَّاكِرِيْنَ " (الزمر/٦٥-٦٦) .

" وجاءَ في الحديث القدسي : " أنا أغنى الشركاء عن الشرك . من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري ، تركته وشركه " .

" فلا بدّ أن نراعي الله في كلّ عمل ، وأن نتحذّر من أن ينقر منه الشيطان نقرة أو يغرف منه غرفة أو يلغ فيه بشكل كامل ، وأن ندعو الله عزّ وجلّ دائماً أن يجعل عملنا خالصاً لوجهه الكريم ، فنقول كما كان يقول سيدنا أمير المؤمنين عمر بن الخطّاب رضي الله عنه : " اللهم اجعـل عملي كلـه صالحاً ولوجهك خالصاً ، ولا تجعل لأحد فيه شيئاً " .

" وأن نستشعر دائماً أن الله قريب منا يعرف نيّاتنا ويشاهد حركاتنا وسكناتنا ، كما قال سبحانه و تعالى: " وَنَحْنُ أَقْرَبُ إلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيْدِ " (ق/١٦) و كما قال الرسول ﷺ : " أنّه – الله تعالى – أقرب إلى أحدنا من عنق راحلتـه " . وقـد أخبر الله عزّ وجلّ أنّه يشاهـد أعمالنا وجميع شؤوننا ؛ فقال : " وما تَكُوْنُ فِيْ شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوْ مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ ولا تَعْمَلُوْنَ مِنْ عملٍ إلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُوْدًا إذْ تُفِيْضُوْنَ فيه " (يونس/٦١)

" وأن نستحضر دائماً أنّ ما سوى الله تعالى لا يملك نفعاً ولا ضرًّا ، وأنه تعالى وحده النافع الضارّ ؛ فغيرُه لن يسعدنا في الدنيا ولن يجازينا في الآخرة ، فما بالنا نسترضيه ولا نسترضي الله القادر الوهّاب :

" قُلِ ادْعُـوا الَّذِيْن زعَمْتُمْ مِنْ دُوْنِهِ فلا يَمْلِكُوْنَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ ولا تَحْوِيلاً أُوْلَـٰئِكَ الَّذِيْن يَدْعُوْنَ يَبْتَغُوْنَ إلىٰ رَبِّهِم الْوَسِيْلَة أَيُّهُمْ أَقْرَبُ ويَرْجُوْنَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُوْنَ عَذَابَهُ إنَّ عذاب ربِّك كان مَحْذُوْرًا " .

(الاسراء/٥٦-٥٧).

"وأن نتذكّر دائماً أنّ القليل بالإخلاص يصبح كثيراً ، وأنّ الكثير الكثير بدون هذا الإكسير ليس له قيمة حبة خردل عند الله تعالى . وبقدر الإخلاص تزكو الأعمال ، وتربو الحسنات ، ويزداد الثواب ؛ فالصحابة رضي الله عنهم بما أن الله عز وجل أكرمهم من الإخلاص بما لن يرتقي إليه أحد من الأمة بعدهم ، فقال ﷺ فيما يتعلق بزيادة زنة أعمالهم : " فو الَّذِي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مدّ أحدهم ولا نصيفه " .

" وأن نعلم أن أحداً من خلق الله مهما صلح وتزكّى واتّقى وأخلص وسما واختار مدارج الرقي

الروحاني ، لن يكون أكثر عرفاناً بالجميل و حفظاً للمعروف من الله عزّ وجلّ ؛ وأنّ الإنسان مهما صافاك الحبّ وأخلص لك الودّ على ما أحسنتَ إليه أو صنعتَ معه من المعروف ما قدرت عليه ، فإنّه قد ينقلب عدوًّا ، أو متنكراً للجميل ، ناسياً لكل معروف أسديته إليه ؛ لأنّ التغير والتحوّل مركّب مع طبيعة الإنسان . أمّا اللّه عزّ وجل فإنّه لا يضيع أجر المحسنين يقول تعالى : "وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلاَ يَخَافُ ظُلْماً ولا هَضْماً " (طه / ١١٢) . بَلِ الله يجازي ضِعْفَ ما يعمله العبد من العمل الصالح ، يقول تعالى : " إلاَّ مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَأُوْلَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ " (سبأ/٣٧). وقال تعالى : " وَ أَمَّا الَّذِيْنَ آمَنُوْا وَعَمِلُوْا الصَّالِحَاتِ فيُوَفِّيْهِمْ أُجُوْرَهُمْ " (آل عمران /٥٧) وقال : " وَعَدَ اللّٰهُ الَّذِيْنَ آمَنُوْا وَعَمِلُوْا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ أَجْرٌ عَظِيْمٌ" (المائدة /٩) وقال : " ويُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِيْنَ الَّذِيْنَ يَعْمَلُوْنَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيْرًا " (الإسراء/٩) . وقال : "إنَّ الَّذِيْنَ آمَنُوْا وَعَمِلُوْا الصَّالِحَاتِ إنَّا لاَ نُضِيْعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً " . (الكهف /٣٠) وقال : " فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحاتِ فَلاَ كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ " (الأنبياء/٩٤).

والآيات في هذا المعنى كثيرة متنوعة الأساليب .

" أيّها الإخوة ! لا أريد أن أطيل عليكم فأنتم أعلم منّي وأفضل منّي عملاً وتدبّراً واستخلاصاً للنتائج وتنبّيا للدروس والعبر . وتعلمون أن الإخلاص يُنْطِق الأخرس ، ويُسْمِع الأصمّ ، ويمنح الأبكم أهليّة السمع والنطق ، ويهب الأعرج رجلين أحسن من أرجل ذوي الأرجل القويمة . إنّي لم أر الشيخ محمد إلياس مؤسس جماعة الدعوة والتبليغ ، ولكني سمعت على ألسنة كثيرين صحبوه وجالسوه بل لازموه ، أنّه لم يكن لسناً ذرباً ، ولكنّـه من أجل الإخلاص والتألم لحالـة المسلمين الدنيئة كان ينفذ في القلوب أكثر مما ينفذ فيها ذوو الألسنة الفصيحة . إنّ البلاغــة والفصاحــة تقفــان عاجــزتين لــدى اللسان الناطــق بالقـلب ، والإخلاص المتحـدث بأعماق الصـدق والعمل واليقين .

دَعُني أَقُلْ إنّ ما ترونه ههنا في هذه القرية النائية الغائبة عن مرابع التقدم الحضاري ومنتجعات الثقافة الزاهية ، من العمل الجادّ البنّاء الذي عمّ نفعه هذه القريةَ وما جاورها من القرى والمدن ، وفاض فسال إلى الأنحاء البعيدة والأطراف القاصيةِ ، إنّما هو وليد الإخلاص ، وحصيلة صدق العمل ، وبركة التحرك المعجون بالتحرق الواقعيّ من أجل نشر التعليم الديني ومن أجل صنع قلاع حصينة للدين . إنّه لو لم يكن هذا العمل الذي نُفِّذَ في هذه الأرض - التي ربّما لم تعرف نشاطاً دينياً منذ أن خلقها اللّه - صادراً عن الإخلاص للّه تعالى، لم يكن ليُثْمِر هذا الإثمار ، ولم يكن ليؤتي أكله يانعاً حلواً بهذا القدر المدهش . إني متأكّد - والله وحده أعلم بالصواب - أنّ الشيخ الوستانويّ مُوَفَّق من اللّه ، مُقَيَّضٌ لأداء مهمة أرادها الله تعالى أن تُؤَدَّىٰ في هذه الأرض خصوصاً وفي أنحاء الهند عموماً . ومتأكّد من أنّه قد استجاب الله دعاء صالح من عباده أو والديه في حقّه .

فلنجعل الإخلاصَ شعارنا ودثارنا وعمدتنا وسندنا في جميع الأعمال ، حتى يباركها الله ، وتكون نافعة للحق ، عائدة لنا بالأجر والذكر والشكر . ومعذرة إليكم من كلمة نابية تكون قد بدرت من لساني وتكون قد آذتكم وسبّبت استياءكم ؛ لأن العلماء - و أنا أحد منهم - جدّ حساسين . وصلى الله وسلم وبارك على سيّدنا و نبينا محمد و على آله

وصحبه أجمعين ، والحمد لله رب العالمين " .

☆ ☆ ☆

في نحو الساعة العاشرة من يوم الخميس ٢٠/ رجب ١٤٢١هـ ، عقدت الجامعة حفلة النادي العربي الهائية ، وقدّم فيها الطلاب برامج ممتعة دلّت على حذّهم و حسن تربية أساتذتهم ، كانت البرامج مشتملة على خطابات ، و مسرحّيات ، ومحادثات متنوعة .

ثُمّ وَزِّعت الجوائز على الطلاب المبرِّزين ، وكانت عينية ونقدية وكتبيّة . كما مُنِحَ الطلاب المساهمون كلهم جوائزَ تشجيعية .

ثم أُعْطِيت الكلمة للأخ الشيخ محمد إقبال الفلاحي الندوي المدني ، الذي أشاد بجهود الطلاب ، وبجهود الجامعة في تأهيلهم بشكل لائق . كما تحدث عن ضرورة تعلم اللغة العربية ، وكونه لا معدى عنه لأيّ مسلم يودّ أن يفهم الدين حق الفهم .

وهنا تقدم الشيخ الوستانوي و قدّمني إلى الحضور بكلمات ثناء لا أستحقها ؛ فقمت في خجل ، وتحدثت شفويًّا كمقدمة لمقالة ضافية صغتُها في فضل اللغة العربية وتأكيد أن تعليمها وتعلمها واجب دينيّ .. وسينشر المقال إن شاء الله في مناسبة ما في مجلة " الداعي " وغيرها التي ينشرح له صدرها .

☆ ☆ ☆

قرر الأخ الشيخ الوستانويّ أن نأخذ جولةَ نزهة في الجبال القريبة التي تقع على مسافة ٨٠ ك م من موقع الجامعة ، وذلك يوم الجمعة في الصباح بعد تناول الفطور . فحَسَبَ المقرر تحرّكنا بالسيّارة في الثامنة والنصف صباحاً . ولم نصعد في هذه الجبال التي تقع في الجانب الشمالي من الجامعة ، في الزيارتين اللتين قمت بهما لـ " أكّل كوا " من قبل ؛ فكان الصعود فيها أمنيّة تراودني ؛ حيث كانت هي بالنسبة لي كالغانية تُمَنّي الناظرَ إليها بالتمتع بجمالها البارع ، ولاسيّما لأنّ الإخوة أحاطوني علماً بأنّها مُحَلّاة بالأشجار ، وصالحةٌ سطوحُها للزروع والثمار ، وليست جرداء مثل كثير من الجبال . والجبال المُحلّاة بالأشجار تخطب القلب ، وتدغدغ الشعور المرهف، وتدعو للتمتع بمنظرها الفاتن ، لا يكاد المحبّ للجمال يشبع منها ويَتَمَلّأ من النظر إليها .

ما إن تصاعدنا حتّى سبّحنا بحمد الله وقدرته وعظمتــه ، وتقويمه البديع و خلقه الجميل لهذه الجبال ، التي مررنا فيها في عشرات من المواقع بمرتفعات ومنخفضات ، ثم صعدنا إلى قممها ، فإذا هي دارت زروع مثمرة وحبوب تغلّها سطوحها الممزوجة طبيعيًّا بالتراب الأحمر القاني ، وعلى هذا المرتفع وجدنا حقولاً تصعد وتهبط تقوم فيها شجيرات الذرة وما يماثلها ، وتغطّي الجبالَ كلها أشجار جلّية متنوعة ومسطحات خضراء كأنّها حرير أخضر، فإذا ألقيتَ نظرة من مكان مرتفع إلى سطح ينحدر تدريجيًّا من الصعود إلى الهبوط سحَرَك بمنظره الرائع الذي يكاد يجعل الإنسان لا تبرحه عيناه ولا تتجاوزه قدماه . وقد تجد المرتفعات الجبليّة شكّلت من الجوانب الأربعة سدودًا طبيعيّة وحبست المياه في بركة طبيعيّة في وسطها حولها أعشاب خضراء صارت سوداء من شدّة الخضرة ، والمياهُ فيها ألمع من المرآة ، وأشفّ من الزّجاج . وقد تصعد على مكان مرتفع ثم تهبط إلى منخفض جميل واسع إلى حدّ ما ، فيه أشجار للأنبج ضخمةٌ سيقانُها ، مترامية أغصانُها ، مخضرة

أوراقُها ، قد لا تجد مثلَها في السهول ، وتلوح من ثلاثة جوانب مرتفعات مزيّنات بالأشجار الجبليّة ؛ فتحدثك نفسك : حبّذا لو أتاح الله عزّ وجلّ أن نملك قطعة جبليّة هذه ونشيد عليها قصراً صغيراً بديعاً ، نقصده كلّما سئمنا من اطّراد الحياة ، ورتابة الأعمال ، وتلاحق الأشغال ، وتزاحم الأمراض ، وعدنا مكدودين مجهودين مُحَطَّمين من الهموم والقضايا التي لا ينتهي آخرها إلاّ في أوّلها . وفعلاً قد عرضتُ على الشيخ الوستانوي شراءَ قطعة أرضية في أروع مكان في هذه المنطقة الجبلية وإنشاء دار ضيافة فيها ، حتى تكون منتجعاً لأمثالنا من الضيوف أصحاب الشعور اللطيف الرقيق بالجمال ، وغيرنا من الضيوف المتوافدين من خارج الهند . فقال : إن في البلاد الأوربية جبالاً كثيرة ذات منظر أسحر من هذا لمنظر الذي هو بديع في مكانه . قلت : إن البلاد الأوربيّة لأمثالكم ، أمّا نحن فهذه هي أوربّانا . فقال : ثق أنّي سأستصحبك إن شاء الله إلى بعض البلاد الأوربية . هنا آثرت أن أنهي المناقشة حتى لاتضيع علينا الفرصة المتاحة للتمتع بالجمال .

الحقُّ أنني ما كنتُ أظنّ أنّ هذه الجبال جميلة المنظر إلى هذا الحدّ الذي قد يُنْسِي المحبّ الحزنَ الذي ألَمّ به من فراق حبيب طال به الانتظار ، وبرّح به إليه الحنين ، وأضناه الشوق للقائه .

قد وصف لي الإخوة الأساتذة بالجامعة هذه الجبال وما فيها من الزروع والثمار ، ومن يقطنها من أناس قبليين غير مسلمين يؤثرون حياة البداوة على الحضارة . ولكن ليس سامعٌ كراءٍ وليس المسموع كالمُشَاهَد .

وقد تابعنا الرحلة على الجبال حتى بدأنا نهبط قليلاً قليلاً ولا تزال رحلتنا جارية عليها ، فوصلنا إلى عمران وجدنا فيه حياة تتمتع ببعض مظاهر الحضارة .. فيها الكهرباء ، فيها محلات للبيع والشراء متواضعة ، يجد فيها سكانها ما يحتاجون إليه في حياتهم اليوميّة : محلات للأقمشة ، محلاّت للحلاوى ، محلاّت للحبوب ، بقّالات ، و مصالح حكومية عاديّة لإدارة هذا العمران وتوفير الخدمات اللازمة لهؤلاء السكّان . وقد وقفت سيارتنا في وسط الشارع على إشارة من الأخ الوستانوي أرسلها للسائق ، فإذا بعدد من المسلمين يسلّمون علينا ويرحّبون بنا، ويصّرون علينا للنزول حتى يُشْبِعوا رغبتهم في الاضافة . ولكنّا كنا في عجلة إذ كان اليوم يوم الجمعة وكان المقرر زيارة مسجد جارٍ بناؤه على نفقة الجامعة في قرية واقعة على الطريق الذي يخترق هذه الجبال إليها وهي قرية " دهر كاؤن " (Dhargaon) ؛ فقال لهم الشيخ الوستانوي لقطع إصرارهم : سننزل لديكم لدقائق في العودة . وقد سرّنا جدًّا تواجدُ المسلمين في مثل هذه القرية التي لم يخطر ببالنا حضور إسلاميّ فيها. وعلمنا أن اسم القرية " مُلْغِيْ " Mulghi .

بعد نحو ساعة إلاّ ربعاً وصلنا إلى القرية ونحن لا نزال نتمتع بالمناظر الجبليّة بنحو أو بآخر . وزار الشيخ و زرنا المسجد تحت البناء الذي كان المعماروں يعملون فيه عاكفين على عملهم . مكثنا قليلاً ثم عدنا أدراجَنا ، نتحادث ونتذاكر ، حتى وصلنا قرية " مُلْغِيْ " التي مررنا بها في رحلة القدوم ، فوجدنا الإخوة الذين كانوا قد ألَحّوا علينا للمكث ريثما يستضيفوننا ، فعرجّنا عليهم فأكرمونا بالشاي و بـ "بَكَوْرِيْ"

Pakauri – شيء مملوح مصنوع من دقيق الحمص والبصل ممزوجاً مع مسحوق الفلفل الأحمر وبعض التوابل ، يُطْبَخُ مغموساً في الزيت الصالح للأكل ، ويُؤْكَلُ ساخناً – وتناولنا الشاي ، بينما لم نصب من "بكوري" إلاّ إرضاء للمضيفين ؛ حيث كان حارًّا جدًّا من كثرة مسحوق الفلفل الأحمر الذي يُكْثِر سكانُ هذه المنطقة من استخدامها .

ثم ركبنا السيّارة ، وبعد مسافة من هذه القرية بدأنا نصعد في المرتفعات ، وقد نهبط قليلاً ، ثم نصعد، حتى هبطنا من الجبال ، وفي قلوبنا ذكريات رائعة لا تُنْسَى .

وصلنا الجامعة والساعةُ حادية عشرة ونصف . وعلمنا أن الخطبة تُلْقَى في الساعة الواحدة النصف ؛ فوجدنا فسحة للتجهز لصلاة الجمعة ، فاغتسلنا و غيّرنا الملابس . وفي الساعة الواحدة تماماً دخلتُ المسجد ؛ حيث كان الأخ الشيخ الوستانوي أخذ منّي موعداً لإلقاء حديث موجز قبل الخطبة إلى الطلاب، بينما كلّف الأخ الأستاذ عبد الرؤوف لإلقاء خطبة الجمعة والإمامة في الصلاة .

في الساعة الواحدة والعشر دقائق قام الأخ الوستانوي وقدّمني إلى الحضور . وأنا رجل لا تستعدّ طبيعتي للحديث في كل وقت كالخطباء والواعظين الممتهنين للوعظ والخطابة . فأنا أحبّ أن لا يكون في الوقت ضيق ، وأن لا يكون هناك تحديد للوقت بعشر دقائق أو نصف ساعة . وهنا أكون حرًّا طليقاً أقول ما أشاء حسبما يوفقني الله تعالى .

على كلّ فقد تحدّثتُ إلى الطلاب الذين غصّ بهم المسجد الكبير ، وأشرت عليهم باغتنام الفرصة واستغلال الوقت ومعرفة قيمة الزمن .. اغتنام فرصة وجودهم في مثل هذه الجامعة الفتية النشيطة التي يديرها رجل فعّال موفّق من الله عزّ وجل .. واستغلال الوقت ؛ لأن كلّ تقدم علميّ في الحياة إنما يتوقف على اغتنام الوقت ، وإلاّ فإن الوقت مهما طال ، فهو يكون قصيراً إذا أُهْمِلَ ولم يُقَدَّرْ حقّ قدره . إن العلماء الكبار ، والأئمة الكرام ، والمؤلفين المكثرين ، لم يكونوا كباراً ، ولم يخلّدوا مآثرهم ، ولم يحفروا في ذاكرة الزمن أسماءهم ، إلاّ لأنّهم استفادوا من الوقت الذي لم يكن قوامه – كيومنا هذا – إلاّ أربعاً و عشرين ساعة فقط ، ولكنهم مع قضاء حوائجهم اليومية ، حقّقوا أعمالاً خالداً نشيدُها على فم الزمان ؛ لأنهم عصروا كل ثانية منه ، واحتصوا كلّ دقيقة فيه ، وثمّنوا كل لحظة من اللحظات ، وقيّموا ليلهم ونهارهم . إنّ أبا حنيفة لم يكن ليله ونهاره خمساً و عشرين ساعة ، وإنّما كان أربعاً و عشرين ساعة فقط . نجد الطلاب يهدرون كثيراً من الأوقات الثمينة ، فيتخرجون وليس لديهم أهلية ولا تضلّع من العلوم التي أمضوا في تحصيلها سنوات طويلة . بينما نجد طلاباً آخرين يتخرجون مؤهلين أكفاء . والفرق بين الفريقين الأول والثاني أن الأول لم يستغلّ الوقت ، والثاني لم يدع لحظة تضيع دونما جني فائدة ، وتحقيق عمل ، و كسب معلومة من المعلومات .

☆ ☆ ☆

قبيل صلاة العصر توجّهنا بالسيّارة : أنا كاتب هذه السطور ، والشيخ الوستانويّ – الذي كان له ارتباط مسبق ببعض البرامج في مدينة " بروص " و مدينة " أنْكَلِيْشْ ور" (Ankleshwar) – والأخ الأستاذ عبد الرؤوف والأخ ناصر محمود . إلى مدينـة

" بروص " التي كان من المقرر ركوبُنا منها القطار لدهلي الذي كان موعده في نحو الساعة العاشرة .

وقد أدينا صلاة العصــــر في مسجد قريـــة "ساك باره " (Sagpara) في الطريق ، كما صلينا المغرب في إحدى القرى على الطريق ، وهي قرية " ديديا باره " (Didia para) وكانت الرحلة إلى بروص ممتعة للغاية من أجل صحبة الأخ الوستانوي الذي تحدثت معه في شتى المواضيع التعليمية والدعوية في جوّ عفويّ مُعَطّر بريّا الحبّ ، تتخلله ابتسامات ، وتعليقات مليحة حول أشخاص ومؤسسات وأعمال تعليمية إداريّة لدى شتى الجهات تنقصها التجربة والحرص الصادق على مصلحة الأمة والدين . وفي مناسبة جرى ذكر العالم العامل المجاهد الشيخ حسين أحمد المدني شيخ الحديث الأسبق بجامعة دارالعلوم / ديوبند والشيخ الجليل العلامة المربي الشيخ أشرف علي التهانوي المعروف بـ " حكيم الأمة " فاستعبرت عيوننا ، والتهبت نفوسنا ، واحترقت قلوبنا ، تحددًا لدكراهما ؛ فكيف كان منظرهما ومرآهما والجلوس إليهما . رحمهما الله وجزاهما عن الإسلام والمسلمين خيراً .

وفي الأسفار تُخْتَبَرُ معادن الرجال ، فإذا طاب أحد خلقاً وتعاملاً في السفر ، ثبت أنه من خير الأصول، نشأ في المنبت الخير ، وأشرقت سيرته بنور التربية ، وزكت سريرتـــه بصحبـــة الأخيار من الـــوالـــدين والأساتذة والأسرة .

في الساعــة الثامنة والنصف تماماً نزلنا في مدينة " بروص " في منزل زوج أخت حرم الشيخ الوستانوي حَسَبَ المقرر من قبل . وبدأنا بصلاة العِشَاء ، ثم تناولنا العَشَاء ، وخلال ذلك أخبر الشيخ الوستانوي بعضَ الإخوة الأساتذة في دارالعلوم كنتهارية بمدينة "بروص" بمقدمنا ، فحضروا فوراً بالدراجة الناريّة . وما إن وصلوا حتى أخبروا الأستاذين محمد صالح و محمد نذير - أستاذين بدارالعلوم ماتلي والا بمدينة "بروص" - فطارا إلينا بجناح الشوق ، وسُرًّا غاية السرور بملاقاتي المفاجئة وتواجدي غير المتوقع لديهم في مدينتهم " بروص" فأخبـرتُهم بأني عائد من " أكل كوا " مدينة الشيخ الوستانوي بعـد زيارة جامعته ، فأسفوا على أنهم لم يعلموا بذلك من قبل ، وإلاّ فكان بإمكانهم إعداد فرصة أوسع للقائهما معي ولقاء الإخوة الآخرين: أمثال الشيخ رشيد أحمد - أستاد حالياً بالجامعة الإسلامية بمدينة "دابهيل" - وفي الساعة التاسعة والنصف تماماً تحركنا للمحطة بصحبة جميع الإخوة هؤلاء . وانتظرنا على المحطة - على الرصيف ٣ - موعد مقدم القطار المسافر بين بومباي و " حضرة نظام الدين " بدهلي الجديدة ، ووَدَّعَنا راكبين على القطار هؤلاء الإخوة بقلوب مفعمة بالحبّ والإخلاص في ليلة السبت ٢٢/ رجب ١٤٢١هـ = ٢١/ أكتوبر ٢٠٠٠م. فجزاهم الله خيراً .

وقد نزلنا في دهلي لساعتين تقريباً في مقر جمعية علماء الهند . ثم ركبنا في الساعــة الثانيــة والنصف ظهراً القطار السريع المسافر بين "دهلي " و "جالندهر" وأخذنا مقاعدنا المحجوزة في العربة المكيفة ذات الكراسي .

نزلنا على محطة ديوبند وصلاةُ المغرب جاهزةٌ ، فأديناها في مسجد المحطة الذي تديره الجامعة الإسلامية دارالعلوم / ديوبند . ثم ركبنا عربة ركشا ، ووصلنا منزلنا في سلامة الله ، فله الحمد والمنة .

☆ ☆ ☆

بقيــة "إشــراقــة" المنشــورة علــى ص ٩٦

والنخوة العربيّة المهانة ، والكرامة الدينية المضاعة ؛ تزداد كلّ يوم تَعَرُّضاً لمزيد من إجراءات السيطرة والغمط والتدنيس على مرأى ومسمع من العالم كلّه، رغم الصرخات المكذوبة الخافتة من قبل ما يُسَمَّى بـ " الأمم المتحدة " والنداءات الماكرة ذات الانحياز السافر والنفاق المفضوح والتفسيرات المغلوطة من قبل ما يُسَمَّى بـ " جمعية العفو الدولي" و " جمعية حقوق الإنسان " .

إنّهم يعرفون أنّ " الصبر " على الظلم ، وغمط الحقوق ، وقتل الأمهات والجدات والأخوات ، وذبح الآباء والأجداد والإخوان ، وتدنيس المساجد والمقدسات ، لم يُجْدِ نفعاً ، ولم يُعِدْ حقًّا ، ولم يدفع ظلماً ، ولم يجلب من الرأي العالمي ثناءً ، ولم يستوفِ من الغرب " العادل " الداعي إلى " ضبط " النفس والأعصاب ، والاحتكام إلى العقل ، إجراءًا عادلاً و تعاملاً منصفاً .

فنهضوا ليصنعوا ما يستطيعون ، فوقفوا بكل عز وإباء ، وشموخ وكبرياء ، بصدور عارية ، وأجسام عزّل ، لا سلاح بأيديهم إلاّ الإيمان القوي الخالص الذي يقتحم ساحةَ الموت الزؤام دونما استشعار لخطر ، وتحسّس لخوف ، وقراءة لفتوى العقل الماكر ؛ وإلاّ الحجارة التي تتحوّل " سلاحاً مدمراً " .. وقفوا أمام جيش غادر فاجر نجس طاهرُه خبيث باطنُه مُسَلَّح بكل نوع من أحدث الأسلحة .. لا يرهبهم الموت الراقص ، والرصاصات الحيّة ، فلا يتراجعون ولا يولّون .

إنّها مشاهد رائعة في فلسطين المباركة ، أطفالٌ أبرياء يهجمون بالحجارة على الجيش الحاقد الحاشد .

إنّهم سطروا ولا يزالون يسطرون معاني جديدة خالدة وملاحم إيمانية رائعة .

إنَّهم رفضوا أن يكونوا " ظاهرةً صوتيّةً " كما اعتادها كبارنا وقادتنا وزعماؤنا .. صرحات عميقة من أعمق مكان في الحنجرة ، وإجراءت ضئيلة تائهة لا تسمن ولا تغنى ، ولا تردع عدوًّا ، ولا تُشجّع صديقاً .

أكثر من ٢٠٠ شهيد ، أكثر من ٣٦٥٠ جريحاً فلسطينيا ، حصيلة الجريمة النكراء التي ارتكبها الصهاينة في محاولة قمع انتفاضة الأقصى لحد كتابة هذه السطور يوم : الخميس ١٩/ شعبان (بالتقويم الهندي) ١٤٢١هـ الموافق ١٦/ نوفمبر ٢٠٠٠م .

وقد شهد الأطباء أن الجنود الصهاينة يستخدمون الرصاص الحيّ ، مستهدفين النصف العلويّ من أجسام الأطفال والشباب الذين تتراوح أعمارهم ما بين ٧ إلى ٢٩ سنة .

مناظر الدماء المسفوحة على أرض فلسطين هزّت المسلمين في العالم كله ، وحرّضت الأطفال والشباب على الدخــول ضمن العمل الجهاديّ المبــارك الــذي بــدأه الأطفــال والشبــاب الفلسطينيون ، الذين تأكّدوا أن أشجار الوطن الغالي

المقدس لا تنبت ولا تنمو ولا تخضرّ ولا تورق إلاّ بالدم القاني المتفجر من أجسام الأطفال والشباب العرب الذين هم رأس مال هذه الأمة ، ومادّتها الأصيلة ، وسندها القوي .

أطفال وشباب فلسطين لم يتغرَّبوا رغم عملية التغريب ، ولم يَتَعَلْمَنُوْا رغم جميع محاولات العَلْمَنَة عبر هذه السنين العجاف ، لم تغيّرهم ثقافة المثقفين المنهزمين الساقطين في وسط الطريق أو بدايته . فها هم أولاء يذوقون طعم الشهادة ، ها هم يندفعون إلى الطريق الذى سلكه الشهداء الأحياء المنتزهون في رياض الجنة عبر التأريخ الإسلامي .

أطفال ينطلقون سراعاً إلى درب الخلود ، إلى التسجيل في سجّل الخلود ، إلى استرداد ماء الوجه الذي أضاعه " الكبار " و " الرجال " .. أطفال يغادرون بيوتهم في الصباح الباكر بعد تناول شطيرة على الريق ، يحملون حقائبهم المدرسيّة ، ويخرجون من بوابات مدارسهم فيحدوهم منادي الجهاد إلى ساحة المعركة ، فيخلعون حقائبهم ، ويتركون قرطاسيتهم ، ويندسّون بين المنتفضين ، فلا يرجعون إلى بيوتهم في هذه الدنيا ، وإنما يتبوّؤون مقاعدهم في الجنة .

إنّ المحتشدين في شرم الشيخ ، وفي القاهرة ، وفي الدوحة ، من الزعماء والقادة والساسة ؛ لهم قرارهم ، لهم منطقهم ، لهم تعقّلهم ، لهم حكمتهم وعقليتهم ، لهم تفكيرهم المتخاذل المتهادي المتباطئ " المعتدل " ؛ ولكن " أطفال الحجارة " لم ترتقوا بعد إلى مستواهم من " الوقعيّة " و " التعقّل " وإدراك ما يسمعون عنه كثيراً لحد السآمة البالغة والملل الطويل من " موازين القوى " و " موازنة الرعب " و " القدرات العسكريّة " و " الترسانة غير العاديّة " ؛ فاندفعوا ليصنعوا ميزانهم بأنفسهم ويَسْتَغْنُوْا عن موازين سواهم ، ولم يعرفوا وزناً سوى وزن الحجارة في أكفّهم الصغيرة وبين أصابعهم الناعمة ، وقصد كلّ منهم ليحطّم رأس متغطرس من الصهاينة الدخلاء الغرباء على هذه الأرض الطيبة .. إنّهم يسرّهم كثيراً ويمتّعهم جدًّا مشهدُ جنود الاحتلال الجبناء في الواقع ، الشجعان في الظاهر ، وهم يتراكضون ضارطين خاسئين ، نجاةً بأنفسهم من حجارتهم المُسَدَّدَة التي يقذفونها إليهم على طريقتهم .

لقد ظلت عقليّة " العقلاء " في كل زمن تختلف عن عقليّة الأبرياء الصادقين من المحبين والفدائيين والمتطوعين ، عشاق الموت ، المتسارعين إلى التبؤ في محراب الخلود . " العقلاء " دائماً ظلّوا متورطين في قراءة " العرف " و " الاستحسان " و "الاستصلاح " وتغيّر الظروف . أما المحبون المخلصون فظلّوا يصدرون في جميع خطواتهم عن فتوى القلب الحاني ، والضمير الإيماني ، والإباء المتلهّب ، والكبرياء المتشبب .

إن أطفال الحجارة وصانعي الانتفاضة ، قد أكّدوا لعقلاء العالم كلهم : العرب والعجم ، المسلمين وغير المسلمين - وقد أكّدت آخر

والمروءة والأخلاق العذبة الطيبة التي تحوّل الإنسان ملائكة يمشون في الأرض.

ولا يزيّن هذه الطائفةَ الكريمةَ من العلماء والدعاة والقادة والمصلحين شيء مثلما يزيّنه مكارمه الخلقية ومحاسنة الإنسانيّة. قد يجوز لهم أن يتجردوا عن بعض العلم وبعض الفكر وبعض الرصيد المعلوماتي، وبعض الذكاء والفطنة، ولكن لا يجوز لهم أن يتجردوا من شيء من هذه الصفات، التي هي رأس مالهم، ومُعوَّل آمالهم، وضمان نجاحهم في مهمتهم.

لو علم العالم والداعية والعامل في مجال من مجالات الدين القيمة الصحيحة لهذه الصفات، لم يدع قطّ العلم والدراسة والأعمال الكتابية والخطابيّة والإنتاجات العلميّة والتأليفية تطغى وتركو على حساب الأخلاق الإنسانيّة.

لقد غرّب الداعية والعالم والكاتب نفسه عند ما ظنّ أنه سيصنع كلّ شيء بمجرد العلم والفضل وسعة الدراسة وعمق الاطّلاع و كثرة المؤلفات وسحر الخطاب والبيان، فلم يُعْن بتربية أخلاقه، وتحسين معنويّاته، وتدريب نفسه على الصفات، التي تصقل مؤهّلاته الظاهرة، وتجعلها تعطى مفعولها نصاب مطلوب.

العالم المتبجّح بعلمه؛ والداعية الواثق بالترتيبات والبرامج والموادّ الجاهزة في الموضوع؛ والقائد الديني المعنيّ بالتحركات الكثيفة والمساعي الحثيثة؛ والمصلح المُعجب بفكره الثاقب ونظره النافذ، وشخصيته اللّماعة، وخبراته الماديّة، لم يقدر - بشهادة المواقف الحديثة والتجارب المتصلة - على صنع شيء في غنى عن أسلحة الأخلاق، والصفات الإنسانيّة المثاليّة التي هي التي صنع بها النبي صلى الله عليه وسلم و صحابته و تابعوه وأتباعهم وأخلافهم وأسلافنا جميع المعجزات التي نفتخر بها وننتمي إليها.

هذا التراث الضخم من العلم. وهذا العالم الإسلامي الواسع على خريطة الأرض، وهذه الأمّة الكثيرة العدد، وهذه النهضة العلمية والفكريّة، والأخلاقيّة والمعنويّة .. كلُّ ذلك من مُعْطَيات مكارم الأخلاق التي جاء النبيّ ليتمّمها.

والأخلاق الحسنة بأنوارها الجميلة وبركاتها المثمرة، إلى جانب العلم الغزير، والفكر المستنير؛ والاطّلاع الواسع على الأوضاع الحاضرة، والمتطلبات المعاصرة؛ والقدرة الفائقة على الكتابة الجميلة، والخطابة العذبة؛ والبراعة المثاليّة في الأدب واللغة؛ وامتلاك ناصية الفصاحة والبلاغة، والجهاد المستمر في سبيل الدعوة، وفي سبيل استرداد اعتبار المسلم وثقله في الدنيا المعاصرة، وإلى جانب الصلة القويّة بالله، والحب المخلص للنبي صلى اللّه عليه وسلم، والعطف على الإنسان ولا سيّما المسلم.. كلُّ ذلك جعل العالم الداعية الكاتب المفكر الأديب الشيخ أبا الحسن علي الندوي واسطة العقد بين العلماء الدعاة المعاصرين، وأضفى عليه مسحة القبول والمحبوبيّة، وجعل قلوب الناس - العرب والعجم - تنجذب إليه انجذاباً أقوى من انجذاب القطع الحديديّة إلى المغاطيس.

إنّ مجرّد العلم قد يجعل الناس يكرهون صاحبه إذا كان سيّء الأخلاق. وإنّي أعتقد أن ذا العلم لايحتاج إلى شيء احتياجه إلى الأخلاق والمروءة والكرم. والعالم المجرّد من هذه الحلية اللّماعة المزيّنة، أجدر به أن يتجرّد من العلم كذلك، لأنّ الأميّ المجرّد من الأخلاق لا يُعاب مثلما يُعابُ العالم المجرّد منها.

☆☆☆

الإحصاءات أنّ ٢٨٪ من شهداء الانتفاضة إنما هم من الأطفال – أنّهم واهمون جدًّا إذا كانوا يظنون أن الآلة العسكريّة الضخمة والترسانة الحافلة بالدبابات والصوارخ والراجمات والطائرات تستطيع أن تُخِيْفَ شعباً ، وتُقْعِدَه عن المطالبة بحق. فها هو قد انتفض غير مُبَالٍ بشيء منها ، قد اندفع أعزل إلى رؤوس العلوج من الصهاينة يحطّمها بالحجارة ، وينكّسها بذلّة وهوان ، وتحطّ أعلام الهزيمة عن الجدران .

هذا دورُ أطفال الحجارة وشباب الغيرة الإسلاميّة ، الذين ظلّ الإيمان متأججًا في صدورهم رغم جميع المؤامرات والمحالات لنزعه منها ، أمام الجيش اليهوديّ الذي بيّض وفرّخ في رأسه الشيطان والطاغوت ، والذي برع في تفجير القذائف الأمريكية في رؤوس الأطفال الفلسطينيين الأبرياء .

فأين دور دعـاة السلام ورعـاتـه وأنصاره والمتورطين فيه إلى الرؤوس والآذان ؛ لماذا انْزَوَوْا مـع تصـاعد الحرب الصهيونيـة ضـدّ الشعب الفلسطينـي المـؤمـن الأعـزل .. لقـد سكت البريطانيون ، وخفض الفرنسيونيون صوتهم ، وتراجع مُرَتِّبُوْ " أوسلو " النرويجّيون إلى الخلف ، ولَازَمَ الكنديون والألمان صمتاً رهيبًا ، ولَحِسَ الروس ترابَ الّذل والعجز الذي غرقـوا فيـه منذ انهيار الاتحاد السوفياتي ، ذلك أنّ مثلهم كمثل الشيطان إذ قال للإنسان : اكفر ، فلما كفر قال : إني بريء منك . إني أخاف الله رب العالمين .

لقد تبرأ كل من " الشيطان الأكبر " – حَسَبَ تعبير ملالي إيران – أمريكا و أذنابها وخراطيمها من دول الغرب كلها من المتسارعين إلى إقامة السلام مع الصهاينة و الغرام بها . ولم تعد إلاّ الحقائق الصارخة التي تنادي بملء الأفواه : أنه صدق ربنا الرحمن وكذب أولياء الشيطان ، صدق الله إذ عرّى اليهود في كتابه الخالد وتحدّث في تفصل وتكرار عن إخلافهم الوعـدَ وقتلهم الأنبيـاءَ وأكلهم السحتَ و كفرهم بآيات الله وشرّهم المستطير وكونهم ملعونين في الدنيا والآخرة ، وكذب الذين دعوا إلى الثقة بهم و عدم الثقة بكتاب الله .

إنّ الأحداث الدامية المستمرة أكثر من شهر ونصف ، كشفت عن أنّ الحماس المضلّ المخادع لعملية السلام ، إنّما كان من أجل كسر عزلة إسرائيل وفرضها على واقع إقليمي يرفض أطماعها التوسعيّة الخبيثة .

وإذا كانت مجزرة جيش الاحتلال الصهيوني ضد الشعب الفلطسيي الأعزل لطمةً قويّةً على خدود جميع الواهمين والمضللين والمخادعين فيما يتعلق بإقامة الصلح مع الصهاينة .

فإنّ الواجب على المسلمين العرب والعجم أن يُسَخِّروا جميع ثقلهم المادي والمعنوي من أجل أن لا تهدأ الانتفاضة ، ولا يتوقف الجهاد ، ولا تسقط الحجارة عن أيدي الأطفال ؛ لأن الحق المغصوب بالقوة لن يُسْتردَّ إلاّ بالقوة .

***

الحق المغصوب بالقـوة لن يُسْتَرَدَّ إلاّ بالقـوّة

الشيوخُ والرجالُ والمسنّون على اهتماماتهم وهواياتهم ، قد يكونون " عَقْلاَنِيِّيْنَ " لا يستجيبون لفتوى القلب ، قد يكونون " ثاقبي النظر " " حاملي البصر " لا يُلَبُّوْنَ داعيةَ الضمير ومناديَ الإباءِ والغيرةِ الإسلاميّة ؛ لأنّ " ثقوبَ النظر " و " حدَّةَ البصر " تحول دون الاندفاع لدواعي العاطفة مهما كانت نبيلةً ساميةً .

أمّا الأطفالُ ما دون ١٨ عاماً ، فهم لا يعرفون " المصالح " ولا يعرفون " نفاق العقل " ولا يعرفون مشورة "بعد النظر " ولا يدركون فتوى صادرة عن اللّاحياء واللّاإباء ومُرَكَّبِ النقص والنظرةِ الاعتداليّة والسياسة الاتـزانية .

إنّهم لا يعرفون إلاّ أنهم سَئِمُوْا استجداء " السلام " من بلاط الغرب والبيت الأبيض و " أسود " الأمم المتحدة ، أعني المسكين أمينها العام الحالي الذي لونُه من سواده بحيث لا تبدو عليه علامةٌ للغضب والرضا فضلاً عن الإباء .

إنّهم - لكونهم واقِعِيِّيْنَ أكثر من جميع " الواقِعِيِّيْنَ " - لا يعرفون إلاّ الغطرسة الإسرائيلية ، والعنجهيّة الصهيونية ، ومؤامرة الأعداء ، وتخاذل الأصدقاء ، وتطاول الليل البهيم الحالك السواد ، وتأخُّرَ الصبح الأغرّ الأبلج المُؤَمَّل المُنْتَظَر ؛ تأخّره رغم محاولات السلام ، ونعرات السلام ، واتفاقيات السلام ، وإجراءات السلام .

إنّهم لا يعرفون رغم التقيّد بـ " الأمن " والخضوع المُكْرَه لـ " للسلام " إلاّ التشريد والجلاء ، والتجويع والتقتيل ، والظلم الفاحش ، وتبجّح القويّ الخبيث المهين من سلالة القِرَدَة والخنازير وعَبَدَة الطاغوت ، وصبّه الويلَ عليهم دونما ذنب - إلاّ ذنب المطالبة الضعيفة بالحق المغصوب والعزّ المفقود - عبر المدفعيّات والطائرات ، والدبابات والحوّامات ، والآليّة العكسريّة المدمرة .

إنهم لا يعرفون إلاّ أنّ الأراضي المُبَارَكَ فيها والمسجد الأقصى المُبَارَك حوله والحقوق العربية المهضومة .

(البقية على ص ٩٣)

أبو أسامة نور

بسم الله الرحمن الرحيم

ادْعُ إِلى سَبِيْلِ رَبِّك بالْحكْمةِ والْموْعِظةِ الْحسنة و جادلْهُمْ بالّتيْ هِي أحْسَنْ (القرآن الحكيم)

الدّاعي

مجلة عربية إسلاميّة شهرية

تصدر عن الجامعة الإسلامية دارالعلوم

ديوبند ، الهند

تحت إشراف :

فضيلة الشيخ مرغوب الرحمن

رئيس الجامعـــــــة

رئيس التحرير

نور عالم خليل الأميني

أستاذ الأدب العربي بالجامعة

الهاتف ، والفاكس ، والبريد الالكتروني :

Ph. : (00-91-1336) 22429 / 22332

Fax : (00-91-1336) 22768

Web : http://www.darululoom-deoband.org

E-mail : darululoom_deoband@yahoo.com

العـــــدد : ١١

السنـــــة : ٢٤

ذو العقدة : ١٤٢١هـ

فـبرايـر : ٢٠٠١م

الاشتراكات :

ثمن النسخة : ١٥ روبية هندية

قيمة الاشتراك السنوي

في الهند : ١٥٠ روبية هندية

وفي خارج الهند للأفراد : ٣٥ دولاراً

وللمؤسسات الحكومية : ٤٥ دولاراً

المراسلات :

رئيس تحرير مجلة الداعي

دارالعلوم ، ديوبند (الهند)

الرمز البريدي ٢٤٧٥٥٤

Chief Editor

AL - DAIE

Arabic Islamic Monthly

Darul - Uloom,

Deoband - 247554

(U.P.) INDIA

كلمة العدد

العرب بحاجة ماسّة للعودة إلى إبائهم المضروب به المثل

مؤامرة الأعداء على زرع غرس إسرائيل الخبيث في قلب الأرض العربية الفسلطينية ، واحتلال الصهاينة للأراضي العربية خلال عدد من الحروب العربية الإسرائيلية التي فرضها على العرب الصهاينة وأبناء التثليث ، ثم توريطهم الفلسطينيين والعرب في المسلسل الممل لعقد الصلح واتفاقيات السلام ، لترسيخ هيمنة إسرائيل على الأراضي العربية وعلى مدينة القدس والمسجد الأقصى وعلى العرب .. كلُّ ذلك لم يكن ليشكّل مبعث قلق وأسف ، لو ظلّ العرب محتفظين بخصائصهم من الغيرة والحمية والنخوة ، التي ظلّوا يمتازون بها عن كل أمّة على ظهر الأرض ، بجانب امتيازهم بدينهم الخالد الذي أبرزهم بعد الخمول ، وأعزّهم بعد الذلّ ، وسما بهم إلى العلياء بعد انهيارهم الخلقي والاجتماعي المنقطع النظير .

إنّ الغيرة وما يماثلها من الصفات رأسُ مال الحياة المعنويّة لأمّة من الأمم ، ولم تفقدها أمّة إلاّ ذلّت ، ولم يُحْرَمْها فردٌ إلاّ انهار إلى الحضيض ووقع في قعر الذلّ والتبعيّة .

يجوز أن تفقد أمّة سيادتها على أرضها ، واستقلالها في وطنها ، وسيطرتها على ممتلكاتها الوطنية وخيراتها الجَمَاعيّة ، ومقومات حياتها القوميّة ؛ لأنّ ذلك شيء قد يحصل في تأريخ الأمم والشعوب ، من أجل سنة الله تعالى في الأرض ، ودستوره المرضيّ لديه في إدارة الكون ؛ ومن أجل مداولته الأيّامَ بين الناس ؛ فقد يجعل اليوم لأحد ، والغد على أحد ؛ ثم يجعل العكس . وهو فعّال لما يريد ، وحكيم فيما يفعل أو يذر ، ولا يُسْأل عمّا يفعل وهم يُسْأَلون .

ولكنّ الشيء الوحيد الذي ينتشل شعباً من الشعوب من كبوته ، ويرفعه من سقطته ، ويكسبه العز بعد الذلّ ، ويكرمه بالمكانة بعد الضعة والخمول ؛ هو ثروتُه المعنويّة ، وجراءتُه الخلقية ، وغيرتُه التي تبعثه من جديد ، و تشبّه من خمود ، وتدفعه بعد جمود ، وتزوّده بقوة لا تُغَالَبُ ، وهمّة لا تُقَاوَمُ ، وعاطفة لا تُدَافَعُ بأيّ عُدّة من عُدَد الحرب والضرب .

إنّ ذلك هو الشيء الوحيد الذي يضمن التقدم إثر كل تخلّف ، ويؤمّن الرقيّ دبر كلّ

سقـوط . ومـا دامت أمّـةٌ متمتعةً بهـذه الصفة العظيمة ، لا يُخَافُ عليها السقوطُ الأبدي الذي لا تقوم لها بعده قائمة ؛ وإنّما الأمل يظلّ قائماً في نهضتها وانبعاثها . فإذا حُرِمَتْها أمة فذلك موضع مخافة شديدة ؛ حيث لا رجاء بعدها في نهوضها وانطلاقها على درب الحياة والقوة والفخار ، إلاّ أن يشاء الله الذي يقـدر على كل شيء ، في كل وقت ، بغير سبب .

☆ ☆ ☆

لقد أعمل الأعداء – ولا سيّما الغرب المتكبّر المفطور على الصيد والكيد ضدّ الإسلام وأهله – منذ وقت مبكـّر جدًّا ، وفي جديّة وعن دراسة قصوى ، الحيلَ الماكرة البعيدة المدى ، من أجل تجريـد العـرب من حميتهم الدينيـــة ، ونخــوتهـم العربيـــة ، وغيرتهـم الإسـلاميـــة ، وعاطفتهم القوميّة . نفّذوا عمليّة التجريد هذه عن طريق الغزو الفكري الثقافي المتعدد الألوان والأشكال ، وعن طريق السياسة التعليمية ، وعن طـريق الإعــلام الــذي هيمنـوا على وسائلــه المتطورة ، وعــن طـريق الاقتصــاد والتجـارة والاستراتيجية العسكريّة ، وعن طريق تواجدهم العسكريّ في المناطق الحساسة من العالم العربي ، التي تتعلق بها قلوبُ المسلمين ، وتهـوي إليها أفئدتهم ، والتي هــي أوكار أرواحهــم و مــواقع آمــالهم وأحلامهم .

ركـّز الغرب على تطويق العرب بكل شكل من الأشكال ، تركيزاً لم يركّزه على هدف من الأهداف . وقد استطاع أن يجعل العرب بقرة حلـوباً و ناقــة رطوبــاً ؛ حيث سيطـر سياسيًّا واقتصاديًّا و عسكريًّا على مناطق النفـط ومنابع الثروة و مصــادر القوة الاقتصاديــة التي حوّلت العالم العربي عموماً ، ومنطقة الخليج العربي خصوصاً ، مجالاً استرتيجيًّا حيويًّا . وبجانب ذلك حرّش بين العـرب الذين هم أشقاء في الهدف والمصير ، والعقيـدة والدين ، والتراب والطين ؛ فجعــل كلًّا من القادة ضد الآخر ، وحرّض الدول بعضها على البعض ؛ فأضعف الصفّ ، وشتّت الشمل ، وأخاف كلاًّ منهم من الآخر ، ليوجد وسيلــةً و مبررًا من أجل تواجده وبقائه في المنطقة ؛ حيث وقف بعد ذلك موقف الناصح الأمين والمناصر العطوف ، و أوهم كلاًّ من الفرقاء أنه وحده سيصون مصالحه الفرديّة والوطنية من خصمــه اللدود . ولا زال الغـرب – وعلى رأسه " الشيطان الأكبر" أمريكا في التعبير الإيراني المُسْتَحْدَث بعد عهد الشاه – متواجدًا في هذه المنطقة العربية الإسلاميّة المقدسة في عيون مسلمي العالم كلّــه ، بجنـوده و آلياتـه الحربية وهيبته العسكريّـة وتهديداتـه الخبيثة ومبرراته الملفقة ، يمتصّ خيرات العرب ، و يبتلع الثمالــة الباقيــة من ثرواتهم ، وينفّـذ سياسـة تجويعهم و تفليسهم البعيدة المدى في انهماك تامّ ، وبلبقاقة ماكرة تجعل قادة المنطقـة يرحّبون

به صديقًا حميماً .

☆ ☆ ☆

إنّ سياسة التواجد العسكريّ في منطقة الخليج خصوصاً و في منطقة العالم العربي عموماً ، كانت و ما تزال شاملة ، تستهدف تحقيق أغراض كثيرة كلها تنصبّ في قناة هدم العرب من كل الوجوه .

حيث أريد من ورائه التحريض الدائم لبعض العرب على البعض ؛ وكذلك انتزاع الأسلحة كليًّا من الذين كانوا قوة مرهوبة أو كان بالإمكان أن يكونوا قوة مرهوبة ؛ أو كانوا بحيث إن أُعِدّوا إعدادًا لائقاً قدروا على مجابهة الأعداء .

كما أريد استنفاد إمكانياتهم و وسائلهم بشغلهم بالعناية بالأسلحة والعتاد من أجل مجابهة بعضهم لبعض .

وأريد تجويع العرب بمعنى الكلمة الشامل ، حتى يعودوا فقراء عالة ، ولا يعودا قادرين على اللحاق بركب التقدم في أي من مجالات العلم والتكنولوجيا والاقتصاد .

وبجانب ذلك عمل الغرب – وعلى رأسه أمريكا – و بشكل سافر على جعل إسرائيل – بعد زرعها في الأرض الفلسطينية العربية الإسلامية – تفوق العربَ في جميع الحروب التي فرضته على العرب ، وتعاون معها – ماديًّا ومعنويًّا و باستمرار – لتهزم العرب ، وتحتل الأراضي العربية ، والقدس ، والمسجد الأقصى : مسرى النبي ﷺ و مصلى الأنبياء ، وتشرّد الفلسطينيين أبناء الوطن الأصلاء ، وتقتّلهم ، وتُعَذّبهم ، وتصبّ عليهم الويلات ، وتصطادهم كالطيور ، وتفتك بالأطفال والشيوخ والنساء فضلاً عن الرجال .

إنّه ليس سرًّا مكتوماً أنّ إسرائيل غرس غربيّ خبيث في أرض الأنبياء وحول مدينة السماء ، وأن إسرائيل لم تصبح قوّةً مرهوبة الجانب إلاّ بفضل الغرب ولا سيّما بريطانيا وأمريكا .

وإنّه ليس سرًّا مخفيًّا أنّ مسلسل السلام وعقد الاتفاقيات مع إسرائيل ، إنّما هو حبالة الشيطان التي أعدّها الغرب ولا سيما أمريكا لتأمين مصالح إسرائيل للأبد ، ولتركيع العرب للأبد . وكلّ الخطوات التي نُفِّذَتْ لحد اليوم جاءت تُذِلّ العرب ولا سيما الفلسطينيين وتؤكّد حرمانهم من الحقوق حق بعد حق ، و ترغمهم على التنازل عن شيء بعد شيء ، حتى أصبحوا واقعين في فخّ عجيب لا يجدون طريقًا للخلاص منه ولا جدوى للبقاء فيه .

☆ ☆ ☆

أيّ سلام أرادت أن تفرضه أمريكا وأذنابها على العرب والمسلمين بعد ما جعلت ربيبتها – أو عشيقتها – أن تبتلع ٧٨ ٪ من أراضي فلسطين العربية . والمفاوضاتُ التي تجري بدءًا من مدريد و أوسلو و مرورًا بكامب ديفيد ٢ وانتهاء بكل الحولات التي تُجْرَى لحد اليوم ، إنما تدور حول تقسيم ٢٢٪ من الأراضي الفلسطينية ، بعد أن

التهم الصهاينة ٧٨٪ منها ، حيث غصبوا ٥٢٪ بمقتضى قرار الأمم المتحدة المنحاز الصادر عام ١٩٤٨م الذي اشتهر بقرار التقسيم . أمّا ٢٦٪ منها، فقد استولى عليها الكيان الصهيوني خلال حرب ١٩٤٨م . والمفاوضاتُ كلها التي جرت بين الصهاينة والفلسطينيين برعاية غربية أو محاولة عربية لم تتطرق أي منها للتسوية فيما يتعلق بهذه النسبة الكبرى من أرض فلسطين وهي نسبة ٧٨٪ . وإنّما ظلت المفاوضات دائرةً حول الـ ٢٢٪ ، وهي الأراضي التي استولى عليها العدوّ في حرب ١٩٦٧م ، والتي تشتمل على الضفة الغربيّة وقطاع غزّة .

وظل الغرب بقيادة أمريكا يخادع الرأي العالمي العام منذ اليوم الأوّل ، حتى التسوية الأمريكية الأخيرة التي طبّلت لها إدارة كلينتون، بأنّها تنصّ على انسحاب الكيان الصهيوني من ٩٥٪ من أراضي الضفة الغربية – وهي تمثل جزءًا من الـ ٢٢ ٪ الباقية من الأرض – .

وإنّ نسبة الـ ٩٥ ٪ من أرض الضفّة ليست صحيحة ؛ حيث تمّ خصم المستوطنات القائمة على ١٪ منها . كما أن ٨٪ يطالب الصهاينة بضمّها إلى الأراضي المحتلّة قبل ١٩٦٧م ؛ إضافة إلى أنّ الـ ١٨٪ الأخرى تم اقتطاعها من أجود أراضي الضفّة وضمّها إلى الكيان الصهيوني . وبذلك أصبحت النسبة الحقيقيّة من أراضي الضفّة التي يتحدثون عن الانسحاب منها ، هي نسبة ٦٨٪ وليست نسبة ٩٥٪ .

وفيما يتعلّق بعودة اللاجئين الفلسطينيين من الشتات ، الذين يبلغ عددهم ٤,٥ مليون ، تتجاهل المقترحات الأمريكية حقوقهم ، متغاضية عن أكثر من مائة قرار صادر عما يسمّى بالأمم المتحدة ، حيث هذه المقترحات المنحازة اللاعادلة توصي بتوطين اللاجئين حيث هم في مواطن الشتات ، مع تعويضهم عن ممتلكاتهم في فلسطين ، بمبالغ لا تتجاوز ٢٪ من قيمتها . والحل الآخر الذي عرضته المقترحات ، هو السماح بعودة ١٥٠ ألف لاجيء بمعدّل ألف أو ألفين كل عام !!.

☆ ☆ ☆

إنّ الخداع الذي ظلّ يمارسه الغرب في زرع الكيان الصهيوني ، وفي سقيه و تعهده بالسماد ، وتحويله شجرة قويّة ؛ ثم فرض الحروب على العرب ، ثم فرض مفاوضات السلام ، والتدرج المتعمد في ابتلاع الحقوق الفلسطينية ، والتهام الأراضي العربيّة . بجانب اصطياد الشباب والأطفال الفلسطينيين عبر هذه المدة كالطيور ؛ هذه الأسباب وغيرها هي التي تشعل الانتفاضة الفلسطينية من وقت لآخر ، التي يضحي فيها الشباب بأنفسهم نذوراً في سبيل العقيدة ، والتراب المقدس ، والحق المشروع .

والانتفاضةُ هي مقدمة الجهاد الشامل. والجهادُ هو الطريق الوحيد لتحرير فلسطين ، و

اقتلاع الكيان الصهيوني ، ولطم كل الأعداء ، ودحض كل الكلاب والذئاب عن أرض الأنبياء.

ذلك لأن العقلاء وعلى رأسهم سادة القادة والساسة كلهم قد جرّبوا الحظّ في يانصيب المفاوضات الاستسلاميّة .. وقبل أن تنتهي هذه المسلسلاتُ المملة ، لم تلتزم إسرائيل بأيّ جزء من الاتفاقيات ، وإنما ظلت – كعادتها وطبيعتها التي تحدث عنها كتاب الله تعالى القرآن الكريم – تؤوّل الكلمات ، وتلفّ المعاني ، وتلوي المدلولات ، وتُحَمِّلُ الألفاظ ما لا تحتمل . فهل هي تغيّر طبيعتها فيما بعد انتهاء جميع الاتفاقيات ، هل هي تنسلخ عن طبيعتها المعجونة بالغدر والخيانة وإخلاف الوعد ، وعداء الإنسان ، وقتل الأبرياء حتى الأنبياء ؟!.

نصّت الاتفاقيات الموقعة في أوسلو على أن التفاوض بشأن المرحلة النهائية سيتم بعد خمس سنوات من توقيع إتفاقية أوسلو ؛ ولكنه بعد ما يقرب من ثماني سنوات لم يتمّ تنفيذ أكثر من ثلاثين استحقاقًا فلسطينيا متواضعًا .

إن مسلسل المفاوضات والاتفاقيات ، صاحبه مسلسل من التنازلات ؛ فقد بدأ بنبذ السلاح و التنصّل عن فريضة الجهاد ، حتى ألغت منظمة التحرير الفلسطينية ميثاقها الذي كان ينصّ على تحرير كل فلسطين ، وعلى عدم الاعتراف بالكيان الصهيوني الغاصب وحتمية عودة الأرض والديار لأصحابها . ولم تكتفِ بذلك وإنما تراجعت عن الثوابت ، حتى وصل بها الأمر إلى حدّ الدخول في ترتيبات واتفاقات أمنية لحماية العدوّ ، وقمع القوى الإسلامية الوطنية على صعيد الشعب الفلسطيني ؛ لكن ذلك كله لم يغير شيئًا من طبيعة الصهاينة .

وظلّت الرعاية الأمريكية تؤكد انحيازها السافر للعدو ، ليحرز التفوق العلمي والتكنولوجي والعسكري على جميع الدول العربية و الإسلاميّة ، مع فرض الحصار حول العرب والمسلمين الذي حال ولا زال يحول دون تسلحهم بأسلحة العصر .

☆ ☆ ☆

و لم يكن العرب والمسلمون ليقبلوا هذه الدنية البالغة في حقّهم ، ويرضوا بالذل الذي يُفْرَضُ عليهم ، لو كانوا على ما كان يميزهم عن جميع الأمم والأقوام من الغيرة والحمية والنخوة والإباء .

وإن الجهاد – الماضي إلى يوم القيامة الذي عُقِدَ به عزّ المسلمين – ضد العدوّ الماكر المخادع الغادر هو الذي يستردّ عزّهم ، ويستعيد مجدهم ، ويجلب لهم ثقلهم و زنتهم و وقارهم واعتبارهم في الدنيا ، و يضمن سعادتهم في الآخرة . " وَ يَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنون بِنَصْرِ اللّٰهِ يَنْصُرُ مَنْ يَّشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيْزُ الرَّحِيْمُ " (الروم/٤-٥) .

نور عالم خليل الأميني

آفاق إسلامية

بقلم : الدكتور أحمد عبد الرحيم السايح
الأستاذ في جامعة الأزهر

الإسلام قد وثب بالمسلمين وثبة هائلة، وهذه الوثبة الهائلة كانت على إثر إشعاع القرآن الكريم، في جنبات الدنيا والإنسانية .. فأنارهما بعد ظلمة، وهدى الإنسانية بعد حيرة، ونظمها بعد اضطراب، وفتق أذهان أبنائها بعد ارتقاق ، وأزال الأصفاد والقيود التي كانت تقف حجر عثرة أمام الفكر والتقدم .

وكان من ذلك أن نبه على وجوب النظر في الكون العام ، وفي النفس الإنسانية ، وفي الأسباب والمسببات ، والمقدمات والنتائج ، والعلة والمعلول.

فكان بهـــذا مصباحـــاً أضاء الـــدنيـــا وأنار أفق الإنسانية ، وأشرق بالمعرفة الصحيحة .

والباحث المنصف يرى أن الإسلام في وثبته تلك، قد وضع أسس المعرفة التي تهدي الإنسانية إلى الخير .

والمعرفة في الإسلام، لاتقوم على نظرية تحتاج إلى دراسة وتأمل .. وإنما على أساس التعادل بين الكم والكيف ، وبين المادة والروح ، وبين الغاية والسبب، وبين الدنيا والآخرة .. فلا إفراط ولا تفريط .

لقد ربط الإسلام بين الحواس المرهفة ، وبين العقل الباحث المنظم، والوجدان النقي ، وكل ماجاء في القرآن الكريم في الحث على التفكر، دليل على مكانة العقل، والعلم .

والمعرفة في نظر الإسلام دليل العقل. إذ العقل آلة التفكير ، والعلم ثمرة التفكير . فكل ما ورد في القرآن، حث على التفكير .

وهو إعلان عن فضل العقل. وإيحاء بالعمل على تربيته، وتقويته ، وهو في الوقت ذاته تسجيل لفضل العلم .. حتى يتمكن الإنسان من الحقائق ، وتزول عنه غشاوة الجهل ، ويتحرر من رق الأوهام، والخرافات والأساطير التي لاصلة لها بواقع الحياة .

وبهذا كان الإسلام دين الفكر، والعقل، والعلم...

وقد ارتفع القرآن بالعقل وقدره حق التقدير وجعله ميزة الإنسان .

قال تعالى في سورة الحج : ﴿ أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها ﴾ .

وبناء على التوجيهات القرآنية، للناس بالنظر والدراسة ... انطلق المسلمون يدرسون، ويبحثون، ويقارنون، ويغربلون، ويقعدون القواعد، ويؤصلون الأصول .

ولقد اشتملت توجيهات القرآن العقلية، على أصول ومبادئ عامة صلحت لأن تكون منهجاً فكرياً سليماً ، حدد به المسلمون موقفهم من مشاكل الكون والحياة .

واستطاعت هذه التوجيهات أن تمكن المسلمين، من الاستفادة من تلك الدرة الالهية، التي منحها الله للإنسان، هي العقل، فنمته، وجعلته يمارس الوظيفة الأساسية التي خلق من أجلها. حتى كانت للمسلمين حضارة، وعلوم، ومخترعات حضارية عالمية لن ينسى التاريخ دورها في تحويل مجرى الإنسانية، ولن تنسى

الإنسانيـــة دور المسلمين في بنـــاء الحضارة بأصالـة وعمق، وفاعلية .

كانت هناك تشريعات، وفلسفة، وقوانين، وطب، وفلك، وآداب، واجتماع ورياضيات، وتاريخ، وجغرافيا، وفنون جميلة، وآداب للسلوك والاجتماع.

وكان لكل هذه العلوم والفلسفات، أساتذة عباقرة، كائمة الحديث، ورجال الفقة الذين صطوا أساليب النقد، وقعدوا قواعد التشريع ..

وفوق هذا وذاك .. فقد كان المسلمون هم واضعو طرق البحث العلمي التجريبي الذي كان أساساً للحضارة الأوروبية الحديث .

ويكفي في هذا أن نستشهد باعتراف العلامة (بريفولت) حيث يقول : " إن الأوروبيين درسوا عن العرب طرق البحث العلمي التجريبي وأنه لم يسبقهم إليها باحث أو مفكر).

تلقى المسلمون هذه الينابيع من مصادرها الأصلية، واستقرت دعائمها في نفوسهم فكانت الرائد الأمين للعقـــول والإفهـــام، والغـــذاء الروحي للعرائز والمواهب .

وهذه الينابيع طبعت الناس على استقلال الإرادة، وحرية الفكر، كما كـــرهت إليهم التقليـــد، والتبعيـــة العمياء، ووجهت العقول للبحث والانتاج.. وفتحت لهم ميادين العلوم والفنون .. فأقبلوا عليها سراعا.. ودخلوها من كل باب .

وبهذه النهضة العلمية الجبارة استطاع المسلمون في سرعة لم يعرف التاريخ لها مثيلاً . أن ينتقلوا إلى القيادة الفكرية العالمية، ويصبحوا أساتذة الدنيا وعباقرة العلوم.. وكان وأصبح هناك قادة، وحكام، ومدن وعواصم، ومعاهد، وجامعات، ودول وممالك لم يشهد التاريخ لها مثيلاً .

كل هذا كان . بفعل الاتجاهات العقلية التي عرسها الإسلام، والتي أدت إلى تنمية القوى العقلية الكامنة في الإنسان، والتي جعلت من المسلمين أساتذة للعلوم .

وكانت بعـــوث الأمـــم، تفـــد على العـــواصم الإسلامية. من كل ناحية . فيأخذون عن علمائها. ما شاءوا من أفانين العلوم. وألوان المعرفة ثم يعودون إلى بلادهم حاملين إليها مشاعل هذه العلوم التي نفخت فيهم روح الحياة، وفتحت لهم طريق الانتفاع بأصلين عظيمين من أصول الإصلاح الإسلامي .

حرية الفكر .. واستقلال الإرادة. فلم تنهض العقول للبحث ، ولم تتحرك النفوس للعمل إلا بعد أن عرفت أن لها حقًا في طلب الحقائق .

ولقد تلمست أوربا حضارة المسلمين العلمية.. فاستقت من روافـــدها المعرفـــة، والفلك والجبـــر والهندســـة، والكيمياء، والطب، والفلسفـــة، وعلـــوم النبات، والحيوان وسائر أنواع الفنون الحضارية .

وبنى رجـــال أوربـــا، بما تعلموه في معاهـــد المسلمين بالأندلس وبما نقلوه من علوم ... أسس النهضة الحديثة، التي ظهر نجمها في القرن الثامن عشر .. وازدهر في القرن التاسع عشر وتألق في القرن العشرين .

والإسلام بدعوته إلى العلم هو الذي خرج علماء الفكر، ورجال الحضارة أمثال، ابن البيطار، وابن سينا، وابـــن النفيس، وابـــن زهـــر، وابن بطوطـــه، والكندي والفـــارابي، والبيـــروني، والطـــوسي، والدينـــوري، والبغدادي، والفيروز آبادي، والإمام الغزالي، والطبري، والـــرازي، والانطاكي، والخـــوارزمـــي، والإدريسي، والمسعودي، وجابـــر والجاحظ، وغيرهم ممن أفادوا الإنسانية .

وهذا إبن الهيثم يبحث في السهل والأودية، ويجول فيها طولاً وعرضاً حتى يضع قواعد علم الضوء.

إشراقة

العلم والأخلاق .. أيّهما أقدر على فتح القلوب؟

الرُّكامُ الهائل من العلم ؛ والكثرة الكاثرة من المعلومات والاطّلاعات ؛ والذوق الكبير والشوق الشديد للدراسة والمطالعة ؛ والرصيد العريض من الذكاء والنبوغ والعبقريّة ؛ والثروة الهائلة من المقدرة اللسانية ، والموهبة الكتابيّة والخطابية ؛ والسيل الجارف من المُؤلّفات والكتابات ؛ والجولات والرحلات ، واللقاءات والزيارات ، المكثفة المتّصلة ، في سبيل العلم والثقافة ، والإصلاح والدعوة ، والتعليم والتربية ؛ والجهود الحثيثة من أجل خدمة المجتمع؛ والركض الدؤوب في سبيل الخير العامّ والنفع التامّ .. كلُّ ذلك وغيره لا يجعل الناس يُعْجَبُوْنَ بصاحبه إعجابَهم بالإنسان يتّصف بالمروءة والكرم ، والحلم والأناة ، والإنسانيّة والسيطرة على الأعصاب ، وضبط النفس في كلّ الأحوال، ومشاركة آلام وأحلام الفرد والجماعة ، والتألّم للغير، والتحرق على أبناء دينه خصوصاً والإنسان عموماً.

إنّ مجرّد الانهماك في دنيا العلم والفكر، ومجرّد الجري السريع على درب الثقافة بأنواعها، لا ينحت من الإنسان إنساناً مطلوباً منشوداً ، صالحاً مصلحاً ، يكثر على يديه الخير، وتعمّ به السعادة ، وينتشر به النور والبركة ، وتتفجّر من جوانبه ينابيع الهدى والتقى والعفاف والغنى .

جرّبنا كثيرين إذا تكلّموا في العلم جاؤوا بالعجب العجاب، وإذا كتبوا أو خطبوا في الإصلاح جاؤوا بسحر عظيم ، وإذا تحدّثوا في مجلس فتنوا الحضور بمُعْطَيَات ذكائهم وفواكه نبوغهم ، وثمار عبقريتهم ؛ لديهم من البيان أعذبه ، ومن الخطاب أرشقه ، ومن اللغة أحسنها ، ومن الأسلوب أجمله ، ومن العرض ألذّه ، ومن الشرح أطيبه، ومن المنطق أظرفه؛ ولكن هذه المعاني كلّها لا تضفي عليهم مسحة من القبول والحبّ، ولا تجعلهم موضع الإعجاب والتقدير، ولا يسمو بهم إلى المنزلة التي يُؤَدِّيْ لصاحبها العامّةُ والخاصّةُ ضريبةَ الحبّ والإعجاب؛ ويعتزّون بانتماءة إليه، ولفتة منه، والتقاءة معه، وجلسة في مجلسه، وصحبة له ساعة من الليل أو النّهار.

وفي جانب آخر جربّنا كثيرين آخرين كانوا أقلّ علماً ومعلومات، وأحطّ مستوى منهم في الذكاء والعبقريّة، والمواهب الخطابية والكتابيّة؛ ولكنّهم كانوا أفضل منهم في السماحة والمروءة والندى، وفي الصفات الإنسانية السامية، والآداب الإسلاميّة المميّزة؛ فشاهدنا الناس يترامون عليهم ترامِيَ الفراش على النّور، ويفدونهم بالقلوب

(البقيـة على ص ٤٦)

أبو أسامة نور

وابن الدجيلي يسهر على قمم الجبال العالية، يحدق في الكواكب والنجوم ليحدد أفلاكها، ويعرف أبعادها، ويقيس محيط الكرة الأرضية .

وعبد الله الخوارزمي العالم المسلم الذي ولد في إقليم خوارزم. أول رجل في العالم يضع أصول علم الجبر وفي كتابه (الجبر والمقابلة) يقسم العلماء إلى ثلاثة : (فمنهم المخترع المبتكر الذي يسبق إليه، ومنهم الذي يتناول آراء العلماء قبله بالشرح والتفصيل والتوضيح، ومنهم المخترع المبتكر الذي لم يسبق إليه، ومنهم الذي لم يكلف نفسه أكثر من جمع المتفرق .

وأبو الريحان محمد البيروني الذي ولد في بيرون، وهي مدينة صغيرة تتبع مدينة خوارزم . يساهم في الفلك والرياضيات بمساهمات فعالة .

وابن النفيس العالم الدمشقي، يجري التجارب والاختبارات حتى يثبت أن الدم ليس سائلاً مستقراً في الأوردة والشرايين. بل هو سائل متحرك يدور في جميع أجزاء الجسم، وذلك قبل أن يكتشف العالم البرتغالي (هارفي) الدورة الدموية بثلاثة قرون .

وابن مسكوية ذلك المفكر الإسلامي الكبير الذي طرق الدراسات الخلقية والنفسية يسبق فلاسفة أوربا، وعلمائها بثمانية قرون. في علوم الأخلاق، والفلسفة، والتهذيب والنفس .

وجابر ابن حيان يحلل عناصر الطبيعة، وتفاعل المواد المختلطة، حتى يضع أصول الكيماء .

وابن يونس يسبق العلماء في اختراع بندول الساعة (الرقاص)

هذا كله في الوقت الذي كانت فيه أوربا تعيش في ظلمات الجهل، والفوضوية، والأمية، والهمجية، والتأخر، ولم ينقذ أوربا من ورطتها التي كانت واقعة فيها إلا حضارة المسلمين .

ولا زالت أسماء العلوم والمصطلحات التي أعطاها هؤلاء المسلمون، لغرائب المخترعات. مازالت حية نابضة، في جميع اللغات، رغم ما نالها من تحريف وتغير .

ولقــد سجل التـاريخ آيات هــذه الحضــارة الإسلامية، وشهد بها المنصفون من فلاسفة العالم ومؤرخيه، الذين لا يبغون من بحوثهم ودراساتهم، إلا مرضاه العلم في ذاته .

تقول الكاتبة الألمانية الدكتورة سيجريد هونكة (إن أوربا تدين للعرب، وللحضارة العربية، وأن الدين الذي في عنق اوربا وسائر القارات، للعرب كبيراً جدًا).

وقال العلامـــة، دريـــــر (المدرس في جامعــة "هارفرد") بأمريكا. في كتابه (المنازعات بين العلم والدين) : (إن نتائج هذه الحركة العلمية، تظهر جلياً بالتقدم الباهر الذي نالته الصناعات في عصر المسلمين، فقد استفادت منها فنون الزراعة في أساليب الري والتسميد وتربية الحيوانات، وسنن النظم الزراعية الحكيمة، وإدخال زراعة الأرز وقصب السكر، والبن..

وقد انتشرت معامل المسلمين ومصنوعاتهم لكل نوع مـــن أنواع المنسوجــات كالصــوف والحــرير والقطن. وكانوا يذيبون المعادن، ويجودون في عملها على ما حسنوه وهذبوه، من سبكها وصنعها. وإننا لندهش حين نرى في مؤلفاتهم من الآراء العلمية ما كنا نظنه من نتائج العلم في هذا العصر .. وإن جامعات المسلمين كانت مفتوحة للطلبة الأوربيين الذين نزحوا إليها من بلادهم لطلب العلم، وكان ملوك أوربا، وأمراؤها يفدون على بلاد المسلمين ليعالجوا فيها).

إن هذه الأقوال تشهد صراحة وضمنا، وجملة وتفصيلاً، لحضارة المسلمين، ومـدى فاعليــة هذه الحضارة الإسلامية الإنسانية .

وإن الأمة الإسلامية يمكن أن تعود إلى بناء حضارتها المتميزة وشخصيتها الإسلامية الفريدة .

العولمة في مسارها المُشَاهَدُ تمثل صيغة حديثة من أشكال الهيمنة العالمية

بقلم : معالي الشيخ عبد العزيز بن عبد الله السالم
الرياض / المملكة العربية السعودية

تتصف الثقافة بمفاهيم متعددة، وتتشكل مفاهيمها عبر دلالات مترادفة : فتتسع في مفهومها بحسب المعنى المقصود منها، وتتحدد في مدلولها إذا قُصد بها المصطلح المتفق على إطلاقه عليها وهو ما يختص بالثقافة الفكرية التي تمثّل الأداة الأساسية في التكوين الفكري للإنسان. بحكم أنها تتصل بفكره وتخاطب عقله وتعبر عن عاطفته وتترجم نبضات وجدانه. كما أنها من جانب آخر تعمل على تعميق رؤاه وتطلعاته و تضيء الطريق الذي يسلكه، وتقدم إليه الوسائل التي تفتح أمامه أبواب النهوض والارتقاء إلى جانب تجسيد الخوالج النفسية وإبراز العواطف الإنسانية، كما أنها تعيش في ذاكرة الوطن بصفتها أداة تسجيل صادق لتاريخه وملاحمه ونسق حياته.

وللثقافة دور مهم في حياة الإنسان فهي الوسيلة التي تفتح آفاق المعرفة الإنسانية الشاملة وتبسط امام الأنظار صورا متناسقة من التأملات في جوانب الحياة وأبعادها، وتشدُّ الانتباه إلى تأمل الكون الواسع العظيم ومحاولة إدراك ما تحويه الطبيعة من آيات بيّنات و مظاهر باهرة تدل على عظمة موجد هذا الوجود .. وعلى هذا النسق يرتقي الإنسان في تفكيره وفي أسلوب حياته وفي مجريات تعامله مع الآخرين فتحلق به الثقافة في آفاق فسيحة لاثراء ثقافته وتوسيع مداركه وتصبح بعد ذلك أداة توصيل فكري مهم بين الكاتب والقارئ .

☆ ☆ ☆

ومما لا ريب فيه أن للثقافة أهميتها في الحياة ولها مكانتها الملموسة في كل العصور، في هذا العصر بالذات تكثفت اهميتها واتسعت مكانتها وتعملق دورها. كما هو شاهد الحال فيما نحسه و نشاهده ونلمسه في واقع حياتنا الحاضرة.. و إذا كان للثقافة وفد شتّى و مطلقات عديدة وامتدادات فاعلة في الحياة العامة، فإنها في دلالتها الخاصة مرتبطة في الأذهان - كما هو التصور السائد - بالأعمال الفكرية، وإن كانت في دلالتها العامة اشمل من ذلك وأوسع مساعدة. حيث تندرج تحت مسماها انماط كثيرة من سلوكيات مختلفة، وألوان عديدة من صور الممارسات العامة .. وهي على الرغم من هذا الاتساع في مدلولها تظل مرتبطة في الحس الدلالي بأنواع فكرية من التصوّرات الذهنية التي تعبّر عن تفاعل المثقف مع إدراكه وعاطفته: في اطار ذهن متوهج بالإدارك مترع بالفهم .. فالانسان يتطور بفاعلية الثقافة كما أنها بدورها تعمل على تطويره والارتقاء به وجدانيا وفكريا، فلا يستوي الثقف ومَنْ ليس له حظ من الثقافة التي لها مكانة مرموقة في السلّم الاجتماعي، وإذا كانت في طبيعتها

ذات عراقة و تنتمي في جذورها إلى الأمم السالفة في تاريخها القديم، امامها قد نمتْ وتطورت في التاريخ الحديث لواتسعت قاعدتها لتشمل أنماطاً كثيرة و أساليب متنوعة من ممارسات الحركة الفكرية والحياة الاجتماعية في صورها المختلفة سواء من حيث الأساليب والأدوات أو من حيث وسائل العطاء والانتاج والبث والنشر، وما تعكسه تلك العوامل على المتلقي : قراءةً أو مشاهدةً أو سماعاً .

☆ ☆ ☆

ومن المعلـوم بداهــة أن الأصــالـــة في القديم والمعاصرة في الحديث من أسس المقومات الرّئيسة لبناء الثقافة التي نحياها في واقعنا المعيش ولها تصورات مختلفة في استقراء نفر من المثقفين، فكاتب مثل الاستاذ فاروق جويدة يفرِّق بين أنواع الثقافة فيحدد رؤيته لها من خلال ثلاثة مواقف: التفاعل الثقافي، والنقل الثقافي، والغزو الثقافي، ثم يوضح أبعاد رؤيته مفسراً تلك المواقف الثلاثة على النحو التالي: "ان التفاعل الثقافي: حوار بين ثقافتين على أرض واحدة وأهم ما في هذا الحوار أن يكون متكافئاً من حيث التأثير والتأثر بحيث لا يستبيح أحدهما الآخر أو يجور عليه .. أما النقل الثقافي: فهو ان اجلس امام الآخر لكي يلقّنني ما يريد ابتداء بالسياسة وانتهاء بالفكر. مروراً على النقل الأعمى لكل مظاهر السلوك.. أما الغزو الثقافي: فهو أن يكون الهدف الوحيد للرسالة الثقافية هدفاً سياسياً صريحاً واضحاً ولا خلاف عليه. حتى و أن تخفّى في ثياب ثقافية مبهرة" .. و بعد أن رصد الكاتب الأنواع الثقافية عبر تصوراته السالفة وفق التوجهات الحالية تابع تحليله لأبعادها على السوال الآتي: "نريد ان نحمي جذورنا و تاريخنا بحيث نأخذ من الآخر ما يناسبنا ويكون من حقنا أن نرفضه اذا تخفّى في قناع مزيف. سواء كان سياسياً أو ايديولوجياً أو حتى تكنولوجياً" (١).

☆ ☆ ☆

والعولمة الثقافية تنتهي في غاياتها إلى تعميم النموذج الغربي بتبني الأفكار المتحررة من الالتزام الديني وإشاعة روح الاستهتار بالقيم الخلقية، وهي ممارسات لا يراها الذين على أعينهم غشاوة عن عيوب الغربيين وفي آذانهم وَقْر عن سماع ما يسعى إليه الغرب من استيلاء ثقافي على أذهان أبناء جيلنا المعاصر و ابتزاز لعواطفهم بتوفير الوسائل الترفيهية التي تقتل الوقت و تبتز الأموال وتضعهم على قارعة طريق الضياع !.

والتحصن بالهوية الاسلامية أساس متين في فهم الإسلام وفي الإيمان به والتكيّف مع لغته بحكم أنها لغة القرآن الكريم الكتاب الذي أُنزل بلسان عربي مبين، وهو آخر رسالة سماوية لهدي البشرية كافة، والثقافة العربية بروافدها اسلامياً ولغوياً هي الجدار الصلب الذي تتحطم فوقه كل التحديات المعادية والتوجهات المضادة.. ومما يجب استشعاره في هذا المجال أهمية الثقافة العربية في تراثها العريق وفي جذورها الأصيلة، فلا تهزها أعاصير الثقافة الوافدة التي تحاول طمس ثقافتنا التي ترتبط في وجداننا بالدين. حيث تمتزج اللغة العربية بالإسلام وتعبّر عنه بصفتها لغته المعبرة عن أهدافه والمفسرة لغاياته وفيها تنطوي شواهده ودلالاته، والعولمة القادمة لا تقتصر في اقتحامها على لون واحد في حياة البشر وانما تمتد في شرايين المجتمعات الانسانية في اختراق للثقافة العامة التي تجيء في مقدمة اهتمامات الأمم، وفي هذا الجانب أشار الأستاذ أسامة

امين الخولي: "أنه في مسألة البُعد الثقافي للعولمة كان هناك اتفاق كبير على أن العولمة سلاح خطير يكرّس الثنائية وانشطار الهوية الثقافية الوطنية، فالسيادة الوطنية تنهار بتزامن ضغوط الخارج مع اخفاقات مؤسسات الداخل، وسيادة ثقافة الصورة واستبدال (السمعي والبصري) بالثقافة المكتوبة كأداة للنظام الثقافي المسيطر: أصبحا المصدر الأقوى لبناء القيم والرموز وتشكيل الوعي والوجدان .. ولقد اصبحت الثقافة وهي المنتج الاجتماعي سلعة مثل السلع المادية تُتداول في سوق يسودها الأقوى" (٢).

☆ ☆ ☆

وشاهد آخر محسوب على المثقفين الليبراليين هو الدكتو رحسن حنفي الذي يقول في هذا الصدد: "ترتبط مخاطر العولمة على الهوية الثقافية بمخاطر أعظم على الدولة الوطنية والاستقلال الوطني والارادة الوطنية والثقافة الوطنية. إذْ تعني العولمة مزيدا من تبعية الأطراف للمركز وتجميعاً لقوى المركز، وتفتيتاً لقوى الأطراف بما في ذلك الدولة الوطنية التي قامت بدور التحرر الوطني وتحديث المجتمع، ونشر مفاهيم النظام العالمي الجديد بالرؤية الغربية الفردية التي لا تراعي حقوق المواطنة ولا حقوق الشعوب والأقليات، ولا تعير اهتماما للمصالح الاقتصادية للشعوب والدول الأحرى" (٣).

والعولمة في مسارها المشاهد تمثل صيغة حديثة من أشكال الهيمنة العالمية والاختراقات العربية للثقافات والمجتمعات الإسلامية، وفي ظل المؤثرات التي يجرى طرحها على أرضية العالم الثالث: تحتشد بموازاتها الأفكار المصدّرة لنشر الثقافة الاستهلاكية لتحل محل ثقافتنا الدينية وسلوكياتنا الاجتماعية، وثقافة العرب - كما هو معلوم - منفتحة على الحريات العامة بلا ضابط من وزاع ديني أو تقليد اجتماعي، ولذلك اتجهت الأجهزة الاعلامية ووسائل الترفية فيها إلى مخاطبة الغرائز الحسية واستثارة النوازع غير السوية لا سيما لدى مراحل معيّنة من الأعمار، ويرتكز هذا الاتجاه على الكسب المادي على حساب الهدم المعنوي، وكان يصاحب تلك الأجهزة والوسائل: إلحاح دعائي مكثف لانفلات الحريات الشخصية من جميع القيود الدينية والقيم الأخلاقية. ليعيش الانسان عبداً لشهواته لا يؤمن بالمثل العليا ولا يهتم بغير ارضاء نزواته وبذلك ينحدر إلى سفوح البهيمية. وتمتد هذه الرؤية القاتمة لتشويه الإسلام وإثارة كل ما يسيء للمسلمين، وتبعاً لهذا التوجه كان احتضان الغربيين لكل خارج على الإسلام متنكر للمسلمين مما يدفع الى تشجيع الإلحاد، وذلك يتم تحت زعم أن هذا من مستلزمات حرية الرأي، وكأن الحرية لا تكتمل في نظرها الا بالهجوم على الإسلام والإسلام وحده بصفة خاصة، ولذا فان كل الوسائل الحديثة تحاول المساس بثقافات الشعوب الاسلامية لزعزعة العقيدة الثابتة وحجب الثقافة السائدة: نلمس هذا الاتجاه في الجرأة على الاسلام كمستهدف أول وعلى أتباعه من المسلمين تبعا للهجمة على هذا الدين، ولا نرى هذه الجرأة تمتد الى اليهود وصحائفهم المحرّفة، وإنما تنصب الهجمة الشرسة على مثاليات الإسلام ولغة العروبة، وأمام هذا المُنحنَى أو هذا المنحدر تفقد ثقافتنا هويتها في ظل مؤثرات العولمة، وتضيع خطانا بين هذه التوجهات التي تختفي وراء أهداف غامضة وغايات مجهولة .

(١) الاهرام ٣٠ يوليو ٢٠٠٠م .
(٢) كتاب (العرب والعولمة).
(٣) حصاد الفكر (دورية) تصدر في مصر.

الإسلام و العقلانية

[الحلقة ٥٥]

بقلـــم : الشيخ الجليل المربي الكبير العلاّمة أشرف علي التهانوي
المعروف بـ " حكيم الأمة " المتوفى ١٣٦٢هـ / ١٩٤٣م
تعريب أبـو أسـامـة نـور

وبمناسبة وقعة الحديبية التي حصلت في السنة السادسة من الهجرة ، والتي منع عندها قريش الرسول ﷺ وصحبَه عن دخول مكة وأداء العمرة ، قد شاهد سفيرُ قريش : عروةُ بن مسعود من مشهــد حبّ الصحابة لرسول الله ﷺ ما قضى منه من عجبه ؛ حيث رجع إليها وقال : أي قوم ! والله لقد وفدتُ على الملوك : كسرى وقيصر والنجاشي ، والله إن رأيتُ ملِكاً يُعَظِّمُه أصحابُه كما يُعَظِّمُ أصحابُ محمد محمداً . والله ما انتخم نخامةً إلاّ وقعت في كفّ رجل منهم ، فدلك بها وجهه وجلده ؛ وإذا أمر ابتدروا أمره ؛ وإذا توضّأ كادوا يقتتلون على وَضوئه ؛ وإذا تكلّم خفضوا أصواتهم ؛ وما يحدّون إليه النظر تعظيماً له .

وقــد كثرت واطــردت وتتابعت قصصُ حبّ التابعين وأتباعهم للنبي ﷺ ، وحفلت بها الكتب . فهذا إمام دار الهجرة مالك بن أنس الأصبحي رحمه الله – وهو من أتباع التابعين – يشعر بالغائط فلا يتغوّط في داخل المدينة وإنما يقصد خارجها ، ويتحرّى مكاناً ليجلس فيه ويقضي حاجته ، إذ يخطر بباله أن هذا المكان يمكن أن قد وطئته قدما النبي ﷺ ، فمن سوء الأدب أن أتغوط فيه ، فينهض ثم يتقصّى حتى يتباعد عن المدينة أميالاً ثم يقضي حاجته . وإن سأله أحد عن حديث لرسول الله ﷺ ، لم يجبه في الطريق ، ولا قائماً ، وإنما دخل البيت واغتسل و تعطّر ، وبدّل الملابس ثم تحدّث .

تأكيد النبي ﷺ على الاهتمام بحديثه

على أن النبي ﷺ ، قد أكّد على العناية بحديثه فقال :

١ – نضّر الله عبداً سمع مقالتي فحفظها ووعاها وأدّاها كما سمعها .

٢ – من كذب عليّ متعمّداً فليتبوأ مقعده من النار.

وقد بلغ الصحابة رضي الله عنهم من الامتثال لأمر النبي ﷺ والخضوع لكل ما يأمر به أو ينهى عنه وما يرضاه أو يكرهه مبلغاً لا يُتَصَوَّرُ ؛ فهذا صحابي يمر النبي ﷺ ببيته الذي قد تأنق في بنائه بعض التأنق ، ويحضر مجلس النبي ويسلم عليه فلا يرد ﷺ عليه السلام ، فتميد به الأرض من شدة الحزن ، فينهض من ساعته ويهدم بيته إيثاراً لرضاه ﷺ على كل شيء في الحياة .

فإذا كان الصحابة قد بلغوا هذه الدرجة من تحرى حبّ النبي ﷺ وكرهه ، فهلْ يُتَصَوَّرُ أن يسيئوا أيّ تقصير فيما يتعلق بحديثه ﷺ ؟ .

وهذا أبوذر رضي الله عنه يسائل النبي ﷺ ذات مرة في تعجب متكرر ، فيقول النبي ﷺ : رغم أنف أبي ذر . فكلما ذكر أبو ذر الحديث أعاد جملة : "رغم أنف أبي ذر" في لذة أيّ لذّة .

أحاديث مسلسلة بالكيفيات

وهناك أحاديث رُوِيَتْ بالكيفيات التي تحدّث بها النبي ﷺ إلى المخاطب ؛ ولا تزال هي تُرْوَى بالكيفيات نفسها . فالأحاديث المسلسلة بالأولية – أي التي سمعها الصحابة الرواة أول ما سمعوه من النبي ﷺ -كلما تحدثوا بها إلى المخاطبين صرّحوا بأنها الأحاديث التي سمعوها من النبي قبل جميع الأحاديث.

والأحاديث المسلسلة بالضحك – التي ضحك النبي ﷺ لدى التحدّث بها إلى المخاطبين من صحابته – لا تزال تروى بالضحك .

والأحاديث المسلسلة بضرب الفخذ – التي ضرب النبي ﷺ بيمينه لدى التحدث بها على فخذ المخاطب – لا تزال تروى بالضرب على الفخذ .

وذلك إن دلّ على شيء فإنّما يدلّ على غاية الحبّ الذي خالطت بشاشتُه قلوبَ الصحابة خصوصاً و قلوب الأمة عموماً تجاه النبي ﷺ . وقد أسلفنا أن الإمام مالكاً – وهو من أتباع التابعين – كان لا يتغوط داخل المدينة المنورة ، وكان لا يروي الأحاديث إلاّ مغتسلاً مرتدياً أجود الملابس . و درج السلف معظمهم على ذلك . وقد زكّى النبي ﷺ قرنه والقرنين بعده فقال : " خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم " .ولذلك تسمّى القرون الثلاثة خير القرون. وقد حصل جمع الأحاديث في القرن الثالث .

وكان ذلك من التدبير الإلهي أن تدوين الأحاديث تمّ قبل أن يأتي عصر الفساد والفتن .

ومما يدعو للعجب أنّ الذين يشكّون في حجيّة الحديث لكونه قد تمّ تدوينه بعده ﷺ بعهد بعيد ، يُعْجَبُوْنَ بالتأريخ أشدّ الإعجاب ، ويقولون بكون دراسته لازمة جدًّا ، ولا يشكّون فيه ما يشكّون في الحديث ؛ على حين إنّ التأريخ لا يبلغ من الثقة ما يبلغه الحديث ، علماً بأنّ التأريخ رواياته غير مبنيــة على الأسناد . وإذا كانت الأسناد كانت رواتها مجهولين . أمّا الحديث فهناك فن مستقل باسم فن أصول الحديث، و دراسته تدلّ على مدى الشروط التي وُضِعَت لرواية الحديث ، وعلى القواعد المضبوطة التي قُعِّدَتْ لها .

وقد سبق أن قلنا : إن الحبّ شيء يستقطب من المحبّ كل الاهتمام ، ويصرف جميع قواه إلى الحبيب ، فينطبع في ذهنه كلُّ تصرف من تصرفات الحبيب . وكذلك الحال بالنسبة للاحترام الذي يولد الخوف لدى من يمارس الاحترام تجاه إنسان ، فلا ينسى كلمةً يقولها له الشخص المُحْتَرَمُ لديه . إذا رأى أحد منا الأسد ، عاد يحسب كل نبات وشجر أسدًا ، فلا ينسى صورة الأسد للأبد من أجل كيفية الخوف التي تنشئها رؤيته . أمّا الحبّ الصادق فإنّه أشدّ فعلاً من المخافة . فالحبّ الصادق والمخافة الشديدة ، كلاهما لا يبقى معهما ضعفٌ في الذاكرة . وقد كان

الصحابة رضي الله عنهم من الحبّ له ﷺ وتعظيمه ، وكذلك التابعون وأتباع التابعين وأعلام الأمة من بعدهم ؛ بحيث لا يتصور أن لايعوا كل كلمة من مقال النبي ﷺ دون نقص أو زيادة ، ولا سيّما وقد سمعوا من شدة الترغيب والترهيب في شأن مقاله ﷺ ، ما أسلفناه آنفاً .

العرب معروفون بقوة الذاكرة

ثم إنّ العرب عُرِفُوْا في العالم كله بقوة ذاكرتهم ، وكذلك كان حال من وَلاَهُمْ ، حتى أظلّ الزمان الذي تمّ فيه تدوين الحديث . وما كان الأئمة يتمتعون به من شدة الرغبة في تحصيل علوم الدين ، وما كان في عصرهم من مذاكرة العلم ومدارسته المستمرة ، وما أودع الله إيّاهم من قوة الذاكرة والتمسك بالعدالة والصدق والاتصاف بالثقة ؛ كل ذلك مذكور في التأريخ ، لو قرأناه دُهِشنا له وتعجبنا منه . فهذا هو الإمام البخاري قد عرضوا عليه مائة حديث خلطوا أسنادها ، وقالوا له : دلنا على ما هو الصحيح المقبول من الحديث . فجعل الإمام يقرأ عليهم الحديث المغلوط صحيحاً حتى أتى على جميع الأحاديث التي كانوا قد خلطوا متونها وأسنادها .

وهذا هو الإمام الترمذي الذي كان قد كُفّ بصره في أواخر عمره ، وسافر للحج في حالة العمى . وفي مكان من الطريق قال له الحمّال : أخضع رأسك فان هناك شجرة قد تصطدم بها . ولما رجع من الحج أخضع رأسه في نفس المكان دون أن يدله عليه أحد . وسأله أحد عن السبب في إخضاع الرأس ، فقال : من أجل الشجرة . قالّ السائل : لا توجد ههنا شجرة . فأوقف راحلته وخاف ضعفَ ذاكرته ، وقال : لئن بلغتُ هذه الدرجةَ من ضعف الذاكرة فلا ثقة بروايتي للحديث . ولما تحقق من الأمر ، علم أن المكان كانت توجد فيه الشجرة ، ولكنها قُطِعَتْ فيما بعد .

غاية احتياط المحدثين في تلقي الحديث وروايته

على أن المحدثين بلغوا من العمل بالحيطة مكاناً جعلهم كانوا لا يحدثون بالحديث بمجرد سماعه من شيوخهم ، بل ربّما كانوا يمتحنون الشيوخ ، فكانوا يطلبونهم رواية الحديث بعد أيام طويلة ، فإن رواه الشيخ بنفس الألفاظ السابقة ، وثقوا بالحديث وإلاّ رفضوه ، ولم يكتفوا بترك هذا الحديث وحده بل اعتبروا جميع رواياته غير موثوق بها ، وانقطعوا عنه . وإذا علمـوا أنّه تعمّـد تغيير الألفاظ أو الأسناد ، سمّوه " دجالاً " أو " كذّاباً " ودعوه بأمثال هذه الكلمات . ولو وجدوا شيخاً قد تسرب الضعف إلى ذاكرته ، سحبوا ثقتهم عنه واعتبروه سيّء الحفظ .

أما بالنسبة إلى الورع والتدين والثقة ، فإنّه لم يكن بين العلماء والفقهاء والمحدثين من لا يحافظ على التهجد ، ولا يتصف بالتقى والعفاف والحياء والمروءة ، بل قد كان كثير منهم يمضي الليل كله في العبادة والتلاوة و الذكر والقيام . وكانوا يصلون الفجر بوضوء العشاء . أما الحياء فقد أفتوا بدورهم أن من يأكل في السوق ويبول في الطريق ، لا تُقْبَلُ شهادته لدى القاضي ؛ لأنّه فاقد الحياء . وفاقدُ الحياء يجوز أن يكذب ويصنع ما يشاء .

فالعصر الذي بلغ فيه الناس هذا المبلغ من الحياء والتقيد بالآداب الإسلامية ، يُرْجَى فيه أن العلماء

والمحدثين كانوا يخافون أدنى التقصير في الرواية ؛ حيث كانوا يعلمون أن المحدثين سيتركون حديثهم بمجرد أدنى إهمال يشعرون به منهم، ويسمونهم ليوم يموتون بالكذابين والدجّالين .

إنّ إخواننا هؤلاء لا يقرؤون ما خلفه سلفنا من العلوم . ولو قرؤوها لعلموا ما كان من ذكر مطرد للعلم في عصرهم . فقد تواترت الأنباء أن أكبر مكتبة في العالم اليوم هي مكتبة فرنسا (١) ومعظم ذخائره هي ما حصلت عليه من بغداد ثم انضمت إليه ذخائر أخرى ، ولا تزال المكتبــة تكبر و تتمدد ، ويوجد فيها اليوم نصف مليون كتاب . ومنها ثلاثون ألف كتاب من تأليف أبناء الإسلام السلف .

تفاني السلف في النهوض بالعلم

إنّ السلف قد بلغوا بالعلوم من الترقي ما لم ولن تبلغ بها أمّة على ظهر الأرض . فكل علم اشتغلوا به بلغوا به من التطور والتقدم مبلغاً لا يُتَصَوَّرُ تجاوزُه عادةً. ولا سيّما الحديث والفقه ، حيث انتهوا به إلى الدرجة التي لا يُتَصَوَّرُ نظيرها لدى أمّة من الأمم في الدنيا . والأصل في العلمين هو الحديث . أما الفقه فهو مجموع مسائل اسْتُنْبِطَتْ من الكتاب والسنّة . والفقهُ بلغ من الكمال بحيث لا تحدث واقعة طريفة أشدّ غرابة إلاّ ويُوجد حكم لها في الفقه . واستكمالُ هذا الفن متوقف على كسب الإتقان في القرآن والحديث . أمّا القرآن فتواترُه مُعْتَرَفٌ به حتى لدى كبار الملحدين.

وأما الأحاديث فإن المساعي التي بذلها الأئمة في تدوينها وتنقيحها وتهذيبها والاهتمام بها من شتى النواحي هي ما وثق به حتى غير المسلمين . ولم يكتفوا بالحفاظ على أقوال النبي صلى الله عليه وسلم ؛ وإنّما اعتنوا بحفظ أسماء الرواة وأخبارهم وموالدهم ومساكنهم ومدافنهم ومجالات تحركهم في الحياة ؛ حتى صار ذلك فنّا مستقلا باسم فن أسماء الرجال ، أُلِّفَتْ فيه كتب ضخمة . وبما أن العصور التي أعقبت القرون الثلاثة المشهود لها بالخير شهدت الفساد الذي لم يكن من قبل ، فجمعوا الأحاديث الموضوعة ، وقد أُلِّفَتْ فيها كتب كثيرة .

إن الحريصين على التأريخ يجب أن يقارنوا بين شأن الحديث و شأن التأريخ ، حتى يعلموا مدى الفرق بينهما ؛ ويعلموا أن التأريخ لا توجد فيه مادة يُوجد لها سند متصل قوي أو ضعيف . ولكنهم رغم ذلك يثقون به ما لا يثقون بالحديث . على حين إن الحديث لا يوجد فيه شيء إلاّ بسند متصل جرى جرحه وتعديله ، وجرى التنقيح فيه .

وقد حفظ فن أسماء الرجال أخبار كل راوٍ ، حتى إن الراوي إذا شكّ في كلمة ما ، صرّح بأنّه يشك : أكانت الكلمة هكذا أو هكذا ، وينص الراوي الذي بعده أن الشك راجع إلى الراوي فلان . ثم إن بعض الأحاديث رُوِيَتْ بأسناد عديدة ، حتى إن البعض منها روي بـ ٢٢ سنداً (٢).

[يتبع]

(١) يقول المؤلف ذلك لدى تأليفه لهذا الكتاب منذ نحو قرن إلاّ الربع ، ولو تكوّنت مكتبة أخرى كبيرة في دولة ما غير فرنسا خلال هذه المدة الطويلة ، فلا اعتراض على ما قاله المؤلف . (المترجم)

(٢) وهو حديث بريرة ، الذي ورد في صحيح البخاريّ في ٢٢ موضعاً ، في كل موضع بسند جديد .

الحج والعمرة ، فضلهما و منافعهما

(٢/١)

بقلم الشيخ أشرف شعبان أبو أحمد / جمهورية مصر العربية

الحج هو آخر ما فرض من الشعائر والعبادات إذ كانت فرضيته في السنة التاسعة من الهجرة النبوية على أرجح الأقوال وهو الشعيرة الرابعة في الإسلام ...(١) و ركن من أركان الإسلام الخمسة ودعامة أساسية من دعائمه وفرض من الفرائض التي علمت من الدين بالضرورة فلو أنكر وجوبه منكر كفر وارتد عن الإسلام...(٢) ولا يكمل إيمان العبد القادر إلا بأدائه...(٣) فقد فرضه الله على كل مستطيع وجعل تركه أو الاستخفاف به كفرا بالله ومروقا من الدين قال تعالى (ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غني عن العالمين) آل عمران ٩٧ ...(٤) وقد ذهب أبو حنيفة ومالك و أحمد و بعض أصحاب الشافعي و أبو يوسف إلى أن الحج واجب على الفور عند الاستطاعة والقدرة عليه بينما ذهب الشافعي والثوري والأوزاعي ومحمد بن الحسن إلى أن الحج واجب على التراخي فيؤدى في أي وقت من العمر ولا يأثم من وجب عليه بتأخيره متى أداه قبل الوفاة كما أجمع العلماء على أن الحج لا يجب في العمر إلا مرة واحدة وأنه لا يتكرر إلا أن ينذر فيجب الوفاء بالنذر و ما زاد فهو تطوع عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال (يا أيها الناس كتب عليكم الحج) فقام الأقرع بن حابس فقال: أفي كل عام يا رسول الله ؟ فقال (لو قلتها لوجبت ولو وجبت لم تعملوا بها ولم تستطيعوا ، الحج مرة فمن زاد فهو تطوع) رواه أحمد و أبو داود والنسائي والحاكم وصححه ...(٥)

أما العمرة فقد ذهب الأحناف ومالك إلى أنها سنة لحديث جابر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن العمرة أواجبة هي؟ قال (لا . و أن تعتمروا هو أفضل) رواه أحمد والترمذي وقال حديث حسن صحيح وعند الشافعية وأحمد أنها فرض لقول الله تعالى (و أتموا الحج والعمرة لله) البقرة ١٩٦ و قد عطفت على الحج وهو فرض فهي فرض كذلك و الرأي الأول أرجح . أما عن تكرارها فقد قال نافع اعتمر عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أعواما في عهد ابن الزبير عمرتين في كل عام وقال القاسم إن عائشة رضي الله عنها اعتمرت في سنة ثلاث مرات ويجوز للمعتمر أن يعتمر في أشهر الحج من غير أن يحج فقد اعتمر عمر في شوال ورجع إلى المدينة دون أن يحج كما يجوز له الاعتمار قبل أن يحج كما فعل عمر رضي الله عنه ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم اعتمر أربع عمر : عمرة الحديبية وعمرة القضاء والثالثة من الجعرانة والرابعة مع حجته رواه أحمد وأبو داود و ابن ماجه بسند رجاله ثقات...(٦)

وقد اتفق الفقهاء إن للحج والعمرة شروط وجوب و شروط صحة وهي نفس الشروط فيهما ماعدا وقت الأداء فيشترط لوجوبهما الإسلام البلوغ العقل الحرية الاستطاعة ويشترط لصحتهما الإسلام التمييز الإحرام والمكان المخصص لأداء كل ركن من أركانهما والوقت المخصص لأداء كل ركن من أركانهما ...(٧) ولقد

أجمع العلماء على إن أشهر الحج التي لا يصح الإحرام بالحج إلا فيها هي شوال و ذو القعدة و ذي الحجة لقوله تعالى (الحج اشهر معلومات) البقرة ١٩٧ ...(٨) بينما ذهب جمهور العلماء إلى أن وقت العمرة جميع أيام السنة فيجوز أداؤها في أي يوم من أيامها وذهب أبو حنيفة إلى كراهتها في خمسة أيام هي يوم عرفة و يوم النحر و أيام التشريق الثلاثة ، وذهب أبو يوسف إلى كراهتها في يوم عرفة وثلاثة أيام بعده واتفقوا على جوازها في أشهر الحج ...(٩) أما وجوه أداء الحج والعمرة معا فثلاثة ...(١٠) الأول القران و معناه أن يحرم من عند الميقات بالحج والعمرة معا ويقول عند التلبية لبيك بحج و عمرة وهذا يقتضي بقاء المحرم على صفة الإحرام إلى أن يفرغ من أعمال العمرة والحج معا أو يحرم بالعمرة ويدخل عليها الحج قبل الطواف ، الثاني التمتع ومعناه هو الاعتمار في أشهر الحج ثم يحج من عامه الذي اعتمر فيه وهذا يقتضي أن يحرم من الميقات بالعمرة وحدها ويقول عند التلبية لبيك بعمرة والبقاء على صفة الإحرام حتى الانتهاء من أعمالها ويتحلل إلى أن يجئ يوم التروية فيحرم من مكة بالحج الثالث الإفراد ومعناه أن يحرم من يريد الحج من الميقات بالحج وحده ويقول في التلبية لبيك بحج و يبقى محرما حتى تنتهي أعمال الحج ثم يعتمر بعد ذلك إن شاء ...(١١)

وللحج والعمرة أركان وواجبات و سنن و مفسدات فيجب للعمرة ما يجب للحج و كذلك يسن لها ما يسن له وبالجملة فهي كالحج في الإحرام والفرائض والواجبات والسنن والمحرمات والمكروهات والمفسدات والإحصار ولكنها تخالفه في بعض الأمور أنها ليس لها وقت معين وليس فيها وقوف بعرفة ولا نزول بمزدلفة وليس فيها رمي جمار ولا طواف قدوم وميقاتها الحل لجميع الناس بخلاف الحج فإن ميقاته للمكي الحرم ...(١٢) و أركان الحج التي لا يصح الحج بدونها هي الإحرام والوقوف بعرفة والطواف والسعي بين الصفا والمروة والحلق أو التقصير وأركان العمرة كذلك إلا الوقوف بعرفة ...(١٣) أما واجبات الحج فهي الإحرام من المقيات والوقوف بعرفة جزء من النهار وجزء من الليل والمبيت بالمزدلفة ليلة النحر أو البقاء بها مدة من النصف الثاني من الليل ورمي الجمار على الترتيب وبالكيفية المطلوبة والمبيت بمنى ليلة التاسع من ذي الحجة و أيام التشريق وطواف الوداع ...(١٤) و أما محظورات الحج والعمرة فهي لبس المخيط أو المحيط كما يحرم لبس الخف والحذاء أو ما يغطي الكعبين وتغطية الرأس والوجه أو بعضهما بأي ساتر وقد أجمع العلماء على أن هذا مختص بالرجل أما المرأة فلها أن تلبس جميع ذلك على إلا تستر وجهها بما يماسه فإن إحرامها في وجهها ، مس الطيب أو شمه أو حمله أو استعماله في البدن أو الثياب وكذلك استعمال ما فيه طيب أو شرب أو أكل ما اختلط به طيب، قص الأظفار أو إزالة أي شعر بالحلق أو القص أو النتف أو الحك لقوله تعالى (ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدي محله) البقرة ١٩٦ ، الجماع و دواعيه ومقدماته كالقبلة والملامسة التي تنقض الطهر مع النساء، عقد النكاح لنفسه أو لغيره، التعرض لصيد البر بالقتل أو الذبح أو الدلالة عليه أو الإشارة إليه أو إيذاؤه أو إفساد بيضه كما يمنع الأكل منه إذا صاده بنفسه أو صاده محرم آخر لقوله تعالى (أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم وللسيارة وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما) المائدة ٩٦ ...(١٥) كما يمنع على المحرم اكتساب السيئات واقتراف المعاصي المخاصمة مع الرفقاء والمشاتمة والكلام الفاحش والجدال والأصل في تحريم هذه الأشياء قوله تعالى (فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج) البقرة ١٩٧ ، قتل أي شيء ما عدا

المهاجر من هجر ما نهى الله عنه

يُطِلُّ علينا العام الهجريّ الجديد ١٤٢١هـ، والعالم الإسلامي بشطريه – العربيّ وغير العربيّ – لايزال يعيش أنواعاً من التبعيّة الفاضحة. فمهما ادّعت الدول الإسلاميّة أنها مستقلّة ذات سيادة وذات صلاحيات؛ فإنّها ليست بمستقلة في قراراتها، وصلاحيّاتُها محدودةٌ ومُقَيَّدة وخاضعة لشروط صعبة جدًّا.

إنّ حبل القرار يمسكه السيّد الغربي، والمولى الأبيض ؛ فيقبضه متى يشاء و يطلقه قدر ما يشاء. إنّ الحكام والعاهلين و الملوك والقادة والساسة في بلادنا الإسلاميّة الشاسعة – إلاّ من شاء ربّك – مهما ركضوا ورقصوا، وأزبدوا وأرعدوا، وصالوا وجالوا، وهدّدوا وتوعّدوا ، وأقاموا معارض سيادتهم ، وعرضوا مسرحيات لقوتهم وجبروتهم ؛ فإنّ ذلك كلّه مستعار من الغرب ، متوقّف على ما يتفضّل به السيّد المسيحيّ والمولى اليهوديّ . إنّهم مهما تظاهروا بالشباب والعنفوان والحماس والحياة ؛ فإنهم موتى لا روح فيهم وإنما الروح فيضٌ من نفخة المَلَك الغربيّ .

يطلّ العام الهجري الجديد ولا تزال قضيّة الأقصى المبارك، والقضايا المعقدة الكثيرة التي تعيشها الأقليات المسلمة هنا وهناك في أجزاء الكرة الأرضية الكثيرة مُعَلّقة مُعَقّدة تنتظر " أبابكر" و "معتصماً " و "صلاح دين" يتمتع بقوة الإيمان، وصدق اليقين ، ومضاء العزيمة، وشجاعة المسلم الأبيّ الواثق وغيرته، وبسالة المؤمن الصادق ونخوته .

يأتي العام الهجري هذا والمسلمون يخوضون معارك الموت والحياة في كثير من أجزاء الدنيا، ويكتبون حظّهم بمداد من دمائهم الزكيّة و مهجهم الطاهرة وأرواحهم الغالية . لم تكن معاناةُ مسلمي كوسوفا و يوغسلافيا السابقة هي وحدها التي دلّت على عجز المسلمين وذلّهم وضياعهم وهامشيّتهم في هذا العالم المعاصر المجنون الّذي لا يكاد يَسْأَمُ من تكرار دعواه بالتنوّر والتقدّم والتحضّر.

وإنّما جاءت كذلك قضيّةُ "الشيشان" وما يخوضه المسلمون المجاهدون المرابطون هناك ضد روسيا الطاغية فلول الشيوعيّة الذليلة المنهارة، من معارك حامية يرقص فيها الموت وتموج فيها الأسلحة الفتاكة الراقية بما فيها الأسلحة الكيماويّة المحرّمة دوليًّا، جاءت ليعرّي المسلمين المتفرجين في كلّ العالم.. إن الشعوب المسلمة في جميع الدول وقفت بجانب الشيشانيين بقلوبهم وبعواطفهم وبأدعيتهم وبما تمكنوا منه من أسباب الإغاثة والعناية ؛ فأين القادة والساسة المسلمون الذين تعوّدوا إطلاق الأقوال العريضة والدعاوي الكبيرة، لماذا ماتت جميع أنواع كلمات الاحتجاج والاستنكار في حناجرهم، لماذا جمدت ألسنتهم ، لماذا جفّت [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

أُدْعُ إِلَى سَبِيْلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وِالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَ جَادِلْهُمْ بِالَّتِيْ هِيَ أَحْسَنُ (القرآن الحكيم)

الداعي

مجلة عربية إسلامية شهرية

تصدر عن الجامعة الإسلامية دارالعلوم

ديوبند ، الهند

العـــــدد: ٢

السنـــــة: ٢٤

صفـــــر: ١٤٢١هـ

مـــايـــو: ٢٠٠٠م

الاشتراكات

ثمن النسخة : ١٥ روبية هندية

قيمة الاشتراك السنوي

في الهند : ١٥٠ روبية هندية

وفي خارج الهند للأفراد : ٣٥ دولاراً

وللمؤسسات الحكومية : ٤٥ دولاراً

تحت إشراف

فضيلة الشيخ مرغوب الرحمن

رئيس الجامعـــــة

رئيس التحرير

نور عالم خليل الأميني

أستاذ الأدب العربي بالجامعة

المراسلات

رئيس تحرير مجلة الداعي

دارالعلوم ، ديوبند (الهند)

الرمز البريدي ٢٤٧٥٥٤

Chief Editor

AL - DAIE

Arabic Islamic Monthly

Darul - Uloom,

Deoband - 247554

(U.P.) INDIA

الهاتف والفاكس

Ph. : (00-91-1336) 22429 / 22332

Fax : (00-91-1336) 22768

المواد التي تنشرها المجلة تعبر عن وجهة نظر كاتبيها ولا تعبّر - بالضرورة - عن رأي المجلة

الفواسق الخمسة وهي الحدأة والغراب والحية والعقرب والكلب العقور، دهن الشعر أو البدن وكذلك الحضاب بالحناء في الشعر أو البدن ، لبس الثياب المصبوعة بما له رائحة طيبة، التعرض لشجر الحرم أو حشيشه بقطع أو قلع أو إتلاف كما لا يجوز تنفير صيده ...(١٦) أما مفسدات الحج والعمرة فهي ترك ركن من أركانهما أو الجماع بأي كيفية في قبل أو دبر مع آدمي أو غيره قبل التحلل الأصغر في الحج وقبل التحلل في العمرة ...(١٧)

ومن أحرم بحج أو بعمرة ثم حبس عن الطواف في العمرة أو عن الوقوف بعرفة أو طواف الإفاضة في الحج لوجود عدو أو مرض يزيد بالانتقال والحركة أو خوف أو ضياع النفقة أو موت محرم الزوجة في الطريق وغير ذلك من الأعذار المانعة سمي ذلك بالإحصار وقد حصر النبي صلى الله عليه وسلم ومنع هو وأصحابه في الحديبية عن المسجد الحرام فنزلت هذه الآية قال تعالى (فإن أحصرتم فما استيسر من الهدي) البقرة ١٩٦ و عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قد أحصر فحلق وجامع نساءه ونحر هديه حتى اعتمر عاما قابلا رواه البخاري و قد استدل بهذا الجمهور من العلماء على أن المحصر يجب عليه ذبح شاة أو بقرة أو نحر بدنة . و عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير الآية السابقة يقول من أحرم بحج أو بعمرة ثم حبس عن البيت فعليه ذبح ما استيسر من الهدي شاة فما فوقها يذبح عنه فإن كان حجة الإسلام فعليه قضاؤها وإن كان حجة بعد حج الفريضة فلا قضاء عليه و ذهب كثير من العلماء إلى جواز أن يشترط المحرم عند إحرامه أنه إن مرض تحلل فقد روى مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لضباعة (حجي واشترطي أن محلي حيث تحبسني) فإذا أحصر بسبب من الأسباب من مرض أو غيره إذا اشترطه في إحرامه فله أن يتحلل وليس عليه دم ولا صوم ...(١٨) وفي فضل الحج والعمرة فقد جاء أن الحج أفضل الأعمال فعن أبي هريرة قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الأعمال أفضل ؟ قال (إيمان بالله ورسوله) قيل : ثم ماذا ؟ قال (جهاد في سبيل الله) قيل : ثم ماذا ؟ قال (ثم حج مبرور) كما أنه يمحق الذنوب عن أبي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه) رواه البخاري و مسلم و عن عمرو بن العاص قال : لما جعل الله الإسلام في قلبي أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : ابسط يدك فلأبايعك قال : فبسط فقبضت يدي فقال (مالك يا عمرو ؟) قلت : أشترط قال (تشترط ماذا ؟) قلت : أن يغفر لي ؟ قال (أما علمت أن الإسلام يهدم ما قبله و أن الهجرة تهدم ما قبلها و أن الحج يهدم ما قبله) رواه مسلم ...(١٩) و روى ابن ماجة عن جابر رضي الله عنه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما من محرم يضحي يومه يلبي حتى تغيب الشمس إلا غابت ذنوبه فعاد كما ولدته أمه) ...(٢٠)وليس له جزاء إلا الجنة فعن أبي هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال (العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة) رواه أحمد والبخاري ومسلم عن أبي هريرة ...(٢١) وثواب أداء العمرة في رمضان يعدل ثواب حجة غير مفروضة لكنه أداؤها لا يسقط الحج المفروض فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (عمرة في رمضان تعدل حجة) رواه أحمد و ابن ماجه ...(٢٢) كما أن الحجاج والعمار وفد الله الذي تجاب دعواتهم عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (الحجاج والعمار وفد الله إن دعوه أجابهم و إن استغفروه غفر لهم) رواه النسائي و ابن ماجه و ابن خزيمة و ابن حبان في صحيحهما ولفظهما (وفد الله ثلاثة الحاج والمعتمر والغازي) ...(٢٣) و عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه

قال (خير الدعاء دعاء يوم عرفة وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير) ...(٢٤) وروى البيهقي بإسناد حسن عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (ينزل الله كل يوم علي حجاج بيته الحرام عشرين ومائة رحمة ستين للطائفين وأربعين للمصلين وعشرين للناظرين) ...(٢٥) و عن ابن عباس رضي الله عنهما قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ماء زمزم لما شرب له إن شربته تستشفي شفاك الله و إن شربته لشبعك الله أشبعك وإن شربته لقطع ظمئك قطعه الله وهي هزمة " أي حفرة " جبرائيل و سقيا الله إسماعيل) رواه الدار قطني والحكم و زاد (وإن شربته مستعيذا أعاذك الله) ...(٢٦) كما أن الحج جهاد عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (جهاد الكبير والضعيف والمرأة الحج) رواه النسائي بإسناد حسن و عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : يا رسول الله ترى الجهاد أفضل العمل أفلا نجاهد ؟ قال (لكن أفضل الجهاد حج مبرور) رواه البخاري ومسلم ...(٢٧) و عن جابر رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما من أيام عند الله أفضل من عشر ذي الحجة) فقال رجل : هن أفضل أم من عدتهن جهادا في سبيل الله ؟ قال (هن أفضل من عدتهن جهادا في سبيل الله وما من يوم أفضل عند الله من يوم عرفة ينزل الله تبارك و تعالى إلى السماء الدنيا فيباهي بأهل الأرض أهل السماء فيقول : انظروا إلى عبادي جاءوني شعثا غبرا ضاحين جاءوا من كل فج عميق يرجون رحمتي ولم يروا عذابي فلم ير يوم أكثر عتيقا من النار من يوم عرفة ...(٢٨) و في فضل النفقة في الحج عن بريدة قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (النفقة في الحج كالنفقة في سبيل الله الدرهم بسبعمائة ضعف) رواه ابن أبي شيبة و أحمد والطبراني والبيهقي وإسناده حسن ...(٢٩) و من أهداف الحج العظيمة و ثمراته الطيبة التقوى لهذا جاءت الدعوة إليها بعد ذكر آيات الحج لتؤكد على وجوب الالتزام بها والانتفاع بفضائلها فقال تعالى (الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يا أولى الألباب) البقرة آية ١٩٧ فالحج موسم لمجاهدة النفس و تزكيتها و تربيتها على التقوى ...(٣٠) حيث يتزود المسلم فيه بشحنة روحية كبيرة تملأ جوانحه خشية و تقى لله وعزما على طاعته وندما على معصيته و تغذي فيه عاطفة الحب لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم ولمن عرروه و نصروه واتبعوا النور الذي انزل معه وتوقظ فيه مشاعر الأخوة لأبناء دينه في كل مكان وتوقد في صدره شعلة الحماسة لدينه والغيرة على حرماته، فالأرض المقدسة أقدس مكان وأطهره وأحبه إلى الله عز وجل فيها أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين مهد النبوة ومهبط الوحي ومبعث الإلهامات ومجمع الذكريات ...(٣١) طيف إبراهيم الخليل عليه السلام وهو يودع البيت وفلذة كبده إسماعيل وأمه ويتوجه بقلب الخافق الواجف إلى ربه (ربنا إنك أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون) وطيف هاجر و هي تستروح الماء لنفسها ولطفلها الرضيع في تلك الحرة المتلهبة حول البيت وهي تهرول بين الصفا والمروة وقد نهكها العطش وهدها الجهد وأضناها الإشفاق علي الطفل ثم ترجع في الجولة السابعة وقد حطمها اليأس لتجد النبع يتدفق بين يدي الرضيع و إذا هي زمزم ينبوع الرحمة في صحراء اليأس والجدب. وطيف إبراهيم عليه السلام وهو يري الرؤيا فلا يتردد في التضحية بفلذة كبده ويمضي في الطاعة إلى ذلك الفق البعيد (قال يا بني إني

أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى) فتحييه الطاعة الراضية في إسماعيل عليه السلام (قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين) وإذا رحمة الله تتجلى في الفداء (وناديناه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين ان هذا لهو البلاء المبين و فديناه بذبح عظيم) و يلوح طيف عبد المطلب وهو ينذر دم ابنه العاشر إن رزقه الله عشرة أبناء وإذا هو عبد الله وإذا عبد المطلب حريصا على الوفاء بالنذر وإذا قومه من حوله يعرضون عليه فكرة الفداء ويقبل منه الفداء فينحر مائة ناقة وينجو عبد الله ينجو ليودع رحم آمنة أطهر نطفة وأكرم خلق الله على الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم و تتواكب الأطياف والذكريات من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يدرج في طفولته وصباه فوق هذا الثرى حول هذا البيت وهو يرفع الحجر الأسود بيديه الكريمتين فيضعه موضعه ليطفئ الفتنة التي كادت تنشب بين القبائل وهو يصلي وهو يطوف وهو يخطب وهو يعتكف وإن خطواته عليه الصلاة والسلام لتبض حية في الخاطر وتتمثل شاخصة في الضمير يكاد الحاج هناك يلمحها وهو مستغرق في تلك الذكريات وخطوات الحشد من صحابته الكرام وأطيافهم ترف وتدف فوق هذا الثري حول ذلك البيت تكاد تسمعها الأذن وتكاد تراها الأبصار ...(٣٢) هذه الأرض وما لها من ذكريات وشعائر الحج وما لها من أثر في النفس وقوة الجماعة وما لها من إيحاء في الفكر والسلوك ...(٣٣) حيث تبدأ رحلة الحج المباركة برد المظالم لأهلها وإعلان التوبة الخالصة من الذنوب والإقلاع الفعلي عنها مع إظهار الندم على فعلها لذا يقبل الحاج على أداء المناسك بقلب منيب ونفس صافية وجوارح سليمة ...(٣٤) كما ينبغي أن يكون نفقة الحج أو العمرة وكذلك سائر معاملات المسلم المالية من نفقة طيبة ففي الحديث الصحيح (إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا) وروى عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (إذا خرج الحاج بنفقة طيبة ووضع رجله في الغرز فنادى : لبيك اللهم لبيك ناداه مناد من السماء : لبيك وسعديك زادك حلال و راحلتك حلال وحجك مبرور غير مأزور وإذا خرج بالنفقة الخبيثة فوضع رجله في الغرز فنادى : لبيك ناداه مناد من السماء : لا لبيك ولا سعديك زادك حرام و نفقتك حرام وحجك مأزور غير مأجور) ...(٣٥) و في موقف وداع الأهل ومغادرة الوطن وترك العمل والمال استعداداً للرحيل إلى مكة لأداء مناسك الحج يتذكر به الحاج يوم فراقه الأبدي للدنيا كما أن خلع ملابس الزينة وارتداء ملابس الإحرام تذكر الحاج بما يغطي جسم الميت من لباس الكفن وإشعارا بحالة الموتى ليتخلى عن الدنيا ويقبل على باب ربه وعبادته وموقف الحشود الكثيرة العدد المختلفة الألسنة والأشكال والألوان في مناسك الحج فيه تذكرة أيضا باليوم الآخر وفي ميدان عرفات فترى عباد الله يأتون فوجا بعد فوج من كل النواحي وعلى جسد كل واحد منهم لباس بسيط من نوع واحد وقد فقد الكل صفته المميزة وعلى لسان الكل شعار واحد : لبيك اللهم لبيك ... وإنه حين ترى هذا المنظر تتذكر الآية القرآنية (ونفخ في الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون) يس ٥١ ...(٣٦) كما تجتمع في عبادة الحج المعاني الإيمانية والمنافع التربوية التي يتلقاها المسلم من أداء العبادات الأخرى من صلاة وصيام وزكاة حيث تتوثق في الحج الصلة بين العبد وربه وتكثر مناجاته له والدعاء إليه ...(٣٧) وفي مواقف الحج من بداية العزم على الحج إلى رمي الجمرات تربية على الطاعة وتعويد على النظام مما يحقق التربية الإيمانية في طاعة الله عز وجل والتزام أوامره وفق ما أمر جل وعلا وكيفما علم النبي صلى الله عليه وسلم ...(٣٨) كل هذا يترك أثره واضحا في أعماق المسلم فيعود من رحلته

أصفى قلبا وأطهر مسلكا وأقوى عزيمة على الخير وأصلب عوداً أمام مغريات الشر وكلما كان حجه مبرورا خالصا لله كان أثره في حياته المستقبلة يقينا لا ريب فيه فإن هذه الشحنة الروحية العاطفية تهز كيانه المعنوي هذا بل تنشئه خلقا آخر وتعيده كأنما هو مولود جديد يستقبل الحياة وكله طهر ونقاء و من هنا قال الرسول صلى الله عليه وسلم (من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه) رواه البخاري وأحمد والنسائي ...(٣٩) ويليت الحجاج الأفاضل عقب انتهاء مناسك الحج المباركة والتزامهم بطاعة الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وتكفيرهم عن كل مخالفة صدرت منهم بأن يحافظوا على ما تربوا عليه في موسم الحج ويواظبوا على ما تدربوا عليه من طاعة و نظام ويعاهدوا الله سبحانه وتعالى على طاعته في أوامره واجتناب الأهواء الفاسدة فليتهم يلتزمون بذلك ويتمسكون به ليسعدوا في دنياهم ويفوزوا في أخراهم (٤٠)

المراجع

(١) العبادة في الإسلام يوسف القرضاوي ص ٢٩٦

(٢) فقه السنة السيد سابق ج ١ ص ٦٢٥

(٣) مجلة الحج العدد الثامن للسنة الرابعة والخمسون صفر ١٤٢٠هـ / يوليه ١٩٩٩م ص ٣٤

(٤) العبادة في الإسلام يوسف القرضاوي ص ٢٩٧

(٥) فقه السنة السيد سابق ج١ ص٦٢٨

(٦) فقه السنة السيد سابق ج١ من ص ٧٤٩ - ص ٧٥٠

(٧) الإسلام وأركانه ياسين محمد رشدي من ص ١٥٤ - ص ١٥٧

(٨) فقه السنة السيد سابق ج١ ص ٦٥١

(٩) فقه السنة السيد سابق ج١ ص ٧٥١

(١٠) إحياء علوم الدين أبي حامد الغزالي ج١ ص ٢١٨

(١١) فقه السنة السيد سابق ج١ ص ٦٥٣

(١٢) الفقه على المذاهب الأربعة عبد الرحمن الجزيري ج١ ص ٦٨٧

(١٣) إحياء علوم الدين أبي حامد الغزالي ج١ ص ٢١٨

(١٤) الإسلام و أركانه ياسين محمد رشدي ص ١٥٥

(١٥) إحياء علوم الدين أبي حامد الغزالي ج١ ص ٢١٨ و ص ٢١٩

(١٦) الإسلام و أركانه ياسين محمد رشدي ص ١٦٠ و ١٦١

(١٧) الإسلام و أركانه ياسين محمد رشدي من ص ١٥٦ - ص ١٥٨

(١٨) فقه السنة السيد سابق ج١ من ص ٧٥٧ - ص ٧٦٠

(١٩) فقه السنة السيد سابق ج١ ص ٦٢٦

(٢٠) فقه السنة السيد سابق ج١ ص ٦٦٢

(٢١) فقه السنة السيد سابق ج١ ص ٧٢٧

(٢٢) فقه السنة السيد سابق ج١ ص ٧٤٩

(٢٣) فقه السنة السيد سابق ج١ ص ٦٢٧

(٢٤) فقه السنة السيد سابق ج١ ص ٧١٩

(٢٥) فقه السنة السيد سابق ج١ ص ٦٩٥

(٢٦) فقه السنة السيد سابق ج١ ص ٧٠٦

(٢٧) فقه السنة السيد سابق ج١ ص ٦٢٦

(٢٨) فقه السنة السيد سابق ج١ ص ٧١٧

(٢٩) فقه السنة السيد سابق ج١ ص ٦٢٧

(٣٠) مجلة الحج العدد الثامن للسنة الرابعة والخمسون صفر ١٤٢٠هـ / يوليه ١٩٩٩م ص ٣٧

(٣١) العبادة في الإسلام يوسف القرضاوي ص ٣٠٢

(٣٢) في ظلال القرآن سيد قطب ج٤ ص ٢٤١٩

(٣٣) العبادة في الإسلام يوسف القرضاوي ص ٣٠٢

(٣٤) مجلة الحج العدد الثامن للسنة الرابعة والخمسون صفر ١٤٢٠هـ / يوليه ١٩٩٩م ص ٣٧

(٣٥) فقه السنة السيد سابق ج١ ص ٦٤٠

(٣٦) مجلة الحج العدد الثامن للسنة الرابعة والخمسون صفر ١٤٢٠هـ / يوليه ١٩٩٩م ص ٣٨ و ٣٩

(٣٧) مجلة الحج العدد الثامن للسنة الرابعة والخمسون صفر ١٤٢٠هـ / يوليه ١٩٩٩م ص ٣٦

(٣٨) مجلة الحج العدد الثامن للسنة الرابعة والخمسون صفر ١٤٢٠هـ / يوليه ١٩٩٩م ص ٤٣

(٣٩) العبادة في الإسلام يوسف القرضاوي ص ٣٠٢

(٤٠) مجلة الحج العدد الثامن للسنة الرابعة والخمسون صفر ١٤٢٠هـ / يوليه ١٩٩٩م ص ٤٣

العلامة الشيخ " محمود حسن الديوبندي " المعروف بـ " شيخ الهند "

حياتـه ومآثـره

بقلم : فضيلة الشيخ السيد أصغر حسين ميان الديوبندي
أستاذ بالجامعة سابقاً المتوفى ١٣٦٩هـ
تعريب : الأستاذ عبد الرشيد القاسمي

تشريد المسلمين عن أوربا يتمّ عن طريق مؤتمر الصلح

وبعد أن أُفرِجَ عن فضيلته و وصل إلى الهند سُرّ كثيرا بما رأى في البلاد على عكس يرجوه ما كان من حيوية ونشاط ، وملامح الانتفاضة في شعوبها ، ورجالٍ كثيرين من المسلمين الذين كانوا يحملون ما كان يتبناه فضيلته من نظريات . فاضْطُرَّ على وحي من الأوامر الشرعية إلى القيام بمساعي مكثفة في مجال سياسة البلاد . فإن أوضاع المسلمين ومآسيهم التي كانت تدور كل يوم أمام عينيه ، ومؤامرات وحططاً كان قد دبّرها الأوربيون ضد المسلمين، وقصصاً مريرة ومصائب فادحة أخبره بها رجال موثوق بهم كانت قد ارتسمت في ذهن فضيلته. ومما زاده ألما على ألم وجعله يتجرع الدماء أن الوعود الأكيدة التي كانت قد أعطتها "بريطانيا" بالحفاظ على المشاعر المقدسة في كل حال ذهبت أدراج الرياح شأن الوعود المتكررة بالإبقاء على سيادة الخلافة الإسلامة، وأصبحت الوعود هذه بمثابة النقش على الماء . وحاولت الدول الأوربية حسب مستطاعها من خلال "مؤتمر الصلح" تشريد الأتراك بل و طرد المسلمين بأجمعهم من حدود أوربّا . أضف إلى ذلك كله أن المشركين كان قد أصبح لهم الحكم والسلطان في جزيرة العرب مع أن ذلك يتنافى مع ما أوصا به النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين بإخراج المشركين من جزيرة العرب ، و صارت مناطق مقدسة إسلامية مثل العراق والسوريا خاضعة لحكومة أعداء الإسلام . واستفحل هذا الشر لحد أن استمرار خليفة مسلم قادر على مقاومة أعداء الدين ، وبقاءه على كرسي الحكم تعرض لخطرٍ شديد، جرّاء تدابير ماكرة ومؤامرات خبيثة قام بها الأعداء . ولا يعزبنّ عن البال بالمناسبة أن إقامة خلافة إسلامية وبقاءها أمر ديني تؤكده نصوص شرعية قاطعة . وتلي هذه المكارة ، مصائبُ فادحةٌ كثيرة أخرى .

يعال فضيلته تصبروا على آلام المسلمين

وكان قد آن الأوان لأن يُعال فضيلته تصبّرا، ولأن يصبح فؤاده فارغاً، ولم يبق له مجال في أن يتفرج على هذه المصائب كلها ساكتا صامتا لا ينبس ببنت شفة صدّها، فلم يدعه خضوعه لأحكام الدين، وحميّته الإسلامية، وغيرته الدينية أن يجلس مكتوف الأيدي فَصَدَعَ بالحق بكل جراءة، لا يبالي بما يجرّ ذلك من ويلات عليه، وأخذ في نشر الدعوة إلى الحق من خلال

كتاباته المقنعة وخطاباته النارية مباشراً وغير مباشر لا يخاف في دلك القوىَ المعاديةَ و بطشها . وكان فصيلته يجاهر بالحق في فتاواه ورسائله التي كان يكتبها ردًّا على كتابات تردحم عليه كل يوم، وذلك منذ أن قدم الهند، غير أنه تشجع وتجرأ و قام بنشر و توزيع فتواه التي كان قد أصدرها من قبل في خصوص حرمة الموالات مع الكفار أعداء الدين دونما استناد إلى تورية ، في الصحف المحلية والنشرات الجدارية والكتيبات . وبذلك فقد أيقظ من كان يغطّ في النوم، وأوقف من كان قد استيقظ منهم . وشرح أحكام الدين في خصوص القضية دون مخافة تأحده، في أيام كان يعدّه الناس بأجمعهم حتىٰ ومن كان يحمل نظريات فضيلته ويحسن به الظن ويقدسه ، أمراً عسيراً صعبا وقبل أن يأتي موعده ، وهكذا فقد استطاع أن يفتح طريقا وشارعا ذلولاً أمام المسلمين الحيارى. ونحن على يقين من أن أجر كل من سلكه أو سيسلكه، سوف يُكْتَبُ في كتاب حسنات فضيلته. فقد اطمأن مئات من العلماء الذين كانوا يقدمون رِجلا في خصوص القضية ويؤخرون أخرى، وأخذوا يهدون أتباعهم للطريق. كما ساهم في حركة فضيلته الوطنية هذه آلاف من المسلمين المتقين والمحبين للإسلام الذين لم يكونوا ليأتوا بأقوال المشاهير من العلماء عن ثقة وطمأنينة قلب ، وكانوا يرجون أجراً جزيلاً من لدن حكيم عليم ، ورأوا أن إعلان فضيلته بمثابة فتوى شرعية في هذا الأمر .

ينفخ روح الكفاح في نفوس المسلمين

غير أن فضيلته لم يتخذ قطّ أسلوباً يؤدي إلى إيلام أحد و إيذائه، ولا عنفاً في هذا السبيل نظرا إلى ضعف المستضعفين من الرجال وعذر المعذورين منهم، وإنما امتثل لما أوصى به النبي صلى الله عليه وسلم رجلين من أصحابه الأبرار الأخيار : معاذ بن جبل و أبا موسى الأشعري حينما بعثهما إلى اليمن يدعوان أبناءها من أهل الكتاب إلى الإسلام فقال عليه الصلاة والسلام: "يَسِّرا ولا تُعَسِّرا، وبَشِّرا ولا تنفِّرا" (١) ورَغَّبَ فضيلته أتباعه ومحبّيه بفضل نصائحه الطيبة البليغة إلى أن يسلكوا المسلك القديم الذي انتهجه فضيلته . وبما أنهم جميعا كانوا مُعْجَبِين بعلمه الوفير، وطول باعه في العلوم . وبصيرته النفاذة في شؤون الدنيا والدين فارتضى أتباعه كلهم بما كان يأمرهم به وإن كانت الأوضاع معاتية جدًا في ظاهرها. الأمر الذي سبّب نتائج دينيةً طيبةً سوف تجعل أتباعه يثنون عليه ويشكرون كل حين إن شاء الله .

يخوض العلماء كفاح التحرير على دعوة من فضيلته

واستطاع فضيلته بفضل غاية عنايته بالأمر أن يُحوّل الطبقة المتمسكة بالدين من المسلمين حماساً بكل أشكاله وصوره . كما فازت الحركة الدينية لعدم الموالاة مع الإنجليز حياةً جديدةً بفضل إعلان فضيلته. وبدأ مئات من كبار العلماء المتضلعين – الذين كانوا يعتقدون بوحي من سذاجتهم وزهدهم في شؤون البلاد وسياستها تدريس الكتب في المدارس كلّ همهم في حياتهم – يساهمون في قضية الخلافة كتابةً و خطابةً بنيات مخلصة بعد أن اطلعوا على الحاجة الشرعية الماسّة إلى ذلك . و شهد المسلمون كلهم

وضعاً جديداً ماعدا شرذمة قليلة منهم . وما نراه اليوم من انسجام كامل في نظريات المسلمين، ومساهمتهم الفعالة في حركة صيانة الخلافة، كان معدماً قبل إعلان فضيلته ، بل كان يُعَدُّ صعباً للغاية .

إنشاء الجامعة الملية الإسلامية

وكان الإعلان يحظى بترك آثار طيبة في نفوس المسلمين شيئاً فشيئاً إذ شرّف فضيلته بقدومه الاحتفالَ الذي كان قد عُقِدَ لإنشاء جامعة إسلامية عصرية في مدينة "علي جراه" وفي ١٦/ صفر ١٣٣٩هـ - ٢٩/ تشرين الأول ١٩٢٠م ، مع كان يعانيه من أمراض منذ مدة. وتُلِيَتْ كلمته الرئاسية في حضوره ، على الاحتفال إلى شد بالناس. وكانت الكلمة تلقي ضوءً على المصائب والمتاعب الفادحة التي كان الشعب الهندي وعلى رأسهم المسلمون يتعرضون لها آنذاك، وتكشف القناع عن حاجة أكيدة إلى إنشاء جامعة إسلامية عصرية حرّة على غراء الجامعة الإسلامية بمدينة على جراه التي كانت عندئذ تناصر الحكومة و تبتني خطواتها و تثني الكلمة على زعماء البلاد ومساعيهم، وتشجع الشباب من طلبة المسلمين، وتؤكد حقيقة التحلي عن الموالاة في حقل التعليم . وذلك كله في ضوء القرآن والسنة. عُرِفَتْ هذه الجامعة المتوخاة بـ "الجامعة الملية الإسلامية ، بدهلي الجديدة . وزاد إلى آخر كلمته هذه ما كان قد كتبه ردًّا على سؤال وجّهه إليه تلاميذ الجامعة الإسلامية الحكومية بمدينة "على جراه" قبل أيام . وكان فضيلته قد أتي من خلال ردّه بإحصاء المتاعب التي كان المسلمون يعانونها من أقصى الدنيا إلى أقصاها في أسلوب مؤثر يسيل الدموع، وأودعه آيات وأحاديث تستنكر موالاة الكفار، وتكشف عن حاجة ملحّة إلى التحلي عنها، كما جاء من خلاله بردودٍ مقنعة على شبهات كثيرة تثار عن الأمر ، وأثنى على التضامن والائتلاف فيما بين الهندوس والمسلمين، وأكد على المسلمين أن يعاملوا مع إخوانهم الهندوس معاملة تنطوي على الإخاء المتبادل والحبّ المشترك والمسامحة الوطنية، مادام لا يترك ذلك أثرا سيئاً على الشريعة ، ولا يدفع إلى إشراك بالله و كفر به .

مدى حبّه لجمعية علماء الهند

وصلت كتابات فضيلته هذه بعد أن تمّ نشرها في عدد الملايين عن طريق الصحف، والنشرات، والفتاوى إلى أبناء الإسلام، وتركت فيهم أثرا طيباً ملموساً نشاهد ثمراته في وضعنا الحالي. وقضى البقية من أيام حياته في هذا السعي المبارك والجهاد بالقلم واللسان ضد الحكومة الإنجليزية. وَقَبِلَ في أيام مرضه الذي مات فيه رئاسةَ الاجتماع العام الذي كان تنظمه "جمعية علماء الهند" في "دهلي" ولم يرتض بالرجوع إلى وطنه بالرغم من المرض الشديد. وقرّت عيناه بمرأى الاجتماع الفخم للجمعية الذي كان بمثابة حجر أساس للازدهار الوطني، وذلك قبل وفاته بثمانية أيام. والاجتماع هذا بجانب ما يجلب من فوائد جمّة للمسلمين في العصر الراهن وأجيالهم القادمة، يبقى كباقيات صالحات وذكرى طيبة لفضيلته .

وكان فضيلته على إيعاز وإيحاء من صلاته القلبية القوية بجمعية علماء الهند يحضر مكان الاحتفال العام حبًّا في المساهمة في فعالياته، غير أنه لم يمكنه الحضور

لأجل وطأة المرض الشديدة ، ونهي الأطباء عن ذلك.

وتُلِيَتْ في آخر جلسات الاحتفال في اليوم الثالث خطبة له بليغة مركزة جديرة بأن توصف بـ "قَلّ ودَلّ". وفي هذه العجالة في نهاية المبحث أريد أن أودع ها هنا عدة جمل من خطبته هذه، حتى يتجلّى لنا جميعا مدى علاقته بالسياسة المحلية والعالمية في آخر أيام حياته:

نبذة من كلمته الرئاسية في احتفال الجمعية

"إني قد سُرِرْتُ بالغاً بما علمتُ من أن روح الأمة – جمعية علماء الهند – أكدت من جديد نشاطها وحياتها في مجالات سياسية كان قد طُوِيَ بساطهم فيها، وأصبحوا كأموات لاحراك فيهم، وهي حقول لو عاشوا أمواتاً فيها مدةً من الزمان مزيدةً لَقُضِيَ على المجد الإسلامي العابر بتمامه. وإني أحبّ أن أصرّح إذا بقيم لاتتألمون : أن يملمكم وصلاحكم إذا كان يسمع لكم في هذا العصر الرهيب هو الآخر بأن تعصوا أهباركم عن مصائب مخيفة ألّمت بالعالم الإسلامي لبكت الدنيا اليومَ على تورية غيرتنا الدينية والشهامة الإنسانية تحت كوم من تراب في وقت واحد .

" فينبغي لنا جميعا أن نعمل متوكلين على الله ومتضامنين ونسعي للعمل بقرارات تضمن لنا الحفاظ على قبلتنا، وخلافتنا، وعرضنا، وحقوقنا الوطنية والملية. وإذا ارتدينا الغفلة، وأخلدنا إلى إراحة أجسامنا في هذه الآونة أيضاً، فلعل هذه فرصة نهائية للفور بالعافية نفوّتها عن تعمّد " ...

(١) صحيح مسلم ، ٨٢/٢، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث ، ووصيته إياهم بآداب الغزو وغيرها، كتاب الجهاد والسير، ط: أصح المطابع، دهلي، ١٤١٨هـ .

وفــــاة

فضيلة الشيخ محمد الصالح العثيمين

عضو هيئة كبار العلماء

مع بالغ الحزن والأسى تنشر مجلة " الداعي " نبأ وفاة العالم السعودي الكبير فضيلة الشيخ محمد الصالح العثيمين عضو هيئة كبار العلماء الذي وافته المنية يوم الأربعاء ١٥/ شوال (بالتقويم السعودي) ١٤/ شوال (بالتقويم الهندي) ١٤٢١هـ الموافق ١٠/يناير ٢٠٠١م ، فإنّا لله و إنّا إليه راجعون .

وقد صُلّي عليه رحمه الله صلاةَ الميت في الحرم المكي بعد صلاة العصر من يوم الخميس و دفن بمكة المكرمة ، كما صُلّي عليه صلاة الغائب في الحرمين الشريفين وفي جميع جوامع المملكة على توجيه من خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز حفظه الله تعالى .

وإن أسرة " الداعي" التي آلمها هذا النعي الحزين، إذ تؤمن بقدر الله وقضائه ومشيئته في عباده وحياتهم وموتهم ، وتتمسك بالصبر ؛ تقدّم أحرّ التعازي وأصدق المواساة إلى خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز ، وإلى سموّ ولي عهده الأمين سمو الأمير عبد الله بن عبد العزيز ، وإلى سمو النائب الثاني الأمير سلطان بن عبد العزيز حفظهم الله تعالى ، وإلى الشعب السعودي النبيل ، وإلى جميع أفراد أسرة الفقيد الغالي ، ومحبيه ومعارفه ، وإلى جميع علماء المملكة ولا سيّما أعضاء هيئة كبار العلماء لا أراهم الله مكروهاً في عزيز لديهم ، وأجزل لهم المثوبة ، وألهمهم جميعاً الصبر والسلوان، وأدخل الفقيد فسيح جنّاتـه وغفرله جميع زلاّته ، ورفع درجاته .

[أسرة تحرير "الداعي"]

بعض جوانب الجمال في اللغة العربية

(٤ / ٤)

بقلم معالي الدكتور عبد العزيز عبد الله الخويطر
المملكة العربية السعودية

وفي مجال التأكيد ، واختيار الكلمات الغريبة، التي تحمل التأكيد معنى ، والإتباع مظهراً ، الأقوال الآتية :

" هُوَ عَرِصٌ هَبِصٌ : أيْ نَشِيطٌ " . (١)

وقد حلت الهاء محل العين، وهو ما لم نعتده في الإتباع ، وهو ما لم يحدث للمثل الآتي :

" قد شَاصَهُ وَمَاصَهُ ، أيْ : غَسَلَه ". (٢)

فالميم من المعتاد أن تحل محل أي حرف في الكلمة السابقة، وهي من الحروف المفضلة ؛ والعامة تعرف مَوْصَ الثياب بعد الغسل ، وهي آخر مرحلة في الغسل، لإزالة الأداة التي غسل بها الثوب، سواء كان سدراً أو إشناناً أو صابوناً، أما شاص هذه فلا علم لهم بها، ولكن الكلمتين جاءتا حسب نموذج الإتباع المعروف .

ويقرب من المثلين السابقين المثل الآتي :

"مَابِهِ نَوِيْصٌ وَلاَ لَوِيْصٌ : أيْ حَرَاكٌ" . (٣)

وحظ الضاد من عناية المؤلف حملة فيها التتابع جاء دالاً على زيادة في المعنى، فليس مجرد إتباع أو تأكيد، ولكنه إضافة أخذت صيغة الإتباع بإحلال الألف محل العين، والمثل كالآتي :

"بَلَدٌ عَرِيْضٌ أَرِيْضٌ ، إذَا كَانَ حَسَنَ النَّبَاتِ". (٤)

ومما تغلب عليه روح الإتباع القول الآتي :

"وَمَا عِنْدَهُ قَرْضٌ وَلاَ فَرْضٌ . القَرْضُ مَا يَقْضِي به، والفَرْضُ : ما تفرضُهُ عَلَى نَفْسِكَ لِعَاشِيَةٍ أَوْ قَرَابَةٍ" . (٥)

فإذا كان كل واحد منهما له معنى، تختلف الدلالة فيه بينهما كما ذكر المؤلف في معنى كل واحد منهما، فإن صيغة الإتباع في الذهن، روعيت في الصيغة، فجاء الفرق في إبدال حرف مكان حرف، وحلت الفاء محل القاف .

ومثله في التقارب في الأحرف، وإبدال حرف مكان حرف ، مع اختلاف في المعنى مُحَاً، والتشابه شكلاً، المثل الآتي :

"وما عِنْدَهُ عَيْصٌ ولا فَيْصٌ ؛ أيْ كَثِيْرٌ وَلاَ قَلِيْلٌ ، ويُقَالُ الإعْطَاءُ والمَنْعُ". (٦)

وكان بالإمكان ما دام أن هناك تغايراً في المعنى، بل تضاداً، أن يعبر بالكلمات الدارجة مثل: قليل وكثير؛ ولكن لأن الإتباع مقصود، لما فيه من تأثير، يأتي بعد جلب الإنتباه لهذا التعبير، الذي جاء على النمط المتعارف على أنه أسلوب متميز ، جاء بهذه الصورة من الإتباع .

وكلمتا : عيص و فيص من الكلمات التي دخلت في تعبير الناس الدارج لكثرة استعمالها، وقبول الناس لها.

ويأتي المثل الذي جاء به المؤلف في حرف الطاء مثلاً واضحاً للإتباع، واختار قائله اللام، وهي من الحروف التي تنال الحظوة عند أصحاب الإتباع،

والمثل :

"هُوَ شَيْطَانٌ لَيْطَانٌ" . (٧)

فكلمة شيطان معروفة، أما ليطان فجاءت إتباعاً لتسند الكلمة الأولى، دون حاجة إلى أن تحمل معنى.

والمثل الآتي : في حرف الطاء :

"حُطَائِطٌ بُطَائِطٌ" . (٨)

ويأتي في الشرح الذي أدلى به محقق الكتاب:

"الحطاط : الصغير من الناس، وغيرهم، ويقال: حُرٌّ حطائط بطائط، صغير، وجر وبطائط: ضخم" .

ورغم أن هذا يوحي بأن كلمة : "بطائط"، لها معنى يدل على الضخامة، إلا أنه يتبع هذا بما جاء في كتب اللغة مخالفاً لهذا، ودالاً على صغر الحجم، فيقول :

"وتقول صبيان الأعراب في أحاجيهم : ما حطائط بطائط ؟ تميس تحت الحائط ؟ يعنون الذَّرَّة من صغار النمل ؛ وهذا يؤكد أن بطائط لا تعني الضخامة وهي إتباع فقط .

ويأتي الإتباع في حرف الظّاء بإحلال الباء محل الكاف ، فيقولون :

"هُوَ كَظٌّ بَظٌّ . أَيْ : مُلِحٌّ " . (٩)

وإحلال الباء محل غيرها يأتي في المثل الآتي:

"وَحَظِيَتِ المَرْأَةُ عِنْدَ زَوْجِهَا وَبَظِيَتْ". (١٠)

وهو إتباع ظاهر، يدل عليه قولهم :

"لَحْمُهُ خَظَا بَظَا" . (١١)

ويدل عليه أيضاً قولهم :

"وَإِنَّهُ لَفَظٌّ بَظٌّ" وإذا كانت بظ جاءت تابعة لفظ، والفظاظة هي الخشونة، فإنها تتنافى مع مجيئها مع "بظ" إلا إذا و وفق على أنه لا معنى لبظ، وهي فقط إتباع .

وفي حرف العين جاء بالمثل الآتي إتباعاً، بدل فيه حرفاً بحرف، واختار للإحلال حرف النون :

"يقال : جَائِعٌ نَائِعٌ ، هُوَ إِتْبَاعٌ " . (١٢)

واعتبره الكسائي إتباعاً، رغم ما قيل من أن "نائعاً": عطشان .

والجوع ليس غريباً على العربي في صحرائه، ولهذا فلا عجب أن جاء له في الإتباع، في حرف واحد، بأكثر من مثل، فالصحراء كفيلة بفقرها، واتساعها، وتباعد أطرافها، أن تصيب ساكنها بالجوع المؤكد، المحتاج إلى أوصاف مؤثرة أحدها الإتباع ؛ والمثل الآتي صورة واضحة لمثل هذا الاتجاه، وهذا المثل يقول :

"جوْعٌ يَرْقُوْعٌ ، يَهْقُوْعٌ ، دَيْقُوْعٌ " (١٣)

وهذه الكلمات المتتابعة وصف لشدة الجوع، وقد جاءت بالتأثير المطلوب، وقلبت الجيم في أول إتباع إلى قاف، وتبع التغيير ثاني حرف وثالثه، ولم يبق إلا الحرفان الأخيران ليدلا على الإتباع، وأتي للثاني بثالث فيه إتباع غير فقط فيه الحرف الثاني، والرابع جيء به مغايراً للثالث بحرفين، وهذه الكلمات المتتالية تذكرنا "بأجمعين أكتعين أبصعين" .

ومن الإتباع في حرف الغين المثل الآتي:

"طَعَامٌ سَيِّغٌ لَيِّغٌ : يَسُوْغُ فِي الحَلْقِ". (١٤)

أَبْدَلَتْ اللام السين في هذا المثل، وهو إبدال وارد، يماثل الباء والنون أحياناً في كثرة اختياره .

ومثل آخر في باب الغين :

"و أَحْمَقَ بَلْغٌ مَلْغٌ ، أَيْ : يَبْلُغُ مَا يُرِيْد" . (١٥)

وملغ في هذا المثل إتباع .

وفي حرف الفاء إتباع واضح حلت القاف محل الخاء : والمثل كما يلي :

المحتـــويـات

"مَـا يَعْـرِفُ الحُـذْرُوْفَ مِـنَ القُـذْرُوْف ، والحُذْرُوْفُ : لُعْبَةٌ للصِّبْيَانِ ، وَالقُذْرُوْفُ : العَيْبُ". (١٦)

فإذا صح أن للقذروف معنى، وهو العيب، فإنه في هذا المثل لا يرد، لبعد مجال المقارنة بين لعبة الصبيان والعيب، والأرجح أنّه إتباع، وأن القذروف هنا لا معنى لها، وما دورها إلى "تعكير" الكلمة الأولى، وسدها .

وذكر المؤلف ابن زكرياً من الإتباع القول الآتي، وقلبت في التابع الخاء دالاً :

"وَمِـنَ الإِتْبَـاع : خَفِيْـفٌ دَفِيْـفٌ . الدَّفِيْـفُ : السَّرِيْعُ".(١٧)

ومثل آخر على نمط هذا، وحلت فيه اللام محل الثاء :

"هُوَ ثَقِفٌ لَقِفٌ . ذَكِيٌّ " . (١٨)

ومثل ثالث حلت فيه النون محل الصاد، وهو كما يلي :

"وَهُوَ ضَعِيْفٌ نَعِيْفٌ . إِتْبَاعٌ ". (١٩)

ومن الإتباع فيما أورده المؤلف في حرف القاف المثل الآتي، وقد حلت الدال محل الميم، والمعتاد خلاف ذلك، فالميم عادة تحل محل غيرها:

" هُوَ مَائِقٌ دَائِقٌ . إِتْبَاعٌ ، وَقَدْ مَاقَ وَدَاقَ ، يَمُوْقُ وَيَدُوْقُ " . (٢٠)

وقد شرح المحقق كلمة : مَائِق بأنها الهالك حمقاً وغباوة ، وفي العامية المائق، من يرى حاله أعلى من حال الآخرين، ويترفع عليهم، اعتماداً على ميزة فيه، فلابس الثوب الجديد يموق على الآخرين بثوبه الجديد، وصاحب الدابة يموق بها على من ليس عنده دابة، والطالب عنده قلم متميز يموق به على من عنده قلم غير متميز، وهكذا .

ودائق جاءت إتباعاً للمعنى المقصود من مائق أياً كان هذا المعنى

ويأتي الإتباع في القول الآتي :

"هُو حاذق باذق" . (٢١)

وفي هذا المثل احتلت الباء مكانها المختار من الإتباع .

وفي باب اللام تحل الباء محل الحاء في القول الآتي :

"وهُو لهُ حِلٌّ وَبِلٌّ ، أيْ مُبَاحٌ" . (٢٢)

والعامة تقول : حلالٌ بلالٌ ، مما يؤكد أن "بل" هي إتباع .

وفي حرف اللام يسوق المؤلف المثل الآتي ، وحظيت فيه الباء باختيارها لبدء الإتباع :

"ومن الإتباع قولهم : ضئِيْلٌ بئِيْلٌ ، وقَدْ ضؤُولَ وبؤُلَ، وذلك إذا نحلَ جِسْمُهُ ودقَّ" . (٢٣)

ومما جاء في هذا الباب قولهم :

"يُقالُ : ضَالٌّ تَالٌّ ، وَذهب فِي الضَّلالِ والتَّلالِ، التَّلالُ إتْبَاعٌ" . (٢٤)

والإتباع جاء أول حرف فيه التاء .

وإذا كان المرحب لا يكفي أن يأتي بكلمة واحدة، ويشعر أنه إذا لم يكررها فلابد أن يُلحق بها كلمة ترحيب أخرى ترفدها، فيقول : أهلا وسهلا(٢٥)، وقد يقول : ومرحبا

وإذا لم يكن هذا إتباع باف صريح، فهناك ما يقاربه في المثل الآتي :

"قَالَ أبُو عمْرٍو : مهْلاً بَهْلاً ، تأْكِيْدٌ". (٢٦)

ومع هذا فالشارح علق بما يلي مما يدل على أنه إتباع وليس تأكيداً :

"حكاه يعقوب في البدل، قاله صاحب اللسان في "بهل" . وقال أبو عمرو : "بَهْلاً" إتباع" .

وفي حرف الميم جاء بالمثل الآتي :

"وَيُقَالُ : مَا مِنْ ذَاكَ حُمٌّ وَلاَ رُمٌّ، أَيْ : لاَ بُدَّ مِنْهُ"(٢٧)

و "رُمّ" يبدو أنها عديمة المعنى، وفائدتها فقط في سند الكلمة السابقة .

ومن أمثلة إحلال الدال محل الراء في هذا الباب الإتباع الآتي :

" وَ يُقَالُ : رَغْمًا دَغْماً" . (٢٨)

والرغم معروف ، وهو الذلة والكره والقسر، وقد أضاف الشارح إيضاحاً لهذا الإتباع، فقال: فيما قال:

"رَغْماً دَغْماً شَنَغْماً ، كُلُّ ذَلِكَ إِتْبَاعٌ ، وَالمُرَادُ بِهِ الدُّعَاءُ عَلَيْهِ بالذُّلّ وَالهَوَان؛ وَرَجُلٌ رَاغِمٌ دَاغِمٌ : إِتْبَاعٌ".(٢٩)

وفي باب النون يأتي المثل الآتي :

"يُقَالُ : هُوَ حَسَنٌ بَسَنٌ قَسَنٌ" . (٣٠)

وقد احتلت الباء في "بسن" محلها ، ثم تلاها حرف آخر وهو القاف في الإتباع الثاني ؛ وقد جاء في شرح محقق الكتاب ما يلي :

"قال ابن الأعرابي : أبسن الرجل : حسنت سحنته، ورجل حسن بسن إتباع له ، وقسن إتباع لحسن بسن".

ويبدو أن المعبّر يفرح بتقارب لفظ مع لفظ، فإذا عثر على هذا التقارب سارع بالإتيان بالكلمة بعد الكلمة، وكأنه يريد أن يبعد عن الأولى الوحشة، وضيق الوحدة، لأن بعض ما يؤتى به على أنه إتباع ، لأن الموقف يقتضيه، يحمل معنى يجعله أقرب إلى التأكيد مثل :

"هُوَ زَمِنٌ ضَمِنٌ . الضَّمَانَةُ : الزَّمَانَةُ". (٣١)

و "الزمن" معروف أنه صاحب العاهة، ولكن "ضمن" غريبة على الإنسان غير المتبحر في اللغة، ويدل على ذلك ماورد في شرح المحقق، فهو بعد أن ذكر أن الضمانة هي الزمانة والعاهة أردف القول الآتي:

"وقيل: الزمانة والضمانة: الحب، ورجل ضمن: عاشق. وقال ابن فارس في المقاييس : ٣٧٢/٣ إنه عندي من باب الإبدال كأن الضاد مبدلة من زاي".

وفرق كبير بين العاهة والحب، وهذا التباعد يؤكد أن القائل أراد الإتباع .

على أي حال حتى لو كان للكلمة الثانية معنى فإن من يسمع القول يشعر أن القصد سَنْد الكلمة الأولى بأخرى سواء دلت على تأكيد أو وقفت عند الإتباع، مثل القول الآتي :

"إِنَّهُ لَحَرْنٌ شَرْنٌ ، لِلْوَعْرِ الصَّعْبِ". (٣٢)

فكلا الكلمتين تعني الوعر الصعب، ومع هذا فالتأكيد يقف بعيداً خلف الإتباع، ويبقى الإتباع هو المقصود الأول .

ومثله المثل الآتي :

"مَا لَهُ سَنْعَةٌ وَلاَ مَعْنَةٌ ، أَيْ : قَلِيلٌ وَلاَ كَثِيرٌ، وَيُقَالُ: السَّعْنَةُ الوَدَكُ، وَالمَعْنَةُ الخُبْزُ" . (٣٣)

وزاد المحقق فيما نقله أن معنى "المعنة" : المعروف.

وقد يكون القصد الأول هو التأكيد على أن هذا الشخص لا يملك شيئاً ، وكان بالإمكان أن يقال إنه لا يملك قليلاً ولا كثيراً، ولكن السعنة والمعنة اختيرت لما فيها من رائحة الإتباع .

ومثل هذا القول الآتي :

رَجُلٌ أَمَنَةٌ أَذَنَةٌ ، يَأْمَنُ كُلَّ أَحَدٍ وَيُصَدِّقُ بِكُلِّ مَا يَسْمَعُ" . (٣٤)

فالإتباع مقصود رغم أن لكل كلمة معنى، ولكن

صورة الإتباع أقوى تأثيراً مما لو احتير كلمات لا تتماثل في الصورة، وهذا الذي جعل للإتباع جدناً أدى إلى كثرتــه مما أمكن ابن زكـريا من تأليف كتاب كامل فيه .

والعامة تقول "المَكَانُ حَانٌّ رَانٌّ" ، يعني ممتلئ بالناس، وقصدوا بذلك الإتباع ولعل في دهنهم الأصوات التي منها الحنين وهو صوت الولهى امرأة أو حيواناً، والرنين أيضاً صوت محتلف، فالجملة جمعت نوعين من الأصوات بينهما أصوات أحرى مثلهما .

ويبدو أن العامة لم تأت بهذا المثل ابتداعاً ، وإنما استوحته من إتباع هكذا :

"مَالَهُ حَانَّةٌ وَلاَ آنَّةٌ ، أَيْ : نَاقَةٌ وَلاَ شَاةٌ"(٣٥)

والعامة احتارت : رانــة، لقرب معناها عندهم، ولسهولة الألف بعد الراء، وصعوبتها بدونها، والثقل في "آنة" واضح عند النطق بها، والسهولة واضحة في "رانة".

كلمة "تافه" ترد كثيراً على ألسنة العامه، وقد يظن بعض الناس لامتهانها، أنها عامية، ولكن إتباعاً ساقه المؤلف يؤكد أنها عربية ، وأنها تستحق الإتباع، والقول فيها كما يلي :

"هُوَ تَافِهٌ نَافِهٌ ، أَيْ : حَقِيْرٌ، كَذَا قَالَهُ فِي الإِتْبَاعِ، وَهُوَ يُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ : اشْتِقَاقُهُ مِنْ (نَفِهَتْ نَفْسُهُ) أَيْ : أَعْيَتْ وَكَلَّتْ" . (٣٦)

وإذا تباعد المعنيان للكلمتين المتتاليتين تأكد أن القصد الإتباع مثل القول الآتي :

"أَفْعَلُ مَا سَاءَهُ وَنَاءَهُ، أَيْ : أَثْقَلَهُ" . (٣٧)

فالإساءة بعيدة المدلول عن الإثقال، مما يؤكد أن معنى الثانية ، وهو الإثقال، ليس مقصوداً، وإنما المقصود الإتباع، وأن جاذبية الصوت والصورة هما الهدف .

ومثله القول الآتي :

"لا يَعْرِفُ القَطَاةَ مِنَ اللَّطَاةِ، والقَطَاةُ مَوْضِعُ الرِّدْفِ واللَّطاةُ الجبْهةُ . قالَ

وأَبُوكَ لَمْ يكُ عَارِفًا لوَطَاتِهِ

ما فَرْقَ بَيْنَ قَطَاتِهِ وَلَطَاتِهِ(٣٨)

والقطاه هي احر جزء من البعير إلى الخلف، واللطاة، وهي الجبهة، هي آخر جزء منه إلى الأمام، والبعد بينهما أوجب تجهيل المرء، وبعده عن المعرفة، ولولا جاذبية صورة اللطاة، وقرب لفظها من القطاة، ما احتيرت على الجبهة، ولكن الرغبة في صورة الإتباع هي التي أوجبت الإتيان بها، وجلدت بهذا الكلمة، ونقتا متجاورتين متساندتين، رغم اختلاف المعنى، وتباعد المدلول .

وللغرض نفسه احتير المثل الآتي :

"مالهُ ثاغيةٌ ولا راغيةٌ . الثُغاءُ : لِلشَّاءِ، وَالرُّغَاءُ للإبل" (٣٩)

وكان بإمكان القائل أن يقول: ماله شاء ولا إبل، ولكن احتار الإشارة إليها بأصواتها ، لأن في ذلك مجالا للإتباع، وصورته مرتضاه .

ومن الإتباع الواضح قولهم :

"هُو عَيِيٌّ شَيِيٌّ، وما أَعْيَاهُ وَأَشْيَاهُ، وَكَانَ مِنْ عِيٍّ وشِيٍّ. فالعِيُّ معْرُوفٌ ، والشِّيُّ إتباع" . (٤٠)

ومثله قولهم :

"لادريْتُ ولا تليتُ. إتْباعٌ، ويقال أيضاً: إئْتليْتُ، أي : اسْتطعْتُ ؛ ويُقالُ : ما يألُوهُ : أيْ يُطِيْقُهُ" . (٤١)

هذه بعض أمثلة من هذا الكتاب الفريد، ومن بعض الكتب الأحرى، لمستُ جانباً من جوانب اللغة العربية، مضيئاً ساطعاً، دل على رقيها، وشمولها، وعناية

أهلها بها، وقبولها للنمو والاتساع، وقدرتها على التحمل، وقوتها في مقابلة الهزات، وتصيّدها لمواقع الجمال.

ويبدو أن هذا المؤلف واحد من الذين اهتموا بالإتباع، وإفراد كتاب كامل له، وجعله على صورة معجم، وهو خلافاً للمؤلفات الأخرى وصل إلينا كاملاً، أو شبه كامل، أما غيره مثل كتاب الإتباع لأبي الطيب اللغوي، فلم يبق لنا من كتابه هذا إلا جزء يسير؛ ويقال إن السيوطي ألف كتاباً في الإتباع، سماه "الإلماع في الإتباع"؛ وكتب عن الإتباع في كتابه "الأشباه والنظائر في النحو".

أما الذين جاؤوا بمقتطفات عن الإتباع، أو أبواب في كتاب، فهم متعددون، منهم أصحاب المعاجم عندما يمرون بكلمة متبوعة أو تابعة، ومنهم من كتبوا في اللغة مثل الثعالبي في كتابه: "فقه اللغة و سر العربية" فقد عقد فيه فصلاً في الإتباع، وفي المزهر بحث عن الإتباع، وكذلك في الجمهرة لابن دريد، وللبكري جهد، وابن قتيبة مثله، وللقالي في أماليه، وثعلب في مجالسه، وابن سيده في مخصصه، وغيرهم.

وقد قام الأستاذ محمد أديب عبد الواحد حمران بتحقيق كتاب "الإتباع والمزاوجة" لأحمد بن فارس ابن زكريا، وبذل جهداً مشكوراً في دراسة الكتاب، وشرح ما يحتاج إلى شرح، وقدم له بمقدمة ثمينة وافية، سوف يستفيد منها قارؤها فائدة جُلّى.

☆ ☆ ☆

الهوامش:

(١) الإتباع والمزاوجة: ٨٩ .
(٢) الإتباع والمزاوجة: ٨٩ .
(٣) الإتباع والمزاوجة: ٨٩ .
(٤) الإتباع والمزاوجة: ٩١، والأمالي: ٢/٢٠٩ .
(٥) الإتباع والمزاوجة: ٩١.
(٦) الإتباع والمزاوجة. ٩٢ .
(٧) الإتباع والمزاوجة: ٩٣، والأمالي: ٢/٢٠٩ .
(٨) الإتباع والمزاوجة: ٩٤.
(٩) الإتباع والمزاوجة: ٩٥ .
(١٠) الإتباع والمزاوجة: ٩٥ .
(١١) هامش ص ٩٥ الإتباع والمزاوجة، والأمالي: ٢/٢١٧.
(١٢) الإتباع والمزاوجة: ٩٧، والأمالي: ٢/٢١٤، وأدب الكاتب: ٤٧ .
(١٣) الإتباع والمزاوجة: ١٠٠.
(١٤) الإتباع والمزاوجة: ١٠٣، والأمالي: ٢/٢١٥ .
(١٥) الإتباع والمزاوجة: ١٠٣، والأمالي: ٢/٢١٦ .
(١٦) الإتباع والمزاوجة: ١٠٥ .
(١٧) الإتباع والمزاوجة: ١٠٦، والأمالي: ٢/٢٠٩ .
(١٨) الإتباع والمزاوجة: ١٠٦، والأمالي: ٢/٢١٣ .
(١٩) الإتباع والمزاوجة: ١٠٦ .
(٢٠) الإتباع والمزاوجة: ١٠٩، والأمالي: ٢/٢١٥ .
(٢١) الإتباع والمزاوجة: ١٠٩، والأمالي: ٢/٢١٣ .
(٢٢) الإتباع والمزاوجة: ١١٥ .
(٢٣) الإتباع والمزاوجة: ١١٧، والأمالي: ٢/٢١٠ .
(٢٤) الإتباع والمزاوجة: ١١٧، والأمالي: ٢/٢١٤ .
(٢٥) ويقولون: حياك الله وبياك: أدب الكاتب: ٤٤ .
(٢٦) الإتباع والمزاوجة: ١١٨ .
(٢٧) الإتباع والمزاوجة: ١٢٢ .
(٢٨) الإتباع والمزاوجة: ١٢٣، والأمالي: ٢/٢١٦.
(٢٩) انظر أيضاً الأمالي: ٢/٢١٦ .
(٣٠) الإتباع والمزاوجة: ١٢٥، والأمالي: ٢/٢١٦.
(٣١) الإتباع والمزاوجة: ١٢٥ .
(٣٢) الإتباع والمزاوجة: ١٢٥ .
(٣٣) الإتباع والمزاوجة: ١٢٥ .
(٣٤) الإتباع والمزاوجة: ١٢٦ .
(٣٥) الإتباع والمزاوجة: ١٢٦ .
(٣٦) الإتباع والمزاوجة: ١٢٧، والأمالي: ٢/٢١٥.
(٣٧) الإتباع والمزاوجة: ١٢٩ .
(٣٨) الإتباع والمزاوجة: ١٢٩ .
(٣٩) الإتباع والمزاوجة. ١٢٩ .
(٤٠) الإتباع والمزاوجة: ١٣١، والأمالي: ٢/٢٠٩.
(٤١) الإتباع والمزاوجة: ١٣١ .

الفريق الأديب يحيى بن عبد الله المعلمي رحمه الله تعالى

بقلم : رئيس التحرير

في ٢٥/ جمـادى الأولى ١٤٢١هـ (بالتقويم السعودي) و ٢٤/ جمادى الأولى ١٤٢١هـ (بالتقويم الهندي) الموافق ٢٥/ أغسطس ٢٠٠٠م يوم الجمعة، انتقل إلى رحمة الله تعالى الفريق الأديب يحيى بن عبد الله المعلمي رئيس المكتب الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي العالمية ، وعضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، بعد كفاح طويل مع المرض واصل خلاله عطاءه الأدبي و النقدي والكتابي ؛ حيث أنتج خلال فترة مرضه عشرة كتب من مجموع مؤلفاته البالغ عددها (٤٦) مؤلَّفًا .

الأديب الكبير يحيى المعلمي كان فريداً بين الأقران والمعاصرين من الأدباء والكتاب ؛ حيث كان فارساً جديداً في عالم الأدب ، أو أديبًا جديدًا في عالم الفروسيّة على غرار أبي فراس الحمداني (٣٢٠-٣٥٧هـ / ٩٣٢- ٩٦٨م) والمتنبئ (٣٠٣ - ٣٥٤هـ / ٩١٥ - ٩٦٥م) والبارودي ١٢٥٥ - ١٣٢٢هـ / ١٨٣٩ - ١٩٠٤م). عمل المعلمي في الشرطة والمرور والعسكريّة ، ولكنه ظلّ محتفظًا بروحه الأدبية ، وذوقه الكتابي ، وهوايته الدراسيّة ، وظل ينتج الأدب المجدي الثر ، ويثري المكتبة الأدبية الإسلاميّة ، ويؤكد حضوره الفعّال في الساحة الأدبيّة والنشاطات المجمعيّة والتحركات اللغويّة ، مع نظرائه ومناظريه ، من المتحركين سراعاً في اتجاه الأدب الإسلامي الهادف والكتابة الجادة البنّاءة التي تبني الإنسان ، وتصلح المجتمع ، وتخدم الرسالة ، وتخلق مواطناً صالحاً ، وتذكي جذوة الخير ، وتسدّ مسالك الشر .

للمعلمي من الأبناء الأستاذ عبد الله / عضو مجلس الشورى ، والأستاذ عدنان / رجل أعمال ، والأستاذ عمـاد / موظف في البنك السعودي البريطاني ، والسيدة آمال / مُوَجِّهة لغة إنجليزيّة في مدارس الحرس الوطني .

من حسن حظّ كاتب هذه السطور : نور عالم خليل الأميني أن سعد بلقياه ، والجلوس إليه والاستماع له لساعات طويلة ، في المكتب الاقليمي للعالم العربي لرابطة الأدب الإسلامي ، حيث تكرّم عليّ وتلطّف بي الأديب سعادة الدكتور عبد القدوس أبو صالح نائب رئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية سابقاً ورئيس مكتب البلاد العربية ورئيس الرابطة حاليا، فدعاني ضمن من دعاني إلى اجتماع للأدباء والكتاب والمشاركين في مهرجان الجنادرية للثقافة والتراث في دورته الخامسة عشرة ، عقده في رئاسة الأديب الفريق يحيى

المعلمي رحمه الله تعالى . وذلك ليلة الأحد ١٠/٣٠/ ١٤٢٠هـ الموافق ٢٠٠٠/٢/٦م .

وقد تعرفتُ في هذا الاجتماع السعيد على الأديب الفاضل يحيى المعلمي رحمه الله تعالى ، وأُعجِبتُ بما ظهر لي من جدّه و وقاره ، ونبله وتواضعه ، وحبّه للغة العربيّة ، وإيمانه البالغ بمستقبل حركة الأدب الإسلامي ، وبأنّ العربيّة مصدرها الأساسي الكتاب والسنّة ، وأنهما ليسا مصدرين أصيلين للشرع الإسلامي فحسب ، بل إنهما مصدران أصيلان للغة العربيّة كذلك .

وتحدث في هذا اللقاء المبارك بعضُ الفضلاء عن بعض جوانب حياة سماحة الشيخ الندوي رحمه الله تعالى، الذي كانت قد وافته المنية منذ نحو شهر وأكثر فقط ، فاستعبرت عيناه وهو جالس مطرقاً رأسه حول الطاولة على كرسيّ الرئاسة .

ومن حسن الحظّ أيضاً أنني استمعتُ إلى أبحاث قيمة قُدِّمَتْ إلى المهرجان المذكور تتحدث بشيء من التفصيل عن جوانب من حياة المعلمي ، وأهميته الأدبية ومكانته العلمية ، ومحلّه لدى الأدباء والمثقفين في المملكة خصوصاً وفي العالم العربي عموماً .

وذلك في قاعة الملك فيصل للمؤتمرات بمدينة الرياض ، في ندوة عُقِدَت بعنوان شخصية سعوديّة ، انعقدت في الساعة الثامنة إلاّ الربع حتى الساعة العاشرة من ليلة الجمعة ١٤٢٠/١٠/٢٨هـ الموافق ٢٠٠٠/٢/٤م ؛ حيث تمّ اختياره الشخصية الثقافية السعودية المكرمة في مهرجان الجنادرية في دورته الخامسة عشرة هذه . فتم الاحتفاء به، واستعراضُ أعماله من خلال الندوة المشار إليها ، التي شارك فيها عدد من المفكرين والباحثين . منهم الأستاذ الدكتور عبدالعزيز صقر الغامدي الذي قام بإدارة الندوة ، والأستاذ الدكتور عبد اللّه محمد أبو داهش . والأستاذ الدكتور محمد عبد الرحمن الربيع (وكيل جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض للدراسات العليا والبحث العلمي حاليا وعميد البحث العلمي بها سابقاً) والأستاذ الدكتور علي حسن أبو العلا ، واللواء عبد القادر عبد الحي كمال ، الذين ساهموا فيها مشاركين بالبحوث والدراسات المثرية عن حياة وأعمال المعلمي رحمه اللّه تعالى .

وُلِدَ المعلمي رحمه الله تعالى عام ١٣٣٧هـ / ١٩٢٨م بـ "جازان" بالمملكة العربية السعودية . وتلقى الفقيد دراسته الابتدائية والثانويّة بمكة المكرمة . فقد التحق هو بالمدرسة الفيصلية بمحلة الشبيكة بمكة المكرمة . وظلّ محلّ التقدير من أساتذته ؛ حيث جلب انتباههم بسرعة حفظه وفهمه والتقاطه اللبق لما يلقى إليه من نصوص و دروس وفي السنة الدراسيّة الجديدة انتقل إلى المدرسة العزيزية في مكة المكرمة . وفي السنة التالية انتقل جميع المتخرجين من السنة الثانية الابتدائية إلى المدرسة الثانوية الوحيدة في مكة المكرمة ، وهي مدرسة تحضير البعثات .

وكان المعلمي في أثناء دراسته في مدرسة تحضير البعثات يطلب العلم في المسجد الحرام بعد

صلاة الفجر وبعد صلاة الظهر وبعد صلاة المغرب وبعد صلاة العشاء؛ فدرس على يد الشيخ محمد المانع متن الألفية في النحو، وكتاب بلوغ المرام من أدلة الأحكام في الحديث والفقه. واستمع إلى دروس في شرح صحيح البخاري وشرح صحيح مسلم وشرح سنن أبي داؤود. واستمع إلى فضيلة الشيخ السيد علوي مالكي في دروسه التي يلقيها في المسجد الحرام، وكانت حلقته كبيرة. ودرس على يد الشيخ السيّد محمد أمين كتبي (١٣٢٧-١٤٠٤هـ / ١٩١٠-١٩٨٣م) شرح العشماوي على متن الأجرومية، وعلى يد الشيخ محمد العربي المغربي دروساً في السيرة النبويّة وتاريخ الخلفاء الراشدين. وجلس في حلقة الشيخ عمر حمدان يستمع إلى ما يلقيه من دروس في شرح صحيح مسلم وموطّاء مالك. وجلس إلى الشيخ عبد الله بن حسن آل الشيخ (١٣٥٢-١٤٠٧هـ / ١٩٢٢ - ١٩٨٧م) رئيس القضاء في مسجد ابن عباس بالطائف يستمع إلى كتاب فتح المجيد شرح كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد.

في المعهد العلمي السعودي

كان المعلمي طالباً في مدرسة تحضير البعثات التي تُعْنَى بتعليم الطلاب العلوم الطبيعيّة والعلوم الاجتماعيّة إلى جانب العلوم الدينية والعربية والإنجليزية؛ ولكن كان ميل المعلمي إلى العلوم الدينية والعربية، وهي التي تتركّز عليها الدراسة في المعهد العلمي السعودي، وهو مدرسة ثانويّة تشغل جانبًا من مبنى القلعة، كانت فيه مدرسة تحضير البعثات. وكانت إدارة المدرستين إدارة واحدة يرأسها المربي الفاضل السيد أحمد العربي رحمه الله، ويعاونه الأستاذ عمر عبد الجبار. فكان المعلمي يجالس طلاب المعهد في الفسح، وفي أماكن تجمعهم في الحرم المكيّ الشريف، ويتابع ما درسوه في المعهد، ويستمع إلى مناقشتهم العلمية والأدبية. وكان طلاب المعهد بحكم ثقافتهم العربية قد قرأوا كثيراً من المؤلّفات العربية للمنفلوطي وسيد قطب والعقاد وغيره، ودواوين شعر لعلي محمود طه، وإبراهيم ناجي؛ فضلاً عن دواوين أحمد شوقي، وحافظ إبراهيم، وشعر محمود سامي البارودي، وغيرهم من أدباء مصر والمهجر وشعرائهما. وكانت هذه المناقشات تستهويه، ويندمج معهم بحكم ثقافته الدينية و الأدبية. وكان له منهم أصدقاء، منهم الأديب الوزير معالي الدكتور عبد العزيز الخويطر (صاحب كتاب "أي بنيّ" و "إطلالة على التراث" و "من حطب الليل") ومعالي الشيخ عبد العزيز أحمد الرفاعي (الأديب الكبير، وصانع الأدباء والكتاب، صاحب الخميسية الشهيرة بالرياض، التي يحييها بعده إحياءً لذكراه رجل الأعمال المعروف الأستاذ أحمد محمد باجنيد بالرياض) المولود في ١٣٤٢-١٤١٤هـ والمتوفى في ١٩٢٣-١٩٩٣م، وغيرهما من طلاّب المعهد.

النشاط العلمي الأدبي

كانت مدرسة الشرطة لا تفتح دورات بانتظام، وإنّما تجمع عدداً من الطلاب. فإذا اجتمع على الأقل

عشرة أشخاص ، فتحوا دورة لهم . وفي هذه الأثناء ذهب الأستاذ عمر عبد الجبار إلى مدير الأمن العام ، فقال : إن الدورة الجديدة لا نعلم متى تفتح ، وقد لا تفتح إلاّ بعد سنة أو سنتين ، وأنا أرى أن هذا الطالب مكسب للشرطة ؛ فهو مثقّف ثقافةً عامّة ، ويتكلم الإنجليزيّة ، ولديه معلومات دينية وعربية وتاريخية كثيرة ، وهو تلميذي ، وأنا متأكّد أنّه سوف يجتاز الامتحان مع طلاب الدورة الحالية .

وإزاء إلحاح الأستاذ عمر ، قال مدير الأمن العام: إنّي سأقبله طالباً في هذه الدورة ، ولكن بصفة مستمع بلا مرتب ولا وظيفة ؛ فإذا نجح في الامتحان أخذ الرتبة التي يستحقّها ، وإلاّ فلينتظر إلى الدورة القادمة . يقول المعلمي: فسألني الأستاذ عمر : هل تقبل ذلك ؟ قلت : نعم، وإني مستعدّ لأدخل الامتحان هذا اليوم إن أمكن . فأمر مدير الأمن العام بإلحاقي بالمدرسة . وبعد شهر واحد أُجْرِيَ الامتحان ، وفاز المعلمي برتبة ملازم (Lieutenant) وهكذا بدأ المعلمي يعمل في الشرطة .

بعد التحاقه بمدرسة الشرطة (كلية قوى الأمن الداخليّ) في ١٣٦٧/٢/١هـ وتخرجه منها بتأريخ ١٣٦٧/٤/١هـ عُيِّنَ محققًا في القسم العدلي في الأمن العام . وبعد أن قضى فترة في هذا القسم صدر أمر مدير الأمن العام بنقله إلى شرطة "أبها" التي لم يكن فيها غير مديرها الشيخ محمد أحمد القدسي ، فعمل معه المعلمي. رأى القدسي كفاءته وسرعة إنجازه للعمل ، مما حمله على أن يسند إليه أعمال الشرطة كافّة ، من تحقيقات جنائيّة وإداريّة ، ومن قيادة للجند ، وتدريب لهم ، وعناية بالسجن ونزلائه ومع أنّه قد نُقِلَ إلى شرطة أبها بعض انضباط ، ومنهم من كان يحمل رتبة ملازم أول (مفوض ثانٍ Cecond Police commissioner أي أعلى من رتبة المعلمي ، إلاّ أنّ مدير الشرطة كان عند غيابه عن أبها ، يسند أعمال الوكالة إلى المعلميّ .

ثم نُقِلَ بعدها مديراً لشرطة " القنفذة " ثم عمل مديراً لشرطة مكة المكرمة ، ثم مديراً لشرطة "ينبع" .

وعام ١٣٧٨هـ نُقِلَ إلى الرياض ، فعُيِّن مدير لإدارة شرطة الرياض ، فمديراً للمباحث والتحقيقات الجنائية . وعام ١٣٨١هـ نقل إلى الأمن العام ، فعيّن مديراً للمكتب الثقافي . وفي عام ١٣٨٣هـ قام بإنشاء شرطة النجدة في جدة ومكة المكرمة والرياض .

وظلّ المعلمي أثناء عمله في الشرطة ، ينشر مقالات في جريدة " البلاد " ثم أخذ يصدر صفحة خاصّة بالشرطة في جريدة "حراء " (الندوة حاليًّا) بعنوان ركن البوليس ، وفيها كلمة العدد من إنشائه ، وكلمات بأسماء بعض كبار رجال الشرطة من تحريره ، مع ترجمة تبرز أهم خصالهم وأعمالهم .

وكان يجري أحاديث مع قادة الأمن العام يدلون فيها ببعض المعلومات عن شخصياتهم ، ويكمل هو الباقي من أحاديثهم ، بناءً على ما سمعه منهم من أقوال ، مضافاً إليها بعض المحسنات من خياله .

وقد سبّب له هذا النشاط الصحفي بعض المتاعب ، وعرّضه للتحقيق والمحاكمة ؛ ولكن لم

يناله شيء من العقاب ؛ إذ كانت نتائج التحقيق تسفر عن براءته مما يُتّهم به ، من مساواة لبعض قادة الشرطة ، أو سوء نيّة في انتقاده لتصرفات بعض رجال الشرطة .

كان المعلمي قارئاً مدقّقا ، ناقداً حصيفاً لكل ما يقرأ من نثر و شعر . وكثيراً ما كتب مقالات ، وانتقد فيها بعض الأفكار في القصائد المنشورة في الصحف . وكان بعض من يعنيهم هذا النقد يكتبون دفاعاً عن أنفسهم ، فيقابل المعلمي ذلك بالترحاب .

في المرور

أبدى المعلمي اهتماماً بالمرور ، وأعدّ مشروعاً لنظام جديد للمرور ، حاول أن يجمع فيه كل ما يطلبه المرور من قواعد وآداب ، وما يحتاج إليه من رخص سياقة ورخص سيّارات .

وقد لمس مدير الأمن العامّ الفريق (Lieutenant general) أحمد يعمور اهتمام المعلمي بالمرور ، فعيّنه مديراً عامًّا للمرور ، بالإضافة إلى عمله مديراً عامًّا لشرطة الجدة ، ومديراً للمكتب الثقافي الذي تحوّل إلى إدارة للعلاقات العامّة عام ١٣٨٤هـ .

وفي أثناء وجوده في الرياض قام بإعداد مسودة نظام خدمة الضباط ، وضباط الصف والجنود ، في قوى الأمن الداخلي . وقام بإعداد لائحة العلاوات التي يمكن أن تُصْرَفَ لذوي المؤهّلات والخبرات منهم ، على غرار لائحة العلاوات لنظام خدمة الضباط وضباط الصف والجنود في الجيش [١].

وفي عام ١٣٨٦هـ ابْتُعِثَ المعلميّ إلى الولايات المتحدة ، حيث التحق بجامعة "متشجان ستيت " ونال درجة ماجستير العلوم في إدارة المرور .

ونال شهادة معهد الإدارة العامّة في التخطيط والتنمية بامتياز .

وفي عام ١٣٨٧هـ ، عين مديراً لإدارة التخطيط والتنظيم والميزانيّة بالأمن العام ، ثم نقل إلى وزارة الداخلية مديراً لإدارة شؤون الضباط العامّة وأمينًا عامًّا للمجلس الاستشاري الأعلى لقوات الأمن الداخلي .

كما عين في عام ١٣٨٨هـ مديراً عامًّا للمرور والنجدة والعلاقات العامة.

وفي عام ١٣٩٢هـ عين مديراً عامًّا لإدارة الخدمات الفنية بوزارة الداخلية . وفي عام ١٣٩٤هـ عين مديراً لإدارة الجوازات العامّة بالأمن العامّ للسجون.

وفي عام ١٣٩٨هـ عين مساعداً لمدير الأمن العام لشؤون العمليات . كما انْتُعِث في زيارات استطلاعيّة لإدارات الأمن في بريطانيا والولايات المتحدة والنمسا وفرنسا وسويسرا وإيطاليا وهولندا واليابان .

وقد نال ميداليّة التقدير العسكريّة من الدرجة الأولى لجهوده في أعمال الحج . كما منحة المملكة وسام الملك عبد العزيز من الدرجة الثانية تقديراً لدوره في خدمة وطنه في مجال عمله العكسرى كما مُنِحَ وسام الملك عبد العزيز من الدرجة الممتازة تقديراً لجهوده الثقافيّة .

ومَثَّل المملكة في عدد من المؤتمرات الدولية .

بتاريخ ١٤٠١/١/٥هـ صدر الأمر الملكي

---

[١] المعلومات الأساسية مقتطفة بتغيير وحذف وزيادة من "الشخصيات السعودية المكرمة" ، المهرجان الوطني للتراث والثقافة الخامس عشر ، الرياض ، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م

بترقيته إلى رتبة فريق .

وفي عام ١٤٠٢هـ صدر الأمر الملكيّ بإحالته إلى التقاعد . فتفرّغ رحمه الله للقراءة وتأليف الكتب و كتابة المقالات في الصحف والمجلّات .

وفي عام ١٤١٢هـ اختير عضواً لمجمع اللغة العربية بالقاهرة . وفي العام نفسه اختير عضواً برابطة الأدب الإسلامي العالمية ورابطة الأدب الحديث .

ومن مؤلّفاته رحمه الله

١- مكارم الأخلاق في القرآن الكريم ، ٢- الأمن في القرآن، ٣- الأمثال والشواهد في القرآن الكريم ، ٤- الأمثال والشواهد في الحديث الشريف، ٥- الأعلام في القرآن، ٦-حولات في رياض الأدب، ٧- الأمن والمجتمع ، ٨- الشرطة في الإسلام، ٩- الأمن والتخطيط ، ١٠- المرأة في القرآن .

المعلمي وعلاقته العريقة مع الحياة العسكرية

وارتبط الفريق يحيى المعلمي بالحياة العسكرية من جهة أسرته ، قبل أن ينتظم في سلكها ويتدرّج سموًّا في مناصبها ؛ فقد كان والده أمير بلاد (رجال ألمع) إبان الحكم الإدريسي، ولما زحف الملك عبد العزيز رحمه الله بجيوشه يفتح البلاد ويوحّدها إنضمّ إليه . ثم ما لبث أن قتل في إحدى المعارك . ومع أنّ المعلمي كان صغيراً ونشأ يتيماً في رعاية عمّه ، إلاّ أنّ علاقته قويت بالدولة من حيث شمولها بالرعاية الكريمة .

ويذكر والده الشهيد في شعره الفيّاض فيقول :

ولست اليوم في الإخلاص بدعاً
ولكنـــي عـــريق فـي الفداء
فقبلي والـــدي أضحى شهيدًا
قتيلاً قـــد تضـرج بالـــدمـــاء
يفـــدّي العـرش بالأنفاس منـــه
ويبذل روحـــه تحت الهـــواء. (٢)

وإن كان يحيى المعلمي الأديب أثرى المكتبة العربية الإسلامية بمؤلفاته ومقالاته ؛ فإنّ شعره أيضا يتدفّق بالرقة والعذوبة والروح الشعريّة العالية وجعل نصب عينيه دائماً الدفاع عن العربية الفصحى لغة القرآن الكريم والحديث الشريف ، التي هي إحدى الركائز التي يمكن أن يتوحّد بها العرب لو صارت لغة السوق والبيت والشارع مع كونها لغة العلوم والثقافة .

رحم الله الفريق الأديب الشاعر يحيى المعلمي الذي قليلا ما يوجد نظيره في العصر الحاضر في الجمع بين المواهب العسكرية والإداريّة والنبوغ في اللغة والأدب والشعر ، وقليلاً ما يقدر مثقف أن يحافظ على ذوقه الأدبي وقريحته الشعرية مع الاشتغال الدائم عن جدارة وأهلية في المجال العسكريّ المروري الشرطـــوي . ويندر أن يتفرغ المرأ للقلم والقرطاس مع الإمساك بالسيف والرمح وعُدَد الحرب والضرب ، و مع الرتابـة الحافّـة التي هي قوام الأعمال الإداريّة و الأمنيّة .

جزاه الله خيراً عن كل خير قدمه للوطن والأمة والثقافة الإسلامية ، وأدخله فسيح جنّاته . وألهم أهله وذويه و معارفه ومحبيه الصبر والسلوان .

(٢) مجلة " الحرس الوطني " السعودية العدد ٢٢ ، السنة ٢٢ رجب ١٤٢١هـ أكتوبر ٢٠٠٠م

كلمـــة المحـــرر

لو أنّ الحكومة الهنديّة تركت الشعب المسلم وشأنه ، يعمل في حرّيّة صادقة – لا حريّة خادعة منافقة – بدينه وعقيدته وشريعته ، ويعيش في كنف وطنه آمناً مطمئناً ، هادئ البال ، قرير العينين ، يخدم بلاده – كما هو عادته – ويركض لإسعاد مجتمعه ، ويسعى لتحقيق مصالحِ إخوانه المواطنين ، ويمضي قدماً في سبيل النهوض بالبلاد ، ويكون مع مواطنيه يداً واحدة للرقي بها في جميع المجالات الحيوية التي تقدمت فيها الدول التي تُصنّفُ " متقدمة ".

لو أنّها صنعت ذلك ، لكانت في جانب قد عملت حقاً بمبدأ " العلمانيّة " التي اتخذها واضعو الدستور الهنديّ من الرعيل الأول من القادة والزعماء قاعدة أسّسوا عليها الدستور ، وفي جانب آخر أراحت المسلمين أولاً وأراحت نفسها ثانياً ، ونجت بها من التورّط فيما تورطت فيه من " الجهاد في غير عدوّ " حيث تصدر من حين لآخر قرارات ومشاريع قوانين تشكّل خطراً داهماً في سبيل العمل بالإسلام ، وتتصادم مع روح العلمانيّة ، وتتعارض مع روح الحريّة التي ضمنها الدستور الهندي للشعب الهندي على اختلاف طبقاته ودياناته ؛ حيث صرّح بأنّه يكون حرًّا في العمل بدينه ، والدعوة له ، وتعليمه ، وفي بناء المعابد والمساجد التي يعبد فيها ربّه ، والمدارس التي يعلّم فيها أبناءه ، والمراكز والمؤسسات التي يعمل من خلالها على الحفاظ على ثقافته ولغته وأرصدته الإرثيّة والقوميّة الخاصّة .

ولكن الحكومة مع دعاويها العريضة وأقاويله الطويلة تفعل من حين لآخر ما يوهم أنّها عادت مغلوبة تجاه المتطرفين المتعصبين من الهندوس الذين يؤمنون بالهندوسيّة العدوانية المتطرفة ، التي لاتـرى مبررًا لوجـود غيـرهـا من الديانات وأبنائها في هذه البلاد ، والتي لايؤمن بها لحد الآن – كما يزعم الشعب المسلم الحالم – معظم الهندوس الـذين هـم بـدورهم يتـوزّعـون في طبقات لا تُعَدُّ وتتصارع على العقائـد والأعمال والطقوس ومناهج العبادة وإعطاء الأولويّة في العبادة لآلهة دونَ آلهة !!.

والمسلمون اليوم يخوضون صراعاً عنيفاً مع الحكومة الحالية على شتى مشاريع القوانين التي لو نُفِّذَتْ عاد العمل بالإسلام مستحيلاً في هذه البلاد التي خدموها مئات من السنين " وَاللّٰهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُوْنَ " (يوسف / ٢١)

[التحرير]

١- الإمام المهدي .. الشخصية والحقيقة

تأليف : الأستاذ المفتي أسعد قاسم السنبهلي
ملتزم الطبع والنشر : مؤسسة الشاه ولي الله ، مراد اباد. الهند

أهدى إليّ الأخ العزيز الفاضل الأستاذ المفتي أسعد قاسم السنبهليّ مؤلّفه القيم " الإمام المهدي . الشخصية والحقيقة " باللغة الأرديّة

والكتاب يقع في ٤٣٢ صفحة بالقطع المتوسط المُتَدَاوَل في الأغلب ، ويبحث قضية الإمام المهدي من جوانبها كلها ، ويجليها حقيقةً ناصعة في ضوء الكتاب والسنة ودراسات العلماء والمحدثين والفقهاء عبر التأريخ الإسلامي ، بينما يفند الأساطير التي اكتنفتها ولا تزال ، والتي يتشبث بها ضعاف العقول والنفوس ؛ حيث ظلوا ينهضون في شتى بقاع الدنيا في شتى العصور ومختلف المناسبات، ويدّعون كونهم مهديًّا منتظراً .

وقد توزّعت الآراء الفاسدة فيما يتعلق بالمهدي عليه السلام ، بين وجهتين متطرفتين ؛ فهناك اراء يقول بها الشيعة والقاديانية والمهدوية ، تبلغ بالمهدي مرتبة الله تعالى ؛ وآراء أخرى تنكر شخصية المهدي وتعتبرها أسطورة من الأساطير .

وقد توسّع الأستاذ أسعد قاسم في دراسة القضية وتعمق ، وقرأ جميع المصادر والمراجع وكل شيء يتّصل بالمهدي ، وسهر على الدراسة عشر سنوات ، وارتاد كلّ مورد ، وامتصّ رحيق كلّ مظنّة ؛ فجاء كتابه موسوعة حقًّا في موضوعه ؛ حيث لا يوجد في العربية أو الأرديّة كتاب يجمع فيما يتصل بالمهدي - إحقاقاً للحق وإبطالاً للباطل - ما يجمعه هذا الكتاب الذي سهر المؤلّف في تأليفه الأيام والليالي واستوعب النظر في كل مرجع جديد وقديم

وقصّة هذا الكتاب ترجع إلى أنّه قد ورد دارالإفتاء بالجامعة الإسلامية دارالعلوم / ديوبند خطابُ استفتاء من إحدى مناطق الهند عام ١٩٩٢م عندما كان المؤلف تلميذًا بالجامعة ، يتدرب على الإفتاء والإجابة في المسائل والنوازل ، ادّعى فيه المستفتي أنّه مهديّ منتظر ، وأنه يجب على علماء ديوبند - باعتبارهم سباقين إلى الخيرات - أن يؤمنوا به مهديًّا منتظراً . وقد كُلِّف المؤلف بكتابة الردّ على الاستفتاء . وقد وفقه الله وألقى في روعـــه أن يدرس القضيـــة من جميع أبعادها ، فتتبّع بقراءة كل ما توصّل إليه في مكتبة الجامعة ومكتبات الهند ، واستنار خلال ذلك بكبار أساتذة الجامعة المختصين في الموضوع ، وعاش زمنًا في جوّ علميّ بحثي ، يقارن بين الروايات ، ويغربل الآراء والأفكار ، ويناقش المؤلفات والدراسات ، ويستنطق ما قاله العلماء الثقات في القضية . فتجهّز هذا المُؤَلَّف الطيب الذي يجدر بأن يُنْقَلَ إلى اللغات الحية في العالم، ولا سيّما اللغة العربية

وقد أعانه على إنجاز هذا العمل الأكاديمي الممتاز ما يتمتع به الأستاذ العزيز من الصبر على القراءة، والتعوّد على الاجتهاد ، وامتلاك القلم الرشيق ، والأسلوب العلمي الرصين، ومقدرة التأليف اللائقة، والقدرة على الاستنتاج الصحيح ، والتوفيق لالتزام

الجادّة المستقيمة التي سلكها العلماء الثقات ، ومنهم علماء ديوبنـــد ، الذين يمتـــازون بالتوازن الفكري والمنهج العلمي العقدي الوسط المرضي لدى أهل السنّة والجماعة .

والكتابُ يتوزّع على خمسة أبواب كما يلي :

الباب الأول : التصورات عن المهدي . الباب الثاني : تفنيد دلائل إنكار المهدي . الباب الثالث : الإمام المهدي .. الشخصية والحقيقة . الباب الرابع : المقارنة بين سيدنا عمر بن عبدالعزيز وبين الإمام المهدي وإثبات أفضلية الثاني على الأول . الباب الخامس : الإمام المهدي منذ ظهوره إلى وفاته .

جزى الله المؤلف خير الجزاء ، ووفقه لمزيد من أعمال التأليف والكتابة المجدية ، وأضفى على كتابه هذا مسحة القبول ، وجعل القراء يقعون عليه وقوع الفراش على النور .

ويطلب الكتاب من :

١- المكتبة النعيمية، ديوبند 247554 ، يوبي، الهند
٢- مكتبة الفرقان ، نظير آباد ، لكهنؤ ، الهند
٣- المكتبة الرشيدية ، دهلي 110006 ، الهند
٤- المكتبة الندوية ، ندوة العلماء ، لكهنؤ ، الهند

☆ ☆ ☆

٢- الخطب العربية

إعداد : الأستاذ عبد القدوس القاسمي النيرانوي

مراجعة وتقديم : فضيلة الأستاذ عميد الزمان القاسمي الكيرانوي

ملتزم الطبع والنشر والتوزيع : دارالمعرفة ، دهلي الجديدة

أهدى إليّ فضيلة الأستاذ عميد الزمان القاسمي الكيرانوي كتاب "الخطب العربية" من تأليف وإعداد الأستاذ عبد القدوس القاسمي النيرانوي / أستاذ الأدب العربي بالجامعة المحمودية بـ " جوهانس برغ " بجنوبي أفريقيا .

وهذا الكتاب الذي يقع في ٢٠٤ صفحات بالقطع المتوسط ، يجمع بين دفتيه ٤٢ خطبة حول شتى المواضيع الإسلاميّة التي تهمّ المسلم فيما يتعلق بدنياه وآخرته ، ويتصدّرها طرف من خُطَب النبي صلى الله عليه وسلم . والمواضيع كلها حيّة وستظلّ حيّة حيث تمس حياة المسلم وتفيض معلـــومـــاتٍ وتوجيهات وغيرة و حثًّا على التحرك والعمل والمضي في الخيرات والابتعاد عن السيئات . و تلقّن دروساً واعيةً فيما يتصل بتجارب الحياة وقضايا المعاش وفرائض الدين ومسائل الإيمان واليقين .

أمثال : كلمـة التوحيـــد .. معناها ومقتضاها ؛ فرائض الصلاة ، والصيام ، والزكاة ، والحج ؛ وتلاوة القرآن ؛ الجهاد في الإسلام ؛ الإسلام دين القوة ؛ كل مولود يولد على الفطرة ؛ تربية الأولاد ؛ الكاسيات العاريات ؛ الدنيا مزرعة الآخرة ؛ الكيِّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ؛ المفلس الحقيقي ؛ الوصايا النبويـــة الخمس ؛ بر الوالـــدين والإحسان إليهما ؛ الجليس وأثـــره إيجاباً وسلباً ، الأخلاق ميـــزان رقي الأمم ؛ أهميّة الوقت ؛ أهميّة اللغة العربيّة .

وراعى المؤلف في صياغة الخطب كلها سهولة الأسلوب ، وانتقاء اللغة ، ومستوى فهم الطلاب الهنود الذين أعدّ لهم هذه الخطب ، تسهيلاً عليهم التمرن على الخطاب باللغة العربية ، والتكلم بها ، وجعلها لغة التداول في جميع مناحي الحياة .

ومن ثَمّ شكّل النصّ كلّه ، تشكيلاً كاملاً ؛ حتى يجنبّهم الخطأَ في النطق واللحنَ في التلفّظ والأداء .

واللّحنُ شيء كثيراً ما يقع فيه العجم ، مهما احتهدوا في اجتنابه ؛ ولا سيّما الطلاب الدين لم تحتمر عقولهم، ولم تتكامل دراستهم للعربيّة ، ولم يتمكنوا من إتقان قواعدها والتصرف فيها تصرفاً يجعلهم ينطقون بها دون خطأ في الأداء . ولهدا فأحسن الأستاذ المؤلف أيّما إحسان عد ما استوعب العبارةَ تشكيلاً ، ولم يدع للتلاميد إلاّ أن يقرؤوها صحيحة ، ويحفظوها دون مخافة من التورط في خطأ نحويّ أو صرفي . كما أنّه تناول في الهامش تفهيم الكلمات الصعبة ، وتوضيح الألفاظ والجمل المغلقة ، وأشار إلى التحليل النحوي والصرفي للكلمات والجمل التي رآها تحتاج إلى دلك ؛ تقريبًا إلى الطلاب الفهم والاستيعابَ .

وقد حلّى جِيْدَ الكتاب مقدمةُ فضيلة الأستاذ عميد الرمان القاسمي الكيرانوي أحد علماء اللغة العربية المتضلعين وكتابها المترسلين في الهند : الشقيق الأوسط لمعلم اللغة العربية الفريد وخادمها المتفاني الشيخ وحيد الرمان القاسمي الكيرانوي المتوفى ١٤١٥هـ/١٩٩٥م .

والمقدمة ضافيةٌ قيمة للغاية ، تناول فيها المقدم الحديثَ عن الخطابة لغة واصطلاحاً ، مشيراً إلى أهميتها ومكانتها بين فنون القول ، وقيمتها عند العرب خصيصًا ، وفوائدها الكثيرة ، وجدواها العديدة ، وما كانت عليه في الجاهلية ، وما صارت إليه في الإسلام ، وما شهدته من التطور والرقي بعد البعثة المحمدية ونزول القرآن الكريم الذي ارتقى بالعربية ، وأضفى عليها العالمية والخلود والشمول ، والحبّ والقبول .

وتحدّث عن عناصر الخطابة ، وأنّها موهبة طبيعية في الإنسان ، ويبرع فيها بالاجتهاد ، والتوسع في الثقافة ، وتثقيف اللسان . كما أشار إلى الطرق التي يسعى أن يسلكها المرأ للتمكن من ملكة الخطابة . وتدرّج إلى الحديث عن أهميّة هدا الكتاب في إسعاف كل حريص على كسب المقدرة على الخطابة بما يحتاج إليه من الثروة اللغوية ، والأساليب البيانية ، والمناهج الصياغية ، واللهجات العربية الصميمة ، والتراكيب الجميلة ، والألفاظ العذبة .

ويمكن أن يُطْلب الكتاب من .

١- دار المعرفة ، دهلي الجديدة
395/A-3 ، داكر نگر ، دهلي الجديدة 110025

٢- المكتبة الحسينية، ديوبند 247554 ، يوبي، الهند

٣- المكتبة النعيميّة ، ديوبند 247554 . يوبي، الهند

٤- المكتبة الرشيدية ، دهلي 110006 ، الهند

☆ ☆ ☆

٣- مجلة الفكر الإسلامي : عدد ممتاز عن سماحة الشيخ السيد أبي الحسن علي الندوي رحمه الله

أصدرت دارالعلوم الإسلامية بمدينة " بستي " أترا برا ديش بالهند ، عددًا ممتازاً لمجلتها " الفكر الإسلامي " التي تصدر أربع مرات في السنة باللغة الأرديّة .

ويقع العدد – الذي يضمّ أعداد يوليو ٢٠٠٠م ويونيو ٢٠٠١م ، في ٦٨٨ صفحة بالقطع المتوسط ، ويضمّ مقالات وأبحاثاً قيمة تتناول شتى جوانب حياة العلاّمة الندوي رحمه اللّه تعالى ، الذي تركت وفاته في حياة الأمة الإسلامية في الدنيا كلها ثغراً لا يمكن ملؤه إلاّ بفضل خاصّ من اللّه تبارك وتعالى .

والعددُ ممتاز في مواده وفي طباعته وورقه ، ويزينه غلاف جميل يجذب الأنظار ويحث على اقتنائه

كلّ معنى بالعلم والثقافة .

وتصدر مجلة " الفكر الإسلامي " تحت إشراف عالم هندي كبير وهو فضيلة الشيخ محمد باقر حسين، ويرأس تحريرها نجله الكبير الأستاذ محمد أسعد.

ويمكن طلب هذا العدد والاشتراك في المجلة من العنوان الآتي : Darul-Uloom Al-Islamia
At, P.o. Basti - 272001 (U.P) INDIA

☆ ☆ ☆

٣- معين المترجم

تأليف : فضيلة الأستاذ فصيح الدين الدهلوي

ملتزم الطبع والنشر والتوزيع : المكتبة الوحيدية ، دهلي

أصدرت المكتبة الوحيدية بدهلي الجديدة ، كتاباً مجدياً للغاية لطلاب اللغة العربية باسم "معين المترجم" .

والكتاب يهدف إلى تقريب فهم وإساغة اللغة المتداولة في الجرائد والمجلات العربية ، إلى الطلاب الناطقين بغير اللغة العربية ، الحريصين على دراسة اللغة العربية الحديثة .

جمع فيه المؤلف الفاضل طائفة مختارة من المواد التي تمس موضوعات السياسة والاقتصاد والاجتماع والعلوم والتقنية بالإضافة إلى الموضوعات الدينية .

وترجم كلًّا منها مـــن العربيـــة إلى الأرديّـــة و بالعكس ، وأعقب كلًّا من المقتطفات بشرح جميل للمفردات بالأرديّة وذكر مقابلها في اللغة الإنجليزية .

وصدّر الكتابَ بمقدمة قيمة ، ذكر فيها أهميّة اللغة العربية ، وفضلها على سائر اللغات ، و وجوب تعلمها والحفاظ عليها على المسلمين ، لكونها مفتاح علوم الكتاب والسنّة ، ومن هنا عكف على خدمتها العلماء المسلمون عبر التأريخ الإسلامي ، وخلفوا في هذا الشأن مكتبة ثريّة لا يوجد نظيرها لدى أي من الأمم في الدنيا .

وأشار إلى المحاولات السلبية التي بذلها كثير من الأعداء وطائفة من المنسوبين إلى الإسلام المبهورين بالأعداء ، من أجل هدم اللغة العربية باعتبارها عنوان الثقافة الإسلاميّة ، ووعاء العلوم الإسلامية ، واللغة الرسميّة للإسلام ، التي أحبّها الله تعالى، حين أنزل فيها كتابه الخالد المهيمن على الكتب السماوية كلها . ولكن هذه المحاولات كلها باءت بالفشل الذريع حيث إن الأمـــة الإسلاميّـــة اعتبرها معولاً هداماً للثقافة والحضارة ، وقابلها برفض شديد، واعتبر القائمين بها مجانين إن كانوا محسوبين على الإسلام ، وحشاء معـــرضين إن كانوا من غيـــر المسلمين.

كما ألمح إلى الجهود المشكورة التي تُبذل من أجل خدمة اللغة العربية ، من قبل الحكومات و الجماعات والجمعيات في العالم العربي . ثم شرح الغرض من تأليف الكتاب وطريقة السير في تأليفه ، كما ذكر طريقة الاستفادة من الكتاب ، والمنهج الذي ينبغي أن يتبعه كل من يحرص على إتقان فن الترجمة من العربية وإليها . وفي هذا الخصوص ذكر النقاط المهمة التي يجب أن يضعها في الاعتبار من يودّ أن ينجح في نقل اللغة العربية إلى غيرها من اللغات وبالعكس .

وقد جاء هذا الكتاب نافعاً للغاية ناجحاً في الغرَض الذي أُلِّفَ من أجله ، لأن المؤلف عاش تجربة الترجمة من العربية وإليها سنوات طويلة ، كما أنه

متضلع من اللغات العربية والإنجليزية والأردية، ومتقن لعدّة لغات، ويتقن فن الترجمة اتقاناً لا يقدر عليه في الأغلب من لا يلم إلاّ بثقافة أو ثقافتين ولا يعرف إلاّ لغة أو لغتين.

والحقيقة أن الكتاب نعمة عظمى لكل حريص على قراءة وفهم الجرائد والمجلات العربية والترجمة من العربية وإليها.

ولا غرو فالاستاذ المؤلف أحد العلماء المعدودين باللغة العربية في الهند، برع في العربية تعلماً، وتذوقها حبًّا، وعاشها عملاً، وخدمها وظيفة حيناً، وهواية أحياناً. ويصح أن يقال إنّه سلك دروبها، وخبر منعطفاتها، إلى معرفته بكل حديث من أحوال العالم العربي وبكل جديد من قضاياه، وكأنّه أحد العرب المثقفين في العجم.

وهو خريج المدرسة العالية العربية بدهلي عام ١٩٦٠م، كما مكث زمناً في الجامعة الإسلامية الأم دارالعلوم ديوبند، ودرس فيها شتى كتب مختلف العلوم عام ١٩٦١م. وحاز شهادة "الآداب العالية العربية" من جامعة السجاد عام ١٩٦٤م. وحاز شهادة في آداب اللغة الأردية من جامعة أردو بـ "على كره"

وعمل أستاذاً للنحو واللغة العربية في المدرسة العالية العربية بدهلي لمدة عامين ١٩٦٣ - ١٩٦٤م. وعمل مشرفاً على إصدار مجلة " ثقافة الهند " في الفترة ما بين ١٩٦٤ - ١٩٦٨م. وعمل مترجماً في سفارة المملكة الأردنية الهاشمية بدهلي الجديدة لمدة خمس سنوات عام ١٩٦٩ - ١٩٧٣م. ومترجماً في سفارة الجمهورية العراقية بدهلي الجديدة لمدة عامين ١٩٧٤ - ١٩٧٥م. ومتـرجمـاً و باحثـاً سيـاسيًّا ومحاسباً في سفارة دولة الكويت بدهلي الجديدة لمدة ثلاثة و عشرين عاما ١٩٧٦ - ١٩٩٨م.

ونشرت له الصحف والمجلات الهندية كثيراً من المقالات والبحوث في شتى الموضوعات السياسية والدينية والمتعلقة بالعالم العربي.

كما زار عدداً من البلاد العربيّة والإسلامية، بما فيها جمهوريـة مصـر العربيـه، والمملكة العربيـة السعودية، و دولة الإمارات العربية والمتحدة، ودولة البحرين، والباكستان

أما المكتبة الوحيديّة بدهلي - التي نشرت الكتاب - والتي لها فرع في ديوبند أيضاً، فهي منسوبة إلى معلم اللغة العربية المثالي وخادمها الفريد فضيلة الشيخ وحيد الزمان الكيرانوي أستاذ دارالعلوم / ديوبند سابقاً، المتوفى ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م. أسسها نجله الأكبر الأستاذ بدر الزمان القاسمي الكيرانوي إحياءً لذكرى والده العظيم وهو بدوره عالم باللغة العربية، وكاتب مترسل فيها، ومتضلع من الترجمة منها وإليها. وقد أصدر عن المكتبة عدداً من المؤلفات من تأليفه وتأليف غيره، جلّها في موضوع اللغة العربية وتعليمها وتسهيلها على الطلاب الهنود.

ويطلب هذا الكتاب من:

١- المكتبة الوالحيدية

MAKTABA WAHEEDIA
537/38, ZAKIR NAGAR
NEW DELHI - 110025 . INDIA

٢- KUTUB KHANA HUSSAINIA
DEOBAND - 247554 (U.P) INDIA

٣- KUTUB KHANA NAIEMIA
DEOBAND - 247554 (U P.) INDIA

☆ ☆ ☆

بقيــة "إشــراقــة" المنشــورة علــى ص ٤٨

ويُصَدِّقُ سوءَ ظنهم هذا ، نجاحُه في امتحان الشهادة في الجامعة ، بعلامات قليلة وتقدير غير جيّد؛ فتتفادى منه الأنظار ويزهد فيه الناس . ويدخل ساحةَ العمل بخطى متثاقلة وهمّة متباطئة ، لا تصفِّق لــه الأيدي ، ولا يطبِّل لــه الرفــاق ، ولا يرحِّب بــه الإخوان ، ولا يثني عليه المعارف ، ولا ينثر عليه الزملاء الزهور ؛ لأنهم يرونه رجلاً عاديًا ، أو أقلّ من رجل عاديّ لا يستقطب اهتماماً ، ولا يشار إليه بإعجاب و تقدير .

ولكنّه سرعانَ ما يُثْبِت كفاءته في المجال الذي يشغله ، ويحقِّق فيه نجاحاً خارقاً لم يكن بحسبان أحد ، ولم يخطر على بال أحد من الزملاء والمعاشرين له في حياة الطلب والدراسة وبناء الشخصية وكسب الأهليــة . ويأتي حقًّا بما قــد لم تستطعه الأوائل بالشكل الذي استطاعه هو . فمثلاً : يواصل التطواف في بطون الكتب ، ويمتصّ رحيق المعلومات امتصاص النحل لرحيق الأزهار وعصير الفواكه والثمار ، ويؤلّف كتاباً فريدًا في موضوع غير مطروق أو في موضوع مطروق بطريق غير مطروق ؛ فتنتفع به الأمة ، وتحدث به ثورة في المجتمع ، ويتحقق به انقلاب صالح في الموضوع الذي عالجه ، والقضيّة التي طرحها .

أو يؤسس حركة دعويّة أو فكريّة أو إصلاحية، تعمّ العالَم ، وتشمل الدنيا ، ويقبل نداءَها الأداني والأقاصي ، ويستجيب لها الناس على اختلاف الميول ؛ فتتبدّل الحالُ غيرَ الحال ، ويسعد الخلق أيّما سعادة .

أو يقيم مؤسسة خيريّة أو تعليميّة ، تزرع الخير والثقافة ، وتضع نواة التقدم والرقيّ ، للوطن الإسلامي الكبير ، أو على الأقل لدولة من الدول الإسلاميّة ، هو من أبنائها .

أو ينفّذ مشروعاً كبيراً في العلوم والتكنولوجيا يضع الأمة على مسار النهضة الشاملة والقفزة الواسعة في الاختراع والاكتشاف ، ويرفع عنها تهمةَ التخلّف في العلم والثقافة ، ويُزيل عنها سُبّة اللهاث وراء ركب التقدم السيّار ، دون لحاق به بل إدراك لأثره .

أو يعدّ خطّة مجدية ويطبّقها لتوحيد الأمة ، واحتواء الخلافات الواسعة بينها ؛ حتى تضع قواها وإمكانياتها في جهة النهوض بشعوبها ودولها دون أن تصرفها في الجهاد في غير عدوّ ، أي الصراع الداخلي والتناحر الأهلي .

وكلُّ ذلك في صمت صامت ، وهدوء وادع ، وجديّة لافتة ، وصبر لا ينفد ، وشجاعة لا ينتهي رصيدها ، وطموح لا يعرف حدًّا و لا عدًّا

☆ ☆ ☆

فما هو العصا السحريّة (Magical stick) أو ما هو حجر الفلاسفة (Philosopers' stone) الذي حوّل الأول الذكي المجتهد ، ذا المؤهل الفائق ، المعقودةَ عليه الآمالُ ، المرجوَّ فيه الخيرُ العريضُ والعمل البكرُ والصنيعُ البديعُ ؛ رجلاً عاديًا ، لم يستطع تحقيق إنجاز يُذْكر وعمل يُشْكر ، ولم يأتِ على مستوى التنبأ أو على قريب منه ؛ بينما جعل الثاني : الرجلَ العاديّ ، غير المبالي بالدراسة ، غير المهتمّ بقضية كسب الأهليّة العلمية ، المتنبأ بكونه رجلاً متواضعاً في كل تصرّفاته وجميع خطواته ؛ إنساناً كبير الشأن ، عظيمَ الصنيع ، كثير الخيرات ، عميمَ البركات .

إنّه التوفيق الإلهي الذي حالف الثاني ولم يحالف الأول ، و الذي يجلب السعادة ، ويذلّل الصعاب ، ويسهّل الأمور ، ويزيل العقبات عن طريق

الوصول إلى الغاية ، ويجعل الإنسان يحوز قصب السبق مهما كان بطيئاً في السير ، متخاذل الخطو في ساحة الحياة .

والتوفيق الإلهيُّ إكسير خارق يجعل النحس سعداً ، والفاشل ناجحاً ، والهابط صاعداً ، والأصم سميعاً ، والأخرس ناطقا ، والأعرج ماشيًا ، والمُقْعد متحركاً ، وفاقدَ الذكاء نابغًا ؛ ويجعل المهمل المتثاقل المتباطئ المتكاسل يصنع معجزات في دنيا العمل والفكر ، لا يقدر عليها الكيّس الحازم ، النشيط الساهر ، المتيقظ البارع .

والتوفيقُ الإلهيُّ ظلٌّ سعيد يقع على من يريد الله به خيرًا . وقد يصادف الإنسانَ بصلاحه هو الصادق ، وتقواه من الله في السرّ والعلن ، وإنابته المخلصة إليه . وقد يحالفه بدعاء والديه وصلاحهما وتضرعهما إليه تعالى في خلوات الليالي الهادئة وأوقات السحر الوادعة . وقد يقارنه بأدعية الصالحينَ من عباد الله على برّ ومعروف صنعه نحوهم ، وأدب تعامل به معهم ، وخدمة أسداها إليهم ، فطابت بها أنفسهم ، وفرحت بها قلوبهم ، وصدر الدعاء لصالحه عن كل شعرة في أبدانهم . وقد يلاقيه هذا التوفيقُ لأعمال الخير والبر العامّة التي يقوم بها من أجل الخلق عامّة ؛ فيمسح دمعة كل بائس محزون ، ويسعى لتفريج الكربة عن كل منكوب ، و يزيل الشعور باليتم عن كل يتيم ، ويقوم كفيلاً لكل أرملة ، ويتحوّل ابناً بارًّ لكل ثكلى ، وابتسامةً عريضةً على شفتي كل من عضّه الدهر بنابه ، و لسعته عوادي الزمن بسمومها الفتاكة .

بينما قد يجانبُ التوفيقُ الذكيَّ الفطينَ المجتهدَ في الالتقاط والتلقي ؛ لأنّه مع ذكائه واجتهاده يكون قد أساء الأدب مع الأساتذة أو مع من هو أكبر سنًّا منه ، أو عقّ والديه أو أحداً منهما ، أو عاش حياةَ الدراسة متعاليًا على أقرانه ، مغرورا بذكائه ، متبجّحاً باجتهاده ، تعزّه نفسه بأنّ وعيه للمواد ، وإساغته للدروس ، ونجاحه في الامتحانات بتقدير ممتاز وعلامات عليا ؛ كل ذلك إنما هو وليد ذكائه واجتهاده الذي قدر عليه بذاته ؛ وأنّ فشل غيره في الامتحانات أو نجاحه بعلامات غير جيدة ، إنّما هو راجع إلى غبائه وإلى أنّه لم يقدر هو على إعمال الفكر مثله ؛ وأنّه نسيج وحده في الفهم وقوة الذاكرة والدراسة والتفكير .

☆ ☆ ☆

وذلك يدلّ دلالة صارحةً على أن الإنسان لا يقدر على إنجاز وإنتاج ، بمجرد ذكائه ونبوغه واجتهاده ومؤهلاته ؛ وإنما يحتاج لذلك إلى توفيق إلهيّ يحظى به بصلاحه المفطور عليه ، أو بدعاء الوالدين ، أو بدعاء من عباد الله الصالحين والخلق أجمعين ، ولا سيّما المكروبين والمحزونين ، والمظلومين والمسحوقين .

فلا يجوز لأحد أن يتبجح بذكائه ، أو يباهي باجتهاده ، أو يُدِلّ ببعض الخطوات الناجحة التي استطاع أن يقوم بها في مستهل عمره وأيام دراسته ؛ لأنّه لا يعلم أنّ ساحة العمل المقبلة عماذا ستسفر ، ومستقبل الأيام عماذا سيكشف .

اللهم اجعلنا من الراشدين ، والسعداء المحظوظين ، الحظيين بتوفيقك ، الذين يقدرون أن يدخلوا التأريخ من أوسع أبوابه ، ويَدَعُوْن الخلق يرددون نشيد الثناء عليهم . ولا تجعلنا من الأشقياء المحرومين الذين ينبو بهم توفيقك ، وتجانبهم سعادتك ، فلا يقدرون على شيء مجدٍ ، رغم ذكائهم الكبير ، واجتهادهم البالغ ، وسعيهم الدؤوب .

***

**

إشراقة

بين غبي مُوَفَّق و ذكي غير مُوَفَّق

قد يبدو الرجل أيّامَ تحصيله ودراسته ذكيًّا ، مجتهداً ، أخّاذًا لكل ما يُلْقَى إليه من دروس ومحاضرات ، ساهراً على القراءة والاستِظهار و المذاكرة ، واصلاً في ذلك الليلَ بالنهار .

فيتأكّد زملاؤه في الدراسة وأقرانه في الجامعة ؛ بل يتنبّأون أنّه سيكون له شأن كبير ، وأنه سيقتنص النجوم ، ويحطّم الرقم القياسي في العمل والإنتاج والابتكار . ويُعلّق أساتذتُه وأهلُه عليه آمالاً كبيرة ، ويقولون : إنّه سيحقّق انتصارات رائعةً ومكاسبَ سارّةً في خدمة الدين والعقيدة ، والمجتمع والوطن ؛ وسينحو نحواً جديدا في الفكر والإصلاح ، والدعوة والتوجيه ، والقيادة والزعامة ؛ بما يرون فيه من الهمّة العُليا ، والطموح الفريد ، والسعي البليغ ، وأمارات النبوغ والعبقرية ، والمبادرة إلى الأخذ بكل ما من شأنه أن يجلعه يأتي على مستوى الآمال العريضة والأماني الحلوة التي علّقوها عليه .

ويتخرّج في الجامعة بعلامات ممتازة وتقدير ممتاز ؛ فيزدادون أملاً فيه ، ورجاء منه ، واستبشاراً به ، وحرصاً عليه ، وتقديراً له .

ويضع قدميه في ساحة العمل ، تتطلع إليه الأبصار ، وتقع عليه الأنظار ، و تطيب به الأنفس ، وترغب فيه القلوب ، وتهوي إليه الأفئدة ؛ ينتظر الناس دوره المُرْتَقَب ، ومأثرته المرجوّة ، وأنّه سيأتي بما لم تستطعه الأوائل؛ ولكنه لا يلبث أن يخيب فيه رجاؤهم ، و تتبخّر فيه أحلامهم ؛ حيث يثبت فشلُه في خطوات الحياة ، وعدمُ غنائه في عمل من الأعمال التي تولاّها ، وعدم أهليته في تصريف المهام التي وُكِّلَت إليه . فضلاً عن أي يأتي بجديد ، وأن يقوم بعمل بكر ، ويحقق صنيعاً لم يُسْبَقْ إليه ، وأن يخترق " سحابة " فضلاً عن أن يقتنص " النجوم " ويرتاد الأفلاك.

☆ ☆ ☆

وبالمقابل : قد يبدو الرجلُ ، أيّامَ تلقّيه العلمَ واشتغاله تلميذاً في دار من دور العلم مُهْمِلاً ، غير حامل لذكاء يُذْكَرُ – إن لم يكن غبيًّا – لا يلقي بالاً إلى الدراسة والمذاكرة ، ولا يولي اهتماماً قضيّةَ التوفّر على القراءة والمراجعة ؛ فيتكهّن الإخوان المشاركون له في الدراسة والمشاطرون له في الجدّ واللعب ، أنه سيكون كهاماً جهاماً ، لا غناء فيه ولا رجاء منه ؛ قد يصعب عليه أن يعيش حياتَه بسعادة ، فضلاً عن أن يحقق مصالح الدين وأبناء الملة ، ويعود بخير على المجتمع الذي هو أحد أبنائه ، وعلى الدولة التي هو أحد مواطنيها ، وعلى الشعب الذي هو واحد منه ؛ وأنه سيظلّ كلاًّ على غيره ، عَيِّلاً على المجتمع .

(البقية على ص ٤٦)

أبو أسامة نور

بسم الله الرحمن الرحيم

ادْعُ إِلَى سَبِيْلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَ جَادِلْهُمْ بِالَّتِيْ هِيَ أَحْسَنُ (القرآن الحكيم)

ذو الحجة ١٤٢١هـ
مارس ٢٠٠١م

مجلة عربية إسلامية شهرية
تصدر عن الجامعة الإسلامية دارالعلوم
ديوبند ، الهند

ثمن النسخة ١٥ روبية هندية

قيمة الاشتراك السنوي

في الهند . ١٥٠ روبية هندية
وفي خارج الهند للأفراد ٣٥ دولاراً
وللمؤسسات الحكومية ٤٥ دولاراً

رئيس تحرير مجلة الداعي
دارالعلوم ، ديوبند (الهند)
الرمز البريدي ٢٤٧٥٥٤

Chief Editor

Arabic Islamic Monthly
Darul - Uloom,
Deoband - 247554
(U.P.) INDIA

الهاتف ، والفاكس ، والبريد الالكتروني :

Ph. : (00-91-1336) 22429 / 22332
Fax : (00-91-1336) 22768
Web : http://www.darululoom-deoband.org
E-mail : darululoom_deoband@yahoo.com

المسلمون اليوم بين فكي الأسد

الإسلام والمسلمون اليوم كأنهم يعيشون بين فكي الأسد المفترس : بين الأعداء السافرين من الكفرة الفجرة والمشركين والملعونين من الصهاينة والمسيحين والوثنيين ؛ وبين الأعداء المتسترين من المنتمين إلى الإسلام اسماً من العلمانيين والمتشككين في الإسلام وغير المقتنعين به . فهناك تحالف دولي من جميع فصائل الكفر و عشائر الشيطان وجنود إبليس ، على محاربة الإسلام ، وامتهان كرامة الإنسان المسلم و إذلاله وتطويعه واستعباده ، وعلى اغتصاب " الضمير الإسلامي " – اذا صح التعبير – وعلى محاولة تصفية الوجود الإسلامي من شتى بقاع الأرض أو " تطهيرها " منه ، وعلى تشويه صورة الإسلام وتقبيح سمعة أبنائه في أذهان الإنسان المعاصر.

هذا من قبل الأعداء السافرين .

وهناك إجماع من قبل العلمانيين المتنكرين للإسلام والشيوعيين الملاحدة وتلاميذ الغرب الحاقد على الإسلام ، والشرق الناقم عليه ، المباغض له ، الجاثمين على صدر الشعب الإسلامي في كثير من البلاد العربية والإسلامية ، على محاربة الإسلام وعلى تعذيب الإسلاميين وسحق شباب الصحوة الإسلامية وإعدام رموزها وتناولها – باتهامهم إرهابيين وأصوليين – بأسوأ من العذاب الذي صبّه بالأمس على الإنسان المسلم الصرب والكروات في منطقة البلقان ، ولا يزال يصبّه عليه العدو الصهيوني اللعين في الفلسطين و في الأراضى المحتلة وفي كل مكان تمتد إليه يده الملطخة بدماء الآدمي ، وغيره من الأعداء الذين هم وحوش وذئاب وكلاب بل ذباب في صورة الإنسان.

هذا من قبل الأعداء المتسترين.

وإذا كان هؤلاء العلمانيون والشيوعيون الذين لا يرتاحون للإسلام في قرارة أنفسهم، هم الذين يتولّون مقاليد الحكم في جل البلاد الإسلامية ، فإلى من يشكو الإنسان المسلم المُعَذّب في أرض الله وفي وجه من تصرخ العجوز المسلمة المهانة " وا معتصماه " إذا لم

بهذا الشهر الفضيل : شهر ذي الحجة ، الذي يؤدي فيه المسلمون شعائر الحج ، ويتجمعون في رحاب البيت العتيق الذي هو أوّل بيت وُضع للناس ، ويتمتّعون بالحرم والحطيم وزمزم ومقام إبراهيم ، ويسعون بين الصفا والمروة و هما من شعائر الله ، و ينزلون بمنى ومزدلفة ، ويقفون بعرفة ، ويرمون الجمرات ، ويترددون في هذه الربوع الطاهرة ، والبقاع المقدسة ، والمشاعر التي اختلف إليها جبريل ، ونزل بها الوحي ، وطلع فيها الإسلام ، وبُعث فيها محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام ، يجنون البركات ، ويُطلقون الدعوات، ويبتهلون إلى رب العرش والأرض والسماوات ، مادّين اكف الضراعة والإنابة والخشية إلى ربهم الغفور ، الذي تتوجّه خلال هذه الأيام السعيدة الى عباده هولاء رحمته والطافه ، وتنعطف عليهم عناياته وبركاته .

بهذا الشهر العظيم الحافل بالحسنات ، ننهي العام الهجري ١٤٢١هـ ، كما ظلّت تنتهي الأعوام الهجرية في الماضي . وقد كان هذا العامُ عام المآسي والاحزان ؛ فقد مات فيه كثير من العلماء الأعلام الصلحاء الأتقياء الذين خدموا الدين والأمة بعلمهم وعملهم وصلاحهم ، وبسهرهم على نشر الدعوة ، وإصلاح الناس ، وتبليغ الخير ، وتأليف الكتب النافعة ، والأبحاث والدراسات المجدية ؛ فكان لسانهم وقلمهم ذريعة خير قوية لهذه الأمة . كان آخرهم لحد كتابة هذه السطور العلامة فضيلة الشيخ محمد الصالح العثيمين رحمه الله تعالى رحمة واسعة .

كما ظلّت الشعوب الإسلامية تعاني في أجزاء كثيرة من العالم الفقر والجوع وقلة الوسائل ، والظلم والاعتداء وغمط الحقوق ، والحيلولة دون العمل بدين الله وظلت تُتهمُ - كالعادة - بالارهابية ، والتطرف ، والأصوليّة ، والرجعيّة ، والإخوانية ، عندما حاولت التخلص من الظلم أو قذفت " حجارة صغيرة " إلى الفرد أو الجهة التي اعتدت عليها

وإذا كانت القضايا كثيرة شائكة جائرة ، فإنّ قضية فلسطين ظلّت منذ مأساة زرع عرس الصهاينة الخبيث في أرضها ومنذ احتلال الصهاينة للقدس والأقصى ، وتشريد أهلها الأصلاء المسلمين أصحاب الدار ومستحقي القرار ؛ ظلت - وستظلّ ما لم نكسبها كما نريد نحن المسلمين - منبع حزن ، ومصدر ألم ، ومنبع كل نوع من الأذى للعرب والمسلمين أجمعين في مشارق الأرض ومغاربها

وفي الشهور الأخيرة من العام ثارت الانتفاضة المباركة لاستعطاف اهتمام الضمير العالمي المتناوم المتغاضي تجاه هذه القضية الإسلامية الكبرى الأولى ، التي ذهب ضحيتها مئات من الشباب والأطفال الابرياء الذين ضُرِّبت بصحباتهم ومعاناتهم والاعتداءات الواقعة عليهم بلفزيونيا ، **فبكى لهذا المشهد المأسوي الأليم جميع المسلمين في العالم ، وثارت الغيرة في قلوبهم ، وفارت الدماء في عروقهم ، وسالت العبرات الغزيرة على خدودهم ، وتأججت عاطفة الثأر في صدورهم ، واستشعروا مدى الذل والاحتقار الذي أُرْغِمُوا أن يعيشوه تحت الهيمنة العولمية الأمريكية الثالوثية الصهيونية الوثنية العلمانية** ، التي سئمها الشعوب الاسلامية ، التي تنتظر بفارغ الصبر اليوم الذي يسأمها فيه سأمتهم إخوانها القادة والساسة الذين بأيديهم الحلّ والعقد .

وبهذه المناسبة نسأل الله العلي الكبير ، السميع المجيب ، أن يُوفقهمْ لهذه " السأمة المُنتظرة " عاجلا ، وأن يحوّلها غضباً متفجّرا ، وسخطا ثائرا ، وضربة موجعة ، وهجمة أسد هائج . " واللّهُ غالبٌ على أمْرِه و لكنّ أكْثَر النّاس لا يعْلمُونَ " (يوسف / ٢١) .

[التحرير]

الحج .. والأخوة الإسلامية

الحجُّ من الأركان الأربعة التي يقوم عليها الإسلام مع الإيمان بالتوحيد والنبوة ؛ فقد قال عليه الصلاة والسلام : " بُنِيَ الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلاّ اللّه وأنّ محمدًا رسول اللّه ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، والحج ، وصوم رمضان" (رواه البخاريّ) .

والحجُّ عبادةٌ تجمع بين إتعاب البدن والسخاء بالمال ؛ فهي عبادة بدنية وماليّة معًا. هكذا أرادها اللّه عزّ وجلّ . وبما أنّها تشتمل على المشاق ، فلم تُفْرَضْ إلاّ مرة واحدة في رحلة العمر كلّها . وهي عبادة شاملة تتجلّى فيها عظمة هذا الدين الإلهي الخاتم الخالد ، وتتبلور فيها أغراضه السامية وأهدافه الجليلة النبيلة .

إنّ أول ما يشعر به الحجاج مند أول لحظة يتجردون فيها من المخيط ، ويدحلون في الإحرام ، ويرتدون ردائين ، بكونهم على طراز واحد ، كلهم شعث غبر ، حاسرون عن رؤوسهم، مشاة حفاة إلاّ من النعلين الخفيفين. يشعرون باتّحاد الأسلوب والسلوك رغم اختلاف الألوان ، وتنائي الديار ، وتنوع اللغات واللهجات ، وتباين مناهج العيش ، وطرق الحياة . وأساليب المطاعم والمشارب ، والتقاليد والعادات . كلهم يؤمّون البيت العتيق، ويجتمعون في المشاعر المقدسة ، في منى و مزدلفة وعرفات ؛ ويمثلون بين يدي اللّه تعالى في البقعة الطاهرة ، أمام الكعبة المشرفة التي جلعها اللّه قياماً للنّاس : و يتخذون من مقام إبراهيم مصلى ، و يسعون بين الصفا والمروة ، ويعيشون أياماً غرًا وضاءة مشرقة في هذه الربوع التي بُعِثَ فيها النبي ونزل عليه بها الوحى ،

وتردد فيها جبرئيل بين الله نعالىٰ وبينه ﷺ ، يكثرون الدعاء والاستغفار ، ويدومون على الإنابة والالتجاء إليه تعالى والتوبة الصادقة ، يسألونه سبحانه مغفرة الذنوب والثبات على العبادة والطاعــة والموت على الإيمان ، ودخول جنّته بسلام .

إنّ المسلمين باجتماعهم في هده الربو ع الطاهــرة على زيّ واحـد ، وعلى طريقة واحدة ، وبملة واحدة ، متبعين سنة نبي واحد ، ومتمسكين بشريعة إله واحد ، وبمظهــر واحــد ، تلاشت بــه الفــوارق الجنسيّة والتناقصات العرقية ، ونحلّت فيهم الأخوة الإسلامية بأروع مظاهرها وأشمل دلالاتها ، مرددين تلبية واحـــدة ، محلصين لله الدين .. يشعرون بأصدق معنى مـن معاني الوحـــدة والتضامن ، والتــرابـط والتعاضـــد ؛ وبكونهــم قوة متماسكـــة ، وجبهــة متشابكـــة ، و صفّ مـرصوص ، وبنيـان متين ، لا يتضعضــع باختلاف الظروف ، وتناوب الطقوس ، وإغـراءات الــدعــوات ، وتحــريشــات الأعداء ، ومؤامرات المتربصين ، ودسائس المرصى المنافقين .

هدا الاجتماع العالمي التسامل الكامل الفــريـــد في مظهــره ومخبــره ، يوحّــد المسلمين مهما نفـرقــوا في الأجنـــاس والأعراق ، والنعات والعادات ، والأوطان والبلاد ، ويُشْعِـرُهم بأنّهم حقًّا إخــوة متحابون وأبناء ملة واحدة متعاطفون ؛ فيتجلّى معنى قول النبيّ صلى الله عليه وسلّــم : " مثــل المؤمنين في تـــوادّهم وتراحمهم ونعاطفهم مثل الجسـد ، إذا اشتكى منه عضو ، تداعــى لـــه سائر الجسد بالسهر والحمى " (رواه مسلم) ؛ وقوله صلى الله عليه وسلم: " إنّ الله يرضى لكم ثلاثاً : أن تعبدوه ولا تشكروا به شيئاً ، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاّه الله أمركم " (رواه مسلم) ويتبلورُ معنى قوله تعالى في أجمل مشهد وأروع صورة : " وَاعْتَصِمُوْا بِحَبْلِ اللّٰهِ جَمِيْعاً وَّلَا تَفَرَّقُوْا " (آل عمران/١٠٣)

ولا غرو ؛ فهم اليوم يجتمعون في

رحاب البيت العتيق ، الذي هو قبلتهم التي ظلوا يتجهون إليها في مشارق الأرض ومغاربها خمس مرات في اليوم والليلة ، وظلوا – و سيظلون – يتجهون إليها من بعد . وقد التقوا اليوم في ساحته ، وتوفّروا اليوم حوله ، يطوفون به ، ويتعلقون بأستاره ، ويستلمون حجره ، ويقرون عيناً بالنظر إليه ، ويفرحون بالصلاة عند المقام وفي الحطيم ، ويتضرعون إلى ربهم بشتى اللهجات ومختلف اللغات. لا تعدل أفراحُ الحياة كلها فرحةَ اليوم ، ولا سعادة تساوي سعادةَ هذه الأيام المباركة والساعات المحظوظة .

المسلمون جميعاً اليوم يقفون أشرف موقف على ظهر الأرض ، ويتمتعون بأعزّ بقعة في الكون ، لو ساومهم عليه أحد وقدّم إليهم أبهظ ثمن من ماديات هذه الدنيا ، لما رضوا أن يتعاضوه عن وقفة لحظة من الوقفات الروحانية الإيمانية اللذيذة العزيزة الحبيبة هذه .

كما أنّ اجتماعهم في عرفات بأجناسهم وألوانهم ، يذكّرهم باجتماعهم واجتماع الخلائق أجمعين يوم المحشر ، يوم يُعْرَضُ الحساب ، وتُجْزَى كل نفس بما كسبت ، ولا تُظْلَم شيئًا . حقًّا ، إنهم بوقوفهم بعرفة في هيبة و خشوع ، وذل وخضوع ، وتواضع وانكسار، بين يدي ربهم العظيم الجليل ، حاسرين عن الرؤوس ، يتذكرون بلباسهم الموحّد ، موقف خروجهم من الدنيا وتجرّدهم منها ؛ حيث إنّهم اليوم كأنّهم تجرّدوا لله تعالى من شواغلهم الدنيويّة وأمورهم الماديّة ، وأقبلوا عليه سبحانه مبتغين رحمته ورضوانه ، و عفوه وغفرانه .

كما أنهم يتذكّرون خلال تمتعهم بروحانية هذا الصعيد ، وقدسيّة هذه البقاع ، بدايةَ الإسلام ونشوءه فيها غريباً ، ثم تصاعدَ أمره شيئاً فشيئاً ، ثم ضربه بجرانه ، وانتشاره في أرجاء الدنيا، يتفيّأ ظلالَه القاصي والداني ، والأسود والأحمر ، والعربي والعجميّ ، حتى أصبح أمره مطاعاً وكلمته مسموعة في مشارق

الأرض ومغاربها ، حينما تمسّك المسلمون بأوامره ونواهيه ، وطبّقوا تعاليمة على الفرد والمجتمع ، فعمّ الأرض بحيره ، وجرّدها من شرّها ، ونَعِمَ بفضله الناس كلهم بتشتى قطاعاتهم وطبقاتهم . ثم آل الأمر إلى ما هم عليه الآن من ضياع وتخلّف وتمزّق يشمت بهم من أجله الأعداء ، ويستثمرونه لصالحهم، فيزويدونهم سوءَ حالة .

هذه البقاع الطاهرة التي هي أحبّ أمكنة الأرض إلى الله جلّ وعلا ، تُرجى فيها إجابة الدعاء وتحقيق السؤل ومنح المأمول ، والعفو عن السيئات ورفع الدرجات ؛ لأنّ العبد يحظى فيها بكثرة التوفيق لسكب العبرات وإراقة الدموع ، وصقل قلبه بالبكاء و التضرع والدعاء.

وبعد هذه الإنابة الصادقة ، والتوبة النصوح ، والتذلل التام ، والتضرع البالغ ، وعمارة الأوقات بالطاعات ، واغتنام الأمكنة والأوقات للدعاء والبكاء ؛ يُرْجَىٰ أن يحظى العبد بحج مبرور ، وسعي مشكور ، وتجارة لن تبور . والحجُ المبرور أفضل الأعمال ، كما نصّ على ذلك النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فقد روى البخاريّ ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أنه سئل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : أي العمل أفضل ؟ قال : " إيمان بالله ورسوله . قيل: ثم مادا ؟ قال : الجهاد في سبيل الله . قيل : ثم مادا ؟ قال : حج مبرور " .

والحجّ المبرور جزاؤه هو الجنّة ؛ حين قال عليه الصلاة والسلام : " العمرة إلى العمرة كفّارة لما بينهما . والحجّ المبرور ليس له جزاء إلاّ الجنّة " (رواه مسلم) ودخولُ الجنة هو الفلاح الأكبر ، والفوز الحقيقي ، والغاية المثلى والمطلب الذي تختصر فيه جميع المطالب . وقد صدق جلّ وعلا إذ قال :

" وَمَنْ زُحْزِحَ عن النَّارِ وأُدْخل الجنَّةَ فقَدْ فَازَ " (آل عمران/١٨٥)

والحجّ المبرور لا يتحقق إلاّ إذا اجتنب الحاجُّ الرفث والفسوق والجدال كلَّ الاجتناب، وأكثر من الخير ، وتزوّد بالتقوى ، وأخلص لله ، وأتم الحجّ من أجل

رضاه . يقول تعالى:

" الحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُوْمَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيْهِنَّ الحجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوْقَ وَلاَ جِدَالَ فِيْ الحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللّٰهُ وَتَزَوَّدُوْا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُوْنِ يَا أُوْلِي الْأَلْبَابِ" (البقرة/١٩٧)

وقال تعالى:

"وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلّٰهِ" (التوبة/١٩٦)

وإذا اجتنب العبد الاجتناب كلّه الرفثَ والفسوقَ وما إلى ذلك ، رجع من حجّه بريئًا من جميع الذنوب ، مغفورةً له السيئاتُ كلُّها حتى صار لا وزر عليه كالوليد يومَ تلده أمُّه . قال عليه الصلاة والسلام:

" من حجّ ، فلم يرفث ولم يفسق ، رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه". (رواه البخاري ومسلم)

والرفث هو الجماع ودواعيه من ذكر النكاح ومقدماته ، أو تكرار النظر للتلذذ ، أو كلام فيه الرقة والخضوع ومضغ الكلام لاستمالة قلوب النساء . والفسوق ، يتمل الكذب ، والنميمة ، والغيبة ، والسباب و الشتم ، والتنابز بالألقاب ، والاستهزاء بأحد ، والإساءة إليه بشكل من الأشكال .

والجدالُ يتضمّن الخصومات كلها ، من الجفاء في الخطاب ، والملاحاة ، ورفع الأصوات على أحد على وجه يؤذيه : حيث إن الجدال في الأصل هو المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة .

فمن اجتنب في حجة النواهي و تقيد بالأوامر ، و أخلص النية والعمل ، واستشعر شرف الزمان والمكان ، وأكثر من أعمال البر والطاعة ، وأنفق من كسبه الحلال وماله الطيب، وتجرد من الخيلاء والرياء : استوفى الأجر ، ونال الجزاء الأوفى ، ودخل جنة ربّه .

جعلنا اللّٰه وإيّاكم من الذين يُؤْتَوْنَ كتابَهم بأيمانهم ، ويُحَاسَبُوْنَ حسابا يسيراً ، وينقلبون إلى أهلهم مسرورين . و رزقنا وإياكم حجًّا مبرورًا، وسعيًا مشكورًا . إنّه ولي ذلك والقادر عليه .

نور عالم خليل الأميني

ما تزال المؤامرة على الإسلام وبيت المقدس مستمرة

بقلم الكاتب الاسلامي الكبير الأستاذ أنور الجندي
جمهورية مصر العربية

إن المؤامرة على الإسلام وعلى الأمة الإسلامية مؤامرة قديمة ترى علاماتها الأولى في موقعتي مؤتة وتبوك في عصر الرسول ﷺ الذي اختار الرفيق الأعلى وهو يعد جيش أسامة لغزو أرض الروم وكان هذا إشارة إلى منطلق الخطر

وقد امتدت المعارك بين الدولة الإسلامية في الشام وبين بيزنطة فترة طويلة كان فيها أهل طرابلس يعيشون في لباس المرابطين المجاهدين الذين لا يغفلون عن الثغور لحظة من ليل أو نهار.

وبعد ما فتح المسلمون افريقيا وامتد الإسلام إلى القيروان وطنجة أصبح البحر الأبيض المتوسط كله بمثابة خط دفاع قوي حيث اقيمت الرباطات وامتدت من طول الساحل في أكثر من ألف موقع من طرابلس الشام إلى رباط الفتح إلى أسفي وما بعدها على المحيط الاطلسي وفيها رجال نذروا أنفسهم لله يرقبون كل حركة على الشاطيء المقابل، حتى إذا أوقدت النيران في أعلاها تتصل في الليلة الواحدة أو بعض ليلة وذلك في مسافة تسير فيها القوافل نحواً من شهرين وفي كل موضع فيها رجال مرئيون نظار وطلاع يكشفون البحر فلا نظهر في البحر قطعة يقصد ساحل بلاد المسلمين الأوعى بها كل من كان في المحارس

وظل الموقف يشتد ويلين على حدود الدولة الإسلامية مع الروم حتى جاء محمد الفاتح الذي استولى على القسطنطينية وغير تاريخ أوروبا كلها بل غير تاريخ العالم كله قال عمرو بن العاص: بينما نحن عند رسول الله ﷺ نكتب إذ سئل:

أي المدينتين نفتح أولاً: القسطنطينية أم الروم؟

فقال عليه الصلاة والسلام: مدينة هرقل نفتح أولاً (يعني القسطنطينية)

☆ ☆ ☆

ولكن الإسلام لم يضرب من جهة الروم وحدها بل انه ضرب من قوتين كبيرتين هما: التتار والصليبيين.

أما التتار فقد انطلقوا حتى دخلوا عاصمة الخلافة في بغداد ٦٥٦هـ وضربوها وتعاونوا مع الصليبيين في حلف غير مقدس لحصار الإسلام بين فكي كماشة.

ولكن المسلمين استطاعوا من دحر قوة التتار في عين جالوت حيث هزموا لأول مرة في تاريخهم

وارتدوا على أعقابهم ولما يمض على دخولهم بغداد أكثر من عامين وذلك بقيادة قائد المسلمين الظاهر بيبرس .

وامتدت الحروب الصليبية قرنين من الزمان وابرزت كفاءات وبطولات إسلامية غيرت وجه التاريخ وكان في مقدمة أبطالها عماد الدين زنكي و نورالدين محمود وصلاح الدين وبيبرس وقلاوون .

لقد أرسى نور الدين معالم العودة إلى منهج الله تبارك وتعالى فتكونت المدرسة الإسلامية التي وهبت نفسها للجهاد وباعت نفسها لله تبارك و تعالى فكتب لها النصر على يد صلاح الدين في مواقع كثيرة وفي مقدمتها حطين ٥٨٣هـ (١١٨٧م) .

فتح عماد الدين زنكي الرها، وأمضى نور الدين ثلاثين عاماً من الجهاد في ميادين الموصل والشام ومصر وعندما انتقلت راية الجهاد إلى صلاح الدين عرفت أوروبا كلها كيف تمثل الإسلام حقاً في رجل محارب مؤمن بالله صادق الوعد حتى أحنى القادة الثلاثة للحرب الصليبية التالية هاماتهم تقديراً للرجل الذي أقبلوا ليقاتلوه .

وكانت موقعــة (حطين) حاسمــة في وجــه الصليبيين كما قامت معركة (عين جالوت) في وجه التتار .

ولما قاد لويس التاسع الحملة الصليبية السابعة إلى مصر هزم هزيمة منكرة وسجن في المنصورة حتى افتداه الفرنسيون حين اذنت سماحة الإسلام بإخراجه حياً دون قتله . ولكن لويس غدر بالمسلمين بعد خروجه من مصر فقد ذهب إلى عكا وظل بها يحيك المؤامرات بين أفراد المسلمين للقضاء على وحدتهم وتفريق كلمتهم واتصل بالمغول لمفاوضتهم لتطويق العالم الإسلامي ، ولم يتوقف لويس عن المؤامرة حتى قاد الحملة الصليبية إلى تونس بعد ذلك بسنوات حيث لقي مصرعه .

وانتهت الحروب الصليبية بعد قرنين بالهزيمة الكاملة للغرب الذي انسحب بينما كان يبيت الغدر بالمسلمين ويعد نفسه لجولات جديدة لولا قيام الدولة العثمانية .

الدولة العثمانية قذى في عيون خصوم الإسلام

وكانت الدولة العثمانية منذ اليوم الأول قذى في عيون خصوم الإسلام فقد حمت الوجود الإسلامي كله من المغرب إلى المشرق كله من مؤامرات الغرب بعد أن استطاعت أن تقتحم أوروبا من البلقان وأن تصل إلى أسوار فيينا وأن تسيطر أكثر من ثلاثة قرون على قلب أوروبا .

ومن ثم توالت المؤامرات على الدولة العثمانية بعد أن استطاع محمد الفاتح اقتحام القسطنطينية وتحويل كنيسة أياصوفيا إلى منارة إسلامية .

وقد كشفت الأبحاث أن مائة مؤامرة أعدتها أوروبا وحاولت إنفاذها من أجل تمزيق الدولة العثمانية في الفترة التي تلت ظهور هذه الدولة وتوسعها في أوروبا .

ولقد كان دخول العرب في الدولة العثمانية ضرورة تاريخية من أجل حماية الوجود الإسلامي وكان برضا العرب وتقديرهم لدور الدولة العثمانية والوقوف في وجه الخطر الصليبي الذي صاحبه نهضة

الإفرنج واكتشاف رأس الرجاء الصالح وبدأ عصر الكشف الاستعماري وقد دخلت الجزائر باختيارها وكذلك أمراء لبنان وشريف مكة ولم يكن هذا عملا استعمارياً كما حاول الغرب تصويره، بل كان من أجل التآزر على صد الخطر عن العالم الإسلامي مما أخر احتلاله ما بين ثلاثة و أربعة قرون

فقد بدأت المؤامرة الغربية مرة أخرى بعد سقوط الأندلس حيث اندفعت اسبانيا والبرتغال لمحاصرة العالم الإسلامي من ناحية افريقيا والسيطرة على المغرب والجزائر ثم ورثتهما فرنسا وانجلترا، بينما انطلقت بريطانيا للسيطرة على الهند وانطلقت هولندا للسيطرة على ارخبيل الملايو واندونيسيا وذلك في خطة ماكرة لمحاولة وضع الأمة الإسلامية بين فكي الكماشة مرة أخرى، وجاءت المرحلة الثانية تحمل بذرها الخطيرة التي مازلنا نعيش فيها إلى اليوم

فقد جرت المحاولات لتمزيق الدولة العثمانية وإسقاط الخلافة الإسلامية وكان الغرب يعلم أن حضارته سوف تنهار يوما كما انهارت الامبراطورية الرومانية ومن هنا حاولت بريطانيا التي كانت لا تغيب عن مستعمراتها الشمس دراسة الوسائل والغايات التي تمكن الغرب من استمرار سيطرته وكانت خطة كامبل نيرمان سنة ١٩١٧م التي قرر علماء التاريخ فيها ما يلي

أولاً : أهمية السيطرة على البحر المتوسط لأنه الشريان الحيوي للاستعمار فهو الجسر بين الشرق والغرب وملتقى المواصلات وطرقها في العالم وأن من يسيطر على شواطئه الجنوبية والشرقية يستطيع التحكم في العالم.

ثانياً : أكد التقرير أن الخطر على الاستعمار يكمن في البحر المتوسط صلة الوصل بين الشرق والغرب وفي حوضه حيث شهد نشوء كل الديانات والحضارات وأنه يسكن في هذه المنطقة شعب واحد يتوافر له وحدة التاريخ واللغة والدين وكل مقومات التجمع والترابط هذا فضلاً عن ثرواته الطبيعية ورغبة أهله للتحرر فلو أخذت هذه المنطقة بكل الوسائل الحديثة وإمكانيات الصناعة الأوروبية وانتشر التعلم فيها فإنه سيحل الضربة القاصمة حتماً بالامبراطوريات الاستعمارية وعندها ستتبخر أحلام الاستعمار الغربي فيجب إذن على الدولة ذات المصالح المشتركة أن تعمل على استمرار (تجزئة) هذه المنطقة وإبقاء شعبها على ماهو عليه من تفكك وتأخر وأن نعمل على وضع هذه المنطقة المجزأة المتأخرة مع بقاء شعبها على ما هو عليه من تفكك وجهل وهذا يستلزم فصل الجزء الافريقي في هذه المنطقة عن الجزء الاسيوي.

وكإجراء سريع لدرء الخطر أوصى التقرير بضرورة إقامة حاجز بشري قوي وغريب في منطقة الجسر البري الذي يربط آسيا وافريقيا ويربطهما معاً بالبحر المتوسط بحيث تشكل في هذه المنطقة وعلى مقربة من قناة السويس قوة صديقة للاستعمار وعدوة لسكان المنطقة

والمعروف أن الاستعمار كان قد التقى في هذه الفترة مع الصهيونية في مخططات استعماره وفرض النظم الربوية على البلاد التي احتلتها الدول الكبرى تمهيداً للخطة الجديدة

تلك الخطة التي طبقت حين حاصرت الحملة

الفرنسية مصر في خطة للسيطرة على فلسطين والشام في صراع مع بريطانيا على طريق الهند وكانت فرنسا قد سيطرت على لبنان وفتحت أبوابه أمام الإرساليات التبشيرية التي تركزت بعد في القسطنطينية ومصر والشام.

ومضت الخطة إلى غايتها في تمزيق الدولة العثمانية بعد أن تم التآمر على السلطان عبد الحميد الذي قاوم مؤامرة سيطرة اليهود على القدس فقد وقف السلطان عبد الحميد موقفاً مشرفاً حاسماً إزاء مؤامرة الصهيونية ورفض إغراء هرتزل له الذي عرض عليه خمسين مليوناً من الجنيهات الذهبية من أجل السماح لليهود بدخول القدس زائرين أو مقيمين ووقف بصلابة في وجه هذا الخطر وكان قد دعا إلى الوحدة الإسلامية الجامعة وسعى إليها في مرحلة ضعف الدولة العثمانية وظل صامداً حتى أطيح به وكانت الإطاحة به هي الخطوة الأولى نحو إسقاط الخلافة الإسلامية وتمزيق الدولة العثمانية.

وكانت الماسونية والاتحاديون في تركيا واليهود بمطامعهم في فلسطين وراء سقوط السلطان وكان الاتحاديون قد مهدوا لإدخال الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى لتمزيقها وتوزيع أسلابها على الدولتين فرنسا و بريطانيا.

ومن أجل ذلك انعقد مؤتمر برلين الذي انفذ هذه المؤامرة وفي نفس الوقت ظهر (وعد بلفور) الذي فتح فلسطين أمام اليهود في مؤامرة لم يشهد لها التاريخ مثيلاً مازالت تخطو منذ ١٩١٨ إلى اليوم تحت اسمين:

من النيل إلى الفرات وإعادة بناء هيكل سليمان

ويرى كثير من المؤرخين أن الحرب الصليبية التاسعة التي جاءت بعد أكثر من ثمانين عاماً من انتهاء الصليبية الثامنة كانت هي دخول بريطانيا إلى القدس عام ١٩١٧ وحين اعلن اللورد اللنبي:

(الآن انتهت الحروب الصليبية).

وعندما وقف غورو الفرنسي عند قبر صلاح الدين في دمشق وقال:

"ها نحن قد عدنا يا صلاح الدين"

وما أن انتهت الحرب العالمية الأولى حتى مزقت الدولة العثمانية ووزعت أسلابها وأقيم فيها نظام علماني يرفض الإسلام ويكتب من الشمال إلى اليمين بقيادة أتاتورك في محاولة لاغراء المسلمين والعرب بهذا النظام الجديد، ووقعت الأمة الإسلامية كلها في قبضة النفوذ الاستعماري وفتح الباب أمام تحقيق وعد (تيرمان كامل) التي صدرت ١٩١٧م بإقامة عنصر غريب في المنطقة الفاصلة بين آسيا وافريقيا.

ودخلت الأمة الإسلامية في مرحلة الخطر حيث حاصرتها القوى الغربية والشيوعية والصهيونية جميعاً

وكانت أولى خطوات العلمانية التركية إسقاط الخلافة الإسلامية تمهيداً لإقامة اسرائيل وكان إسقاط الخلافة الإسلامية هدفا حيويا خطيرا في نظر النفوذ الغربي حتى لا تقوم للمسلمين قائمة من بعد وهو هدف تآزرت عليه كل القوى غير الإسلامية لتحقيقه.

ويوم أن وقف (غلادستون) رئيس وزراء بريطانيا وقد أمسك المصحف الشريف بيده من فوق منبر مجلس العموم البريطاني وقال:

يوجد اليوم على وجه الأرض " معتصم " .

إي والله ! لو لم تكن رقاب المسلمين بأيدي أذناب العلمانية والشيوعية والاشتراكية والأيديولوجيات الفاسدة في معظم هاتي البلاد الإسلامية وكانت مقاليد الحل والعقد بأيدي من يؤمن حقاً بالله ربًا و بالإسلام دينًا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيّاً ورسولاً ، لكان الوضع غير الوضع المزرى المشين الذي يعيشه المسلمون في كل مكان ، ولنهضت البلاد الإسلامية كلها ضد بني الكفر الذين أجمعوا اليوم ليذيقوا الإنسان المسلم في كل مكان سوء المهانة والعذاب .

ماذا يمنع هذه البلادَ العربيةَ الإسلاميةَ الغنيةَ بالمال وبالرجال من مقاطعة دول الكفر والشيطان التى تباشر أو تؤيد أو تشجع على قتل المسلم وتشريده وتعذيبه وتجويعه وتطويعه وتذليله واغتصاب عرضه وأرضه جهاراً ونهاراً و تحدياً سافراً لكل "شريف " على وجه الأرض – وكل قانون دولي – إذا كان هناك قانون دولي وُضِعَ ليُطَبَّقَ في حق المسلم وفي صلاحه ؟!.

لا شيء يمنع سوى أن المسؤولين في حكوماتها يفقدون نخوة إسلامية و " غيرة معتصمية " ولا يحملون ولاءًا صحيحاً للإسلام والتماءا حقيقيًّا إلى محمد النبي العربي صلى الله عليه وسلم وحُبًّا صادقاً للتربة التي فيها نبتوا والدين الذي عليه وُلِدُوْا ... أجل لا شيء يمنعها سوى أن القائمين على حكوَماتها تُهِمُّهُمْ مصالحهم الشخصية وأغراضهم العاجلة أكثر مما تهمهم المصالح الوطنية والأغراض القومية والرسالة الإسلامية وواجبات الأخوة الإسلامية

لا شيء يمنعها إلا أن مديرى دفة الحكم فيها قلوبهم لا تنبض بعطف على الإسلام وبترحّم على بؤس أبنائه وشقاء أوليائه، وبغضبة عمرية صديقية على شماتة أعدائه وتربصهم بالمسلمين بالقتل والفتك وبكل صورة من صور الإذلال التي تخطر بقلوبهم العفنة .

إن الشارع الإسلامي في أرض الله الواسعة لم يألُ جهداً في الأغلب في الدعاء للمكروبين من المسلمين ، وفي جمع التبرعات المالية والعينية ، وفي القيام بمحاولة إرسالها إليهم في أماكنهم التي فيها يُسْتَحَقون ، وفي إطلاق النداءات والصيحات الصارخة ذات الإثارة الإيمانية والعقدية إلى كافة المسلمين في المعمورة بأن يمدوا إليهم يد العون والمساعدة..'

ولو كان بإمكانه – الشارع الإسلامي – أن يخوض معركة المقاومة المباشرة متكاتفاً مع المسلمين المعذبين هؤلاء لصنع ذلك سعيداً راضياً مسروراً ، ولكن ليس بيده خل ولا تمر –

(ما دام هذا الكتاب باقياً في الأرض فلا أمل لنا في إخضـاع المسلمين بل نحـن علـى خطـر منـه فـي وجودنا نفسه) .

يوم وقف هذا الموقف كان واضحاً للعرب ولأوروبا وللنفوذ العالمي المسيحي واليهودي مدى الخطر الذي يحيط بالإسلام والمسلمين

ومن هنا كانت يقظة الإسلام في مواجهة الحملة الصليبية التاسعة عن طريق القرآن نفسه .

واليوم تجدنا وجهاً لوجه أمام المؤامرة

فقد وقع حادث محاولة إحراق المسجد الأقصى (أغسطس ١٩٦٩) وتوالت المحاولات حتى كان اليوم الذي حاول فيه بعض المتطرفين اليهود وضع حجر الأساس لهيكل سليمان في قلب المسجد الأقصى وذلك بالرغم من أن كل الدلائل تؤكد أن بني إسرائيل لم يتركوا في تاريخهم القديم أي أثر للهيكل الذي حرق مرتين الأولى على يد نبختنصر ملك الكلدان الذي هاجم أورشليم ٥٨٦ قبل الميلاد وكذلك الهيكل الذي حطمه الامبراطور الروماني تيتوس عام ٧٠ من الميلاد عندما أحرقت أورشليم (فلسطين) بسبب ثورة اليهود على حكم الرومان .

فلما ثاروا مرة أخرى في عهد الامبراطور أوريانوس عام ١٣٥ ميلادية دمرت أورشليم تماماً وأزيل الهيكل من أساسه وحرثت أرض المدينة حرثاً وأقيم مكان هيكل سليمان معبد وثني باسم جوبيتر رب الأرباب عند الرومان .

ولما اعتنق الرومان المسيحية في عهد قسطنطين في القرن الرابع لم يكن لهيكل سليمان أي أثر وفي سنة ٦٣٦م فتح المسلمون فلسطين فأصبحت عربية لحماً ودماً أي عادت إليها عروبتها فقد كانت عربية منذ فجر التاريخ .

ولكن الصهيونية لا تعترف بحقائق التاريخ وتعمل على إقامة نموذج لهيكل سليمان ويزعمون أن الجدار الغربي للمسجد هو آخر ما بقي من هيكل سليمان القديم ويسمون حائط المبكى وهي تسمية سياسية لم تكن معروفة من قبل وعد بلفور ودخول الانجليز القدس عام ١٩١٧ وهو ما يسميه المسلمون حائط البراق نسبة إلى البراق الشريف

ولقد قامت لجنة محايدة عام ١٩٣٢م من قبل عصبة الأمم للفصل في هذه القضية وانتهت في حكم صادر لها بأنه لا حق مطلقاً لليهود في هذه المنطقة وقد اشترك في هذه العصبة محمد علي علوبة وأحمد زكي باشا شيخ العروبة ولكن المناورة ما تزال مستمرة .

والذي يعنينا اليوم أن نعرف وجه المقارنة بين الحروب الصليبية وبين الاحتلال الاستيطاني اليهودي القائم اليوم فإنه يحاول الاستفادة من تجربة المسلمين خلال معارك حطين وغيرها وعلى المسلمين أن يصمدوا في وجه الخطر كما صمد المسلمون إبان الحروب الصليبية وعليهم أن يستعينوا في مقاومتهم بأسلوب القرآن وليس هنا طريق غير الجهاد وتعبئة القوى والصمود والصبر والمرابطة .

﴿ يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون ﴾ . سورة آل عمران آية ٢٠٠

☆ ☆ ☆

☆ ☆

الإسلام و العقلانية

[الحلقة ٥٦]

بقلم : الشيخ الجليل المربي الكبير العلاّمه أشرف على التهانوي
المعروف بـ " حكيم الأمة " المتوفى ١٣٦٢هـ / ١٩٤٣م
تعريب : **أبو أسامة نور**

قياس المحدثين بالمعاصرين قياس خاطئ

إنّه لمن أظلم الظلم وأشد النكران للحقّ والجهل بالقيمة أن يُقْبَلَ ما جاء في التاريخ دونما سند ، وأن يُرْفَضَ ما جاء في الحديث الذي لم يجيء فيه شيء دونما سند ، بل قد وردت فيه أشياء بأسناد عديدة .

من المدهش حقًّا أن يعترف غير المسلمين بمجهودات المحدثين وخدمتهم الجليلة للحديث ويسلموا قيمته وأهميته (١) وبجانب ذلك ينهض منتسبون للإسلام فيقولون بتفاهة خدماتهم وبكونها لاغية غير مجدية ، ويثيرون شكوكاً واعتراضات ، ويعتبرون الحديث غير لائق بالثقة .

إنّ هؤلاء يقيسون المحدثين بأنفسهم ، وعصرَهم بعصرهم . وذلك خطأ كبير . والقولُ بأنّ كون الذاكرة بحيث أن تحفظ الأحاديث لمدة طويلة دونما كتابة وتسجيل مستحيل وخارق للعادة ، نابع من ضيق التفكير وقصر النظر . إنّ المحبّ لا ينسى كلام الحبيب ، مهما كان ضعف الذاكرة . أما العرب فظلوا مضرب المثل في قوة الذاكرة وقد اعترف لهم بذلك العالم كله . وقد درج في العصر القريب أشخاص من العجم أدهشوا الناسَ بما كانوا يتمتعون به من قوة الذاكرة . فقد جاء في التأريخ أن فيضي (أبا الفيض بن مبارك ناكوري ١٥٤٧-١٥٩٥م) كان يحفظ القصائد الطويلة بمجرد استماعه لها مرة واحدة . وقد رأى كاتب هذه السطور في هذا العصر أشخاصاً كانوا عجائب في الحفظ وقوة الذاكرة ، و لو لم أرهم لم أصدق ما كانوا يمتازون به من الذاكرة العربية في الالتقاط والحفظ .

نماذج من الأذكياء وأقوياء الذاكرة من المعاصرين

منهم الحكيم (الطبيب بالطبّ اليوناني العربي) عبد المجيد خان ؛ حيث كان يفد عليه كل يوم من المرضى من يبلغ عددهم ١٠٠٠-١٢٠٠

(١) قد جمع كل من الدكتور " إسبرانكر " عميد المدرسة العالية بكالكوتا الأسبق ، و" سر وليام ميور " مجموعة صالحة من الأحاديث وبذلا في ذلك جهوداً مضنية ، ودرسا العلوم المتعلقة بالحديث، وأثنيا على جهود المحدثين وتفانيهم في خدمة الحديث ، واعترفا بكونه موثوقاً به انظر مجلة "معارف" عدد فبراير ١٩٣٣م .

شحصاً ، ولم يكن يحلس في عادته إلاّ ساعتين أو ساعتين ونصف ، فكان لا يفحّص كل مريض إلاّ حلال تواني . وكنت طالباً مدفقاً بالنشاط ، فدحلتُ عليه مخترقاً الزحام . وسألني عن شكايتي . قلت : أعاني في الأغلب من الرمد ، فكتب لي الوصفة ولم يستغرق ذلك إلاّ ثوانيَ . وبعد سنة كاملة رأيتُه في مثل هذا الزحام ؛ فما إن وقع نظره عليّ حتى سألني : ما هي حالة عينيك ؟

ومنهم الحكيم (الطبيب بالطبّ اليوناني) رحيم اللّه البحروريّ (المتوفى ١٤/ أغسطس ١٩٢٩م = ٧/ ربيع الثاني ١٣٤٨هـ) الذي كان مواظباً جدًّا على الأوقات ، وكان له معاد بقراءة الصحف اليومية . فكلما سألته عن نبأ أو مقال أو مادة نُشِرَتْ منذ سنة أو سنوات قرأ عليك صفحات من الصحف التي نُشِرَتْ فيها وقد ألّف الحكيم رحمه الله كتاباً في إبطال أصول الشيعة ، زاخرا بالأخبار . وقد قال له بعض الناس : إنّك لا توجد لديك الكتب الكثيرة؛ فمن أين استقيت هذه الواقعات التأريخية . قال : لا حاجة بي إلى الكتب ، إني كنت قد قرأت هذه المعلومات أيام تحصيلي ، في مكتبة أمير " رام بور " ولا أزال أعيها منذ نحو خمسين عاما على ما كنتُ قرأتها . ونما خبر ذلك إلى الشيعة في القرية الجامعة " جانسته " بمديرية " مظفر نجر " بولاية " يوبي " بالهند فقابلوا معلومات الكتاب ومواده التاريخية بكتبهم حتى يجدوا فيه خطأً في النقل والرواية ، فشككوا الكتاب كله ؛ ولكنهم رغم محاولتهم المكثفة لم يتوصّلوا إلى خطأ ما .

ومنهم " أمير شاه خان " الذي توفي منذ مدة قليلة . وكان من سكان " منذهو " بمديرية "على كره " بولاية " يوبي " وكان قد عاصر ، قبل ثورة عام ١٨٥٧م الشهيرة ضد الإنجليز ، كثيراً من كبار العلمـاء والمثقفيـن ؛ أمثال مولانا فضل حـق الخير آبادي ، والنواب قطب الدين خان ، والميرزا أسد الله خان الشاعر المتلقب بـ " غالب " والشيخ عبد العزيز ، والشيخ عبد القادر ، والشيخ رفيع الدين أبناء الشيخ ولي اللّه الدهلوي ، والشيخ رشيد أحمد الكنكوهي وكان يروي أخبارهم ، بنقل أحاديثهم ومقالاتهم بتحديد الوقت والمكان وعدد حضور المجلس . ولو روى حادثاً عشر مرات لما غيّر شيئاً ما في الألفاظ . وقد شعر بعض المعجبين به بأن أيام حياته معدودة ، وأنّ هذه المعلومات ستدفن معه في الأرض وتضيع مع موته ، فجلسوا إليه وقيّدوها سماعاً منه ، وطبعوها باسم " أمير الروايات " وقراءةُ هذا الكتاب تفنّد مزاعم المتشككين الذين يقولون : إن حفظ الروايات والأخبار لمدة طويلة شيء خارق للعادة . والجدير بالذكر أن " أمير شاه خان " لم يكن عالماً ؛ ولكنه كان ينقل النصوص العربية والفارسية والمصطلحات العلمية كما كان سمعها من أصحابها .

وأمثـال هؤلاء كثيـرون ، واكتفينا ههنا بذكر

بعض منهم . وجملة القول أن الفكرة القائلة بأن وجود الذاكرة الواعية للحوادث والأقوال عبر مدة طويلة دون كتابة وتقييد ، شيء فوق العادة ، فكرة خاطئة تماماً . فالاستناد إلى ذلك في إنكار الحديث استناد خاطئ كذلك .

شاء الله حفظ دينه فخلق له عباداً أقوياء الذاكرة

وبغض النظر عن أن السلف كانوا يملكون من قوة الذاكرة مالا نملكه نحن اليوم ، إنّ الله تعالى كان قد شاء صيانة دينه ، فأيّدهم من عنده . التأييد الإلهي يعني الأسباب التي هي خارج إطار الأسباب الظاهرة . منها ما جاء أن النبي ﷺ قرأ شيئاً ثم نفث في رداء ، وضمّه أبو هريرة رضي الله عنه إلى صدره ، فكان لا ينسى بعد ذلك أيّ شيء كان يسمعه منه ﷺ . وقد يتعجب من ذلك إخواننا المعاصرون الذين لا تتجاوز أنظارهم إلى ما هو من غير الأسباب الظاهرة ؛ حيث يقولون دائماً : إن كل شيء في الكون مرهون بالسبب ، ولا يتحقق شيء إلاّ قدر ما يتوفر له من الأسباب . فهناك طريق يطول مائة ميل ، والقطار يجري عشرين ميلاً في الساعة ؛ فإن القطار لا يقطعه إلاّ في ظرف خمس ساعات ، ولا يجوز أن يقطعه في أربع ساعات بدل خمس ساعات .

فالذاكرة البشرية لا تعمل إلاّ قدر طاقتها ، ولا يجوز أن تعمل فوق طاقتها بتأييد غيبيّ أو ما يماثله . ولو حدث ذلك لما احتاج الإنسان إلى القراءة والكتابة .

والجواب أننا لا نسلّم أن كل شيء في الكون مرهون بالأسباب ، وإنما تتحقق الأشياء بقدرة القادر قدرة مطلقة . والحق أنّ السبب أيضاً إنما يفعل بفعل القادر الوهّاب ؛ حيث إن السبب يتوقف على سبب ، والأسباب تنتهي إلى سبب يُضطرُّ الإنسان عنده أن يقول : إنه لم يتحقق إلاّ بقدرة الله تعالى . فهذا الأخير الذي تحقق في نهاية الأسباب ، لو تحقق في بدايتها لما كان ذلك ملزماً للاستحالة . فلأجل صيانة دينه أكرم الله -حَمَلَةَ دينه بذاكرة التقطوا و وَعَوْا بها كل قول من أقوال النبي ﷺ كاملاً غير منقوص ، سالماً غير محدوش . ومهما كان ذلك داعياً للعجب ، فإنّه ليس مستحيلاً ؛ لأنّه لا يوجد دليل عقليّ على استحالته . أما ترى أن المكتوب أو المطبوع على الورق يبقى كما هو عبر مئات من السنين . وقد أكد العلم الحديث أن المطبع في الذاكرة والدماغ يبقى مسجلا كالمسجل على الشريط ، حتى إنهم يحاولون انتزاع جميع المعلومات من الأدمغة البشرية لدى الموت ، لزرعها في أدمغة الأحياء ، حتى تتجمع فيها دفعة واحدة ، وتبقى بمنجاة من الضياع . فدل ذلك على أن الشيء الداخل إلى الدماغ لا يمحّي إذا لم يعرض له ما يمحوه أو يشوّشه على صاحبه ومعنى هذا أن الرجل ذا طمأنينة القلب ، يتمتع بذاكرة قوية . وطمأنينةُ القلب إنما تحصل بذكر الله والزهد في الدنيا ، والعالَمُ كله يعلم مدى اتّصاف

السلف بهدين الأمرين؛ فلا عجب إذا كانوا من قوة الذاكرة بالمكان الذي يدهش العقول. وإذا كان ذلك داعياً للعجب، فإنه ليس مستحيلاً، وإذا لم يكن مستحيلاً، فلا مجال لإنكاره إذا أثبتته الحقائق.

وما مضى من مثل القطار ومسيره، كان عماده على المسير المعتاد، أي السرعة التي اعتادها سائق القطار. وإلاّ فإنّ القاطرة تقوى على السير بأكثر من عشرين ميلاً في الساعة فلو استخدم السائق قوتها المدخورة وأجراها مثلاً خمسين ميلاً في الساعة، يجوز أن يقطع طريق المائة ميل في أقل من أربع ساعات.

إنّ الله قادر على أن يزيد الذاكرة قوة فوق العادة

وكذلك فإن الله تعالى أودع الذاكرة البشرية قوة تعمل عادة إلى قدر محدود، فلو شاء لزادها قوة فعملت أكثر مما كانت تعمل. إنّ الله العلي القدير قد زاد الذاكرة قوة للحفاظ على دينه وكان ذلك بدون سبب وواسطة من عند الله مباشرة أو بسبب من دعاء من أحد. وكل ذلك غير مستحيل لدى العقل السليم؛ فالنبي ﷺ قرأ شيئا ونفث في رداء أبي هريرة فازداد قوة في الذاكرة. وكذلك دعا النبي ﷺ لجميع حملة الدين وخدمة الإسلام: "نضّر الله امرءًا سمع مقالتي فحفظها ووعاها، وأداها كما سمعها" ولذلك أيد الله ذاكرة السلف وخدمة الدين بقوة من عنده.

ومن التأييد الغيبيّ ما يستطيع إخواننا أبناء العصر أن يفهموه جيّدا وهو أنه كما أنّ الأسباب لها دخل في وجود الأشياء، كذلك الموانع لها دخل في عدم وجودها. فمثلاً: هناك رجل يعمل بالتجارة، والتجارةُ سبب في نموّ المال. وافرض أنه كثرت الأمطار، وفسدت بضائعه أو غرقت في المياه؛ فرغم وجود أسباب النمو، حدث مانع حال دون النموّ. والتأييد الغيبي في هذه الحالة يمكن أن يتأتّى بأن يوجد أسباب نمو المال ولا يُوجد شيء من موانعه. وكلُّ تقدم في العالم إنّما يحصل بأن أسبابه توجد ولا يوجد أي مانع دونه. وإذا كان التقدم مقدرًا يتشكل كمثر، كثرت أسبابه، ولا يوجد دونه مانع.

وذلك تأييد غيبي، والدليلُ على كونه غيبيًّا أنّ العبد لا يقدر عليه. وربما تكون قد رأيت أن رجلاً كان فقيرا جدًّا ثم أصبح ثريًّا مليونيراً؛ حيث اتّجر في بضائع متواضعة جدًّا، وتقدمت تجارته شيئًا فشيئا، حتى صار مليونيراً. كل من مراحل هذا التقدم يبدو كأنّه في يد العبد، ولكن مجموعها ليس في يده. والدليلُ على ذلك أن رجلاً آخر إذا أراد أن يدرك التقدم بنفسه، فقد لا يقدر عليه ولا يصل إليه. والسبب في ذلك أن كل مرحلة من مراحل هذا التقدم وإن كانت ميسورة و متناول اليد، ولكن اجتماعها وانقطاع كل مانع من الموانع، ليس بيد العبد؛ فتوفر الأسباب وانعدام العوائق تأييد غيبي إلهي.

[يتبع]

المقومات الرئيسة للشخصية الإسلامية

بقلم : الدكتور ماجد عرسان الكيلاني

المحور الذي يدور حول عمل المدرسة الإسلامية هو (إخراج الإنسان المسلم) والإنسان هو الإنسان العامل الذي يقوم بـ (العمل الصالح) ويتقنه ، لأن العمل الصالح المتقن هو علة الخلق ، ومادة الابتلاء والاختبار ، في الدنيا ، ومقياس النجاة في الآخرة :

﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾ . (الملك : ٢)

ولكن مفهوم (العمل الصالح) لم يبق على شموله وأصالته ، وإنما تعرض - خلال عصور المذهبية والجمود، والاستبداد السياسي والاضطراب الفكري- للتغيير، وتضييق المعنى ، وتشويه المحتوى، حتى حصرته الاستعمالات الجارية في الوعظ والتأليف والتدريس والمخاطبات العامة ، في دوائر محدودة من العبادات والصدقات والأخلاق الفردية البسيطة .

لذلك لا بد من إعادة النظر في معنى (العمل الصالح) ، وإعادة استعماله كما ورد في مصادر الإسلام الأساسية المتمثلة في القرآن والسنة .

معنى (العمل الصالح) في التربية الإسلامية :

ورد لفظ العمل في القرآن الكريم في (٣٥٩) موضعاً ، وفي جميع هذه المواضع يلحق بـ (العمل) إحدى صفتين اثنتين : إما صفة الصلاح ، أو صفة السوء، فيوصف العمل بأنه (عمل صالح) أو (عمل سوء) .

و(العمل الصالح) هو الترجمة العملية ، والتطبيق الأكمل للعلاقات التي حددتها فلسفة التربية الإسلامية بين الإنسان والخالق ، والكون والحياة ، والإنسان والآخرة (١) ويقدم القرآن نماذج وأمثلة للعمل الصالح نذكر منها :

- العمل السياسي : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (الأنفال : ٧٢)

- والعمل العلمي والثقافي : ﴿ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (البقرة : ١٤٠) .

- والعمل الزراعي : ﴿ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ﴾ . (يس : ٣٥)

- والعمل المهني : ﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ ﴾ . (الكهف : ٧٩)

- والعمل الصناعي : ﴿ أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ﴾ (سبأ : ١١) .

- والعمل الوظيفي : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا ﴾ (التوبة : ٦٠)

- والعمل الفكري التربوي : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً

مِمَّن دَعَا إِلَى اللّهِ وَعَمِلَ صالِحًا ﴾ (فصلت ٣٣)

- والعمل الاقتصادي : ﴿ يَمْحَقُ اللّهُ الرِّبا ويُرْبِي الصَّدقَاتِ وَاللّهُ لاَيُحِبُّ كُلَّ كفّارٍ أَثِيم إنّ الّذين آمنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وأَقَامُوا الصَّلاةَ وآتوُا الزّكاة لهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ علَيْهِمْ ولاهُمْ يَحْزنُون ﴾ (البقرة : ٢٧٦-٢٧٧)

- العمل القضائي : ﴿ ولا تكْتُمُوا الشّهادة ومن يكْتُمْها فإنّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ واللّهُ بما تعْمَلُون عليمٌ ﴾ (البقرة: ٢٨٣)

- العمل الاجتماعي : فقد تحدثت الآيات في سورة البقرة (٢٣٠- ٢٣٦) عن علاقات الرجل والمرأة ، وتنظيم الأسرة ، ومسؤوليتها . ثم ختمت الحديث بأمثال قوله تعالى ﴿ واللّهُ بما تعملُون بصيرٌ - ٢٣٣ ﴾ ، ﴿ وَاللّهُ بما تعْمَلُونَ خبيرٌ - ٢٣٤ ﴾ .

- والعمل العسكري : ﴿ ياأيُّها الّذين آمنُوا إذا ضربْتُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَتبيّنُوا ولاَ تَقُولُوا لمنْ أَلْقى إليْكُم السّلاَمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتغُون عَرض الحياة الدُّنْيا فعند اللّه مغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنتُم مّن قبْلُ فمنّ اللّهُ عليْكُمْ فتبيّنُوا إنّ اللّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خبيرًا ﴾ (النساء : ٩٤)

- والعمل الديني والأخلاقي : والأمثلة على ذلك كثيرة جدا .

وأخيراً العمل بجميع مظاهره على المستويين الفردي والجماعي مثل : ﴿ وهُو الّذي يتوفّاكُم باللّيْلِ وَيَعْلَمُ مَاجَرَحْتُم بِالنّهارِ ثُمّ يبْعثُكُمْ فيهِ لِيُقْضى أجلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمّ يُنبّئُكُمْ بما كُنْتُمْ تعْمَلُون ﴾ (الأنعام : ٦٠) .

﴿ ثُمّ جَعَلْنَاكُمْ خلائف فِي الأرْض من بعْدهِمْ لِننظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ . (يونس : ١٤)

ويمكن تصنيف جميع أشكال العمل المشار إليها في ثلاثة مظاهر هي : عمل ديني صالح ، وعمل اجتماعي صالح ، وعمل كوني صالح

وتعريف (العمل الصالح) بهذا الشكل يقودنا إلى مبادئ ثلاثة تتصل بالعمل نفسه وهي :

المبدأ الأول : تكامل مظاهر العمل ، وعدم فاعلية أي منها دون الآخر ، لأن العمل الديني يتضمن أهداف الحياة ومقاصدها ، بينما يتضمن العمل الاجتماعي والعمل الكوني الوسائل المناسبة لتحقيق هذه الأهداف والمقاصد ، ولذلك إذا وجدت الوسائل ، ولم توجد الأهداف ، فإنه لا فائدة من الوسائل . وكذلك إذا وجد العمل الاجتماعي والعمل الكوني ، ولم يوجد العمل الديني . فإن العمل غير نافع ، ولا مربح ، ولذا فهو غير مقبول ، ولا معتبر .. وكذلك إذا وجد العمل الديني ، ولم يوجد العمل الاجتماعي والعمل الكوني ، فإن العمل عقيم . لأن الأهداف التي لا وسائل لها يستحيل تحقيقها والوصول إليها

لذلك كله لا يتصور هناك مسلم - أو إنسان صالح - بدون عمل فصورة المؤمن المتنسك العاجز صورة غير إسلامية ، وهي بعض رواسب تراث الكهانة، التي سبقت الإسلام ، ولذلك أيضاً لم يكن الزهد، والورع ، والتقوى، انقطاعاً عن العمل ، وإنما هي بعض مواصفات (العمل الصالح) تكسبه طابعه وتميزه عن (العمل السوء) . والحديث النبوي يقرر أن الزهد ليس تحريم الحلال، وإضاعة المال ، وإنما الزهد أن يكون الإنسان أوثق بما في يد الله ، منه مما في يده ؛ فيكون عليه البذل ولا يتردد في التضحية .

والمبدأ الثاني : أن (العمل الصالح) لا يقتصر على جلب الخير النافع ، وإنما يتعداه إلى محاربة الشر الضار، فالعمل الصالح إذن من حيث أثره ينقسم إلى

قسمين : عمل هدفه جلب النافع للإنسان والمرضي لله؛ وعمل هدفه دفع الضار بالإنسان والمغضب لله .

والإنسان الذي يمارس القسمين من العمل يطلق عليه اسم (الصالح - المصلح) ، والذي يقتصر على القسم الأول يطلق عليه اسم (الصالح) فقط . والقيام بأحد القسمين لا يغني عن الآخر ، لأن القسم الأول يفيد في النماء والتقدم ؛ بينما يفيد القسم الثاني في منع أسباب الفساد والتأخر .

والإنسان الصالح المصلح هو النموذج الذي تسعى التربية الإسلامية إلى إخراجه . ولذلك جاء في القرآن الكريم أن الخراب لا يلحق بالأمم التي تتكون من أفراد وجماعات صالحين مصلحين، ولكن الخراب ينزل بالأمم التي تضم أفرادًا وجماعات صالحين غير مصلحين . ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴾ (هود : آية ١١٧) ، ﴿ وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الأَرْضِ أُمَمًا مِّنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (الأعراف : ١٦٨) .

والمبدأ الثالث : أن (العمل الصالح) من حيث صفته ، ينقسم إلى قسمين : عمل أخلاقي ، وعمل ناجح .. واجتماع الصفتين أمر ضروري في التربية الإسلامية ، لأن العمل إذا كان أخلاقيًّا ولكن غير ناجح، لا يجلب منفعة ولا يدفع ضرراً، وإذا كان ناجحاً ولكن غير أخلاقي ، فإنه يجلب نفعاً مؤقتًا وضرراً . فإذا اجتمعت الصفتان فيه ، كان نافعاً غير ضار. وإلى صفة النجاح أشار علماء الإسلام باسم (الصواب) وأطلقوا على صفة (الأخلاق) اسم الإخلاص، واشترطوا أن يكون العمل صائباً مخلصاً ، فإذا كان صائبًا غير مخلص لم يقبل، وإذا كان مخلصا غير صائب لم يثمر (٢) .

لذلك لا يتصور أن يكون هناك (عمل صالح) غير ناجح ، والذين يؤولون حديث : " إنما الأعمال بالنيات" تأويلاً يفصل بين العمل ونتيجته ، هم أناس يتأولون الحديث على غير معناه . والذين يبررون الأخطاء ، والارتجال ، والقصور ، بأمثال القول : ليس ضروريًّا النجاح وتحقيق الأهداف ، وإنما المهم هو العمل ، هم أناس لا يرسخون في مفهوم العمل الصالح. ولا يحيطون بقوانينه .

والمبدأ الرابع : مبدأ النفعية ؛ أي أن العمل مقصود به منفعة العامل . فالتربية الإسلامية لا تتنكر لمبدأ النفعية أبداً ، والذين فصلوا بين العمل والمنفعة، هم إما أناس مغالون في المثاليات ، التي يصعب على الإنسان أن يعيشها ، أو أناس متأثرون بمفاهيم تعذيب النفس، وإيرادها المشقات التي احتوت عليها الأديان والفلسفات السابقة على الإسلام، أو أناس قصدوا أن يجردوا العمل الإسلامي من الدوافع التي تدفع إليه وترغب به . ولكن النفعية التي توجه إليها التربية الإسلامية نفعية أكثر اتصالاً بطبيعة الإنسان وفطرته وهي أشمل تلبية لحاجاته المادية والنفسية والاجتماعية ، وهي مرافقة له خلال الأطوار التي يمر بها خلال رحلته الأبدية، وهي خالية من المضاعفات السلبية التي تفرزها نفعية الفلسفات الأخرى، كالبراجماتية الأمريكية ، التي توفر النفعية في ميادين ، وتفرز الضرر في ميادين أخرى من حياة الإنسان .. وبالتالي فالنفعية التي توجه إليها التربية الإسلامية لا تقتصر على فرد أو جماعة ثم تلحق الضرر بفرد آخر أو جماعة أخرى .

والقرآن يقدم أمثلة عديدة لمنافع (العمل الصالح) فيذكر منها : الأمن ، والتمكين في الأرض ، والحياة

الطيبة، ووفرة البركات والخيرات، والدرجات العالية، والجزاء الحسن، والتمتع بنعم الله، والصحة النفسية والجسدية، والاطمئنان الاجتماعي، واليقين، ودخول الجنة، وغير ذلك.. وفي المقابل، يقدم أمثلة عديدة لمضار (العمل السوء)، فيذكر منها: المعيشة الضنك، والإجلاء من الأرض، وتمزيق المجتمعات والأمم، وسقوط المنزلة، والانهيار الاقتصادي، والدمار الاجتماعي، والاضطراب النفسي والفكري، والشقاق والفرقة، والأمراض النفسية والجسدية وغير ذلك. والأمثلة لكل من منافع العمل الصالح ومضار العمل السوء أكثر من أن تحصى، منها قوله تعالى:

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (النحل: ٩٧).

﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ﴾ (الجاثية: ٢١).

والمبدأ الخامس: هو ضرورة الإعداد والتدريب على (العمل الصالح)، وتوفير بيئته، ومؤسساته، وأساليبه، ووسائله إذ لا يتصور أن يبرز عمل صالح بدون إعداد وتربية شاملين ولذلك ورد (العمل الصالح) في القرآن والحديث مقروناً بالعلم والجهد المتواصل، وما يترتب عليهما من إيمان، بينما اقترن (العمل السوء) بالجهل والكسل، وما يفرزانه من كفر ونفاق وترف.

عناصر الإنسان الصالح المولدة (للعمل الصالح):

السؤال الذي نطرحه: كيف تعمل التربية الإسلامية على إخراج الإنسان الذي يقوم - (العمل الصالح) بكفاءة عالية؟

للإجابة عن هذا السؤال لا بد من أمرين:

الأول: تعريف العمل.

والثاني: كيف يتولد العمل.

أما عن الأمر الأول، فإن التربية الإسلامية تطلق اسم العمل على كل حركة مقرونة بهدف: "إنما الأعمال بالنيات" (٣) فكل حركة دون هدف لا تسمى عملاً. ولما كان الهدف خاصا بالإنسان، فإن القرآن أطلق اسم (العمل) على حركات الإنسان الهادفة لجلب الخير، ودفع الشر، أو العكس. أما الحركات غير الهادفة، كحركة الشمس، والقمر، والريح، فقد سماها جريانا.

فالعمل إذن: هو حركة وهدف. وبتعبير آخر، هو: قدرة وإرادة، فإذا وجدت القدرة، ووجدت إلى جانبها الإرادة، يتولد العمل.

وهنا يأتي سؤال آخر وهو: ما هي القدرة؟ وما هي الإرادة؟ وكيف يمكن تنمية كل منهما كمقدمة لتزاوجهما بغية تولد "العمل"؟

الجواب: القدرة نوعان: قدرة بمعنى الطاقة، وهذه يشترك بها الإنسان والحيوان، والجماد.. وقدرة تسخيرية، وهي القدرة على تسخير طاقات المخلوقات المحسوسة في الكون طبقاً للقوانين التي تنظم وجودها، ولما تمليه حاجات الإنسان في البقاء والرقي. وهذه قدرة خاصة بالإنسان، وهي التي يجري عليها التركيز في التربية الإسلامية، لأن إتقان هذه القدرة، يهيىء للإنسان المسلم أن يجسد مكانته كخليفة في الأرض، ويتحكم بقوانين الموجودات والأحداث من حوله، لما فيه بقاؤه ورقيه. ومن خلال هذه القدرة التسخيرية، يستيقن من قدرة الله، ومظاهر صنعه، ونعمته في الخلق.

والقدرة التسحيرية : هي ثمرة ترواح القدرات العقلية الناضجة مع الخبرات الدينية والاجتماعيه والكوبية المربية . أي : إن القدرة الستحيرية تولد من حلال النطر العقلي السليم في تاريح الأفكار والأحداث والأشحاص والأشياء ، والإحاطة بنشأتها، تم تطورها وواقعها .

أما الإرادة : فهي توجه رعبات الفرد نحو هدف معين . وهي أيضاً مما يمير الإنساں عں المحلوقات الأحرى . وتكون الإرادة سليمة حيں تتوحه رغبات الفرد بحو حاحاته الأساسية والعليا بالقدر والأسلوب اللدين يجلبان له النمع ويدفعان عنه الصرر في حياته ومصيره (٤) . وتطلق مصادر التربية الإسلامية – في القرآن والسنة – على نمادج الحاجات الحالبة للإنسان ماينفعه ، والدافعة عنه ما يصره في حياته وآخرته اسم : "المثل الأعلى" .

والإرادة هي ثمرة التراوح بين القدرات العقلية ، والمثل الأعلى المشار إليه . أي أن – الإرادة – تولد من حلال النظر العقلي السليم في مستويات المتل الأعلى التي تتضمن نمادح الحاجات التي تجلب للإنساں النفع، وتدفع عنه الصرر ، وتأحد بيده في مدارح البقاء والرقي (٥) .

من دلك كله يمكن القول : إن "العمل الصالح" الذي هو سمة الفرد الصالح ، هو ثمرة عدد معين من العمليات التربوية التي تتكامل حسب نسق معين، يمكن أن نوجزه في المعادلات التالية :

العمل الصالح = القـدرة التسخيريـــة + الإرادة العازمة.

الإرادة العازمة = القدرات العقلية الناضجة + المثل الأعلى

القدرة التسخيرية = القدرات العقلية الناضجة + الخبرات الدينية والاجتماعية والكونية المربية .

وجميـــع هـــذه العـــاصر التي تشتمـــل عليهـــا المعادلات المـذكورة أعلاه تنمـــو و تنصح بالتربيـــة والإعداد المناسبين .

لذلك لا تكتفي التربية الإسلامية بوعظ الإنساں لإتيان العمل الصالح ، وإنما يسبق الوعظ إحكام تنمية المكونات الأولى للعمل الصالح، أي تنمية القدرات العقلية، والوصول بها إلى درجة النضح ، تم المثل الأعلى، تم الخبرات الدينية والاجتماعية والكونية، تم المزاوجة بينها طبقا لقواعد معينة لتوحد المركبين الآحرين وهما : الإرادة العازمة ، والقدرة التسحرية باعتبارها جميعا ، حين ينضج ترسبها ، تنتهي إلى إنجاب "العمل الصالح" الذي هو الهدف الأخير للعملية التربوية .

وإحكام تنمية مكونات العمل الصالح، وتنسيقها، وإحكام التفاعل والمزاوجة بينها لإنجاب مركب (العمل الصالح) هو بعض مظاهر (طريقة الحكمة) في التربية الإسلامية ، التي وجه القرآن إلى ضرورة تعاملها مع كل من طريقة الوعظ وطريقة الجدال الأحسن .

☆ ☆ ☆

الحواهش:

(١) تم استعراض هذه العلاقات بالتفصيل في كتاب فلسفة التربيه الإسلامية للمؤلف الطبعة الثانية طبعة مكتبة هادي بمكة المكرمة ، فلتراجع هناك

(٢) دكتور ماجد عرساں الكيلاني ، تطور مفهوم النطرية التربوية الإسلامية ، (طبعة دار التراث بالمدينة المنورة ، ١٤٠٥-١٩٨٥م) ص ٢٠٧

(٣) حديث شريف في مطلع صحيح البخاري

(٤) للاطلاع على الحاجات الأساسية والعليا للإنساں راجع تفاصيل دلك في مناهج التربية الإسلامية وطرقها الذي سيصدر للمؤلف قريبا

(٥) البقاء والرقي هما المقاصد النهائية للتربية راجع - فلسفة التربية للمؤلف -

☆ ☆ ☆

كما يقولون.

الإنسان المسلم في كلّ مكان في الأرض عيناه تبكيان، وقلبه يذوب، وفؤاده يتفطر، ونفسه تتحطم، وضميـره يتألّم، ويئن بصورة لا يكاد يصفها بدقّةٍ قلمٌ بارعٌ أو لسانٌ ذَرِبٌ ، من هول ما يصيب المسلم – لأنه مسلم – من أذى جسماني ونفسي مُجَرَّدُ تصـوره يكفي أن يوقف خفقـان قلب الإنســان الـواعي الـذي يتمتع بـذرة من الإنسانية .

ولكن لا توجـد على وجـه الأرض حكومة إسلامية شامخة أبيـة غيـورة قويـة مستقلة في قراراتها، حرة في تصرفاتها ، تتحدى قوى الكفر والشيطان ، وتكيل لها الصاع صاعين ، تتناولها بضرب موجع ، وبلطمة مؤلمة أو بصفعة تحدث صداعاً في رأسها ووجعاً في أحشائها وتجعلها تفكر في جدية و دونما تأجيل في تغيير موقفها من الإسلام، التي جعلت منها لنفسها بقرة حلوباً، أو مطية طيعة، أو عبداً ذلولاً، أو جارية مهينة !!.

الإنسان المسلـم يـزداد شعـوره بـالألم الممض عندما يفكر في العـذاب والـذل اللذين يُصَبّان على المسلم في أقطار العالم ، وفي الوقت نفسه يرى أنه لا توجد هناك دولة إسلامية في معناها الصحيح الشامل الكامل تشعر بفداحة الأمر، وتفاقم الموقف، وسوء الخسارة، وشدة الألم ، وتقدر في نفس الحين على اتخاذ قرار رادع ضـد كل من يباشر عملية تعذيب الإنسان المسلم و امتهان كرامته من دول الكفر وقوى الشيطان وأتبـاع إبليس اللعيـن مـن اليهـود والنصارى والوثنيين والملاحـدة المتكبـرين، الذين تَجَمَّعوا على محاربة الإسلام والمسلمين رغم العداء الشديد فيما بينهم لأنهم يعتبرون الإسلام عدوهم المشترك.

ويزداد المسلم ألما على ألم عندما يرى أن الجاثمين على صدر الشعب المسلم في معظم البلاد العربية والإسلامية – من العلمانيين والشيوعيين والبعثيين والملاحدة المتغربين – لا يكتفون بالامتناع عن إغاثة المسلمين المعذبين في الأرض، وإنما يزيدون الطين بَلّةً بأنهم ينفذون في داخل بلادهم أسوأ أنواع علميات تعذيب الشعب المسلم وإهانته و إبادته وتشريده على المستوى الذي قـد يفـوق كماً و كيفاً مستوى اليهود والنصارى والوثنيين في تعذيب المسلم وتقتيله .. ولا غرابة في ذلك ما داموا هم تلاميذ بررة لهؤلاء الملاعين من أعداء الإسلام الأبديين، ولا يعجبهم الإسلام وأحكامه مثلما تعجبهم نظم الكفر ومناهج الإلحاد .

نور عالم خليل الأميني

الحج والعمرة ، فضلهما و منافعهما

(٢/٢)

بقلم الشيخ أشرف شعبان أبو أحمد / جمهورية مصر العربية

وعن منافع الحج والعمرة : قال تعالى (وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم) الحج ٢٦-٢٨ والمنافع التي يشهدها الحجيج كثيرة وكل جيل بحسب ظروفه وحاجاته وتجاربه ومقتضياته قال ابن عباس منافع الدنيا والآخرة أما منافع الدنيا فما يصيبون من منافع البدن والذبائح والتجارات وأما منافع الآخرة فرضوان الله تعالى ...(٤١) فالحج فرصة متاحة لتبادل المنافع التجارية على نطاق واسع بين المسلمين فأصحاب السلع والتجارة يجدون في موسم الحج سوقا رائجة حيث تجيء إلى البلد الحرام ثمرات كل شيء من أطراف الأرض ويقدم للحجيج من كل فج و من كل قطر ومعهم من خيرات بلادهم ما تفرق في أرجاء الأرض في شتى المواسم تتجمع كله في البلد الحرام في موسم واحد فهو موسم تجارة ومعرض نتاج وسوق عالمية تقام في كل عام ..(٤٢) مما يحمل الحجاج على اقتناء الهدايا ويندر أن يرجع حاج إلى بلدته غير محمل بكثير أو قليل منها ولهذا فهي تعتبر مصدر رزق للمشترى منه والمحمولة إليه ولا بأس للحاج أن يتاجر ويؤاجر ويتكسب وهو يؤدي أعمال الحج والعمرة قال ابن عباس إن الناس في أول الحج كانوا يتبايعون بمنى وعرفة وسوق ذي المجاز ومواسم الحج فخافوا البيع وهم حرم فأنزل الله تعالىٰ (ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم) البقرة ١٩٨ فأمروا أن يتجروا إذا أفاضوا من عرفات وعن أبي أمامه التيمي أنه قال لابن عمر. إني رجل أكري أي أؤجر الرواحل للركوب في هذا الوجه وإن ناسا يقولون لي إنه ليس لك حج فقال ابن عمر . أليس تحرم وتلبي وتطوف بالبيت و تفيض من عرفات و ترمي الجمار قال قلت بلى قال فإن لك حجا، جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عن مثل ما سألتني فسكت حتى نزلت هذه الآية (ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم) فأرسل إليه وقرأ عليه هذه الآية وقال (لك حج) رواه أبو داود وسعيد بن منصور ...(٤٣)كما تعتبر أشهر الحج و أوقات العمرة موسم انتعاش اقتصادي لشركات الملاحة والطيران والنقل البري والسياحة والجمعيات والنوادي والهيئات المنظمة لرحلات الحج و كذلك لمكاتب البريد والاتصالات السلكية ولمنتجي مستلزمات الحجاج ولجميع من يؤدون خدمات للحجيج وموسم للقضاء على البطالة وانتعاش لبعض أصحاب الحرف .

وفي الحج يجد المسلم إخوانا له من قارات الدنيا اختلفت أقاليمهم واختلفت ألوانهم واختلفت لغاتهم وجمعتهم رابطة الإيمان والإسلام ينشدون نشيدا واحدا لبيك اللهم لبيك . إن هذا الجمع العظيم له أكثر من معنى وأكثر من إيحاء إنه يحي في المسلم الأمل ويطرد عنه امل اليأس ويبعث الهمة ويشحذ العزم فالتجمع يوحي دائما بالقوة ويوقظ الآمال الغافية والذئب إنما يأكل من الغنم

الشاردة، إن هذا المؤتمر أعظم مذكر للمسلم بحق أخيه المسلم وإن تباعدت الديار وأعظم مذكر بأخوة الإسلام ورابطة الإيمان هذا المؤتمر هو الفرن العالي الذي تذوب في حرارته النزعات القومية والوطنية وتختفي فيه كل الشعارات والحسيات إلاّ شعاراً واحداً (انّما المؤمنون إخوة) الحجرات ١٠ فالحج مؤتمر جامع يوثق عرى الوحدة والمحبة بين المسلمين من شتى بقاع الأرض في هذا المؤتمر يلتقي رجال العلم ورجال الإصلاح ورجال السياسية فما أجدرهم وقد التقوا على هدف واحد أن يتعارفوا ويتفاهموا ويتعاونوا على تدبير أفضل الخطط وأحسن الوسائل ليبلغوا الهداف ويحققوا الآمال ولقد نبها الرسول الكريم إلى قيمة هذا المؤتمر حين اتخذ منه منبرا لإذاعة أهم القرارات والبلاغات التي تتصل بالسياسية العامة للمسلمين ففي أول سنة حج فيها المسلمون تحت إمارة أبي بكر بعث النبي صلى الله عليه وسلم وراءه عليا ليعلن على الناس إلغاء المعاهدات التي كانت بينه وبين المشركين الناكثين وأن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان وفي السنة التالية التي حج فيها الرسول صلى الله عليه وسلم بنفسه أعلن فيها على الجمهور خطبة البلاغ أو الوداع التي لخص فيها أهم مبادئ الإسلام ودستور الإسلام، ولقد عرف علماء الإسلام قيمة هذا المؤتمر فاتخذوا منه فرصة لتبادل الآراء وتعارف الأفكار ورواية الأحاديث والأخبار كما عرف الخلفاء قيمة هذا الموسم العالمي فجعلوا منه ساحة لقاء بينهم وبين أبناء الشعب القادمين من كل فج عميق و بينهم وبين ولاتهم في الأقاليم فمن كانت له مظلمة أو شكاية فليتقدم بها إلى الخليفة ذاته بلا وساطة ولا حجاب وهناك يواجه الشعب الوالي أمام الخليفة بلا تهيب ولا تحفظ فيغاث الملهوف وينصف المظلوم ويرد الحق إلى أهله ولو كان هذا الحق عند الوالي أو الخليفة، ومما ينبغي أن نذكره هنا أن هذا المؤتمر لم يكن فرصة للمسلمين وحدهم للتظلم من ولاتهم وطلب حقوقهم بل وجد فيه غير المسلمين ممن يعيشون في ظل دولة الإسلام هذا المعنى وتلك الفرصة وكلنا نعلم قصة ابن القبطي الذي سابق ابن والي مصر وفاتحها عمرو بن العاص فسبق القبطي فضربه ابن عمرو فأنهى أبوه مظلمته إلى عمر فاقتصه منه في موسم الحج على مرأى ومسمع من ألوف الحجيج ثم قال للوالي عمرو كلمته المشهورة أمام شهود المؤتمر الكبير (يا عمرو متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا؟) ...(٤٤) إن الحج يحقق توثيق الروابط الأخويه ويدعم وحده الأمة الإسلاميه إذ يجتمع في هذا المؤتمر المسلمون في صعيد واحد حول بيت الله العتيق لأداء مناسك الحج طائفين مصلين مهللين ملبين داعين عند سعيهم بين الصفا والمروة واقفين بصورة مشتركة في رحاب عرفات قد زالت بين شعوبهم فوارق الجنس واللون فوارق اللسان واللغة تتحد كلمة الإنسان في أعظم مؤتمر بشري مؤتمر كله خير وتشاور و تناصح وتعاون على البر والتقوى وعلى التواصي بالحق والتواصي بالصبر وتدعيم أواصر المودة والتآلف والتفاهم بين شعوبها مما تدرأ عن الأمة الإسلاميه المؤامرات العدوانية الحاقدة والعواصف الفكرية المتكررة ...(٤٥) وهنا في الحج نرى معنى المساواة في أحلى صورة و أتمها حيث تذوب جميع الفوارق الاجتماعية والامتيازات الطبقية والعصبات الجاهلية بين الناس فالجميع قد أطرحوا الملابس والأزياء المزخرفة التي تختلف باختلاف الأقطار واختلاف الطبقات واختلاف القدرات واختلاف الأذواق ولبسوا جميعا ذلك اللباس البسيط الذي هو أشبه ما يكون بأكفان الموتى يلبسه الملك والأمير كما يلبسه المسكين والفقير

وإنهم ليطوفون بالبيت جميعا فلا تفرق بين من يملك القناطير المقنطرة ومن لا يملك قوت يومه ويقفون في عرفات ألوفا. ألوفا فلا تحس بفقر فقير ولا غنى غني ولا تحس حين تراهم في ثيابهم البيض وفي موقفهم المزدحم العظيم إلا انهم أشبه بالناس في ساحة العرض الأكبر يوم يخرجون من الأحداث إلى ربهم ينسلون ...(٤٦) وليحذر المسلمون بعد انتهاء مناسك الحج من العودة إلى ممارسة انتماءاتهم الحزبية البغيضة أو عصبياتهم القبلية المنحرفة أو تحكيم أنظمتهم الجاهلية التي تشتت ترابطهم الفكري وتضعف شعورهم بأخوتهم الإيمانية فتبعدهم عن واجب الولاء لأمتهم الإسلامية الواحدة وأحذروا قول الله عز وجل (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم) آل عمران ١٠٥ ...(٤٧)

وفي الحج يعيش المسلم في حالة سلام مع نفسه ومع من حوله حتى مع أعدائه فهو رحلة سلام إلى أرض سلام في زمن سلام أرض الحج هي البلد الحرام والبيت الحرام الذي جعله الله مثابة للناس و أمنا حيث يوفر الأمن الشامل الذي أنعم الله به على عباده فقال (أو لم يروا أنا جعلنا حرما امنا و يتخطف الناس من حولهم) العنكبوت آية ٦٧ (ومن دخله كان آمنا) آل عمران ٩٧ والذي قال فيه عمر : لو وجدت فيه قاتل أبي ما مسته يدي إنها منطقة أمان فريد في نوعه تشمل الطير في الجو والصيد في البر والنبات في الأرض فهذه المنطقة لا يصاد صيدها ولايروع طيرها ولا حيوانها ولايقطع شجرها ولا حشائشها، ومعظم أعمال الحج يقع في شهرين ذي القعدة وذي الحجة من الأشهر الحرام التي جعلها الله هدنة إجبارية تغمد فيهاالسيوف وتحقن فيها الدماء ويوقف القتال (جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام

المائده ٩٧ والمسلم حين يحرم بالحج يظل فترة إحرامه في سلام حقيقي مع من حوله وما حوله فلا يجوز له أن يقطع نباتا أو يعضد شجرة كما لا يجوز له أن يذبح حيوانا صاده غيره له أو يرمي هو صيدا في الحرم أو خارجه قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد و أنتم حرم) المائدة ٩٥ وقال (حرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما) المائدة ٩٦ بل لا يجوز للمحرم أن يحلق شعر نفسه أو يقص ظفره حتى يتحلل من إحرامه فيقص ويحلق أو يقصر (٤٨) كما أشار القرآن إلى وجوب إقامة المجتمع الآمن في ربوع البيت الحرام ومنع الاقتتال فيه قال تعالى (ومن دخله كان آمنا) آل عمران ٩٧ كما يؤكد القرآن الكريم على أمن قاصدي منطقه الحرم ومنع التعرض لهم بأذى ومراعاة حرمة منطقه الحرم وذلك في قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدي ولا القلائد ولا آمين البيت الحرام يبتغون فضلا من ربهم و رضوانا وإذا حللتم فاصطادوا ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا و تعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب) المائدة ٢ وليعلم أن مجرد إرادة الظلم في البلد الحرام يستحق فاعله من الله سبحانه وتعالى العقوبه الأليمه فقد قال جل ثناؤه (ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم) الحج ٢٥ قال صلى الله عليه وسلم (لا يحل لأحدكم أن يحمل بمكة السلاح) رواه مسلم ...(٤٩) وفي السفر للحج ومفارقة الأهل والوطن والتضحيه بالراحة تربيه للمسلم على احتمال الشدائد والصبر على المكاره فهو يلتقي مع الصوم في إعداد المسلم للجهاد وحياة الحاج أشبه بحياة الكشاف في بساطتها وخشونتها حياة تنقل وارتحال واعتماد على النفس وبعد عن الترف والتكلف وقد تجلت هذه الحكمة

حين جعل اللّٰه الحج دائرا مع السنة القمرية فأشهر الحج المعلومات تبدأ بشهر شوال و تنتهي بذي الحجة وهي أشهر تأتي أحيانا في وقدة الصيف وأحيانا في زمهرير الشتاء ليكون المسلم على استعداد لتحمل كل الأحواء والاصطبار على كل ألوان الصعوبات ...(٥٠)

وهناك من الأحاديث الشريفة ما يدل على أن المتابعة بين العمرة والحج من مفاتيح الرزق ولبيان المقصود بالمتابعة بين الحج والعمره يقول الشيخ أبو الحسن السندي: اجعلوا أحدهما تابعا للآخر واقعا على عقبه أي إذا حججتم فاعتمروا وإذا اعتمرتم فحجوا فإنهما متتابعان . روي الأئمه أحمد والترمذي والنسائي وابن خزيمة وابن حبان عن عبد اللّٰه ابن مسعود رضي اللّٰه عنه قال: قال رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم (تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة وليس للحجة المبرورة ثواب إلا الجنة) ففي هذا الحديث الشريف بين الصادق المصدوق الناطق بالوحي أن ثمرة المتابعة بين الحج والعمرة زوال الفقر والذنوب وقد عنون الإمام ابن حبان على هذا الحديث في صحيحه بقوله : ذكر نفي الحج والعمرة الذنوب والفقر عن المسلم بهما وقال الإمام الطيبي في شرح قوله صلى اللّٰه عليه وسلم (فإنهما ينفيان الفقر والذنوب) إزالته للفقر كزيادة الصدقة للمال. ومنهما ما روي الإمام النسائي عن ابن عباس رضي اللّٰه عنهما قال: قال رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم (تابعوا بين الحج والعمرة فإنّهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديث) فعلى الراغبين في نفي الفقر والذنوب عنهم المبادرة إلى المتابعة بين الحج والعمرة ...(٥١)

الأضحية والضحية اسم لما يذبح من الإبل والبقر والغنم يوم النحر وأيام التشريق تقربا إلى اللّٰه تعالى سواء كان المكلف بها قائما بأعمال الحج أو لا باتفاق الشافعية والحنفية والحنابلة وخالف المالكيه فقالوا إنها لا تطلب من الحاج شرعت في السنة الثانية من الهجرة وثبت مشروعيتها بالكتاب والسنة والإجماع قال تعالى (إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر إن شانئك هو الأبتر) الكوثر والنحر هنا هو ذبح الضحية وروى مسلم عن أنس رضي اللّٰه عنه قال (ضحى النبي صلى اللّٰه عليه وسلم بكبشين أملحين أقرنين ذبحهما بيده و سمى و كبر ووضع رجله على صفاحهما) وقد أجمع المسلمون على مشروعيتها فضلها روى الترمذي عن عائشه أن النبي صلى اللّٰه عليه وسلم قال ما عمل آدمي من عمل يوم النحر أحب إلى اللّٰه من إهراق الدم إنها لتأتي يوم القيامة بقرونها وأشعارها و أظلافها و إن الدم ليقع من اللّٰه بمكان قبل أن يقع على الأرض فطيبوا بها نفسا) والأضحيه سنة عين مؤكدة يثاب فاعلها ولا يعاقب تاركها ويكره تركها مع القدرة عليها ...(٥٢) وقد شرعها اللّٰه عز وجل إحياء لذكرى إبراهيم وتوسعة على الناس يوم العيد كما قال الرسول صلى اللّٰه عليه وسلم (إنما هي أيام أكل و شرب وذكر اللّٰه عز وجل) ومن شروط الأضحية والهدي السلامة من العيوب فلا تجوز الأضحية بالمعيبة كما يشترط ألا تذبح إلا بعد طلوع الشمس من يوم العيد ويمر من الوقت قدر ما يصلى العيد و يصح ذبحها بعد ذلك في أي يوم من الأيام الثلاثة في ليل أو نهار ويخرج الوقت بانقضاء هذه الأيام فعن البراء رضي اللّٰه عنه عن النبي صلى اللّٰه عليه وسلم قال (إن أول ما نبدأ به في يومنا هذا أن نصلي ثم نرجع فننحر فمن فعل ذلك فقد أصاب سنتنا ومن ذبح قبل فإنما هو لحم قدمه لأهله ليس من النسك في شيء) ...(٥٣) وعند مالك وأحمد وقت ذبح الهدي سواء أكان ذبح الهدي واجبا أم تطوعا أيام النحر وهذا

رأي الأحناف بالسنة لهدي التمتع والقران وأما دم النذر والكفارات والتطوع فيذبح في أي وقت وحكي عن أبي سلمة بن عبد الرحمن والنخعي وقتها من يوم النحر إلى آخر ذي الحجة أما وقت الذبح عند الشافعية هو يوم النحر وأيام التشريق فإن فات وقته ذبح الهدي الواجب قضاء ..(٥٤)

وإذا ضحى الإنسان بشاة من الضأن أو المعز أجزأت عنه وعن أهل بيته وتجوز المشاركة في الأضحية إذا كانت من الإبل أو البقر وتجزئ البقرة أو الجمل عن سبعة أشخاص إذا كانوا قاصدين الأضحية والتقرب إلى الله فعن جابر قال (نحرنا مع النبي صلى الله عليه وسلم بالحديبية البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة رواه مسلم و أبو داود والترمذي. ويسن للمضحي أن يأكل من أضحيته ويهدي الأقارب ويتصدق منها على الفقراء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (كلوا و أطعموا و ادخروا) وقد قال العلماء: الفضل أن يأكل الثلث ويتصدق بالثلث ويدخر الثلث ويجوز نقلها ولو إلى بلد آخر ولا يجوز بيعها ولا بيع جلدها ولا يعطى الجزار من لحمها شيئا كأجر وله أن يكافئه نظير عمله وإنما يتصدق به المضحي أو يتخذ منه ما ينتفع به وعند أبي حنيفة أنه يجوز بيع جلدها ويتصدق بثمنه و أن يشتري بعينه ما ينتفع به في البيت ...(٥٥) وقد أمر الله بالأكل من لحوم الهدي فقال (فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير) سورة الحج آية ٣٦ وهذا الأمر يتناول بظاهره هدي الواجب وهدي التطوع وقد اختلف فقهاء الأمصار في ذلك فذهب أبو حنيفة وأحمد إلى جواز الأكل من هدي المتعة وهدي القران وهدي التطوع ولا يأكل مما سواها وقال مالك يأكل من الهدي الذي ساقه لفساد حجه ولفوات الحج ومن هدي المتمتع ومن الهدي كله إلا فدية الأذى وجزاء الصيد و ما نذره للمساكين وهدي التطوع إذا عطب قبل محله. وعند الشافعي لا يجوز الأكل من الهدي الواجب مثل الدم الواجب في جزاء الصيد و إفساد الحج وهدي التمتع والقران وكذلك ما كان نذرا أوجبه على نفسه أما ما كان تطوعا فله أن يأكل منه ويهدي ويتصدق، وللمهدي أن يأكل من هديه الذي يباح له الأكل منه أي مقدار يشاء أن يأكله بلا تحديد وله كذلك أن يهدي أو يتصدق بما يراه وقيل يأكل النصف ويتصدق بالنصف و قيل يقسمه أثلاثا فيأكل الثلث ويهدي الثلث ويتصدق بالثلث ..(٥٦)

ويسن لمن يحسن الذبح أن يذبح أضحيته بيده فإن كان لا يحسن الذبح فليشهده ويحضره فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال لفاطمة (يا فاطمة قومي فاشهدي أضحيتك فإنه يغفر لك عند أول قطرة من دمها كل ذنب عملته وقولي (إن صلاتي و نسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له و بذلك أمرت و أنا أول المسلمين) فقال أحد الصحابة: يا رسول الله هذا لك ولأهل بيتك خاصة أو للمسلمين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (بل للمسلمين عامة) ...(٥٧)

وتوزع كل عام مئات الألوف من الضحية على البلدان الفقيرة حيث تقوم المملكة العربية السعودية للاستفادة من لحوم الهدي والأضاحي بتوزيع هذه الكميات والتي تبلغ عدة مئات من الألوف على الفقراء هناك ويتم شحن باقي الكميات جوا وبرا وبحرا إلى عدد من البلدان الإسلامية ويستفاد من هذا المشروع حوالي ٢٣ دولة إسلامية في أفريقيا وآسيا هم البوسنة باكستان جيبوتي بنجلا ديش الأردن تشاد لبنان موريتانيا مالي بوركينا فاسو مصر السنغال الصومال جامبيا سوريا النيجر سيراليون غينيا بيساو غينياكوناكري تنزانيا جزر القمر كينيا موزمبيق وكل عام يتم التوسع في هذا المشروع ليستفيد

منه أكبر قدر من المسلمين .

الهدى هو ما يهدى من النعم إلى الحرم تقربا إلى الله عز وجل قال تعالى (والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم) الحج ٣٦-٣٧ وقال عمر رضي الله عنه أهدوا فإن الله يحب الهدي وأهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة من الإبل وكان هديه تطوعا. وقد أجمع العلماء على أن الهدي لا يكون إلا من النعم واتفقوا على أن الأفضل الإبل ثم البقر ثم الغنم وللمرء أن يهدي للحرم ما يشاء من النعم وأقل ما يجزئ عن الواحد شاة أو سبع بدنة أو سبع بقرة فإن البقرة أو البدنة تجزئ عن سبعة شياه ولا تجب البدنة إلا إذا طاف للزيارة جنبا أو حائضاً أو نفساء أو جامع بعد الوقوف بعرفة وقبل الحلق أو نذر بدنة أو جزورا ومن لم يجد بدنة فعليه أن يشتري سبع شياه .

وينقسم الهدي إلى مستحب وواجب فالهدي المستحب للحاج المفرد والمعتمر المفرد والهدي الواجب أقسامه كالآتي واجب على القارن والمتمتع. واجب على من ترك واجبا من واجبات الحج كالإحرام من الميقات و رمي الجمار والجمع بين الليل والنهار في الوقوف بعرفة والمبيت بالمزدلفة أو منى أو ترك طواف الوداع ...(٥٨) والفدية هنا ذبح شاة فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة بعد العودة كما انه واجب على من ارتكب محظورا من المحظورات الآتية لبس المخيط أو المحيط للرجال تغطية الرجل رأسه والأنثى وجهها استعمال الطيب دهن شعر الرأس أو اللحية بأي نوع من الدهان إزالة أكثر من شعرتين من الرأس أو الجسد أو أكثر من ظفرين إن كان ذلك عمدا، مقدمات الجماع كالقبلة والمباشرة وكذلك الملامسة التي تنقض الوضوء والنظر بشهوة أو التفكير إن أعقبه إنزال وكذلك الاستمناء والفدية هنا ذبح شاة أو إطعام ستة مساكين أو صيام ثلاثة أيام ...(٥٩) وواجب بالجناية على الحرم كالتعرض لصيده أو قطع شجره ...(٦٠) فلا يجوز الصيد في الحرم مطلقا حتى ولو كان الصائد غيرمحرم وصيد الحرم يحرم أكله أو الانتفاع به وكذلك لا يجوز للمحرم أن يصطاد حيوانا أو يتلفه خارج الحرم قبل أن يتحلل ...(٦١) قال تعالى (يأيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد و أنتم حرم و من قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذو عدل منكم هديا بالغ الكعبة أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياما ليذوق وبال أمره عفا الله عما سلف ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام) المائدة ٩٥ قال ابن كثير الذي عليه الجمهور أن العامد والناسي سواء في وجوب الجزاء عليه، و روى سعيد بن منصور عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى (فجزاء مثل ما قتل من النعم) قال : إذا أصاب المحرم صيدا حكم عليه بجزائه فإن كان عنده جزاء ذبحه وتصدق بلحمه وإن لم يكن عنده جزاؤه قوم جزاؤه دراهم ثم قومت الدراهم طعاما فصام عن كل نصف صاع يوما ...(٦٢) فمن فعل ذلك وجبت عليه الفدية على الترتيب التالي أن يذبح مثل الصيد من النعم ويتصدق به على فقراء الحرم أن يشتري بقيمته طعاما يتصدق به لكل مسكين ما يوازي نصف صاع من القمح أن يصوم أياما بعدد المساكين الواجب إطعامهم فلو كانت القيمة توازي صاعين من القمح مثلا صام أربعة أيام ولا يلزم في هذا الصيام التتابع هذا إن كان الصيد غير مملوك لأحد أما إن كان مملوكا للغير فعليه مثلان للمصيد أحدهما الجزاء المتقدم والثاني العوض لمالكه وتنطق

هده الأمور على شجر الحرم وحشيشه فمن قطع أو أتلف منها شيئا وجبت عليه الفدية بالدبح أو الإطعام بقيمة ما أتلفه أو الصيام ...(٦٣) ولأصحاب المداهب الفقهية آراء أكثر تفصيلا وتوضيحا لموجبات الهدى في شتى مناسك الحج والعمرة مند بداية التلبية وحتى نهاية طواف الإفاضة ولذا يعتبر الهدى مصدر للرزق لمن يستفيد منها. فعلى سبيل المثال لا الحصر يرى الأحناف يلزم ترك التلبية دم وكذلك مشهور مذهب مالك أنها واجبة يلزم بتركها أو ترك اتصالها بالإحرام مع الطول دم (٦٤) وعن الحسن في الحجامة فدية وإن لم يقطع شعرا .. (٦٥) ومن تعمد إصابة شيء من طيب الكعبة أو أصابه و أمكنه غسله ولم يبادر إليه فقد أساء وعليه الفدية عند الشافعية، وإن بقيت رائحة الطيب في الأكل وجبت الفدية بأكله عند الشافعية ...(٦٦) وفي بطلان الحج بالجماع أفتى علي وعمر وأبو هريرة رضي الله عنهم رجلا أصاب أهله وهو محرم بالحج فقالوا ينفذان لوجههما حتى يقضيا حجهما ثم عليهما حج قابل والهدي وقال أبو العباس الطبري: إذا جامع المحرم قبل التحلل الأول فسد حجه سواء أكان ذلك قبل الوقوف بعرفة أو بعده ويجب عليه أن يمضي في فاسده ويجب عليه بدنة والقضاء من قابل فإن كانت المرأة محرمة مطاوعة فعليها المضي في الحج والقضاء من قابل وكذا الهدي عند أكثر أهل العلم وذهب بعضهم إلى أن الواجب عليهما هدي واحد وهو قول عطاء

قال البغوي في شرح السنة وهو أشهر قولي الشافعي ويكون على الرجل كما قال في كفارة الجماع في نهار رمضان وإذا خرجا في القضاء تفرقا حيث وقع الجماع حذرا من مثل وقوع الأول وإذا عجز عن البدنة وجب عليه بقرة فإن عجز فسبع من الغنم فإن عجز قوم البدنة بالدراهم والدراهم طعاما وتصدق به لكل مسكين مد فإن لم يستطع صام عن كل مد يوما. وقال أصحاب الرأي إن جامع قبل الوقوف بعرفة فسد حجه وعليه شاة أو سبع بدنة وإن جامع بعده لم يفسد حجه وعليه بدنة. والقارن إذا أفسد حجه يجب عليه ما يجب على المفرد ويقضي قارنا ولا يسقط عنه هدي القران قال والجماع الواقع بعد التحلل الأول لا يفسد الحج ولا قضاء عليه عند أكثر أهل العلم وذهب بعضهم إلى وجوب القضاء وهو قول ابن عمر وقول الحسن وإبراهيم ويجب به الفدية وتلك الفدية بدنة أو شاة ؟ اختلف فيه فذهب ابن عباس وعطاء إلى وجوب البدنة وهو قول عكرمة وأحد قولي الشافعي، والقول الآخر يجب عليه شاة وهو مذهب مالك. وإذا احتلم محرم أو فكر أو نظر فأنزل فلا شيء عليه عند الشافعية وقالوا فيمن لمس بشهوة أو قبل يلزمه شاة سواء أنزل أم لم ينزل وعند ابن عباس رضي الله عنهما أن عليه دما .. (٦٧)

ويرى الحنفية أن الطهارة من الحدث في الطواف ليس شرطا وإنما هي واجب يجبر بالدم فلو كان محدثا حدثا أصغر وطاف صح طوافه ولزمه شاة وإن طاف جنبا أو حائضا صح ولزمه بدنة ويعيده مادام بمكة ...(٦٨) وذهب أبو حنيفة والثوري والحسن إلى أن السعي بين الصفا والمروة واجب وليس بركن لا يبطل الحج أو العمرة بتركه وأنه إذا تركه وجب عليه دم ورجح صاحب المغني هذا الرأي ...(٦٩) وقالت الأحناف الواجب هو الحضور بالمزدلفة قبل فجر يوم النحر فلو ترك الحضور لزمه دم إلا إذا كان له عذر فإنه لا يجب عليه الحضور ولا شيء عليه حينئذ ...(٧٠) وذهب أبو حنيفة إلى أنه إن لم يراع الترتيب الآتي في أعمال يوم النحر يبدأ بالرمي ثم الذبح ثم الحلق ثم الطواف بالبيت فقدم نسكا على نسك فعليه دم ...(١١) وقد اختلف جمهور الفقهاء في حكم الحلق أو

التقصير فذهب أكثرهم إلى أنه واجب يجبر تركه بدم وذهبت الشافعية إلى أنه ركن من أركان الحج ...(٧٢) و جمهور العلماء يرى أن طواف الإفاضة سبعة أشواط ويرى أبوحنيفة أن ركن الحج من ذلك أربعة أشواط لو تركها الحاج بطل حجه وأما الثلاثة الباقية فهي واجبة وليست بركن ولو ترك الحاج هذه الثلاثة أو واحدا منها فقد ترك واجبا ولم يبطل حجه وعليه دم وعند أبي حنيفة ومالك أن وقته يدخل بطلوع فجر يوم النحر واختلفا في آخر وقته فعند أبي حنيفة يجب فعله في أي يوم من أيام النحر فإن أخّره لزمه دم وقال مالك لا بأس بتأخيره إلى آخر أيام التشريق وتعجيله أفضل ويمتد وقته إلى آخر شهر ذي الحجة فإن أخره عن ذلك لزمه دم وصح حجه لأن جميع ذي الحجة عنده من أشهر الحج ...(٧٣) وقالت الأحناف والحنابلة ورواية عن الشافعي إن طواف الوداع واجب يلزم بتركه دم ...(٧٤) و لإعلام الناس إن هذا الهدي قرابين تساق إلى بيت الله تذبح له ويتقرب بها إليه يجعل في عنق الهدي قطعة جلد ونحوها ليعرف بها أنه هدي ويسمى هذا التقليد كما يشق أحد جنبي سنام البدنة أو البقرة إن كان لها سنام حتى يسيل دمها ويجعل ذلك علامة لكونها هديا فلا يتعرض لها ويسمى هذا الإشعار ...(٧٥)

المراجع

(٤١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج٣ ص ٢١٦

(٤٢) في ظلال القرآن سيد قطب ج٤ ص ٢٤١٩ - ص ٢٤٢٠

(٤٣) فقه السنة السيد سابق ج١ ص ٦٤١

(٤٤) العادة في الإسلام يوسف القرضاوي ص ٣٠٨ و ٣٠٩

(٤٥) مجلة الحج العدد الثامن للسنة الرابعة والخمسون صفر ١٤٢٠هـ / يوليه ١٩٩٩م ص ٤١

(٤٦) العادة في الإسلام يوسف القرضاوي ص ٣٠٦

(٤٧) مجلة الحج العدد الثامن للسنة الرابعة والخمسون صفر ١٤٢٠هـ يوليه ١٩٩٩م ص ٤١

(٤٨) العادة في الإسلام يوسف القرضاوي ص ٣٠٧

(٤٩) مجلة الحج العدد الثامن للسنة الرابعة والخمسون صفر ١٤٢٠هـ يوليه ١٩٩٩م ص ٣٩

(٥٠) العادة في الإسلام يوسف القرضاوي ص ٣٠٢

(٥١) مفاتيح الرزق في ضوء الكتاب والسنة فضل إلهي من ص ٤٧ - ٥٠

(٥٢) الفقه على المذاهب الأربعة عبد الرحمن الجزيري ج١ ص ٧١٥

(٥٣) فقه السنة السيد سابق ج١ من ص ٣١٧-٣٢٥

(٥٤) فقه السنة السيد سابق ج١ ص ٧٤٠

(٥٥) فقه السنة السيد سابق ج١ من ص ٣١٧-٣٢٥

(٥٦) فقه السنة السيد سابق ج١ ص ٧٤٢

(٥٧) فقه السنة السيد سابق ج١ من ص ٣١٧-٣٢٥

(٥٨) فقه السنة السيد سابق ج١ ص ٧٣٦-٧٣٨

(٥٩) الإسلام و أركانه ياسين محمد رشدي ص ١٦٩

(٦٠) فقه السنة السيد سابق ج١ ص ٧٣٨

(٦١) الإسلام وأركانه ياسين محمد رشدي ص ١٦٩

(٦٢) فقه السنة السيد سابق ج١ ص ٦٨٤-٦٨٥

(٦٣) الإسلام و أركانه ياسين محمد رشدي ص ١٧٠

(٦٤) فقه السنة السيد سابق ج١ ص ٦٦١

(٦٥) فقه السنة السيد سابق ج١ ص ٦٦٥

(٦٦) فقه السنة السيد سابق ج١ ص ٦٧٢

(٦٧) فقه السنة السيد سابق ج١ ص ٦٨٢ - ٦٨٣

(٦٨) فقه السنة السيد سابق ج١ ص ٦٩٦

(٦٩) فقه السنة السيد سابق ج١ ص ٧٠٩

(٧٠) فقه السنة السيد سابق ج١ ص ٧٢٤

(٧١) فقه السنة السيد سابق ج١ ص ٧٢٦

(٧٢) فقه السنة السيد سابق ج١ ص ٧٤٢

(٧٣) فقه السنة السيد سابق ج١ ص ٧٤٦

(٧٤) فقه السنة السيد سابق ج١ ص ٧٥٢

(٧٥) فقه السنة السيد سابق ج١ ص ٧٣٩

☆ ☆ ☆

☆ ☆

بيان من اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية

بشأن المجلات الخليعة ومخاطرها

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وبعد.

فقد أصيب المسلمون في هذا العصر بمحن عظيمة وأحاطت بهم الفتن من كل جانب، ووقع كثير من المسلمين فيها، وظهرت المنكرات، واشتغل الناس بالمعاصي بلا خوف ولا حياء، وسبب ذلك كله التهاون بدين الله وعدم تعظيم حدوده وشريعته وغفلة كثير من المصلحين عن القيام بشرع الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإنه لا خلاص للمسلمين ولا نجاة لهم من هذه المصائب والفتن إلا بالتوبة الصادقة إلى الله تعالى وتعظيم أوامره ونواهيه، والأخذ على أيدي السفهاء، وأطرهم على الحق أطرا.

وإن من أعظم الفتن التي ظهرت في عصرنا هذا ما يقوم به تجار الفساد وسماسرة الرذيلة ومحبو إشاعة الفاحشة في المؤمنين: من إصدار مجلات خبيثة تحاد الله ورسوله في أمره ونهيه فتحمل بين صفحاتها أنواعا من الصور العارية والوجوه الفاتنة المثيرة للشهوات، الجالبة للفساد. وقد ثبت بالاستقراء أن هذه المجلات مشتملة على أساليب عديدة في الدعاية إلى الفسوق والفجور وإثارة الشهوات وترويجها فيما حرمه الله ورسوله ومن ذلك أن فيها:

١- الصور الفاتنة على أغلفة تلك المجلات وفي باطنها.

٢- النساء في كامل زينتهن يحملن الفتنة ويغرين بها

٣- الأقوال الساقطة الماجنة، والكلمات المنظومة والمنثورة، البعيدة عن الحياء والفضيلة، الهادمة للأخلاق المفسدة للأمة.

٤- القصص الغرامية المحرمة، وأخبار الممثلين والممثلات والراقصين والراقصات من الفاسقين والفاسقات.

٥- في هذه المجلات الدعوة الصريحة إلى التبرج والسفور واختلاط الجنسين وتمزيق الحجاب

٦- عرض الألبسة الفاتنة الكاسية العارية على نساء المؤمنين لإغرائهن بالعري والخلاعة والتشبه بالبغايا والفاجرات

٧- في هذه المجلات العناق والضم والقبلات بين الرجال والنساء

٨- في هذه المجلات المقالات الملتهبة التي تثير مواطن الغريزة الجنسية في نفوس الشباب والشابات فتدفعهم بقوة لسلوك طريق الغواية والانحراف والوقوع في الفواحش والآثام والعشق والغرام

فكم شغف بهذه المجلات السامة من شباب و شابات فهلكوا بسببها وخرجوا عن حدود الفطرة والدين.

ولقد غيّرت هذه المجلات في أذهان كثير من الناس كثيرا من أحكام الشريعة ومبادئ الفطرة السليمة بسبب ما تبثه من مقالات و مطارحات

واستمرأ كثير من الناس المعاصي والفواحش وتعدي حدود الله بسبب الركون إلى هذه المجلات واستيلائها على عقولهم وأفكارهم.

والحاصل: هذه المجلات قوامها التجارة بجسد المرأة التي أسعفها الشيطان بجميع أسباب الإغراء ووسائل الفتنة للوصول إلى: نشر الإباحية، وهتك

الحرمات ، وإفساد نساء المؤمنين، وتحويل المجتمعات الإسلامية إلى قطعان بهيمية لا تعرف معروفاً ولا تنكر منكراً، ولا تقيم لشرع الله المطهر وزناً ولا ترفع به رأساً كما هو الحال في كثير من المجتمعات بل وصل الأمر ببعضها إلى التمتع بالجنسين عن طريق العري الكامل فيما يسمونه (مُدُنُ العُراة) عياذاً بالله من انتكاس الفطرة والوقوع فيما حرمه الله ورسوله. هذا وإنه بناء على ما تقدم ذكره من واقع هذه المجلات و معرفة آثارها وأهدافها السيئة وكثرة ما يرد إلى اللجنة من تذمر الغيورين من العلماء وطلبة العلم وعامة المسلمين من انتشار عرض هذه المجلات في المكتبات والبقالات والأسواق التجارية فإن اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ترى ما يلي :

أولاً : يحرم إصدار مثل هذه المجلات الهابطة سواء كانت مجلات عامة ، أو خاصة بالأزياء النسائية ، ومن فعل ذلك فله نصيب من قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِيْنَ يُحِبُّوْنَ أَنْ تَشِيْعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِيْنَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيْمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴾ . الآية .

ثانياً : يحرم العمل في هذه المجلات على أي وجه كان سواء كان العمل في إدارتها أو تحريرها أو طباعتها أو توزيعها ؛ لأن ذلك من الإعانة على الإثم والباطل والفساد والله جل وعلا يقول ﴿ وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوانِ وَاتَّقُوْا اللّٰهَ إِنَّ اللّٰهَ شَدِيْدُ الْعِقَابِ ﴾.

ثالثاً : تحرم الدعاية لهذه المجلات وترويجها بأية وسيلة، لأن ذلك من الدلالة على الشر والدعوة إليه ، وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (من دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا) أخرجه مسلم في صحيحه.

رابعاً : يحرم بيع هذه المجلات ، والكسب الحاصل من ورائها كسب حرام ، ومن وقع في شيء من ذلك وجب عليه التوبة إلى الله تعالى والتخلص من هذا الكسب الخبيث .

خامساً : يحرم على المسلم شراء هذه المجلات واقتناؤها لما فيها من الفتنة والمنكرات ، كما أن في شرائها تقوية لنفوذ أصحاب هذه المجلات ورفعا لرصيدهم المالي وتشجيعاً لهم على الإنتاج والترويج وعلى المسلم أيضا أن يحذر من تمكين أهل بيته ذكورا وإناثا من هذه المجلات حفظاً لهم من الفتنة والافتتان بها وليعلم المسلم أنه راع ومسئول عن رعيته يوم القيامة

سادساً : على المسلم أن يغض بصره عن النظر في تلك المجلات الفاسدة طاعة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم وبعدا عن الفتنة ومواقعها وعلى الإنسان ألا يدعي العصمة لنفسه ، فقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم. وقال الإمام أحمد – رحمه الله تعالى – : كم نظرة ألقت في قلب صاحبها البلاء. فمن تعلّق بما في تلك المجلات من صور وغيرها أفسدت عليه قلبه وحياته وصرفته إلى ما لا نفعه في دنياه وآخرته ، لأن صلاح القلب وحياته إنما هو في التعلق بالله جل جلاله وعبادته وحلاوة مناجاته والإخلاص له وامتلاؤه بحبه سبحانه .

سابعاً : يجب على من ولاه الله على أي من بلاد الإسلام أن ينصح للمسلمين وأن يجنبهم الفساد وأهله ويباعدهم عن كل ما يضرهم في دينهم ودنياهم . ومن ذلك منع هذه المجلات المفسدة من النشر والتوزيع وكف شرها عنهم ، وهذا من نصر الله ودينه ، ومن أسباب الفلاح والنجاح والتمكين في الأرض كما قال الله سبحانه : ﴿ وَلَيَنْصُرَنَّ اللّٰهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللّٰهَ لَقَوِيٌّ عَزِيْزٌ الَّذِيْنَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوْا الصَّلاَةَ وَ آتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوْا بِالْمَعْرُوْفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلّٰهِ عَاقِبَةُ الْأُمُوْرِ ﴾

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين

(اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ، المملكة العربية السعودية)

الإسلام و العقلانية

[الحلقة ٤٧]

بقلم : الشيخ الجليل المربي الكبير العلامة أشرف علي التهانوي
المعروف بـ " حكيم الأمة " المتوفى ١٣٦٢هـ / ١٩٤٣م
تعريب : أبو أسامة نور

الخطأ السابع

الخطأ السابع الذي يرتكبه أبناء العصر فيما يتعلّق بالنبوة ، هو أنّ بعضهم لايرون حاجة إلى الإيمان بالنبوّة ، وبناءً على ذلك يقولون بنجاة من ينكرون النبوة

وذلك خطأ فاحش جدّاً ؛ لأنه يتعلّق بصميم العقيدة، وكونه خطأً ثابت بالعقل والنقل معاً . والذين يرتكبون هذا الخطأ وقعوا فريسة للظن بأنّ الدين إنما يقوم أصلاً على معرفة الله تعالى ، وبما أنّ الأنبياء عليهم السلام إنما بُعِثوا ليعرّفوا العباد بالله تعالى ؛ فالذي عرف الله بنفسه ، ووَحَّدَه ، لم يعد بحاجة إلى الإيمان بالنبوة.

إن كثيراً من المثقفين يقعون فريسة لهذا الخطأ وربّما تُعقد حفلات تأبين على موت بعض الكفرة ، فيُدعى لهم فيها بالمغفرة ، وتُنشرُ أنباء عنه في الصحف والمجلات، فتُكتب مع أسمائهم كلمات " المرحوم " و" المغفور " وما إلى ذلك . ومن يستنكر ذلك يتهمونه بالتعصب

ولذلك رأينا من الواجب أن نعرّي خطأ من لا يرى حاجة إلى الإيمان بالنبوّة .

فنقول : إن خطأ هذا الاعتقاد ثابت أولاً بالنقل ؛ حيث جاء في كثير من الآيات أنّ الكافرين بالنبوة يخلدون في النار، ونكتفي هنا بذكر آيتين منها يقول تعالىٰ :

١ - " إنّ الَّذِيْنَ يَكْفُرُوْنَ باللّٰهِ ورُسُلِه يُرِيْدُوْنَ أنْ يُفَرِّقُوْا بَيْنَ اللّٰهِ ورُسُلِه ويَقُوْلُوْنَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَ نَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيْدُوْنَ أن يَّتَّخِذُوْا بَيْنَ ذٰلِكَ سَبِيْلاً أُوْلٰئِكَ هُمُ الْكٰفِرُوْن حقًّا و أَعْتَدْنا لِلْكٰفِرِيْنَ عَذَابًا مُّهِيْنًا" (النساء / ١٥٠)

ومهما كانت الآية لم تتضمّن كلمات خلود الكافرين في النار، فإنّها نصّت على أن اللّٰه تعالىٰ أعدّ للكافرين عذاباً مهيناً، على أن هناك مئات من الآيات نصّت على خلود الكافرين في النار، مثلاً :

" والَّذِيْنَ كَفَرُوْا وَكَذَّبوا بِآيٰتِنَا أُوْلٰئِكَ أَصْحٰبُ النَّارِ هم فيها خٰلِدُوْنَ" (البقرة / ٣٩)

وما إلى ذلك من الآيات الكثيرة التي هي معلومة.

٢ - "وَسِيقَ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا إِلىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا، حَتّٰى إِذَا جَاؤُوْهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُها أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُوْنَ عَلَيْكُمْ آيٰتِ رَبِّكُمْ و يُنْذِرُوْنَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هٰذَا، قَالُوْا بَلىٰ وَلٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكٰفِرِيْنَ، قِيْلَ ادْخُلُوْا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خٰلِدِيْنَ فِيْهَا، فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِيْنَ" (الزمر / ٧١-٧٢)

آيات كثيرة تنصّ على أن الكفر بالرسل كفر بالله

فهناك عدد كبير من الآيات تنصّ على أنّ الكفر

الفصحى والعامية في وسائل الإعلام(*)

بقلم الأديب والناقد العربي الكبير سعادة الدكتور يوسف عز الدين

مما لا جدال فيه وجود صراع واضح الأثر بين العامية والفصحى في مختلف مضامير الحياة اليومية، ونجد ذلك في المدارس والجامعات ووسائل الإعلام، وهي ساحات لحماية الفصحى والذود عنها، لأن العامية داء استشرى بين العرب

بدأت الظاهرة منذ بداية عصر النهضة وأحس بها الغياري ودافعوا عن الفصحى، مثل الرافعي وحافظ إبراهيم وغيرهما، وقد عُرِفَ من دعاتها وليم سبيتا الذي أراد إثبات رأيه فوضع كتابه (قواعد اللغة العامية في مصر) وطالب أن تكون العامية لغة الآداب والعلوم والفنون، ورأى الفصحى محدودة في المفردات، وظن أن هناك اختلافاً كبيراً بينها وبين العاميه، وقال بأن الفصحى تؤخر الحضارة، وفاته أنها اللغة التي دامت طوال القرون الطويلة واستوعبت ثقافات الأمم وحضارات العالم وازدهرت بها، وما زال نفهم الكثير من الأدب الجاهلي والإسلامي والأموي بيسر وسهولة، وأن الإنجليز اليوم لا يفهمون لغة جوسر CHAUCER ولا لغة شكسبير ولغة كتابهم إلاّ بوساطة المعاجم، على الرغم من قصر عمر الإنجليزية واللغات الأخرى . واضطرت الشعوب العربية إلى التخلص من اللاتينية واستعمال اللغة الشعبية للبعد الكبير بينها وبين الإيطالية والفرنسية والأسبانية .

دعاة العامية :

وجاء ولككس WILCOKS الذي كان في دعوته يهاجم الفصحى ويسخف اللغة العربية، ويزعم أنها عاجزة عن مسايرة ركب الحياة الحديثة وادعى بأن الشعب المصري تأخر لأنه لم يستعمل العامية وعاقته الفصحى عن الابتكار والاختراع، ونشر إعلاناً في (مجلة الأزهر) يغري فيه باتخاذ العاميه لغة للكتابة والأدب قال فيه (من قدم لنا هذه الخطبة باللغه الدارجة المصريه وكانت موافقة حدًّا يكافأ بإعطائه أربعة جنيهات (أفرنكة) وإن كثر المتقدمون يعطى هذا المبلغ لمن يحوز الأولية) (١)

والدعوة إلى العامية استمرت في كتابة الغربيين والعرب ومن الغربيين كارل فوللرس الألماني FULLERS ت ١٩٠٩م الذي هاجم الفصحى لأنها جامدة فلم تساعد المصريين على النهضة الفكرية والتقدم الحضاري، وحسبها كاللاتينية التي ماتت، فألف كتاب (اللهجة العامة في مصر) ١٨٩٠م كما ألف سلدن ولمور الإنجليزي كتاباً سماه (العربية المحلية في مصر) وحسب بأن اللغة الأجنبية ستسيطر على مصر . واتفق هؤلاء على ضرورة جعل العامية لغة العلوم والآداب والفنون. ولعلي أستغرب من الأستاذ أحمد لطفي السيد تساهله في قبول المسميات الأجنبية ورأيه بأن العربية فقيرة وأن لغة الجمهور ستخرج الفصحى من جمودها، وأن يكون الصلح بين العامية والفصحى عندما تستعمل مفردات العامية وإن وضع شرط عدم الابتذال. ولكنه يعود فيقول أن نتذرع إلى إحياء العربية باستعمال العامية ومتى استعملناها في الكتابة اضطررنا إلى

(*) المحاضرة التي ألقاها الدكتور يوسف عز الدين العضو العامل في مؤتمر مجمع اللغة العربية، الدورة السادسة والستين، أبريل ٢٠٠٠م

(١) الفصحى في مواجهة التحديات نذير محمد مكتبي ١٢١

تخليصها من الضعف وجعلنا العامة يتابعون الكتاب في كتاباتهم والخطباء في خطاباتهم والممثلين في رواياتهم (٢).

وأعمال المجمع دليل على أن الفصحى قادرة على استيعاب الجديد عندما وضع عدداً كبيراً من معجمات متعددة في كل العلوم الحديثة ، وما زال يوالي عمله ومعه مجامع اللغة العربية في دمشق والأردن وبغداد والمغرب .

الدعاة في الوطن العربي:

أما دعاة العامية من أبناء العرب فمنهم الأموات والأحياء فكان منهم سلامة موسى ومارون غصن ت ١٩٤٠م وسعيد عقل وكان قبلهم يعقوب سوا الذي سمى نفسه يعقوب صنوع ت ١٩١٢م. والخطر الكبير من الذين عاشوا في البلاد العربية. وكانوا من أبنائها وكان هؤلاء أشد ضراوةً عليها من الأجانب، وآزرتهم وسائل الإعلام التي تدخل في كل مكان من المسلسلات والروايات والندوات والمحاضرات التي تذاع في هذه الوسائل، ومن الطريف أن جاءني دعاة العامية لتسجيل حوار معي وعلى الرغم من البراهين التي سقتها على أن كاتب العربية أكثر شهرةً في العالم العربي وأكثر فائدة مالية بانتشار آرائه فلم يقنعوا، فاضطررت أن أضعهم أمام الواقع قلت لهم : سوف أتفق معكم إذا فهمتم عبارةً واحدة بالعامية في العراق. فنظروا إليّ وكأنهم انتصروا عليّ. قلت سأتيكم بقريبة. دخل جائع إلى المطعم في بغداد فقال للنادل الذي تسمونه جرسون بالفرنسية ونسميه في العراق (بوي) بالإنجليزية (أريد نص ماعون باجلا ونص ماعون تمن ونص صمونة) فنظروا إليّ بدهشة، وقال أحدهم أعد الجملة. وبالطبع لم يفهموا فما كانوا فاعلين لو قلت لهم (الطوز موك الجرباية) .

(٢) المصدر السابق ١٢٧

الإعلام اليوم :

وهذه المشكلة أخذت حيزاً من الكتاب في الصحافة اليوم فقد كتب فهمي هويدي (٣) مقالا بعنوان (دعوة إلى تعريب لسان العرب) يذكر ما حاق باللغة العربية من إهمال وعبث، وسماه كارثة في العالم العربي ؛ لأنه رأى طلاب الأزهر في المرحلة الابتدائية ملزمين بتعلم الفرنسية مع أن فرنسا تحرم تعليم أية لغة أجنبية في تلك المرحلة المبكرة ولما رأى تفاقم الحال قال بصراحة: (آن الأوان لرفع الصوت عالياً بالدعوة إلى تعريب لسان العرب) وقال: إنه كان يلح طول سنوات على الدفاع عن لغة القرآن في الدول الإسلامية في آسيا وإفريقيا حيث يطلق على الحرف العربي اسم الحرف الشريف ، ولكن لم تبق غير دول محدودة تستعمله مثل إيران وباكستان وأفغانستان ، وقال إن حجم الكارثة جعل صوتي أكثر احتياقا بعد أن حلت الكارثة باللغة العربية وأشاد بقرار تونس بجعل عام ٢٠٠٠م عام اللغة العربية، وتألم للتراجع المستمر عن العربية التي تمثل شخصية الأمة القومية، وألا يكون تعلم لغات أجنبية على حساب اللغة العربية وقال بمرارة: (لنعترف بأن اللغة العربية هزمت في بلادها وأنها تتلقى كل ضربة موجعة ومهينة) وأشار إلى أن موريتانيا تخلت عن العربية في مدارسها وكانت إحدى قلاع العربية ومناراتها التي وصلت إشعاعاتها إلى أرجاء غرب إفريقيا، وقال إن أحد الرؤساء العرب يدير المؤتمرات باللغة الفرنسية وأنه كان يجيب عن أسئلة الصحافة العربية باللغة الفرنسية، وفي بعض دول الخليج أصبحت الأردية اللغة الثانية بعد العربية، وأشار إلى انتشار خطر قائم في الخليج من كثرة المدارس التي تدرس باللغة الإنجليزية وغدت العربية لغةً هامشية أما الأردن فقال إن الانجليزية أصبحت من لغات الخطاب

(٣) جريدة "الشرق الأوسط" ٢٠٠٠/٢/٢٤

وكادت أن تتحول إلى لغة رسمية. وعن مصر قال: شيء محزن حقا أن يصل تراجع العربية في أكبر دولة عربية حيث أصبح تعلم الأجنبية هدفا قومياً وأصبح الدخول إلى المدارس الأجنبية هدفا وأن الرطانة هي المعتمدة في أوساط كثيرة وقال: نشرت بعض الصحف أن إجادة اللغة الأجنبية كانت إحدى شروط الدخول في الوزارة في مصر ومن الطريف أني قابلت رئيس وزراء الصين "تشون لاي" وكان يتحدث معي باللغة الصينية، فقلت يا سيادة الرئيس أنت تعرف الفرنسية والإنجليزية فلماذا لا تتحدث معي بالإنجليزية فكان رده على باللغة الصينية وتجاهل قولي.

وكتبت الكاتبة زينب حفني مقالاً(٤) (حتى لاتُؤْد لغتنا على يد أبنائها) وعزت انتشار العامية إلى الاعلام وتساءلت عن الكيفية التي من الممكن اتّباعها لخلق توازن بين الفصحى والعامية حتى نحافظ على لغتنا من الاندثار وقد رأت عدة عوامل هدمت اللغة العربية أهمها (مجال الفن الممثل في السينما والمسرح الزاخر بالإسفاف والإعلام بجميع وسائله والفضائيات العربية التي تتسابق في إذاعة الغث من المضامين ودور الأسرة ومناهج التعليم، كما صرف الانترنت والكمبيوتر الشباب عن لغتهم) وألقت اللوم على النوادي والجمعيات الأدبية التي لا تتحمل مسؤولياتها وإلى كتاب يستعملون العامية واللغات الأجنبية، وودّت أن تسعى المجامع اللغوية في رفع مستوى العربية، وأشارت إلى توصيات الدورة الخامسة والستين، وهاجمت المحلات والشركات والفنادق التي لها أسماء أجنبية ورأت وجوب منع هذا الأمر نهائيا إلاّ أن هذا لم يطبق حتى الآن، وأصبح نسياً منسياً. وفات الكاتبة الفاضلة أن المجمع ليس سلطةً تنفيذيةً وأن قراراته طالما حفظت في أدراج الوزارات المسؤولة.

(٤) "الشرق الأوسط" واكتفيت بمادح الشرق الأوسط

من الهند:

ومن الغيارى على اللغة العربية كاتب من الهند قرأت مقاله بتوقيع (أبو أسامة نور) وهو الأستاذ نور عالم خليل الأميني رئيس تحرير مجلة " الداعي " وأستاذ الأدب العربي بالجامعة الإسلامية دارالعلوم، ديوبند) بعنوان (اللغة العربية تتطلب اليوم اهتماماً أكبر من العرب) لأن العربية ليس للعرب والمسلمين كعامة اللغات وإنما هي جزء من حقيقة الإسلام فقد كانت لغة الوحي ومعجـزة الرسـول ﷺ ولسان دعوته، وخلدها القرآن الكريم بخلوده. وأُكْرِمْ بالمسلمين أن ينطقوا باللغة التي نطق بها الرسول وأن يحظوا ويكتبوا باللغة التي اختارها رب العالمين (٥)

وسائل الإعلام:

إن وسائل الإعلام بصورة عامة تحرب اللغة العربية وقد رأينا بعض هذه الوسائل وهي الصحافة نموذجا للشعور المؤلم عند الكتاب، فالأغاني بلهجات متعددة والمسرحيات والمسلسلات والقصص فقد نشرت جريدة "الأهرام" في الملحق قصة باللغة العامية (٦) إن التناحر السياسي وحب الذات والإقليمية والبلدانية فرضت على الإعلام لتكون هناك لغات متعددة ولهجات متباينة وأخذ بعض الكتاب العرب يخوضون في حسمها، فكثرت الأشعار العامية في الجرائد، فهل يحس هؤلاء بمقدار الضرر الذي يعود على أمتهم المسلمة إذا ابتعدوا عن الفصحى بعد أن بدأت وحدة الفكر والعقيدة تتآكل، وغرست العادات الفردية بينا، وخلقت دولاً ومناطق لها حدودها السياسية؛ حتى لا تستفيد الأمة من خيرات شعوبها وقد خطط لهذا الأمر تخطيطاً واضحاً.

(٥) "الداعي" مجلة تصدر في الجامعة الإسلامية دارالعلوم، ديوبند، الهند، العدد ١٣٠٨ ديسمبر ١٩٩٩م

(٦) جريدة "الأهرام" العدد الصادر في ٢٠٠٠/٧/١م

هل انهزمت الفصحى ؟

إن الواجب القومي والوطني أن تقوم حملة كبيرة للتوعية بضرورة العودة إلى الفصحى بعد أن انتشرت العامية هذا الانتشار السريع وبخاصة في البيت والمدرسة والجامعة، ويخطط لوقف هذه المؤامرة وبدراسة عميقة للطرق التي توصل إلى حب اللغة العربية لأبنائها؛ لأن لها قدرة قوية على الوقوف ضد هذه التيارات، ولا لوم علينا فالعرب شديد المحافظة على لغته والتخلص من اللغات الأخرى، ففي ولاية تكساس قرية صغيرة عدد سكانها ٧٨٠٠ اختارت الإسبانية لغة لها فثارت طول طواحين الإعلام على مدينة (السنزو) الأمريكية ورأوا الخطر المحدق في أمريكا وعلى اللغة الأمريكية من هذه الظاهرة وهي قرية صغيرة في ولاية تكساس، وبدأ العلماء والباحثون يدرسون خطر اللغة الإسبانية التي اتخذتها قرية السنزو على أمريكا وعدت القرية خطراً على لغة أمريكا القومية، وقورنت بما صنعت كيوبك في كندا التي تستعمل الفرنسية بالرغم من اتساع اللغة الإنجليزية وسيطرتها العالمية (٧) وفي فرنسا صدرت مذكرة حول تعليم العامية للعرب وكتابة العربية بالحروف اللاتينية (الشرق الاوسط ٢٠٠٠/٢/٢٧م) وحجتهم أن العرب الذين في فرنسا يتكلمون العامية ولا يعرفون الكتابة والنص المكتوب باللاتينية يسهل عليهم الفهم ويساعدهم على النجاح في تعليمهم الجامعي. والواقع أن البعد السياسي والتعصب الديني ضد العربية من أهم دواعي هذه الحملة، إن وسائل الإعلام العربية المرئية والمسموعة أخذت تمعن في استعمال العامية والعامية المحلية، فهناك في لبنان مثل هذه الوسيلة واضحة واذا أرسل قارئ رسالة بالفصحى تقرأ باللهجة اللبنانية العامة، إنها خطة مدروسة لتحدي الفصحى. أقول بصراحة: ان دعاة العامية يدارون ضعفهم في ركوب موجة العامية مدعين بأنها أقرب الى فهم العامة وأتساءل لماذا يهبطون إلى العامية ولا يرتفعون إلى الفصحى وهذه المسلسلات التراثية يقبل عليها الناس بلهفة ويفهمون أحداثها فهماً واضحاً، ومما نشر في الصحافة رأي لعائدة أبو فرح تقول لتلفزيون (M TV) ترد على دعاة العامية في لبنان وتقول بأن الفصحى توحد اللهجات في لبنان لوجود اللهجات التي يتحدث بها أهل بيروت غير التي يتحدث بها أهل الشمال، إذ إن بعض سكان الشمال مثلاً لا يفهمون اللهجة التي يتحدث فيها أهل بيروت، لذلك فالفصحى تكون حلا وحيداً لإيصال الخبر الصحيح بالشكل الصحيح .

وقد نشرت إحدى الجرائد (٨) تحت هذا العنوان (انكفاء الفصحى في البرامج الإذاعية والتلفزيونية في لبنان) وقالت (المذيعون يجنحون إلى العامية بامتياز المرئي والمسموع) وتحدثت عن انقسام أبناء لبنان عن انتشار العامية في معظم وسائل الإعلام وابتعاد عدد كبير منهم عن الفصحى ومن حسن الحظ هناك من يقاوم هذا التحدي فقال بعضهم : إن تراجع العربية الفصحى عن مجالات المشافهة يؤدي إلى عواقب وخيمة ورد آخرون بأن العامية هي أقرب إلى إدراك المواطن والأبسط للاستيعاب بعد أن تخلى المتحدثون عن مسلسلات الفصحى ولا أدري هل هناك عامية لبنانية سليمة وهي مشحونة بالإنجليزية والفرنسية وتدخل الآن السرلنكية كما قالت لليان حداد في مقالها : وجدت اختلافاً بين المذيعات في لبنان وكان مع الفصحى عدد من المذيعات ونسي هؤلاء أن الفصحى تجمع العرب والعامية تفرقهم .

* * *

(٧) جريدة " الشرق الأوسط" ٢٠٠٠/٢/٢٧م

(٨) "الشرق الأوسط" ٢٠٠٠/١/٤م وفي المقال آراء المذيعات في إذاعة لبنان مثل نورا حوري مع العامية ، وعادة أبو فرح مع الفصحى، والدكتور أحمد بيضون، وبعض آراء أخرى عن العامية والفصحى أجرت ليليان حداد .

١ - الشيخ شميم أحمد الديوبندي

بعد صراع مع المرض استمر لعامين انتقل إلى جوار ربّه الكريم الشيخ شميم أحمد الديوبندي رحمه الله تعالى فيما بعد صلاة المغرب وصلاة العشاء من الليلة المتخلّلة بين الأحد و الاثنين ١٣-١٤/ رمضان المبارك ١٤٢١هـ الموافق ١٠-١١/ ديسمبر ٢٠٠٠م، فإنّا لله و إنّا إليه راجعون

وصلّى عليه بالناس في حشد كبير من مسلمي ديوبند وطلاب جامعتها في محيط مؤسسي التبهير بالجامعة فضيلة الشيخ السيد أسعد المدني بعد صلاة ظهر الاثنين ١٤/ رمضان ١٤٢١هـ ، و وُرّي جثمانه في المقبرة الجامعيّة المعروفة بـ " المقبرة القاسميّة " .

درس في الجامعة وبعد ما تخرج فيها درّس فيها نحو خمسين عاماً في الصفوف الابتدائية واساتذته وكان متضلعاً من اللغة الفارسيّة . كما كان له حضور فعّال عبر حياته في الخدمات الاجتماعيّة والأنشطة السياسيّة في ديوبند ؛ حيث ظلّ كثير النفع لمسلمي ديوبند في هذه الناحية . وفي إطار ذلك نيطت به رحمه الله مسؤوليات ذات قيمة ، فظلّ مسؤولا عن اللجان الإدارية في كل من المصرف الإسلامي اللاربويّ في ديوبند ، ومصلى العيد بديوبند ، والجامع الكبير بمدينة سهارنبور ، كما شغل منصب رئيس جمعية علماء الهند بولاية يوبي العربية . وإلى جانب ذلك كانت له مساهمة مشكورة في معركة التحرير التي خاضها كبار العلماء من ديوبند وغيرها وتلاميذه كثيرون ، منتشرون في الهند وخارجها وأبدى المسلمون في ديوبند غاية حزنهم على وفاته ، لأنّه كان يمثل جزءًا من تاريخ ديوبند العريق في المسامحة والقيم والمثل الإنسانيّة . وكان صهر الشاعر الأرديّ الكبير " سيد شاه برهان الحق بن سيد ... بين الحق " المعروف بـ " العلامة أنور صابري " المتوفى ١٣/ أغسطس ١٨٨٥م = ٢٧ / ذوالحجة ت ١٤٠٥هـ الذي كانت له أيضاً مساهمة فعّالة في معركة التحرير ، بأبياته وقصائده الحماسيّة الأرديّة التي كثيراً ما ... كى بها العواطف الشعبيّة وقوّى الشعور بالكراهية نحو الاستعمار الإنجليزيّ

خلّف رحمه الله أ بعه ابناء وأربع بنات ، إلى جانب الذكر الحسن والسمعة الطيبة أدخله الله فسيح جنّاته

٢- الأخ فيضان إلهي الديوبندي

كما انتقل إلى جوار ربّه الاخ فيضان إلهي الأنصاري الديوبندي من سكان حيّ " كدّي واره " بديوبند ، إثر حادث اصطدام دراجه نارية - إسكوتر - كان راكباً عليها شاحنة على الطريق بين ديوبند و " مكلور " إحدى القرى الجامعة في مديرية " هرني دوار " وذلك في ١٧/ رمضان المبارك ١٤٢١هـ الموافق ١٤ / ديسمبر ٢٠٠٠م الخميس فإنّا لله وإنّا إليه راجعون .

وقد صلى عليه جمع كبير من المسلمين في محيط مولسري بالجامعة في الليلة المتخللة بين يومي الخميس والجمعة ١٧-١٨ / رمضان ١٤٢١هـ = ١٤-١٥/ ديسمبر ٢٠٠٠م في نحو الساعة الحادية عشرة والنصف. ورغم البرد القارس تجمّع كثير من الناس للصلاة عليه . وقد حزّنا نحن وسكان ديوبند على وفاته ، إذ كان شابًّا صالحا، سليم الطبع ، حليم النفس ، كريم الأخلاق ، مخلصًا في عمله وكان يعمل حاليا خادماً في قسم "دارالوثائق والسجلات" بالجامعة وعمل من قبل سنوات في مكتب مجلة " الداعي " العربيه وظل محبوباً بين الموظفين والأساتذه لاجتهاده في العمل وخلقه الطيب .

وخلّف زوجته و أولادا له صغارا و أمه العجوزة الطاعنة في السنّ ولا معيل لهم سوى الله تعالى تكفّلهم الله جميعاً بعنايته و رعايته . وأدخله فسيح جنّاته وغفر له زلاّته **

من أجل الترتيب المنسّق اللازم لهذا العدد ١٢ / السنة ٢٤ من مجله " الداعي " لم نتمكن من نشر مقال ضافٍ حول فضيلة الشيخ العلامة محمد الصالح العثيمين رحمه الله تعالى وموعدنا بذلك مع القراء الكرام في عدد محرم ١٤٢٢هـ الموافق أبريل ٢٠٠١م ، إن شاء الله تعالى .

الشيخ محمد الياس رحمه الله وحرصه على إحياء الدين

بقلم : الأستاذ عبد العزيز الندوي ، أورنك آباد ، الهند

إن الله تعالىٰ خلق بعض عباده بحيث هم يحبون الله ويتعلقون به مالا يحبون ولا يتعلقون بشيء سواه في الكون والخلائق ، بل هم يجعلون نصب أعينهم حب الله وعلاقته في حبهم وعلاقتهم مع الآخرين كذلك ، لأنهم يطيعون الله ويمتثلون أوامره في أداء حقوق الناس والأقارب ، فكأن حبهم للآخرين شيء ثان وشيء متطفل . أما حبهم الحقيقي وعلاقتهم الأولىٰ فهي مع خالقهم و مالكهم ومع رازقهم وإلٰههم الذي يستحقّها هو ، وأما سائر المخلوقات الموجودة في الكائنات ، والقرابات والعلاقات ، فإنها فانية و موقتة ، ولقد أجاد الشاعر حينما أشار إلى هذه الحقيقة في قوله :

دنیا کو خوب دیکھا جتنی محبتیں ہیں
موقع کی سازشیں ہیں مطلب کی ساعتیں ہیں

يعنى ، إننى شاهدت الدنيا بكل دقة وإمعان ، وتدبر وتعمق ، فلم أجد إلا أن العلائق و المحبات التي توجد في المخلوقات ليست إلا مؤامرة خفية للحصول على المنافع والغايات المادية الموقتة .

ولكن أمر رب العالمين أمر آخر ، أحب الإنسان أم لم يحب ، فإننا نراه مجبولاً ومفطوراً على الاتكاء على اسم الله المحبوب حينما تخون الدنيا مع كل الوسائل والأسباب ، ويغدر أهل الدنيا مع جميع الدعاوى وإظهار العلائق ، بعد هذا يتوجه العبد إلى الله ويتصوره ، ويشعر بلذة القرب منه . ويحس الأمن والطمأنينة والراحة والحلاوة بعد التوفيق والمحبة والعلاقة والصلة ، ولقد كشف الشاعر هذه الحقيقة أيضاً قائلاً :

جو مضطرب ہے اس کو ادھر التفات ہے
آخر خدا کے نام میں کوئی تو بات ہے

المعنى ، كل من يعانى الاضطراب والقلق والحسرة فإنه يلتفت إلى الله تعالىٰ جل و علا ، ولا غرو فإن اسم الله المحبوب يحمل حقيقة وحلاوة مالا يحملهما أي شيء سواه في العالم .

وهذه الحقيقة ثابتة لا ترد أن المرء الذي يوفقه الله تعالىٰ لفهم الغاية الأصلية والهدف المنشود لحياته ، ويقضي حياته جاعلاً نصب عينيه هذه الحقيقة العظيمة فإنه يصبح أسعد إنسان وأحظاه في الدارين . تحصل له السعادة الدنيوية والراحة والطمأنينة والسكينة القلبية والروحية، وأما الآخرة فهي داره الأصلية ومأواه الحقيقي ولا شك .

إن الشيخ الكبير "محمد إلياس" رحمه الله تعالى الذي قام بتأسيس الحركة العظيمة التي تسمّى و تشتهر باسم " الدعوة والتبليغ " مع ترتيب خاص و أسلوب متميز، ولقد بلغ عن طريقها الدين الإسلامي

وحضارته مختلفَ تلك الطبقات للأمة المسلمة التي لم يكن من الممكن السهل وصوله إليها ، ولا يزال يبلغ حتى الآن، كان الشيخ رحمه الله يفكّـر جدًّا ، ويتململ دائماً ، ويقلق ويتألم في قلبه وروحه، وكان له نشاط عجيب وفكرة سديدة قل نظرها في تاريخ الدعوة الإسلامية، وكانت له رغبة أكيدة في إصلاح دين المسلمين وأخلاقهـم ؛ حيث ابتعـدوا عن الإنسانية والمجد والكرامة ، وسيطرت عليهم الجهالة وسوء الخلق والجاهلية فصلاً عن الدعوة إلى الدين في صفوف المشركين والكفار ولأجل ذلك إنه ناجى ربه مناجيات، ودعاه دعوات، ولما طال شوقه وامتد فكره وتكررت دعواته ألهمه اللّٰه تعالىٰ هذا الترتيب والأسلوب الخاص للدعوة ، فلما أوتي هذا العمل و وُفِّق للقيام بهذه الحركة رغب كل الرغبة وأفنى نفسه وحماسه وبذل طاقاته وثرواته ، وصرف استعداداته ومواهبه بكل حنين وانقطاع، وانقطع إليه كل الانقطاع ، وضحى في سبل الدعوة والتبليغ كل رخيص وغال . ويحكي رفاقه وزملاؤه الذين صحبوه منذ البداية حكايات وقصصاً وأحوالاً عجيبة للحماس والفكر والاضطراب النفسي ، لأنهم قد شاهدوها وعاينوها ، أما نحن السامعين والقارئين فلا نكاد نتصورها في هذا الزمان المحط، كما لا تستحق الإنكار والإباء لبلوغها حد التواتر والإجماع ، وقد صدق الذي قال .

وہ مرہ دیا تڑپ نے کہ یہ آرزو ہے یا رب
میرے دونوں پہلوؤں میں دلِ بے قرار ہوتا

(المعنى : إن التململ لم يُضيّق عليّ الحياة بل ازددتُ به فرحاً و لذةً حتى تمنيت ودعوت اللّٰه تعالىٰ أن لو جعل قلبين في جنبي لجُنبي و طاب)

ولقد كتب صاحب الفضيلة الشيخ محمد منظور النعماني رحمه الله في آخر كتابه "التحديث بالنعمة" عن أول لقائه مع الشيخ محمد الياس رحمه الله الذي تم بأمر من الشيخ عبد القادر الرائيفوري : وصلت متأخراً بعد العشاء في الليل بنظام الدين بدهلي: فوجدت رجلين أو بعضا في المسجد لم ناموا حتى الآن. وأغلب الظن أنه كان أحد منهم يعرفني، ولقد أمرتهم بأن لا يخبروا الشيخ عن قدومي حالا ولو كان مستيقظاً و منتبهاً، وسوف ألاقيه صباحا (وكنت أقصد بذلك أن لا يقع في نومه خلل) واشتغلت بصلاة العشاء ولما فرغت من الصلاة ، قال لي واحد منهم أن الشيخ لايزال منتبها، وقد علم بقدومك، وقال : إنه لابد أن تدخل عليه الآن، دخلت غرفة الشيخ و أردت أن أصافحه وهو على الفراش، فلم يصافحني الشيخ، قام عن الفراش، وقبض على معصمي بشدة، قلت له وأصررت عليه أن يستريح الشيخ ويضطجع لأنه مريض، فأجاب الشيخ بصراحة لست في شيء من المرض، إنكم أنتم (وأمثالكم من العلماء) أمرضتموني، هلموا و اعملوا للدين، فسأبرأ من المرض إن شاء اللّٰه . قلت له: ها أنا ذا موجود، الآن استريحوا أنتم واضطجعوا. قال الشيخ : تعهد بأنك ترجع وتضحي بالوقت، ثم أنا أجلس وأستريح.

قلت: أنا حاضر و مستعدّ لتنفيذ أمركم وفاعل – إن شاء الله – ما تأمرونني به .

وكان بالشيخ آنذاك ضعف شديد إلى أن قدميه كانتا ترتعدان وترتعشان، ولما عهدت معه بأنني سأضحى بالوقت حسب أمر التبح وإرادته جلس الشيخ على الأرض متكئاً على الوسادة وجعل يتحدث كالشيخ الذي يحمل فكرة وحالاً، وبعد طويل حينما أصررت عليه بأن لا يتحدث ويتكلم طويلاً نظراً إلى التعب والمرض، قطع الكلام، وأمرني بالنوم والاستراحة، وقال ستكون المحادثة صباحاً إن شاء الله تعالى. أقمت بنظام الدين عند الشيخ يوماً أو يومين ثم انصرفت إلى مقرى (في ذلك الوقت) المشهور "بريلي" .

وخلال إقامتي الوجيزة التي استغرقت يوماً أو يومين سمعت من الشيخ أحاديث في مختلف الجلسات وعرفت منها أن الله تعالى منحه الاهتمام بدينه ، والتألّم لأمة رسوله الكريم ما لم يمنحه لنا" (التحديث بالنعمة بالأردية ، ص ١١-٢٠٩)

مرة قدم بعض أقاربه من وطنـه "كاندهله" لعيادتـه ومـواساته ، فسألهم الشيخ عـن سبب قدومهم، قالوا جئنا لنطلع على صحتك وخبرك، فأجاب (وما أحسن ما أجاب) جئتم من بعيد لتطلعوا على صحة وعافية المرء الذي هو للفناء والموت، والدين العزيز الغالي الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلّم يتضاءل و يضمحل، ولا يفكّر فيه أحد ؟

ولا يأذن لحضور الطبيب وقدوم الحكيم (الذي يداوى المرضى على الطريقة اليونانية) إلا إذا اطمأن أنه يتمكن من المحادثة (وعرض الدعوة) معهم عن موضوع الدين، ويعرض عليهم الدعوة إلى الله تعالى . (المصدر السابق ص ١٧-٢١٦)

على كل ! فإن أهل الخبرة والمعرفة يعرفون جيداً أن الله تعالى جل وعلا كان قد وفق الشيخ للحرص الشديد على إحياء دينه، وأعطاه اضطرابا هائلاً وقلقاً (كالسمك بدون الماء) شديداً لإصلاح أمة رسوله المحبوب صلى الله عليه وسلم، ولما عقد العزم وشد الأزر لإعلاء الدين شاهدنا بأم أعيننا أنه قد عمّ نشاط ديني، وشعور بالمسئولية، وصحوة عامة في العالم بأسره، ولو جعل يشعر جميع طبقات وشعوب الأمة المسلمة بمسئوليتها وواجبها الديني والخلقي، وضحّوا في سبيل إحياء الدين بتلك المواهب والمؤهّلات في مختلف الميادين والمجالات ، لنالت الإنسانية التائهة عن سبيل الهداية والرشاد، وعلى الدين الحق الذي هو الإسلام ولا غير، ونجت البشرية كلها من الظلم والجهل والكفر والغفلة وسوء الخلق ، وفتنا العدل والقانون، والرحمة والمواساة في كل أنحاء العالم، وهذا هو المنشود من كل فرد من أفراد الأمة الإسلامية .

فاللهم وفقنا لفهم دينك المبين وإعلائه والانتصار له ، آمين وصلى الله تعالىٰ على سيدنا ورسولنا محمد وآله وصحبه أجمعين .

١ - الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي

أصدرت جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض في شوال ١٤١٩هـ " الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي " في سبعة عشر مجلّدًا ، بمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية . وذلك وفق التوصية التي اعتمدها المؤتمر الجغرافي الإسلامي الأوّل الذي عُقِدَ في رحاب الجامعة فيما بين ٢٢ - ٢٨ / ٢ / ١٣٩٩هـ الموافق ٢٠ - ٢٦ / ١ / ١٩٧٩م

والحقّ أنّ تنفيذ مشروع الموسوعة الجليلة عمل كبير قيمةً وقامةً ، تستحق الجامعة أن تُشْكَرَ عليه شكراً جزيلاً ؛ حيث إن ذلك جهد فريد غير مسبوق . وقد توفّر على كتابة فصوله ، وجمع موادّه ، وتوثيقها وترتيبها وتصنيفها ، مؤرخون جغرافيون مسلمون كبار من شتى أنحاء العالم الإسلامي ، وعلى رأسهم علماء عرب

وقد أشير في مقدمة الجزء الأول من الموسوعة إلى المساعي المشكورة والمؤلفات الجليلة التي أنجزها الجغرافيون العرب والمسلمون عبر التاريخ الإسلامي ؛ ولكن جلّها يخصّ إقليماً من الأقاليم أو عدّة أقاليم محددة . أما هذه الموسوعة . فإنّها استوعبت ديار العالم الإسلامي . كما وعد المساهمون في تأليفها بمزيد من التوسع في الدراسة لدى الطبعة القادمة . وتناول بعض المناطق الأخرى التي استقلت حديثاً ، والتي يتجمّع فيها عدد كبير من المسلمين كجمهوريات الاتحاد السوفيتي المنهار وغيرها .

وقد تناولت الموسوعة بالدراسة في آسيا ٢١ دولة ، وفي إفريقيا ٢٦ دولة ، وفي أوربّا دولة واحدة ، وهي دولة ألبانيا .

• المجلد الأوّل ، محتوياته . التقديم بقلم معالي مدير الجامعة ، وكلمة عمادة البحث العلمي ، وكلمة هيئة التحرير ، وانتشار الإسلام في آسيا ، وانتشار الإسلام في إفريقيا ، وانتشار الإسلام في أوربّا .

والمجلد الثاني ، محتوياته : إقليم شبه الجزيرة العربية القسم الأول المملكة العربية السعودية ، دولة الكويت ، دولة قطر ، دولة البحرين . القسم الثاني : المملكة العربية السعودية .

المجلد الثالث ، يحتوي ما يلي : إقليم شبه الجزيرة العربية ، دولة الإمارات العربية المتحدة ، سلطنة عمان ، الجمهورية اليمنية .

المجلد الرابع يضم ما يلي : إقليم الهلال الخصيب ، الجمهورية العربية السورية . الجمهورية اللبنانية ، الجمهوريّة العراقية ، المملكة الأردنية الهاشمية ، فلسطين .

المجلد الخامس : يشتمل على ما يلي : إقليم النطاق الجبلي في غربي آسيا ، جمهورية تركيا ،

جمهورية إيران الإسلامية ، جمهورية أفغانستان .

المجلد السادس يشمل العناوين التالية : إقليم شبه القارة الهندية ، جمهورية باكستان الإسلامية ، جمهورية بنجلا ديش ، جمهورية المالديف .

المجلد السابع ، محتوياته كما يلي : إقليم جنوب شرق آسيا ، ماليزيا ، سلطنة بروناي ، جمهورية إندونيسيا .

المجلد الثامن محتوياته كما يلي : إقليم حوض النيل ، جمهورية مصر العربية ، جمهورية السودان ، جمهورية أثيوبيا ، جمهورية أوغندة .

المجلد التاسع يشمل ما يلي : إقليم شمالي إفريقية ، الجماهيرية العربية الليبية ، جمهورية تونس، جمهورية الجزائر ، المملكة المغربية .

المجلد العاشر مصاميه كما يلي : إقليم شرقي إفريقيه ، جمهورية جيبوتي ، جمهورية الصومال ، جمهورية تنزانيا ، جمهورية جزر القمر الإسلامية .

المجلد الحادي عشر محتوياته : إقليم الصحراء الكبرى ، جمهورية تشاد ، جمهورية النيجر، جمهورية مالي ، جمهورية موريتانيا الإسلامية .

المجلد الثاني عشر محتوياته : إقليم غربي إفريقيه ، جمهورية السنغال ، جمهورية غامبيا ، جمهورية غينيا بيساو ، جمهورية غينيا ، جمهورية سيرا ليوان .

المجلد الثالث عشر يشتمل على ما يلي : إقليم غربي إفريقيه ، جمهورية بنين ، جمهورية نيجريا الاتحادية ، جمهورية الكمرون المتحدة ، جمهورية بوركينا فاسو ، جمهورية توجو ، جمهورية الجابون.

المجلد الرابع عشر محتوياته : الأقليات الإسلامية ، الأقليات الإسلامية في قارة آسيا ، الأقليات الإسلامية في قارة إفريقيه ، الأقليات الإسلامية في قارة أوربا ، الأقليات الإسلامية في قارة أمريكا الشمالية ، الأقليات الإسلامية في قاره أمريكا الجنوبية ، الأقليات الإسلامية في قارة أستراليا وجزر المحيط الهادي .

المجلد الخامس عشر ، محتوياته : ملامح جعرافية العالم الإسلامي المعاصر ، المظاهر العامّة لجغرافيته الطبيعية والبشرية ، سكانه ، مقومات التكامل الاقتصادي بين دوله ، العلاقات السياسيّة والحضاريّة بين دوله ، مركز المملكة العربية السعودية في العالم الإسلامي و دورها في توحيده .

المجلد السادس عشر : أطلس العالم الإسلامي .

المجلد السابع عشر : فهارس و كشافات ، فهرس هجائي بالموضوعات ، كشّاف الأماكن ، كشّاف الأعلام .

* * *

٢ - دارالعلوم / ديوبند

تأليف : محمد عبد الله الأسعدي القاسمي

ملتزم النشر والتوزيع : أكاديمية شيخ الهند بالجامعة الإسلامية دارالعلوم ، ديوبند ، الهند .

كتاب يقع في نحو ٨٥٠ صفحة بالقطع

بالرسول و تكذيبه كفر صريح، والكفر يستلزم الخلود في النار، ولا يشكّ مسلم مع هذه الآيات أن الكافر بالنبوة ينجو من النار، ولا حاجة إلى الإطالة في هذا الموضوع. نعم هناك نصوص تجعل بعض قليلي الفهم و قليلي البضاعة من العلم يجدون مجالاً للشكّ، فلا بدّ من ذكرها والحديث عن مدلولها، و هذه النصوص آيات في القرآن وأحاديث في دواوين الأحاديث، فالآيات :

١ – "إِنَّ الَّذِيْنَ آمَنُوْا والَّذِيْنَ هَادُوْا والنَّصٰرىٰ والصَّابِئِيْنَ من آمَنَ باللّٰهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَاهُمْ يَحْزَنُوْنَ" (البقرة/٦٢)

٢ – " إِنَّ الَّذِيْنَ آمَنُوْا وَالَّذِيْنَ هَادُوْا والنَّصٰرىٰ مَنْ آمَنَ باللّٰهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَاخَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَاهُمْ يَحْزَنُوْنَ" (المائدة / ٦٩)

فالآيتان تشفّان في الظاهر عن أن النجاة إنما تتوقّف على الإيمان باللّه والقيامة والعمل الصالح، ولا يضرّ المرأ بعد ذلك أن يكون يهوديًّا أو نصرانيًّا.

والآية الثالثة هي :

٣– " لَيْسُوْا سَوَاءً، مِنْ أَهْلِ الْكِتٰبِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُوْنَ آيٰتِ اللّٰهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُوْنَ يُؤْمِنُوْنَ بِاللّٰهِ وَالْيَومِ الآخِرِ يَأْمُرُوْنَ بِالْمَعْرُوْفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُوْنَ فِيْ الْخَيْرٰتِ وَ أُوْلٰئِكَ مِنَ الصّٰلِحِيْنَ" (آل عمران/١١٣ –١١٤)

فدلّت الآية على أن كون الرجل يهوديًا أو نصرانيًا لا يضرّه فيما يتعلّق بالنجاة إذا التزام بما ذكرته الآية من الاستقامة وتلاوة آيات اللّه آناء الليل والسجود، والإيمان باللّه واليوم الآخر، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والمسارعة في الخيرات، وبالتالى إذا تقيّد بالصلاح !.

والآية الرابعة هي :

٤ – "إِنَّ اللّٰهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ والإِحْسَانِ وَ إِيْتَاءِ ذِيْ الْقُرْبَىٰ وَ يَنْهَىٰ عَنِ الفَحْشَاءِ وَ الْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ" (النحل/٩٠)

فهذه الآية لم تتعرض حتى لذكر اليهوديّة والنصرانيّة، وإنّما حصرت الأوامر الإلهيّة في عدّة أمور، وكل من يتقيّد بها فهو مطيع للّه، وقد نصّت كثير من الآيات في القرآن الكريم أن المطيع للّه والمتقيد بأوامره ناج من النار داخلٌ الجنّة .

حديث من قال لا إله إلا الله والإجابة عنه

أمّا الأحاديث فهي تلك التي جاء فيها بألفاظ مختلفة أنّه "من قال لا إله إلاّ اللّه دخل الجنة" وهي مرويّة بأسناد شتى و مسلّمة لدى العلماء ورجال الفن، ولم تتضمّن ذكر النبوة، فدلّت على أن الإيمان باللّه وتوحيده يكفيان للنجاة من النار.

والجواب أن هؤلاء الآيات فيها إيجاز، وذكرت بالمناسبة ما دعت إليه الحاجة، ولم تذكر جميع الأشياء التي هي مدار النجاة، والآيات الأربع هذه هي بدورها تدلّ بوضوح على هذا الإيجاز؛ فالآيتان الأوليان إنّما اكتفت بذكر الإيمان باللّه واليوم الآخر والعمل الصالح، بينما زات عليه الآية الثالثة تلاوة الآيات الإلهيّة والسجود والأمر بالمعروف والنهي عن *المنكر والمسارعة في الخيرات. أمّا الآية الرابعة فسكتت عن هذه الأمور كلّها.*

فإذا تعامل أحد كإخواننا أبناء العصر، وقال: إن اللّه بدوره يقول: "لَاَ تَقْرَبُوْا الصَّلٰوةَ" واحترز من

الكبير ، جمع فيه المؤلف ما قاله أو كتبه العلماء الثقات والمفكرون العالميون عن جامعة دارالعلوم بديوبند ، وعن علمائها ومشايخها ، وعن التعريف بها عقيدةً ، ومنهجاً ، وسلوكاً ، و منبعاً للحركات الدعوية والمدارس والمعاهد التعليمية والتربويّة ، ومشحناً لبطارية الإيمان ، ومنهلاً ثرًّا لطلاب العلم ، ومركزًا لخدمة علوم الكتاب والسنّة .

وقد بذل المؤلّف وقتاً لا بأس به في تأليف هذا السفر الكبير ؛ فجزاه الله خيرًا .

وصنّف المؤلف الموادّ التي توصّل إليها تحت العناوين الرئيسة الآتية : الديوبنديه تعريف وبيان ؛ جامعة دارالعلوم ديوبند .. تأسيسها ، أهدافها ، أعمالها ، رجالها ، حركتها ، تأثيرها ؛ علماء ديوبند .. جهودهم الدعوية والإصلاحية ومآثرهم العلمية ، علماء ديوبند .. والتيارات المعادية والفرق المنحرفة ؛ أزهر الهند : دارالعلوم ديوبند كما يراها علماء الحرمين وبقية العالم الإسلامي ؛ بعض المبادئ من عقائد أهل السنة والجماعة ؛ السلوك والتصوّف بين الواقع والتعبير ؛ مذهب علماء ديوبند، عقيدتهم و منهجهم .

ويمتاز الكتاب بجودة الورق ، وأناقة الطبع ، وحسن الإخراج ، ومتانة التجليد ، وجمال الحروف . ويجب قراءته على كل من يود أن يعرف ديوبند والديوبندية في صورتها الصحيحة ، ويفهمها فهماً إيجابيًّا دون تورّط في سوء الظن الذي أثاره ضد علماء ديوبند الحاقدون عليهم ، من الذين يتّبعون كل ناعق ، ولا يودّون أن يتبيّنوا الحقيقة و يحتلوا الصواب ، ويشدوا الحق ، ولا يتمادوا في الباطل .

وجزى الله المؤلف ، والمساهمين في إصدار الكتاب ، وعلماء ديوبند الذين أخلصوا عملهم لله ، فوضع الله لهم من القبول في الأرض ما لايضعه إلاّ لعباده الصادقين ، وبارك حركتهم بشكل لا يوجد نظيره في شأن حركة دينية تعليمية في هذه الديار مهما ادّعى المدّعون خلاف ذلك .

* * *

٣ مشرقي شعريات اور تنقيد كى روايت

(الشعريات الشرقية وتقليد النقد الأدبي في الأردية)

تأليف : البروفيسور أبو الكلام القاسمي

طبع وتوزيع مكتبه جامعه لمتيد ، جامعه نكر ، دهلي الجديدة

مؤلّف هذا الكتاب جمع بين الثقافتين الإسلامية و العصريّه ؛ فهو خريج الجامعه الإسلامية دارالعلوم / ديوبند ، وحائز منها على شهادة الفضيلة في العلوم الشرعيّة ؛ ثم التحق بجامعة " على كره " في قسم الأدب الأرديّ و تخرج منه ، وعين أستاذاً بقسم اللغة الأرديه وآدابها ، ثم عين رئيساً للقسم . وصدرت له كتب عديدة في الأدب والنقد ، علاوة على كثير من المقالات والأبحاث في الموضوع ، وهو ذو حضور فعّال في الساحة الأدبيّة ، ورؤاه وأفكاره الأدبية شكّلت أرضية صلبة للتحرك والتفكير في إطار النقد

الأدبي السليم المترفّع عن شوائب وروافد الاتجاه الغربي الجارف في الأدب والنقد . ومن هنا يعتبر أفكاره الأدبية والنقدية من الركائز الأساسيّة في الأدب والنقد الأردي من حيث الوجهة الإسلاميّة ولاسيّما في المجمتع الأدبي الجامعي بهذه الجامعة الحكومية الإسلامية العريقة التي تمتل الهويّة الإسلامية فيما بين الجامعات الهندية الحكومية كلها .

بدأ الأستاذ كتابه بدراسة مناهج النقد الأدبي الشعري في اللغة العربية منذ الجاهلية ، حتى العهد العباسي ، واستفاد في ذلك من كتب أئمة الفنّ أمثال: طبقات الشعراء لابن سلام الجمحي ، والعمدة لابن رشيق القيرواني ، والموازنة بين أبي تمام والبحتري للحسن بن بشر الآمدي ، والأغاني لأبي الفرج الأصبهاني ، والموشح للمرزباني ، والشعر والشعراء لابن قتيبة الدينوري ، والبيان والتبيين للجاحظ ، ونقد الشعر لابن قدامة المقدسي، وكتاب البديع لابن المعتز ، ومقدمة ابن خلدون ، ودلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني ، والمثل السائر لابن الأثير ، و وأسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني ، وإعجاز القرآن للباقلاني ، وكتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري .

كما استفاد مما ألفه الأدباء والنقاد في هذا الموضوع في العصر الحاضر . أمثال : النقد العربي القديم للدكتور داؤد سلوم ، حديث الأربعاء لطه حسين ، أسس النقد الأدبي عند العرب لأحمد بدوي ، تطور النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى سقوط بغداد للسيد احتشام أحمد الندوي ، النقد المنهجي عند الجاحظ لداؤود سلوم .

وأعقبها بدراسة ما كتبه العلماء والأدباء في الشعر الفارسي ومنهج النقد في الأدب الفارسي ، ثم درس ما ألّف في الأدب والشعر الأردي ونقده .

ثم توصّل إلى أن النقد الأدبي الأرديّ إنما يتأسس أصلاً على ركيزة النقد العربي والفارسي ، علما بأن الأردية مسبوكة أصلاً من اللغتين العربيه والأردية ، كما يوجد فيها كلمات وصياغات من الهندوسية والسسكريتية والتركية والإنجليزية وغيرها من اللغات التي ينطق بها الهنود ، لقابليه اللغة الأردية الخارقة للتكيّف مع كل مجتمع تصل إليه وكل لغة تخالطها .

والكتاب ألِّف بعد دراسة جادّة للمصادر والمراجع ، ويجدر بقراءة كل معنيّ بالأدب العربي والفارسي والأرديّ . وإن كان قد ألّف خصيصاً للبحث عن جذور النقد الأدبي الممتدة إلى النقد الأدبي العربي والنقد الأدبي الفارسيّ وعن الصلة العريقة بين الأدبين الفارسي والعربي وبين الأدب الأرديّ .

ويُطْلبَ الكتاب من مكتبات " على كره " والمكتبات الأدبية في دهلي .

* * *

* *

بقيــة " إشـراقــة " المنشــورة علــى ص ٤٨

حيث قد يدفعه إلى الفور بحده الشخصي وسعيه المتناهي بكل ما حُرِمَه من أجل اليتم أو الفقر أو كليهما . وذلك يفجّر طاقاته الكامنة ومواهبه المذخورة و قدراته المستورة ، فيوظّفها توظيفًا لائقاً يعود عليه من النفع بما قد لا يحظى به المحظوظ بالرخاء والرفاهيــة ، الناشئ في مهد الوالدين المتشبّعين بأسباب الحياة .

لو قرأتَ تاريخ البشر منــد بدأ الخليقة حتى الآن ، لوجدتَ أن كثيراً من الأشقياء المحرومين ، المعضوضين بناب الحياة ، المسحوقين بضحر الظروف القاسية ، صنعوا ما لم يستطعه السعداء المحظوظون ، المُغْدَقُ عليهم النعيمُ ، الذين وُلِدُوْا ونشأوا في مهد الثروة والسراوة ، وحجر النجابة والسيادة .

الشعورُ بالحرمان بنى شخصيتهم ، وكوّن مؤهلاتهم ، وخرّجهم تخريجاً لم يكونوا ليحظوا به إن لم يكن لديهم هذا الشعورُ . فيما يلي قصة يتيم محروم استثمر الشعور بالحرمان بشكل إيجابي ، فبلغ مبلغاً لم يبلغه أقرانُه من المحظوظين .

يتيمٌ يولد فيستوفي أبوه ظمأ حياته وهو ابن ثلاثة شهور ، ولا معيل يكفله ، ولا كفيل يضمن تربيته إلاّ جدتُـه من الأب ، التي صارت مسالكُ حياته مظلمة عليها ؛ حيث كان ابنها الوحيد هذا هو دنياها كلها ، وثروتها بأنواعها ، ووسائل حياتها بألوانها ، ومبعث راحتها ، و مصدر نور عينيها ، ومنبع سرور قلبها ، وعصاها القوية في دروب الحياة . تربّى في حضن الجدّة يكتنفه الشعور باليتم و الحرمان ، ويحزّه في نفسه الإحساسُ بالدونية ، وعدم توفّر الأسباب المعيشية التي يتربّى فيها الغلام واثقاً بالنفس .

ولكنّ هذا الشعور لم يدفعه إلى الوراء ، ولم يحمله على المشي إلى الخلف ، والقعود عن مزاحمة الأتراب ؛ وإنّما دفعه إلى بذل كل جهد يقدر عليه من أجل التوصّل إلى كل قيمة حُرمها في طفولته. دخل الكتاب وهو ابن خمس أوست سنوات وهو يعلم يتمه وعدمه ، فلم ينقطع عنه في حصّة ، ولم يغب عنه في شوط من أشواط الصباح أو المساء ؛ وإنما واظب على الحضور ، وغلب أترابه في الجدّ ، وسبقهم في الوعي والحفظ ، و فصلهم في التقدم إلى تلقي الدروس اليومية ، وصار مُبَرِّزًا بينهم في جودة القراءة ، وحسن الكتابة ، ولطف المعاشرة ، والتعامل والاستجابة لأوامر فقيه الكتاب . الأمر الذي حبّبــه إليـه ، واستخرج دعاءه له ؛ فشمله من عطفه ولطفه بما لم يحظ به أحد من صغار الكتاب من أترابه وغير أترابه . وكان من عادة اليتيم أنّه كان يسبق الأطفال جميعاً إلى الكتاب ، ولا تفارق الابتسامةُ الطويلة العريضة شفتيه ؛ فكان الفقيه الذي كان قد تعلّم عليه والدهُ وجيلُ والده أيضاً ، يقول دائماً : إن اليتيم قـد شـابَهَ والـده في الهندام والسيرة كليهما . . كان أبوه أيضاً باسمَ الثغر ، متهلل الوجه ، متفائل الملامح ، يزوّد ملاقيه

بالبشر والفرحة .

إنّ الشعور بكونه يتيماً عديماً جعله يتوفّر على الأخذ بوسائل بناء الشخصية واستكمال المواهب ، وجعله يجتنب مظاهر اللهو واللعب و الفضوليّات (Curiosities) التي كثيراً ما يتشاغل بها الصغار ، وكان أترابُه أيضاً متعوّدين لها بمقتضى طبائعهم الصبيانيّة . كما كان هذا الشعور يفرض عليه دائماً أن يعيش شبهَ عزلة عنهم ، ولا يخالطهم كثيراً ، ولا يكون نديمهم في هزلهم وهذرهم .

شعورُه القويّ بأن جِدّه في الدراسة والتحصيل هو الذي يكسبه بفضل من الله ما حُرِمَه منذ طفولته ، حمله على مبالغة الجهد ، و العناية بجانب التلقي والتوفّر على التعلّم أضعافَ ما كان يبذله أترابُه من الاهتمام بأمر الدراسة . وربّما كانوا يتناولونه بالتندّر و التنكّت على انقطاعه عنهم إلى الدراسة ، وعدم مشاركته إيّاهم في فضولياتهم الكثيرة . وربّما كانوا يعيّرونه بيتمه وحرمانه ؛ ولكنّ شيئاً من ذلك لم يفتّ في عضده ، و لم يُثَبِّط همته . كما أنّ حرمانه من مصروفات الجيب وضرورات الحياة أو فوره بها في فترات متباعدة ، لم يجعله ينهار في الطريق أو يتراجع عنها ، كما يحدث مع كثير من الأطفال المحرومين المنكوبين بانحسار ظلّ العطف الأبوي عن رؤوسهم.

اغتنم كل لحظة من لحظات حياته ، فوظّفها في شؤون الدراسة . كان ينتهز مناسبات الإجازات الأسبوعيّة أو الإجازت التي تتخلل أيام الدراسة لموت أحد أو الاحتفال بذكرى ولادة قائد وطني أو يوم وطنيّ من الأيام المُحْتَفَى بها في بلد علماني راسخ في الوثنية مثل الهند ، فيصرفها في مراجعة الدروس الماضية ومذاكرة الكتب الدراسية واستظهار ما يجب عليه أن يحفظه من المحاضرات والنصوص ؛ أو كان ينفقها في تعلّم ما كان يراه مستكملاً لمؤهّلاته ، صاقلاً لمواهبه ، ممدًّا له بتوسع ثقافيّ وتفتح عقليّ . فمثلاً تعلّم الإنجليزية اللازمة في إجازات يوم ١٥ أغسطس الذي تحتفل به الهند يوما وطنيًّا . وتعلّم تجليد الكتب أيام الجمعة بعد صلاة الجمعة . وتمرّن على إجادة الخطّ وتحسين الكتابة أيام الجمعة فيما بعد صلاة الفجر إلى نحو الساعة الحادية عشرة ، إلى أن ينهض للاستعداد لصلاة الجمعة . وقرأ كثيراً من كتب المعلومات العامّة ، من السير والمغازي ، وتراجم الأئمة والأعلام . ومجموعاتُ خطب العلماء الكبار ، ومؤلفات كثير من الموضوعات الثقافية والفكرية والدعوية والأدبية ؛ قرأها في ساعات الظهيرة بعد انتهاء الشوط الأول الصباحي للدراسة إلى ماقبل بدء الشوط الثاني المسائي . وكان ينتهز انتظارَه لمجيء وجبة الغداء وتناوله مع بعض الرفاق الذين كان يتناول الوجبات معهم ، ليحضّر أهمّ الدروس التي سيقرؤها على الأساتذة في الحصص الآتية أو في الأيّام المقبلة .

* * *

لم يذهب ما بذله من الجهد وما عاشه من الاحتراق نهاراً و من السهر والمعاناة ليلاً سدى ، وإنما بارك الله في جميع مجهوداته . ولم ينتفع في

ساحة العمل بما تلقّاه من العلم نظاميًّا في حلقات الدراسة وفصول التعليم ، وإنّما انتفع كذلك بما حصّله بطريقه عبر نظامية برغبته الشخصية من بعض الثقافات المشار إليها . فحظُّه الجميل جعله يتولّى وظيفة تدريسية في بعض المعاهد التعليمية البارزة . وإلمامُه بالكتابة والإنشاء ، جعله مدرساً متقنًا متقناً للغة العربية وآدابها ، ورئيس تحرير لجريدة فمجلّة عربية في معهد تعليميّ عريق آخر ، على حين إنّه لم يتعلّم العربيّة بشكل نظاميّ في الفصول الدراسيّة ، وإنّما تعلمها خارج النظام الدراسي الرسمي الرتيب ، بموجب رغبته فيها وحبّه لها ؛ لكونها لغة النبي ﷺ ، ولغة الكتاب والسنّة . أما جهودُه المباشرة المكثفة فقد ظلّت منصبّة على داراسة موادّ العلوم الشرعيّة التي نجح في امتحاناتها دائماً بعلامات ممتازة للغاية .

ندَّ كثيراً من أترانه في كسب المؤهّلات العلميّة ، وبالتالي في التوصّل إلى المناصب التعليمية العالية ، والمكانة الثقافية المرموقة ، والصيت الواسع ، رغم أنّه بدأ حياته من نقطة الصفر ، وكانت طفولته بائسة يائسة ، وكانت حالاته لا تبشّر بأمل ولا تشف عن مستقبل زاهر ومصير مغبوط . وبالعكس من ذلك كان أترانه كلهم ، حظيين بعطف الوالدين ، وبالحالة الاقتصادية الآمنة ، وكانت لهم مصروفات الجيب متوفرة أيّام الدراسة ، وحاجاتهم مكفولة من قبل الأولياء ، ولم يكن شيء ليكدر صفوهم ، وينغّص حياتهم ، ويشوّش أذهانهم ، ويشغل بالهم عن الدراسة والانصراف إليها .

ولكنّ النتيجة جاءت على عكس توقع المتوقعين وتكهن المتكهنين ؛ حيث إن اليتيم البائس أحرز من الانتصارات في مجال التعليم والعمل ما لم يحرزه المحظوظون السعداء المتمتعون بالعطف الأبويّ . وهو يرجو أنّ اللّه لن يحرّمه في الآخرة ، وسيجعلها له خيراً من الأولى بمنّه وكرمه .

* * *

فالشعور الإيجابي بالحرمان صنع في حياته معجزات . مما يؤكّد أن الشعور بالحرمان لا يكون بالضرورة مؤديًّا إلى التورط في الشعور بمركب الدونيّة ، وإنّما يؤدّي أحياناً كثيرةً إلى الثقة بالنفس ، وتوظيف الطاقات ، وتفجير المواهب ، واستخدام ما أودعه اللّه من القدرات ، والمضيّ قدماً إلى جهة الغاية . فإذا وافق اجتهادُه مواهبَه ، نبغ نبوغاً لا ينبغه من يتمتع بالشعور بالاستعلاء وبالدعة والطّمأنينة من قبل مستقبله .

الحاجة إلى أن يستثمر الشاعر بالحرمان ، شعورَه استثماراً إيجابيًّا ، واثقاً بأنّ اللّه لن يضيع عمل عامل ذكر أو أنثى ، وأن سعادة الحظّ ليست وقفاً على المتمتعين بالحالة المطمئنة من قبل الوسائل ؛ وأنّ اللّه قد يشقي الإنسان في إطار السعادة ، ويسعده في إطار الشقاء ، وأنّ الأمر مرهون بالجدّ مع اليقين وبالسعي مع الثقة ، وبتوظيف كل فرصة في وقتها ومكانها " وقُل اعْمَلُوْا فسيرى اللّٰه عَملكُم ورسُوْلُهٗ والْمُؤْمنُوْن " (التوبة ١٠٥).

***

قد تكون منّة الشعور بالحرمان على الإنسان كبيرة

الظروف – الصعبة أو السهلة ، المريرة أو الحلوة – التي يُوْلَدُ أو ينشأ فيها الإنسان ، تُخَلِّف في نفسه ندوباً عميقة ، لا يقدر الزمن على محو آثارها ؛ بل هي التي تُشَكِّل – في الأغلب – شخصيته ، وترسم مسار حياته ، وتحدّد موقفه من الحياة والناس والإنسان . كلُّ إنسان يعايش في طفولته أحداثاً قد لا يشعر بها في حينه وحتّى بعد حين ؛ ولكنه في يوم من الأيام يكتشف أنّه كان لها آثار بعيدة الغور في نفسه ، وأنّه لولاها لما كان الشخصَ الذي كان ، ولما حقق الأعمال التي وُفِّقَ لها .

إنّي أصفح الآن عن الظروف السهلة الحلوة : ظروف الرخاء والسعة التي ينشأ أو يولد فيها المرأ . و سأتحدث عنها و عن آثارها في حياة الإنسان في فرصة أخرى إن شاء الله .

وأودّ أن أتعرض بمناسبة اليوم – بإيجاز – للظروف الصعبة والحالات الشديدة القاسية التي تصاحب الإنسان لدى ولادته أو لدى نشوئه وترعرعه ، وما تتركه عليه من آثار .

إنّ من أشدّ الحالات قساوةً أن يُوْلَدُ المرأ أو ينشأ في مهد اليتم والفقر ؛ فيفتح عينيه على الدنيا وهو يشعر شعوراً قويًّا بمرارة الشقاء والحرمان من الظلّ البارد الطيب المريح من شمس الحياة اللافحة وسُمُوْمِها المحرقة ، بينما يرى أترابه يتقلبون في أعطاف النعيم ، ويفترشون الرياحين ، وينعمون بألوان من الدعة والراحة . والشعورُ بالشقاء والحرمان قد يترك آثارًا سلبية على الإنسان ، فيضيق أفقه ، وتتقلص عقليته ، وتنكمش شخصيته ، ويتضاءل تفكيره ، وتتباطأ خطواته في الحياة ، ويتخاذل مشيه نحو كل غاية يتوخّاها ؛ لأنّ هذا الشعور يُوَلِّدُ لديه الشعور بمركب النقص (Inferiority complex) ويظلّ هذا الشعور يصاحبه في حياته كلها ، ويحول دونه ودون الانطلاق والقفز والخطو السريع إلى الأمام ، ليزاحم الأقران ، ويسابق الأتراب في أنشطة الحياة ؛ فيتخرجَ إنساناً يؤدي دوره ، ويتبوّأ مكانته ، ويفرض شخصيته في مجال من مجالات الحياة .

ولكنّ الشعور بالحرمان – في جانب آخر – قد يؤثّـر على الإنسان تأثيراً إيجابيًّا جميلاً جدًّا ، يجعله محمود العاقبة ، وواسع الصيت ، طيب السمعة في الدنيا الواسعة .

(البقية على ص ٤٥)

أبو أسامة نور



منظر خارجيّ لبوابة ظاهر بالجامعة الإسلامية ، وهي تشتمل على أكثر من ٢٥ غرفة

AL-DAIE ARABIC MONTHLY
DARUL-ULOOM, DEOBAND, U.P. INDIA
Regd. No. SHN/L - 13/NP - 740/2000
Vol. No. 24 ISSUE No. 12 March 2001

من أهداف المجلة

- إيقاظ الوعي الإسلامي في قلوب المسلمين
- المشاركة في آلام الأمة الإسلامية و أحلامها
- إحاطة المسلمين العرب بما يعيشه المسلمون العجم من القضايا والمشكلات
- الاهتمام بتوسيع رقعة اللغة العربية في هذه الديار خصوصا و في العالم عموما
- نشر الدعوة والثقافة الإسلامية نقية من الشوائب
- العمل على تصحيح صلة المسلمين بالله والعودة بهم إلى الكتاب والسنة و تجنيبهم من الخرافات والأوهام
- العمل على تأهيل الشباب المسلم لمواجهة التحدي الحضاري الحديث بجميع شؤونه و سمومه، و فنونه و مكره ، و نفاقه و جنونه
- إثبات أن الإسلام رسالة الله الخالدة الباقية التي تصلح لكل زمان و مكان بما يحمله من مقومات الحياة المتجددة و من الشمول والمرونة والنعومة
- التعبير عن الفكر الإسلامي الأصيل المتوارث عن الصحابة والتابعين و من تبعهم بإحسان
- تجنيب الشباب المسلم عن الإفراط والتفريط في فهم الدين و تطبيقه

AL-DAIE ARABIC MONTHLY DEOBAND
PRINTED AT DARUL-ULOOM PRINTING PRESS, DEOBAND U.P.
AND NICE PRINTING PRESS, PARVANA ROAD, KHURAIJEE, DELHI-51
PUBLISHED BY DARUL - ULOOM C/O MARGHOOBUR RAHMAN, MOHTAMIM
DARUL - ULOOM DEOBAND EDITOR : NOOR ALAM KHALIL AL - AMINI

الصلاة كليًا عبر حياته. وكذلك أخذ بالآية الأولى من هذه الآيات وادّعى أن الإيمان بالله واليوم الآخر والعمل الصالح كاف للنجاة. وكذلك حق لأحد غيره وأخذ بالآية الرابعة منها وقال. إنّ العدل والإحسان والأمور المذكورة في الآية كافية للنجاة، ولا يحتاج لشيء حتى للتوحيد.

فما يُجِيْبُ به إخواننا عن كون التوحيد لازماً للنجاة، هو الذي يمكن أن نجيب به عن كون الإيمان بالنبوة لازماً للنجاة.

وهذا الجواب يختصر في أن القرآن ليس عبارةً عن آية، وإنما هو مجموع جميع الآيات التي يحتويها، فلا بدّ أن ننظر إليه من خلال الآيات مجتمعةً؛ فالقرآن الكريم ليس عبارة عن مجموع أربع آيات مذكورة، وإنما هو مجموعها ومجموع غيرها من جميع الآيات التي نزلت على سيدنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلّم. إذاً فقد جاء في القرآن الكريم:

"يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ أُوْتُو الْكِتٰبَ آمِنُوْا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوْهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحٰبَ السَّبْتِ" (النساء/٤٧)

كما جاء في القرآن الكريم:

"قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتّٰى تُقِيْمُوْا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيْلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيْدَنَّ كَثِيْرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَاناً وَكُفْراً فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكٰفِرِيْنَ" (المائدة / ٦٨)

والجدير بالتأمل أنّه تلي هذه الآية المتلوة أعلاه الآية التي أسميناها بالآية الثانية، وهي:

"إِنَّ الَّذِيْنَ آمَنُوْا وَالَّذِيْنَ هَادُوْا وَالصَّابِئُوْنَ وَالنَّصٰرىٰ مَنْ آمَنَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُوْنَ" (المائدة/٦٩)

المعتبر هو الإيمان مثل إيمان المسلمين

إذًا إنّ كلّ من يحمل ذرة من العقل يستطيع أن يفهم أنّ اللّه عزوجلّ قال في الآية السابقة: إنّ أهل الكتاب ليسوا على شيء إذا لم يقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم من هذا القرآن الكريم، وإذا لم يصنعوا ذلك فهم كافرون؛ والكافرون موعودون بالنار والخلود فيها.

و أعقبها الله تعالىٰ بهذه الآية ٦٩ من سورة المائدة، التي يقول فيها: إن اليهود والنصارى مهما كانوا إذا آمنوا باللّه واليوم الآخر وعملوا صالحاً، فإنّ مجرد هذه الأمور الثلاثة يكفيهم للنجاة من النار.. يستطيع أن يفهم أنّ اللّه تعالى إنما أراد أن يصّرح لأهل الكتاب أنهم إذا آمنوا مثل المسلمين فإنّهم سينجون من النار نجاة المسلمين، ويغفر الله عن سيآتهم السابقة ومعاصيهم السالفة، ولا يؤاخذهم بها بعد إيمانهم.

وقد نصّ اللّه تعالى في موضع:

"فَإِنْ آمَنُوْا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَ إِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِيْ شِقَاقٍ" (البقرة / ١٣٧)

إنّ كلمة "مثل" في الآية الكريمة إنما تعني الإيمان بجميع الأنبياء، ـــ وقد تضمنت هذه الآية النصّ على ذلك قبل ذلك بقليل ـــ مثل إيمان المسلمين.

ثم إنّ الإيمان بالآخرة إنّما يُسَلَّم إذا كان موافقاً للأخبار التي أخبر بها مالك الآخرة. وإن أهل الكتاب والمشركين لا تتفق عقيدتهم مع هذه الأخبار، وإنما هم متورطون في أخطاء كثيرة، فأهلُ الكتاب كانوا يقولون: "لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُوْدَةً" (البقرة

/ ٨٠) وكان المشركون يقولون: "نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالاً وَ أَوْلاَدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِيْنَ" (سبأ / ٣٥)

وقد خطّأ الله تعالى العقيدتين معاً، فهما لا تنفعان في النجاة ؛ فالاعتقاد في الله واليوم الآخر بهذا الشكل لا ينفع أصحابه ، ولا يُعَدُّوْنَ مُؤمنين بالله واليوم الآخر.

فالإيمان بالله واليوم الآخر إنّما يكون نافعاً إذا كان بالمعنى الصحيح الموثوق به في الإسلام الذي تواترت عليه النصوص ، أي لا يُعْتَبرُ فَعّالاً إلاّ الإيمان الذي يؤمنه المسلمون والذي يتنزّه عن كل شرك ويستوفي الاعتقاد في النبوة وتصديق جميع الأنبياء والتفاصيل التي بيّنها النبي صلى الله عليه وسلم فيما يتعلق بالآخرة والجنة والنار.

وذلك هو المعنى الّذي أكّدته كثير من الآيات ، مثلاً :

"كُلٌّ آمَنَ بِاللّٰهِ وَمَلٰئِكَتِهٖ وَكُتُبِهٖ وَرُسُلِهٖ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهٖ" (البقرة / ٢٨٥)

ومثلاً :

"يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا آمِنُوْا بِاللّٰهِ وَرُسُلِهٖ وَالْكِتَابِ الَّذِيْ أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللّٰهِ وَمَلٰئِكَتِهٖ وَكُتُبِهٖ وَرُسُلِهٖ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيْدًا" (النساء /١٣٦)

القرآن يعتبر تكذيب رسول تكذيباً لجميع الرسل

وقد عدّ القرآن تكذيب رسول تكذيباً للرسل كلهم ، ووقف هذا الموقفَ من جميع الأقوام بما فيها قوم نوح وقوم عاد و قوم ثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكـــة :

" كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوْحٍ الْمُرْسَلِيْنَ" (الشعراء /١٠٥)

"كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِيْنَ" (الشعراء/١٢٣)

"كَذَّبَتْ ثَمُوْدُ الْمُرْسَلِيْنَ" (الشعراء /١٤١)

"كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوْطٍ الْمُرْسَلِيْنَ" (الشعراء /١٦٠)

"كَذَّبَ أَصْحَابُ الْئَيْكَةِ الْمُرْسَلِيْنَ" (الشعراء/١٧٦)

"وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ" (القمر /٤١)

فلا يمكن بالقرآن الكريم إثباتُ أنّ التوحيد وحده يكفي للنجاة في غنى عن النبوة .

أمّا الحديث ففيه إيجاز كذلك ، كما يجرى في عرفنا : من لفظ بالكلمة فهو مسلم ؛ ولكن أحدًا منا لا يريد معنى الجملة الحرفي ؛ فلا يعتقد أحد أن كل من تلا الكلمة التي تطلق عليها الكلمة ، يُعْتَبرُ مُسْلِماً ؛ لأن الكلمة تُطْلَقُ على كل لفظة ذات معنى ، فالكفار أيضاً يتحادثون كل وقت ويلفظون مئات من الكلمات ، فهل يُعْتَبَرُوْنَ مسلمين .

فالمراد بالكلمة هو كلمة الإسلام . والإيجاز مُتَدَاوَلٌ في جميع اللغات في العالم .

وكون الحديث : " من قال لا إله إلاّ الله دخل الجنة " مُوْجَزاً ، يدل عليه حديث آخر ، وهو ما جاء في حديث جبرئيل في صورة السؤال والجواب !

" ما الإسلام ؟ قال : الإسلام أن تشهد أن لا إله إلاّ الله و أن محمداً رسول الله"

وهناك حديث آخر جاء برواية عبادة بن الصامت رضي الله عنه :

" قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من شهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له ؛ وأنّ محمداً عبده و رسوله ؛ وأن عيسى عبد الله و رسوله ، وكلمته ألقاها إلى مريم ، وروح منه ؛ والجنة حق ؛ والنار حق ؛ أدخله الله الجنة على ما كان من العمل " .

وكـــذلك جـاء حـديث بـروايـة أبي هـريـرة

إنّهم لم يقدروا على مساعدة إخوانهم بالأسلحة والعتاد و بالأموال والرجال؛ لأنّ السيّد الغربي والمولى المسيحي اليهوديّ قد نهاهم عن ذلك، ولم يسمح لهم به، ولم يعط لهم النور الأخضر الذي بدونه لا يتحركون في جهة ولا يخطون خطوةً.. فهل منعهم عن مجرد الاستنكار والشجب وإطلاق التهديدات بقطع العلاقات الدبلوماسيّة والتجاريّة ؛ حيث ظل المسلمون في العالم كلّه يتابعون بفارغ الصبر ليطّلعوا على "جراءتهم" على مجرد إطلاق التهديدات نحو روسيا اللعينة عبر وسائل الإعلام العالميّة المقروءة والمرئية والمسموعة. الأفرادُ والجماعات الإسلامية لم تقصّر – حسب المتوقع – من أداء الواجب نحو حضّ الشعوب على تقديم كل ما بوسعها من تقديم المعونات الماديّة والمعنويّة؛ ولكن ذلك كما هو المعلوم لايقدّم ولا يؤخّر في تغيير الرأي العام العالميّ، وإرغام أصحاب القرار في حكومة روسيا، ودفع السيّد الغربي إلى التظاهر بتهديد روسيا بسوء العاقبة إن لم تنتهِ عن غلوائها ولم توقف عدوانها الصارخ ضد المسلمين الأبرياء في تلك الجمهورية الشيشانية المسلمة !!.

معاناةُ الشيشان عرّت بشكل فاضح تبعيّة القادة والساسة المسلمين للغرب. شعبٌ بأكلمه أبيدَ عبر شهور طويلة، ومجاهدون أُرغِمُوْا أن يتجرّعوا النار والدخان، والجوع والضياع، والموت والدمار، والتشرد والبوار، بجريمة واحدة : وهي أنهم قالوا: لا إله إلاّ اللّه، ونهضوا ليعلنوا حق تقرير مصيرهم، وأنهم يوخّون أن يعيشوا مستقلين عاملين بالإسلام، لا بقوانين روسيا الملحدة.

إن هذا العدوان صُبّ عليهم ولا يزال على مرأى ومسمع من العالم كله، تفرّج عليهم الشعوب والأمم، وتضحك عليهم البلاد والدول؛ لأنّهم لا يشاركونهم العقيدة والدين، والعواطف والمشاعر؛ فما بالُ الدول والحكومات الإسلاميّة التي يهتف قادتها وساستها بالإسلام عندما تُلِمُّهم مصيبة وتعترض سبيلَ غرضهم مشكلة وتتورط سفينة هواهم في بحر لجيّ، ما بالُها تتفرج هي أيضاً وتكاد روسيا تسيطر على أراضي الشيشان كلها، وتطرد مسلميها منها كالكلاب والذئاب، وتطبّل بذلك عبر وسائل الإعلام العالميّة، متحدّية الضمير الإسلامي في الدنيا كلّها ؟

أوَقد فقدت هذه الدول والحكومات الإسلامية آخر ذرة من الغيرة، وفقدت الثمالة المتبقية من الإباء. إنّ الأحمق إذا تُنُوْوِلَ بالكلمات اللاذعة والمواقف المرة لأكثر من مرة ينهض ثائراً غاضباً يستعدّ لأخذ الثأر، فهل تخطّت هي جميع حدودَ الحمق والغباء ؟

إنّ موقف الدول والحكومات الإسلامية من المجاهدين الشيشانيين سيظلّ سبّة عار يسجّلها التاريخ بحروف من سواد يغشاه سواد، ويشجّع الأعداء المتربصين هنا وهناك أن يصنعوا مع المسلمين ما شاؤوا من الويلات؛ لأنّهم جرّبوا أن المسلمين في كل مكان لا حياة فيهم، ولا قرار لديهم، ولا تخطيط عندهم، ولا ثقل لهم، ولا يقدرون حتى على الاحتجاج المؤثر، والاستنكار الفاعل، والتهديد الذي يجعل الخصم يراجع موقفه ويغير قراره.

☆ ☆ ☆

ونأتي إلى قضيّة الأقصى المبارك فنقول : مهما ألمنا من مسرحيات اتّفاقات السّلام مع العدوّ، و تبادل الأراضي، والمساومة على المصير، فإن ذلك لا يقدم في صميم القضية ولا يؤخر؛ لأنّ العقلاء من الإسلاميين قد جزموا منذ اليوم الأوّل أنّ إسرائيل وحلفائها لن

رضي الله عنه :

" قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم : والذي نفس محمد بيده ! لا يسمع بي أحد من هذه الأمة : يهوديّ ولا نصرانيّ ، ثم يموت ، ولم يؤمن بالذي أرسِلتُ به إلاّ كان من أصحاب النار" .

فهذه الروايات كلها تؤكد بما لا مزيد عليه أنّ كلمة الإسلام ليست "لا إله إلاّ الله " وإنّما هي أيضاً "محمد رسول الله " ولتداول الكلمة كثيراً قد يُكْتَفَىٰ بالجزء الأوّل .

فالاستدلال بالآيات والأحاديث على كون عقيدة النبوة غير لازمة ، إنّما هو جهل وغباء .

التوحيد رأس العقائد ولكن العقائد الأخرى لازمة كذلك

ومن الخطأ أن يُزْعَمَ أن الأنبياء إنّما جاؤوا للتركيز على التوحيد وحده ؛ حيث إنهم جاؤوا للتركيز على الإيمان بالجنة والنار والملائكة وقيام الساعة والعذاب والثواب وما إلى ذلك ، إلى جانب التركيز على التوحيد ، فالكافر بأي من الأمور المذكورة يخلد في النار .

نعم يصحّ أن رأس العقائد هو التوحيد ؛ ولكن ذلك لا يعنى أن غيرها من العقائد هينة غير لازمة كالقلب هو أشرف الأعضاء في جسم الإنسان ، ولكن ذلك لا يعني أن الإنسان إنما هو عبارة عن القلب وحده، أو أنه يبقى حيًّا بالقلب وحده ، فهناك أعضاء أخرى تتوقف عليه حياته ، كالدماغ والكبد والرئة والأمعاء التي لها دخل كبير في حياة الإنسان . على حين إن أحداً لا يقول : إن هذه الأعضاء تساوي القلب في الشرف . فكذلك التوحيد مهما كان رأس العقائد ؛ فإنّ هناك عقائد أخرى لا يبقى الإنسان مسلماً إذا تجرد منها ، وقد جاء الرسل ليعلّموها جميعاً ، ولم يبعثوا لمجرد تعليم التوحيد .

أمّا الدليل العقلي على أن منكر النبوة كافر، لا ينجو من النار ، هو أنّ الله تعالى قال في القرآن: إن محمداً رسول الله ، فمن كذّب نبوّته فقد كَذَّبَ اللّه تعالى ؛ وتكذيبُ الله كفر بتوحيده ؛ لأن التوحيد يعنى إفراد اللّه تعالىٰ في ذاته وصفاته و كماله ، والتكذيبُ يعنى نقصه والتقليل من شأنه وعظمته ، فالمنكر لكمال ذاته وصفاته ، قد أنكر كونه واحداً فرداً صمداً .

على أن عقيدة التوحيد لا تتحقق إلاّ بتعليم النبي ، لأن المراد بالتوحيد هو التوحيد الصحيح المعتبر في الشريعة ، وهو ذلك التوحيد الذي لقّنه النبي صلى الله عليه وسلم ؛ حيث إن التوحيد تدعيه جميع الديانات في العالم ، فاليهود والنصارى رغم انتمائهم إلى الديانتين السماويتين متورطون في الشرك لكونهم قائلين بالتثليث وعاملين بالتحريف . أما غير أهل الكتاب كالآريّة الهندوسيّة فإنها رغم ادّعائها التوحيد الذي لا يوجد عند غيرها ، تقول بقدم الروح والمادّة ، وذلك شرك صريح وكذلك الفلاسفة الذين كونهم عقلاء ظل مُسَلَّماً عبر زمن طويل ، تورطوا في أخطاء فاحشة فيما يتعلق بالإلهيّات ، حيث يوجد فيهم من يشرك بالله كثيراً من الموجودات في صفة القدم على حين يدعي الكل أنّه موحّد توحيداً لا توحيد بعده ، إنّ هؤلاء ظلوا يُعْتَبَرُوْنَ عقلاء فيما قبل الوحي الإلهي الأخير ، ولكنهم بعد نزوله عندما قُوبِلُوا به ظهر زيفهم وضلالهم وخطؤهم الفاحش ، وعادوا يستحقون أن يُسَمَّوْا بـ"جهلاء" " أغبياء " بدل أن يُسمَّوْا " عقلاء " "حكماء" .

[يتبع]

الخِطْبَةُ كمصطلح في الشرع الإسلامي

بقلم : الأستاذ نورالحق الرحماني
المدرس بالمعهد العالي للتدريب في القضاء والافتاء
للإمارة الشرعية فلواري شريف بتنه ولاية بيهار (الهند)

إن الزواج عقد موضوعه الحياة الإنسانية ويعقد على أساس الدوام ، وبه يرتبط الرجل والمرأة الأجنبيان بالحياة الزوجية ويكونان أسرة ويوجد به نسل . ويتعلق بهذا العقد كثير من الأحكام الشرعية.. والمصالح الدينية والدنيوية ، ولذلك كان لهذا العقد خطره وشأنه ، وعنى به الأسلام عناية خاصة ، وأصدر توجيهات لكل مرحلة من مراحلـه بحيث لو لاحظها الفريقان وامتثل بها الزوجان لكانت الحياة الزوجية حياة هنـاء ورخـاء وسعـادة وطمانينـة ، وتوطـدت العلاقه الزوجية يوما فيوما، وعاد إلى الزوجين بثمـراتـه المباركـة بل تعدتهما إلى المجتمـع الانساني كله وعمت خيراته للجميع .

معني الخطبة:

إن الخطبة من مقدمات النكاح . كما يكون لكل الأمور والعقود ذات الشان والخطر في الحياة الإنسانية مقدمات ، وهي التماس الخاطب النكاح من امرأة تحل له شرعا، والافضاء بهذه الرغبة إلي تلك المرأة اونويها، وصورتها أن يتقدم الرجل بنفسه أوبرسل وكيله إلى المرأة نفسها أووليها ليطلب الزواج بها بعد أن توجد عنده الرغبة في زواجها فإن وافقت المخطوبة أوأهلها فقد تمت الخطبة بينهما .

وينبغي لكل من العاقدين أن يتعرف أحوال صاحبه الذي يريد أن يرتبط معه برباط الزوجية قبل الإقدام على النكاح وإبرامه ويطلع على أخلاقه وصفاته حتى اذا أقدما على النكاح كانا قدأقدما عليه،وقد اطمأن كل منهما إلى الصفات والمؤهـلات التى تحقـق أغراضـه ، ويتحقـق مصالح النكاح ومقاصـد الشريعـة بهـذا العقـد الميمـون ، ويتمتـع كل من الـزوجيـن بمنافعـه وخيراته ويتوفر لهما الراحة والسعادة والطمانينة القلبية والهدوء النفسي والمودة والرحمة التى هى روح هذا العقد، لأنه عقد الحياة .

وللخطبة طريقتان : إحداهما أن يظهر الخاطب رغبته فى النكاح بالمخطوبة بألفاظ صريحة واضحة في مرادها. كقوله: أريد الزواج من فلانة. وثانيهما : أن تكون الخطبة مفهومة ضمنا أوبالتعريض والقرائن كقوله : أبحث عن فتاة لائقة ونحوه . فلوكان الخاطب على ثقة من الأمر أويغلب على ظنه أنه يجاب إلى طلبه فيمكنه أن يخبر أهل المرأة عن قصده بصراحة، ولوكان متردداً بين الرفض والقبول فينبغي له أن

يختار لذلك منهجا يحتمل الخطبة وغيرها .

والأفضل في الخطبة أن يتقدم لها الرجل ويتسابق كما يدل عليه كثير من الأحاديث ويتبيّن من سيرة الرسولﷺ وسيرة أصحابه الكرام رضي الله عنهم غير أن الأمر يتسع في ذلك فلورأى أولياء المرأة رجلاً كفواً من أهل العلم والصلاح والورع والتقوى فيباح بل يستحب لهم ان يعرضوا عليه زواجها تأسيا بما فعله شعيب عليه السلام مع موسى عليه السلام حيث عرض بنته عليه لمّا تأكد من أمانته وصلاحه وقوته قائلا: (إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين/ القصص) وورد في السنة أن حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنهما لما توفيّ زوجها عـرضها عمـر على عثمـان وعلى رضي الله عنهم . وقد عقد البخاري رحمه الله بابا مستقلا في صحيحه في كتاب النكاح " باب عرض الإنسان ابنته أو اخته على أهل الخير " وذكر فيه قصة حفصة وقصة امرأةٍ مومنةٍ وهبت نفسها للنبيﷺ فزوجها النبيﷺ رجلاً من أصحابه.

النظر إلى المخطوبة:

ومن أقوى الوسائل وأهم الطرق لتعرف كل من العاقدين أحوال الآخر والوقوف على أخلاقه وصفاتـه ليكون كل منهمـا على بينـة مـن أمر صاحبه قبل إبـرام العقـد هي رؤيـة الخاطب مخطوبته وبالعكس، وهي أجدى طريق المعرفة، ولذلك أباحته الشريعة الاسلامية ورغبت فيه . وقد وردت في ذلك أحاديث كثيرة. منها ما رُوي عن جابررضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : إذا خطب أحدكم المرأة فإن استطاع أن ينظر إلى ما يدعوه إلى نكاحها فليفعل (مشكاة المصابيح عن أبي داوؤد)

وعن المغيرة بن شعبة قال: خطبت امرأةً فقال لي رسول اللهﷺ: هل نظرت إليها؟ قلت لا! قال فانظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما (مشكاة عن أحمد والترمذي والنسائي) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كنت عند النبي ﷺ ، فأتاه رجل ، فأخبره أنه تزوج امرأة من الأنصار ، فقال له رسول اللهﷺ: أنظرت إليها؟ قال: لا قال. فاذهب فانظر إليها، فإن في أعين الأنصار شيئاً. (رواه مسلم)

وعن أبي حُميد الساعدي رضي الله عنه قال: قال رسول اللهﷺ : اذاخطب أحدكم امرأة فلاجناح عليه أن ينظرمنها، اذاكان إنما ينظر اليها لخطبته، وإنكانت لاتعلم(رواه أحمد) وجاء في سنن ابن ماجـة أن المغيـرة بن شعبـة قـال : فنظرت اليها فتزوجتهافذكرموافقتها (ابن ماجة ١٣٥)

وليـس مـن الـلازم أن يـرى الخـاطب مخطوبته بنفسه فإنه لولم يتيسّرله ذلك أرسل امرأة ذات خبرةٍ وبصيرةٍ عن أحوال النساء وعادات الناس، تتأملها وتصفها له، لما يروى أن النبي ﷺ : أراد ان يتزوج أمرأة فبعث بامرأة لتنظر اليها (عمدة القاري ٩/١٢ع)

وكما أنه يباح للرجل أن يرى مخطوبته كذلك يحل لها هي الأخرى النظر إلى من خطبها وقـدصرّح بـذلك الفقهاء ففي حاشيـة القليوبي (٢١٨/٣): ويسن للمرأة أن تنظر من الرجل أيضا غير ماذكر حرة أولمة" وكذلك نص على

ذلك الحنابلة كما في كشاف القناع (٦/٥)

أماعدم تعرض الأحاديث لذلك فوجهه أن الخاطب إذانظر إلى مخطوبته يتحقق بذلك نظر كل واحد منهما إلى الآخر . والوجه الثاني أن المرأة مأمورة بالحجاب شرعا فإنها تكون مستترة فى الغالب ولذلك أمربالنظر إليها ، أما الرجل فهو ظاهر غير مستتريستطيع كل أحد أن يراه ويطلع على أحواله وحسنه وقبحه.

فالحاصل أن حكمة النظر إلى المخطوبة والغرض منه أن يتعرف كل من العاقدين الآخر ويقدم كل واحد منهما على الزواج وهما مطمئنان إلى أنه يمكن التعايش بينهما بسلام وأمان وسعادة ووئام . مع أنه يحرم نظر كل واحد من الرجل والمرأة الاجنبيين إلى خلاف جنسيه ولكن ورد الأمر لذلك استحسانا لسعادة الحياة الزوجية .

متى تكون الرؤية:

ورد الأمر بالرؤية بمناسبة الخطبة فيجوز أن تكون قبل الخطبة كما يجوز أن تكون بعدها . ويباح أن تكون هذه الرؤية خفية من غير أن تعلم المرأة أوأهلها، كما يعلم ذلك من الحديث المتقدم ذكره ؛ وورد فى حديث ابن ماجة أن محمد بن مسلمة رضي الله عنه رآى مخطوبته من وراء شجرة ، وقال جابر: فخطبت جارية من بني سلمة فكنت أتخبّأها في حوائط النخل حتى رأيت منها ماأعجبني فتزوجتها. ولكن بعض الفقهاء يفضّل أن تكون الرؤية قبل الخطبة لأنه يحتمل أن لاتعجبه المخطوبة ولا يجد في نفسه رغبة في زواجها بعد الرؤية. فإن أحجم بعد الخطبة يكون في ذلك إيذاء لها ولأسرتها . والحكمة فى الرؤية خفيةً أوفجأةً أنه يراها في حالتها الطبيعية من غير أن تتصنع في التزيّن والتجمّل . فيقف على الصورة الحقيقية يقول العلامة النووي فى شرحه للمسلم :

ولهذا قال أصحابنا : يستحب أن تكون نظره إليها قبل الخطبة حتى إن كرهها تركها من غير إيذاء ، بخلاف ماإذا تركها بعد الخطبة" (مسلم مع شرح النووي ٤٥٧/١)

مايباح النظر إليه من المخطوبة:

قداتفق الفقهاء على جواز النظر للخاطب إلى وجه المخطوبة ، لأن الوجه مظهر المحاسن الخلقية والأحوال النفسية والصحية، كما يقول المثل السائر: "الوجه عنوان الضمير"، وكذلك ذهب جمهور الفقهاء إلى إباحة النظر إلى الكفين ، لان رؤيتهما تدل على حال الجسم من الامتلاء والنحافة والخصوبة وأضاف إليها بعض الحنفية القدمين والحنابلة الرقبة ، وأباح بعض الفقهاء النظر إلى ما يظهر من المرأة عند اشتغالها بأعمال البيت كالزراعين والساقين والرقبة ، وهذا مروى عن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله. ومعنى ذلك أنه يباح للرجل أن يرى مخطوبته في الحالة التي تظهر بها لمحارمها، ودليلها على ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أذن في النظر إلى من غير علمها عُلم منه أنه أذن فى النظر إلى جميع مايظهر منها عادة . ومذهب جمهور الفقهاء قابل للترجيح لكونه

مبيناعلى الاحتياط وسدّا لباب الفتنة.

كماايباح للخاطب رؤية مخطوبته كذلك يجـوزلـه أن يتحـادث معهـا لان الغرض منها تعرّف كل من العاقدين على الآخر والمحادثة من أهم الوسائل لدراسة أخـلاق الإنسان ، وآدابه ، والوقـوف على عقلـه ، وذكاتـه ، وحضـارتـه ، وثقـافتـه ، وعلمـه ، ومعرفتـه ، وخبرته بشؤن الحياة ؛ فـلا حـرج في ذلك بل هـو مستحسن بشرط أن يكون مع وجود محرم، حتى لاتؤدي إلى مفسدة.

تحريم الخلوة بالمخطوبة:

وإباحة رؤية الخاطب مخطوبته أوالمحادثة معها يتقيّد شرعاً بشرطٍ ؛ وهو أن يكون مع وجود أحد محارمها كأبيها أو أخيها أو عمّها أو خالها ، ولايكون في خلوة ، لأنّ الخلوة بالأجنبية حرام ، وكل من العاقدين أجنبي للأخر قبل تمام الـزواج . وقـد ورد في الـحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "لايخلون رجل بامرأة إلاّ ومعهما ذومحرم" (رواه البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما) وعن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من كان يؤمن بالله واليوم الأخر فلا يخلونّ بامرأة ليس معها ذومحـــرم منهـا فإن ثالثهما الشيطان" (منتقى الأخبار شرح نيل الأوطار ٩٥/٦)

وهذه الطريقة الاسلامية للتعرف لكل من العاقدين على أحوال صاحبه ليكون كل منهما على بينة من أمر الأخر قبل الإقدام على عقدالزواج، وهى الطريقة السليمة المثالية المعتدلة التي لا إفراط فيها ولا تفريط ، وهذا هوالمسلك الوسط بين مغالاة المتشدّدين الذين يبالغون فى الحيلولة بين الخاطب ومخطوبته ويحرمون على الخاطب كل سبيل ، لأن يلقي على مخطوبته نظرة قبل أن تزف إليه ويكتفون بوصف الواصفات اللاتي يبالغـن فـي الاستحســان والاستهجـان وبيـن المسرفين الذين يطلقون لهما الحرية في الاتصال والخلوة والمعاشرة والخروج معا إلى المنتزهات والملاهي والأماكن العامة ، وكشفوا للخاطب كل أستار البيت وأزالوا من بين يديــه الحجب، فكانت النتيجــه خطيـرةً خصوصـــا إذا عـدل الخاطب عن خطبتـه ولم يتم الزواج . كان في ذلك العار الأبديّ لهذه الفتاة وأسرتها .

شروط الخطبة:

وحيث أن الخطبة مقدمة الزواج فأخذت حكمه في الجواز وعدمه فيباح للرجل خطبة امرأة تصلح للزواج وتحل له في الحال ، وتحرم خطبة لامرأة تحرم عليه حرمةً مؤبدةً أوموقتة كالمحارم التي ذكرهن القرآن الكريم أوالسنة النبوية – على صاحبها السلام – سواء كانت محرمة لأجل القرابة أوالمصاهرة أوالرضاعة أوتكون منكوحة الغير أو معتدته من طلاقٍ رجعيٍّ أوبائنٍ أومُغلظةٍ .

ولا اختلاف بين الفقهاء في تحريم خطبة المعتدة من طلاقٍ رجعيٍّ لا بطريق التصريح ولابطريق التعريض، لان زوجيتها قائمة وحقوق الزوج في الرجعة ثابتة قبل انتهاء العدة فتكون الخطبة اعتداءًا على حق الزوج ، وكذلك لا

يجوز خطبة المعتدة من طلاقٍ بائنٍ لاتصريحًا ولا تعريضًا مادامت في العدة ، لأن بعض أحكام النكاح باقٍ ، ويمكن أن يتم بينهما النكاح ثانيًا بتراضيهما . فالتقدم بالخطبة من رجل يمكن أن يخل بهذا المقصود .

وأمــا المعتــدة مـن وفـاة فتجـوز خطبتهـا بالتعـريض لا بالتصـريح كمـا قال الله تعالى: "ولاجناح عليكم فيما عرّضتم من خطبة النساء أو أكننتم في أنفسكم ، علم الله أنكم ستذكرونهنّ ولكــن لاتواعـدوهنّ سرّا الا أن تقـولـوا قـولا معروفا" (البقرة)

يقـول العلامــة أبوبكر الجصاص الرازي - رحمه الله - في كتابه "أحكام القرآن" تحت هذه الآية: وقد قيل في الخطبة إنها الذكر الذي يستدعي به إلى عقدة النكاح ... وقيل في التعريض: إنه ماتضمن الكلام من الدلالة على شيء من غير ذكر له ... وقال ابن عباس : ''التعريض بالخطبة أن يقول لها إنيْ أريد أن أتزوج امرأة من أمرها، وأمرها يعرض لها بالقول'' وقال الحسن : "هو أن يقول لها: إني بك لمعجب وإني فيك لراغب ولاتفوتينا نفسكِ"، وقال النبي صلى الله عليه وسلم لفاطمة بنتَ قيس وهي في العدة: "لاتفوتينا بنفسك" '' ثم خطبها بعد انقضاء العدة على أسامة بن زيد''. وقال عبدالرحمن بن القاسم عن أبيه قال: هوأن يقول لها وهي في العدة : إنك لكريمة وإني فيك لراغب وإن الله لسائق إليك خيرًا أونحو هذامن القول''. وقال عطاء: هو أن يقول: إنك لجميلة وإني فيك لراغب وإن قضى الله شيئا كان ، فكان التعريّض أن يتكلم بكلام يدل فحواه على رغبته فيها ولا يخطبها بصريح القول . قال سعيدُ بن جبير في قوله تعالى : (الا أن تقولوا قولاً معروفاً) أن يقول إني فيك لراغب وإنى لأرجو أن نجتمـــع (احـكام القرآن للجصاص، التعريض بالخطبة ٥١١/١)

وقدمنع الشرع الإسلاميّ من خطبة المعتدة من طلاق بائن لأنها تعتد بالحيض غالبًا وليس لأحد سبيل إلى معرفته والقول قولها في إخبارها بانتهاء العدة. فإذا أُبيح خطبتها ربّما دفعها الطمع في الزواج إلى الكذب والخيانة ، فتعلن بانتهاء العدة . وهي باقية ولايوجد هذا الاحتمال في المعتدة من وفاةٍ لأن عدتها أربعة أشهروعشر، ولاسبيل إلى الخيانة والكذب في عدة الشهور، لأنها تعرف بالحساب والكتاب فلا يسوغ للمعتدة بالشهور بحال أن تعلن بانتهاء العدة قبل انتهاءها حيث يظهر كذبها للجميع ، وبناء على ذلك أبيح خطبتها بالتعريض.

وكذلك تحرم خطبة امرأةٍ تقدّم إليها غيره بالخطبة إلى أن ترفض المرأة أو أولياء ها خطبة الأول . لماورد النهي عن ذلك في الحديث صريحًا حيث قال صلى الله عليه وسلم : لايخطب الرجل على خطبة أخيه حتى يترك الخاطب قبله، أو يأذن له الخاطب (رواه البخارى ومسلم عن ابن عمررضي الله عنهما) وسبب هذا المنع أنه يغري بين الناس بالعداوة . نعم إذا أذن الخاطب الأول للثاني في خطبتها يباح له أن يتقدم إليها بالخطبة بدون كراهةٍ.

☆ ☆ ☆

حول السلوك التربوي

بقلم : الدكتور أحمد عبد الرحيم السايح
الأستاذ بجامعة الأزهر

إن الله سبحانه وتعالى نعماً تطالع الناس صباحهم ومسائهم ، تحيط بهم من فوقهم ، ومن تحتهم ، وعن أيمانهم ، وعن شمائلهم . منها المنظور المستور ، والمعلوم والمجهول . تفيض عليهم بآثارها الملموسة في أنفسهم ، وفي آفاقهم.

وفي طليعة هذه النعم التي أفاضها الحق تعالى على عباده نعمة الحياة والإيجاد ، نعمة الخلق ، والإمداد ، والإعداد ، مما غدا به الإنسان أعظم آية من آيات الله في خلقه ، تشكل أروع أداة للدلالة على وجود الخالق البارئ المصور ، وضرورة الإيمان والإعتراف بفضله ، ووجوب التوجه إليه وحده . بما وجب في حقه من الإجلال، وحتمية استشعار عظمته، وسلطانه ، وتعميق الخضوع له ، والخشية منه ، وتأكيد الحب فيه ، والولاء له ، ووجدان الأنس به ، والإسترواح بذكره ، والشوق إلى لقائه، والسكينة إلى جواره .

تلك هي العبادة الواجبة لله عز وجل . لايجد الإنسان كيانه إلا فيها ، ولا امتداده إلا بها ، ولا وجوده إلا في الالتزام بها قولاً و عملاً ، أمراً ونهياً، خلقاً وسلوكاً ، واقعاً وتطبيقاً .. لقد غدا الإنسان للكون سيداً فلا أقل من أن يمضي لله عبداً، ولحق الله تابعاً ...

إن الوجود كله عابد بطبيعته ، منصاع لوظيفته. لايسعه إلا أن يطيع ربه في ولاء ، لايشوبه استنكاف ، ولايطاوله تأب ؛ بل أنه جميعاً من أعلاه إلى أسلفه ، يهتف في البداية من عالم الأزل بلغة المقهور أمام عظمة القاهر ... وهتاف العابد أمام قدسية المعبود بما سجله الحق في قوله: [ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين] سورة فصلت آية ١١.

والإنسان – وإن كان يساوق الكون في العبادة بفطرته . فإنه ينبغي عليه أن يفوقه في العبادة منزلة ، وأن يعلوه فيها درجات تتناسب وحقيقة الفرد، وتكوينه المتميز بالعقل والإرادة ، والإختيار، والميول ، والنزعات ، والرغائب .

وأن يكون لهذه العبادة الاختيارية نمطها الخاص الذي يواكب الفطرة.

إن العبادة حق الله على عباده ، ما خلقهم الله إلا لها ، ولارضى عنهم إلا بها. وما زاولوها، ومارسوا شعائرها في إخبات وخشوع ، وفي تذلل وخضوع ، وخوف منه ، يشفعه الرجاء ، وتضرع إليه يحدوه الأمل ، وعرفاناً له بحقه عليهم وواجبهم نحوه ، مستبقين في حلبته ، مسارعين إلى خيره .. إلا أبدلهم الله من الضيق فرجاً ومن الشدة مخرجاً ،

ومن القلق اطمئناناً ، ومن الخوف أمنا .

ثم غفر زلتهم ، وأقال عثرتهم، وقبل توبتهم ، ورحم ضعفهم ، وجبر كسرهم ، وأخلف لهم مابذلوا، وضاعف لهم ما عملوا، ويسر لهم أسباب قبوله، وفتح لهم أبواب رضوانه ، فجمع لهم أطراف الخير، وجعلهم في شرف قربه وجواره.

والحق أن السلوك إلى رب العالمين هو الشامة الدئمة التي بها يقف الإنسان من ربه على مكانته ، متفاعلاً ماضياً في طريق ا لله الذي خطه له ، وأرشده إليه، وهداه به..

والسلوك إلي رب العلمين هو الشامة الدئمة التي هي ضرب من الخضوع بالغ حد النهاية. ناشيء عن استشعار القلب عظمة المعبود .

وليس عند القلوب المؤمنة، والأرواح الطيبة، والعقول الذاكية: أحلى ، ولا ألذ، ولا أطيب ولا أسر، ولا أنعم . من محبةا لله، والأنس به، والشوق إلى لقائه. وكلما كانت المحبة أكمل، وإدراك المحبوب أتم، والقرب منه أوفر، كانت الحلاوة، واللذة ، والسرور، والنعيم أقوى .

وإن من الحقائق التي لامرية فيها : أن الإنسان لايتأتى له أن يلج باب ا لله، أويسير في الطريق إليه .. إلا بالعبودية الخا لصة لله وحده لاشريك له..

فإذاماتمخضت العبودية لله سبحانه ، وأصبح الإنسان من عبادا لله المخلصين ، وحقق بذلك (إياك نعبد وإياك نستعين)فإن ا لله سبحانه لايجعل للشيطان عليه من سبيل.

وإذا ماحقق الإنسان العبودية، فإن ا لله يعولاه. إنه سبحانه وتعالى يقول عن موسى وفتاه:(فوجدا عبداً من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما) (سورة الكهف الآية ٥٦).

إنه حقق العبودية ، فكان ثمرة دلك أن يغمره ا لله بالرحمة ، وأن يفيض عليه بالعلم. وليست المعرفة وحدها هي ثمرة التحقق بالعبودية ، بل إن للتحقيق بالعبودية ثماراً كثيرة سامية..

ولقدحقق رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم العبودية كاملة تامة.. لقد حققها في ذروتها .. فكانت صلاتـــه ، وكان نسكـــه ، وكانت حياته بأكملها، وكان موته لله رب العلمين لا شريك له : (قـل إن صـلاتي ونسكي ومحيـاي ومماتي لله رب العالمين . لاشريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين) (سورةالأنعام آية ١٦٢ ـ ١٦٣).

والإسلام الحنيف قدحرص علي إحاطة الإنسان بمناعات عقدية وخلقية وتربوية، تحول دون أن يتأثر هذا الإنسان بالمغريات أو التيارات التي تنال من كرامته ، أوتحط من مكانته..

كما زود الإسلام بمضادات ذات قيم فعالة ، تعالج ما قد يبتلي به من إصابات سلوكية تؤدي به إلى الهاوية، أوتنجم عنها أعراض وخيمة.

ذلك لأن في الإنسان (قابلية التأثر) وهو يملك (القدرة على التأثير) فكان لابد من صيانة قابلية التأثر لديه. لكي لايكون مجالاً رحباً للمؤثرات الخارجية المنافية للفطرة السليمة ، والذوق الرفيع والكمالات الإنسانية.

ولأن الإنسان يملك القدرة على التأثير فيما حوله أصبح من الضروري أن يظل هذا الإنسان سليما لتظل تأثيراته سليمة وصحيحة.

فالنظرة الشمولية التي يرتكز عليها الفكر الإسلامي في تقويم السلوك الإنساني تقرر : أن هذا

السلوك ينعكس لا على حياة الإنسان نفسه فحسب، بل على الموجودات كافة بشكل مباشر أو غير مباشر ..إذما من طاقة إلا ولها أثر ؛ لذلك اهتم المنهج الإسلامي بالسلوك باعتباره العامل الحاسم.

يقول أحدالعلماء : والإسلام يعتمد في توجيه السلوك البشري على موضوعية الأخلاق ، وفطرية البصيرة التي ندركها في بساطة ونقاء، وفي الوقت نفسه تزود الإنسان بالطاقة والقدرةوتنفخ فيه العزيمة والإرادة للوفاء بمقتضاتها ، وتتدخل في الأحوال التي تلتبس فيها الأمور على هذه البصيرة الفطرية أو التي تغلب فيها الشهوات والرغبات البشرية لتجلو وجه الحق ، وتبرز معالم الخير والبر.

ومن هذه الناحية تلبس الأخلاق ثوبها الإسلامي ، وتصطبغ بالصبغة الأسلامية، ويصبح الوفاء بمقتضاتها، والتمسك بقواعدها . مبنياً على المعنى القائم بالعقيدة . بحيث يجد الإنسان في امتثال هذه الأخلاق الإسلامية توافقاً بينه وبين عقيدته يبعث في نفسه الرضا والإطمئنان والاستقرار.

وأجلاّء الصالحين قد اتخذوا من سلوك النبي صلى الله عليه وسلم نبراساً استضاءوا به ، فاستخلصوا من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم سلوكاً تسامي بهم .. وإن الاقتداء برسول الله أساس أصيل لسلوك المؤمنين إلى الله.. قال تعالي : (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا) سورة الأحزاب آية٢١.

فلاشئ يفيد الإقناع واليقين كرؤية الشيء ماثلاً محققاً، وتحقق السلوك إنما يتم عن طريق وجود القدوة أو المثل الكامل، ولقد كان رسول الله صلى عليه وسلم أعظم حافز لمن يريد السلوك الحق .. ويذكر العلماء : أن وجود نموذج أخلاقي بشري هو أعظم حافز لمن يريد أن يبوئ للأخلاق في نفسه محلاً كريما، وأن يبذل جهده، وأن يظل على جهاده.

لأن أمله في تحقيق غايته ليس مستحيلاً ، كما أنه ليس بعيداً، والتهمة في عدم تحقيق هذه الغاية لم تعد في استحالتها أو بعدها ، ولكن في قصور الجهد المبذول من أجلها.

وذلك يدفعه إلى بذل المزيد من الجهد ، وسواء حقق في نفسه المثل الأعلى أو قاربه فإن فرداً يجعل هذا غايته ، فهو فرد عالي الهمة ، عظيم الخير والبر.

وكل فرد يستطيع أن يحقق في نفسه قدراً أكبر من التأسي بهؤلاء المثل البشرية العالية ، يصبح بدوره أسوة وقدوة لمن لم يبلغ مبلغه.

فالسلوك الإنساني على اختلاف أنماطه ، وتباين أغراضه ، وأوصافه. يعتبر سلسلة من العمليات المتابعة المتالية ، وبشكل يجعل من مجموعها صيغة فعلية واحدة ، وتؤدي غرضها بعد أن تتجسد حقيقة سلوكية .

بالفعل - أي فعل يقوم به الإنسان - يمر بمراحل متعددة ، تبدأ من داخل الذات الإنسانية، وتنتهي إلى خارجها، وحتى تكتمل عناصر وجوده النفسي ، والفكري ليتخذ مرحلة السلوك الفعلي في الحياة، ويقوم على : أعمال الإنسان الإرادية المتجهة نحو غاية معينة مقصودة فالفعل يتحدد تخطيطه ، ويكتمل تصوره، تصور الغاية المستهدفة له، قبل أن يحتل موقعه في الحياة العملية..

ولأهمية الفعل والسلوك الإنساني. اعتنى الإسلام بتنظيم عناصر الفعل والسلوك ووضع

المقاييس والموازين القادرة على جعل الفعل محققاً للخير والسعادة.. وبإنعام نظر نلاحظ .. أن السلوك الإنساني يعتمد على أمور أهمها : (المثير ، والغاية ، والنية ، والقصد) ولكل من هذه الأمور أثره في توجيه السلوك ، والفعل الإنساني .

فالمثير هو المنبه أو المحرك الذي يوقظ في نفس الإنسان الإحساس والاتجاه نحو فعل من الأفعال. فالمثير أو المنبه ينحصر دوره في لفت النظر، وتحريك قوى الإنسان. فكل موضوع يلقى باستجابة عند الإنسان هو بالنسبة إليه مثير، ومنبه يدفعه نحو اتخاذ موقف معين.

ولايمكن للمثير أن يؤدي دوره في تقرير الموقف الإنساني ، أو إحداث سلوك معين. إلا بالاعتماد على :

- الإحساس بالمثير عن طريق وسائل الحس، والأدوات الحسية. التي تجمع المعلومات الحية.
- حدوث الإثارة الداخلية في النفس الإنسانية. بعد شعورها بالحاجة إلى هذا الشيء، فيستجيب الإنسان لهذه المؤثرات ، وينفعل بها.
- اتخاذ الموقف الإرادي وإصدار الأوامر الذاتية مع موضوع الإثارة..

وعلى ضوء هذا المفهوم يبني الإسلام موقفه في التعامل مع الإنسان وترتيب الجزاء على الفعل الإنساني ومن أجل ذلك رفض الإسلام النظرية السلوكية القائلة بآلة السلوك الإنساني ، واعتبار السلوك مجرد استجابة آلية للمثيرات والمنبهات التي تدفع الإنسان لإحداث الفعل .

والإسلام يبنى موقفه هذا على أساس منطلق عقدي ، وموضوعي ، منسق . فالمنطلق العقدي يقوم على أساس الإيمان بوجود علاقة وثيقة بين ترتيب المسئولية والجزاء على الفعل الإنساني وبين عدل الله سبحانه .

لهذا أولى الإسلام أهمية كبرى لكل عنصر من العناصر التي تتعامل مع المثير ، فنظمه ووضع الضوابط والمناهج التي توجهه نحو الخير.

وإنطلاقاً من هذا الاهتمام بدور الحافز والمثير وضع الإسلام قواعد انضباطية للاحتراس من وجود المثيرات الشاذة، والمحفزات نحو الفساد. وتفادياً لوقوع الإنسان تحت تأثير هذه المحفزات الشاذة . وضع الإسلام الموازين ، والمقاييس . لانضباط الكلمة ، والفعل ، والموقف الإنساني . قال الله تعالى : [ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً] (سورة الإسراء آية ٣٤)

وبذلك كرس الإسلام كل منهاجه لإيجاد دوافع الخير، ومحفزات الإصلاح ، والتكامل الإنساني ، واستئصال كل وسائل الدفع ، والإثارة نحو الفساد والسقوط السلوكي . فالإنسان عندما يواجه المثير، والمحفز بحرية ، واختيار . يستطيع أن يقرر الموقف الذي يختاره ، وينوي الفعل الذي يريده فيتجه نحوه .

وانطلاقاً من هذا المفهوم جاءت الشرائع. لتغيير واقع الإنسان ، وتبدل صيغة حياته، ولقد فكر الإنسان منذ القديم في أشكال السلوك التي ينبغي أن تكون للإنسان شرعة ومنهاجاً. فتعددت لذلك المناهج، وتغايرت. ولما كانت الأشكال السلوكية إنما هي في الحقيقة صدى للدوافع إليها فقدارتقى البحث ألى تلك الدوافع، واختلفت الآراء

[illegible] إنّما تودّ من خلال [illegible] العالم العربيّ بشكل أسوأ [illegible] إسرائيل بصورة أشنع، وأن اليهود [illegible] على الخيانة وإخلاف الوعد [illegible] بالأمانة، مقيدين بالوعد، عاملين بالشرف والكرم، إنّ الحيّات والسباع والذئاب ستبقى [illegible] عليها درساً في الصلاح والمروءة، [illegible] لن يطهر ولن تتغير طبيعته مهما غسلناه بأحسن نوع من الصابون وربّيناه في حظائر راقية [illegible] !!.

ولكننا لا نستطيع أن نجعل المغرورين بالأماني، المتاهين في الأحلام، والمنخدعين عن قصد، المتشبثين بالسيادة والسلطة.. لا نستطيع أن نجعلهم يفهمون الحقيقة وأن يميّزوا الفرق بين الماء والسراب.

لقد وقّع فرقاء في لعبة "الاتفاقيات"، والفرقاء الآخرون يكادون يموتون لهفة، وكأنّ كلاًّ منهم كان من إسرائيل منذ قديم الزمان على ميعاد، وكأنّ الكلّ ظلّ يعيش صبابة شديدة إليها، وكأنّه يموت إذا لم يفز بوصلة غراميّة منها، وكأنّ جميع الدول العربيّة والإسلاميّة ولا سيّما دول المواجهة لن تعيش بدون إقامة علاقات دبلوماسيّة وتجاريّة وحتى عسكريّة معها !. لقد تلاشت اللاءات الماضية التي انطلقت مدويّة مزمجرة من الحلاقيم الأبيّة والأفواه الغيورة، في الزمن الذي لم يجب الثعالب مكان الأسود.

هل نفعت هذه الاتفاقيات أصحاب البيت وهم الفلسطينيون، حتى عاد المجاورون يقلقون على أحرّ من الجمر مخافة أن يفوتهم قطار السلام ذي الثراء [illegible] حتى منها الفلسطينيون؟! إنهم لم يحصّلوا [illegible]

لقد تبخّرت جميع الآمال المعسولة في هذه السنوات العديدة، وما تضمره الأيام القادمة هو أدهى وأمرّ. إنّ إسرائيل لم تعطِ حبّة إلاّ لتقبض قبّة، إنّها تعوّدت أن تقبض "المبيع" دونما "ثمن" تدفعه، فكيف بها إذا اضطرّت لتدفع مقابلاً ولو تافهاً يسيراً ؟! إنها لم تدفع المقابل التافه إلاّ بعد تخطيط دقيق بعيد المدى لاستلاب أكبر وأغلى شيء ممكن بجعل الفلسطينيين خصوصاً والعرب عموماً يلحسون التراب، ويقبّلون الحذاء، ويضيعون في العراء، ويتيهون في الصحراء !. وقد بات ذلك مُشَاهَداً ملموساً لدى كلّ إنسان، ولا سيّما الإخوة الفلسطينيين الذي يَصْطَلُونَ بالنار، ويلتحفون بالتشرّد والعقاب أضعاف ما كانوا يعانون منه قبل الدخول في مسلسل اتفاقيات السلام.

إن قبول الاستسلام والتوقيع على الانهزام أمام إسرائيل بضغط من أمريكا والسيّد الغربي، بحجّة البراغميّة أو التدريجيّة، والمرحليّة أو التكتيكيّة، أو إحراج إسرائيل وحليفاتها وسيّداتها، أو بحجّة قبول الأمر الواقع وحيلة الفرّ للكرّ.. لن يسيغه إلاّ الأذلاّء، ولن يوافق عليه إلاّ الانهزاميّون، ولن يرضى به إلاّ المُغَفّلون الجاهلون أو المتجاهلون بالتاريخ البشري ولا سيّما تاريخ اليهود وطبيعة الصراع القائم بين الإسلام واليهوديّة وبين النور والظلام وبين السراج المصطفويّ ولهب أبي لهب – في تعبير الشاعر الإسلامي الدكتور محمد إقبال –.

الطريق الأصوب الأسلم [illegible] إلى تحرير الأقصى والقدس والأرض [illegible] وموطنها "المقابل بـ [illegible]" [illegible]

في تقدير الدافع الذي ينبغي أن يكون حتى يؤدي إلى السلوك الذي ينبغي أن ينتهج .

فذهب أبيقور اليوناني : إلى أن مبدأ اللذة الشخصية هو الذي ينبغي أن يدفع إلى سلوك، فيتكيف شكله بما يحقق اللذة..

ويقول كانت : (إن الشعور بالواجب هو الدافع الأوحدإلى سلوك إنساني يتصف بالأخلاقية).

وذهب دور كايم إلى أن الدافع الأرفع هو نفع المجتمع يقول: فإننا نلقي من داخلنا الأوامر التي يفرضها المجتمع علينا ، وينبئنا به عما يجب علينا أن نفكر به أو أن نحققه في أعمالنا وسلوكنا.

أما موقف الإسلام في معالجة السلوك الإنساني ، فيغاير كل المذاهب الإنسانية سواء من حيث الشكل أومن حيث الدافع ..

أما من حيث الشكل فإن الإرادة الألهية هي المحدد الوحيد لأنماطه الراسمة لحدوده ... فكل مناحي التصرف الإنساني بينت الأوامر والنواهي الألهية الصفة التي ينبغي أن يستند عليها على نحو من الشمول والاستيعاب .

وذلك سواء ببيان الكيفيات ذاتها كما هو ظاهر في العبادات، والأحوال الشخصية بالخصوص، أو بيان الأصول العامة والقوعد الأساسية التي ينبغي إن يستند عليها كل مالم تحددكيفيته .

أن التحديد الإلهي للسلوك الإنساني هو من باب الرحمة للإنسان . قال تعالى : (وما أرسلنك إلا رحمة للعالمين) سورة الأنبياء آية ١٠٧. فغايته خير الإنسانية وسعادتها.

أما من حيث الدافع فإن الإسلام يرى: أن لادافع ينبغي أن يكون سوى الشعور بوجوب تطبيق الأمر الإلهي . وهذا الشعور إنما هو حصيلة لتصديق جازم بصورة ذهنية، قوامها وجود إله واحد ، متصف بصفات الكمال . يرسل الأنبياء، والرسل للناس مبشرين ، ومنذرين . وهذه الصورة متاتية بالخبر الألهي الموحي به وهي ما يطلق عليه اسم العقيدة .

ولا يخفى على الإنسان ماللعقيدة من أهمية بالغة في تأثيرها على الفرد في جميع مراحل حياته ... وفي كتاب عقائد المفكرين وتحت عنوان: ماهي العقيدة الدينية؟ يقول الكاتب عباس محمود العقاد : (إنما نعني بالعقيدة الدينية طريقة حياة ، لاطريقة فكر، ولاطريقة دراسة ، إنما نعني بها حاجة النفس كما يحسها من أحاط بتلك الدراسات ومن فرغ من العلم والمراجعة ليترقب مكان العقيدة من قرارة ضميره ... إنما نعني بها ما يملأ النفس لا ما يملأ الرءوس، أويملأ الصفحات).

والعقيدة الإسلامية : عقيدة استعلاء من أخص خصائصها: إنها تبعث في روح المؤمن بها الإحساس بالعزة من غير كبر، وروح الثقة في غير اغترار، وشعور الاطمئنان في غير تواكل.. حقيقة أساسية من حقائق الوجود ، وهي في ذاتها كفيلة بتعديل القيم والموازين ، وتعديل الحكم والتقدير ، وتعديل المنهج والسلوك ، وتعديل الوسائل والأسباب)

وإننا إذا ما قارنا هذا الموقف الإسلامي بمواقف المذاهب الفلسفية تبينت لنا عدة نقاط تختلفان فيها:

منها .. أن شكل السلوك في تلك المذاهب . تحديده ذاتي . نابع من الإنسان . وهو لذلك ليس محدد المعالم مسبقاً بل هورهين مايسفر عنه الدافع. أما في الإسلام فإن مصدر التحديد علوي هو الله

تعالى . ولذلك كان التحديد مضبوطاً مسبقاً..

ومنها .. أن الدافع في تلك المذاهب هو دافع ذاتي صرف . ولذلك فإنه تغاير بين مذهب وآخر .. أما في الإسلام فإنه باعتبار محتواه الذي هوتلك الصورة الذهنية الغيبية المتعالية المصدر إذأنه من إعلام ا لله تعالى ، ولذلك فهو موحد عند الجميع ، ولكن باعتبار تبنى الأفراد له، وتحملهم إياه يصبح حاملاً لعنصر ذاتي من هذا الوجه..

ومنها .. إذاكانت عامة المذاهب الفلسفية تجعل الغاية من السلوك شكله . بحيث أنه إذاتحقق الشكل الذي يقتضيه الدافع فقد حصل المبتغي ، وإن لم يكن صادراً فعلاً عن ذلك الدافع . فإن التعاليم الإسلامية قدجعلت همها في الربط بين الدافع والسلوك فجعلت الصلة بينهما صلة عضوية، حتى أن تحقق أحدهما دون تحقق الآخر لايعتبر شيئاً مذكوراً.

وقد عبر ابن خلدون عن هذا المعنى فقال : (أعلى مراتب الإيمان حصول كيفية من ذلك الاعتقاد القلبي للسان وما يتبعه من العمل مستولية على القلب فيستتبع الجوارح وتندرج في طاعتها جميع التصرفات، حتى تنخرط الأفعال كلها في طاعة ذلك التصديق الإيماني)

فأي سلوك لايكون دافعه الإيمان فإنه لايعتبر سلوكاً مقبولاً من الوجهة الإسلامية وإن كان في ظاهرة يلائم الأوامر والنواهي الإلهية.

فالسلوك لكي يكون سلوكاً مقبولاً معتداً به في التصور الإسلامي لابد أن يتحقق فيه شرطان:
أولهما: أن يكون ثمرة للعقيدة معاتياً من دفعها.
وثانيهما : أن يكون مطابقا للحدودالتي رسمتها التعاليم الإسلامية من حيث الشكل .

ومن الأمور التي يعتمد عليها السلوك الإنساني : الغاية .. ولاشك أن لكل فعل إرادي مقصود للذات الإنسانية : غاية أساسية تكمن خلف السعي نحوه، وتكون غرضاً ومطلباً مقصوداً له ، قال تعالى: (ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات) سورة البقرة آية ١٤٨. ولولا الغاية المستهدفة هذه لكان الفعل الإنساني عبثاً لامبررله، ولعبا لاداعي لوجوده.

وقداستنكر القرآن الكريم العبث، واللهو، واللعب. وقرر مبدأ الغاية في كل فعل من أفعال ا لله سبحانه ليوحي للإنسان بحذف الفوضى والعبث من حياته ، وليربط كل أفعاله بغايات واضحة ، ويحدّد غاية مسيرته قال تعالى :(ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار) سورة آل عمران آية١٩١.

وقال تعالى :(وماخلقنا السماء والأرض ومابينهما لاعبين) سورة الأنبياء آية١٤ وقال تعالى: (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لاترجعون) (سورة المؤمنون آية ١١٥)

فلذلك كان قياس قيمة الفعل بقياس غايته ، لأن الفعل ليس هو الحقيقة المطلوبة بذاتها ، بل هو الوسيلة والأداة التي يحقق الإنسان بهاغايته .. وسواء كانت في نفس الفعل أومنفصلة عنه فإن قصدالإنسان ، ونيته ، ومساعيه. تتجه دائماً لتحقيق الغاية، والذي يطلب العلم والمعرفة، ويسعى جاهداً نحوهما. إنما يستهدف عاية تكامل الذات ، ورفع النقص الكامن في الجهل عنها كغاية بعيدة.

وتحدد الغاية من القصد والفعل الإنساني

حسب وعي الإنسان وتصوره للحياة والعالم من حوله لذلك عبر القرآن عن هذه الحقيقة وصورها أدق تصوير. فقال تعالى :(ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيراب) سورة البقرة آية ١٤٨.

فجاء تشخيص القرآن هذا ليلقي الضوء على مسار الإنسان ، وليكشف تعدد الغايات والاتجاهات الإنسانية المتصارعة، وليحدد بدعوته هذه الوجهة التي يجب أن يتجه نحوها الإنسان ، والغاية التي يجب أن يسعي إليها ويتسابق من أجل الفوز بها. ليركز إتجاهه وغايته في كل أفعاله ونواياه في غاية واحدة ، وهي فعل الخير ، والإتجاه إلي ا لله مصدرالخير ، والكمال في هذا الوجود، والتسامي نحو تحصيل قربه ومرضاته.

ويستطيع الإنسان المؤمن أن يجعل أعماله ونواياه وحدة غائية متجهة إلى ا لله سبحانه. فيوجه أعماله المباحة أيضاً كالأكل ، والشرب ، والاستماع. نحو غايته القصوى وهي مرضاة ا لله سبحانه، فيضع أفعاله هذه، وأمثالها في موضع الاستعداد الجسدي، والنفسي للعبادة والمعرفة با لله، فتتحول من فعل غايته اللذة ، والاستمتاع . إلى عمل توصلي يسعى نحو غايته الكبرى ومرضاة ا لله.

قال ا لله تعالى على لسان إبراهيم : (إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين) (سورة الأنعام آية ٧٩).

وقال تعالى : (فإن حاجوك فقل أسلمت وجهي لله ومن اتبعن) (سورة آل عمران آية ٣٠).

و قال تعالى : ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن (سورة نساء آية ١٢٥) وقال تعالى: بلى من أسلم وجهه وهو محسن فله أجره عند ربه (سورة البقرة آية ١١٢) وقال تعالى : (والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية ويدرءون بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار) سورة الرعدآية ٢٢.

وقال وتعالى :(واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة وعشي يريدون وجهة) (سورة الكهف آية٣٨).

ومن هذه الآيات وما جرى مجراها . يدرك الأنسان : أن العرآن الكريم حصر وجهة الإنسان المسلم، وغايته في طلب الخير والإتجاه إلى ا لله تعالى، ليصنع الأنسان الخير ويقتلع المقاصد والغايات الشريرة . من دنيا الإنسان.

وقد اعتبر الإسلام النية روح العمل، ومقياس تقويمه . فبالنية تقاس الأعمال، وبالمقاصدتوزن الأفعال، وعلى أساسها تصنف وتقوم ..يقول رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم : (إنما الأعمال بالنيات ولكل امرئ مانوى فمن كانت هجرته إلى ا لله ورسوله فهجرته إلى ا لله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ماهاجر إليه) أخرجه البخاري

فالنية الإرادة ، وانبعاث النفس. بحكم الرغبة والميل إلى ماهو موافق للغرض . إما في الحال وإما في المآل .. فالمحرك الأول هو الغرض المطلوب. وهو الباعث. والغرض الباعث هو المقصد المنوي، والإنبعاث هو القصد ، والنية، وانتهض القدرة. لخدمة الإرادة بتحريك الأعضاء نحوالعمل .

فالإسلام لم يعط الفعل قيمة ولا أهمية مجردة عن النية والقصدفي حال تقويمه عن الفعل، وتقديره للفاعل. لذلك كانت الأعمال مشرعة لتحقيق النيات . [يتبع]

مع الرقم ١٣

بقلم : د. محمد بن سعد الشويعر
رئيس تحرير مجلة "البحوث الإسلامية" / الرياض

رسالة رفيق وصلتني من الأخ الكريم: من بريدة بالقصيم، يذكّرني بمقال سابق لي عن الرقم ١٣، الذي يتشاءم من الضرب، وسَرَتْ العدوىٰ في بعض ديار المسلمين، عن طريق الإعلام أو التقليد، حتى صار هذا الرقم مقترناً بالتشاؤم ، ورمزاً له في المجتمعات الغربية، مما دفع ببعضهم إلى سنحه من أرقام التعامل، بل ويشدّدون في التنفير منه فإذا أخذ أحدهم رقماً هاتفياً، تحاشى أن يبدأ أو ينتهي بثلاثة عشر، وكذا رقم البارة والمنزل، والدور في العمارة السكنية، أو أيّ شيء في شئون التعامل العديدة. بل صدّروه بضاعة للمسلمين لكي يحاكوهم ويتابعوهم في ملّتهم.

وإجابة لطلب الأخ الكريم، أخصّص حديث اليوم لهذا الموضوع، وأعده - إن شاء الله - في شهر أبريل وهو الرابع في السنة الميلادية أن اكتب عن كذبة ابريل، لتقترن الكتابة مع الزمن، حيث سرت العدوى لأمور كثيرة، وفدت لديار الإسلام ولها جذور في معتقدات أهل الديانات الأخرىٰ وهي تتوقد جذوتها بيد أبناء الإسلام فتؤخذ تقليداً من باب المحاكات والتقليد مع أنها من جذور الجاهلية عند العرب، أو من التنجيم بل يؤمنون بالجبت والطاغوت.. والكاتب يجب أن يتفاعل مع القراء.

إن التشاؤم عند النصارى واليهود من الرقم ١٣، يقترن بالتشاؤم من يوم الجمعة، فهما عندهم طالع نحس بينما الواقع عنهما عند المسلمين أنهما تفاؤل حسن وماذلك إلاّ أن حروبهم التي ينهزمون فيها مع المسلمين، حسبما أورد هنا من نماذج، تحصل مع تصادف الرقم ١٣، أو في يوم الجمعة ، الذي هو عيد الأسبوع، وموطن العبادة، وتجمّع المسلمين للصلاة والذكر وطاعة الله وشكره، والمسلم مأمور بحسن التوكل على الله، وعدم ربط أموره بغير الله سبحانه.

وفكرة الرقم ١٣، تأتي عندهم من جمع أرقام السنة التي حصلت فيها المعركه، الآحاد+ العشرات + المئات + الألوف إن كان في السنة الوفاً ، فإن خرج الناتج ١٣ حصل التشاؤم، هذا في الحوادث والمعارك، أما في غيرها فمن الرقم نفسه إذا كان ١٣ .

واكثر من أذكر عندهم ذلك المؤرخ "جان دوكاس" الذي ينتمي لأسرة بيزنطية عريقة في السّيادة والإمبراطورية، حيث ملأ تاريخه سموماً ضد المسلمين وروّج هذا التشاؤم، لأن العثمانيين حاصروا أمير جزيرة لبوس الجنوبي عام ٨٦٧هـ، وكان فيها هذا المؤرخ، فدك المسلمون أسوارها بالمدافع، وسقطت في أيديهم، وانهزم النصارى، وقد روي أن المذكور قد كتب تاريخ ذلك اليوم فأظهر فيه عداوته ضد المسلمين الحقيقية وكان المؤرخون قبله وبعده على شاكلته حول هذا الرقم، وحول يوم الجمعة، حيث سرت عندهم عقيدة ترتبط بالدين والوجدان وهذه السنة تعتبر عند هذا المؤرخ البيزنطيّ، نهاية الدولة البيزنطية، على أيدى المسلمين في عام ١٤٦٢م ،

الذي هو عام ٨٦٧هـ، وبجمع أرقام ذلك التاريخ الميلاديّ، يخرج الناتج ١٣، ثلاثة عشر هكذا: [٢+٦+٤+١=١٣]

ولكن يدرك المسلم هذا السرّ، الذي رسّخه مؤرّخوهم القدامى، وبثّوا أثره في قلوب قادتهم، لتخويفهم، من آثار هذا الرقم، وما يحمل من نذائر شئوم، فقد أيّده المنجّمون عندهم، وأن عليهم ألاّ يقدموا على معركة مع المسلمين يبرز في مجموع سنواتها الرقم ١٣، ويشتدّ الأمر إذا اقترن هذا الرقم مع يوم الجمعة، أو في رمضان لما في ذلك من نذارة الهزيمة، إذْ لذلك نماذج في حياتهم، يقرّبونها للأذهان، من حيث التشاؤم بالطالع والزاجر، كما كانت تعتقد العرب في جاهليتها، حيث نهى عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحذرت منه تعاليم شريعة الإسلام: إبعاداً وتشديداً.

يقول صلى الله عليه وسلم : "لا عدوى ولا طيرة، ويُعجبني الفأل" قالوا : يا رسول الله وما الفأل؟ قال: "كلمة طيبة" متفق عليه.. أما هم فيعلّقون بالطيرة والتشاؤم أمورهم، ولها رابطة بالسحر والسحرة، إذ أعلم أن أكثر من يتفاءل به قديماً وحديثاً اليهود. وسأورد هنا على سبيل المثال لا الحصر ، نماذج توثّق عقيدتهم في التشاؤم، ومنطلق مؤرخيهم في تجسيم هذه الأمور، حتى أصبحت في المجتمع شيئاً راسخاً، وقضية مسلمة في البيئة.

وتحذيراً من استعجال حدوث ما أمر الله ورسوله بالحذر منه في قوله تعالى : "ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتّبع ملتهم" (البقرة/١٢٠)، وقوله الرسول الكريم : "لتتبعنّ سنن من كان قبلكم حذو القذّة بالقذّة، حتى لو دخلوا جحر ضبّ لدخلتموه" قالو: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال : فمن؟". أي لا أحد غيرهم.

فإن المسلم مأمور بالتسلّح ضدهم، والتبصّر في العواقب والنتائج قبل الإقدام. والتصدىّ لجدهم واجتهادهم، في التماس المداخل التي تزعزع عقيدة المسلم، وتضعف الوازع الدينيّ عنده ، في قلبه وفي عمله.

فمن تلك النماذج :

١- كان دخول المسلمين لمدن الشام مع القائد أبي عبيدة بن الجرّاح، ثم بعد مجيء عمر بن الخطاب رضى الله عنه لإستلام القدس في أيام الجمع من عام ١٣هـ. حيث أصبحت بلاد الشام اسلاميّة، وانسحب المركز النصراني منها وهذا التاريخ يوافق بالميلادي ٦٣٤م [٤+٣+٦=١٣]، وأظهر المسلمون شعائر دينهم بصلاة الجمعة وخطبة الشكر فيها.

٢- في عام ٥٢٤هـ، ذكر ابن الأثير في تاريخه: أن عماد الدين زنكي، أمر عسكره أن يتجهّز للغرو وقصد حلب، فقوي عزمه، على قصد حصن الأثارب، ومحاصرته لشدة ضرره على المسلمين، وكان من به من الفرنج، يقاسمون حلب على جميع أعمالها، ويضيّقون عليهم معيشتهم، فأظفره الله بمن فيه، وتسلّم الحصن عنوة، وضعفت قوة الصليبيين بعد ذلك، حيث انهزموا في كثير من ديار المسلمين بالشام ذلك العام [الكامل ١٠ : ٦٦٢].

وهذا التاريخ يوافق بالأفرنجي الميلاديّ الذي هو تاريخهم ١١٢٩م، ولو جمعنا أرقام هذا العام لخرجت ١٣ هكذا[٩+٢+١+١=١٣].

٣- ذكر الدكتور سالم الرشيديّ، في كتابه محمد الفاتح، الذي قدّم للطبعة الثانية : الشيخ علي الطنطاوي :- أن السلطان محمد الفاتح - بايزيد الخامس - قد استولى على القسطنطينيّة، عاصمة الرومان لمدة قرون، متطاولة حيث سقطت أمام جيشه

عام ٨٥٧هـ، بعد حصار شديد، طويل وقويّ، تهاوت معه قلاع الصّليبيين وقوتهم، واحداً بعد الآخر، وكان فتحاً مبيناً للمسلمين استبشروا به، وتحوّلت معه أكبر كنائس النصارى، في هذه المدينة، المسمّاة : "أيا صوفيا" إلى مسجد ، صلى فيه القائد : محمد الفاتح بمن معه من المسلمين الجمعة الأولى، في تاريخ هذه المدينة، بعد أن أزال منه تصاويرهم، وتماثيلهم، وأمر بتنظيفه من وثنيّاتهم، حيث أصبحت في هذا التاريخ قاعـدة إسلاميـة، تهزّحصـون الصّليبيّين، وتقضّ مضاجعهم، وتنشر الإسلام في القارة الأوروبية، بدءً في بلاد البلقان، وقد سميت في ذلك اليوم: إسلام بول "اسطامبول"، أي مدينة السلام أو الإسلام.

وكان من المحصورين فيها، وممن شهد سقوطها المؤرخ "جـورج فرانترتس" صـديق الإمبـراطور قسطنطين، وأمينه وصاحب مشورته، الذي يُعْتَدُّ برأيه، وهو كما يقال عنه، رجل حقود، انعكس تاريخه على كل منافس له، فكيف بمن استولى على بلده، وطرده منها، وحوّل معابدها من عقيدة فاسدة، إلى دين الله الحق، دين الإسلام[ص: ١١]

وهذه السنة توافق بالميلادي، الذي هو تاريخهم عام ١٤٥٣م، وبجميع هذه الأرقام يخرج الناتج ثلاثة عشر، وهو رقم التشاؤم عندهم، الذي سرى أثره في تاريخهم وفي عقائدهم أزماناً طويلة، ولا تزال جذوره تحمل ذلك المعتقد ويتوارثونه ويغزّونه، بل ويصدّرونه لغيرهم وخاصة لنا معاشر المسلمين والجمع هكذا = [٣+٥+٤+١=١٣]

٤- وفي عام ١٣هـ حيث فتحت مدن الشام : دمشق، بيسان، طبرية، بيت المقدس وغيرها، حيث تحوّلت لمدن إسلامية، حسبما ثبت تاريخياً، بعد أن طرد المسلمونَ الروم من ديار الشام إلى الأبد، وأخذت الجزية ممن أراد البقاء في تلك الديار، وفرض عليهم عمربنُ الخطاب رضي الله عنه، بعد ما جاء لاستلام بيت المقدس، شروطاً تميّزهم عن المسلمين، سميت الشروط العمرية، وقد ألّف فيها ابن القيم كتاباً بهذا الإسم، مطبوع..

وتحوّلت الشام من قاعدة للرومان ، إلى قصر للدولة الإسلامية، أيّام بنى أمية، حيث منها تنطلق الدعوة، وتتجهّز الجيوش، مثلما أصبحت القسطنطينية - اسطامبول -، قصراً للدولة الإسلامية، أيام بني عثمان، ومنها انطلقت الدعوة في شرق و شمال أوروبا، وتتجهّز الجيوش الإنكشارية والسفر الحربيّة لإدخال الإسلام في أوروبا عن طريق بلاد البلقان.

وكلمة أحد زعمائهم، الذي تندحر قواته في بلاد الشام، أمام جيوش المسلمين في ذلك العام ١٣هـ تنبئ عمّا في نفوسهم، ولا تقل أثراً عما قاله المؤرخان اللذان مرّ ذكرهما: "جان دوكاس" و "جورج فرانترتس"، وهي قوله عندما وصل أنطاكية منهزماً مع فلول جيشه: سلام عليك يا سوريا سلاماً، لا رجعة بعده أبداً.

تلك الحوادث في سنة ١٣هـ ، توافق بتاريخهم الميلادي ٦٣٤هـ، وبجمع أرقام هذا التاريخ تظهر النتيجة هكذا [٤+٣+٦=١٣] مع أن هذا التاريخ أيضا صادف ١٣ في التاريخ الإسلامي الهجريّ، ولكن يعنينا هنا، ما يثبت في تاريخهم الذي تنبعث منه عقيدتهم، ويذكّونه في تواريخهم، وينقلونه كحقائق توصل معتقدهم التشاؤميّ.

٥- وحوادث عام ٥٧٩هـ حيث غزا صلاح الدين الأيوبيّ بلاد الكرك، وطرد الصليبيّن منها، وفيها ايضا تمّ حصار قلعة البيرة الهامّة بالشام، واستسلام صاحبها،

وهي من معاقل الصليبيين الهامّة تقربها من القدس، فإن تلك السنة، توافق في تاريخهم الأفرنجيّ الميلاديّ عام ١١٨٣م، وبجمع أرقام هذا التاريخ تظهر النتيجة التي يخشونها، وترتسم خيالاً مزعجاً في أفئدة قادتهم يتشاءمون فيه، هكذا [٣+٨+١+١= ١٣]. صلاح الدين رحمه الله، شخصيّة مهيبة عندهم لدوره في طردهم من الشام، وقد حقدوا عليه حتى ان الليني ضرب قبره بحذائه قائلاً : ها نحن قد عدنا يا صلاح الدين

٦- أما الرجل الثاني في توطيد أركان دولة الإسلام في الأندلس، فهو القائد المظفّر، الذي لم تنهزم له راية أمام الأفرنج، حتى أنه ألجأ هم إلى جبال البرانس في الشمال، القريبة من فرنسا، حقد عليه مؤرخوهم، كما ذكر ذلك المؤرخ: محمد عبد الله عنان في كتابه ذى الأجزاء "دولة الإسلام في الأندلس": فهو عبد الرحمن الناصر بن الحكم، الذي كان له معهم صولة و جولة، ويعتبر المثبّت لدعائم دولة الإسلام في الأندلس، عدة قرون، حتى عانت للأفرنج فرصة اختلاف دول الطوائف، فكانوا عوناً للأفرنج في طرد المسلمين من الأندلس، وانتهاء دولة الإسلام، بتنازل محمد بن عبد الله الأحمر عن الملك، ولجوئه للمغرب الأقصى بأسرته، طريداً .

إن عبد الرحمن الناصر بن الحكم الأموي، قد بدأ حروبه مع الأفرنج عام ٣٠٠هـ، الموافق للتاريخ الميلادي: عام ٩١٣هـ، وبجمع أرقامه على القاعدة نفسها، يصبح الناتج ثلاثة عشر هكذا [٣+١+٩= ١٣]. مع أن رقمي الآحاد و العشرات أيضاً هو الرقم ١٣.

– ولما كان الكفر ملّة واحدة، حيث عرفنا من كتاب الله الكريم كثرة جدال أهل الكتاب وحججهم واسئلتهم المتعنّتة، وتحالفهم مع كفار قريش، ومع المنافقين في المدينة، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت غزوته أحد الكبرى مع المشركين، بعدّتهم وعتادهم، وخيلهم وخيلائهم، مع قلة المسلمين، وعدم استعدادهم لدخول الحرب، وإنما كانوا خارجين من أجل اعتراض عير قريش، ولكن الله أرادها حرباً نصر فيها دينه وأعلا كلمته، وخذل الشرك وأنصاره، حيث قتل فيها جبابرة قريش وعتاتهم شرّ قتلة، كما أبان الله ذلك في سورة الأنفال وغيرها، وقد كانت تلك المعركة، في ١٧ رمضان، وهم يتشاءمون من الغزو مع المسلمين في رمضان، ويوم الجمعة وفي الرقم ١٣، وفي العصر الحاضر كان انتصار مصر على اليهود بغزو العبور في رمضان عام ١٣٩٣هـ ايضا.

– كما كان في عام ٤هـ غزوة أحد حيث امتحن الله قلوب المسلمين، وصرف عنهم كيد المشركين، وأجلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى النضير من اليهود من المدينة لخيانتهم، فذهب بعضهم لخيبر، وبعضهم للشام، وهذه السنة توافق بتاريخهم الأفرنجي ٦٢٥م. وبجمعها يخرج الرقم ١٣ هكذا [٥+٢+٦= ١٣].

وما أوردناه هنا، فإنما هو نماذج للوقائع الكبرى، التي رفع الله بها راية الإسلام، وخذل الشرك و أعوانه وإلاّ فإنه قد يكون في تاريخهم، حتى ما كان قبل الإسلام نماذج من ذلك، وقد نوّه المؤرخ بول ديورانت، في تاريخ : قصة الحضارة، وهو واحد منهم عن نماذج من ذلك.

وإن من يتابع أهم الوقائع بين المسلمين والنصارى، منذ فجر الإسلام، فإنه سيرى أن من رحمة الله بعباده المسلمين، أن تتم غلبتهم عليهم، في سنوات يأتي مجموعها ثلاثة عشر، مما يحسبه مؤرخوهم، فيجعلونه يوماً أسود في حياتهم نفوذ، تفوق المسلمين يرتبط بدلالة هذا الرقم.. أو في يوم الجمعة الذي

يبغضونه ويجعلونه يوم عمل لجنوور عندهم عقدية ليعزو الهزيمة له وليس وعلى شباب المسلمين أن يعوا ذلك جيداً، ويفهموا وقائع تاريخهم الحافل بالمآثر الحسنة، ولا يكونوا مقلّدين لغيرهم من دون وعي ولا بصيرة، لأن تشاؤمهم ونحسهم، نصر للإسلام ورفع لمكانته، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرنا بمخالفتهم وعدم الركون إليهم، ولا متابعتهم ولا خشيتهم "اتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين" [١٣ التوبة].

الأعمال بالخواتيم :-

صورتان متضادّتان حصلتا في غزوة خيبر بين حسن الخاتمة وسوئهما ، فسيء الخاتمة كانت له أعمال ظاهرها الحسن، وحسن الخاتمة أجر كثيراً وعمل قليلاً أوردهما ابن كثير في تاريخه فقال عن سيء الخاتمة:-

قال البخاري حدّثنا عبد الله بن مسلمة، حدثنا ابن أبي حازم عن أبيه، عن سهل قال: التقى النبي صلى الله عليه وسلم والمشركون في بعض مغازيه، فاقتتلوا فمال كل قوم إلى عسكرهم، وفي المسلمين رجل لايدع من المشركين شاذّة ولا فاذّة إلاّ اتّبعها فضربها بسيفه، فقيل يا رسول الله، ما أجزأ منا أحد، ما أجزأ فلان، قال: إنه في النار؟ فقال رجل من القوم : لأتبعنّه، فإذا أسرع وأبطأ كنت معه، حتى جرح، فاستعجل الموت، فوضع نصاب سيفه بالأرض، وذبابه بين ثديه، ثم تحامل عليه فقتل نفسه.. فجاء الرجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أشهد أنك رسول الله : قال: وما ذاك؟ فأخبره، فقال : "إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس، وإنه من أهل النار، ويعمل بعمل أهل النار فيما يبدو للناس وإنه من أهل الجنة".

وفي رواية أخرى، ختم هذا الحديث بقوله صلى الله عليه وسلم : "قم يا فلان فأذن أنه لا يدخل الجنة إلاّ مؤمن، وأن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر".

أما الحكاية الأخرى بحسن الخاتمة، ففي قصد العبد الأسود الذي رزقه الله الإيمان والشهادة، في ساعة واحدة، وقد رواها ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة قالا: وجاء عبد حبشيّ أسود، من أهل خيبر، كان في غنم لسيّده، فلما رأى أهل خيبر، قد أخذوا السلاح، سألهم قال : ما تريدون؟ . قالوا : نقاتل هذا الرجل الذي يزعم أنه نبيّ.

فوقع في نفسه ذكر النبيّ، فأقبل بغنمه حتى عمد لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال : إلى ما تدعو؟. قال: أدعوك إلى الإسلام، إلى أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، وأن لا تعبدوا إلاّ الله. قال العبد: فماذا يكون لي إن شهدت بذلك. وآمنت بالله؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الجنة إن متّ على ذلك: فأسلم العبد فقال: يا نبيّ الله إن هذه الغنم عندى أمانة، فقال عليه الصلاة والسلام: أخرجها من عسكرنا وارمها بالحصا، فإن الله سيؤدى عنك أمانتك، ففعل فرجعت الغنم إلى سيّدها، فعرف اليهوديّ أن غلامه قد أسلم.

فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فوعظ الناس، فذكر الحديث في إعطائه الراية عليًّا، ودنوّه من حصن اليهود وقتله مرحباً، وقتل مع علي ذلك العبد الأسود، فاحتمله المسلمون إلى عسكرهم، فأدخل في الفسطاط، فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اطّلع في الفسطاط، ثم اطّلع على أصحابه فقال : لقد أكرم الله هذا العبد، وساقه إلى خير، قد كان الإسلام في قلبه حقاً وقد رأيت عند رأسه اثنتين من الحورالعين.. وفي رواية قتل شهيداً وما سجد لله سجدة [البداية والنهاية ٤ : ٢٢٤-٢٢٥] نسأل الله حسن الخاتمة، ونعوذبه من سوئها وسوء العاقبة ، وغلبة الشقاوة.

صديق صباي

[الحلقة ٢]

بقلم الشيخ / محمد يعقوب النانوتوي رحمه الله
المتوفى ١٣٠٢هـ - ١٨٨٤م
تعريب الأستاذ محمد عارف جميل القاسمي المبارك فوري

هذه ترجمة عربيّة لما كتب الشيخ محمد يعقوب النانوتوي عن صديق صباه، ورميل دراسته، ومجاوره في الوطن، ومشاركه في السكن في دهلي أيام التحصيل، ومعايشه في الآمال والأحلام: الإمام محمد قاسم النانوتوي رحمه الله تعالى مؤسس جامعة ديوبند، وتُعَدّ هذه الترجمة اليعقوبيّة للإمام حقًّا أصلاً أصيلاً للتراجم التي كُتِبَتْ فيما بعد. ولذلك صحّ عزمنا على نقلها إلى العربيّة منذ زمان، فوكلنا بذلك إلى الأخ الفاضل الأستاذ محمد عارف جميل القاسمي المباركفوري وهو أحد الخريجين المُؤَهّلين من جامعة ديوبند، أُتيح له أن يتعلّم في الجامعة الإسلاميّة بالمدينة المنورة بجدّ واجتهاد مما أكسبه قدرة موثوقاً بها على الترجمة من العربية وإليها بأسلوب دقيق أمين.

فإلى القراء هذه الترجمة العربيّة تعميماً للفائدة، وتعريفاً بهذا العالم الربّاني العبقري الذكيّ الذي شيّد منارة العلم والثقافة الإسلامية في هذه الديار [التحرير]

خشونة عيشه :

وفي الأيام التي عايشت فيها "حضرة المولوي" كان يغلبه حالة من الجذب، يطيل شعر رأسه، ويأبىٰ أن يغسله أو يسرحه أو يدّهنه أو يقصّره ويسوّيه. حالة عجيبة تسوده، وهيبة تعلو وجهه، فيهاب الناس مخاطبته، رغم أنه رجل مرح، سمح خفيف الروح؛ فلم أقدر على مفاتحته بما رأيت منه، فأرسلت إليه من يبلغه عني ذلك؛ فضاق ذرعا بما سمع، غير أنه رضي بتقصير شعره وغسله وتسويته، وقد فعل، بعد ما كثُر فيه الهوامّ فنجا منها.

وجُبِلَ "حضرة المولوي" على حب العزوف والعزلة عن الناس. فعزّ على الناس مخاطبته، والحديث معه، وشبّ على ملازمة الصمت والسكوت. فيها به من رآه ولا يفاتحه، فهو - رغم خفة روحه وسماحته - يبدو عابساً كئيبا، لا يسع أحداً أن يطلع على ما هو فيه من عسر أو يسر، وهو بدوره لا يبوح به لأحد. وربما أصيب بمرض، ولا يدرى ذلك أحد، إلا أن تشتد وطأته فيلمسه من يلمس. ويخفى على كثيرين، أما هو فلا يُطلع عليه أحداً بَلْهَ التداوى والعلاج.

ومن الطرائف ما حُدِّثت أن "حضرة المولوي" كان يعمل في مطبعة الشيخ أحمد علي[1] فيناديه البعض بـ "حضرت المولوي" فلا يجاوبه، فإذا نودي باسمه

تهلل، وأقبل عليه كليًا. فقد كان يزعجه – كثيراً – أن يقابله الناس بمزيد من التعظيم والاحترام، يتبسط إلى الجميع، ويعاشر أصحابه وذويه معاشرة الإخوان، ولا يخص نفسه بتوقير زائد يقوم الناس به تجاهه. ولا يتقيد بزي العلماء الكبار من القميص والعمامة. وقال ذات يوم : لقد أفسد عليَّ هذا العلمُ، ولقد وددت أن أخفي شخصي فلم يعرفه أحد.

أقول : ورغم هذا الصيت الذائع ما عرفه من عرفه، فكم من فضل ناله، وخفي عن أعين الناس إلا ما ندَر. فصدّق ما قاله. ويتحاشىٰ عن الإفتاء بَله التوقيع والختم عليه. وإنما يحيل السائل إلى غيره من العلماء. ولا يرضى بالتقدم للصلوة، ثم أخذ يؤم الناس في وطنه. ويأبي أن يقوم فيهم خطيبا، وأول من حمله على الخطابة: الشيخ / مظفر حسين الكاندهلوي (٢) وشهد خطبته، واستمع إليها، واستبشر كثيراً .

والشيخ / مظفر حسين هذا ممن يمثل السلف الصالح في أيامنا الأخيرة هذه. وقد بلغ من تقوى اللّٰه تعالىٰ وورعه مكاناً لا يدخل معدته طعام يريبه إلا قاءه، وما رأيت ألزم للسنة منه ولا سمعت!! وهو أول من قام بحركة تزويج النساء الأيامى في هذه المناطق . كما قام به حضرة والدي خير قيام، وتبعهما "حضرة المولوي" فوسع من نطاقه. وسيُكتب هذا العمل الجليل في حسناتهم إلى يوم القيامة. وهذا جانب من جوانب أعماله البنّاءة الدينية التي قام بها ونشرها خدمةً للمجتمع الإسلامي .

وكنت أسعد بلقاء الشيخ / مظفر حسين عندما يقدم "دلهي"، وينزل على والدي، ويقيم في بيتي. والوالد يبادله الحب. فلا يتوجه إلى الوطن إلا عرج على "كاندهله"، وما فضل منه إلى "دلهي" إلا منزل عليه وأقام عنده، ثم يمضي في سبيله إلى "دلهي" . وكذلك يقف موقفا مماثلا من الشيخ إمداد الله (٣) ويجتمع به خلال زياراته لـ "تهانه بهون". وقد يقيم هناك. فما أعجب ذلك الاجتماع الذي كان ينعقد في مسجد "بير محمد" وما أكثر خيره وبركته. ولم يكن يهمهم إلا ذكر الله ، وقال الله وقال الرسول. وينتهي بهم المجلس – في الهجيع الأخير – بالجهر بذكر الله مما يوقظ الوسنان والغافل. ويوفقه لذكر الله. فهذه اللقاءات والزيارات يرجع فضلها – فيما يبدو – إلى هولاء الأعلام ، وإلا فما قدّر اللّٰه كان.

تَبَتُّله :

ولم يكن "حضرة المولوي" يرضى بالزواج، بينما أقلق والده: أسد علي، ما رآه فيه من إبائه عن تولي الوظائف، وتبنِّيه طريقة الإحسان والتزكية، كما كان أهمه كثيراً – ما خطب له إلى بعض البنات في "ديوبند". فلجأ إلى الشيخ إمداد اللّٰه وجعل يشكو إليه ذلك الأمر. حتى رضي "حضرة المولوي" بالزواج بأمرٍ منه، على أن يكون هو غير مطالب بكسب العيش للإنفاق على الزوجة أو الأولاد ما دام حيّا. وقَبِلَ أهلها ذلك مغلوبين على أمرهم. فعقد له الزواج.

هذا في جانب، وفي جانب أخر نجده لا يتولى – إذا ما رضى بذلك – إلا وظائف قليلة الدخل، فيعمل كمصحح للنصوص في بعض المطابع، يتقاضىٰ راتبا لا يتجاوز أربع روبيات أوستًا. وزاد الطين بلّةً ما جبل عليه من المبالغة في القرىٰ والسخاء. فلم تسمح نفسه

وصلاح الدين ، وجميع المجاهدين الحاملين شعلو السلف المتجلين موقفاً مشرّفاً للخلف بثباتهم الفوّارة ، ودموعهم الثّاجة ، وجباههم السجّادة.

أمّا غيره من الطرق فمهما أتعبت نفسه، وعدّدت محاسنه ، وأشيدَ باستقامته ، ورُكّز على أهميته الحاضرة.. فإنه لن يعدو أن يكون طريق الخزي والذلّ، وطريق العار والشنار، و طريق الخداع والسراب؛ ولن يجني منه المسلمون سوى الشوك والقتاد، والشرّ والفساد؛ ولن يخدم إلّا مصالح العدوّ بشكل أوفى و أحسن من السابق.

☆ ☆ ☆

وهناك قضيّة أخرى تفرض نفسها على لسان القلم، وهي قضيّة الإرهاب والتطرف اللتين بادرت امريكا إلى وصف كل مسلم بهما يناضل من أجل استرداد حقه الشرعيّ السليب في العمل بمقتضيات دينه كلها في حريّة تامّة ، أو يناضل من أجل أخذ الثأر وردّ الاعتبار إلى المسلمين المسحوقين في شتى أجزاء العالم ، أو يعمل من إجل إقامة المعادلة الصحيحة و المطالبة بكيل عادل واحد للأقليات المسلمة يكال به للأكثريات في دولها.

ومن المعلوم أن الغرب وأمريكا اصطلحا على اختراع صفات وتسميات معيّنة من حين لآخر لإلصاقها بالمسلم الذي يعمل على أن يعيش حر [illegible] المسلمون في أمكنة أخرى بعز وكرامة مرفوعي الرؤوس وعالي الأنوف.

ولا عجب أن يصنع الغرب وأمريكا [illegible] الإسلام والمسلمين [illegible] لهما [illegible] [illegible] [illegible] الشعوب [illegible]

في إطلاق هذه التسميات على المسلمين، وفي اتخاذ إجراءات ردع وعقاب وبطش ضد كل من تصنفهم حسب هواها في خانة "الإرهابيين" و "المتطرفين".

لماذا لم تسائل الدول والحكومات الإسلامية الغرب وأمريكا: هل المسلم المطالب بحقه الشرعيّ هو الذي يكون إرهابيًا متطرفًا، ولا يكون إرهابيًّا متطرفاً ذلك اليهوديّ الذي يطلق النار على المسلمين الأبرياء المصلين في المسجد. إنّ الطفل الفلسطينيّ الذي يرمي بطوب أو حصاة متواضعة إلى إسرائيل، يُصنّف إرهابيًّا، ولكن لا يُصنّف إرهابيًّا الشرطيّ أو الجنديّ الإسرائيلي الذي يفتح النار على الطفل البريء الذي سئم الليل الطويل فأراد أن يدفعه بيمينه الضعيف.

ويحدث في بلادنا الهند كذلك أنّ المسلم الذي يطالب بحقّه في العمل بجميع أحكامه الدينية والعيش بهويته الإسلامية طالما يُصنّف إرهابيًّا ؛ والآن بدأت الحكومة الهنديّة تحاول وضع قانون يقضي بمنع المسلمين عن بناء المساجد والمدارس والمراكز الدينيّة وإقامة الصلاة بحريّة بدون إذن رسميّ، متهمة في صراحة لالبس فيها بأن المدارس الإسلامية كلّها تُخرّج الإرهابيين (العلماء والدعاة). ولا تصنّف إرهابيين الهندوس المتطرفين الذين هدموا المسجد البابريّ وسوّوه بالأرض ونصبوا مكانه صنم "راما" – أحد آلهتهم –.

إنّ العلماء ورجال المدارس ممن لهم بنائها وإنشائها كانوا في طليعة المناضلين من أجل تحرير البلاد واستقلالها وبعد الاستقلال ظلت المدارس في هذه البلاد [illegible] [illegible] [illegible]

بادخار شيء يقدمه إلى أهله ويزور والده في الوطن فيتبعه أصحابه وضيوفه إليه، وما أكثر ذلك حتى شق على والده ذلك، بحكم دَخله الضئيل. فما كان من "حضرة المولوي" إلاّ أن استأذن زوجته ببيع حليها، وباعها وأنفق ثمنها وقد حُلت هذه السيدة على الصمود والصبر على شظف العيش فعانت ما عانت لدى زوجها سعيا وراء إرضائه، وإبقاءً على إبائه وعزة نفسه، وربما لاقت من زوجها مرّ الكلام نزولاً عند رغبته في إرضاء والديه فكان "حضرة المولوى" يكن في صدره لها حبا صادقاً ومودة ويكثر من الثناء والشكر لها في أخريات حياته.

جوده وسخاؤه :

ثم أنعم عليه اللّه ما أنعم ، ورزقه من فضله رزقا واسعاً. فيقدم ما يكسبه من الأموال إلى هذه الزوجة الأبية الصالحة – حفظها الله – التى تعوّدت الجود والسخاء وزادت قرى "حضرة المولوي" رونقاً وبهاءً. فلا أعرف ضيفاً نزل عليه في أية ساعة من ليل أو نهار إلا نال حظّه مما لذوطاب ولم يستنكف "حضرة المولوي" أن يعترف – وبكل صراحة – بأن قراه يرجع فضله إلى والدة أحمد – نجله الأكبر – وقال إنها تسبقنى فى الاستضافة والقرىٰ.

وكانت "نانوته" تختصن مزارع كثيرة جداً تنبت الزرع يملكها "حضرة المولوي"، فكان يقول لضيوفه: ما تكلفنا بإعداد الرز لأجلكم، وإنما يغلّ لنا الرز: أراضينا المترامية الأطراف هذه. فأعددناه وقدمنا لكم. وكان يغلو في نفقات الضيافة.

وذات مرةً قدّمَ إلى المائدة شيء وافر من السمن مع "كجهرى" – وهو طبيخ معروف مزيج من الرز والعدس – والضيوف يبلغون عشرة أو خمسة عشر فاستكثره الشيخ / رشيد أحمد [٤] فنصفه نصفين. نصفا أمسكه، ونصفا أرسله إلى البيت.

وذات مرة أراد أن يعلف بعض الدواب التي قدم عليها الضيف فطلب حمصا فلم يجده، وفي البيت "حمص كابلي" يعتبر من أنفس أنواع الحمص فأمر برضّه فَرُضّ، فقدمه وعلّف الدابة. وهكذا بلغ "حضرة المولوي" من القرىٰ والضيافة منتهاها.

بعض ما رآه فيما يرى النائم وهو صبي :

أذكر أن "حضرة المولوى" رأى وهو صبي فيما يرى النائم أنه أتاه أجله ، فمات فدفنوه في قبره ورجعوا، فأتاه جبرئيل في قبره، وبيده بعض الجواهر العالية، وقال له: هذه أعمالك. وفيها جوهرة جميلة وكبيرة جدا. فقال: هذه عمل خليل اللّه : إبراهيم عليه السلام.

ورأى أيام دراسته وهو نائم أنه وقف فوق بيت اللّه المحرم، و تنبع منه الآلاف من الأنهار، فذكره لوالده فأول له بأن القوم سيكثرون من الانتفاع بعلمه.

إباؤه عن التوظف :

عقد له والده النكاح ظنًا منه أنه – كسائر أترابه– سيتولى خدمة من الخدمات التي تدّر عليه مالاً يعيش به وينفقه، عند ما تحيط به الهموم. فانقضت مدة مديدة. ولم يصدق أمله فيه فأصابه اليأس. وأقلقه كثيراً أن يراه خاملاً لا يكسب عيشاً، بينما يرى أبناء أخوته قد تلقوا الدراسات. ونالوا وظائف مرموقة يسيل لها اللعاب وتدر عليهم المئات والخمسينات. فينعمون بعيش رغيد ويتقلبون في النعماء. فعِيل صبره، وشكا ذلك إلى

الحاج إمداد الله قائلا: إنه وحيد أولادى، لا يشاركه أخ أو أخت وعقدت فيه أمالاً بعيدة، ورجوت أن يكسب لنا العيش، ويدفع عنا الأذى والضيق الذى نكابده. والله يعلم ما حلّ به . فأصبح لا يتولى خدمة ولا يكسب عيشاً. فارتسمت ابتسامة على شفاه الشيخ، وسكت. ثم أرسل إليه – بعد – يبشره بأنه سينال منزلة رفيعة تسخّرله ذوى الخمسينات والمئات هولاء، ويبعد صيته وصوته، ويشار إليه بالبنان. جئتني تشتكي العوز والعسر، والله تعالىٰ سيرزقه – بدون وظيفة –رزقاً يَفضّله على أصحابه .

وقد وسّع الله تعالىٰ على "حضرة المولوي"، وأبوه : أسد على. حي يرزق، فَقَرّ عيناً وطاب نفساً، ولقي ربه راضيا به وبولده . ورأى – بأم عينيه – صدق التنبؤات التي تنبأ بها الشيخ / إمداد الله، فالرجل أدرى بأصحابه. وإنما يعرف ذا الفضل ذووه.

وسجّل الشيخ إمداد الله في كتابه "ضياء القلوب" كلماتٍ تثنى على الرجلين. وهي في غاية من الصواب والصحة. ولا ريب أن الشيخ أعمل فيها تواضعه. إلا أنه قصد السمو بمنزلتهما ورفع ذكرهما.

وقال لي الشيخ : أول ما حضرت حاجاً، لم يكن الشيخ / رشيد أحمد يمتاز عني كثيراً، وقلت: ما الذي يحمل الناس على هذه الزيارة. (؟). وقال : إن أمثال "المولوي محمد قاسم" عرفناهم. في غابر الزمان. أما الأن فقد مضت الدهور وما أتين بمثله.

ورغم ما اتصف به "حضرة المولوى" من الفضل لم يتفوه بكلمة تنم عنْ مدحه لنفسه، وتزكيتها، أو كبرها وخيلاءها، لا في خلواته ولا في جلواته، ولا بين من خالطه وأحبه، أو جهله وأنكره.

الشيخ / إمداد الله يوصينا بالاحتفاظ بما يقوله "حضرة المولوي" :

وقال الشيخ خلال هذه الرحلة : عليكم بما يقول أويكتب "حضرة المولوي"، فاغتنموه، اعتنوا به. غير أننا – القلب مِلؤه الأسى – لم يخطر ببالنا أن أجله قد حان، وسيد اهمنا الخطب. فقد كان نَقِه بعد معاناته لشدة المرض مرات. ولا نظن – آنذاك – إلا أنه سيعود اليه الصحة، فسُقِط في أيدينا، ولم نملك إلا قلب الأكف على ما فات، فأنّا لنا من يسدّ مسده، ويكمل ما نَقَصَ ويتدارك ما تسرب إليه من خلل.

وبعد ما تزوج "حضرة المولوي" كان يُنَفِّص عيش والده ما يراه منه من رغبته عن الدنيا وما فيها، وظلت تراوده أمنية ذكر يولد "لحضرة المولوي" يرثه ويُخلّفُه، ويعقب نسله. فقد رزق عدة بنات تباعاً، ولازالت اثنتان منهن على قيد الحياة. فقال لـ بعض أهل الخير والصلاح: إن أمنيتك للذكر. مما يتأذى به "حضرة المولوي" فلا تنغص عليه عيشه، إذاً سيرضيك الله تعالىٰ . فأمسك عنه. وأصبح أكبر همه تحقيق رغبة "حضرة المولوي"، فيقرى ضيفه، ويخدمهم دون أن يجد في نفسه من ذلك حرجاً.

فرزق الله تعالىٰ "حضرة المولوي" غلاماً سماه : أحمد. وقد بلغ أحمد هذا الثامن من عمره شابا يافعاً، جلعه الله سرا لأبيه، مشابهاً له، (آمين). ثم ولد له ابنه هاشم. وسماه بهذا الإسم جده – والد حضرة المولوي– كما ولد له – خلال ذلك – بنون وبنات، كل مضى لسبيله إلا بنتاً بلغت من سنها ثلاثا أو أربعاً من

السنوات وهي آخِر أولاده. متعهم الله جميعاً بطول عمر وسعادة وتوفيق، وأبقى على نسله بهم.

تواضعه:

وأخونا أسد علي – والد حضرة المولوي – رجل غِرّ يكثر من تدخين الشيشة. بينما "حضرة المولوي" ممن يكرهها ويبغضها وذات مرة أمره والده بإعداد الشيشة، والرحل طوع أبيه فأعدها وأحضرها ولما بلغ الناس ذلك لاموا والده على ذلك فأحابهم الوالد. لقد ندمت كثيراً إذ أمرته بذلك. ثم لم يعد إليه

وكان يعزّ عليه أن يرى ابنه جلس المسجد، فيه يبيت، ويطعم ويشرب واتخذ لنفسه زملاء اثنين أو ثلاثة يشاركونه في شيخه الذى بايعه. وطلب منهم أن يحضروا وجباتهم إلى المسجد. كما يحضر هو وجبته إليه، فيتشاركون في طعامهم وشرابهم.

معاناته وصبره:

تعود السير على الأقدام والصبر على المعاناة، مما يعز على والده. وقد بلغ من عنائه أنه كان يغتسل – إذا احتاج إليه – في الهجيع الأخير من الليل في بركة، في ليل قارّ، شديد البرد. يصطك له الأسنان، وتتمشى الرعدة فى سائر البدن، رغم ماكان يتوفر من الماء الحميم فى المسجد. وذلك حياءً من الناس، لاغير.

أذكاره وأعماله:

لقد مارس "حضرة المولوي" أعمالاً شاقة. يروض بها نفسه. ويزكيها، تقصر دونها الهمم. واستمر على الأشغال الشاقة مثل: حبس النفس، بالاضافة إلى التسبيحات الاثنى عشرية مما داوم عليه، فانتابت حرارة شديدة مزاجَه، أطارت شعر رأسه، و لم ترض بالزوال؛ إذ هـذه الحـرارة، مصدرها القلب، ولا سبيـل لـدفعهـا وتسكينها، فأصيب بمرض أودى به. [يتبع]

☆ ☆ ☆

الهوامش:

(١) الشيخ أحمد علي (- ١٢٩٧هـ = -١٨٨٠م) محدث كبير، امتاز بعلمه ومعرفته، أول من قام بخدمة مصادر الحديث تعليقاً، وتحشية، وتصحيحاً وطباعة ونشراً أخذ عن كبار عصره أمثال الشيخ/ مملوك علي، وسعادت علي، وسمع عن الشاه محمد إسحاق المحدث الدهلوي وهاجر معه إلى مكة، ثم عاد إلى الهند وعاءً للعلم، قضى حياته في تدريس الكتب الستة الحديثة، وتصحيح نصوصها، ثم أنشأ مطبعة، وأخرج هذه المصادر العلمية مصححة محشاة. له تحشية على خمسة وعشرين جزء من صحيح البخاري، وأكملها تلميذه النابغ الإمام النانوتوي وتوفي في سهارن فور

(٢) لم أعثر على من ترجم له

(٣) الشيخ / إمداد الله (١٢٣٣-١٣١٧هـ = ١٨١٨-١٨٩٩م) عالم رباني شيخ من مشائخ الطريقة كبير، أخذ عن الشيخ / إلهي بخش، والشيخ / نصير الدين الشافعي العلوم، والتصوف والسلوك. وأتمه على الشيخ / مياں جي الجهنجهانوي. تولى قيادة الجهاد ضد الاستعمار، وقاد الحملة التي هزمت قوات الإنجليز في وقعة "شاملي" التي هددت الكيان الإنجليزي. فحاولوا إلقاء القبض فهجر البلاد إلى مكة وكابد المشقات في سبيله، وجاورها ومات بها، ومولده "نانوته" بـ "سهارن فور"

(٤) الشيخ / رشيد أحمد الكنكوهي (١٢٤٢-١٣٢٣هـ = ١٨٢٦ – ١٩٠٥م) إمام رباني من كبار رجال العلم والسلوك والإرشاد. ولد بـ "كنكوه" من أعمال "سهارن فور" واشتهر بـ "قطب الإرشاد"، أخذ العلم عن كبار عهده، وخرج عام ١٨٥٧م مجاهداً ضد الاستعمار البريطاني فاعتقل وزجّ به في غياهب السجن. ولبث فيه بضعة أشهر أشرف على الجامعة دار العلوم عام ١٢٩٧هـ وعلى جامعة مظاهر علوم ١٣١٤هـ، تكسب بالطب، ومن آثاره: رسالة في التراويح، والكوكب الدرى، ولامع الدراري.

☆ ☆ ☆

العلامة الشيخ "محمود حسن الديوبندي" المعزوف بـ "شيخ الهند"

حياتـه ومآثره

بقلم : الشيخ السيد أصغر حسين ميان الديوبندي
أستاذ بالجامعة سابقاً المتوفى ١٣٦٤هـ
تعريب : الأستاذ عبد الرشيد القاسمي

الأطباء يتلقطون إلى علاج شيخ الهند

وكان فضيلته يتلقى العلاج و يأتي بتدابير التداوي عملاً بقوله عليه الصلاة والسلام : يا عباد الله ! تداووا(١) وبقوله صلى الله عليه وسلم : أعْقِلها و توكّل.(٢) كما كان يشكر و يدعو الله لكل مَن كان يقوم به أو يسهر على خدمته أو يعوده . وذلك على وحي من حديث نبوي يقول: من لم يشكر الناس لم يشكر الله(٣) ولكنه مع ذلك كله كان لا يثق بهذه التدابير و العلاج، وإنما كان كلّ اعتماده على ربّه المتعال شأن عباده الصالحين المتوكلين. و ذات مرةٍ أراد فضيلته أن يرجع إلى وطنه الأم "ديوبند" فذكر له الصفوة من خدّامه ومعارفه بأهمية بالغة أنه يتوفر في "دهلي" وأطباء بارعون، كما تتوفر أسباب العلاج بسهولة بالغة، وأنه ليس شيء منها في "ديوبند" الأمر الذي يؤدي إلى تفاقم وطأة المرض فأجاب عليهم قائلا وهو يبتسم : إخوتي ! كلّ ذلك من ألاعيب الأطفال.

وكان فضيلته قد رزقه الله حظًا أوفر من المحاسن السامية والصفات الحميدة كلها، و جعله مثالا لخلقه صلى الله عليه وسلم. ولا يخفى على أحد مدى الحب العميق الذي كان يكنه صلى الله عليه وسلم تجاه موطنــه ومولــده . ولذلك قال قبيل هجرتـه من مكة : "ما رُوِي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمكة : ما أطيبك من بلد و أحبك إليّ ولو لا أن قومي أخرجوني منك ما سكنتُ غيرك" قال الإمام الترمذي : وهذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه. (سنن الترمذي ٢/ ٢٣٠، في فضل مكة)

وكذلك قال مرةً : "كما رَوَى عبد الله بن عدي بن حمراء قال: رأيت رسولَ اللّٰه صلى الله عليه وسلم واقفا على الجزورة فقال : واللّٰه إنك لخير أرض الله وأحبّ أرض الله إلى اللّٰه ولولا أني أُخرِجْتُ منك ما خرجتُ" (المصدر نفسه)

عنايته الفائقة باحتفال جمعية علماء الهند

وكذلك فكان شيخ الهند يحبّ وطنه حبًا جمًا. ولأجل ذلك كان ينوي مرة بعد أخرى الرجوع إلى "ديوبند" بالرغم من أنه كان يتمتع في دهلي بسهولة وراحة أكثر من "ديوبند" غير أن قضاء الله إذا جاء توفرت له أسباب ظاهرة. وكان يحول دون عودته إلى

"ديوبند" إصرار محبيّه ، وعزمُ فضيلته على حضور الاجتماع الذي كانت "جمعية علماء الهند" تنوي إقامته خلال أيام قليلة قادمة. وكان فضيلته يعتني بهذا الاحتفال عناية الأثرياء من أصحاب الدنيا بتوفير الأسباب والأمتعة اللازمة في مناسبات زواج أولادهم وغيرهم من أحبّ أقاربهم. وبما أنه كان لا يقدر أن يكتب كلمة الرئاسة بدوره، فكتبها بأمر منه بعض تلاميذه. وهناك رجال صادقون للغاية وعلماء موثوق بهم يشهدون أن فضيلته استمع بكل إصغاء إلى الكلمة حرفا حرفا، و أمر بشطب عدة جمل و زيادة كلمات و جمل أخرى إليها.

اعتزال بعض تلامذته عن اجتماع الجمعية يؤلمه بالغا

وكان احتفال الجمعية هذا عنوانا رسميا محضا لدى مئات من كبار العلماء، فإنهم كانوا لا يهدفون بهذه المناسبة إلا زيارة فضيلته، وأما الحضور في الاحتفال فكان تبعاً لذلك. وكل من كان يحضر "دهلي" بهذه المناسبة يلقاه فضيلته فرحا مسروراً يبتسم السرور على وجهه، ويقول لبعض منهم : كنتُ في انتظار لك، وللبعض الآخر: جئتَ ولكن بعد ما طال الانتظار. ولما اعتزل بعض تلامذته الذين كان سماحته يأمل في أن حضورهم يزيد "جميعة العلماء" قوةً وثقة بفضل سمعتهم الطيبة وشعبيتهم البالغة، عن الاجتماع وأعماله حزن حزنا شديداً و تألم ألما لا يوصف. وكان وجهه المتألم ينمّ عن أن فضيلته كأنه يقول لتلاميذه هؤلاء ما قاله شاعر أردي معناه :

يا محبي محمود ! إن خروج أحد منكم من مجلسي الحزين وحضوره في مجلس العدوّ يُعَدُّ قيامةً.

وكان شوقه المتزايد واهتمامه البالغ بجمعية علماء الهند، وأهمية إيفاء الوعد الذي كان قد أعطاه في خصوص ترأس الاحتفال وإشرافه على أعماله يتطلب كلّ ذلك أن يحضر الاجتماع ويرأس نشاطاته بنفسه، ولكنّ الأطباء أكدوا أن ذلك يضرّ بصحته ضرراً فادحاً. ولما أصرّوا على ذلك لم يستحسن فضيلته أن يرمي برأيهم وراء ظهره، فلم يحضر الاحتفال بقالبه، غير أنه حضره بقلبه، فبقي في "دهلي" إلى أن انتهت أعمال الاجتماع. الأمر الذي شجّع أعضاء الجمعية وزاد من همتهم.

مكانته السامية تجمع كبار علماء الهند بأجمعهم إلى منصة واحدة

وكان من عجائب قدرته سبحانه و تعالىٰ أن اجتمع علماء من شتى المذاهب الفقهية و الاتجاهات الدينية على منصة واحدة لهدف واحد تحت مظلة "جميعة علماء الهند" وقد تناسوا خلافاتهم الحانبية ونزاعاتهم المذهبية. وأعجب من ذلك أن كل أحد منهم كان يدخل على فضيلة "شيخ الهند" حبّا فيه وإعجابا بشخصيته، ويعوده و يقدره تقديراً بالغا. ولما انتهى الاجتماع وفاز بنتائجه المرجوة في خير و عافية سُرّ فضيلته سرورا بالغا مثل قائد جيش يفرح إذا انتصر على العدوّ.

لقد تمّت أعمال الاجتماع في ٩/ ربيع الأول، و استأذن فضيلته الخاصةُ من خدامه وكبار العلماء بالرجوع إلى بيوتهم. و بعد أن سُمِحُوا بذلك غادروا

"دهلي" إلى منازلهم في ١١/ ربيع الأول مطمئنين فرحين. فإنه لم يكن أحد منهم يخطر بباله أن هذا القائد الأكبر للملة الإسلامية وهذا العالم الرباني الجليل لا يكاد يلبث في هذه الدنيا الفانية إلاّ أسبوعاً، وأن زيارته هذه ستصبح زيارةً أخيرة لهم في الحياة الدنيا.

مرضه يشهد تحسّناً

وكان فضيلته يعزم من ذي قبل على أنه سيعود إلى "ديوبند" عقيبَ الاجتماع. ولكن مشيئة الله شاءت أن تطير روح الخلف الصادق الأمين للمحدث "الشاه ولي الله الدهلوي" إلى السماء وإلى العليين من الأرض التي طارت منها أرواح العباقرة من العلماء والمحدثين إلى السماء. وبما أن الناس أصبحوا يأملون في شفاء فضيلته، وجعل الأطباء يرجونه في إصرار أن يبقى أياما في "دهلي" فلم يعجل في الرجوع إلى ديوبند.

وكان مرضه يشهد صحةً واضحةً ووضعه تحسنا كبيراً. كما كان الأطباء أكّدوا أن كبده قد زال مرضه وكذلك ذهب ما كان من تورّم في وجهه، غير أن الضعف ظلّ كما كان. وقد أصيبت أذناه بشيء من الصمم الذي كان الأطباء يرون أنه سيزول إذا عادت إلى سماحته الصحةُ والقوةُ. لم تكن هناك آثار تنبيء عن أن أجله قد اقترب، ولم يتكلم هو قطّ بما يثير القلق في نفوس محبّيه، ويبعث على الأسف و الأسى.

المرض يعود إليه مرة أخرى

وكان وضع فضيلته يدعو إلى الاطمئنان حتى يوم الجمعة ١٤/ ربيع الأول وفي السبت التالي فُوْجِيَ بالحمّى الشديدة وأخذته رعدةٌ مؤلمة. فازداد ألمه وتحول الوضع يثير بالغ القلق. وقد سبق أن توجّه أخوه الأصغر الشيخ الطبيب "محمد حسن" إلى ديوبند بعد أن كان وضع سماحته قد تحسّن. وقد بلغ أخاه أن إحدى بناته قد تعرضت لوطأة مرض شديدة. ولما اشتدت وطأة المرض بفضيلته من جديد أرسل الطبيب الأنصاري رجلاً إلى "ديوبند". ووصل الطبيب "محمد حسن" دهلي في الساعة التاسعة عشاءً من يوم الاثنين. وكان فضيلته قد ازداد ألمه للغاية. وكان مرضه يثير كل قلق، غير أنه كان يبصر كل شيء ويدركه، ويعرف كل رجل، ويتكلم ولو بصوت ضئيل جداً.

وعاش الليل كله والحال هذه. وكان البلغم قد تراكم في حلقومه لا يستطيع أن يدفعه. وفي الصباح تعاطى شراباً من عسل مُصَفًّى فنزل إلى حلقومه على غير ما يُرْجَى. وفي الساعة السادسة تغوّط و تطهّر بنفسه. وكان الضعف يتصاعد كل لحظة. ومع أنه كان يتمتع بالحواس، يغشاه نوع من الإغماء. وكان الخاصة من أقاربه وتلاميذه متحلقين حول سريره، وقلوبهم تخفق، ويخافون عليه من أن يحدث شيء يؤلمهم.

وطأة المرض تشتد للغاية

وتحول وضعه أسوأ صباح السابعة من يوم الثلاثاء في ١٨/ ربيع الأول عام ١٣٣٩هـ - ٣٠/ نوفمبر عام ١٩٢٠م. وساده إغماء تامّ، وبدأ يلفظ أنفاسا طويلة غير معتادة. وغلبه الانقطاع عن الدنيا والالتفات إلى الرفيق الأعلى. وبينما كان الحضور يذكرون الله في سرّ متحلقين حول سريره ردّد فضيلته اسم الله الواجب الوجود الحيّ الصمد الذي كان قد أطرب نَفْسَه طول

حياته بذكره ، ورفع صوته ثلاثا بـ "الله الله "

فبدأ الشيخ المفتي "كفاية الله الدهلوي" المفتي الأكبر للديار الهندية يتلو سورة " يسين" ولكنه لم يمكنه البكاء والأدب أن يتلو بصوت جهوري، فأخذ الشيخ الحافظ "محمد إلياس" يتلو السورة في صوت مرتفع ولما كاد أن ينتهى من تلاوة السورة تحرك سماحته بنفسه و أقام بدنه، كما فرّج بين أصابع يده وجعلها مستقيمة.

نفسه المطمئنة ترجع إلى ربّها راضية مرضية

وعند ما بلغت الساعة، الثامنة صباحاً، وانتهى الشيخ "محمد إلياس" إلى آخر السورة فتح فضيلته عينيه وحرّك لسانه إعرابا عن تائيده لما في قلبه. و لما تلا الشيخ "الياس" " إليه ترجعون" توجّه إلى القبلة و أقفل عينيه، و انقطعت الأنفاس بكل يسر وسهولة، واستودعت روحــه الطيبــة الزكية المسلمين جميعا وطارت إلى روح وريحان وجنة نعيم، والتحقت بالرفيق الأعلى. فإنا لله و إنا إليه راجعون.

وليس لأحد أمرا ميسوراً أن يقدّر مدى الحزن والألم والقلق الذي ألمّ الحضور بحادث وفاة شيخ الهند: فبقى الحضور كلهم برهة لا يعرف بعضهم بعضا، فهناك رجال هطلت الدموع من أعينهم، وآخرون أقفل الأسف لسانهم. ولا غر وفي ذلك، فإن مثل هذا الحادث يجعل الناس يقلقون ويضطربون و يبكون. غير أن ملازمة صحبة شيخ الهند ساعدت الحضور في هذه المناسبة المحزنة على التشبث بأذيال الشريعة وخضعوا لقضاء ربّهم راضين مطمئنين.

وبعد أن مضت على وفاته نصف ساعة فكّروا في دفن جثمانه. وسأل الطبيب الأنصاري الشيخ الطبيب "محمد " حسن أحا فضيلته وغيره من خدّامه عن دفن جثمانه قائلا إن كنتم ترون دفنه في "دهلي" فلنتخذ التدابير لدفنه في مقبرة "مهنديان" التي تحتضن عددا كبيرا من كبار العلماء وعباقرة المحدثين، وإن كنتم تحبّون أن ترجعوا بجثته إلى "ديوبند" حيث يتمّ دفنها فلنأتي بأسباب لازمة في هذا الخصوص. وكان الناس كلهم على معرفة جيدة بأن فضيلته كان يحنّ بالغا في حياته إلى أن يدفَن بجوار أستاذه الإمام "محمد قاسم النانوتوي" في ديوبند، و بأن هذه الأمنية الأكيدة هي التي عادت به من "مالطة" إلى "الهند" فاتفقوا جميعا على أن يُنقل جثمانه إلى ديوبند.

الحزن يسود مدينة دهلي بنبأ وفاته

وكانت مدينة "دهلي" قد انتشر في أرجائها نعي وفاته المؤلمة انتشار الكهرباء في أسلاكها وبعث الطبيب الأنصاري ببرقية مفصلة إلى ديوبند جاء فيها: إن فضيلة شيخ الهند قد توفته المنية، وأن جنازته سوف تصل إليها مساء اليوم. كما أبرق إلى صحف شتى. هذا وقد أبرق مئات من سكان دهلي إلى أقاربهم و محبّي شيخ الهند في مختلف المدن يخبرونهم بالحادث. ولما تلقى الناس هذه البرقيات أخبروا غيرهم بالنبأ بسرعة فائقة. وإضافة إلى ذلك كله لم يقصر رجال الشرطة ورجال المخابرات السرية في تزويد مصالحهم بهذا النبأ. وبذلك فقد تلقت نبأ حادث وفاته المدنُ الكبرى في الهند كلها قبيل أن تغرب شمس ذلك اليوم في

مغربها. ولا أعرف في الهند كلها قائدا وزعيما حظي بما يحظى به سماحته من شعبية وسمعة، و طار نبأ وفاته في سرعة مدهشة مثل ما شاع نعي وفاة شيخ الهند.

الطبيب الأنصاري ينقطع إلى اتخاذ الترتيبات اللازمة

انقطع الطبيب الأنصاري إلى إرسال البرقية إلى شتى مدن الهند، وإلى استعدادات لازمة في خصوُص الكفن والتابوت والقطار في جانب. وفي جانب آخر أنهى الخدّام ترتيبات غسل جثة فضيلته. فقام بغسل جثمانه بطريقة مسنونة شرعية الطبيب "محمد حسن" بتعاون من أبرز تلامذة شيخ الهند. وبعد ما كفنوه وضعوه في التابوت الذي جاء إعداده في أسرع وقت و بعناية بالغة. وقد تمّت مراحل الحصول على الشهادة الطبية و إرسال جثته بالقطار حتى الساعة الثانية عشرة ظهيرة اليوم نفسه. وذلك بفضل المكانة التي السامية يحظى بها الطبيب الأنصاري في الأوساط الحكومية.

مدينة دهلي تخرج على بكرة أبيها تشيع جنازته وتصلي عليه

وما إن انتشر نبأ وفاته بمدينة "دهلي" حتى أسرع المسلمون والهندوس جميعا إلى إغلاق دكاكينهم ومحلاتهم التجارية. وتوافد آلاف مؤلفة من المسلمين على قصر الطبيب الأنصارى. وبعد أن صُلّي على فضيلة شيخ الهند فى الرحاب المخضّر الفسيح أمام قصره توَجهت الجنازة إلى المحطة. وكان المسلمون ينضمون إلى الحشد أثناء الطريق إلى المحطة في عدد الآلاف. ولم يكن ميسوراً أن يسعدوا بحمل جنازته على أكتافهم، ولا أن يمسوها بأيديهم. وكان الجمع كله يمضي في الطريق يذكرالله بصوت خفي. وكانوا قديهتفون بالتكبير فتهزّ هذه النداء ات القلوب. وكان منهم عدد هائل يمشون وأعينهم تفيض من الدموع.

وعندما وصلت الجنازة إلى المسجد الجامع أصرّالحشد على أن يُصلّى على الجثمان إلى المحطة مرة ثانية. ووُضِعَ التابوتُ في عربة نظيفة من عربات قطار البضائع مجاورة للقاطرة، وكانت وجوه المسلمين ترتسم عليها آثار الأسف والحزن ويسودهم الألم والقلق. واشترى مئات رجل التذاكر وتوجهوا بالقطار نفسه إلى ديوبند. كما ركب الخاصة من رفقة وأقارب وتلامذة شيخ الهند نفس العربة يذكرون الله صامتين صابرين على ما ألَمّ بهم من مصيبة جليلة. وسار القطار من محطة دهلي في الساعة الثانية والنصف إلى ديوبند.

الهوامش:

(١) الحديث بتمامه كما يلي

"عن أسامة بن شريك قال قالت الأعراب · يا رسول الله ! ألا نتداوي؟ قال · نعم يا عباد الله ! تداوَوا ، فإن الله لم يضع داءً إلا وضع له شفاءً . أو قال دواءً إلا داءً واحداً . فقالوا يا رسول الله ! ما هو ؟ قال الهرم" (سنن الترمذي، باب ما جاء في الدواء والحث عليه ٢/ ٢٤)

(٢) ونصّ الحديث فيما يأتي

"عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لا يشكر الناس لا يشكر الله" (سنن الترمذي، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك ٢/ ١٧)

(٣) والحديث كما يلي

"عن أنس بن مالك يقول . قال رجل يا رسول الله ! أعقلها وأتوكل أو أطلقها وأتوكل ؟ قال · أعْقِلها و توكّل" (سنن الترمذي ٢/ ٧٨، أبواب صفة الجنة)

الأدب وعلاقته بالبيئة ..

(٢/٢)

بقلم معالي الشيخ عبد العزيز عبد الله السالم
الرياض - المملكة العربية السعودية

ونجد لكل بيئة مظهراً يدل عليها وطابعاً خاصاً بها، فإذا كانت البيئة الصحراوية قد جسّدت في نفوس أبنائها مكارم الأخلاق التي توارثها الأجيال من السابقين واللاحقين، فإنه عندما جاء الإسلام كان متمماً لمكارم الأخلاق التي كان عليها العرب في سابق عهدهم والتي صاغتها بيئتهم وخلّدتها مآثرهم على لسان شعرائهم، ففي العهد الإسلامي ساهم الشعراء وأرباب المواهب في تمجيد الأخلاق الكريمة والفضائل المحمودة التي ارتبطت بتعاليم الإسلام وإسعاد البشرية وترتيب الجزاء عليها في الدار الآخرة.

وكان دور العصر الأموي امتداداً للعصر الإسلامي من جهة ومزيجاً من العصر الجاهلي من جهة أخرى ، فهو يزاوج بين المحافظة على القيم الإسلامية وبين الأصالة العربية الممتدة جذورها في أعماق البيئة الجاهلية العربية، ومن هذه المزاوجة كان لهذا العصر الأموي بيئة خاصة تجمع بين محاسن الإسلام ومكارم العرب التي أقرها الإسلام.. على أنه من المتعبّر هنا الإشارة إلى دور الفتوحات الإسلامية التي حملت معها عناصر جديدة غير عربية إلى أرض الجزيرة العربية، وكان لهذه العناصر طابعها المستقل بها والمختلف عن طابع العروبة ولكنها ما لبثت أن اندمجت في المجتمع العربي وتكيّفت مع الطباع العربية الإسلامية وتأثرت ببيئة العصر، فأصبحت متأثرة بهذه البيئة ومؤثرة فيها، ورأينا صور هذا التأثّر والتأثير في كثير من النتاج شعراء وأدباء هذا العصر، والشواهد على ذلك كثيرة لا يحدّها حصر لأنها ليست حالة يمكن تحديد إطارها وإنما هي ظاهرة عامة كان لها اتساعها وانتشارها.

☆ ☆ ☆

أما في العصر العباسي فقد اتسعت ظاهرة الامتزاج العربي بما سواه من الظواهر الوافدة، فكان الانفتاح أوسع والمستعربون أكثر، وقد تأثرت البيئة العباسية بالأخلاط الكثيرة من فئات عديدة من الداخلين في الإسلام. الذين انفتحت بلدانهم واستقبلوا هذا الدين الحنيف واستقطبهم الإسلام الذي دخلوا فيه. لينهلوا من معينه الصافي ومورده العذب ولغته الجميلة فكان انتقالهم إلى البلاد العربية، وقد حملوا معهم وفي ركابهم صوراً من تقاليد حياتهم وملامح من بيئتهم، وأهمها المظاهر الحضارية والثقافية التي انتقلت إلى الأرض العربية واستوطنت ديار العرب وتأقلمت مع طبيعتهم وبيئتهم، وإن تفرد هؤلاء الوافدون بمظاهر خاصة كانت لها رواسب في نفوسهم مما يُعدّ امتداداً لبيئاتهم.. وقد تكوّن من اخلاط هذه الشعوب وامتزاجها ببعض. ما جدّ في الحياة العباسية من معالم حضاريّة فيها خروج عن المألوف في العهود السابقة وما رافقها من ترف وما طرأ على البيئة من سمات جديدة لعادات وافدة وتقاليد مستحدثة، وقد تأثر المناخ الثقافي بهذه النقلة الحضارية. كما ساهم في توطيد تلك الصور الاجتماعية الطارئة ما أصبح للترجمات من مؤثرات في هذا العصر، فقد اهتم العرب بالترجمة عن لغات متعددة لمؤلفات كثيرة في مجالات

عديدة لأمم سبقت الأمة العربية في هذا الميدان. وقد دار الفلك دورته وحان الوقت للافادة، من تلك الثقافات السابقة فكانت أعمال الترجمة من الاهتمامات الكبيرة لدى الحكام وأصحاب الفكر والعطاء على حدّ سواء، فقد احتشدت الجهود لترجمة العلوم والمعارف على تعدد أنواعها واختلاف مناحيها وتنوع موضوعاتها، وقد تركت هذه الترجمات آثاراً ملموسة في الاتجاهات العلمية والمذهبية والفكرية والثقافية ، ففي ظلها نشأ علم الكلام والفلسفات وأنواع من العلوم التي لم تكن معروفة من قبل، ومن تأثيراتها نوع الدعوات والمدارس الفقهية والتوجهات العلمية والفكرية، فلقد كان التأثير شاملاً وعاماً جرَّاء تلك الترجمات وتأثيراتها مما انعكس على البيئة الثقافية بحكم تلك المؤثرات السالفة وما رافقها من تطور وسائل الحياة وتقدمها في المجالين الأدبي والحضاري.

☆ ☆ ☆

وعلى الضفة الأخرى نلتقي مع بيئة غربية نشأ فوقها أدب عربي في جنوب اسبانيا: (الأندلس) التي أُطلق عليها الفردوس المفقود بعد خروج العرب منها، ولا تزال آثار الحضارة الإسلامية العربية موضع اهتمام الاسبانيين بعد أن غابت شمس العرب من تلك الديار وتلاشى الإسلام من ربوعها، وهي حالياً مصدر دخل سياحي كبير لاسبانيا لما تحظى به تلك المآثر التي خلّفها العرب في الأندلس من أهمية، وقد بقيت آثار الحضارة الإسلامية ثابتة تطاول الزمن وكانت مجالاً للسياحة الواسعة لما تمثّله من فن معماري رائع وما تحتفظ به من مكانة أثريّة على مدى عقود طويلة من السنين.. وقد انعكست طبيعة البيئة الأندلسية على السكان العرب الذين وفدوا إليها وأقاموا بها ونشروا بها الدين الإسلامي واللغة العربية، ثم أقاموا هناك حيث طابت لهم الإقامة وسادت لغتهم العربية بعد أن تبوأ دينهم الإسلام المكانة العالية، فكان لمآذن المساجد صوت مسموع وللعروبة صدى يدوي في تلك البقاع التي تأثرت بالعرب وتأثروا ببيئتها ، فكانت أشعارهم وكتاباتهم ناطقة بجمالها ومسجلة أصداءها في نفوسهم، وحفلت تلك البيئة بنهضة أدبية أندلسية ضمتها مؤلفاتهم ودواوينهم وتاريخ رحيلهم بعد أفول شمسهم وانطفاء مجدهم: حينما تفرقت بهم السبل وسادهم الترف واخترقهم العدو وحل النزاع محل الوفاق والاختلاف بدل الائتلاف، وكان لابد من نهاية وكانت النهاية مأساة محزنة لانطواء صفحة حضارية مشرقة كانت حافلة بالعلوم والآداب في تلك الربوع، فتلاشت من الوجود وما بقي منها مما يذكّر بها سوى نصوص من التراث يرجع إليها المختصون بين الحين والآخر إذا استجدّ ذكر تلك البيئة التي كانت موطناً للعلماء وأرباب الفكر ومسرحاً للشعراء والأدباء: تتجاوب الطبيعة فيها مع أحاسيس الشعراء في أشعارهم فنسمع من خلالها خرير المياه وصداح الأطيار وحفيف الأشجار ونرى الأرض بساطاً أخضر، ونشم رائحة الأزهار والنباتات ذات الألوان الجميلة والروائح الزكية كما سجلها شعراء ذلك العصر في دواوينهم وأكدها الأدباء في مؤلفاتهم وبقيت حية في تراثهم.

☆ ☆ ☆

وفي عصرنا الحالي انتقل الأدب العربي إلى بيئة غربية في قارة بعيدة حين هاجر كثير من العرب لاسيما من بين اللبنانيين والسوريين إلى أمريكا الجنوبية وأمريكا الشمالية، وكان بينهم موهوبون في الفكر والشعر لم يشغلهم الكسب المادي عن رفع صوت العروبة في الامريكتين، ولجديتهم في هذا التوجه فقد تشكلت منهم جمعيات أدبية فكانت الرابطة الأندلسية في امريكا اللاتينية والرابطة القلمية في الولايات المتحدة الأمريكية.. وقد استطاع أدباء وشعراء هاتين الرابطتين أن يكون لهم صوت مسموع في البلاد

[illegible] الدين والعقيدة في جانب، و[illegible] الوطن وأهله في جانب آخر، وهم الذين عملوا على بسط الأمن والسلام في ربوع البلاد؛ لأنّ المسلم المتدين الصالح هو الذي يكون حقًّا مواطناً صالحاً يؤدّي واجباته نحو ربّه ونحو عباده، وقد أثبت المسلمون ولا سيّما العلماء ولاءهم لله ولرسوله في هذه البلاد ووفاءهم بالوطن، فظلّوا سبّاقين إلى تقديم كلّ تضحية تنفع البلاد في سلامتها وسيادتها واستتباب الأمن في ربوعها وفي رقيها الشامل وتقدمها الكامل.

ولكن جريمة المسلم أنه مسلم، فلا تنفكّ الجريمة عنه مادام مسلماً، وقد صدق الله عزّ وجلّ إذ قال: "وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ" (البقرة/١٢٠). "لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا" (المائدة/٨٢).

إنّ الشعب المسلم في هذه الديار إنّما يقتات الدين والعقيدة ويستقي الحياة الدينية والهويّة الإسلاميّة من هذه المدارس وبالتالي من المساجد، وقد أدرك الهندوس المتطرفون الذين يحكمون الهند اليوم أنّه بتجفيف المنابع الدينية هذه وحده يمكنهم إضعاف المسلمين دينيًّا وعقديًّا، وإرغامهم على الانصهار في البوتقة الهندوسيّة والانجراف مع التيار الوطنيّ أي الهندوسي، الأمر الذي طالما هتفوا به، وركّزوا عليه، وناضلوا من أجله، وركضوا في سبيله، وحلموا به ليل نهار، فلم يفلحوا في ذلك.

[illegible] الهند – التي حكمناها نحن المسلمين نحو [illegible] – أسوأ صراع بين الهندوسيّة المتطرفة والعلمانية [illegible] والعناصر [illegible] وحدها أن [illegible] الشعب المسلم أن يعيش [illegible] بهويته وخصائصه، ولكنّ الأوضاع تعني بأنّ انتصارها معادلة صعبةٌ جدًّا، ويبدو أنّ العلمانيّة لا تخرج من المعركة إلاّ مُصَابةً بجروح غائرة قد تودي بحياتها، أو تجعلها عاجزة عن المشي والتحرك وأداء الدور المُنْتَظَر منها.

☆ ☆ ☆

هذه وتلك أحوال مريرة تعيشها الأمة المسلمة في العالم كله، أي إنّها مُهَانٌ من قبل الأعداء أو مظلومٌ ظلماً فاحشاً من قبل الأصدقاء.

ولنا في هجرة المصطفى عليه الصلاة والسلام درس وعبرة، إنّ الهجرة – ذلك الحادث العظيم في تاريخ الإسلام الذي كان خطًّا فاصلاً بين عهدين: عهد الضعف الذي كان يخاف فيه المسلمون أن يتخطفهم الناس، وعهد القوة والمنعة الذي وجدوا فيه الدار والقرار– كانت طريقاً إلى القوة بعد الضعف، لأنّها كانت هجرة إلى الله ورسوله. وكلّما يُصَابُ المسلمون بمعاناة يجب أن يفرّوا إلى الله، ويهجروا إلى ملاذه، ويخفّوا إلى طاعته، ويسرعوا إلى التقيد بأوامره ونواهيه.

الهجرةُ إلى الله والرسول ستظلّ مبعث عزّ وكرامة للمسلم بعد كلّ ضعف وذلّ، وستظلّ طريقاً إلى اليسر بعد كلّ عسر، وستظلّ أسرع وأقصر طريق إلى المنعة والقوة بعد كلّ ضياع وتشرّد.

إنّ المسلمين [illegible] في كلّ مكان في العالم لن يحلّها إلاّ الهجرة إلى الله والرسول، والمبادرة إلى الطاعات، و[illegible] إنّ المهاجر الحقّ هو من هجر [illegible] مهاجرين في [illegible] استكانة [illegible] العرض [illegible]

العربية وأن يكون لأدبهم اهتمام من قبل الأدباء العرب، وبهذا الحضور الفكري كان للأدب المهجري أثر على مسار النهضة الأدبية العربية، وقد ساعدهم على ذلك الانتشار والتأثير ما حمله أدبهم من روح تجديدية في الشعر وفي النهج الأدبي نفسه، فقد استفادوا من الأدب الغربي وطوروا انتاجهم في ظله، وكان للحرية المتاحة لهم في المهجر أثر في تحرر أفكارهم من رقابة المستعمر الذي كان يحتل بلدانهم في تلك الفترة كما كان لهذه الحرية أبعاد واسعة في تطوير عطائهم وارتفاع مستوى انتاجهم إلى جانب تألق وعيهم وتنوع ثقافاتهم وتصدير أدبهم إلى البلدان العربية عبر الصحف والمجلات التي أوجدوها والكتب التي ألفوها. كما أنهم حافظوا في مهجرهم على الارتباط بالثقافة العربية والمحافظة على اللسان العربي وتراث العروبة الأصيل.. مما مكّنهم من إقامة ندوات شعرية ومؤتمرات أدبية في مهاجرهم يشاركون فيها الأمة العربية أفراحها ومسراتها وأحزانها وآلامها، ويدافعون عنها أمام تحكّم الدول المستعمرة وكأنهم ينطلقون في حماستهم من بيئة عربية لا من بيئة امريكية

☆ ☆ ☆

والبيئة في المهجر أوحت للمهجريين بشعر وأدب امتزجت فيه الثقافة العربية بالثقافة الغربية، وقد حقق هذا الامتزاج تجديداً في الأسلوب والمعاني والمفـردات وفي تناول الأغراض الأدبيـة. كما يتمثل ذلك في انتاج أولئك الأدباء والشعراء الذين صقلتهم البيئة الجديدة وأمدّتهم الغربة بحوافز التفوق واثبات الوجود، فكان هذا الأدب الذي جمع بين القديم العربي والحـديث الغربي مع محافظتهم على الصور الأدبيـة الموروثـة ومحاكاتهـا بسبب تأثـرهـم ببيئتهم التي يعيشون فيها.. ومن المؤثرات الوجدانية التي طبعت انتاجهم انعكاس أثر الغـربـة على نفوسهم لفراقهم أوطانهم وأهليهم فعاشوا في البيئة الجديدة ولا تزال قلوبهم تحتضن بيئتهم القديمة، ولذلك يكثرون التحدّث عن الاغتراب وقد سجلوا صوراً متألقة من الحنين إلى الوطن الأم وعبّروا عن الأسى في نفوسهم لفراق الأرض التي انجبتهم ودرجوا على أديمها وتفتحت أبصارهم على معالمها. لذلك لجأوا للتخفيف عن معاناتهم إلى تـدوين مشاعرهم الاغترابيـة في أشعارهم وآدابهم، ولا ريب أن التفاعـل بين الثقافة العربية الموروثة والثقافة الغربية المعاصرة أدّى إلى تلاقح أفكار قديمة بأفكار حديثة. مما جعل للأدب المهجري حضوراً مشهوداً في أنحاء الأقطار العربية جميعها حتى لقـد حـاكاه كثير من أدباء العرب- لا سيما الجيل الجديد في تلك الفترة الزمنية - الذين تأثروا به ونسجوا على منواله، حينما شدّتهم سهولة التعبير وشفافية العبارات وارتباط المعاني بالوجدان الإنساني، وانطلاق التجربة الشعورية في العطاء والتمازج المفيد بين البيئة التي نزحوا إليها والبيئة التي هاجروا منها، وتبدو في هذا الربط رومانسية ذات شفافية تستجلب الاعجاب ولذلك كانت ملفت الأنظار وموضع التأثير.

وهناك سمات عامة وخصائص مشتركة بين فنون الآداب على اختلافها، فمع تمايز بعض العصور عن بعضها الآخر، فإنها تشترك في كثير من السمات الأدبية لاسيما في أصولها الأساسية. أما مظاهر الاختلاف تتمثل في المستجدات التي نراها في صور حديثة قد ينفرد بها عصر لاحق عن عصر سابق، وإن كانت الملامح العامة ثابتة بحكم انتمائها إلى الأصول. أما فيما يتعلق بالفروق التي قد تبدو في المظهر العام فإنها تتغير بتغير العصور وما يطرأ على كل عصر من تجديد وما يسوده من ابداع وتظل للأدب علاقته بالبيئة مهما تعددت العصور.

☆ ☆ ☆

☆ ☆

المشيب وصوره

(٣/٢)

بقلم معالي الدكتور عبد العزيز عبد الله الخويطر
المملكة العربية السعودية

ومن الأمور التي تجعل المعمر ثقيلاً على أهله ما ذكره زهير بن مرخة عن حاله، فلضعفه لا يأمل إلا في النوم يريح جسمه به، ويطالب أهله أن يبقوا فلا يرحلوا، لأن الرحيل يتعبه، ويطالبهم بأن يهيئوا له زاداً، وفراشاً وطيئاً، فلم يعد جسمه يتحمل عناء النوم على الفراش غير الوثير، ولم يعد يقبل الجوع والسغب؛ يقول عن هذا:

كَبُرْتُ وَأَمْسَتْ عِظَامِي رَمَادَا
وَمَا تَأْمَلُ العَيْنُ إِلاَّ رُقَادَا
أَقُولُ لأَهْلِي لاَ تَظْعَنُوا
وَهَاتُوا فِراشاً وَطِيئًا وَزَادَا"[١]

ويصرح كعب بن رادة [٢] النخعي بأن أهله الأدنون قد ملوه، وأبغضوا رويته، لثقله عليهم، وعدم فائدته لهم، وهم أهل كدح وتعب، من لا يشاركهم كدهم، وسعيهم للرزق، أعاقهم عنهما، وحرمهم ثمرة كدهم وتعبهم، يقول:

"لَقَدْ مَلَّنِي الأَدْنَى وَأَبْغَضَ رُؤْيَتِي
وَأَنْبَأَنِي أَلاَّ يَحِلَّ كَلاَمِي"[٣]

ويطول عمر أوس بن ربيعة بن كعب حتى مله أهله، وسئم هو عمره، ومرور الأيام والليالي به؛ يعدها آتية، ويعدها ذاهبة، فيقول:

"لَقَدْ[٤] عُمِّرْتُ حَتَّى مَلَّ أَهْلِي
ثَوَائِيَ عِنْدَهُم[٥] وَسَئِمْتُ عُمْرِي
وَحُقَّ لِمَنْ أَتَتْ مِئَتَانِ عَامًا[٦]
عَلَيْهِ وَأَرْبَعٌ مِنْ بَعْدِ عَشْرِ
يَمَلُّ مِنَ الثَّوَاءِ وَصُبْحُ يَوْمٍ
يُغَادُ بِهِ وَلَيْلٌ بعدُ يَسْرِي"[٧]

ويكرر مثل هذا المعنى حارثة بن عبيد الكلبي، ويتمنى أن عمره انتهى، ولكنه يرد على نفسه بأن التمني لا يفيده، ويشكو ضعفه وَمَرَضه، ولزومه بيته، حتى تأذى منه أقاربه، لطول مكثه، واستثقلوا حياته، يقول حارثة:

"أَلاَ لَيْتَنِي أَنْضَيْتُ عُمْرِي
وَهَلْ يُجْدِي عَلَيَّ اليَوْمَ لَيْتِي؟!
حَنَتْنِي حَانِيَاتُ الدَّهْرِ حَتَّى
بَقِيْتُ رَذِيَّةً فِي قَعْرِ بَيْتِي
تَأَذَّى بِيَ الأَقَارِبُ إِذْ رَأَوْنِي
بَقِيْتُ وَأَيْنَ مِنِّي اليَوْمَ مَوْتِي!"[٨]

ويجمع أبو العريان، الهيثم بن الأسود النخعي، علامات الكبر، الدالة عليه، في أبيات دارت على ألسن الناس، لأنها شملت كثيراً مما جاء مفرقاً في الأشعار المختلفة، عن صفات الشيخ الهرم، وما يتعرض له من مشاق، وما يخسره من مكاسب، بعد أن فارقه الشباب:

يقول أبو العريان :[٩]

فَاسْمَعْ أُنَبِّيكَ بِآيَاتِ الكِبَرْ
تَقَارُبُ الخَطْوِ وَضَعْفٌ بِالبَصَر

وَكَثْرَةُ النِّسْيَانِ مَا بِيْ مُذَكِّرْ
وَقِلَّةُ النَّوْمِ إِذَا اللَّيْلُ اعْتَكَرْ
أَوَّلُهُ نَوْمٌ وَ ثُلْثَاهُ سَهَرْ
وَسَعْلَةٌ تَعْتَادُنِيْ مَعَ السَّحَرْ
وَسُرْعَةُ الطَّرْفِ وَتَحْمِيجُ النَّظَرْ
وَتَرْكِيَ الحَسْنَاءَ فِيْ قَبْلِ الطُّهُرْ
وَحَذَرًا أَزْدَادُهُ إِلَى حَذَرْ
وَالنَّاسُ يَبْلَوْنَ كَمَا تَبْلَى الشَّجَرْ"(١٠)

ويخاطب يحيى بن الحكم الغزال امرأة عن الشيب، وما يأتي به للمرء، وفيه ما يكمل الصورة السابقة التي رسمها أبو العريان، أو المستوغر، في بعض الروايات، فيقول يحيى:

تَسْأَلُنِيْ عَنْ حَالِيْ أُمُّ عُمر
وَهِيَ تَرَى مَا حَلَّ بِيْ مِنَ الغِيَرْ
وَمَا الَّذِيْ تَسْأَلُ عَنْهُ مِنْ خَبَرْ
وَقَدْ كَفَاهَا الكَشْفَ عَنْ ذَاكَ النَّظَرْ
وَمَا يَكُونُ حَالَتِي مَعَ الكِبَرْ
ارْبَدَّ مِنِّي الوَجْهُ وَابْيَضَّ الشَّعَرْ
وَصَارَ رَأْسِيْ شُهْرَةً مِنَ الشُّهَرْ
وَيَبِسَتْ نَضْرَةُ وَجْهِيْ وَالبَشَرْ
وَنَقَصَ السَّمْعُ بِنُقْصَانِ البَصَرْ
وَصِرْتُ لاَ أَنْهَضُ إِلاَّ بَعْدَ شَرّ
لَوْ ضَامَنِيْ مَنْ ضَامَنِي لَمْ أَنْتَصِرْ
فَانْظُرْ إِلَيَّ وَاعْتَبِرْ ثُمَّ اعْتَبِرْ
فَإِنَّ لِلْحُلُوْمِ فِيَّ مُعْتَبَرْ"(١١)

ويلفت الجَرَنْفِش بن عبده الطائي نظر محدثته إلى ضعفه وعماه، وما وصلت إليه حاله، مما يجعله لا يرجى لملمة، ولا ينفع لنازلة، وأن من حقه، وقد وصل إلى حاله من عمى، وقعود بالمنزل، أن يستريح، فيقول لها:

إِمَّا تَرَيْنِي لاَ أُعِيْنَ عَلَى النَّدَى
وَلاَ أَنْصُرُ المَوْلَى كَمَا كُنْتُ أَفْعَلُ
وَأَصْبَحْتُ أَعْمَى قَاعِداً مُتَوَكِّلاً
عَلَى اللَّهِ إِنَّ المُؤْمِنَ المُتَوَكِّلُ
فَحَقُّ امْرِيءٍ قَدْ سَارَ حَتَّى تَخَرَّمَتْ
هُنَيْدَةُ حَقًّا أَنْ يُنِيْخَ بِمَنْزِلِ"(١٢)

وسنان بن وهب بن تيم يدلي بدلوه في هذا المقام، ويصف حاله من الضعف بأبيات منها.

لَقَدْ عُمِّرْتُ حَتَّى صِرْتُ كَلاًّ
مُقِيْمًا لاَ أَحُلُّ وَلاَ أَسِيْرُ
تَأَذَّى بِيْ الأَقَارِبُ بَعْدَ أُنْسٍ
كَأَنِّي فِيْهُمُ فَرْخٌ شَجِيْرُ"(١٣)

(والشجير : الغريب من الناس والإبل).

ومحصَّن بن عتبان الزبيدي يقول عن بقائه في بيته بعد أن طال به العمر، واستبد به الضعف :

أَلاَ يَا اسْمَ أَعْيَانِي الرُّكُوْبُ
وَأَعْيَتْنِي المَكَاسِبُ وَالذُّهُوبُ
وَصِرْتُ رَزِيَّةً فِيْ البَيْتِ كَلاًّ
تَأَذَّى بِي الأَبَاعِدُ وَالقَرِيْبُ"(١٤)

وتأتي صور مركبة يرسمها مُسافِع بن عبد العزى عن حاله مع من حوله، وما يجري بينه وبينهم، وما يظنون فيه، وفي طول مكثه، فيقول :

"إِذَا مَرَّ نَعْشٌ قِيْلَ : نَعْشُ مُسَافِعٍ
أَلاَ لاَ يَوَدِّي لَوْ بَنِي لِيْ لأَحِدُ
يَظُنُّون أَنِّي بَعْدُ أَوَّلُ مَيِّتٍ
فَأَبْقَى وَيَمْضِيْ وَاحِدٌ ثُمَّ وَاحِدُ
فَقَالُوا لَهُ لَمَّا رَأَوْا طُوْلَ عُمْرِهِ
تَأَتَّ لِدَارِ الخُلْدِ إِنَّكَ خَالِدُ

عِضَابٌ عَلَيَّ أَنْ بَقِيتُ وَإِنَّنِي
بِوُدِّي الَّذِي يَهْوَوْنَ لَوْ أَنَا وَاجِدُ"(١٥)

وزهير بن خباب يرى أن الموت خير للفتى قبل أن يضعف، ويقوده الولدان عندما يخيم الظلام، لضعف بصره، ووهن في قوته، وهو بهذا يتفق مع دعوة العامة التي يقولون فيها: "اللهم من حيلي لقبيري"، أي : أمتني وفيّ قوة؛ وزهير هذا قوله، وهو يرسله حكمة :

"فَالْمَوْتُ خَيْرٌ لِلْفَتَى
فَلْيَهْلِكَنْ وَبِهِ بَقِيَّهْ
مِنْ أَنْ يُرَى تَهْدِيهِ وِلْـ
ـدَانُ الْمُقَامَةِ بِالْعَشِيَّةِ"(١٦)

ويقول من أبيات أخرى :

"وَلَلْمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ حَدَاجٍ مُوَطَّإٍ
مَعَ الظُّعْنِ لا يَأْتِي الْمَحَلَّ لِحِينِ"(١٧)

(الحداج : محفّة النساء).

وهبل بن عبد الله الكلبي يفضل الموت على طول العمر مع الضعف، واستبداد مظاهر. الكبر بالمرء، المزرية له، فيقول:

وَلَلْمَوْتُ خَيْرٌ لِامْرِيءٍ مِنْ حَيَاتِهِ
يَدِبُّ دَبِيبًا فِي الْمَحَلَّةِ كَالْقِرْدِ"(١٨)

ومثله عمروبن الحميس يفضل الموت على الخرف والهذيان، وهما مما يعانيه الشيخ الفاني، ويقول:

"فَإِنْ أَمُتْ فَالْمَوْتُ خَيْرٌ لِيْ(١٩)
مِنْ قَبْلِ أَنْ أَهْذِي وَلاَ أَدْرِي"(٢٠)

ويفقد جعفر بن قرط العامري لداته، ويشعر بالوحدة في هذه الحياة، فمن حوله ليسو من معاصري شبابه، فيخاطب المرأة بقوله:

"لَمْ يَبْقَ يَا خَذْلَةُ مِنْ لِدَاتِي
أَبُو بَنِينَ لاَ وَلاَ بَنَاتِ
مِنْ مَسْقَطِ الشَّمْسِ إِلَى الْفُرَاتِ
إِلاَّ يَعُدُّ الْيَوْمَ فِي الأَمْوَاتِ"
هَلْ مُشْتَرٍ أَبِيعُهُ حَيَاتِي(٢١)

وثعلبة بن كعب بن ريد ألمح إلى أنه يتمنى الموت إلا أن الموت أخلف رجاءه في هذا، وأبقاه حبيساً في بيته، يقول ثعلبة

"فَأَصْبَحْتُ الْغَدَاةَ رَهِينَ بَيْتِي
وَأَخْلَفَنِي مِنَ الْمَوْتِ الرَّجَاءُ"(٢٢)

وكعب بن رادة (٢٣) النخعي تمنى أن يكون قد مات، ورمس في لحده، بعد أن ضعف، فيقول :

فَيَا لَيْتَنِي قَدْ سِخْتُ فِي الأَرْضِ قَامَةً
وَلَيْتَ طَعَامِي كَانَ فِيهِ حِمَامِي"(٢٤)

ويبرر المنذر بن حرملة تمنيه الموت، أو تفضيله إياه، تبريراً يجعل الموت مرحباً به، فيقول مرحباً بالموت:

"إِذَا جُعِلَ الْمَرْءُ الَّذِيْ كَانَ حَازِمًا
يُحَلُّ بِهِ حَلُّ الْحِوَارِ وَيُحْمَلُ
فَلَيْسَ لَهُ فِي الْعَيْشِ خَيْرٌ يُرِيْدُهُ
لِآتِيهِ، وَسَوْفَ - واللهِ - أَفْعَلُ"(٢٥)

والمستوغر بن كعب يمل الحياة بعد أن عمر على ما يقال مئات السنين، ولم يعد في الحياة له أي رغبة، لأنه ليس فيها ما يجذبه، وقد أضناه مر السنين، ورتابة الزمن، فيقول في هذا :

"وَلَقَدْ سَئِمْتُ مِنَ الْحَيَاةِ وَطُولِهَا
وَعَمَرْتُ مِنْ عَدَدِ السِّنِيْنِ مِئِيْنَا
هَلْ مَا بَقِيْ إِلاَّ كَمَا قَدْ فَاتَنَا
يَوْمٌ يَمُرُّ وَلَيْلَةٌ تَحْدُوْنَا"(٢٦)

وأكثم يؤكد أن رتابة مرور السنين تجعل المرء يمل الحياة:

"وإنَّ امْرَءاً قَدْ عَاشَ تِسْعِيْنَ حَجَّةً
إلى مِئَةٍ لَمْ يَسْأَمِ العَيْشَ جَاهِلُ"(٢٧)

وزهير بن جناب يلمح بتفصيل الموت بعد أن تنهك المرء السنون، فيقول .

لَقَدْ عُمِّرْتُ حَتَّى مَا أُبَالِي
أَحَتْفِيْ فِي صَبَاحِيْ أَوْ مَسَائِي
وَحُقَّ لِمَنْ أَتَتْ مِئَتَانِ عَاماً(٢٨)
عَلَيْهِ أَنْ يَمَلَّ مِنَ الثَّوَاءِ(٢٩)

ويقول أيضاً :

"لَيْتَ شِعْرِيْ، وَالدَّهْرُ ذُو حَدَثَانِ
أَيُّ حِيـنٍ مَنِيَّتِـي تَلْقَـاني
أَسُبَاتٌ عَلَـى الفِـرَاشِ خُفَـاتٌ
أَمْ بِكَفَّـيْ مُفَجِّـعٍ حَـرَّانِ(٣٠)

ويجيء المشيب، وتأتي معه العصا، ولا ينساها المعمر، وهي صديق وفيّ له، وتصبح من لوازمه، لا تفارقه حتى يفارق الحياة، يقول عن العصا مرادس ابن صبيح:

"أَدِبُّ عَلَى العَصَا لَمْ يَبْقَ إلاَّ
لِسَانٌ صَارِمٌ عَضْبٌ حُتَاتُ"(٣١)

والمقارنة بين وسائل القـوة، والاستفـادة منها أيام الشباب، ووسائل الضعف، وحلولها محلها، وقت المشيب، مـادة دسمـة للأسى والحـزن علـى ما فات، وتأتي هـذه المقـارنـة مؤثـرة تأثيـراً بالغـاً، لأنها تقطر ألماً، خاصة ما فيها من حدة التفاوت بين طرفي الأمر، مما يؤكد حالة الحاضر التي عليها الشيخ، وهو يتصور ماضيه المبهج، ويقارنه بحاضره المعتم، وممن لمس هذا الجانب، وكانت إحدى وسائل المقارنـة عنده العصـا، عوف بن سبيع بن عميرة، حين يقول من أبيات ساقها:

"وَبُدِّلَ، مِنْ طِرْفٍ جَوَاءٍ حَشِيَّةً
مِنْ قَوْسِهِ وَالرُّمْحِ وَالصَّارِمِ، العَصَا"(٣٢)

ولبيد بن ربيعة بن مالك، وقد عمر، يذكر العصا، واعتماده عليها، ويرسم صوراً تكمل منظر الشيخ، فيها إتقان وإبداع، حيث يقول:

☆ ☆ ☆

حواشي :

(١) كتاب المعمرين ٨٨، المعمرون والوصايا ٨٠
(٢) في "المعمرون والوصايا" رداة
(٣) كتاب المعمرين ١٠٠، المعمرون والوصايا ٩٣ .
(٤) في "المعمرون" خلقت
(٥) في "المعمرون" فيهم
(٦) في "المعمرون" منتين عام
(٧) كتاب المعمرين ١٠١، المعمرون والوصايا ٩٤
(٨) كتاب المعمرين ١٠٢، المعمرون والوصايا ٩٤
(٩) يقال إن قائله المستوغر بن ربيعة
(١٠) البيان والتبيين ٣٩٩/١، بهجة المجالس ٢٢٧/٣، الحيوان ١٤٩/٥، عيون الأخبار ٣٢١/٢ و ٣٤٤، العقد الفريد ٥٥٣/٣
(١١) بهجة المجالس ٢٢٨/٣
(١٢) كتاب المعمرين ١٠٨، المعمرون والوصايا ٩٩، وقد تكون ويَزِل!
(١٣) كتاب المعمرين ١٠٩، المعمرون والوصايا ١٠٠
(١٤) كتاب المعمرين ٣٥، المعمرون والوصايا ٩٦
(١٥) كتاب المعمرين ٤٠، المعمرون والوصايا ٣١ .
(١٦) كتاب المعمرين ٤٢، المعمرون والوصايا ٣٣ .
(١٧) كتاب المعمرين ٤٣، المعمرون والوصايا ٣٤ .
(١٨) كتاب المعمرين ٤٦، المعمرون والوصايا ٣٧ .
(١٩) في "المعمرون" الموت لي خيرة
(٢٠) كتاب المعمرين ٤٧، المعمرون والوصايا . ٣٩
(٢١) كتاب المعمرين ٦٣، المعمرون والوصايا ٥٥ .
(٢٢) كتاب المعمرين ٩٨، المعمرون والوصايا ٩١ .
(٢٣) في "المعمرون" رداة .
(٢٤) كتاب المعمرين ١٠١، المعمرون والوصايا ٩٣
(٢٥) كتاب المعمرين ١١٧
(٢٦) كتاب المعمرين ١٨، المعمرون والوصايا . ١٢
(٢٧) كتاب المعمرين : ٢١
(٢٨) في "المعمرون" عام
(٢٩) كتاب المعمرين ٤٢، المعمرون والوصايا ٣٤ .
(٣٠) كتاب المعمرين : ٤٣، المعمرون والوصايا ٣٥
(٣١) كتاب المعمرين ٥٣، المعمرون والوصايا : ٤٤ .
(٣٢) كتاب المعمرين ٧٩، المعمرون والوصايا ٧١ .

محليات

تعريب : أبو عميقة القاسمي

تظاهرات حاشدة تلف البلاد كلها ضد مشروع قانون أسود وافق عليه المجلس التشريعي الإقليمي لولاية يوبي:

قد سبق أن اتخذ قبل شهرين المجلس التشريعي الإقليمي لولاية "أترا براديش" – التي يحكمها حزب "ب. ج. ب."– مشروع قانون يقضي بمنع أتباع الديانات كلها ولا سيما المسلمين عن إنشاء مبنىً دينيٍ من مسجد للمسلمين أومدرسة لهم، ومعبد للهندوس، وكنيسة للمسيحيين، ومعبد للسيخ، ومعبد للبوذيين كما يفرض المشروع الحظر على إدخال أي نوع من تعديل على كافة المباني الدينية، ويمنع عن استخدام مكانٍ ما للعبادة وأداء الطقوس الدينية، أو تدريس علوم تتصل بديانة، إلا بعد أن تمّ الحصول على إذن رسمي صريح.

ومن المعلوم لدى كل من يعرف سياسة الحزب المعادية للإسلام والمسلمين، ويطلع على أهدافه الخبيثة تجاه أقليات البلاد والمسلمين بوجه أخص: أن المشروع مع أنه يضمّ المعابد للهندوس ومدارسهم الدينية في مظهره، ولكنه لا يستهدف إلاّ المسلمين ومساجدهم ومدارسهم المنتشرة في كل قرية ومدينة من قرى ومدن الهند. فإن السكرتير الأعلى للحكومة الإقليمية كان قد صرّح عقيب موافقة المجلس التشريعي على المشروع: أنه لا بدّ من وضع مثل هذا القانون نظرا إلى تصاعد النشاطات الإرهابية في المديريات المجاورة لحدود النيبال. واستشهد على دعواه بأن المدارس الإسلامية الأهلية والمساجد قد شهدت خلال العامين الغابرين تزايدا هائلا في مديريتي: "سدّارت نجر" و "مهراج غنج" الحدوديتين. وأضاف قائلا: إن مصلحة المخابرات السرية الباكستانية "آئي إيس آئي" تشرف على هذه المدارس والمساجد، وتموّل مشاريعها، وتتخذها ملاجئ آمنة لها، وتقوم بنشاطاتها الإرهابية منها.

هذا وقد وقف بجانب المشروع وزير الشؤون الدينية في الولاية قائلا: إن التحركات الإرهابية التي يقوم بها رجال "آئي إيس آئي" في كافة أرجاء الولاية إنما يأتون بها تسترا بهذه المدارس والمساجد التي اتخذوها مقراتٍ لهم. واستطرد قائلا: إننا وضعنا المشروع إبقاءً على وحدة الولاية وسلامتها، وحفاظاً على أمن مواطنيها وحياتهم. وأدلى بتصريح في مؤتمر صحفي في مبنى وزارته بمدينة لكناؤ أكد فيه أنه لا ينشأ هناك سؤال عن سحب المشروع أو إلغائه

وزاد الأمر مشكلة والنار إشعالاً المستر "لال جي تندن" وزير شؤون التنمية المدنية في الحكومة الإقليمية فإنه صرّح أن مخالفة المشروع عبارةٌ عن الغدر بمصالح البلاد، وأن الذين يحتجون ضده هم خونة يريدون أن ينالوا من وحدة الولاية.

فنظرا إلى تصريحات كبار الضباط والوزراء في الحكومة الإقليمية وإلى خطورة المشروع تحرك المسلمون عبر البلاد ضد هذا المشروع الأسود، وأقاموا على اختلاف مذاهب فقههم و تباين نظرياتهم وتعارض مدارس فكرهم تظاهرات حاشدة احتجاجا على المشروع ، وطالبوا رئيس الجمهورية بأن يرفض المشروع كمانظمت كافة الجمعيات والمنظمات والأحزاب الإسلامية السياسية والاجتماعية والدينية مسيرات واحتفالات وتظاهرات على نطاق أوسع وفي كل قرية ومدينة يعيشها المسلمون عبر أنحاء الولاية. وذلك لأن القانون إذا تمّ تطبيقه فإنه سيشكل أقوى ضربة تصيب المسلمين في عقيدتهم ودينهم بعد أن نالت الهند الحرية والاستقلال.

ومن أبرز هذه الجمعيات الإسلامية "جمعية علماء الهند " التي نظمت مسيرة كبيرة بمدينة "لكناؤ" في ٥/ مارس الغابر حضرها أكثر من مليون مسلم من جميع الولاية . نددت المسيرة بهذا المشروع أعنف تنديد، واعتبرته قانوناً أسود يهدف إلى القضاء على المسلمين في الهند. وتعزم الجمعية على عقد احتفال عام لعموم الهند بالعاصمة دهلي في ١٣ / مايو الجاري احتجاجاً على هذا المشروع . وكان قد سبق أن عقدت رابطة المدارس

العربية بالجامعة الإسلامية دارالعلوم ديوبند اجتماعا هاماً في ٤/ مارس عام ٢٠٠٠م حضره ممثلون عن معظم المدارس الإسلامية الكبرى في البلاد وأسفر الاجتماع عن اتخاذ قرارها م للغاية في هذا الصدد دعا من خلاله كافة المسلمين وجمعيا تهم ومنظماتهم وأحزابهم إلى أن تصعّد تظاهرات ضد المشروع، وأن تقدم المذكرات إلى رئيس الجمهورية في هذا الصدد

كما عُقدت مسيرة شعبية حاشدة احتجاجاً على المشروع في ٢١/ أبريل عام ٢٠٠٠م بمدينة دهلي بقيادة الشيخ "عبد الله البخاري" إمام المسجد الجامع بدهلي وبتعاون من العصبة الإسلامية لعموم الهند وبلغ عددالحضورفيها خمسين ألف رجلٍ وطالب الحضور جميعاً من خلال عدة قراراتٍ اتُّخذت في المسيرة رئيس الجمهورية بأن يلغي المشروع ولا يوقعه أبداً

هذا وعُقدتْ مسيرات واحتفالات وندوات وتظاهرات احتجاج ضد المشروع في كل من مدن سهارن فور، وديوبند، وميروت، و مراد آباد، وعلي جراه، ورام فور، وكانبور، وإله آباد، وغوركهفور، وبستي، و غوندا، وبهرائج، وبنارس، وأعظم جراه، و مئوناث بانجن، وجونفور وغيرها من كافة مدن الولاية

ولكن الذي يؤسفنا بالمناسبة بالغاً أن الحكومة لم ترض بعد ذلك كله بإعادة النظر في المشروع فضلاً عن إلغائه أو سحبه . بل ويبدو أنها تعزم على وضعه موضع التنفيذ مهما جرّ ذلك من ويلات واضطرابات وفتن ولعلها أدركت أن هذا المشروع يجعل الهندوس يجتمعون تحت مظلة حزب "ب ج ب" ويصوتون في صالحه في الانتخابات الإقليمية القادمة كما أن وسائل الإعلام والصحف لا تولي هذه التظاهرات اهتماما لائقا، ولا تغطي أنباءها تغطيةً مطلوبة .

والأمر الذي يثير الحيرة أن الهندوس بدل أن يحتجوا ضد هذا المشروع الذي يقضي بمنعهم أيضا عن بناء معابد هندوكية، يقفون بجانبه، ويقومون بتأييده، ويحثون الحكومة على إتخاذها المشروع. وهذا من أكبر دليل على أن هناك اتفاقية سرية فيما بين الحكومة والمنظمات الهندوسية

الشرطة تداهم أروقة الجامعة الملية الإسلامية بـ "دهلي" وتضرب الطلبة المسلمين ضربا مبرحا

كان طلاب الجامعة الملية الإسلامية الحكومية بمدينة "دهلي" ينقطعون إلى المطالعة في مكتبة الجامعة وحجرات الدراسة استعدادا للاختبار السنوي الذي كان من المزمع أن يبدأ في ٢٦/ أبريل الماضي إذ داهمت كتائب الشرطة الجامعة وأخذت تلقي القبض على الطلاب دونما أي مبرر، وتضربهم ضربا مبرحا بالعصي ولهضات البنادق ما أثار هلعا و خوفا في نفوس الطلاب فأسرعوا فراراً بأنفسهم إلى أروقتهم و أغلقوا عليهم الأبواب ولكن الشرطة لم تدعهم، فدخلت حجراتهم بعد أن كسرت الأبواب، وضربهم شديدا أسال الدموع وأدى إلى أن انكسرت عظام طلاب منهم كما نثرت أمتعتهم ورمت بشنطاتهم وحقائبهم من السقف إلى الأرض فانكسرت، وضاع ما كان فيها من كتب وأمتعة أخرى ولم يكتفِ رجال الشرطة بهذا القدر من الظلم والاعتداء وإنما اعتقلوهم وزجّوا بنحو سبعين طالبا بعد أن ضربوهم شديداً السجن ، وأقاموا الدعوى ضدهم بتهمة أنهم عناصر مشاغبة يحاولون إثارة الفتنة والقلاقل في رحاب الجامعة

هذا وقد دخل رجال الشرطة مسجد الجامعة منتعلين وأدخلوا معهم الكلاب أيضا ولمّا احتج على إساءتهم للمسجد إمامه أهالوا عليه بالضرب وكسروا رجليه كما ضربوا أستاذا بالجامعة عندما سألهم قائلا. كيف دخلتم الجامعة وعمن تبحثونه؟ وهل تمتلكون إذناً من ضابط في هذا الخصوص؟ فضربوه أيضا، وهددوه بأنهم سوف يسجنونه إذا احتج ضد عمليتهم هذه. ووصفت الشرطة الطلاب الملتحين بأنهم إرهابيون متطرفون، وأنهم عملاء أوفياء للمخابرات السرية الباكستانية

وقد مضت أيام على هذا الاعتداء الصارخ ولم تقدم الشرطة أيّ مبرر لعمليتها العشوائية العدائية هذه

وكان من الطبيعي أن تثير العملية الغضب والسخط في نفوس المسلمين وطرح أمرَ اعتداء الشرطة على الطلبة الأبرياء، بعض أعضاء مسلمين على البرلمان الهندي، وطالبوا وزير الداخلية المركزي بأن يصدر الأمر إلى ضباط السجن بالإفراج عن الطلاب دونما تأجيل، وأن يتخذ خطوة رادعة ضد رجال الشرطة الذين كانوا من وراء العملية، وأن يعاقبهم عقاباً شديداً ومع أن الطلاب المسجونين قد أُطلِقَ سراحُهم بأمر من الحكومة، ولكنه ليس هناك أحد يأمل في أن رجال الشرطة ينالون العقاب أو يُفصلون عن وظيفتهم، بالرغم من رفع هتافات باتخاذ الخطوات الرادعة ضد الشرطة، وبالرغم من إدلاء تصريحات شجب واستنكار لهذه العملية الشنيعة ، شأن اعتداءات الشرطة وعملياتها العدائية الأخرى الكثيرة في الأعوام الماضية ☆☆

إشراقة

يأخذني العجب من أديب وكاتب يضل الطريق

قد يصعب على المرأ أن يعبّر عن الحقيقة بلفظ دقيق، وأن يصوغ الموقف في تعبير رشيق، وأن يفصح عما في ضميره بعبارة صادقة. إنّ عملية الأداء الصحيح لمعنى من المعاني قد تأتي صعبة جدًّا حتى على خطيبٍ مصقع وكاتب بارع ومتكلم مُفَوَّه وأديب متفنن وشاعر مطبوع.

الحقيقة تكون في القلب وتختلج في الصدر ، ولكنها لا تجد منفذاً إلى اللسان أو إلى القلم ، ويظل الكاتبَ أو الأديب والشاعر عاصراً ذهنه، مُعْمِلاً تفكيره ، مجيداً جواد براعته الفنية ، ومستخدماً مقدرته البيانية ، ليجد كلمة مناسبة للأداء ، وحرفاً لبقاً للمعنى . ومهما عصر ذهنه ، وجمع أرصدة محفوظاته اللسانية ، وثرواته اللغوية ، وتعامل مع طاقاته الفكريّة ؛ فإن ذلك قد لا يسعفه في تحقيق الغرض .

قرأتُ في الكتب قصصاً غير قليلة عن الشعراء المكثرين ، والكُتّاب المجيدين ، والخطباء البارعين ، الذين انسدّت عليهم مسالك التعبير ؛ فلم يقدروا على الإفصاح، أو لم يقدروا على تعبير لائق .

إنّ البيان فضلٌ من الله ونعمة يتكرم بهما على عباده ، وقد يسلبهم هذه النعمة موقتا لكي يؤمن بأنّ الله هو الّذي يهب المعنى والمبنى ، وهو الذي يوفق للحقيقة والتعبير عنها . إن الإنسان لا يملك قدرة عفويّة على شيء من ذلك . وهذا التفكير هو الخطّ الفاصل بين المسلم والكافر ، وبين المؤمن والملحد ، وبين الذي يعلم أن النعم كلها من الله والذي يزعم أنه أُعْطِيَ إيّاها على علم وخبرة من عند نفسه .

عجزُ القادر على الكلام عن الكلام ، وضعفُ البارع في البيان عن التعبير عمّا يريده ، يدلّ دلالة واضحة على أن الزمام إنما يمسكه ربنا القادر الوهاب . فكيف يجوز لشاعر وأديب أو كاتب وخطيب أن يتباهى بما لديه من مقدرة بيانية ، فضلاً عن أن تفضي به هذه المقدرة إلى يتحرر عن القيم والأخلاق ، ويدعو إلى الفحش والمجون والسفور .

كم من أديب وشاعر ضلّ الطريق ، وأفسد على المجتمع دينه وأخلاقه ودخل خدور الفتيات العفيفات ، ونزع عنهن ملابس الطهر والعفاف ، وحملهن على السفور والبروز متزينات متبرجات ، ظنًّا منهم أنّهم بالمؤهّلات البيانية وحدها صاروا متصرفين في الأكوان ، وأنهم عادوا لا يسعهم السماء والأرض ، ولم يؤمنوا بأنّها فضل من الله وعطاء من الرحمن يجب أن يشكروه عليه ، ومن الشكر أن يستخدموا هذه المؤهلات في سبيل إسعاد البشريّة وترسيخ القيم الأخلاقية ، واستئصال نزعات الشرّ ، وقمع كل محاولة ترمي إلى إفساد المجتمع الإنسانيّ .

كلما أرى الأديب والشاعر والكاتب يسخّر مؤهلاته في الفساد والإفساد ، يأخذني العجب على حماقته التي تحمله على ظنّه أنه صار يملك قدرة على التصرف المطلق في هذه الدنيا الواسعة ، وأنه بمجرد امتلاكه لرصيد من الألفاظ والكلمات كسب صفة الألوهيّة ، وسلبَ اللّه عز و جلّ – ونعوذ بالله من ذلك – بعض صفاته وقدراته !!

لا أحد أحمق من الذي أعطاه اللّه نعمة فكفر بها بدل أن يشكرها ويؤدّي ضريبة الشكر في شكل المساهمة في تحقيق السعادة لبني الإنسان ولنفسه معاً .

أبو أسامة نور

بسم الله الرحمن الرحيم

أُدْعُ إِلَى سَبِيْلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَ جَادِلْهُمْ بِالَّتِيْ هِيَ أَحْسَنُ (القرآن الحكيم)

الداعي

مجلة عربية إسلامية شهرية

تصدر عن الجامعة الإسلامية دارالعلوم

ديوبند ، الهند

العـــــدد : ٣

الســـــنة : ٢٤

ربيع الأول : ١٤٢١هـ

يـــونيـــو : ٢٠٠٠م

تحت إشراف :

فضيلة الشيخ مرغوب الرحمن

رئيس الجامعــــــة

رئيس التحرير

نور عالم خليل الأميني

أستاذ الأدب العربي بالجامعة

الاشتراكات :

ثمن النسخة : ١٥ روبية هندية

قيمة الاشتراك السنوي

في الهند : ١٥٠ روبية هندية

وفي خارج الهند للأفراد : ٣٥ دولاراً

وللمؤسسات الحكومية : ٤٥ دولاراً

المراسلات :

رئيس تحرير مجلة الداعي

دارالعلوم ، ديوبند (الهند)

الرمز البريدي ٢٤٧٥٥٤

الهاتف والفاكس

Ph. : (00-91-1336) 22429 / 22332

Fax : (00-91-1336) 22768

Chief Editor

AL - DAIE

Arabic Islamic Monthly

Darul - Uloom,

Deoband - 247554

(U.P.) INDIA

المحتويات